الموسوعة التاريخية
للأمة الشركسية "الأديغة"
المجلد الأول – الطبعة الثانية



الموسوعة التاريخية للأمة الشركسية "الأديغة"

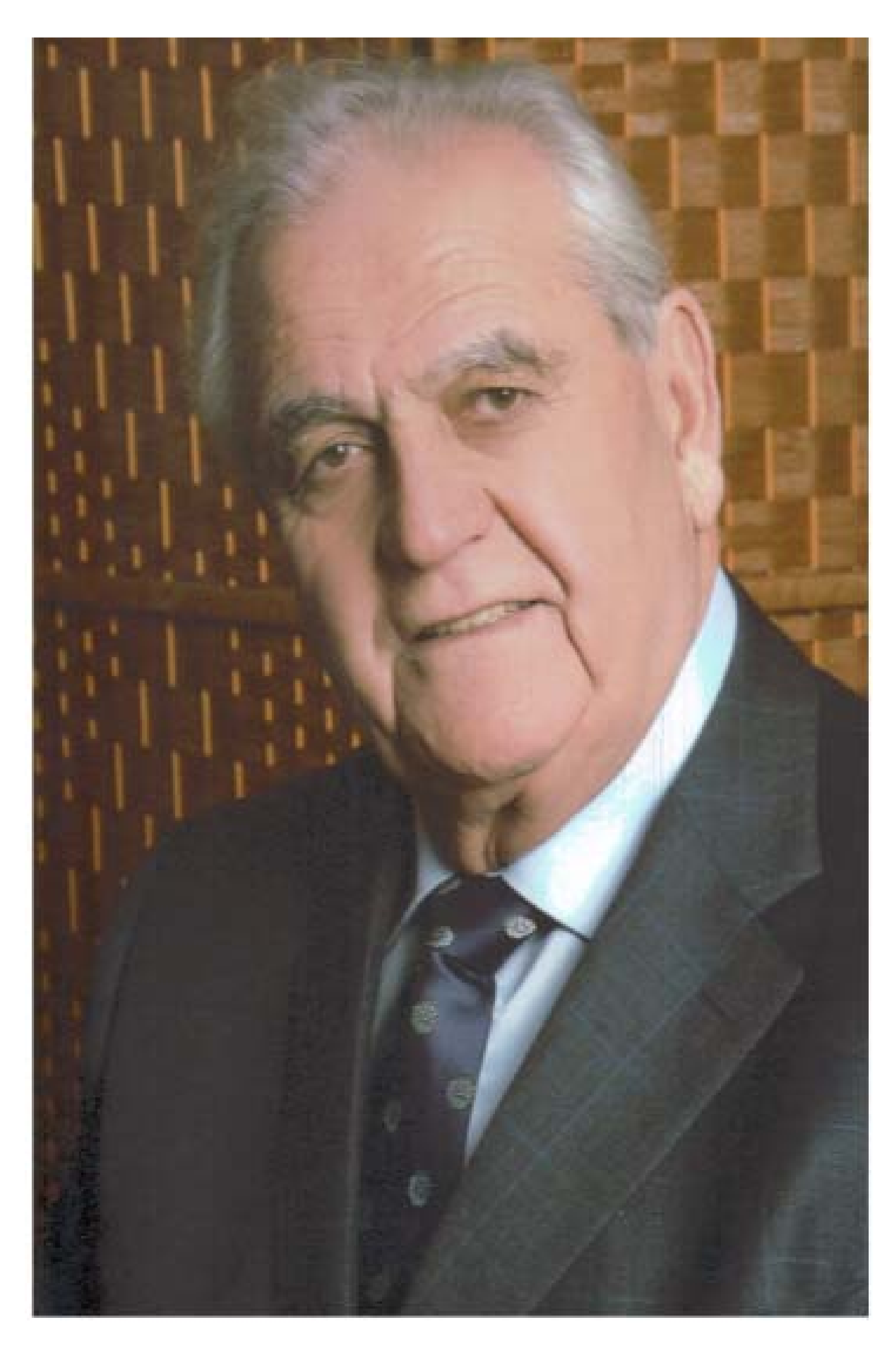
من الألف العاشر ما قبل الميلاد إلى الألف الثالث ما بعد الميلاد

الاستاذ الدكتور
محمد خير مامسر بتسج

المجلد الأول

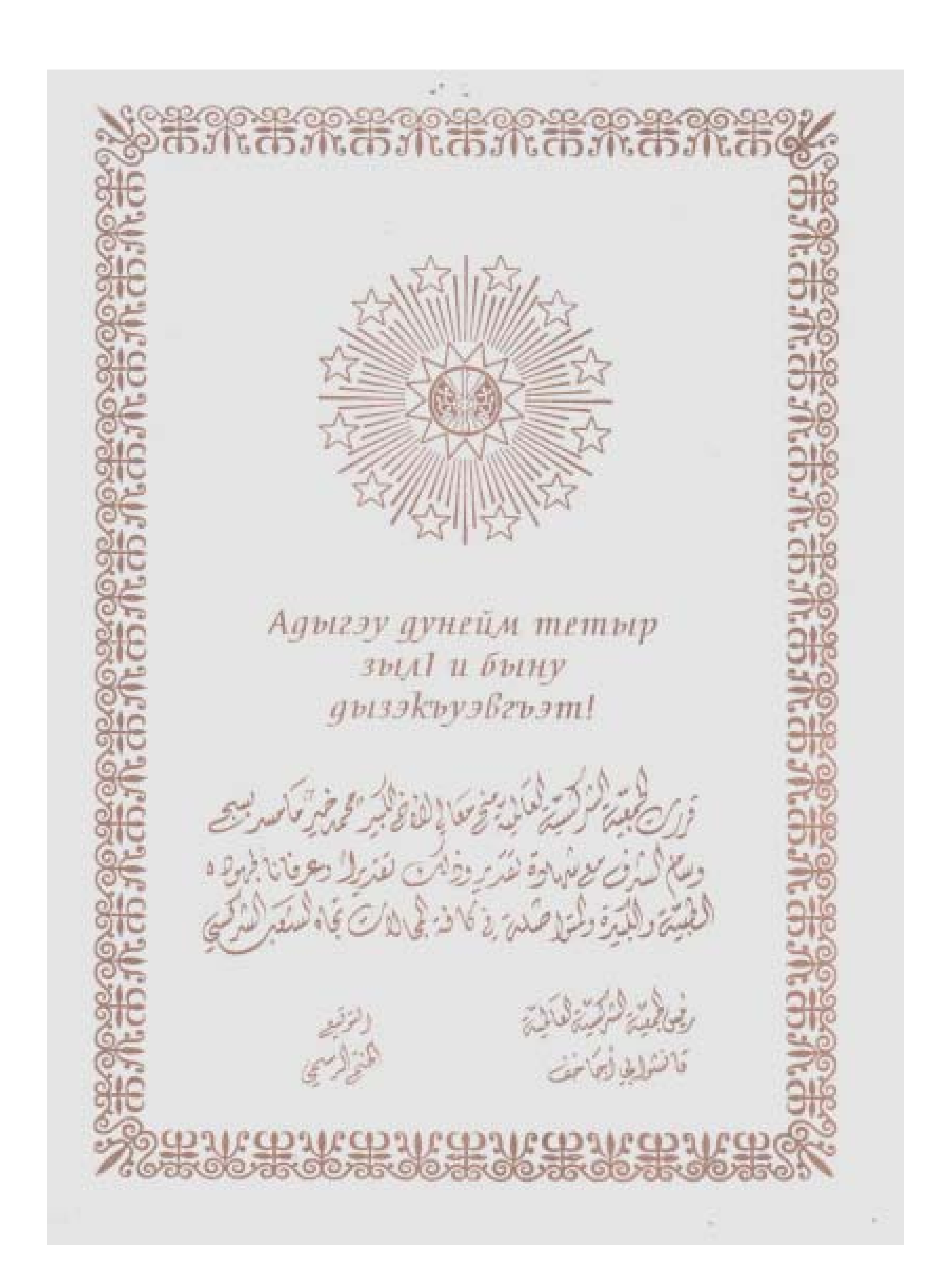
تاريخ الأمة الشركسية في الوطن الأم
منذ فجر التاريخ حتى العصر الحديث

الطبعة الثانية
عام ٢٠١١



بتسج محمد خير مامسر


ПщIэ зыхуэтщI Бацэжь (Мамсыр) Мухьэмэд-Хейр,
адыгэ лъэпкъым и къэкIуэнум
узэрытелажьэм пэкIуэу
Дунейпсо Адыгэ Хасэм
и
ЩIыхь тхылъыр пхудогъэфащэ,
ЩIыхь дамыгъэр игъусэу
нейпсо Адыгэ Хасэм и Президент
Ажахъуэ Къанщобий


Адыгэу дунейм тетыр
зыл1 и быну
дызэкъуэвгъэт!
قررت الجمعية الشركسية العالمية منح معالي الأخ الأكبر محمد خير مامسر بسيج
وسام الشرف مع شهادة تقدير وذلك تقديراً وعرفاناً لجهوده
الطيبة والكبيرة والمتواصلة في كافة المجالات تجاه الشعب الشركسي
رئيس الجمعية الشركسية العالمية
قانشاوبي أجاخوف
التوقيع
الختم الرسمي

المجلد الأول

تاريخ الأمة الشركسية

في الوطن الأم منذ فجر التاريخ

وحتى العصر الحديث

فهرس

أجزاء المجلد الأول

مقدمة

الطبعة الأولى

التزاماً بالأمانة العلمية من المؤلف، كان لا بد من التحدث عن المراحل التي مر بها منذ أن بدأت الموسوعة كفكرة في عام ٢٠٠٤م، إلى أن أصبحت حقيقة، وصدرت منتصف عام ٢٠٠٩ في حوالي (٥٠٠٠) صفحة، موزعة على ثماني مجلدات، حيث بدأت الفكرة بعد نقاش حاد بين المؤلف وبين بعض المتحدثين في يوم الاتحاد الوطني الشركسي في عمان بتاريخ ٢١ / ٥ / ٢٠٠٤م، توصل بعده إلى قناعة تامة بأننا جميعاً (بمن فيهم المؤلف نفسه) والذين يعتبرون أنفسهم مختصون في تاريخ الأمة الشركسية وقضاياها، نجهل تماماً الوقائع والأحداث الحقيقية عن تاريخهم، ومن هنا بدأت فكرة إعداد موسوعة تاريخية عن الأمة الشركسية بأسلوب علمي وموضوعي.

عرضنا الفكرة على اكثر من باحث من المهتمين بالتاريخ عامة والتاريخ الشركسي خاصة... وكان ردهم بأن إعداد موسوعة يتطلب وجود فريق من المختصين في التاريخ عامة وتاريخ الشراكسة خاصة، وأنه يتعذر على شخص أو اثنين أو ثلاثة إعداد مثل هذه الموسوعة.

لم أيأس خاصة وأنني كنت بدأت بالتفكير الجدي لإحالة نفسي على التقاعد من عملي الأكاديمي عند بلوغي سن السبعين... فكانت المرحلة الأولى، حيث بدأنا بجمع أكبر عدد ممكن من المراجع والمصادر، من كتب ومخطوطات، ووثائق، ودراسات، واستطعنا قبل نهاية عام ٢٠٠٤م من جمع أكثر من (٢٠٠٠) مرجع ومصدر منشور باللغات العربية والإنجليزية والروسية والفرنسية والتركية والشركسية، من خلال زيارة كل من المكتبات الوطنية في لندن واسطانبول ونالتشك في جمهورية (كباردينا – بلقاريا)، والاسكندرية، ودمشق، إضافة إلى المراجع والمصادر التي جمعناها من المكتبات المحلية المتخصصة في القضايا الشركسية ومن مواقع على شبكة الانترنت وعددها حوالي (٧٠٠) موقع، كما تم جمع مئات البيانات والوثائق والمخطوطات وأشرطة التسجيل (الفيديو) وأقراص (CD و DVD)، وغيرها من المعلومات ذات العلاقة بتاريخ الأمة الشركسية والتي تم جمعها من خلال اللقاءات الشخصية التي أجريتها مع العشرات من المختصين والمهتمين وكبار السن في كل من: جمهوريات الوطن الأم، وشراكسة بعض جمهوريات روسيا الاتحادية وشراكسة تركيا، والأردن، وفلسطين، والعراق، وليبيا، وألمانيا، وهولندا، وانجلترا، وفرنسا، وأمريكا، وكندا، واستراليا.

وفي المرحلة الثانية، التي امتدت من شهر كانون ثاني من عام ٢٠٠٥م، وحتى نهاية شهر كانون أول من نفس العام، قمنا بتصنيف وتبويب المراجع والمصادر التي ضمت كتب، وموسوعات، ومخطوطات، ووثائق بالإضافة إلى الأبحاث والدراسات والتقارير والمقالات والتحقيقات، المنشورة في مجلات متخصصة، كما قمنا بالاستعانة ببعض المختصين في اللغات الروسية والفرنسية والتركية لترجمة بعض الموضوعات الهامة ذات العلاقة بموضوعات الموسوعة حيث توصلنا إلى حقيقة عدد المراجع والمصادر التي قمنا بجمعها تجاوز (٢٥٠٠) مرجع ومصدر (من غير المصادر والمراجع التي قام المؤلف نفسه بجمعها) وإن هذه المراجع كتبت في أكثر من عشرين لغة (كما هو مبين في الملاحق).

وفي المرحلة الثالثة، تفرغ المؤلف تفرغاً كاملاً لكتابة موضوعات الموسوعة، وهي المرحلة التي استغرقت (٣٣) شهراً ولمدة (ألف) يوم تقريبا، بمعدل ثماني ساعات يومياً خلال الفترة من شهر كانون الاول من عام ٢٠٠٥م، إلى نهاية شهر آيار من عام ٢٠٠٨، حيث تم خلالها طباعة مجلدات الموسوعة طباعة أولية، كما تمت عمليات التصميم والإخراج الفني التي تضمنت عمليات إضافة الأشكال التوضيحية، والخرائط التفسيرية، والمناظر الطبيعية، والصور الشخصية لقيادات سياسية وعسكرية وأدبية وتربوية ودينية، وثقافية وفنية من الوطن الأم ومن شراكسة الشتات في بلاد المهجر.

وفي المرحلة الرابعة والأخيرة التي امتدت لستة أشهر، ابتداءً من شهر حزيران من عام ٢٠٠٨م، حتى نهاية شهر كانون الأول منه، قام المؤلف وبعض المختصين بتدقيق شامل للمجلدات الستة للموسوعة للتأكد من ملاءمة اللغة، ودقة الصياغة، ووضوح المعنى، كما تم خلالها وضع فهرس مستقل للموضوعات الرئيسية والفرعية لكل مجلد من مجلدات الموسوعة على حدة، حيث تم بحمد الله وتوفيقه من الانتهاء من طباعتها طباعة نهائية مطلع عام ٢٠٠٩، وتم إشهارها يوم ٣١ / ٥ / ٢٠٠٩.

المؤلف

الدكتور محمد خير مامسر بتسج

مقدمة

الطبعة الثانية

في مثل هذا اليوم من عام ٢٠٠٩ تم إصدار الطبعة الأولى من الموسوعة التاريخية للأمة الشركسية، وقد تم بحمد الله تعالى تسويق أكثر من (الف مجموعة) تضم ثمانية الاف مجلد من مجلدات الموسوعة في أقل من سنة، والموسوعة اليوم محفوظة لدى أكثر من الف عائلة شركسية وغير شركسية موزعة في انحاء العالم عامة وفي الأردن، والبلدان العربية، وتركيا، والمانيا وانجلترا وبلجيكا والولايات المتحدة الأمريكية وكندا واستراليا واليابان وكوريا خاصة، كما أن عدداً كبيراً منها محفوظة في مكتبات أكبر الجامعات والمؤسسات والمراكز العلمية في الدول التي يتواجد فيها شراكسة الشتات وفي الوطن الأم.

واتصل مع المؤلف خلال السنتين السابقتين العشرات بل المئات من المسؤولين في المؤسسات العلمية والمثقفين من الشراكسة ومن غير الشراكسة من المهتمين وذوي الاختصاص يطالبون بترجمتها إلى لغات أجنبية عامة وإلى اللغات الشركسية والروسية والتركية والانجليزية خاصة. وان اكثر من مؤسسة علمية لديها الاستعداد لترجمتها ان امكن اختصار عدد مجلداتها.

واليوم ونزولا عند رغبة تلك الفئات من المثقفين الراغبين في التعرف على تاريخ الأمة الشركسية للشعوب غير الناطقة باللغة العربية فإنه يسعدني أن اقدم الطبعة الجديدة للموسوعة... وهي طبعة منقحة ومختصرة عن الطبعة الأولى.

وكذلك فهي طبعة أعدت موضوعاتها بأسلوب قد يسهل على القارئ الأجنبي فهمها واستيعابها.

والله الموفق

المؤلف

الدكتور محمد خير مامسر بتسج

٣١ / ٥ / ٢٠١١

مؤلف
الموسوعة في سطور

احتفظت عائلة المؤلف بالوثيقة (المخطوطة) المرفق صورة عنها مكتوبة بخط يد الإمام جانخو الخزكي إمام مسجد قرية (ابي قواجا) الواقعة في منطقة نهر الترك وعلى بعد ٦٠كم من مدينة نالتشك حاليا، وهي قرية من قرى القبرطاي التي تأسست عام ١٩٦٤.

تشير بيانات الوثيقة المرفقة التي شهد على صحتها (٤) من شراكسة القرية، بأن أول أجداد باتسج مامسر هو (جوجي) من قبيلة (برخنو) التي كانت تقطن على نهر (شغف). وإبنه ياس، وإبن ياس لوستن، وإبن لوستن كوشوك، وإبن كوشوك مزة، وإبن مزة قيتوقوة، وإبن قيتوقوة يوسف، وإبن يوسف مامسر، وإبن مامسر عبدالله.

وبالبحث عن تفرعات عائلة (باتسج) منذ القرن التاسع عشر وحتى اليوم، وجدنا بأنها تتفرع إلى ثلاث فروع رئيسية وعلى النحو التالي:

الفرع الأول: عائلة باتسج مامسر، وهاجرت عام ١٩٠٠ ضمن مجموعة كبيرة من عائلات القبرطاي (جلاخستني) التي هجّرها سلطات روسيا القيصرية قسرّا إلى الأردن، واستوطنت غربي (خربة عمان) مدينة عمّان حاليا، وسمّي بحي المهاجرين.

إصطحب باتسج مامسر معه كل من إبنه عبدالله وبرفقته ولديه حاج – بي وعلي، كما إصطحب معه إبنه الثاني سادولة (سعد الله) وبرفقته إبنته حج – كواشة.

الفرع الثاني: عائلة باتسج بشى أبشوقة، وهاجرت إلى سورية ضمن العائلات الشركسية التي هجرتها قسّراً سلطات روسيا القيصرية عام ١٨٨٨ واستوطنت في قرية الحميدية قرب دمشق في المرحلة الأولى، ثم إنتقلت للعيش في منطقة حمص أواسط سوريا.

الفرع الثالث: عائلة باتسج بطش، وهو الفرع الذي نجا من التهجير القسّري من قبل سلطات روسيا القيصرية، وبدأت حياتها من جديد في منطقة القبردي، وتكونت هذه العائلة من أبناء بطش وهم: حمرزة، حتزة، حج مرزة، مُدار، ومحمد، وابنتين هما: ناوجن ودغة.

ويعيش اليوم أبناء وأحفاد (باتسج بطش) في كل من (مرتزيه قالة ونارت قالة)، نذكر منهم كل من: المهندس حمشة وأولاده انزور وفاطمة وزارينا وكذلك أبناء وأحفاد باتسج حمرزة نذكر منهم كل من: مشة وأولغا وحج ومار وأبنائه المهندس الدكتور حاج بي وبورسبي وقنشاوه بي وأمور بي.





وثيقة بخط اليد تتضمن حسب ونسب عائلة باتسج مامسر كتبت عام ١٨٦٤م، وشهد على صحة ما جاء فيها من معلومات أربعة من الشهود الرجال من اهل قرية (أبي قواجة)

مولد المؤلف ونشأته:

ولد المؤلف عام ١٩٣٧ في عمان ووالده هو (باتسج علي) من مواليد (ابي قواجة) في منطقة الترك في بلاد القبرطاي عام ١٨٩٦ ووالدته هي امينة أحمد باترودك من مواليد قرية بئر عجم في الجولان السوري عام ١٩٠٢ وزوجته عصمت عزت قندور من مواليد الأردن / عمان ولهما ولد وإبنة هما: نارت وزوجته لارا برسيق من شراكسة الأردن، ولهما ولدان هما: زيد وحمزة، والأبنة هي تمارا وزوجها نارت نالتشك من شراكسة الأردن ولها ولد وابنة هما: كريم وسلمى.

- شقيقه الأكبر هو (**محمد شريف**) وزوجته رمزية أمين كرف من مواليد قرية بئر عجم في الجولان السورية ولهما ولد واحد وهو (ناورز) وخمس بنات وهن: فاطمة، جانسيت، جانيت، سونيا، سوزان.
- وشقيقه الثاني هو (**أدهم**) وزوجته فايزة توفيق قموق من مواليد القنيطرة في الجولان السورية ولهما ولدان هما تامبي وجانتي.
- وشقيقه الثالث هو (**أكرم**) وزوجته نهلة شعيب لي من مواليد الأردن – عمان ولهما ثلاثة اولاد هم ينال، مُدار، ويلدار وابنة واحدة هي دانا.

قضى المؤلف السنوات الأولى من طفولته في قرية (مُودارية) على بعد خمسة كيلومترات من مدينة القنيطرة في الجولان السورية وأسمها حاليا العدنانية**.

المؤهلات العلمية للمؤلف:

درس المراحل الابتدائية والاعدادية والثانوية في عمان واستكمل دراساته العليا في كل من الأردن، ومصر، والولايات المتحدة الأمريكية، وحصل على الدرجات العلمية التالية:

- درجة الدكتوراه في فلسفة التربية.
- درجة الماجستير في التربية.
- دبلوم عالي في التربية.
- دبلوم عالي في رعاية الشباب.
- بكالوريوس في تربية الرياضة.

مجالات عمل المؤلف:

أمضى المؤلف نصف قرن من حياته العملية وفي الفترة من ١٩٥٨-٢٠٠٨، في خمس مجالات رئيسية وعلى النحو التالي:

المجال الأول: وهو المجال الاكاديمي، ويشير سجل مسيرته الذاتية بأنه ساهم في إنشاء أربع جامعات رسمية في الأردن وهي الأردنية، واليرموك، والعلوم التكنولوجيا ومؤتة في جناحيها (المدني والعسكري)، بالإضافة إلى مساهمته في إنشاء جامعتين خاصتين هما جامعة الاسراء الخاصة وجامعة عجلون الوطنية الخاصة.

وتدرج المؤلف في عمله الأكاديمي من محاضر إلى استاذ مساعد، إلى استاذ مشارك، وإلى استاذ منذ عام ١٩٩٢.

كما تدرج في المناصب الإدارية والأكاديمية من: رئيس قسم إلى مدير، وعميد، ونائب رئيس ورئيس بالوكالة ونائب رئيس مجلس أمناء، ورئيس مجلس امناء (وهو اعلى منصب أكاديمي في نظام التعليم العالي في الأردن).

** سبق أن رحلت عائلة المؤلف إلى الجولان السورية في عقد الثلاثينات وعاشت فيها بضع سنوات ثم عادت للأردن عام ١٩٤٤.

المجال الثاني: وهو المجال السياسي: حيث دخل السلك السياسي في عقدي الثمانينات والتسعينات من القرن الماضي بتوليه حقيبة وزارة التنمية الاجتماعية في حكومتين متتاليتين، وحقيبة وزارة الشباب والرياضة في حكومة ثالثة، كما سبق أن تولى منصب وكيل وزارة الشباب في مرحلة سابقة، كما شارك في عضوية اللجنة الملكية للميثاق الوطني الأردني ضمن ستون شخصية سياسية أردنية كُلفوا من جلالة الملك حسين بن طلال وضع الميثاق الوطني الأردني لعام ١٩٩١، وكان العضو الوحيد في اللجنة من أصل شركسي، ومنح على مشاركاته السياسية أعلى ثلاثة أوسمة رسمية في الأردن.

المجال الثالث: هو مجال الرياضة والشباب في الأردن، شارك المؤلف بفعالية في تأسيس الحركة الرياضية والشبابية في الأردن منذ مطلع عقد الخمسينات من خلال مشاركته كلاعب دولي، ومدرب منتخب وطني، وحكم دولي لأكثر من رياضة ورئيس لأكثر من اتحاد رياضي، ورئيس للنادي الأهلي ورئيس اللجنة الأولمبية الأردنية (وهي أعلى سلطة في سلم إدارة الرياضة الأهلية في الأردن)، ومنحته اللجنة الأولمبية الدولية وسام وقلادة أولمبية وهو أعلى وسام أولمبي تقديرا لاسهاماته في تطوير الحركة الاولمبية الوطنية وهو الوسام الذي يمنح لشخصية رياضة سياسية من كل قارة مرة كل أربع سنوات.

كما يعتبر المؤلف مؤسس حركة الرياضة الجامعية في الأردن، ابتداء من عام ١٩٦٣ كما يعتبر من المساهمين الاوائل في تأسيس أربعة كليات للتربية الرياضية وعلوم الرياضة في الأردن، وقسمين رياضين في كل من الأمارات العربية المتحدة وسلطنة عمان.

المجال الرابع: هو مجال العمل الاجتماعي الرسمي والتطوعي الأردني:

ساهم المؤلف في إنشاء وتطوير مؤسسات المجتمع المدني الأردني عامة والعمل الاجتماعي التطوعي خاصة، على مدى أربعين عاما، وكانت أكثر مساهماته في مجال وضع الاستراتيجيات الوطنية من خلال عمله وزيرا للتنمية الاجتماعية في حكومتين متتاليتين وبالأخص الاستراتيجيات الخاصة برعاية وحماية كل من:

- **المرأة من الإساءة إليها.**
- **الأطفال من الإساءة إليهم من الاستغلال من قبل البالغين.**
- **كبار السن عامة وكبار السن الذين لا راعي لهم خاصة.**
- **الحد من انتشار المخدرات عامة وبين الشباب خاصة.**
- **اطفال الشوارع من استغلالهم من قبل الآباء (الفقراء وأسرهم) أو من قبل البالغين الغرباء الذين يجبرون الأطفال لامتهان (الشحادة في الشوارع).**

كما كان له دور فاعل في الجمعية الخيرية الشركسية في الأردن في أكثر من مرحلة ومن خلال انتخابه لعضوية مجلس إدارة الجمعية لدورتين، وكذلك من خلال مساهماته في أعمال اللجان الداخلية على مدى أكثر من أربعين عاما.

المجال الخامس: هو مجال التأليف والبحث العلمي وإجراء الدراسات ذات العلاقة بتاريخ الشراكسة عامة، وشراكسة الشتات خاصة وله أكثر من دراسة علمية منشورة في مجلات جامعية علمية منها مجلة جامعة موسكو العلمية بعنوان: **خصائص المجتمع الشركسي الأردني والتطورات التي طرأت عليها في الفترة (١٨٧٨-٢٠٠٠).**

وأما مساهماته العلمية الكبيرة فتتمثل بإعداده هذه الموسوعة التاريخية للأمة الشركسية التي تتكون من (٨) مجلدات وعدد صفحاتها خمسة ألاف صفحة.

المجلد الأول

الجزء الأول

أصل الشراكسة وموطنهم

منذ فجر التاريخ

فهرس فصول الجزء الأول

تاريخ الأمة الشركسية في الوطن الأم منذ فجر التاريخ

الفصل الأول

النظريات والفرضيات التي تبحث في أصل الشراكسة

تضاربت آراء المؤرخين واختلفت تفسيرات خبراء دراسة الاقوام، وتعددت الفرضيات والنظريات التي تبحث في (اصل الشراكسة) وفي تحديد من هم اجدادهم، فمنهم من يقول بأنهم من أصل حثي، ومنهم من يؤكد بأنهم من أصل سومري وفئة ثالثة تذهب إلى القول بأن أجداد الشراكسة هم الكميرون أو أن الشراكسة قد قدموا من الجزيرة العربية وأنهم من أصل عربي، و (هيردوت) يميل للقول بأن القوقازيين ذوي البشرة السوداء (الغامقة) هم من أصول مصرية كما اعتقد (سترابون) بأنهم من أصل هندي، لكنّ بعض المؤرخين الشراكسة ومنهم (اتيك ناموتوق) يميل للقول بأن (الميئوت) هم اجداد الشراكسة، ويعتقد (سمكوغ) بأن أجداد الشراكسة هم قوم (نارت) الذي انحدروا من الشعب الكاسي.

وللتحقق من (أصل الشراكسة) وللتأكد من حقيقة من هم اجداد القدامى الشراكسة، كان لا بد لنا من اجراء دراسة معمقة للتحقق من النظريات والفرضيات التي افترضها الباحثون والدارسون لمسألة (أصل الشراكسة)، مستخدما في هذه الدراسة الأسس والقواعد العلمية منها والانثروبولوجية التي يعتمد عليها خبراء (الأنتوغرافيين) وهم علماء (وصف الأقوام) في تحديد أصل ونسل أي قوم من الأقوام القديمة والحديثة.

وفيما يلي أهم القواعد والأسس المستخدمة في اثبات اصل أي قوم او شعب من شعوب العالم:

١- **المقاييس البيولوجية والجسمية**، ومن أهم هذه المقاييس: شكل الرأس وأبعاده ولون البشرة، والتكوين الجسمي عامة من حيث وجود تطابق او تماثل في المقاييس البيولوجية والجسمية لقوم آخر.

٢- **اللغة القومية، مدى وجود تطابق أو تشابه بين لغة أو اكثر** من حيث تشابه الاحرف الهجائية في اللفظ والمعنى.

٣- **الادوات والمعدات،** من حيث وجود تشابه بين الالات والادوات التي تستخدم لدى قومين أو شعبين أو اكثر مثل: الادوات المستخدمة في الزراعة والصناعة وكذلك وجود تشابه في المعدات الحربية والاسلحة الشخصية. الخ.

٤- **الملابس القومية من حيث وجود تشابه** بين الملابس القومية لشعبين او اكثر مع وجود تشابه في مقاييس ومعايير أخرى، فالقوزاق مثلا كانوا يلبسون ملابس هي نفس الملابس القومية للشراكسة، إلا أنهم ليسوا شراكسة.

٥- **الفلكلور الشعبي،** خاصة الموسيقي والرقص من حيث وجود تشابه بين الرقصات والموسيقات الشعبية المستخدمة لدى الشراكسة مع ما هو موجود لدى الشعوب القديمة الأخرى.

٦- **المعتقدات الدينية من حيث وجود تشابه بين المعتقدات الدينية بين شعبين أو اكثر** (الطبيعية منها او الوثنية) مثل التشابه في أسماء الآلهة، وتطابق في ممارسة الطقوس الدينية المستخدمة في حالات الوفاة مثل طريقة وضع الجسم عند الدفن أو في الاشياء التي تدفن مع المتوفي.

٧- **الاسماء من حيث وجود تشابه في المصطلحات والاسماء المستخدمة في اللغة او وجود تشابه في أسماء القبائل أو اسماء العائلات أو اسماء الأشخاص والمواقع الجغرافية بين شعبين أو اكثر.**

٨- **العادات والتقاليد من حيث وجود تشابه بين العادات والتقاليد الشركسية** وعادات وتقاليد قوميات أخرى، وبالأخص العادات المتعلقة بالزواج والتربية والعلاقات الاجتماعية مثل احترام الكبير واحترام المرأة واحترام الضيف والكرم والشجاعة.

٩- **أماكن السكن من حيث التجاور في مناطق السكن وتواجدهم معاً** في نفس المكان لفترات طويلة.

وبتطبيق القواعد والأسس العلمية والانثروبيولوجية سالفة الذكر تم التوصل إلى ست نظريات وأربع فرضيات تبحث كل واحدة منها عن أصل الشراكسة الذين عاشوا في القفقاس قبل الألفية الرابعة قبل الميلاد.

النظرية الأولى: وتبحث في الفرضية القائلة بأن الحيثين هم اجداد الشراكسة

يؤكد أصحاب هذه النظرية بأن الشراكسة (الأديغة) هم أحفاد (الهات – هيت) أو الحثيين Hitties فالشراكسة حسب هذه النظرية يعتبرون من الشعوب القديمة كالمصريين والصينيين، ويرجع الفضل في معرفة تاريخ الهاتيين (الحثيين) للعلامة الانجليزي (سايس) الذي حل رموز الكتابات والنقوش التي وجدت في آثار الحثيين الكثيرة بآسيا الصغرى واستدل منها على تاريخهم، ومدينتهم العظيمة، وما كانوا عليه من تقدم ورقي، وقد خدم العلامة (سايس) التاريخ خدمة جليلة لا حد لها بكشفه القناع عن رموز الحثيين وآثارهم.

كما يرجع الفضل أيضا للعلامة (مورجان) الذي أظهر بعد البحث والتدقيق أن الحثيين هم أجداد الجراكسة وأن باقي الأمم التي كانت ضمن "الاتحاد الامبراطوري لحكومات الحثيين" هم أيضاً اجداد الشعوب الأخرى في القفقاس.[٩]

كما يؤكد المؤرخ (لونورمات Lenormant) صراحة أن الحثيين (Les Hittites) أصلهم من القفقاس. كما توصل هؤلاء العلماء بأن عادات وتقاليد الحثيين وملابسهم ولغتهم وتكوينهم الخلقي وأحوالهم الاجتماعية تتشابه وتنطبق تماماً مع ما هو موجود فعلا لدى الشراكسة [١٠].

ومن الثابت تاريخيا أن عصر الحثيين الذهبي في القفقاس كان في القرن الخامس عشر قبل الميلاد، وكان أعظم ملوكهم في قفقاسيا الغربية وعلى سواحل البحر الأسود هو (أيتس ae'tes) المشهور بعظمته وجبروته وأمواله الطائلة وهذه الشهرة كانت سبباً في اعلان الحروب عليه طمعاً في ماله كما جاء ذلك في أسطورة (أرجونوت Argonautes) اليونانية.

وبالبحث عن تاريخ الحثيين وجد بأنهم كانوا ينقسمون إلى قسمين رئيسيين هما:

الأول: "هتيت" القفقاس وهم سكان القسم الشمالي من القفقاس.

الثاني: هتيت (قابادوسيا Cappadoca) وهم سكان القسم الجنوبي في آسيا الصغرى، ودام هذا التقسيم لغاية القرن التاسع قبل الميلاد، ثم رحلوا من آسيا بعد انتصارات (الآشوريين) وغيرهم عليهم، وعادوا إلى وطنهم الأصلي في العراق وعاشوا مع مواطنيهم وعشائرهم الأولين، ومن هنا يبدأ تاريخ (الهات تي: Hittites) في القفقاس.

ويؤكد (جونا توقة) في كتابه (تاريخ القوقاز) على وجود أكثر من دليل بأن الحثيين هم أجداد الجراكسة (الأديغة) ومن هذه الدلائل هي:

الدليل الأول: التشابه في شكل الوجوه والتركيب الجسماني للحثيين مع ما تتصف به اجسام الشعوب القفقاسيين الحاليين.

الدليل الثاني: أثبتت الدراسات بأن لغة الحثيين تشبه كثيرا اللغة المستخدمة لدى الجراكسة (الأديغة) حتى يومنا الحاضر (انظر فصل أصل اللغة الشركسية).

الدليل الثالث: التشابه الكبير بين غطاء الرأس (القلبق) المصنوع من الفراء، وكذلك تشابه الملابس التي كان يستخدمها الحثيين بالملابس القومية للرجال من الشراكسة (أديغة فاشه) المؤلفة من الجاكيت

الطويل (تسيه) والمعطف الطويل (شاكوه) والخنجر (القاما).. الخ وهي نفس الملابس التي يلبسها (الجراكسة – الأديغة) حتى يومنا الحاضر.

الدليل الرابع: ترك جزء طويل من شعر الرأس (وحلق باقي الشعر) عند الحثيين وهي عادة كانت منتشرة عند قدماء الشراكسة والهدف هو التعرف على موتاهم في ساحة المعركة، خوفاً من تمثيل الأعداء بهم وكذلك وجود تشابه بين الاسلحة المستخدمة لدى الشراكسة وهي الرمح والقاما والخنجر) مع ما كان يستخدمه الحثيون.

الدليل الخامس: العثور على آثار للأصنام التي كان يعبدها الحثيون خصوصاً الصنم المسمى (ابسطارطة) في جبال القفقاس وفي مدائن (الكوبان) في بلاد القبرطاي.

الدليل السادس: يلاحظ أن الشارات والعلامات التي كان يدمغ بها أمراء الجراكسة واحرارهم من الورق لغاية يومنا هذا على أدواتهم المنزلية وأسلحتهم المختلفة وسروج الخيل والسوط (القامش) والتي اصطلحوا على تسميتها (دامغة) ما هي إلا بعض العلامات والأشكال المقتبسة من اللغة (الهيروغليفية الحثية).

الدليل السابع: وجود تشابه بين الأسماء التي كان يستخدمها الحثيون، والأسماء المستخدمة لدى قدماء الشراكسة. منها على سبيل المثال اسم الملك (ماؤو – زر) ومعناه الملك ماؤو الأول وأيضا (ماؤو – طور) وكلمة "طؤ" معناها (الثاني) فيكون اسمه الملك (ماؤو الثاني). وكذلك فإن أسماء الجراكسة الشائعة الاستعمال ليومنا هذا (ماو – داو – تاو) وكل هذه الأسماء وما شابهها من أسماء كان يستخدمها الحثيون أيضا.

الدليل الثامن: العثور ضمن منظومة أسماء القبائل الحثية التي اتحدت في حروبها ضد قدماء المصريين (الفراعنة) على أسماء قبائل تعيش في آسيا الصغرى ويقطنون ساحل البحر الأسود في القفقاس شبيهة بأسماء قبائل الحثيين القدماء.

الدليل التاسع: استخدم الحثيون بيوتاً متنقلة على عجلات تجرها خيول او ثيران وهي تشبه البيوت التي كان يستخدمها الشراكسة حتى عام ١٨٧٠ (١١).

الدليل العاشر: استوطن الحثيون في شمال الاناضول بالقرب من موطن الشراكشة (الاديغة) وهذا يعني أنهم جاوروا الشراكسة واختلطوا معهم بل انهم سكنوا لفترة من الزمن في بعض مناطقهم.

الدليل الحادي عشر: وجود تشابه في بناء المساكن لدى كل من الحثيين وقدماء الشراكسة وهي القائمة على (الزاوية) مع وضع دعائم لسند الجدران بالاغصان المتشابكة والاعمدة الخشبية وهي التي وردت عنها في قصص أساطير (قوم نارت) منها النص التالي: "يسكن قوم (النارت) في بيوت ذات جدران مائلة يسندها العديد من الدعامات دوماً" وهذا ما أكده مؤلف (تاريخ العالم) حيث قال بأن الحثيين كانوا يستخدمون نفس الأسلوب المستخدم لدى (النارتيين) في شكل وأسلوب بناء المنازل القائمة على (الزاوية) والدعائم المساندة للجدران والاغصان المتشابكة [١٨].

الدليل الثاني عشر: وجود تشابه في اسلوب تغطية القبور بأكوام من التراب، وكلما كان المتوفى ذا مكانة عالية او شخص عزيز جداً كانت (كومة التراب) أكبر وأعلى وقد تصل بعضها إلى شكل تلال مرتفعة وهي عادة كانت منتشرة لدى قوم (النارتيين) كما أن (كورغوتان) مايكوب وهو نفس الاسلوب الذي كان يستخدمه الحثيون ايضا.

نستنتج من كل ما تقدم من أدلة بأن الشراكسة قد يعود منشأهم إلى الحثيين الذين عاشوا في بلاد القفقاس قبل (١٥) قرناً قبل الميلاد، وأن من بقي منهم في بلاد القفقاس بعد رحيل ملوكهم في القرن التاسع قبل الميلاد وعودتهم إلى بلادهم الأصلية (بلاد الرافدين) في العراق. ربما كانوا هم اجداد الشراكسة.

كما نستنتج أيضاً بأن العلاقة بين الحثيين وأجداد الشراكسة كانت علاقة قوية جداً، وأن قدماء الشراكسة تأثروا بالحضارة الحثيّة.

إلا إننا نرجح بأنهم ليسوا فعلا هم أجداد الشراكسة لعدة أسباب. أولها: تواجد الشراكسة في بلاد القفقاس قبل مجيء الحثيين بزمن بعيد، وأن وجودهم سابق لوجود الحثيين في القفقاس، والسبب الثاني: هو بقاء الشراكسة في القفقاس وعدم رحيلهم مع الحثيين عندما رحلوا عنها في القرن التاسع قبل الميلاد.

وبعد كل ما تقدم فإنني أرجح الرأي القائل بأن:

(١) بعض القبائل الشركسية ربما تكون من بقايا الحثيين مثل قبيلة (حاتوقي) ومعناها (ابن حات) علما ان (حات) كان اسماً من أسماء الحثيين القديمة كما سبق ذكره.

(٢) تأثر الشراكسة بالحثيين كما أن الشراكسة كان لهم تأثير على الحثيين في بعض العادات واللغة والاسماء القديمة...الخ.

النظرية الثانية: وتبحث في الفرضية القائلة بان الكميريين هم أجداد الشراكسة

يشير بعض المؤرخين اليونانيون بأن (الكيمريين) عاشوا على ساحل البحر الأسود وغربيها والقفقاسيين من أجداد الشراكسة عاشوا أيضاً ما بين البحر الأسود وبحر الخزر في الالف الرابع والثالث ما قبل الميلاد واسسوا فيها دولة عظيمة.

وورد اسم (الكيمريين) في اللغة اليونانية والرومانية القديمة بأسماء مختلفة مثل (كيمري – غومري – شومري – سومري – سيمري) وغيرها

وبالبحث في تاريخ الكيمريين وجد بأنهم كانوا يسكنون في مواقع ثلاثة وهي:

- موقع (أوننيته) على نهر ألبة في الغرب.
- موقع (فاتيانوفو) في أعالي نهر الفولغا.
- موقع حوض نهر الكوبان في القفقاس.

كما ورد في الأثر القديم بالتوراة أن العرق الأبيض هو من نسل (يافث بن نوح) وان اختلف العلماء الكتابيون أو اليافثيون في كثير من تفصيلات كيفية نشوء وانتشار هذا النسل، ولكن الذي لا خلاف عليه هو أن (يافث بن نوح) أعقبه ابنه (غومر) وأعقب هذا ابنه (تورغوم) ثم ابنه (يتراس) والتوراة تشير إلى أن الموطن الأصلي لنسل (يافث) كان في بلاد الأناضول والقفقاس، وعلى ذلك (فالكيمريون) أخذوا هذا الاسم عن (غومر) وأنهم في الحقيقة من سكان القفقاس الأوائل وأن العلماء يسمون اليافثيين (كاسيون) و (الإرتيون) وقد ذهب كثير من المؤرخين إلى أن الكيمريين والكيركاسيين هم أخوة أو أنهم أبناء عم [١٢].

كما أثبتت الاكتشافات الأثرية أن الكيمريين كانوا يشغلون (القفقاس الشمالي) وشبه جزيرة القرم وشمال البحر الأسود وحوض نهر الدون في الوقت الذي أنشأ فيه اليونانيون مستعمرات لهم في تلك المناطق.

ومن الأدلة التي يستند عليها أصحاب هذه النظرية بأن (الكيمريين) هم أجداد الشراكسة هي الدلائل المادية التالية:

الدليل الأول: وجود قبيلة جركسية من الاديغة في قفقاسيا وتسمى (كيمر كوي) ويلفظها الأبزاخ منهم (جمكوي) وكذلك وجود موقع (كيمر كوي) على الساحل الجنوبي لبحر آزور، كما توجد في الداغستان قرية اسمها (كيمري) أو (غمري) وهي مسقط رأس الامام شامل.

الدليل الثاني: إن كلمة (أنت) التي وردت في تواريخ اليونان كاسم لقبيلة من قبائل الدولة الكيمرية لا تزال تعيش في حوض نهر الكوبان وفي الداغستان بنفس المدلول.

الدليل الثالث: ورد اسم قبائل (تور – توريت) بين سكان الأوائل من شعب الميئوت في القرم وهي نفس الأسماء الموجودة حالياً بين العائلات الشركسية، كما يوجد ساحل اسمه ساحل (تورا).

الدليل الرابع: إذا تتبعنا ما وصل إليه علماء (الأنسال) في أبحاثهم الأخيرة، وخاصة العالم الروسي (بانتيوهوف) [١٣] يتضح لنا أن الشراكسة الذين سكنوا من قديم الزمان على سواحل بحر آزوف الشرقية وسواحل البحر الأسود وحوض نهر كوبان، ينتسبون أصلا إلى (الكيمريين).

كما أكد (مورجان) بأن الكيمريين حاربوا (الأسكيت) القادمين من آسيا حوالي القرن السابع قبل الميلاد في مناطق شمال ققفاسيا الغربية وفي سواحل بحر آزوف الشرقية، ويؤيد هذا الرأي ما جاء في آثار الآشوريون أيضاً الذين وجدوا قبل ظهور التوراة التي أكدت بأنهم هم (الكيمريون) [١٤].

وكذلك بأن المؤرخ (ماسبرو) يؤكد بأن الآشوريين كانوا يسمون جبال القفقاس في عهد السارغنيين بالجبال (الكيمرية).

واستناداً على ما تقدم فإن أصحاب هذه النظرية يؤكدون بأن الكيمريين يمكن أن يكونوا هم أجداد الشراكسة [١٥].

نستنتج مما تقدم بأن (الكيمريين) عاشوا فترة من الزمن مع الشراكسة في القفقاس وأن أصلهم من نسل (يافث بن نوح) إلا أنه من غير المرجح بأنهم هم أجداد الشراكسة لأن وجود الشراكسة في القفقاس سابق لوجود شعب الكيمريين والأرجح بأن قبيلة من قبائل الشراكسة وتسمى قبيلة (الجمكوى – كمير كوى) هم من بقايا شعب الكميريين.

النظرية الثالثة: وتبحث في الفرضية القائلة بأن الشراكسة هم من السلالة الأربة

يرجح أصحاب هذه النظرية بأن الشراكسة يعودون في أصلهم إلى السلالة (الأربة)، وانهم أوروبيو الجنس وأنهم (والشعوب الأوروبية) من سلالة واحدة وهي Indo - Europeenes .

ووفقا لأصحاب هذه النظرية فإن سكان ققفاسيا الأصليين هم من السلالة الآرية، مثلهم مثل سكان أوروبا الأقدمين، وأن جميع هذه السلالات تعود بنسبهم إلى أبناء (يافث بن نوح) عليه السلام والدليل الأساسي الذي يستند إليه أصحاب هذه النظرية هو تطبيق القواعد العلمية التي وضعها علماء الاجناس للحكم على (نسب الإنسان وجنسه وعرقه وبنيته) مثل قياس حجم الجمجمة وأبعاد الجسم، وكذلك التعرف على لون العيون والشعر والبشرة، حيث تبين من تطبيق هذه القواعد العلمية بأن الشراكسة هم من السلالة (الآرية) وليسوا من السلالة الطورانية وانهم لا يعتبرون ضمن مجموعات نسل (الكيمريين القدماء) الذين ينحدرون من سلالة الكلت أو (السلت) والاسكيت وانما ينتسبون للسلالة الآرية التي ينتسب إليها سكان أوروبا الأقدمون.

ومن المرجح حسب رأي بعض المختصين في علم الاجناس بأن الشراكسة من قبائل الشابسوغ والحاتقول والنتخوج هم أكثر قبائل الشراكسة التي تشابهت مقاييس بنائهم الجسمي ولون العيون والبشرة والشعر مع مقاييسها وصفاتها لدى الآريين. الأمر الذي يرجح ان تكون هذه القبائل من نسل (هند اوروبي) (Indo - Europeene).

نستنتج من هذه النظرية ترجيحاً مفاده بأن بعض قبائل الشراكسة هم من نسل الجنس هندي اوروبي وهي فرضية مقبولة علميا لأن الشراكسة هم من العرق الأبيض الذي يمتد وجوده إلى اوروبا وآسيا وهو العرق المعروف بالعرق القوقازي لكن يستبعد ان يكون الآريون هم أجداد الشراكسة لأنهم لم يسبق أن استوطنوا في بلاد الشراكسة والعكس هو الصحيح، فإن اقواماً منحدرة من سلالات ققفاسية هاجرت إلى اوروبا في عصور ما قبل الميلاد وما بعده واستوطنت في أكثر من منطقة في أوروبا خاصة في الشمال منها، حيث ثبت للمؤرخين بأن الحضارات الأوروبية القديمة بنيت من قبل شعوب أخرى عاشت في اوروبا قبل مجيء العرق الآري إليه. وأن علماء الآثار عثروا على سلسلة من الآثار تعود للعصور الحجرية المختلفة وفي مناطق القفقاس والقرم وشمال البحر الأسود وصولا إلى غربي اوروبا وبالتحديد إلى ايرلندا وايسلندا. كما أكد المؤرخون بأن شعوباً ققفاسية سبق لها أن هاجرت إلى اوروبا وسكنت فيها ومن أهم هذه الشعوب هي:

١) شعب الأتروسك (التوسكانيين) الذين استوطنوا في ايطاليا وشكلوا مدناً زاهرة قبل حكم الرومان وهم من السلالة القفقاسية.

٢) شعب الباسك وهو من نسل (اتروسك) ايضا هاجر إلى القفقاس واتجه إلى اوروبا وسكن في جبال البيرنة ما بين فرنسا واسبانيا والمعتقد بأنهم هم من أجداد الابخاز وان لغتهم اقرب ما تكون للغة الباسغ الابخازية.

٣) شعب هيرتسل، ويعيش في بلاد المجر، ويمتازون عن الشعوب التي جاورتهم من الأقوام السلافية، واثبت علماء الاجناس بأنهم من السلالة القفقاسية أيضا.

٤) شعب (أ – خه – ي) وهو شعب رحل إلى بلاد آسيا الصغرى في عصر الفرسان ومنهم ايضا شعب (اشه) المذكور في تاريخ (الدروي) كما اورد كل من هيردوت وسترابون اسم (اخه) ضمن القبائل الشركسية في القفقاس وهم سكان بحر (آ. خه – ي) اليونانية.

٥) شعب الآتيكة الذي يعيش في المناطق التي تحمل اسم القبيلة نفسها في اليونان تتشابه مع الاسم القومي للشراكسة وهو (اديكه) وهو اسم محرف عن كلمة (اديغة)[١٩].

نستنتج مما تقدم وجود رابطة عرقية قومية بين القوقازيين الأصليين وبين بعض الشعوب الأوروبية القديمة وأن هذه الرابطة حدثت بحكم هجرة بعض القبائل القوقازية إلى اوروبا.

النظرية الرابعة: وتبحث في الفرضية القائلة بأن اجداد الشراكسة هم الشعب الكاسي

يؤكد أصحاب هذه النظرية ومنهم المؤرخ العربي (ابن خلدون) بأن أجداد الشراكسة هم الشعب (الكاسي) ويستندون في نظريتهم على بعض الحقائق التاريخية نذكر منها الحقائق التالية:

الحقيقية الأولى: عاش شعب (كاس أو كيركاس) في شمال القفقاس على الساحل الغربي لبحر الخزر، وعلى ذلك فالغربيون يسمون بحر الخزر أو بحر قزوين بالبحر (الكاسي). كما جاء في كتب التاريخ العربي القديم ومنها مقدمة (ابن خلدون) عن وجود أربع قبائل في القفقاس أسماؤها (أركس / تركس / كسا/ آس) وهي قبائل تعد من أصول شعب كاس.

الحقيقة الثانية: يؤكد المؤرخون بأن (الكاسيين) هم من الآريين الذين شكلوا فيها الحكومة (الكاسية) في القسم الشمالي الغربي للقفقاس في القرن الخامس قبل الميلاد.

الحقيقة الثالثة: توصل (آبه – زاو)[١٩] في بحثه حول منشأ ومهد شعب (كاس) بأن هذا الاسم يدخل حالياً في أسماء قفقاسية عديدة منها:

١- قفقاس: ويلفظ هذا الاسم، وغيره، بأشكال مختلفة حسب الأقوام التي تنطق بها فيقال: (قفقاس – أو كافكاس – او كاوكاز – أو قاوقاز) وما شابه ذلك، وعلى كل فإن هذا الاسم مكون من مقطعين هما:

الأول: كاف والثاني كاس.

و(كاف) هو اسم جبل عالٍ في قفقاسيا الشمالية ويلفظ احيانا بجبل (القاف). (وكاس) هو اسم شعب (كاس).

وبربط (القاف مع الكاس) يصبح معناه بلاد (كاف – كاس) أي بلاد جبل الكاسيين وأحيانا يلفظ بالقاف – فيصبح قاف قاس.

٢- وجود قبائل تحمل اسم كاسك = (قازبك) في أعلى جبال القفقاس.

٣- يوجد بين الشعوب القديمة والحديثة في القفقاس قبائل تحمل أسماء (سيركاس – سيراكس – جيركاس – جركس) وكلها تحمل مقطع (كاس).

٤- يوجد بين أسماء العائلات والأفراد الشركسية أسماء كثيرة لا تزال قيد الاستعمال مثل: (كاسوق – كسي – كاسبولات – قاسبي – القاس) وغيرها وكلها تحمل مقطع (كاس) والذي يلفظ بالشركسية (قاس) وما يجلب انتباهنا من بين الأسماء التي أوردناها الأسماء الثلاثة التالية:

٥- كيركاس: وهو اللفظ (الغربي) الذي يطلق على (الجراكسة) من قبل الأوربيين. وإذا علمنا أن مقطع (كير..) يعني باللغة اللاتينية (حقيقي) كما أنه يعني باليونانية (سيد) فإنه يتبين لنا أن معنى هذه الكلمة هو (الكاس الحقيقي) أو (سيد الكاس).

٦- كاسبي: وكان اسماً لشعب تاريخي قديم يعيش بجوار بحر الخزر، وإذا علمنا أن مقطع (بي) في اللغة (الكرجية) ما هو إلا أداة نسبة، يكون معنى هذه الكلمة هو (الكاسيون).

٧- كاساك / قازاق – هم الأكرانيون: ومقطع (آك) في اللغة السلافية الروسية هي أداة نسبة وربما كان (كاساك) هم (الكاسيون)، ومعلوم أن المواطن الأولى للقوزاق كانت في حوض نهر الدون شمال القفقاس، وعليه ربما كانوا في الأصل قفقاسيون وارتحلوا إلى الشمال الغربي منذ القديم (إلا أن لغتهم هي سلافية). علما بأن القوزاق لا يزالون إلى اليوم يقلدون الجراكسة إلى حد كبير في ملابسهم وأسلحتهم ولوازم خيلهم وفروسيتهم وفي كثير من مظاهر حياتهم. وهم ليسوا من (الروس السلافيين) ولكنهم كانوا مسيحيين، فلما اعلنت روسيا الحرب على بلاد الشراكسة استغلوهم أبشع استغلال واستخدموهم في محاربة الشراكسة مستغلين النعرة الدينية عندهم وتقديم وعود كبيرة بالاستقلال وإنشاء وطن لهم في الأراضي المحتلة من بلاد الشراكسة.

وبناء على ما تقدم من الإيضاحات، لا شك بأن العلاقة وثيقة جداً بين (الكاسيين) وشعوب القفقاس وأن (الكيركاس) هم من سكان القفقاس حقيقة ثابتة بلا شك، وهكذا نكون قد اهتدينا إلى اسباب إطلاق المؤرخين اسم (الكاسيون) على العرق الأبيض الغربي، وإلى الموطن الأصلي لشعب (الكاس) الذي نحن بصدد البحث عن علاقتهم مع الشراكسة.

نستنتج مما تقدم بأن العلاقة بين الشعب الكاسي والشعوب القوقازية عامة والشركسية خاصة علاقة ثابتة وأنه من الأكثر ترجيحا بأن اجداد الشراكسة وأجداد الكاسيين واحد وأنهم من نفس النسل والعرق وهو العرق الأبيض القوقازي الذي يعود نسبهم إلى احفاد يافث بن نوح عليه السلام.

النظرية الخامسة: وتبحث في الفرضية القائلة بأن الشراكسة والسومرين هم من نسل واحد

يرجح أصحاب هذه النظرية وجود صلة قرابة بين قدامى الشراكسة والسومريين، مما جعل العديد من المؤرخين ينسبونهم أصلا إلى القفقاس، ويستندون في نظريتهم هذه إلى الحقائق التالية:

الحقيقة الأولى: دلت الآثار المكتشفة في منطقة (مايكوب) وهي (عاصمة جمهورية الأديغية حاليا) بأن اسم (سومر – شومر – غومر) هو اسم الشعب القفقاسي الكيمري القديم.

الحقيقة الثانية: ورد في كتب التاريخ القديم للوطن العربي بأن: السومريين قدموا إلى العراق من بلاد القوقاز وهضبة أرمينيا وأخذوا يستوطنون تدريجيا جنوب العراق وعملوا في الزراعة التي نبغوا فيها. كما ورد في كتاب (التاريخ والحضارة في الأزمنة الغابرة)[٢١] بأن السومريين كانوا يستوردون النحاس من القفقاس، والفضة من طوروس، وكانوا يسمونها جبال (الفضة) كما جاء في كتاب (العصور القديمة) أن الجبليين الذي أقاموا شرقي وشمالي وادي الفرات، لم يكونوا ساميين، ولا علاقة تربطهم بالقبائل الرحل السامية التي كانت تقيم في بادية العرب، ويتعذر أن نجد لهم أية صلة بالأجناس الأخرى التي نعرفها، وكل ما لدينا عنهم من اخبار بأنهم كانوا (حليقي الرؤوس) ويلبسون (تنورات) من الصوف الخشن، وكانوا يستعملون الأدوات الحجرية، ومر بعضهم من مضائق الجبال الشرقية، وقاموا بتجفيف الأراضي في جوار مصبي الرافدين، وجعلوها صالحة للزراعة، وانتشرت مساكنهم المبنية من (اللبن) شمالا على ضفاف نهر الفرات، في الفترة ما قبل (٣٠٠٠) ق. م. [٢٢]

ويؤكد المؤرخون بأن هؤلاء الجبليين كانوا بلا شك من (الجنس الأبيض) وهم أقرب ما يكون إلى الجنس (الهندي الأوروبي) الذي كان قد انتشر في البلاد الواقعة إلى الشمال والشرق من بحر قزوين في بلاد القفقاس منذ زمن قديم جداً، واستولوا تدريجيا على سهل (شنعار) فدعيت المنطقة التي استولى عليها (سومر) وكانت الزعامة والقيادة بيد السومريين، ويتسلطون على (الأكديين) الذين

كانوا أقل حضارة منهم وأقرب إلى البداوة، خاصة وأن القبائل البدوية السامية كانت ترتاد بلادهم للإقامة فيها.

الحقيقة الثالثة: تدل اللوحة الذهبية من الآثار المكتشفة في منطقة (مايكوب) والتي يمثل رسماً (لنهرين) ينبعان من سلسلة جبلية ويصبان في موقعين متقاربين في البحر، حيث تم تفسير ذلك على النحو التالي:

١- النهران يمثلان نهري (دجلة والفرات)، وكانا يصبان في البحر في العصور القديمة في مصبين مختلفين حتى عام (٣٥٠٠ق. م).

٢- السلسلة الجبلية المرسومة على اللوحة المذكورة ما هي إلا سلسلة جبال القفقاس (آبه زاو).

الحقيقة الرابعة: وجود تشابه كبير بين اللغة الشركسية واللغة السومرية في المعنى واللفظ، كما نستدل عليها من ألواح سومر (الإثني عشر) وكذلك من قاموس (لابات) الذي تضمن كلمات باللغة الشركسية ومرادفاتها باللغة السومرية (انظر النظرية التي تبحث في أصل اللغة الشركسية) ونقتبس من هذا القاموس بعض الكلمات الشركسية ومرادفاتها باللغة السومرية والعربية وهي:

الكلمة بالعربية	المعنى بالشركسية	المعنى بالسومرية
طبيب	آزه	A-2A
يد	أ	A
خنزير	قوه	Ku
جثمان الميت	حده	Ada
كبير	ين	En

الحقيقة الخامسة: تم اكتشاف اثار قديمة تعود إلى ما قبل (٣٥٠٠) ق. م في بلاد الرافدين (العراق) تضم خنجراً مستقيماً (قاما شركسية) وعلى قبضته زخرفة من الذهب والأحجار الكريمة متفنن بشكل بديع وهو يشبه (القاما) المكتشفة في آثار (مايكوب) في حوض نهر الكوبان في بلاد الشراكسة في القفقاس [٢٣].

تلك هي بعض الحقائق العلمية التي توصل إليها أصحاب هذه النظرية وهي حقائق تدل على وجود علاقة قوية بين الشراكسة والسومريين وأنهم من نسل واحد وأن جدهم واحد. إلا ان هذا لا يعني ان الشراكسة هم السومريون، وأنهم ينحدرون من نسل واحد وعرق مشترك وهو العرق القفقاسي الأبيض.

تلك هي أهم النظريات التي تبحث في أصل الشراكسة وفي نسبهم ونسلهم والاقوام التي انحدر منها قدماء الشراكسة واجدادهم.

اما الفرضيات التي افترضها أكثر من مؤرخ من المؤرخين القدماء اليونانيين والعرب حول اصل قدامى الشراكسة ونسبهم هي الفرضيات التالية:

الفرضية الأولى: وهي الفرضية القائمة على الرأي القائل بأن الشراكسة من سلالة (بني قريش العربية) يستندون في فرضيتهم هذه على الوقائع المنقولة من (نوح المرتوقي الجركسي القفقاسي) في كتابه (نور المقابس في تواريخ الجراكس) [٢٤] وملخص الواقعة التي استند عليها المرتوقي هي:

حدث بأن قبيلة تدعى (بني عامر) واميرهم يقال له (كساء) اسمه (ابن عكرمة بن عمرو بن ود العامري) وحدث أثناء لعبه في فرح، فطاحت (جريدة) وقيل (قصبة) من يد الأمير (كساء) فأصابت عين أحد العربان ويدعى (فهيد) ففقأت عينه فاشتكى إلى أمير المؤمنين (عمر بن الخطاب رضي الله عنه) فأراد أن يقتص منه لخصمه شرعاً. فسأل عنه أمير المؤمنين فقيل له (سرى) وقيل (جرى) أي هرب ووصل إلى أرض الروم طلبا للنجاة بنفسه فسمي من ذلك اليوم (جرى كساء) واجتمع عليه خلق كثير من بني عمه وأقاربه ولحقوا به وانتقلوا من أرض إلى أرض حتى جاوز بأهله بلادا كثيرة، وكان عدد قبيلته زهاء (ثلاثين الفا) وكان كل من عارضه من أرض الروم

يحاربه ويقتله حتى خافه الناس، وبلغ ذلك الملك (قسطنطين) فأعطاه أمانا سمح له بأن يجتاز الخليج القسطنطيني ويتخير من الأرض ما يريد فتجاوزها بأهله حتى وصل بلاداً تعرف قديما بأرض (النيارق) من أرض (البلغار) كانت تعيش فيها عدة طوائف. فحاربهم وتغلب عليهم واستوطن بلادهم، وهي التي تعرف الآن بأرض الجراكسة.

والخلاصة بأن (الأمير كساء) عرف بين القبائل العربية بخروجه عن طاعة الخليفة وأنه (سرى ليلا) خوفا على نفسه من القصاص، فأضيف إلى اسمه لفظة (سرى) وبتركيب الكلمتين تصبح (سرى كسا) وبعضهم سماه (جرى كسا) ونحو ذلك، وانسحب ذلك الحكم على نسله وعقبه واصبحوا من سكان القفقاس واندمجوا مع السكان الأصليين. وسموا (جرا – كسا) نسبة إلى الكُنية التي يحملها الامير (كساء).

ويذهب أصحاب هذه الفرضية إلى احتمال مفاده بأن قسماً كبيراً من قبيلة الأمير (كسا بن عكرمة) رجعوا إلى بلاد (الإسلام) فمنهم من عاد ظاهراً إلى مصر وعرفوا (كأشراف بني عامر) بأرض مصر، حيث سكنوا الجهة القبلية منها، ومنهم من عاد متخفيا منفردا (كالسلطان الملك الظاهر برقوق بن أنص الجركسي) مؤسس (دولة الجراكسة البرجية) في مصر فإنه كان مملوكا للسلطان الملك (المنصور على بني الأشرف شعبان) وهو الملك الثالث والعشرون من ملوك أكراد الأيوبية (بديار مصر) وكان (برقوق بن أنص) هذا شابا حسنا جميلا قدم إلى قسطنطينية الكبرى مهاجرا بصحبة بعض المسافرين فانقض عليهم اللصوص فقتلوا جماعته وأسروه وباعوه وأتوا به مصر. وفي يوم من الأيام حدث أن تخاصم مع بعض (أمراء الامويين) قبل ان تتولى الحكم بالديار المصرية، وعايره بأنه (عبد مملوك) فغضب وبحث عن أصله واثبات نسبه بأنه (برقوق بن أنص بن تمر بن قان بن جهانكير بن رستم بن جهان شاه بن يهبر نداق بن ازبك بن اينال بن ترخان شاه بن عكرمة ابن عمرو بن ود العامري سيد بني عامر) وهو من عظماء قريش واثبت ذلك بأنه ليس (عبداً مملوكا) وإنما قبض عليه اللصوص فأسروه وباعوه كالعبيد وتمكن من اثبات نسبه بعد أن ارسل إلى مسقط رأسه في القفقاس وأحضر منها سجلا قديما مؤرخاً فيه ذكر أصله وحسبه ونسبه واتصاله بنسب للأمير (كسا العامري القرشي). ولا شك بأنها قصة أقرب إلى الخيال منها إلى الواقع والحقيقة.

وأما القصة الحقيقية (للسلطان برقوق) التي نقلها الإمام الصفدي بقوله: "أن برقوقا كان صغيرا لم يبلغ الحلم فأغار عليه بعض (البلغار) من اللصوص وباعوه فجلب إلى (قسطنطينية العظمى) فاشتراه طشتمر المعروف بالصاحب وأحضره إلى ديار حلب ثم إلى الشام ثم إلى الديار المصرية فاشتراه (الملك المنصور علي بن شعبان) ودرّجه في المناصب حتى آلت إليه الرئاسة وأفضت إليه السلطنة فجلس على سرير المملكة بالديار المصرية".

ونستدل من هذه الفرضية بأن عدداً كبيراً من قبيلة بني عامر سكنوا بلاد الشركس وانهم اختلطوا معهم وأنهم انصهروا على مر الزمان مع السكان الاصليين الشراكسة إلا أن هذا لا يدل بأن أصل الشراكس يعود إلى بني قريش، وأنهم من عرب الساميين. وهي فرضية ضعيفة جداً لأكثر من سبب منها بأن الشراكسة مستوطنين في بلاد القفقاس قبل (التاريخ الافتراضي) لمجيء (كسا) بالآف السنين.

الفرضية الثانية: وهي الفرضية القائمة على الرأي القائل بأن الشراكسة يمتدون في أصلهم إلى (قدماء المصريين)، ومن أصحاب هذه النظرية المؤرخ (هيرودوت) [٢٨] الذي توصل إلى هذه الفرضية عندما كان يجول ببلاد (الكولخيد) في الداغستان، حيث وجد بين أهالي تلك البلاد عامة وفي القفقاس نفسها خاصة، بعض السكان من (سود الوجوه) فتحير (هيرودوت) من ذلك ودهش، فعمد إلى البحث والتدقيق عنها حتى علم أن هؤلاء (السمر) يمتد أصلهم إلى قدماء المصريين. بالاضافة إلى **دليل ثانٍ** هو وجود عادة (الختان) بينهم إذ من الثابت أن عادة الختان تعلمها أهل القفقاس من (المصريين) الذين كانوا يختتون منذ القدم، **والدليل الثالث** أن (رمسيس الثاني) فرعون مصر، في ذلك الوقت وصل في حروبه إلى القفقاس وعند عودته إلى مصر ترك فيها حامية من الجنود المصريين، فيحتمل ان يكون هؤلاء (ذوو البشرة السوداء) من نسل أولئك المصريين، وأما **الدليل**

الرابع هو أن (رمسيس الثاني) كان يعرف عند الشراكسة باسم (ساء وسريس) وكانوا يقدسونه ويحترمونه حسب قول مؤرخ الجراكسة (نغموقة) [٢٩].

أما **الدليل الخامس** فهو العثور على نقود مصرية قديمة في بلاد الكولخيد، وبالتحديد في حوض نهر (ريدن)، وكذلك العثور على النقوش الهيروغليفية في بعض (المدافن) المصرية.

بالرغم من تعدد الأدلة التي اعتمد عليها اصحاب هذه الفرضية فإنها لاقت اعتراضا كبيراً من قبل كل من البروفسور (رنتر) والمؤرخ الفرنسي (مورجان) كما يعارضها ايضا كل من (استرابون) و (اجزانفون) اليونانيين، فالأول يعتقد بأن السكان ذوي الوجوه (السمراء) هم من بقايا الهنود، والذين سبق أن استوطنوا في مقاطعة (بنارس) في القسم الشمالي الغربي من بلاد القفقاس، وشكلوا فيها الحكومة عام (٥٠٠) ق. م [٣٠].

وأما (مورجان) فإنه لا يعتقد أن (رمسيس الثاني) أمكنه الوصول إلى بلاد القفقاس، وعلى فرض وصوله فإنه يستحيل بقاء (حامية مصرية قليلة العدد) في وسط (أشداء محاربين) لمدة طويلة. ويرجح بأن هؤلاء (السمر) جاءوا إلى القفقاس من الهند، بقصد التجارة، وبهذه الوسيلة أمكنهم التوطن فيها [٣١].

أما (سترابسون) و (اجزانفون) فإنهما لم يجدا أثرا للجنس الإفريقي مطلقا بالقفقاس في القرن الأول للميلاد، ولم يذكرا شيئا عنهم.

وفي كل الاحوال فإن (جوناتوقة) يؤكد بأن هؤلاء ذوي البشرة السمراء انتهى أمرهم بالانقراض في الفترات ما قبل الميلاد، إما لعدم ملاءمة الجو، لأجسادهم أو أنهم انتهوا باندماجهم ضمن سكان البلاد الاصليين.

والدليل السادس هو ما توصل إليه بتشجالوقة في كتابه ايقاظ المؤرخين، حول التشابه بين اسماء الآلهة المصرية القديمة مع اسماء اشخاص ومواقع في بلاد القفقاس.

الدليل السابع كشف البدري [٣٣] بأن المعلومات التاريخية المتوفرة تشير إلى أن المصنوعات التي وجدت في صعيد مصر من أدوات صوانية وأدوات فخارية وغيرها من المكتشفات تدل على تطور الصناعات لديهم قبل عشرة الاف سنة قبل الميلاد، وان هذه المصنوعات انتقلت إلى اوروبا من جهة شمال البحر الاسود، الذي يرجحه (البدري) بأن تكون بلاد القفقاس مركز هذه الحضارة، وكذلك فإن المصريين عرفوا بلاد القفقاس منذ زمن بعيد وسموها (موطن الاموات) وان جميع الاسماء الواردة في الاساطير المصرية مطابقة للاسماء المستخدمة في وادي القفقاس.

الفرضية الثالثة: وهي الفرضية القائمة على الرأي القائل بأن الميئوت هم اجداد الشراكسة وان السارمات والامازون أيضا هم شعب واحد ايضا، وللتحقق من هذه الفرضية بفرعيها قمنا بدراسة وتحليل ما قام به مؤرخون يونانيون (رومان وبيزنطيون وفرنسيون وعرب) من دراسات وأبحاث حول شعوب الميئوت ومن جوارهم من شعوب في منطقة شمال القفقاس، كذلك حول اصل السارمتين والامازون حيث كتب أكثر من كاتب حول هذه الشعوب منهم:

هيرودت، وبلوتارت وستيفان البيزنطي وهيرمولارس وبطليموس وبلين من المؤرخين القدامى، وديمتريوس، وسميتوس الخيوسي وموانير الخوريني، الجغرافي الأرمني، وغيرهم [٣٤]، حيث توصلنا إلى بعض البيانات والمعلومات والحقائق المتعلقة بتاريخ شعوب المئوت وعلاقتهم بأجداد الشراكسة وهي على النحو التالي:

١- إن بعض المؤلفين يجعلون الميئوت والسرمات شعبا واحدا، وكان ديمتريوس Demetrius يسمى الميئوت أيازمات Iazamates اي سرمات، بينما سيمنوس الخيوسي Scymnus de Chios فيعتبرهما شعبا من الميئوت. وهو من المؤلفين القلائل الذين يعتبرون الميئوت شعبا سكيتيا ولا يقرون بالقرابة الاثنية بين الميئوت والسرمات.

٢- تأكد بأن عددا من قبائل الميئوت، مثل الداندار Dandares والاريخ Arikhes والتوركاي Turcae والسير Serse والسارد Sardes أو السيرب Serbes هم من جنس السارمات، حيث أكد أحد المؤرخين (مجهول الاسم/ اعتبر كل Apsoghi والابخازي Abkhasi هما شعبا سرماتيا وانهما من قوم سرماتيا.

٣- كان اليونانيون في عهد هيرودوت يعرفون السارمات Sarmates أو الساورومات Sauromates الذين كانوا يسكنون شرق نهر التنائيس (الدون)، والذين لم يكونوا جزءاً من (المجموعة السكيتية). وأن السرمات ينحدرون من الامازونات Amazones اللاتي كن يقطن على ضفاف نهر الترمودون Thermodon ومن السكيت الذين كانوا يسكنون على شواطئ الميئوتيد (بحر آزوف) وكانوا يتكلمون اللغة السكيتية حسب قول هيرودوت، ولكن بشكل سيّئ.

٤- يذكر المؤرخ (مات) قائمة هامة بأسماء الشعوب القاطنة في بلاد السرمات، حول الميئوتيد (بحر آزوف) وحتى جبل سيراوني (Ceraunien) (بالقرب من بحر قزوين). وبلغ عددها حوالي (٥٤) قبيلة وشعباً، وأضاف المؤرخ بطليموس إلى هذه القائمة (٨) قبائل أخرى، وكذلك كان يتحدث عن شعب جبلي آخر في سارماتي وهو شعب (بروخس Brukhes) الذي لم يذكره المؤرخون الآخرين، وكانوا يقطنون في بلاد اللان Alans والزيخ Zikhes في شمال "الاباسك".

٥- يقول هيردوت من المستحيل الكلام عن السرمات دون التحدث عن الامازون، وبالإضافة إلى الروايات القديمة التي سجلها حول السرمات والامازون، فإن كثيرا من المؤلفين اليونان والرومان قد شهدوا بوجود الامازون في سرماتيا في المنطقة الواقعة فيما وراء جبال ريفيه (Riphees) بالقرب من السكيت والكيمريين والسيسيانيت (Cissiantes) والجورجيون (الكرج). إلا أن أكثر المؤلفين يقولون أنهن (أي الامازون قبيلة النساء المقاتلات) كن يستوطنّ بالقرب من نهر تنائيس (الدون) ومن بحر الميئوتيد (آزوف) وكلهم يتحدثون عن التأثير الكبير الذي كن يمارسنه على السرمات الآسيويين، وحسب قول (سترابون) كن يسكنّ في شمال القفقاس، بالقرب من (الغار غار) (Gargares) أي في بلاد الشيشان والانغوش، بينما يكتب (بلوتارك) بأنهن كن يقطن إلى الشرق أكثر، بالقرب من بحر قزوين.

٦- جرى استبدال سكيتيا (Scythie) بسرماتيا (Sermatie) القريبة وكانوا ينقسمون إلى قسمين: سرماتيا الاوروبية (Sarmatie d'Europe) وسرماتية الآسيوية (Sarmatie d'Asia) والذي يفصلهما عن بعضهما البعض نهر التنايس (Tanais) (الدون) والميئوتيد (بحر آزوف). وكذلك فإن المفهوم الاثني (القومي أو العرقي) للسارمات (Sarmates) أصبح مع الايام مفهوما جغرافيا، له مدلول أوسع جدا، بحيث أصبح يشمل كل الأراضي الواسعة التي تمتد ابتداءً من جبال الاورال وبحر قزوين حتى جبال الكاربات (Carpathes) ونهر الفيستول (Vistule) وكانت تعيش عليها أمم عديدة جدا ومختلفة كثيراً من ناحية أصلها، ومن ناحية درجة الرقي في حضارتها.

ورغم ذلك الغموض فإنه مما لا شك فيه بأن قوما سرماتيا حقيقيا كان موجودا، وان دراسة العلاقات التي كانت سائدة في ذلك الوقت بين هذه العائلة من الشعوب السرماتية وبين القبائل الساحلية والتي كانت تسكن في بلاد الشركس في الأزمنة السحيقة الغابرة. تؤكد صلة القرابة التي كانت بينهم وبين حوالي (٢٥) قبيلة من اجداد الشراكسة.

٧- توصلنا من مقارنة اسماء قبائل (الميئوت) على ساحل بحر قزوين مع أسماء القبائل الشركسية التي كانت تعيش في المنطقة الجغرافية نفسها في القرون الوسطى وحتى أوائل القرن السابع عشر الميلادي، فتوصلنا إلى ان اكثر من عشرة اسماء لقبائل الميئوت ظلت مستخدمة لدى الشعوب الشركسية القفقاسية حتى القرن السابع الميلادي، ومن هذه الاسماء مثل – التحات والسيرني وهابي اوثالي، بالاضافة إلى اسماء القبائل الشركسية المستقلة عن مجموعة الميئوت مثل: كيركت او سرت، زيخ والباسك.. والسانيغ وهنيو Henou المعروف بما نبوخ.

نستنتج من كل ما تقدم ما يلي:

١- التأكيد على الفرضية القائلة بأن الميئوت هم اجداد الشراكسة وأن معظم القبائل الشركسية التي كانت متواجدة على أرض الوطن الأم القفقاس قبل حرب الابادة واحتلال روسيا القيصرية لمواطن الشراكسة هي قبائل منحدرة من أصل (ميئوتي) لكن التساؤل يبقى مفتوحا حول اجداد قدامى الشراكسة في عهد ما قبل عهد الميئوت وهو السؤال الذي لم يجب عنه حتى الان اي مؤرخ.. وهو من هم اجداد الميئوت؟ وهل هم من احفاد الكيمريين ام الكاسيين أم الحثيين؟ الخ فإن السؤال يبقى مفتوحا حتى نجد الإجابة المنطقية عنه.

٢- التأكيد على صلة القرابة بين الميئوت والسارمات وبالتالي فإن القرابة أو الصلة بين السارماتيين والشراكسة هي صلة مؤكدة وأن بعض القبائل الشركسية الحديثة قد تكون قد انحدرت عن السارماتيين.

٣- التأكيد بأن (الامازون) هم من أصل سارماتي حسب روايات هيرودوت وسكيمونسي حيث تزوجن من شباب من شعب الاسكيت ورحلن معهم إلى ما وراء نهر التانيس أي نهر (الدون) وسكنوا فيها بالقرب من قبائل السارماتيين[٣٥].

الفرضية الرابعة والاخيرة: وهي الفرضية القائمة على الرأي القائل بأن الامة التي ينتسب إليها الشراكسة يمكن ان تكون هي امة ((النارتيين)) وهي فرضية وان لم يكتب عنها أي مؤرخ من المؤرخين القدامى من يونانيين ((اغريق)) ورمانيين وبيزنطيين إلا أن المؤرخ الشركسي (برزج سمكوغ) يؤكد في كتابه (اساطير النارتيين) مدى انتشار هذه الأمة قديما، وأن استيطانها امتد من القفقاس الشمالي ابتداء من نهر الدون وساحل شمال البحر الاسود، وأن مجالسهم هي مجالس النارتيين، وكل قارئ لهذه الأساطير يتأكد من هذه الحقيقة وهي انتساب القفقاسيين الشماليين الغربيين جميعا إلى أمة (نارت) وهم ذات الحضارة الزراعية وتربية الماشية وأنها وجدت في الألف الثالثة ق.م.[٣٦]

ويعتمد أصحاب هذه الفرضية على الوقائع والاحداث التالية:

١- لم يكتب أحد من المؤرخين القدامى عن أمة (نارت) لأن تاريخ ظهورها ونشأتها يعود إلى عصور قديمة جدا، حيث لم يوجد وقتها كتابة ولا تاريخ مكتوب.

٢- ظهر (النارتيون) في العصر الذي كان فيه الحكم للأم أي انهم نشأوا في مرحلة سيطرة الأم على الأسرة وهي المرحلة التي كانت تسمى (الأسرة الامومية) وعبادة الالهة الأم الاكبر.

٣- يقول المؤرخ الشركسي نوغموقة[٣٧] بأن كلمة (نارت) اصلها (نارانت) ومعناها أم (الانتيين)، وبالتالي فإن الشراكسة (الاديغة) هم أحفاد النارتيين والآنتيين.

٤- قدمت اساطير (النارتيين) تفاصيل عن حياة مجتمعات بأكملها وعن أمراء وحكام كما تتحدث عن جوانب ثقافية واقتصادية واجتماعية ودينية، وبالتالي فإن هذه الاساطير لا يمكن ان تكون بكاملها من نسج الخيال، ولا بد من وجود اساس مادي وواقعي لها. الأمر الذي افترضه بعض المؤرخين الشراكسة، وبالذات (سمكوغ) إلى وجود امة أو قوم أو شعب باسم (قوم نارت) أو (نارانت) أو (نات) كما يلفظها اهل الشابسوغ.

٥- الدليل الأكبر على وجود قوم يحمل اسم (نارت) نشأ واستوطن شمال القفقاس وعلى بقعة واسعة منها هو تداول قصص وأساطير (النارتيين) لدى مختلف الشعوب والقوميات القفقاسية، بالإضافة إلى الشراكسة وبالأخص الابخاز والشيشان والانجوش والأساتنين، مما يدل بأن هذا القوم ربما كان فعلا موجوداً وأنهم هم أجداد شعوب قفقاسيا الشمالية بأكملها وهي الفرضية التي ارجح صحتها أكثر بكثير من الفرضيات والنظريات السابقة الذكر.

مراجع ومصادر الفصل الأول

١- ناميتوق، اتيك، مصدر سابق، ص:٧.
٢- مورجان، المجلد الأول، مصدر سابق، ص:٧.
٣- مجلة يني قفقاسيا، عدد ايلول عام ١٩٦٢، ص١٥.
٤- جريدة زاربا، فونستو الصادرة في تفليس يوم ١٩٦١/٦/١ تحت عنوان (أعماق العصور).
٥- مورجان، المكتشفات الاثرية في الكوبان.
٦- ناميتوق، اتيك، مصدر سابق، ص: ٨.
٧- المصدر نفسه، ص: ٧.
٨- المصدر نفسه، ص٩.
٩- مورجان (مؤرخ فرنسي) تاريخ ومنشأ أمم القفقاس، المجلد الثاني، ص: ٩٣.
١٠- جوناتوقة، تاريخ القوقاز، مصدر سابق، ص:٩٤.
١١- آبه زاو، موسوعة تاريخ القفقاس، مصدر سابق، ص: ١٢٤.
١٢- المصدر نفسه، ص: ٧٧-٨٠.
١٣- بانتيو هوف (عالم روسي مختص بدراسة الأجناس) مؤلف كتاب تقويم القفقاس، نشر بالروسية عام ١٩١٢ ص: ٥٣٩.
١٤- مورجان، مصدر سابق، ص: ٢١٧.
١٥- م. مايسبرو، تاريخ الامم الشرقية القديمة ص: ٣٩٢-٣٩٤.
١٦- السيرجون، تاريخ العالم، المجلد الثاني، ص١٩٦.
١٧- آبه زاو، مصدر سابق، ص: ٧٦؟
١٨- السيرجون، تاريخ العالم، المجلد الثاني، تعريب وزارة المعارف المصرية،ص:١٩٦ -١٩٧.
١٩- آبه زاو، مصدر سابق، ص ٧٤-٧٥.
٢٠- المصدر نفسه، ٧٠-٧٢.
٢١- انور الرفاعي وبسام كرد علي - كتاب اكاديمي، دمشق الفصل الثامن، ص: ٦٧.
٢٢- طه الهاشمي، تاريخ الحضارة في الازمة الغابرة، المجلد الأول، ص: ٥٤٥.
٢٣- هنري براستد (عضو أكاديمية العلوم في برلين) العصور القديمة، تعريف داوود كوبان، ص٨١.
٢٤- طه الهاشمي، مصدر سابق، ص: ٥٤٦.
٢٥- المرتوقي، نوح الجركسي القفقاسي، من شراكسة مصر، مؤلف كتاب نور المقابس في تواريخ الجراكس المنشور في بلدة قزان (باللغة العربية) عام ١٩١٢ص:
٢٦- مورجان، مصدر سابق، ص: ٧٩.
٢٧- جونا توقة، مصدر سابق، ص: ٦٥.
٢٨- هيرودوت، مصدر سابق.

٢٩- نغموقة، مصدر سابق، ص: ٧١-٧٢.

٣٠- آبه زاو، مصدر سابق، ص: ١٠٧.

٣١- جوناتوقة، مصدر سابق، ص: ٧٩.

٣٢- محمد علي بتشجالقوة – ايقاظ المؤرخين، منشور باللغة التركية، ترجمها محمد جمال امين عام ١٩٩٦، انظر ص(١١١) من كتاب موسوعة تاريخ القفقاس والجركس.

٣٣- المؤرخ العربي البدري في كتابه (مكتشفات صعيد مصر)، ص: ٤٠-٤١.

٣٤- ناميتوق أتيك، مصدر سابق، ٣١-٥٠.

٣٥- المفتي، شوكت، مصدر سابق ص٧-١٠.

٣٦- سمكوغ، برزج، مصدر سابق، ص: ٨٥-٩٠.

٣٧- نغموقة، مصدر سابق، ص:١٠٤.

الفصل الثاني

الشعوب والقوميات القوقازية الأصل التي عاشت في شمال القوقاز منذ فجر التاريخ

يشير ((اسماعيل برقوق)) [١] بأن المؤرخين اليونانيين القدماء الذين عاشوا في دولة (البسفور اليونانية) منذ القرن التاسع قبل الميلاد قدموا لنا معلومات ووثائق هامة عن تاريخ الشعوب القفقاسية التي عاشت ما بين البحرين الأسود وقزوين منذ الألفية الرابعة ما قبل الميلاد وحتى القرن الأول ما بعد الميلاد.

وبدراسة وتحليل تلك المعلومات والوثائق التاريخية نستنتج بأن القوميات والقبائل التي كانت تسكن في منطقة القفقاس هي القوميات والقبائل المبينة في المخطط وعلى النحو التالي:



وفيما يلي دراسة موجزة لتاريخ الشعوب والقوميات التي كانت تكون الكتلة الغربية في فجر التاريخ

يؤكد المؤرخون بأن قوميات الكتلة الغربية كانت تتكون من (٨) مجموعات من القبائل الشركسية كما هو مبين في المخطط وهي (١) الانت (٢) ألمه وت، (٣) كركت، (٤) آخين، (٥) زيخ (أو جيخ أو زيك) (٦) حانوخ، (٧) سانوخ، (٨) باسك أو (آباسك) أو (باسخيغ).

وفيما يلي دراسة موجزة لكل مجموعة من هذه القبائل الشركسية الأصل.

(١) القبائل والعشائر المكونة لجماعة (المئيوت) أو (المه – وئت) Meot-Maita-Maiotains

يؤكد المؤرخون بأن شعوب (ألمه وئت) انحدرت من سلالة ((الكاسيين)) الذين ظهروا في بلاد القفقاس في فترة ما قبل (٦٠٠٠) آلاف سنة قبل الميلاد، كما أنهم كانوا يشكلون الاتحاد (الكميري) الذي تشكل في فترة ما بين الألفية الثالثة والرابعة قبل الميلاد وامتد حكمهم حتى القرنين الثامن والسابع قبل الميلاد وامتد موطنهم ما بين البحرين الأسود وقزوين في بلاد القفقاس

والتي كانت تسمى (بالإمبراطورية الكميرية) وامتد حكم شعب (ألمه – ؤت) من منتصف القرن السادس قبل الميلاد، وبالتحديد من عام (٥٤٠) ق. م وحتى القرن الثالث الميلادي، ومن غير المعروف لماذا أطلق عليهم مؤرخو اليونان القدامى اسم جامعة (ألمه – ؤت) وأن تسميتهم بذلك ربما كانت تعود لتعدد قبائلها أولاً، وإلى حضارتها المتميزة ثانياً، واتحادها مع دولة البسفور اليونانية ثالثا.[٢]

ويؤكد (هيردوت) [٣] الإغريقي بأن شعب (ألمه – ؤت) هم أصل القبائل الشركسية في القفقاس، وأن الوثائق اليونانية تشير بأن قوم (ألمه –ؤت) كان مكوناً من (٢٥) عشيرة، أو قبيلة.

ويعتبر المؤرخون اليونانيون والرومان البيزنطيون القدامى التالية أسماؤهم أفضل من كتبوا عن شعب (المه – ؤت) وهم:

بلونارت، وهيرودت واندارون، وستيفان البيزنطي، وهيرمولارس وبطليموس، وبلين).

وكذلك فإن أفضل من نقل عن المؤرخين السابق ذكرهم عن نشأة وتطور شعوب مجموعة (ألمه – ؤت) هم المؤرخون التالية أسماؤهم:

* **البرفسور الشركسي ايتك ناميتوق في كتابه (اصل الشراكسة)** المنشور في باريس باللغة الفرنسية عام ١٩٣٨ وترجمه إلى العربية الدكتور فؤاد نوغوج عام ١٩٩١.

* **المؤرخ الشركسي اسماعيل برقوق في كتابه (قفقاسيا في التاريخ)** المنشور في الاستانه باللغة التركية عا م١٩٥٨.

* **المؤرخ الشركسي برزج أمين سمكوغ في كتابه (الشركس في فجر التاريخ** – شعوب شمال القفقاس الأصلية حتى عصور الميلاد والمنشور باللغة العربية في دمشق عام ١٩٩٥.

وبالرجوع إلى ما كتبه ناميتوق [٤] وبرقوق [٥] نقلا عن المصادر اليونانية والرومانية والبيزنطية القديمة نجد بأنهما يقسمان مجموعة (المه – ؤت) إلى (٢٥) قبيلة ويتفقان في ذلك مع اختلافهما في بعض اسماء القبائل وعددها (٥) قبائل كما هو مبين في الجدول المرفق:

جدول بأسماء قبائل "المه – ؤت"

(١) السند أو سنت Sinde	(١٤) فسينوفاجس Phthinophages
(٢) داندار أو تيندار Dandares	(١٥) بسيس Pasesses
(٣) التوريت Torbetes	(١٦) سيزي Seize
(٤) التحات Thates	(١٧) خانيد Khanides
(٥) اسبور جيناس Aspurigancs	(١٨) خوانتس Khuantise
(٦) دوسك Doskhes	(١٩) ترانخونس Tranukhenes
(٧) كونابين Konapsenes	(٢٠) آبريناتاي Abrinatai
(٨) آنت أو آند	(٢١) آساي– ازاي Azaei
(٩) سيرني Serni	(٢٢) بساكات – زاكاتZakates
(١٠) فيكور Phicores	(٢٣) سيت أو تاسين Syet
(١١) أويي دياكنس أو بسكاي Pscae	(٢٤) نوخجه أو ماتيان Nukhjeh
(١٢) تيرامب Tyrambes	(٢٥) غه لاري Ghahlary
(١٣) هالي أو فالي – Vali - Hali	

والاسماء المختلف عليها هي :

الرقم	عن اسماعيل برتوق	الرقم	عن اتيك نامتوق
٨	الانت او الاند	٤	الاغريان
١٨	خوانتس	٥	الاريخ
٢٣	سيت	٧	الأديغة ياكين
٢٤	نوخجة امايتان	٨	السيتاكن
٢٥	غه لاري	١١	ايسيس



Меоты и другие племена Северо-Западного Кавказа.
(Из кн. «Археология СССР. Степи европейской части СССР в скифо-сарматское время». М., 1989)

خارطة

تبين مواقع سكن جماعة المؤت وبعض القبائل القديمة في القوقاز الشمالية الغربية

نستنتج من الجدول السابق بأن اكثر من مؤرخ اتفق على عدد قبائل (ألمه – ؤت) وهو (٢٥) قبيلة إلا أن (احدهم) اورد اسم قبيلة (الأنت) او (الاند) ضمن قبائل (ألمه – ؤت) بينما اعتبرها (اتيك) قبائل مستقلة تماماً عن (ألمه – ؤت) وانهم عاشوا في فترة سابقة لفترة ظهور مجموعة (ألمه – ؤت) ويتفق معه في ذلك (برزج) الذي يعتبر (الانت) من سلالة قوم (نارت) الذين عاشوا في مرحلة

(الاسرة الأموية) وعبادة آلهة (الام الكبرى) والتي سميت في مراحل لاحقة بآلهة (الخصب والعطاء) [٦].

وفيما يلي تحليل موجز لنشأة وتطور كل قبيلة من قبائل مجموعة (ألمه – ؤت) حسب ما أوردها كل من المؤرخين اليونانيين:

أولا: لم تكن جميع قبائل (ألمه – ؤت) داخلة في نطاق نفوذ (دولة البسفور اليونانية) وأن اهم القبائل التي كانت ضمن نفوذها هي (١) السيند (٢) الداندارا (٣) التوربت (٤) التحات (٥) اسبورجيناس (٦) دوسك (٧) كونابسين.

وان عشائر أخرى من مجموعة (المه ؤت) لم تكن ضمن نفوذ (دولة البسفور) اليونانية وأهمها: (١) سيرني (٢) فتيكور (٣) أوبي دياكنس (بسكاي) (٤) تيرامب (٥) هالي (٦) فيسنوفاجس (٧) بسيس.

أما القبائل العشرة الأخرى فإنها كانت تعيش خارج حدود القفقاس، واختلف المؤرخون على تبعيتهم لجماعة (آلمه– ؤت) كما حددها المؤرخون اليونانيون والرومان والبيزنطيون بالقبائل التالية: (١) سيزي (٢) خانين (٣) خوانتس (٤) تروخنس (٥) ايريناتاي (٦) أساي (٧) زكات (٨) سيت اوتامين (٩) نوخجه ماتيان (١٠) غه لاري.

وفيما يلي وصف لأهم اربع قبائل كان لها دور كبير في نشأة وتطور جماعة (آلمه – ؤت)

القبيلة الأولى: وهي قبيلة سيند أو (سنت): وهي من قبائل الاتحاد الكميري أولاً ومن أحد القبائل التسعة لـــ (ألمه – ؤت) المشاركة في اتحاد الكميرين ثانيا. وفي الغالب بأن هذه القبيلة كانت ضمن نفوذ دولة البوسفور اليونانية في المراحل الأخيرة من حكمها ويبدأ حدود هذه القبيلة من ساحل البحر الأسود من منطقة نهر (بشات) في الجنوب ويمتد إلى الشرق من حوض (القوبان) ومنطقة القباردا وعاصمتها (ستريكا) كما كانت تتمتع بمدينة مزدهرة، ويتحدث المؤرخون اليونانيون بأن شعب (السند) كانوا يشتركون في ألعاب الألمبياد الاغريقية القديمة وأنهم على الأغلب كانوا يحرزون الدرجات الأولى، وهذا يدل على مدى اندماجهم باليونانيين وتأثرهم بهم، مع المحافظة على طابعهم القومي الشركسي.

ونجد اسم (السند) داخلاً في أساطير قوم (نارت) كما يوجد موقع أثري (خربة) في منطقة القبرطاي تحمل اسم (سانت) وقد تكون محرفة عن كلمة (سنت) وهو الأسم الذي كان يعرف به شعب (سند) قديماً.

القبيلة الثانية: هي قبيلة الداندار أو (تيندار أو داودار): وكان شعباً مستقلاً في الحكم وعاصمته بلدة (فتسه) ومعناها (البلدة السوداء) باللغة الشركسية وامتد وجود قسم من (الداندار) إلى الشاطئ الشرقي لمضيق كرتش [تامان]، أما الأكثرية منهم فكانت تعيش مقابل الساحل الشرقي لشبه جزيرة (القرم)، وإن الأسماء التي لا تزال مستخدمة حتى اليوم، تدل على انتشار هذه القبيلة الكبيرة على الساحل الشمالي والغربي وامتدادهم للبحر الأسود حتى (داكيا وتراقيا) ومنطقة بحر إيجه، وأطلق عليهم اليونانيون لقب (الداندار ذو الوطن الفسيح).[٧]

القبيلة الثالثة: وهي قبيلة (التوربت) وكانت فرعاً أو عشيرة من عشائر (المه –ؤت) إلا انها انفصلت عنهم ليؤلفوا قبيلة مستقلة وسكنوا حسب رأي المؤرخ (بلين) في شمال (اكيركت)، وجنوب (السند) ويعتبرهم المؤرخون من القبائل التي انحدر عنها الشراكسة [٨]

القبيلة الرابعة: هي قبيلة (التحات) وكانت من أهم القبائل التي شكلت جماعة (ألمه–ؤت) وكان اللقب الرسمي لملك المؤت هو (ملك آلمة – ؤت وجماعة السند والتحات).

وأما باقي القبائل لم يكن لها أدوار بارزة في تاريخ جماعة (ألمه – ؤت) وأن المؤرخين اختلفوا على حقيقة انتسابهم إلى تلك المجموعة، خاصة وأن اكثر من (١٠) قبائل منهم كانت تعيش خارج حدود قفقاسيا عامة وقفقاسيا الشمالية خاصة.

يلاحظ من تحليل ما كتب عن نشأة وتطور تاريخ قبائل جماعة (ألمة – ؤت) وجود غموض كما يلاحظ غياب الكثير من المعلومات الاساسية عنها حتى يمكن الحكم على دورهم الحضاري وعلى انتماءاتهم الاثنية (العرقية) وعلاقاتهم مع الشعوب والأمم الأخرى المستوطنة والمجاورة لهم.

ومن هذه الملاحظات هي:

(١) لم يذكر المؤرخون (جميعاً) فيما كان يوجد لجماعة (المه – ؤت) (لغة مشتركة واحدة) أم عدة لغات، وان وجدت فما هي تلك اللغة أو اللغات، باستثناء ما ذكره (المؤلف المجهول لكتاب جولة حول البحر الأسود) الصادر حوالي عام (٤٠٠م) بقوله: إن بعض قبائل (المه – ؤت) كانت تتكلم اللغتين القوضية والتاورية.[٩]

(٢) تجاهل كل من كتب عن تاريخ جماعة (المه – ؤت) البحث في طبيعة الحكم والنظم الاقتصادية والاجتماعية والدينية لقبائل هذه الجماعة، كما أنهم لم يذكروا لنا عن مدى مساهمتهم في الحضارات التي كانت سائدة في القفقاس في نفس المرحلة الزمنية التي وجدت فيها قبائل هذه الجماعة.

(٣) لم يحدد لنا المؤرخون عن بداية ونهاية حكم جماعة (المه – ؤت) كما لم يحددوا لنا انتماءاتهم الاثينة إلا ما ندر كما انهم اختلفوا في انتماء بعض القبائل فالبعض منهم اعاد انتماء بعض قبائل (المه – ؤت) إلى السريانيين والبعض الآخر اعادهم إلى الكيمريين... الخ.

ولاستكمال دراسة وتحليل أوضاع القبائل السبعة الأخرى التي كانت تشكل الكتلة الغربية لبلاد القفقاس قمنا بمراجعة ما كتبه المؤرخون اليونانيون والبيزنطيون القدماء الذين أوردهم كتاب فرنسيين منهم:

هيزيخيوس Hesychius ، سيلاكس Seylax ، ارتيميدور Artemidore وسترابون Stabon ، وبلين Pline وميلا Mela ، أمينين مارسيلان Amnien Marcellan ، وديني Denny ، بطليموس وهيلانيكوس Hellanicus، وبروكوب Procope ، واسماعيل برقوق.

وكذلك فإن أفضل من كتب باللغة العربية عن القوميات الشركسية السبعة التي كانت تجاور مجموعة قبائل (آلمه – ؤت) في الجزء القفقاسي الغربي هو (اسماعيل برقوق) [١٠] .

وفيما يلي ملخص لكل قومية من القوميات السبعة (الشركسية) الأخرى كما أورده (نامينوقه):

القبيلة الأولى: وهي قبيلة كيركت Kerkete وفي بعض المراحل كانت تسمى (جرجت او سرست) وكانت تسكن عند مصب نهر (بشات) على ساحل البحر الأسود، كما توجد في كولخيديا (الدغستان) عشيرة اسمها قبيلة (الكركت) تتصل بصلة الرحم والقرابة (بالماؤت) بواسطة قبائل (السند والآخين والتورت)، وكان الكركتيون ملاحين مهرة، وقد هاجر قسم كبير منهم إلى بيزنطه وتعيش عشيرة شركسية في بلاد طرابلس الغرب حتى اليوم تحمل اسم (كركت).

القبيلة الثانية: قبيلة (آخين) ويطلق عليهم ايضا (Akhains – آخاينس): حيث كان (الآخيون) يعيشون جنوب قبائل (الكركت) على امتداد الساحل القفقاسي على البحر الأسود نحو (طؤابسه) الحالية. وقد ورد اسم قبيلة [آكين] بين عشائر قبيلة (قوش) التي هاجرت إلى "مصر" حسب اقوال وذلك (هيرودوت واسترابون) بأن قبيلة (آخه) كانت ضمن قدماء الجراكسة، ثم أن قبيلة [آشه] دخلت إلى اليونان من آسيا الصغرى ثم هاجرت إلى مصر.

ويؤكد بعض المؤرخين القدماء بأن (الاخائيين) لم يكونوا إلا البيوتيين الاركومينيين (Byothiens d' Orchomene)، الذين جاؤوا إلى القفقاس بعد الاستيلاء على طروادة (Troie)، بقيادة يالمين (Yalmene) بأن الرياح قد أوصلتهم إلى القفقاس بعد خوضهم معركة ضد الطرواديين (Troyens). كما أن البعض الآخر ينسبون أرجيا (Argienne) اليونانية إلى (الاخائيين) القاطنين في بلاد الشركس، كما ذكر اوستاش (Eustathe) في تعليقاته على كتاب دينس بيريجيت Dennys le

Periegete ، بأن الملك آبيتاد (Apetiade) الذي قاد (الاخائيين) اثناء قدومهم إلى القفقاس لم يكن إلا (اغاممنون) نفسه، وفي هذه الحالة فإن الاخايوي (Akhaioi) يسمون في بعض القصائد الشعرية (آيناخوي) رمزاً لنهر ايناخ (Inakh) في اليونان، وكان القدماء يصفون (الاخائيين) بأنهم كانوا قراصنة رهيبين وشجعانا جدا وعنيفين ايضا [١١].

القبيلة الثالثة: وهي قبيلة (جيخ) ويطلق عليهم زيخ او زيغ Zygue-zitihe اوزيك وحسبما كتب مؤرخو اليونان فإن (الزيك) كانوا يعيشون جنوب (الآخين). وفي القرن الأول قبل الميلاد تقريباً رحلت من منطقة الكوبان إلى موقعها الحالي على ساحل البحر الأسود (طؤابسه) والمعروف الان باسم (سوتشي).

وهذه القبيلة معروفة عند جميع الجراكسة باسم (أوبوخ) ويجتهد البعض أن كلمة (زيخ) محرفة عن (تسوخ) أي الإنسان باللغة الجركسية، وكان اليونانيون يسمون بلاد الجراكسة فيما سموها [تسوخيا – أوجيخيا]، ومؤرخو الكرج أسموهم [جيخ] وأطلقوا اسم (جيكت) على بلادهم، ويؤكد (سترابون) بأن (الزيخ Ziukes) هذه القبيلة كانت ضمن قبائل المجموعة التي كانت تشكل (المه – ؤت) [١٢] .

القبيلة الرابعة: وهي قبيلة (حانوخ Heniokhs) كانت مستوطنة جنوب قبيلة (الجيخ) وامتدت بلادهم إلى الداخل على السلسلة الجبلية حتى مضيق (داريال) وحتى البحر الأسود وكانت لهم بعض المستعمرات في الأناضول كما كانوا يشكلون احد الشعوب الهامة في بلاد الشركس في العصور القديمة كما كانوا شعباً من المحاربين الاقوياء ومهرة في ترويض الخيول يعيد بعض المؤرخين اصلهم إلى الاسبارطين اليونانيين. وكلمة (حانوخ) دارجة الاستعمال عند الجراكسة حتى الآن، ومعناها الحرفي (الكلب ذو العيون الواسعة) ويلقبون بها الأولاد والبنات إلى يومنا الحاضر.

القبيلة الخامسة: وهي قبيلة (سانوخ) أو (سانيغ Sanigs) وكانت تسكن جنوب (الحانوخ)، وكان هذا الاسم يذكر في المنقولات التاريخية حتى القرن الثاني عشر للميلاد، وإلى يومنا هذا توجد مواقع وعائلات باسم [سانيك – ساني – سانوخ] ولا تزال (قبيلة القبارطاي) تستعمل [مشروب السانوخ] وهو المشروب الذي يصنع من العسل المخمر.

وبعض مؤرخي اليونان يكتب هذا الاسم بمعنى [زانيخ] مما يدل على أنها من أوائل عشيرة (ازانه) الجركسية الموجودة حتى اليوم موزعة بين (الآبزاخ) وبين (الأبخاز) وتلفظ احياناً (جانا).

القبيلة السادسة: وهي قبيلة (باسك أو أباساك) (Abaskes) ومن المحتمل أن اسم [آبخاز/ اباظة] المستعمل حتى اليوم مشتق من هذا الاسم ومن الاحتمال الكبير بأن قوم (الباسك) الذين يعيشون في الجبال بين (فرنسا وأسبانيا) هم من قدماء هذه القبيلة.

والآبخاز (الباسك) يعيشون إلى اليوم في موطنهم الأصلي على ساحل البحر الأسود القفقاسي ويشغلون حوض نهر (اينغور) حتى منطقة كولخيديا، ولدى تدقيق المناطق التي أشغلها الجراكسة قبل وبعد الميلاد يتبين لنا أن القسم الشمالي منهم يشكلون قبائل (الماؤت) المنتشرة شمالا وغرباً، أما القسم الجنوبي منهم وهم (السانوخ) فقد انتشروا إلى الجنوب حتى الأناضول.

القبيلة السابعة: وهي قبيلة الآنت أو (الاند) لقد ورد في الخريطة التي رسمها [لاب] اعتماداً على خريطة (كل من بطليموس ولين) اسم [أنتيخة] في المنطقة الكائنة عند اتصال فرع نهر (لا) بنهر (الكوبان) كما أن مؤلف [دربند نامه] يسمى سكان المناطق الممتدة من نهر ترك إلى سواحل البحر الأسود غرباً، في (منطقة الآديكة) يسميها [جولي آنت].

ويؤكد المؤرخ الفرنسي (برقوب بول)[١١] في كتابه (السلالة الآنتية) المنشور عام ١٩١١ في باريس، يؤكد بأن (الأنتيين) كانوا أمة قائمة بذاتها وأنها من السلالة القفقاسية ذات العرق الأبيض، كما يؤكد (جوناتوقة) في كتابه (تاريخ القوقاز) المنشور عام ١٩١٢[١٢] بأن اسم (أديجة) مشتقة من جمع اسم (آنت) وهي (أنتيخه) أو (آتخه) و (آنتخه) هو نفس ما كان يلفظها شيوخ القبرطاي قديما كما ورد في الأشعار القومية الشركسية وأمثالهم اسم (آنت) كثيرا بقولهم [الآنت الذي لا يعرف الكلل ولا

الملل] وكذلك [انتي بشه يقوه] ومعناها [ابن اميرانتي] و [آنتيغ شاوه] ومعناه [شاب آنتي و [آنتيغ شو] ومعناها [فارس آنتي] وغيرها.

وفي القرن الأول للميلاد وجد (بولص دياكونس) خلال تجواله في المناطق الشمالية لبلاد القفقاس قبيلة اسمها (آنت) تسكن على ضفاف نهر (الدنيبر).

وفي كل الاحوال فإن معظم المؤرخين القدامى يتفقون بأن الأمة التي ينتسب إليها الشركس وشعوب شمال القفقاس الأصلية انتساباً مباشراً وبشكل لا ريب فيه هو ما ورد في كل أساطيرهم التي لا حصر لها وتتجاوز عدة آلاف هي أمة (النارت) التي استوطنت وانتشرت في القفقاس الشمالي، وحتى نهر الدون ومصبه في شمال البحر الأسود.

وازداد هذا الاستيطان على ما يبدو في العصور القديمة حول مجاري الأنهار وسهولها التي تجري فيها نهري (الكوبان والترك) وفي جنوب السلسلة الجبلية التي تجرى فيها أنهار: كورا وأراكس وريوني وأدجاري وكورخ.

وقوم (نارت) هو القوم الذي تنسب إليه الشعوب في شمال القفقاس منذ العصور الحجرية ولا نعلم إلى أي مدى يمكن أن تعود في القدم ولكن تحليلها (المقطعي) يمكن أن يدلنا على مرحلتها الحضارية التي يمكن أن تعود لأواخر عصر (الميزوليت أو النيوليت) ولبدايات مرحلة عبادة الأم وكانت تلفظ (نات) بدون حرف الراء، لأن الراء ما هو التعريف (ن + ت) وتعني عطاء الأم أي أنهم اعتبروا أنفسهم عطاء تلك الأم الإله الكبرى. على اعتبار أن (ن) معناها (الأم)، (ت) معناها باللغة الشركسية (أعطي) و (ن + ت) تعني (عطاء الأم) .. أي أنهم كانوا يعبدون الأم (الآلة الكبرى).. وبالتالي اطلق عليهم (نات) بمعنى القوم الذي وهبوا أنفسهم للآلهة الكبرى وهي (الأم).

وكذلك فإن كلمة (نات) تدخل في بعض الألقاب والتعابير الشعبية مثل (نارت – شاوه) بمعنى فارس (آنتي)، وكذلك في أسماء كثير من اقاليم ومواقع في القوقاز، فمثلا نجدها في اسم اقليم (نات – قواج Nat-Quaj) ومعناه بلد النارت (وهو في الجزء الغربي من مقاطعة الكوبان) (نات سان Nartsana) وهو اسم نبع للمياه المعدنية المعروفة في مقاطعة القبارطاي، وكذلك فإن وجود (الآنت) قديما كأمة ذات كيان حقيقية لا تقبل الجدل. ومما يزيدنا رسوخا في هذا الاعتقاد هو ورود كلمة (نات) في كثير من أسماء الأسر والعائلات المعروفة والموجودة لليوم، مثل عائلة (ناتوقة) أي ابن النارت، و (نارتيظ) اي النارت القديم.

وأما البطل القومي للأمة الشركسية (نارت سوسيروقة Nart Sosiroka) ومعناه قوم نارت أو (سوسيروقة الآنتي). وقد جرت العادة أيضا أن يلقب الأبطال الأشاوس بلقب (نارت) تقديراً لأعمالهم الشجاعة. وأخيراً تسمى الذرة الصفراء أيضا (ناتيف Natif) ومعناه (ذرة النارتيين).

وفي فترة لاحقة تم استبدال اسم (نارت) أو (نات) الى اسم (آنت) وتحمل نفس معنى كلمة (نارت) بلهجة القبرطاي حيث أن حرف (ن) يعني بالقبرطاي (أم) وحرف (ت) يعني (أعطى) وبالتالي فإن (نت) معناها (الأم المعطاءة).

واليونانيون كانوا يطلقون على الشراكسة اسم (آنت) كما أن المؤرخ (بول) كان يطلق أسم (آنت) على القوم الذي كان يسكن نهر يصب في شمال البحر الأسود وهو نهر (دون الآنت).

ومؤلف (دربند نامة) سمى القوم الذي يسكن حوض نهر (الترك) على سواحل بحر الأسود (بجولي انت).

وورد في الأساطير الشركسية بأن (أنت) استخدم كاسم (لإله الزراعة) وهو (إله للانتين) وكذلك فإن تسمية (أنت) تلازمت وترافقت مع دخول (أمة انت) لعمل الزراعة وتربية المواشي.

وربما كان من أقدم المؤرخين الذين كتبوا حول قوم (أنت) هو: المؤرخ (سترابو Strabo) في القرن الأول قبل الميلاد حيث كتب حول منشأ الانت وتاريخهم وسمى نهر الكوبان على اسمهم (آنتي كيتس Antikitis) والمؤرخ (بروكوب Procopius) قال في سنة ٦٥ب.م "أن أمة الانت (تلفظ

بالجركسية: نات) وكانت محاطة في مواطنهم عند البحر الأسود بأقوام سلافية تختلف عنهم عرقاً. فالأنت كانت أمة قائمة بذاتها".

وقال أيضا "ان سواحل البحر الأسود كانت مأهولة ومكتظة بقبائل الانت، والسلافيون يحيطون بهم من جهتي الغرب والشمال، فاستنتج من ذلك أن الأنت لم يكونوا سلافيين، بل جيرانهم ويمتون عرقا إلى سلالة أخرى غير السلافية.

وأما المؤرخ (بلينيوس Plinius) يقول في الجزء الرابع من الفصل (٣٥) من كتابه المسمى (التاريخ الطبيعي) بأن قوم (الانتي Anti) كان من جملة الاقوام التي ذكرها والذين كانوا يقطنون بين بحر آزوف وبحر الخزر. وأما (بطليموس Ptolemaus) فكان يعلم أيضا بوجود أمة (الانتي) في تلك البقاع الواقعة بين البحرين المذكورين، بينما كتاب الاغريق كانوا يؤكدون بأن اماكن سكنى (الانتيين) كانت في القرم وضواحيها، مع العلم أن تلك الاماكن المذكورة كانت مشغولة من قبل السارمات ايضا. وإذا امكن قبول الرأي القائل بأن شعب (الانتي) الذي ذكره (بلينيوس) وشعب (الانت) الذي ذكره مؤرخون آخرون كلاهما شعب واحد، ومن المؤكد بأن شعب (الانت) لم يكن أصلاً من عرق (السلافي) كما يدعي مؤرخي الروس.

وفي العصور التي تحولت فيها السلطة من (حكم الأم) إلى حكم (الاب) تحول معها اسم (نارت وأنت) إلى اسم (اديغية Adyxah) أو (أديغيت) حب اللهجات القوقازيين التي اختلفت وتمايزت بين لهجات وكان الجزء الشرقي والجزء الغربي من القفقاس والتي اختلفت فيما بعد واصبح لكل قومية منها لغة خاصة بها، وبالتالي فإن الشراكسة (الاديغة) من سكان الجزء الغربي وهم (الشراكسة، والأوبخ والابخاز) الذين أطلق عليهم قبائل (الاديغة).

أما سكان الجزء الشرقي من شمال القفقاس وهم قبائل (غلفاني الداغستاني) قفقاسية الأصل وأطلق عليها اسم (داغستان) حيث نجد بعد حذف الأحرف الزائدة وهي (آ) التي هي أداة نداء أو (ست) وتعني البلد، والباقي من الاسمين هو مقطع (ديغ) والمعروف أن حرف (د) وكذلك الحرف (ت) أو (أت) تدل على (الأب) في هذه اللغات وهكذا فإن هذه التسمية تتوافق مع المرحلة الحضارية التي تبدلت فيها الأسرة من نمط النظام الأمومي إلى النظام الأبوي و(الأسرة الأبوية) والتي سيطرت فيها الذكورة.

وبالتالي فإن ترجمة كلمة (اديغية) في مقطيعيها (ادَ- يغة) تصبح (أدَ) بمعنى الأب و (ييه) بمعنى (ملكه او الخاص به).

ويصبح المعنى الحرفي لترجمة (أديغية) بمعنى القوم الذي يملكه أو يختص به (الاب) او قوم (الاب).

وبنفس المعنى فإن اضافة (ست) ومعناها باللغة الداغساني (بلد) يصبح معنى كلمة (داغيستان) (بلد أو موطن الاب).

نستنتج مما تقدم أن قوم (نارت) وكذلك أمة (أنت) وأخيراً شعب (الاديغية) هي الأمة التي نشأت عنها شعوب وقبائل الشعوب القوقازية عامة والأمة الشركسية في الوطن في شمال القفقاس خاصة.

وخلاصة القول فإن أصل ومنشأ أجداد الشراكسة (الاديغة) هم قوم (نارت) ومن بعدهم أمة (آنت). **وهي الأمة التي عاشت في شمال القفقاس في عصور ما قبل الميلاد.**

كما ذكر (بروكوبيس) [١٣] في كتابه (الحرب القوطية) بأن أمة (الآنت) كانت تسكن في مملكة متسعة الأطراف ويجاورهم في الغرب شعوب (الاسلاو) الذين كانوا يقطنون بالقرب من نهر الدانوب، وأكد المؤرخ (سترابون) في كتابه الذي نشره عام (٤٢ق.م) بأن نهر كوبان الحالي كان اسمه آنتي كيتيس) نسبة إلى أمة (الآنت).

ويقول (نغموقة) في كتابه (تاريخ الأديغة) [١٤] بأن أمة (الآنت) كانت تسكن حول (نارت سان) فترة من الزمن وأن (الآنتيين) هم آباء الكيمريون وأجداد الشراكسة.

تلك هي بعض المعلومات عن الشعوب الرئيسية التي كانت تعيش قديما في بلاد الشركس في العهدين (اليوناني – الروماني) وهي على الأقل الشعوب التي وصلت إلينا عنها معلومات مختلفة بحكم إقامتها على الشاطئ الذي كان يسمح لهم بالاتصال الدائم مع العالم الخارجي من خلال (بحر ايجه) والبحر الأبيض المتوسط.

ويقول (ناميتوق) بأن الدراسة الاتنوغرافية (وصف الأقوام) لبلاد الشركس القديمة لا يمكن أن تقتصر على هذا العدد فقط من القبائل، وأن البحث في طبيعة وتاريخ القبائل التي كانت تعيش داخل البلاد القفقاسية له نفس القيمة والأهمية التاريخية التي تتمتع بهما القبائل التي كانت تقيم على السواحل. وأن حقيقة كون المعلومات المتوافرة عن (قبائل الداخل) أقل عدداً وأقل دقة من المعلومات عن قبائل الساحل.

ويشير (ناميتوق) بأن الاغريق كانوا كلما صادفوا صعوبات في تحديد الانتماء القومي أو العرفي للشعوب التي كانت تعيش في الداخل والبعيدة عنهم، كانوا يتجاوزونها دون أن يحاولوا البحث عن حقيقتها.

وفي كل الاحوال فإن المعلومات والبيانات التي نقلها إلينا المؤرخون المشار إليهم سالفاً عن تاريخ حياة الشعوب والقبائل (الثمانية) سابقة الذكر تحتاج إلى تدقيق لوجود تعارض أو تناقض في اقوال بعض المؤرخين إلا أن هذا لا يعني ان تلك المعلومات والبيانات خاطئة أو أنها غير دقيقة وإنما العكس صحيح فإن المعلومات الأساسية التي نقلت إلينا كانت دقيقة وهامة أما بالنسبة للاختلاف في أسماء بعض القبائل وأماكن سكنهم وكذلك الاختلاف في بعض التواريخ لا يغير من قيمة ما وصل لنا عن هذه الاقوام.

بالرغم من عدم تطرق المؤرخين عن مستوى معيشة القبائل (المشار إليها سابقا) فإن المعلومات التي وردت عن معظمها يجعلنا نتفق بأنها كانت قبائل على مستوى عالٍ من المعيشة وكان لدى بعضها تقدم حضاري والدليل على الحقائق التالية:

١) **اتقان فنون الملاحة البحرية،** حيث يؤكد المؤرخون اليونانيون بأن شعب الكركيت كان شعبا متقدما في الحضارة المدنية وأنهم كانوا على اتصال مع الأمم والدول في الخارج، وفي هذا المجال فإن نيقولا الدمشقي (Nicolas de Damas) ينقل لنا هذه العادة العجيبة: إذا اقترف أحد (الكركيت) جريمة ما، فإنه كان يحرم من ممارسة طقوس العبادة المقدسة، وإذا برهن على عدم مهارته أثناء قيادته لسفينة أو زورق، كان كل المشتغلين بالبحر يقتربون كل بدوره (ويبصقون على وجهه الواحد بعد الآخر) وربما يجدر بنا أن نذكر هنا ان بعض الباحثين أشاروا إلى أن الشراكسة احتفظوا إلى زمان قريب نسبياً بذكريات عن الأهمية الكبيرة التي كانت (للكركيت) في مجال الملاحة البحرية[١٧].

٢) اشتهرت بعض القبائل مثل قبيلة (حانوخ) بتربية وترويض الخيول وكانوا يصدّرون الخيول المدرّبة إلى دول مجاورة.

٣) وصلت بعض القبائل مثل قبيلة (حانوخ) من التطور والتقدم الحضاري إلى مستوى عالٍ، حيث بنوا مستعمرات في الاناضول وتوسعوا في تجارتهم مع الدول المجاورة.

٤) كما أن بعض المجموعات من هذه القبيلة كانت تمارس القرصنة البحرية مع جيرانهم (الاخيين) وادخلوا الرعب في قلوب الشعوب والقبائل اليونانية والرومانية وذكر احد المؤرخين بأنهم كانوا يستخدمون قوارب صغيرة (٢٥–٣٠) راكباً كان يسميها اليونانيون (كاماروي Kamaroi)، وكانوا يتجولون فيها في البحر الأسود في كل الاتجاهات، ويعتبرونها ملجأ لهم، وأحياناً كانوا يصلون إلى الشواطئ التراسية (غرب البحر الأسود).

وأن أبيات الشعر التي نظمها الشاعر اليوناني أوفيد (Ovide) شاهدة على الرعب الذي كانوا يسببونه على تلك السواحل:

اقتبس منها (ناميتوق) الابيات التالية:

* كما ينطلق النباح الوحشي من شواطئ سكيلا (Scylla) الشيطانية،
فإن سفن الحنيوخ تسبب الذعر للبحارة،
* ولا يستطيع أحد أن يقارنهم مع الاخيين (Acheens) الرهيبين،
وهاوية شاريبده (Charybde)، تقذف ثلاث مرات،
* الأمواج التي ابتلعتها على ثلاث دفعات،
إن هولاء الغزاة يقضون حياتهم دون شك،
* في التجول على الضفة اليمنى للبحر،
ولكن الضفة الأخرى التي اسكن عليها ليست في أمان أكثر من الأولى.

وهذه القرصنة إن كان في ظاهرها عمل (غير قانوني) إلا أنه يدل على مدى قوة وشجاعة وجرأة التصدي لقوافل البواخر الكبيرة التي يمتلكها امبراطورية مثل امبراطورية البسفور اليونانية.

ثانيا: قوميات الكتلة الشرقية والوسطى القفقاسية وتتكون من الشعوب التالية:

(١) نوخجي = (جاجان) (٢) الاوار اندلال، (٣) اللزكي لاق = (لاخ)، (٤) لزكي (أو جيخ أو زيك).

واكد المؤرخون والرحالة من مختلف الجنسيات بأن المنطقة الشرقية والوسطى من بلاد القفقاس كانت مأهولة من قبل قوميات رئيسة تتكون من القبائل الاربع سابقة الذكر وهي على النحو التالي:

القبيلة الأولى – نوخجي = شيشان او جاجان: يجمع المؤرخون على ان الجاجان هم الشيشان من قبائل جامعة ألمه ؤت، فقد ورد أن قبيلتا [نوخجه ماتيان – و – غه رري] التي كانت تعيش في شرق بحر آزاق من الماؤت، والذين درسوا أوضاع قبيلة (الجاجان) وجدوا عندهم أسماء [نوخجي – غالغاي – توسق] والحقيقة أن (الجاجان) قبائل عدة وهم يسمون أنفسهم (نوخجي) بلغتهم القومية وفرع ثانٍ وهم قبيلة [إينكوش] تسمي نفسها [غالغاي] وفرع ثالث يسمى نفسه [توش] ومن أكبر فروعهم الأينكوش (الأنجوش).

ومنطقة (الشيشان) الحالية تحد شمالاً وغرباً بمجرى نهر (الترك) ووادي (قاجقالين) ومنطقة قبيلة القبرطاي، وجنوبا بجبل (آندي) وسلسلة القوقاز، وشرقا يفصلها عن الداغستان نهر [آق طاش] وأن نهر [سونجا] أحد روافد نهر (الترك) يقسم منطقة (الجاجان) إلى قسمين هما: ١- بلاد الججن الصغرى أو الجنوبية ٢- بلاد الججن الكبرى أو الشمالية، وعاصمتها حالياً (جروزني).

القبيلة الثانية – الآوار = (الأندلال): يبدأ موطن قبيلة (الأوار) في الداغستان حالياً شمالاً من [سيريورد] حتى [زاكاتالي] في الجنوب على امتداد (١٦٠) كيلوا متراً، وعرضها عند بلدة [هونزاق] حوالي (٧٥) متراً، وهذه المنطقة تقسم بلاد الداغستان إلى قسمين.

وكلمة [آوار] هي كلمة تركية ومعناها (البدو الرحل)، وهذا الاسم أطلقه عليهم (القوموق) وهم من الأصل الداغستاني لأنهم كانوا يقومون بغارات تشبه غارات الآوار الطورانيين، ثم أخذه الروس عنهم وعمموا استعماله بقصد التفرقة بين القبائل القفقاسية، وبمرور الزمن عم استعماله وصار اسماً لهم.

ويقول بعض مؤرخي الروس أن الاثار (الآوار) كانوا فيما مضى قد انتشروا من موطنهم الاصلي إلى الشمال، وأنهم كانوا يعيشون آنذاك (بدواً رحلاً) في سهل القوموق، ولكن هجرات العناصر الطورانية القوية، أجبرتهم على الالتجاء إلى الجبال.

ويؤكد بعض المؤرخين بأن مقطع (لال) في لغة الآوار هو أداة نسبة فالاسم [آند – لال] يعني (الأنديون – الآنتيون) أي أنهم يمتون بصلة للأنتيين وأنهم من أصول شركسية، وأنهم كانوا يقطنون منطقة الكوبان، فالاندلال هم الأنتيون الذين التجأوا إلى المناطق الجبلية وهم من قبائل (كاس) الأصلية.

القبيلة الثالثة – قبائل اللزكي: اتفق غالبية المؤرخين بأن (اللزكي) هم من القوميات القفقاسية القديمة الأصل، وذكر القائد الروماني (بومبي) في مذكراته بأن قبيلة باسم (ليجي) كانت تعيش في بلاد الداغستان، وأنهم من أقدم سكان القفقاس، كما ذكر المؤرخ (فريديريك موللر) في تصنيفه للشعوب القفقاسية بأن (لزجي) تتكون من (١٢) عشيرة وهي: لزجي وقويين وآغول وروتول وتاباساران وآرجين وغازي قوموق ودارغي وقوماجي وديدو وآوار وآندي.

وقبيلة (لزكي) ما هي إلا من قبائل (الكاس) حيث كانت توجد قبيلة تحمل اسم [لز – زيل Zil, Liz] بين الكاسيين، هذا وإن وجود قرابة بين (اللزكي) و (أندلال) معترف به من الطرفين، وهذا يدل على أن (اللزكي) رغم اختلاط عناصر تركية بهم فقد احتفظوا بلغتهم وطابعهم القفقاسي كما كان عند الآوار – الاندلال.

القبيلة الرابعة – هي قبيلة لاخ أو لاق أو غازي قوموق وتعيش هذه القبيلة في القسم الجنوبي والشرقي من الداغستان قريبا من بحر الخزر وجبالها قليلة أفقر منطقة من حيث الطبيعة الجغرافية، ولكنهم كانوا أكثر القبائل عملاً في الصناعات، ويعتقد المؤرخون من الأرمن والكرج أن (اللاخ) من الجامعة الكيميرية. وعلى ذلك فهؤلاء أيضاً قد نزحوا إلى هذه المنطقة مع الأندلال، والتقارب القومي بين اللاخ والأندلال يثبت هذا القول.

وقبيلة (اللاخ) سميت بعد الإسلام باسم [غازي قوموق] وهم غير قبيلة (قوموق) التركية الأصل التي تعيش في الداغستان مختلطة مع (اللاخ)، كما أن هؤلاء هم (غير القالموق) الذين هم من أصل مغولي.

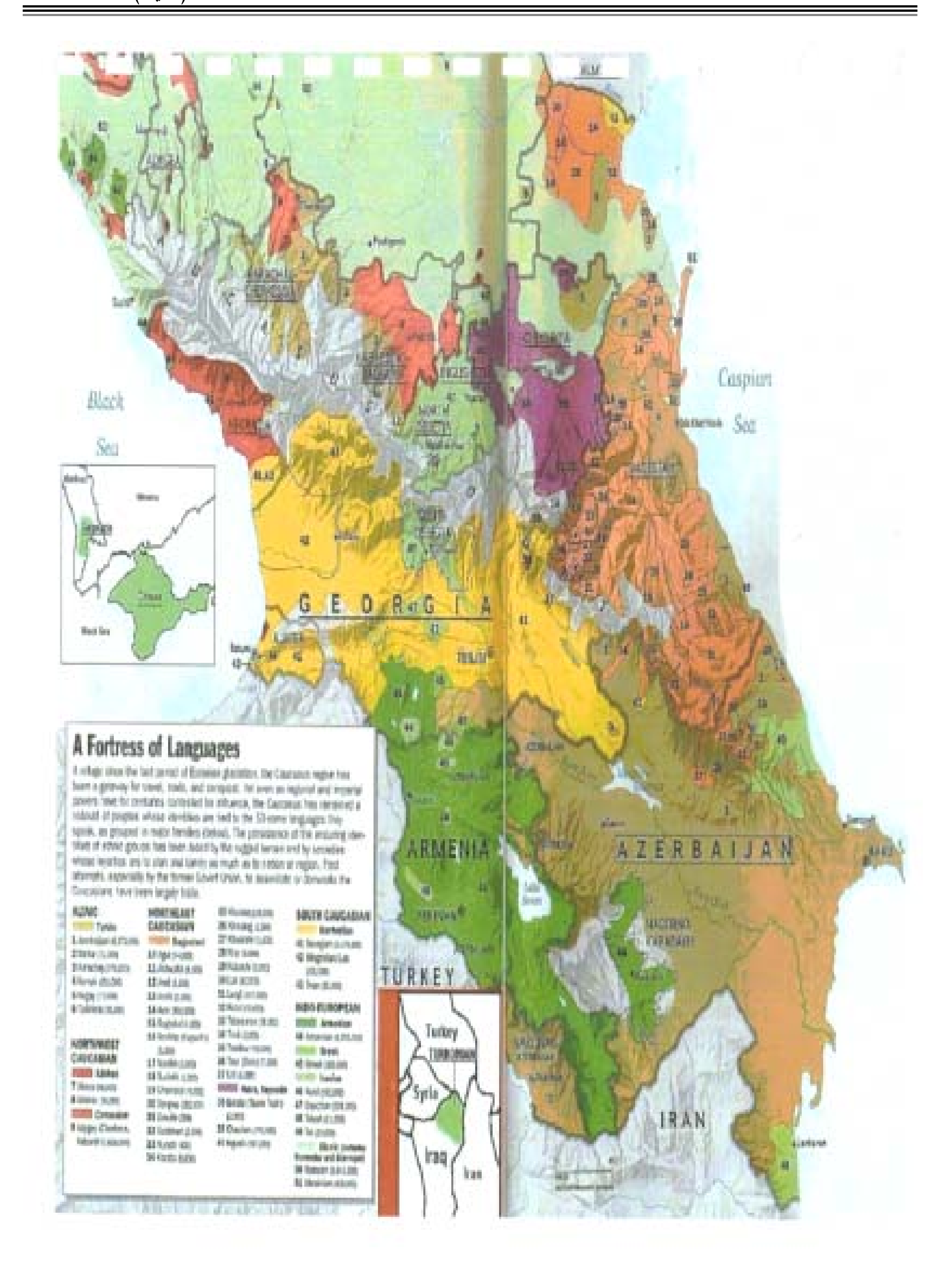
ثالثا: قوميات الكتلة القفقاسية الجنوبية

تتكون القوميات التي كانت تعيش في المناطق الجنوبية لبلاد القفقاس من (ثلاث) قوميات رئيسية وهي:

- القومية الكرجية: وهم في الأصل ينتمون للجنس الآري وهم أجداد الجورجيين الحاليين.
- القومية الأرمنية: وينتسبون في الأصل إلى الجنس الآري، وينحدرون من نسل (هاكبخ ين توعامور).
- القومية الألبانية: وهم من أصول آرية وأطلق عليهم اليونانيون (بالألبانيين) نسبة لطبيعة بلادهم الجبلية الصخرية وكان يحد بلادهم من الشمال بلاد الداغستان، ومن الجنوب بلاد الأرمن، وشرقاً بحر الخزر وغرباً الحوض الأوسط لنهر (تر) وهم يعرفون اليون (بالأذربيجانيين).

رابعا: قوميات وشعوب بلاد القفقاس بعد الاحتلال الروسي وفي العصر الحديث

يجد الدارس للتاريخ الحديث للقوميات والشعوب المستوطنة في منطقة القفقاس عامة وفي بلاد الأمة الشركسية خاصة بأن (٢٨) قومية وشعباً تسكن هذه المنطقة حاليا، كما هو مبين في الخارطة المرفقة بعد أن كان عددها منذ مطلع القرون الوسطى حوالي (١٠) قوميات.



الخارطة

تبين القوميات والشعوب المستوطنة في منطقة القفقاس عامة وفي بلاد الأمة الشركسية خاصة في العصر الحديث

مصادر ومراجع الفصل الثاني

١- برقوق، اسماعيل، مصدر سابق ١٦٧.
٢- ناميتوق آتيك، مصدر سابق ص٣٢.
٣- هيرودوت، مصدر سابق.
٤- ناميتوق، آتيك، مصدر سابق ص: ٣٣-٤١.
٥- برقوق، اسماعيل ، مصدر سابق ص:١٦٧-٢٠٠.
٦- سمكوغ، برزج، مصدر سابق، ص: ٢١٩-٢٢٠.
٧- المصدر نفسه، ص٢٩٥.
٨- ناميتوق، آتيك، مصدر سابق ص: ٣٥.
٩- ناميتوق، آتيك، مصدر سابق ص: ٣٥.
١٠- ناميتوق، آتيك، مصدر سابق ص: ٤١.
١١- آبه- زاو، موسوعة تاريخ القفقاس ص: ٢٩٥.
١٢- آبه - زاو ، مصدر سابق ص: ٢٩٥.
١٣- برقوب بول، السلالة الأنتية، نشر في باريس عام ١٩١١.
١٤- جونانوق، مت يوسف عزت، تاريخ القوقاز، مصدر سابق، ص٨٣.
١٥- م. يروكوبيس – الحرب القوطية، تاريخ بلا ص: ٤٢.
١٦- نغموقة، باكمرزا شورا – تاريخ الاديغة، مصدر سابق ص١٨-١٩.
١٧- ناميتوق، آتيك، مصدر سابق، ص: ٤٦.
١٨- المصدر نفسه ص: ٤٢.
١٩- المصدر نفسه ص٤٥.

الفصل الثالث

شعوب وقبائل الأمة الشركسية التي كانت تسكن في الوطن الأم خلال المرحلة الممتدة من القرون الوسطى وحتى نهاية القرن التاسع عشر الميلادي

الدارس لتاريخ حياة الأمة الشركسية منذ القرون الوسطى وحتى العصر الحديث يجد بأن قبائل هذه الأمة عرفت بأكثر من اسم، وأن تلك الاسماء تبدلت وتغيرت تغييراً جزئياً احياناً، وكلياً أحياناً أخرى وأن هذه التغيرات حدثت في ثلاث مراحل أساسية وهي على النحو التالي:

المرحلة الأولى: وهي المرحلة الممتدة من القرون الوسطى وحتى القرن الرابع عشر الميلادي وتكونت الأمة الشركسية خلالها من سبع قبائل وهي الزيخ، والاباسك والآدمي، وكشك، وجيكيت، وسيركاسيا.

وفي المرحلة الثانية التي امتدت من القرن الرابع عشر وحتى نهاية حرب الابادة في عام ١٨٦٤، وهي المرحلة التي أصبحت فيها الأمة الشركسية تتكون من ثلاثة شعوب هي: الأديغية والابخاز (الابازة) والاوبيخ.

حيث أصبح شعب الاديغة مكوناً من اربعة شعوب

- **شعب القبردي**، وتضم ثلاث قبائل وهي قبردى الكبرى والقبردى الصغرى، وقبردى مزدوج، كما واصبح يطلق عليها قبائل (جلاخستني، وبسلني وقبردي مزدوك المسيحيين).
- **شعب الكياخ أو التشتاخ** وتضم (١٦) قبيلة شركسية كما هو موضح في الدراسة اللاحقة.
- **شعب الابخاز** فكانوا ينقسمون إلى قسمين رئيسيين هما:
  - **قسم الابخاز**، ويتكون من سبعة فروع أو قبائل.
  - **قسم الابازة أو الابازيين**، ويتكون من (٣١) فرعاً أو قبيلة.
- **شعب الأوبيخ، أو بخ أو بيوخ** كما يطلقونه على أنفسهم وكانوا يسكنون على شواطئ البحر الأسود.

وأما المرحلة الثالثة فهي المرحلة الممتدة ما بعد انتهاء حرب الابادة في عام ١٨٦٤ وحتى نهاية القرن التاسع عشر الميلادي، وفي هذه المرحلة تعددت القبائل واختلف المؤرخون وبعض الباحثين المختصين في دراسة شعوب شمال القفقاس حول عدد القبائل وأسمائها وحول اماكن تواجدهم.

وفيما يلي دراسة مختصرة لكل قبيلة من قبائل تلك المراحل.

- **قبائل المرحلة الأولى وهي المرحلة الممتدة من القرون الوسطى وحتى القرن الرابع عشر الميلادي.**

إن الدارس لأوضاع الشعوب والقبائل الشركسية المستوطنة في قفقاسيا الشمالية في (الوطن الأم) لا بد له من الرجوع إلى ما كتبه المؤرخون الفرنسيون والرومان والبيزنطيون أولاً، وكذلك الرجوع لما كتب عن هذه المرحلة نقلاً عن الرحالة والمؤرخين الاجانب أمثال: يروكوب، وكونستانتين، جان دوكاريان والجغرافي الجورجي فاخوشت، والرحالة انتريانو، وريان وغيرهم، بالإضافة لما كتبه قدامى المؤرخون العرب وعلى رأسهم المؤرخ الجغرافي المشهور (المسعودي) والجيهاني، والبكري والعزيزي.

هذا بالإضافة للاطلاع على ما كتبه المؤرخين الشراكسة نقلاً عن المؤرخين الاجانب المذكورين اعلاه وبالأخص المؤرخ (آتيك ناميتوق) في كتابه أصل الشراكسة المنشور في باريس عام ١٩٣٨ باللغة الفرنسية .[١] حيث أكد بأنه استمر استخدام بعض أسماء القبائل (الشركسية التي

كانت تستخدم في مرحلة ما قبل الميلاد وحتى مرحلة العصور الوسطى وما بعدها).. ومنها الأسماء التالية:

* **الأباسغ Abasqhes** وكانوا يعيشون في بداية العصور الوسطى على أرض (اللاز) كما كان موطنهم في تلك الفترة أوسع بكثير مما كان عليه في المراحل السابقة الذي لم يكن يخصص لهم إلا جزءاً من الساحل على شمال الأبسيل (Apsiles) بينما باقي الساحل كان يسكنه شعب اللاز.

* **الزيخ – Zikhes** وتحدث عنهم الأمبراطور البيزنطي (كونستانتين بروفروجنت Constantin Prophrogenet)، في كتابه (إدارة الامبراطورية) والذي أملاه على احد أبنائه في عام (٩٤١م) تحدث فيه قائلاً وكان شعب (كاساخ) يعيش وسط جزيرة كبيرة تسمى (آتيخ) (Atekh) بالقرب من كاساخ (٢).

* **قبائل آدمي – هات** وفي عام ٩٤٩م أضاف المؤرخ العربي (المسعودي) معلومات جديدة على المعلومات التي ذكرها المؤرخ البيزنطي حول قبائل (ادم – هات) كما قال: بأنه فيما وراء (الالان) بين القفقاس وبحر الروم (أي البحر الأسود)، يعيش الكشك (Kesheks) (أو كاساك Kasak) الذين هم بالتأكيد نفس القوم الذي أشار (كونستانتين Constantin Porphyrogenete) إليهم باسم (كاساخ) (Kasakhe) ، وهم الذين تذكرهم الوثائق الروسية باسم كوسوغ (Kassoghes) ويسميهم الأوسيت (الأستين) كسغ (Kossoghes) وما زال (الأستين) يدعون الشركس حتى الآن باسم (كسغ) وخاصة للقبرداي. وكذلك فإن المنغوليين (Mingreliens) كانوا يطلقون على الشركس اسم (كاشاك Kachak وأضاف المسعودي بقوله: كانوا يملكون الحصون على ساحل البحر ويتصل عن طريق البحر بطرابزون ومن الجانب الآخر كان مجاوراً (للالان) وهكذا فإن (الكشك) الذين يشير إليهم (المسعودي) كانوا يسيطرون على كل الأرض الشركسية (آديغة)، أي على كل شمال غرب القفقاس. وأنشأوا القلاع القوية على شاطئ البحر والتي كانت تحميهم من غارات (الالان).

* **الكشك**

وفي مقطع آخر من كتاب ذلك الجغرافي العربي (المسعودي) نجد معلومات تفيد بأن (الكشك) كانوا يفدون بأعداد كبيرة إلى المعارض والأسواق التي كانت تقام في (طرابزون)، ووصفهم **بأنهم شعب ذو اخلاق حميدة ويدين بالديانة الوثنية. ولا يوجد أي شعب آخر من الشعوب التي تقطن في هذه الأرجاء أو في الأقاليم الأخرى، عنده من الكمال الجسماني والأخلاقي، واللون الصافي، والرجال الوسيمين والنساء الجميلات مثل هذا الشعب اطلاقاً ولا يوجد في أي مكان آخر في العالم مثل هؤلاء الناس في رشاقة أجسامهم وتناسق أعضاء جسمهم** (٣).

* **الحيكيت:**

أطلق (الجورجيون) اواخر القرن السادس الميلادي، وبالتحديد ابتداء من (٥٧٥م) اسم (جيكيت Jikth) وهم أجداد (الأبخاز) والجغرافي (فاخوست)(١١) كان يميز بين (الجيك – Djik) وبين الإبخاز (الأديغ) القاطنين في الشمال قائلاً: الأبخاز والجيك يلبسون ويتسلحون مثل الشركس (Teherkes) تماماً.

ومهما يكن، فإنه لم يكن اسم جيك (Djik) يطلق إلا على جزء صغير من سكان الساحل: وهو الجزء الذي كان يعيش في جنوب الأوبيخ (Oubykh) وفي شمال الابخاز (Abkhazes) وكان العلماء يبحثون عن أصل بعض الكلمات مثل (جيغيت). (Djighit. Djighitovka) ويؤكد هذا المؤرخ أن الزيخ (Zikhes) أو الاديغة (Adyghe) كانوا يقطنون في الأراضي التي تمتد على الساحل ابتداء من نهر (تاناون Tanaon) أي (الدون) حتى (البسفور – Bosphore)، وخليج القديس حنا (Saint-Jean) وخليج بحر زاباشه (Zabache) أو بحر كانا (Cana) الذي كان قديما يسمى "بالوس ميئوئيس" وهو ما يسمى اليوم (بحر آزوف). ثم تمتد أراضيهم بعد ذلك على طول البحر نحو الجنوب، حتى خليج بويس (Buis) في اتجاه الفاز (Phase)، ويتصل هنا بالأفوغازيا (Avogasia) التي هي جزء من كولخيديا(Colchida) وكل هذه الضفة التي تسير بمحاذاة (بحر آزوف) يقرب

طولها من (٥٠٠) ميل. وهي تتسع لأكثر من مسيرة خمسة أيام نحو الشرق وإلى داخل الأراضي العائدة لهم.

كما كان يسكن (الزيخ) في كل هذه البلاد دون أن يكون عندهم أي مدن محصنة أو محاطة بالأسوار، وأكبر مدينة لهم وأكثرها سكانا ومركزا للتجمع البشري عندهم كانت مبنية داخل واد صغير يقع في قلب بلادهم واسمه (كراموق او كراموس) (Caramus) وتسمى الآن (تيمروق).

يؤكد المؤرخون البيزنطيون والعرب بأن عدداً من قبائل الامة الشركسية لم يعد لهم ذكر بعد العصور الوسطى مثل قبائل (المئوت والسيند) كما أن جزءاً كبيراً من بلادهم، وكذلك فإن المناطق التي كان يسكن فيها شعوب (الكركيت) الشركسية تحولت إلى منطقة يسكنها قبائل (آخايفتيوس– Achaia vetus) وإن قبائل (زيخيا)[٤] وهي التي سماها (المسعودي) قبائل (الكشك او كازاك أو كاساك)[٥].

وأما المناطق التي كان يسكنها (الأخائيين) فأصبحت تسكنها قبائل (الزيخ) بينما المناطق التي كان يسكنها قبائل (الحنيوح) أصبحت مأهولة بقبائل (السانيغ) وفي وقت لاحق صارت موطناً (للاباسغ).

و**خلاصة القول إنه لم يعد أي ذكر لقبائل المئوت، والسيند والاخائيين والسانيخ** التي كانت تسكن الشمال الغربي للقفقاس في المراحل السابقة للعصور الوسطى. كما أن اسم (كريكت) أصبح يعرف باسم (سركاس) عند الايطاليين، وباسم تشيركيس أو تشيركاس عند الروس والتتار [٥].

واشار المؤرخون بأن تناقص أعداد القبائل الشركسية التي كانت موجودة ومعروفة منذ عصور ما قبل الميلاد في أوائل القرون الأولى لميلاد المسيح، لا يعني اختفاء هذه القبائل، أو انها قد زالت عن الوجود، بل إن الواقع هو حدوث تغييرات في التسميات فأصبح لها تسميات جديدة وأن بعضها اندمجت مع قبائل أخرى أو انها رحلت من المناطق التي كانت تسكن فيها.

مقارنة الاسماء القديمة للشراكسة بالاسماء التي كانت مستخدمة في العصور الوسطى

نجد من مقارنة أسماء القبائل التي كانت موجودة ومعروفة في عصور ما قبل الميلاد وحتى القرون الأولى ما بعد الميلاد مع اسمائها في القرون الوسطى وحتى القرن السابع عشر الميلادي بأنها أصبحت على النحو التالي:

قبائل عصور ما قبل الميلاد وحتى القرون الأولى للميلاد	قبائل العصور الوسطى وحتى القرن السابع عشر الميلادي
* النارتيون	* الزيخ
* الانت	* الاباسغ
* المه ؤت	* آدمي – هات
* كركت	* الكشك – كاساك – كوسوغ – كسغ
* آخين	* جيكيت – الجيك
* زيخ – زيك	* سيركاسيا – سيركاس
* حانوخ	
* سانوخ	
* الباسك	

ويلاحظ من هذه المقارنة ظهور خمس حقائق وهي:

الأولى: اختفت أسماء نارت، والآنت والمه – ؤت – وكركت وآخن وحانوخ، وسانوخ، وأستمر استخدام اسماء الزيخ (الزيك) والأباسغ (باسك).

الثانية: ظهور اسماء جديدة لم تكن معروفة في العصور القديمة وهي:

أدمي هات، الكشك وكاساك وكسوغ (اوكسغ) وجيكيت أو (الجيك) وسيركاسيا أو سيركاسي.

الثالثة: أصبح الشراكسة يطلقون على أنفسهم اسم (أديغة– Adiga).

الرابعة: كان أول من استخدم اسم (سركاسي – Ciucassi) هو جان دوكاربان عام ١٢٤٥م. كما ان أول خارطة ظهر عليها اسم (سيركاسيا) هي الخارطة التي وضعها الجغرافي الصيني كنغ شي كاتيان في عام ١٣٣١ .

- **قبائل المرحلة الثانية وهي المرحلة التي تمتد من القرن الرابع عشر وحتى قرن نهاية حرب الدمار والإبادة للأمة الشركسية في عام ١٨٦٤**

للتحقق من تاريخ وأسماء شعوب الأمة الشركسية في الفترة المبينة أعلاه قمنا بدراسة وتحليل ما كتبه كل من :

- القنصل الفرنسي في القرم وهو (غلاقاني Xaverio Glavani) عام (١٧٢٤م) وكذلك ما كتبه قنصل فرنسي آخر في القرم أيضاً وهو (م. دي بسونيل –M. De Peyssonel) .
- الباحث (كولد ينشتيد Guldenstaed) الذي زار القفقاس على رأس بعثة علمية في عام ١٧٦٨.
- ح. رانيغ والذي زار القفقاس عام ١٧٩٠.
- المؤرخ (بالاس Pallas) الذي كتب عن بلاد الشركس عام ١٧٩٣.
- الرحالة الفرنسي (كلابروت – Klaproth) الذي زار بلاد الشركس عامي ١٨٠٨–١٨٠٧م.
- بالإضافة إلى ما كتبه كل من برونيفسكي Broncwski ولوليه. Lulie ودوبويس– Dobois وأيضا بيل Bell J.s الذي زار بلاد الشركس عامي ١٨٣٧–١٨٣٩.

بدراسة وتحليل ما كتبه هؤلاء المؤرخون والرحالة توصلنا إلى مجموعة من الوقائع والحقــائق التاريخية:

الحقيقة الأولى

قام قنصل فرنسا في القرم غلافاني (Xaverio Glavani) في عام ١٧٢٤ بتقسيم بلاد الشركس إلى أربع عشرة منطقة (كانتون) أو امارة. وعلى الرغم من أن الوصف الذي قام به لم يكن كاملاً ولا دقيقاً، إلا أنه كان أول مؤلف أوروبي يصنف الفروع المختلفة للشعب الشركسي، كما أنه يكتب أسماء المناطق بشكل لا يمكن العثور عليه في كتابات أخرى. فمثلاً كتب (بيزيدو Bizedou) بدلا من (بظدغوBjedoukh) مما يجعله يستنتج أن الحرف الأخير(خkh) ما هو إلا علامة للجمع. كما أنه يسجل اسم قيميرغيا(Gemirgia) بدلا من (قمرغوي) كما يكتبه المؤلفون الروس، وكذلك يقول (بيسني أو بيسيني Besney ou Bessini) بدلاً من (بيسلني Besleney)، وهكذا فإنه أورد، على سبيل المثال، اسم (كراباي Karabay) المرتبط حسب رأيه ب (غيمير غيا Gemirgia) بينما زعم (كلابروت Klaproth) أنه يعود إلى فرع البظدغو (Bjedoukhe) (٥).

الحقيقة الثانية

قام قنصل فرنسي آخر في القرم وهو (م. دوبيسونيل M.de Peyssonnel) عام ١٧٢٥ بتنظيم جدول بأسماء القبائل الشركسية. وكان يحوي ثلاثين اسما بعضها صعب التمييز، مثل: توالاني، جيغورتيز بيتشون، آوك، بالشي، برتيباي Tolani, Djeguritz, Bitchoune, Aoug,

(Balchi, Bertebai) وبالمقابل فإنه يحوي الفروع الهامة التي كان يجهلها زميله السابق (كلافاني Glavani) مثل: (حاجوكاي Hadjoukai) و (حاتيكواي Hatiboi) و (يجركواي Egherkoai) و (ابزاش Abezaches) و (آبازاخ Abazakh) كما أنه يسجل أسماء القبائل الصغيرة التي نسيها كل المؤلفين الآخرين مثل (السييدي Seidi) وهم فرع من الأبازة. كما أنه يدون بعض الاسماء بطريقة صحيحة أكثر من غيره مثل: (كيمر – كوى Kemir –Keui) الذي هو أقرب إلى الاسم الحقيقي الصحيح. بينما اكتفى الروس بكتابته بشكل (تيمركواي Temirgoi) مقلدين بذلك التتر الذين سبقوهم إلى تحريف ذلك الاسم.

الحقيقة الثالثة

يعتبر (كولد ينشيد) أفضل من كتب منذ عام (١٧٦٨م) عن بلاد الشركس والأبخاز حيث قدم كثيراً من المعلومات القيمة التي أصبحت مرجعاً لمن أتى بعده من الباحثين خاصة بالنسبة لقبائل الابخاز وقسمها لثلاثة أقسام وهي:

قسم الجنوب الغربي: ومنها أبخازيا القديمة وتضم (شيربيت، تشاجي، سادز، وآيبيكا Chirpit, Tschadcshi, Sads et Aipga) وهو القسم التي يسمها الشركس كوشهاسيب Kuschasip ومعناه (ما وراء الجبل).

قسم الشمال الغربي: وتضم (توبي، اولوخ، شايسيخ، اوشابسو، آشة، ورووكوش Tubi, Uleuch, Schapsich, ou schapso, Ache et Rokush) .

قسم الشمال الشرقي: أو (كيسيك) وتضم كل من القبائل (قزلبك، تام، شكراي، باروكاي، أوباخ، باشلباي وسابار).

أما بالنسبة لبلاد الشركس الأصلية فإنها تقسم إلى ثمانية أقسام: (قباردا الكبرى، بيسلين، تيميركوي – مانيشاخ، آبازيخ، بشيدوع، حاتوكاي، بشانه (Gran de-Kabardia, Beslen-Temirgoi-Manischach-Abazech-Bscheduch-Hatukei-Bschane) .

الحقيقة الرابعة:

قام (بالاس) الذي زار بلاد الشركس عام ١٧٩٣ بتقسيم بلاد الابخاز إلى قسمين رئيسين هما:

أ- ابازا الصغرى ومنها يشتق فروع وهي: شانتيمر، كليتش، كيشا، لو، بيبيرت ودوداروك (Schantemir, Klitsch, Kescha, Lou, Bibert et Dudaruk).

ب- ابازا الكبرى أو ابازة الشمال الغربي ومنها ستة فروع أيضا هي: بيشلباي، باراكاي، توبي واوبوخ، شايسيخ، ناتوخاش أو ناتشو، كايتش (Beschilbai, Barakai Tubi et Ubuk, Schapsich, Natuchasch ou Natchu, Kaitch).

وأما بالنسبة للشركس الأصليين، فمثلهم مثل المؤرخين الآخرين الذين ظلوا يخطئون مدة طويلة بتصنيف الشابسوغ والناتخوي (Chapsoug et Natkhoi) بين الابازة (Abazes)، مع أن هؤلاء يتكلمون لغة الاديغة (Adyghe) ولا يعتبرون أنفسهم إطلاقاً ابازة، كما أن بالاس (Pallas) كتب اسم (جانا بشكل سانا) (Jane = Sane)، وذلك ما لا نجده عند أي مؤلف حديث آخر، ولكنه مطابق تماماً للاسم القديم ساني أو سانيغ (سانيغوي) (Sanigoi Sani ou Sanig).[١٠]

الحقيقة الخامسة

قدم لنا المؤرخ الشركسي آيتك ناميتوق في كتابه أصل الشراكسة[١١] تلخيصا لما كتبه الرحالة والمؤرخون الفرنسيون عامة، وبالتحديد نقلا عما كتبه كل من كلايرد، وبرونيفسكي، ولوليه، وديوبيسن وبيل، وكذلك عن أهم الرحالة والباحثين الذين زاروا بلاد الشركس (الاديغة) في النصف

الأول من القرن التاسع عشر وبالتحديد ما بين اعوام (١٨٠٧-١٨٣٩)م عن القبائل الشركسية (الاديغة) وأقسامها وأسمائها وأماكن استيطانها ونلخصها على النحو التالي:

أولا: يقسم الأمة (الشركسية) إلى ثلاثة شعوب وهي:

* شعب الشركس، الذين يسمون انفسهم (أديغي Adyghe).

* شعب الأوبيخ، ويعتبرون من شعوب (أديغي Adyghe). ولكن لهجتهم تختلف عن لهجة الأديغة بشكل بيّن.

* شعب الأبخاز – أبازة (Abkhaso-Abaze). ولغتهم المعاصرة تختلف عن لغة الأديغة أيضا.

وفيما يلي وصف ملخص لكل شعب من هذه الشعوب الثلاثة:

*** الشعب الشركسي (الاديغي) وينقسمون إلى مجموعتين هما:**

مجموعة القباردية (او القبردي) ومجموعة الكباخ او تشتاخ واعتمد في هذا التقسيم على المنطقة الجغرافية التي تتواجد فيها كل مجموعة، وكذلك على اللهجة المستخدمة لدى كل من قبائل المجموعتين.

وضمت مجموعة الكياخ (التشتاخ) القبائل والفروع التالية:

١- كرون (Grouun) الذين يقيمون في شبه الجزيرة التي تمتد بين خليجي اسك (Eisk) وبيسوك (Beisug) وهذه القبيلة الشركسية لم تعد تسكن في المكان نفسه، إذ اضطرت بالفعل بعد احتلال تلك المنطقة من قبل الروس إلى الهجرة نحو الجنوب وإلى الاختلاط بالقبائل الشركسية الآخرى).

٢- الهاتقو او الهتيوك (Hatko ou Hetouk) وكانوا يعيشون في جزيرة تامان (Taman)، وانسحبوا إلى الضفة اليسرى لنهر الكوبان بعد احتلال الروس للقرم. وفي عام ١٧٩١م عندما استولى الروس على نهر آنابه (Anapa) هلك الكثير منهم في القتال وانقرضوا تقريباً أو اندمجوا بالقبائل المجاورة لهم. ويطلق عليهم أيضاً الاسم التتري (آدالي Adaly) أي سكان الجزيرة، وقد ذكرهم دوبيسونيل (De peyssonnel) باسم آدا (Ada) والبعض يرجع الاسم الوطني للشركس (آديغ) إلى هذه الكلمة التترية (آدا ومعناها جزيرة).

٣- التشبين (Tchebein) وقد اندمجوا مع الناتكوى (Natkoi) فيما بعد.

٤- الخياك (Khegak) وكانوا يسكنون قرب مدينة آنابة (Anapa) وبقايا هذه القبيلة التي حصدها الطاعون الذي اتت به الجيوش الروسية عام ١٨١٢م، قد تفرقت خلال القرن التاسع عشر، وكثير منهم اختلطوا بالناتكوى ويقول بعض الباحثين أن اسمهم مشتق من كلمة (khi) ومعناه البحر باللغة الشركسية.

٥- زاني / جاني (JANE) وكانوا يقطنون قديما على الضفة اليمنى لنهر الكوبان، ولكن البظدغو (Bjedoukh) دفعوهم نحو جزيرة دتلياسف (Detliasf) (قره- كوبان Kara, Kouban).

وفي عام ١٧٧٨م عند اقتراب الروس، رحل (الزاني) إلى الضفة اليسرى لنهر الكوبان وعاشوا حتى عام ١٨٦٤م على ضفاف انهار بتشيتس وخوخاي (Pchets et Khokhai) بالقرب من آنابا (Anapa) وعلى ضفاف نهر اداغوم (Adagum) وكان يرأسهم الامراء سانيكو (Saneko) وزاني أو ساني (Zane ou Sane) وميداووكو (Medawoko).

٦- الناتوكوي او الناتخوى، ناتخواج (Natkoi ou Natkhoi, Natkhoaj) وكانوا يسكنون بالقرب من السلسلة الأخيرة للجبال السوداء الواقعة على شواطىء البحر الأسود بدءاً من شبه جزيرة تامان حتى بلاد الاوبيخ (Oubykh) في الجنوب وبين عشرة وديان، وفي الثابت أن هذه القبيلة تتشكل من الابازة.

٧- الشابسوغ أو الشابسوخ (Chapsoughou Chapsoukh) وكان موطنهم إلى الشرق وعلى أنهار اوبن (Ubin)، وبسيكابي (Psikabe)، وشيبس (Chips)، وافيبس (Afips) وأيل، وكذلك على السفح الجنوبي لسلسلة جبال القفقاس، حيث كانوا يسكنون في وادي بسيزوي (Psizuy)، وذهب بعض الباحثين منهم إلى اعتبار أصل هذه القبيلة واحداً من أصل القبرداي (كلابروث Klaproth)، وآخرون صنفوهم بين قبائل الابازة (Abazes) (مثل غول دينشتيدت وبالاس وغيرهما (Guldenstaedi Pallas etc)، وفئة ثالثة اعتبرتها خليطة آديغي- آبازي (Adyghe-Abaze) (مثل برونيفسكي Bronevski). ولكن مهما يكن فإن لهجة هذه القبيلة لا تختلف أبدا عن لهجة (بظدوغ وكيميرغوي) (Bjedoukh-Kemirgoi) (بظدغو، تشامركوي أو تشامكوي) وباقي القبائل الشركسية من مجموعة تشاخ (أو كياخ).

٨- البظدوغ (Bjedoukh) وكانوا يسكنون شرقي (الشابسوغ) على ضفاف انهار بسيش (Psich) وبسيخومات (Psikhomat) أو مارت (Mart) وبيتشاش (Ptchach) وبسيقوبس (Psecups) [٢٤] وتشبي (Tchebi) واونابات (Unabat)، وسوب (Sup). وكانوا ينقسمون إلى فرعين (كركناي (Kerkeney) و(خمشاي- Khamichey) الذين سميا باسم اخين بطلين اعطيا اسميهما لقسمي القبيلة وهما الاميران (كركن – Kerken) و(خاميش –Khamich). وكان قسم من البظدوغ يقطن الضفة اليمنى (أي الشمالية) لنهر الكوبان قبل وصول القوزاق ولكنهم هجروها حينذاك، والآن يقيمون فقط على الضفة اليسرى منه، وهم يشكلون مع الكمرغوي الكتلة الاساسية للشركس – الجياخ (تشاخ) (Circassiens-Kiakhs) الذين بقوا في القفقاس. لقد كان (البظدوغ) مشهورين ببراعتهم في التعدين، وإن استثمار مناجم الفضة بالقرب من لابابه Labape الواقعة في بلادهم، كان يعطيهم شهرة كبيرة.

٩- الحاتيكوي Hatikoi (حاتيقواي) وكانوا يقيمون بين نهري (صحاكواش وبسيب) (Shagoache, Psip) وقديما كانوا يصلون إلى الغرب حتى أحواض انهار افيبس، اوبين، غيل، ايل (Afips, Ubin, Ghil Eyel).

إن الحاتكو Hatko الذين كانوا يسكنون في جزيرة تامان ليسوا فرعا من هذه القبيلة كما يبدو، كما نعلم أيضاً أن جزءاً من الحاتقواي قد انفصل عن مجموع القبيلة ليذهب وينضم إلى الشابسوغ والناتكوي، بينما كان قسم ثان من الباقين يندمج مع الكمرغوي.

١٠- الكمرقوي Kemirgoi وكانوا يقطنون شرقي البظدوغ والحاتقواي بين نهر الكوبان وأنهار لابا (Laba) وصحاكواش (Shagoache) وعلى ضفاف انهر (بسيناسوغ، غياغا، فارز، ول، دزاغو، وتشوكراج – (Psinasug, Ghoaga Ul, Farz, Dzago et, Tchokradj) . وكانوا يتصلون بالموخوش (Mokhoch) على ضفة نهر (آريم Arim) بالقرب من البلدة القديمة (جيراكي Dkiraki جراقي).

١١- الآدمي Ademi ويسكنون على ضفاف نهر بسيغا (Psega) وبالقرب من بسيش (Psich) .

١٢- اليجركوي Egherkhoi أو (يجرقواي) يسكنون حول جراقي وراتازي (Djiraki et Ratazi) .

١٣- الكيراي Kirai ويسكنون بالقرب من قبيلة (الأدمي).

١٤- الابزاخ (Abazakh, Abzakh) ، وكانوا يسكنون حوض نهر صحاكوش (Shagoache) وروافده، كورجيبس (ومعناه النهر الجورجي) بشيحا، بخاتز، تفيزيس (Kurdjips, Pkhatz, Tfizeps) وكذلك حوض نهر لابا وروافده بشيزوي، شيغوبسين، حاغور وفارز، (Psizuy, Chegupsin, Hagur, et Farz) وأيضا حوض بسيش (Psich) وروافده: نارت، بتشاص (Mart, Ptcharch) ومنهم من كان يسكن ايضاً حوض بسيكوبس (Psecups) وكذلك حوضي ونابات سوب (Unabat Sup) وهذا الأخير هو الذي يشكل الحد الفاصل بين الابزاخ والشابسوغ ويعتقد بشكل عام أن الابزاخ خليط من (الاديغي والابازة) وبشكل أكثر من (الاديغي والاوبيخ) حتى أن اسمهم يؤكد تلك الفرضية بينما يزعم البعض الآخر أن هذه القبيلة

أخذت اسمها: آبازاخ من اسم فتاة شركسية جميلة كانت تعيش قديما في منطقتهم، أما التفسير الذي يقدمه الشركس انفسهم لذلك الاسم هو: آبازام (م) + يخ = Abaza (m) + ikh وذلك يعني (ما دون الابازة او ما بعد الابازة). وفي الواقع فإن (الابزاخ) يجاورون (الابازة) من ناحية الشرق.

يشكل الابزاخ واحدة من أهم القبائل الشركسية. وقد كانوا يتمتعون بدستور وبقوانين ديمقراطية، كما كانوا يشتغلون بالتعدين وفي استثمار مناجم الحديد في وادي نهر بتشاش (Ptchach) ومناجم الرصاص في وادي نهر كورجيبس (Kurdjips) تلك المناجم التي كانت مشهورة جداً كما لعبت هذه القبيلة مع قبيلة الاوبيخ دوراً هاماً جداً في السنين الأخيرة من الحرب ضد روسيا.

١٥- الموخوش Mokhoch كانت مواطنهم واقعة في جنوب شرقي الكمرغوي وعلى ضفاف نهر (فارز) وعلى سفوح الجبال السوداء. وبلادهم هذه كانت تجتازها انهار شيمبلوناخي (Chimblonakhe) تشوكراج (Tchokradj) بسيفير (Psifir) وعلى ضفاف هذا النهر الاخير كانت توجد بلدتي مربري (Merberi) وكورغوكاي (Kurgokai) وكذلك نهر بسيخوش (Psekuch) وكالخ (Kalkh) وآريم (Arim). وكان على رأس قبيلة الموخوش منذ زمن طويل الأمراء من آل بوغارسوق (Bogarsoko).

١٦- الآغوي Agoi (اكوي) وكانوا يقطنون جنوب الناتكوى (ناتخواي أو ناتخواج) على شاطئ البحر الأسود بالقرب من طوابسه (Tuapse) ويدعوهم الكمرغوي (Kemirgoi) وبعض القبائل الشركسية الأخرى باسم حاكوش (Kakoutch) (حاكئوتش، حاكئوتصو) بينما يطلق عليهم البظدوغ والشابسوغ والناتخواي اسم (آغوي). ومن هذا الاسم اشتق اسم غويتخ (Goitkh) وهو الأسم الذي يطلق على الوديان الواقعة قرب طوابسه وآغويه (Tuapse, Aghuya)، وهذا الاسم الاخير يطلق على نهر صغير مجاور لطوابسه.

- **قبائل شعب القبرطاي:** وتضم كل من قبائل كباردا الكبرى، وكباردا الصغرى وهم البسلني منذ عام ١٧٥٩ علماً بأنهما كانت قبيلة واحدة قبل ذلك. حيث قام الامير كورغوكو ومؤيده بالانفصال (على إثر خلافات على الزعامة) بعد موت والدهم أمير الامراء (اينال الكبير) واستوطنوا الضفة اليسرى لنهر (التيرك) وقاموا بتأسيس مدينة كباردى الصغرى. وأما الذين لم يغادروا موطنهم الأصلي اطلق عليهم اسم كباردى الكبرى، وكانوا يقيمون في احواض أنهر شجم، باخسان، مالكا، يودكوموك، كوما (Tehegem, Baksan Malka, Podkoumok, Kouma)، وكذلك فإن قسما من قبائل كباردا يعيشون في منطقة مزدوك وهم من الشراكسة الذين يؤمنون بالديانة المسيحية.

كما أنهم كانوا يقيمون في القرى والمدن الخاصة بهم في منطقة زيلينتشوك (Zelentchuk) ومعناها بالشركسية: ينزج، ينج وتسمى الآن (قرشاى شركس) وهم (البسلني) [١٣].

- **شعب الاوبيخ Oubykh (وبخ)** الذين يطلقون على أنفسهم اسم بخ او بيوخ (Pekh, Piokh)، وهم يقطنون حول منابع (Shagoache, Pcheha) أي (صحكواشه، بشح) وعلى شواطئ البحر الأسود ويجري في بلادهم انهر زويبرة، لون، نيغة، باتخ، داغوميس، بسيخ، ساخه (Zuebze, Lon, Nighe, Batkh, Dagomeps, Psikh, Sakhe) ويجاورهم الناتخواي والاغوى والابزاخ في الشمال والشرق، والابخاز من الجنوب، وهم يشكلون نقطة الانتقال أو مرحلة وسط بين (الاديغي والابخاز) وعلى الرغم من أن كثيراً من المؤلفين يعدونهم من قبيلة الابازة، إلا أن لهجتهم تختلف اختلافاً فنيا عن لهجة الابازة وانها لهجة وسط بين الابازة ولهجة الاديغة.

*** شعب الابخاز ويمكن تقسيمهم إلى قسمين (فرعين اثنين) هما:**

* الابخاز. * الابازة

ويطلق الشركس على القسم الأول الاسم العام (ازيغ أو ازاغة Azyg Azghe) بينما يسميهم الاوبيخ ادزيغة Adzyghe وهؤلاء هم الابازة المقيمون وراء الجبال. أما الابازة فإنهم يسمون الابخاز باسم ابسوفي (Apsowi) والجورجيون يدعونهم اوبيزا، اوبازا، ايسيلي ,Obesa) Obasa, Apsili) وتتكون قبيلة الابخاز من العشائر التالية:

- البزيبة (Bzibe) وهم جيران الاوبيخ من الجنوب.
- الاخيبس (Akhips): ويمتد سكنهم من سوخوم (Soukhoum) حتى كابيتي (Kabeti).
- الايبغا (Aibga) وهم القاطنون على ضفاف نهر كودور (Kodor).
- الزامبال (Zambal) وهم الذين يدعوهم الروس باسم تزيبيلدينتزي Tzebldintzi ويقيمون في وديان كودور (Kodor)، ودال (Dal) .
- الخربيس (Khirpis) وهم يجاورون السوان (Svanes) من الشرق.
- التشاجي (Tchaji) ويقطنون ضفاف آغر (Aghir) ومارمار (Marmar).
- السادزة (Sadze) (أو الزادس Zads حسب قول كلابرون) ويسكنون على ضفاف نهر اوخوم Okhum .

أما الابازة (ابازين) الذين يسميهم الابخاز عموما باسم أشو (Acho) أو آبسغاتش (Apsgatch) فإنهم ينقسمون إلى عدد كبير من القبائل الصغيرة التي تحمل أسماء متعددة، وفيما يلي أهمها:

- التابانتا (Tapanta) ذلك هو الاسم الذي يطلقه على أنفسهم الابازة من الفروع الستة (آلتي – كيسيك آباز Alti-Kessek Abaza كما يلقبهم التتر) أما الشركس فيدعونهم (الاديغة) فإنهم يدعونهم باسكي (Baski).

وهؤلاء يشكلون المجموعة الشرقية من الابازة، فهم يسكنون بالفعل بالقرب من منابع الكوبان وزيلينتشوك الكبير والصغير وكانت منطقتهم تمتد في بداية القرن الماضي إلى حوضي الكوما والبودكوموك (Podkounok) .

- الباتشلباي أو الباشلباي – ويقطنون في الوديان العليا لنهري اوروب (Ouroup) (وارب Uarp)، وزلنتشوك الكبير.
- الميدوا (Medwa) (أو ميداوي Midawe) أو (ماجوا – Madjwa) وكانوا يقيمون على الضفاف العليا لنهر (لابا) بالقرب من الابزاخ، وكان مركزهم موجودا في المكان الذي تشغله حاليا بلدة باغسكايا (Bagskaya) .
- الكازيلبك (Kazilbeg) أو الكازيلبيكيت [٣٣] وكانت مساكنهم في الجبال بالقرب من منابع نهري (لابا) الكبير والصغير وتمتد بلادهم حتى البحر الأسود تقريبا، وكانوا يتصلون من ناحية الشمال بالبسليني.
- الشجراي (Ghegrey) وكانوا يسكنون في وادي لابا الصغير.
- الايبيكو (Haibiko) وهم الجيران المباشرون (للشجراي) السابق ذكرهم.
- السييدي (Seidi) وهي عشيرة لم يذكرها إلا دوبيسونيل (De peysonnel). وكانوا يسكنون بالقرب من الايبيكو.
- الباغ (Bag) وكانوا يعيشون في المجرى الأعلى لنهر فادز (Fadz) وغير (خوذز Khodz).

إن هذه العشائر الخمسة الصغيرة الاخيرة ترتبط بقبيلة بالميدوا (Medwa).

- التام أو تامكيت (Tam, Tamkit) وكانت منازلهم على الضفاف العليا لنهر لابا الكبير، وبالقرب من منابع اوروب.
- الكوجو (Koujou) ويسميهم الشركس (كوجو– Kojou)، بينما يدعوهم الروس كوفتشينسكي – آول (Kouvchinski aoul) .
- الججين (Djedjene) وهم عشيرة صغيرة وهم جيران الرابي.
- البرزنديغ (Berzendig) وكانوا يسكنون إلى جوار الكوجو السابقين.
- السارابي (Sarapi) وهم جيران الججين، وكانوا يعيشون بين الوديان العليا لنهري لابا الكبير واوروب بالقرب من بلدة بريغرادنايا (Pregradnaya).

وتقول الروايات الشعبية التي يتناقلها الابازة، أن بلاد السارابي (Sarapi) كانت مفضلة من قبل أبطال النارت الذين كانوا يترددون عليها كثيرا، وفي هذه المنطقة بالذات وفي داخل غابة قيباغا (Qibaga) توجد المقبرة التي يرونها للناس ويقولون عنها انها مقبرة النارتيين.

- البراقي (Prakey) وكانوا يقطنون في ضفاف نهري غويس (Gups) وفادز (Fadz)، وهم ينتمون إلى نفس الأصل الذي يرجع إليه الميدوا (Medwa) وهم أقرباء أيضا للابخاز المقيمين في منطقة سوخوم التي لم يكونوا بعيدين عنها أكثر من ٤٠كم.
- التوبي (Toubi) ويسكنون بالقرب من منابع صحكواش Shagoache وبشيحا Pcheha.
- الهاتشيبس (Hatchipsi) وهم جيران الاوبيخ مثل العشائر الأخرى.
- سيسيبشيري (Sisipchire) ويقطنون إلى الغرب من السارابي (Sarapi).
- الشاشي (Chachi) وقد ذكرهم بيسونيل (Peysonnell) وكانوا يقطنون على شواطئ البحر الأسود، بالقرب من الاوبيخ.
- اراتخواس (Aratkhowas). ويسكنون بالقرب من الشاتي.
- تالكو (Talko) وهم يسكنون بالقرب من الاوبيخ.
- كوبيخان (Koubikhan) وكانوا يسكنون على ضفاف البحر الأسود في جوار نالكوبي – مادجاوا وايبسيب (Ibsip Nalkoupi Madjawa).

ويلاحظ أن التقسيم السابق إلى ثلاثة فروع للشركس اعتماداً على لهجاتهم لا ينطبق تماماً على الحقائق الانتوغرافية (وصف الاقوام) حيث أن (ظانة) عند الاديغة والابازة، وكذلك (الشابسوغ والناتخواي) يصنفهم البعض مع (الابازة). ونجد (الاغوي) بين الناتخواي والحاتقواي وعند (الشابسوغ والكمرغوي). و"اليجر قواي" الذين هم فرع من "الكمرغوي" نجد قسماً منهم من "الناتخواي" مثلما نجد "باغ" بين الابزاخ والابيخ.

- كوصحة – ظانة Kusha-Jane ومعنى ذلك الظانة الجبليون، وهم ظانة وامبير (وامبير بساريرخ – لابا صغير Wampir Psarerkh-Petit Laba)، وإن صفة (الجبلي) قد أضيفت إلى اسمهم لتمييزهم عن الظانة الأديغة. وعلى الرغم من أن هاتين القبيلتين (ظانة) تتكلمان بلهجتين مختلفتين: فإنه من الواضح انهما لم يكونا في الأصل إلا قبيلة واحدة.[١٣]

قبائل المرحلة الثالثة، وهي المرحلة الممتدة من عام ١٨٦٤ وحتى نهاية القرن التاسع عشر

ربما كان أفضل من صنّف القبائل الشركسية في هذه المرحلة هم الكتّاب والباحثون التالية أسماؤهم وعلى النحو التالي:

التصنيف للكاتب (جموخة) * في كتابه The Circassians (١٤) حيث تضمن القبائل الشركسية التي كانت تعيش في الوطن الأم في شمال القفقاس في السنوات الأخيرة من الحرب الروسية القفقاسية التي انتهت عام ١٨٦٤. إلى ثلاث عشرة قبيلة وهي:

١) قبردي / كباردينا – Kabardians .
٢) بسليني – Beslany .
٣) تيمر قوي/ تيمر كوي – Temirgoi .
٤) بظه – دوغ/بزادوغ – Bzhedugh.
٥) أبزاخ – Abzakh.
٦) زانه او جانه – Zhanin.
٧) موخوش – Mokhosh.
٨) تشلوقوه – Tcheluga .
٩) نارت خواج – Nantkhuaj.
١٠)حتوقوي – Hutuqwey.
١١) حاكوج – Hakuch وتضم عشائر خمش – Ximisch وتشيرشيني – Cherchenay، فينيل Vepsne وآدامي – Adamey (١٤).
١٢)أباظة / أبخازيا – Abkhazia – Abaza وهي قبيلة تعتبر أصلاً من القبائل الشركسية إلاّ أنها مع مرور الزمن أصبح لها لغة تختلف عن اللغة الشركسية لانقطاع اتصالها مع الشراكسة.
١٣)أوبيخ – Ubbykhs.

التصنيف الثاني:

وبالرجوع إلى التقرير السري الذي كتبه الجنرال الاستخباراتي الروسي (يوتنانت تورناو) عام ١٨٣٩م الذي سبق أن دخل حدود الأراضي الشركسية عام ١٨٣٤ من منطقة الكوبان عن طريق البحر الأسود بمهمة التجسس، (ألقوا القبض عليه ووضعوه تحت الإقامة الجبرية لمدة سنتين)، حيث جاء في تقريره بأنه زار قبيلة شركسية عام ١٨٣٤ وهي قبيلة بسليني وتقع في الطرف الأيسر من نهر كوبان وفي العام نفسه وقعت تحت احتلال الحكومة الروسية. غير أنهم رحلوا سراً إلى الطرف الأيمن من (النهر) عند مصب نهر (وارب) وأشار في تقريره لأسماء القبائل الشركسية التي كانت تعيش في حينها في شمال القفقاس وعلى النحو التالي:

(١) الكمركوي أو ليزروقة

وكان يحكمها الأمير (بلوتوقة) ومن بعده الأمير (شرلوقه)، وكان موطنهما في عام (١٨٣٤) في الأراضي الواقعة، ما بين نهري (لايه) و (صحة كواشه) وفي العام نفسه قام (الجنرال زاس) الذي كان الشراكسة يلقبونه (بالرأس المثقوب) بتهجير (الكمركوري واليزروقة) و (المخوص) من مواقع سكنهم إلى الطرف الأيسر من (نهر لابه).

(٢) المخوص:

كانت بإمرة الأمير (باغرسقو) ويقيمون في الطرف العلوي من الجهة اليسرى من (نهر لابه).

* الكاتب امجد حجوخة هو من الجيل الثالث من شراكسة المهجر في الأردن ومن المهتمين بكتابة تاريخ الأمة الشركسية باللغة الانكليزية وله أكثر من كتاب وبحث.

(٣) الحاتيقواي:

كانت قراهم موزعة على جانب (نهر لابه) وعلى الجانب الأيسر من نهر (صحه كواشه)، وأمراؤهم كانوا موالين للحكومة القيصرية الروسية.

(٤) البظه دوغ:

وكانت تسكن على جانب الأنهر (بسه قويس وبشيش) تحت وصاية أمرائهم (جه جناي – خمشي) وأصبحت القبيلة تحت إشراف الحكومة القيصرية الروسية.

(٥) القبرطاي:

كانوا يقيمون في الطرف الأخير من نهر (بشيز) وعند نهري (تيزن – وارب) وكذلك (ينج) الصغير، وأقام القبرطاي في ذلك المكان وبعلم الحكومة الروسية وكل قرية من قراهم، تحت إمرة أمرائهم أو نبلائهم.

(٦) الشابسوغ:

وقال عنهم الجنرال تورنادو [١٥] (هم أناس طيبون جداً وذوو همة عالية وشديدو المراس ورجالات حرب)، كانوا يقيمون قرب منبع (بسه قويس) وحتى نهر (الكوبان) وعلى شاطئ البحر الأسود من (أنابه) إلى نهر (صاقة). وأراضي الشابسيغ قسمان: القسم الأول: – شابسوغ* الكبير: وهم سكان الجبل على محاذاة نهر الكوبان، والقسم الثاني: شابسوغ الصغير: وهم سكان شاطئ البحر الأسود. ولم يكن لدى الشابسوغ أمراء ولا نبلاء، وكانوا يحترمون كبار السن (التحامادة) ويخضعون لآرائهم ونصائحهم وكانت قرى الشابسوغ الكبير تتبع نظاماً واحداً، وطراز معيشتهم متشابه.

أما قرى الشابسوغ الصغير فكانت كل قرية فيها مستقلة عن الأخرى، وكان رئيس القرية هو الحاكم الإداري لها، وهو من كبار السن ومن ذوي الرأي والخبرة، وكلا القبيلتين كانتا تتحدان وتتعاونان وتقفان صفاً واحداً حين المجابهة مع الروس، والشابسوغ المقيمين على شواطئ البحر الأسود، اختاروا مناطق لسكناهم في سفوح الجبال القريبة من الساحل لتكون تحت أنظارهم ولمراقبة جميع الطرق والمسالك المؤدية إلى البحر الأسود وعلى امتداد البصر. ورغم مخاطر الحرب ظل سكان الشابسوغ الصغير يربون المواشي ونساؤهم يتمتعن بحرية أكبر، وكان تمسكهم بالدين ضعيفاً.

(٧) الأبزاخ:

يفصل بين الأبزاخ والشابسوغ (نهر بسه قويسة) وكانوا موزعين على أطراف سفوح جبال القفقاس حتى نهر (صحة كواشة) للتمويه والاختفاء عن أعين الجيش الروسي، واختاروا مناطق الجبال والوديان والغابات لكي لا يؤخذوا على حين غرة. غير أنهم كانوا يفتقرون للأراضي الزراعية والمراعي والمياه الكافية.

وكان الأبزاخ غير خاضعين لإمرة أحد من الامراء ولم يكن لديهم أمراء إلاّ أنهم كانوا يحسبون حساب النبلاء لكثرة عددهم، ولم يكن النبلاء أغنياء، لذا كانوا يعيشون بدرجة الكفاف، أما النصف الباقي، فكانوا يغيرون على الأراضي التي استولى عليها الروس، وينهبون السكان، وعند الغارات كان الأبزاخ يتلقون المعونة من أخوانهم القبرطاي، وكذلك فإن شعب الأبزاخ كانوا غير متمسكين بأهداب الدين الإسلامي بصورة كاملة، إذ كان الدين عندهم في عهده الأول، وكانوا يفتقرون إلى العلماء والمشايخ ورجال الدين.

(٨) الأوبيخ

كانت أراضيهم مجاورة للتلال من جهة ما يسمونه (بشاقة) حيث تكثر مناجم الحديد، وبالقرب من نهر (بشاقة) وغابة (مزمارجية) يوجد بعض الأمكنة التي تنبع منها المياه المعدنية والكبريتية القابلة للاستجمام والعلاج.

* شابسوغ باللغة الشركسية معناها (الحصان المضمر) أو السايس الذي يضمر الحصان حيث أن (ش) معناها (حصان).

وأما الكاتب الشركسي (مرتقوه قاسم) من جمهورية اديغية في الوطن الأم ربما كان أفضل من حدد سكن القبائل الشركسية في منطقة (الاديغية) وكذلك كان يعتبر خبيراً في وصف أسماء القبائل الشركسية التي كانت تعيش في منطقة الكوبان في السنوات الأخيرة من حرب الإبادة والدمار الروسية والتي انتهت باحتلال الوطن الأم عام ١٨٦٤.

تناول (مرتقوة) في كتابه (تاريخ أسماء الاديغة) أسماء القبائل الشركسية التي تعيش في منطقة (الاديغية) وفي بعض المناطق الشركسية المحيطة فيها وبالاخص القبائل التي كانت تسكن اقليم ساحل البحر.*

وكذلك فإن (مرتقوة) هو أفضل كاتب قدم لنا وصفاً دقيقاً لمواقع سكن القبائل الشركسية في منطقة (الاديغية) وقدم تحليلا دقيقاً أيضاً لأسماء قبائل هذه المنطقة ومعنى اسم كل قبيلة ومدلولاته ومغزاه. حيث تناول (مرتقوة) في بحثه تاريخ (١٥) قبيلة شركسية وهي على النحو التالي:

القبيلة الأولى – آب دزاخ – أبزاخ ABD3Ax (١٦)

الموقع والحدود

امتدت اراضيها عبر السلسلة الجبلية في القفقاس الغربي من منخفض "توبه" وحتى مدينة "بس قاب" الحالية، التي تعرف أيضا بأسم "جورياتش كليوتش" وتتبع من أراضيها عدة أنهار منها:

- بش حا ، به قوبس ، بش ض ، لا به .

وتشترك حدود هذه القبيلة مع حدود قبيلة "شابغ" غرباً ومع حدود قبيلتي "بجدغو" و "حاتي قواي" شمالا، وحدود قبيلة "مام خيع" شرقاً، في حين تمتد أراضيها في الجنوب الغربي إلى حدود قبيلة "وبيخ" وأقامت القبيلة في قرى وبلدات عامرة، وانتشرت أهم مدن القبيلة في مختلف أنحاء أراضيها، منها على سبيل المثال:

- توبه ، داور حابلة ، حاتقوه حابلة ، نه دجقوه حابلة ، يدج حابلة.

اهتمام الرحالة بالقبيلة

تأخر اهتمام الرحالة بهذه القبيلة إلى اواسط القرن الثامن عشر، حيث أخذ بعض الرحالة الأجانب يترددون على هذه القبيلة، عبر المسالك الجبلية السرية، ويعود تأخر الاهتمام الجاد بهذه القبيلة إلى الطبيعة الجبلية الصعبة لأراضيها، حيث حالت هذه الطبيعة دون وصول الرحالة حتى وقت متأخر.

مصدر اسم القبيلة

تختلف الآراء حول معنى اسم القبيلة "آب دزاخ – أبزاخ" ويعيد معظم الباحثين هذا الاسم إلى الموقع الجغرافي لأراضي القبيلة، حيث تقع أسفل أراضي الأبخاز والأبازة، ويعتمدون في ذلك إلى تحليل الكلمة إلى مقطعين ويعطي هؤلاء المقطع الثاني "خ = X" معنى "أسفل، أدنى، منخفض" بحسب اللغة الشركسية (الأدي غيه). وبذلك يكون معنى الكلمة برأي هؤلاء هو: "الجماعة التي تعيش أسفل أراضي الأبازة".

إن التدقيق في الكلمة يثير الشك في المعنى الذي أعطي لها، اعتماداً على معنى المقطع الثاني "خ = X"، إذ يرد هذا المقطع في العديد من أسماء القبائل الأخرى، دون أن يأخذ هذا المعنى.

* ولم يتطرق لأسماء القبائل الشراكسة في منطقة تشركسيا والقبرطاي وكرسندار.

فروع القبيلة

كانت تتألف القبيلة من فرعين: عرف الأول بأسم "آبزاخ الأراضي العالية" والفرع الثاني باسم "أبزاخ الأراضي المنخفضة" وهذا ما يؤكد اختلاف اللهجة في القبيلة وتقع مواطن الفرع الأول في المناطق الجنوبية الشرقية من أراضي القبيلة، وبالتحديد منطقة "توبه" وهي منطقة جبيلة، وقد عرف هذا الفرع أيضا بالابزاخ الأصليين في حين تمتد أراضي الفرع الثاني في المنطقة الشمالية الغربية لأراضي القبيلة، ولا سيما في المنطقة التي تقع فيها اليوم مدينة "بس فاب".

المعالم الجغرافية

في أراضي القبيلة مواقع ومعالم جغرافية كثيرة، تحمل حتى الآن أسماء شركسية منها على سبيل المثال:

جبل الأبزاخ، ممر الأبزاخ، طريق الأبزاخ، مرعى الأبزاخ، نبع الأبزاخ، غابة الابزاخ، وغيرها، ولا تزال هذه الأسماء متداولة.

النظام الاجتماعي واللهجة:

لم يوجد في القبيلة نظام ملكي او نظام الإمارة خلافاً للقبائل الأخرى، وإنما كانت تتبع نظام (تحامادة) أو زعامة وقيادة كبار السن وللقبيلة لهجة أبزخية خاصة بها الا أن عدد المتحدثين فيها حالياً تراجع بسبب انتشار لهجة الأديغية الأدبية المستخدمة حالياً غير أن بعض كبار السن يتحدثون بهذه اللهجة حتى اليوم إضافة إلى الشباب الذين يتكلمون مزيجاً من اللهجة الأبزاخية واللغة الأدبية، دون أن يؤثر هذا على أولوية اللغة الأدبية.

عدد أفراد القبيلة

كان عدد أفراد القبيلة في مطلع القرن التاسع عشر هو ٢٠٠ الف نسمة ولم يبقَ منهم بعد التهجير القسري إلى تركيا سوى (١٦) ألف شخص.

القبيلة الثانية – قبيلة صابسيغ أو شابيغ

الحدود والموقع

تنقسم أراضي هذه القبيلة إلى قسمين، عرف الأول منها باسم "بلاد الصابسيغ الكبرى" في حين عرف الثاني باسم "بلاد الصايسيغ الصغرى" وتمتد أراضي الصابسيغ الكبرى بين حدود قبيلة "ابزاخ" والضفة اليمنى لنهر "آطاقوم" بما في ذلك الجزء الشمالي الغربي من سلسلة جبال القفقاس، في حين تمتد أراضي الصابسيغ الصغرى، من الضفة اليسرى لنهر "آطاقوم" وحتى أواسط شبه جزيرة تامان" بما في ذلك مناطق "آناب" و "تسته مز" على ساحل البحر الأسود.

أهم المدن:

المدن الساحلية وأهمها:

يس به، آجوي، تسته بس، صؤه يقو، حادج قو، صحه فيت، تحا غابص، صه حه كي الكبري، صه حه كي الصغرى .

المدن في جمهورية الاديغية حالياً

توزع من بقي بعد التهجير على أربع بلدات (قرى) في محافظة واحدة في الاديغية وهي:

آف بس ب، به نه حه س، بس ي تكو ، حاش تكو .

إضافة إلى هذه البلدات الأربع، هناك عدة قرى "صايسيغية"، لا تزال قائمة في منطقة البحر الأسود، أي الإقليم الساحلي.

اشتقاق الاسم

يعود اسم صابسيغ لأحد الاحتمالات التالية:

الأول: تفسر كلمة صابسيغ او شابسيغ بمعنى (اصحاب الخيل) أو المهتمين بالخيل.. اما لاحتمالات الأخرى هي:

- صاب = اسم علم + يسوغ = نحيف، رفيع، اي الشاب الوسيم.
- صخ سيغ = اعطى الجواد ومضى أي الفارس الذي انطلق ورحل.
- صب = صقيع + ستيغ = من حرق حرقا، أي المنطقة التي تكثر فيها حالات الصقيع الذي يحرق النبات ويكوي البشرة أو ولد وقت الصقيع الحارق.
- تشه به = حبل، تل + يسوغ = رفيع، أي سكان الجبل الرفيع.
- صح = مائة + يسوغ = رفيع، أي ما يعادل مائة شخص نحاف الجسم.

عدد أفراد القبيلة

كان يبلغ عددها في عام ١٨٣٠ (١٥٠) الف نسمة بقي منهم في الوطن الأم بعد التهجير القسري إلى تركيا في الأعوام ١٨٥٨ – ١٨٦٤ (٢١١٤) نسمة فقط.

المعالم الجغرافية

كانت بلاد الشابسوغ تضم نوعين من المعالم الجغرافية الأول الساحل والثاني الجبل وتم احتلالها بالكامل في عام ١٨٦٤ بعد حرب الإبادة والدمار. وربما كانت هذه القبيلة أكثر القبائل الشركسية تعرضاً للإبادة والتشريد من قبل قوات السلطات القيصيرية الروسية.

النظام الاجتماعي واللهجة

اتبعت هذه القبيلة منذ القدم نظام (التحامدة) وكانت الزعامة لكبار السن ولم يتبع فيها النظام الطبقي الذي كان متبعاً لدى قبائل القبرطاي والقبائل الشركسية الأخرى.

القبيلة الثالثة: قبيلة بجدغو – بجه دغو

الحدود والموقع

ارتحلت هذه القبيلة عدة مرات، وعاشت في مرحلة زمنية سابقة على ساحل البحر الأسود، وكانت حدود أراضيها، بحسب الخريطة التي أعدت في عام ١٨٣٠ على النحو الآتي:

- شمالاً: نهر "بصز = كوبان" – غرباً: أراضي قبيلة "شابسغ".
- جنوبا: أراضي قبيلة أبزاخ. – شرقاً: أراضي قبيلة "حاتي قواي".

أهم مدن القبيلة:

يسكن حالياً افراد قبيلة البجدوغ في مدن وبلدات عديدة منها:

به نج قواي، آصه قه لاي، قونتش قوه حابل، غوه به قواي، وتشه بيشي، دجه دجه حابل، يتش حابله، قواي.

معنى اسم بجدغو:

تختلف الآراء حول معنى كلمة "بجدغو أو بجه دغو" ويعتقد معظم الباحثين أن الكلمة تعني: الذي أخذ البجه "أي الكأس" ويعتمدون في ذلك على تحليل الكلمة إلى مقطعين هما:

بجه = كأس + تغو = سرق أو أخذ أو نال ويعتقد الكاتب "يش ماف آوله" غير هذا المعنى، فيقول إن الكلمة مشتقة من اسم شجرة من الأشجار المعروفة بمتانة خشبها وتعرف باسم "بجه د – ويقول إن المقطع الثاني "غ – غو" يأتي بمعنى الجامع، أي من جمع يجمع جمعا، وهكذا يكون معنى

الكلمة برأي هذا الكاتب هو: الذي يجمع خشب، أو حطب شجرة ال "بجه د"، أي أن اسم القبيلة جاء نسبة إلى هذه الشجرة.

اهتمام الرحالة بالقبيلة

ازداد اهتمام الرحالة والمؤرخين بهذه القبيلة، منذ بدايات منتصف القرن السابع عشر، وقد استطاع افرادها أن يحافظوا على ترابطهم ووحدتهم، بعد انتهاء الحرب القفقاسية، أكثر من بعض القبائل الشركسية الأخرى، وينتشر أفرادها اليوم في العديد من المدن والبلدات والقرى الشركسية، ولا سيما في تلك التي تقع في محافظتي – توتشوج وتختم قواي.

نزوح القبيلة:

تضم القبيلة فرعين أساسيين، الأول يعرف باسم "بجدغو المنطقة الغربية" أما الثاني فيعرف باسم "بجدغو المنطقة الشرقية" ويعرف كل فرع من هذه الفرعين باسم آخر أيضاً، وذلك على النحو الآتي:

- الأول: خ م شه ي
- الثاني: تش تش ناي.

المعالم الجغرافية

اكثر ما يميز أماكن سكن هذه القبيلة هي تعدد الانهار التي تجري في موطنها الأصلي ومن أهمها الانهار التالية:

- يش ض – مارت – بيه قوبيس – تصء بي – صوء بس – بكا ص

عدد أفراد القبيلة

كان عدد أفراد هذه القبيلة في أوائل القرن التاسع عشر حوالي (٤٠) ألف نسمة ولم يبق في الوطن الأم بعد التهجير القسري سوى (١٢) الف نسمة.

النظام الاجتماعي واللهجة

اتبعت هذه القبيلة النظام الاجتماعي الاقطاعي وكان الحكم فيه قائم على نظام الأمراء (بشى) مثل قبائل القبرطاي ولهم لهجة خاصة واحتفظوا بها أكثر من قبيلة الابزاخ بالرغم من تأثرها باللغة الادبية المستخدمة حالياً في جمهورية الاديغي.

القبيلة الرابعة – قبيلة جانه

الحدود والموقع

القبيلة معروفة منذ القرن الثاني قبل الميلاد وتنقلت كثيراً في بلاد شمال القفقاس إلا أن افرادها كانوا يسكنون في عام ١٧٧٨ على الضفة اليسرى من نهر الكوبان وعاشوا هناك حتى عام الاحتلال الروسي (١٨٦٤).

اهم مدن قبيلة جانه

تعتبر هذه القبيلة من أكثر القبائل الشركسية التي تعرضت لعمليات الغزو الخارجي والعدوان التوسعي، وبشكل يكاد يكون متواصلا، ولا سيما من قبل خانات القرم والأتراك العثمانيين، فقد تعرضت هذه القبيلة لما يزيد عن (٣٣٠) غزوا وكادت عمليات الغزو الخارجي أن تقضى نهائيا على هذه القبيلة، وبالتالي فلم يبق لهم إلا العدد القليل من المدن والقرى كما تضاءل عدد سكانها كثيراً.

ومن أهم مدنها (حاكورته حابل، واده – مي) و (به – نه – خس)

معنى اسم جانه

تباينت الآراء حول معنى كلمة "جانه" فهناك من يعتقد أنها مشتقة من كلمة "زانه" أي "ز = 3bl – واحد أو وحيد"، ومنهم من يقول أن الكلمة تعني "ذات العيون السوداء".

عدد أفراد القبيلة

لم يبق منها في عام ١٨٣٠ سوى (١٢٠٠) نسمة، وقد توزع هؤلاء على بقية القبائل الشركسية. ولم يعد عودة الذين يعتبرون أنفسهم من بقايا قبيلة "جانه" سوى (٢١) شخصا في عام ١٨٨٣، وتوزعوا على بلدات "حاكورنه حابل" , "آده مي" و "به نه خس" أما اليوم فلم يبق من هذه القبيلة سوى اسمها، الذي يصادفه المرء في علم الاجناس.

فروع القبيلة

عرفت القبيلة باسم (سونه – أو "سانه) منذ القرن السابع عشر ويقسم نهر "آبن – Abbin " بلاد (الجانه) إلى قسمين يعرف الأول باسم "بلاد جانه الكبرى" في حين يعرف الثاني باسم "بلاد الجانه الصغرى".

القبيلة الخامسة: كه جوي – كم جوي

الحدود والموقع الجغرافي

امتدت أراضي هذه القبيلة على ضفاف الانهار ولا سيما أنهار: صحة جواش وبسج كوبان، ولا به. وكانت أراضيها تجاور أراضي قبيلتي "مام خيغ" و "مه خوص" وقد عرفت هذه القبيلة بشكل أكثر منذ القرن الثاني عشر. وكانت تعتبر من القبائل الشركسية الكبيرة.

أهم المدن والقرى

لم يذكر لنا المؤرخون أي شيء عن القرى القديمة التي كانت تسكنها هذه القبيلة، أما اليوم فاستطاعت هذه القبيلة مثل قبيلة "بجدغو" أن تحافظ نسبيا على نفسها، أكثر من غيرها من القبائل الشركسية الأخرى ويتوزع أبناؤها اليوم على عدة قرى وبلدات في ثلاث محافظات هي: "صودجن" "كوش حابل" "كراستود جفارديسك".

ولعل من أشهر القرى والبلدات التي يعيش فيه اليوم أبناء هذه القبيلة هي:

- حات غوج قواي – حاكه مزيي – يه دجر قواي – مام ضيع – بيش ج حابل – دجان يه تشي – آده مي – دج راقي – قوى قه به حابل.

معنى اسم القبيلة ولهجتها

لم يتفق الباحثون حول معنى اسم هذه القبيلة ولا يزال الجدال قائما حول تفسيره ويعتقد الكاتب (يش ماف آوله) أن الكلمة تتألف من مقطعين، الأول "كه م، كم = أناس" والثاني "جوي – القلب الواسع أو الكبير" وقد أخذت لهجة هذه القبيلة لتكون أساس اللغة الأدبية في جمهورية (الآدي غي).

القبيلة السادسة – قبيلة مام خيغ – مامكيغ

تمتد مواطن هذه القبيلة بين نهري "كوردجس" و "صحة جواش" بما فيها أراضي منطقة مايكوب، وقد أقام أفرادها في العديد من القرى والبلدات، من أهمها البلدات التالية:

– باط قواي، كانت هذه البلدة تقوم على الضفة اليسرى لنهر كوردجيس.– به جه ناي" – "ده تشه حابل وكانت هاتان البلدتان تقومان على الضفة اليمنى لنهر كوردجيس وفي مجراه العلوي وله

ب تسه حابل، وكانت تقوم على الضفة اليمنى لنهر "غوناي" وقويج حابل كانت تقوم في المنطقة التي تقع بالقرب من التقاء نهري كوردجيس وصحة جواش.

ازداد الاهتمام بهذه القبيلة منذ أواسط القرن السابع عشر، وقد بلغ تعداد أفرادها، نحو (٥) الاف نسمة في عام ١٨٣٤، ولم يبق من أفراد هذه القبيلة في الوطن الأم سوى (١٢٥٨) نسمة في عام ١٨٨٣ وتعرضت هذه القبيلة، كغيرها من القبائل الشركسية، إلى التشرد والانقراض نتيجة الحرب القفقاسية.

ويوجد اليوم في جمهورية (الآدي غي) بلدة كبيرة تحمل اسم هذه القبيلة، ينتمي معظم سكانها إلى هذه القبيلة، وتقع هذه البلدة على يسار مجرى نهر فارز الذي يمر بين هذه البلدة وبين مدينة "صود جن حابل" وتبعد البلدة عن عاصمة الجمهورية، مدينة مايكوب، نحو (٦٥)كم، ولا يعرف حتى الآن معنى كلمة "مام حيغ".

معنى اسم القبيلة

تتألف الكلمة من مقطعين الأول "مام" والثاني "خيغ" ويمكن وضع الاحتمالات التالية في تقسيم هذه الكلمة:

- مام = اسم علم + خيغ – اختصار كلمة "بلد"، وطن: أي بلاد، وطن، أرض.
- مام – مشتقة من مامر – هدوء، استقرار + حيغ = اختصار كلمة بلد، وطن، أرض: اي البلاد الهادئة، وربما يعود الهدوء والاستقرار هنا إلى طبيعة الطقس في المنطقة.
- مام = اسم علم + خيغ – حصاد، غلة، محصول: أي حصاد أو غلة او محصول مام.
- مام = اسم علم + خيغ – حصاد: أي الوقت الذي يحصد فيها مام.
- مام = من أنواع الحبوب + خيغ – وقت الحصاد: أي وقت حصاد بات المام.
- مام = من انواع الحبوب + خيغ – اختصار كلمة بلاد، وطن، ارض: فيكون المعنى هو بلاد نبات المام، وربما كان "مام" هو اسم نبات الذرة الصفراء عند بعض القبائل الشركسية التي انقرضت.
- لا يزال الشركس يستخدمون كلمة "مام" كاسم علم مذكر.

القبيلة السابعة: قبيلة نه ت خواي أو نت خواي أو ناتخواي

تقول كتب التاريخ أن هذه القبيلة تعود في أصلها إلى قبيلة "شابسيغ" وكانت تنتشر في منطقة "آناب" على ساحل البحر الأسود، وقد بدأ الاهتمام بهذه القبيلة يزداد مع بدايات القرن الثامن عشر وتجري في أراضيها أنهار عديدة، من أهمها الأنهار التالية:

- آطه قوم – صؤ يس – كودا قو.

لقد بلغ تعداد أفراد هذه القبيلة نحو (١٠٠) الف نسمة في عام ١٨٣١، لم يبق منهم في الوطن، بعد الحرب القفقاسية سوى (٤٠٠) نسمة بعد أن أباد الجيش الروسي القسم الأكبر منهم، وهجر القسم الآخر إلى تركيا.

ولم يبق من بلدات هذه القبيلة وقراها سوى بلدة واحدة تدعى "نت خواي" اطلق عليها في بدايات العهد السوفيتي اسم "سوفوروف تشيركسك" غير أن أهالي هذه البلدة، هاجروا في عام ١٩٢٤ إلى محافظة "تحتم قواي" في جمهورية (الآدي غي)، وأسسوا بلدة جديدة، في موقع غير بعيد عن بلدة "شه ندجي" عرفت ايضا باسم "نت خواي".

يعتقد بعض الباحثين أن كلمة "نت خواي" تعني "العيون الزرقاء" ويستندون في ذلك إلى تقطيع الكلمة على النحو التالي: "نه = عين، تخوه، صخوه = أزرق أو مشتقات الأزرق + يي = له" فيكون معنى الكلمة هو أتباع صاحب العيون الزرقاء أو جماعة العيون الزرقاء.

معنى اسم القبيلة:

يمكن تحليل كلمة "نت خواي" على النحو الآتي:

- نه = عين + تخوه – خرمش يخرمش + أي = كثير، أي الذي يمد يده إلى العيون.
- نه = عين + ت = عطاء + خوي = كثير: أي الكرم والتضحية.
- نه = عين + تخوه = عكر، قرش + آي = كثير، شديد، أي (صاحب العيون القاسية أو الغاضبة أو غير الصافية) وربما يقصد العكس كما هو عادة الشعوب في وصف الشيء أحيانا بعكسه، أي العيون الجميلة.
- نت = اختصار كلمة نارت + خو= قو = ابن+ آي = بي = له، فيكون المعنى هو (ابن نارت أو أحفاد النارتيين).
- نت = الكيس المصنوع من جلد الماعز + خوي = كثير، فيكون المعنى هو أصحاب هذا النوع من الأكياس للدلالة على كثرة هذا النوع أو الشراء.

القبيلة الثامنة – قبيلة آده مي – آدمي

من القبائل الشركسية القديمة واستوطنت ضفاف الأنهار، ولا سيما أنهار: صحه جواش – بش ش – بصاد

تعتبر هذه القبيلة فرعا من قبيلة "كه م جوي" كم جوي والتي تعتبر من أكبر القبائل الشركسية، وتتباين الآراء حول معنى اسم القبيلة، بعضهم يعتقد أن الكلمة تركية، وتعني "انسان" في حين ينسب بعضهم الاسم إلى "آدم" بينما يقول البعض إن الكلمة تتألف من مقطعين الأول "آد" والثاني "مي".

هناك علاقة بين اسم قبيلة "آده مي" واسم بلدة "آده مي" التي تقع في جمهورية الاديغية ويعتقد أن اسم القبيلة يعني "بلدة آدم" وذلك على أساس تقطيع الكلمة على النحو الآتي: آدم + بي = ملك لآدم.

القبيلة التاسعة – قبيلة سوباي

تعتبر من أقدم القبائل الشركسية وكانت تعيش في الحوض الأعلى لنهر – آف بس – ويلاحظ هنا أن أخبار هذه القبيلة لا ترد كثيراً في كتب التاريخ، وقد اندمج أفرادها مع القبائل الشركسية الأخرى، ولم يتمكن الباحثون حتى الآن من معرفة المعنى الدقيق لكلمة سوباي – ويرد في التوبونيمة الشركسية اسم جبل يحمل اسم هذه القبيلة، الأمر الذي يؤكد مواطن هذه القبيلة التي اندثرت وتلاشت عن الوجود.

القبيلة العاشرة – قبيلة حه غاكه حر

أشار الرحالة أوليا جلي لأول مرة إلى وجود هذه القبيلة في منطقة – آناب – وذلك في الفترة (١٦٤١ – ١٦٦٦)، وقد قضت الحروب والأوبئة على هذه القبيلة، التي بلغ تعدادها في ذلك الوقت نحو (٥) الاف نسمة، إذ لم يبق من أفرادها في عام ١٨٨٣ سوى (١٠) أشخاص، منهم (٧) ذكور.

ويعتقد بعض الباحثين أن اسم القبيلة يعني الأراضي المنخفضة أو السفلية، ويعتمدون في هذا على تقطيع الكلمة إلى مقطعين، الأول "خه غا = اختصار لكلمة بلاد، أرض" والثاني "كه، كأخ – أسفل، أدنى" فيكون معنى الكلمة هو سكان الأراضي المنخفضة أو سكان الأراضي التي تقع في الأسفل، أو ما شابه ذلك.

وأورد (مرتوقة) عدة احتمالات لمعنى اسم هذه القبيلة منها

* خه غا = اختصار كلمة ضواحي + كاخ = جديد، حديث، فيكون المعنى هو سكان الضواحي الجديدة أو الذين سكنوا حديثا في الضواحي.

* يمكن ان تأتي بمعنى المزارعين أو الذين يستصلحون الأراضي المنخفضة أو السفلية، أو الضواحي.

* خه غا = من فعل بكى يبكي + كآخر = الحديث، فيكون المعنى هو الذي بكى مؤخراً، حديثا.

القبيلة الحادية عشر – قبيلة مه خوه ص – مخوص

امتدت أراضي هذه القبيلة ما بين نهر "لابه" شرقا ونهر "فارز" وحدود قبيلة أبزاخ غرباً وبين حدود قبائل: يدجرقواي، مام خيغ، بس له في الجنوب الشرقي، والأراضي التي استوطن فيها "النغوى" في الشمال، وتجري في أراضي القبيلة عدة أنهار، منها على سبيل المثال:

- فارز – بس فه – شه خورادج.

أخذت أخبار هذه القبيلة ترد في كتب التاريخ بشكل أكثر منذ بدايات القرن الثامن عشر، وكانت بلدة "ساسرقواي" مركز هذه القبيلة، وقد بلغ تعداد أفرادها، نحو (١٠) الاف نسمة في عام ١٨٣٠، بقي منهم بعد الحرب القفقاسية فقط (١٥٠) نسمة، واندمج من بقي من أفراد هذه القبيلة مع القبائل الشركسية الأخرى، ويرد اليوم اسم "مه خوص" في اللغة الشركسية كأسماء أفراد وعائلات، ولم يتمكن الباحثون حتى الآن، من تفسير كلمة "مه خوص".

القبيلة الثانية عشرة – قبيلة يه دجه رقواي – يد جرمواي

ترد أخبار هذه القبيلة في كتب التاريخ منذ القرن الرابع عشر، وكانت تجاور قبيلة "كم جوي" وتشترك حدود أراضيها مع حدود قبيلة "مه خوص مخوص" في الغرب، وحدود قبيلة مامكغ في الجنوب الغربي، حتى الموقع الحالي لمدينة مايكوب.

يعتقد بعضهم أن اسم القبيلة مستمد من اسم "يه دجه رقو" أي نسبة إلى شخص يدعى "ابن يه دجه" ويتوزع أفراد هذه القبيلة اليوم، على العديد من القرى والبلدات الشركسية في جمهورية (الأدي غي)، كما هو حال العديد من القبائل الشركسية الأخرى، وهناك في الجمهورية بلدة تحمل حتى اليوم اسم هذه القبيلة.

وفسر (مرتوقة) اسم هذه القبيلة بقوله :

يمكن تقطيع هذه الكلمة وفق الآتي: "يه بمعنى سيّىء، مصيبة + دجر = منادي + قوة = ابن + يي = له، ملكه، اتباعه. فيكون المعنى هو صاحب الحظ السيئ أو الصوت السيىء أو ما شابه ذلك، وربما ولد "يه دجر" وفي وقت عصيب أو ترافقت ولادته مع حدث سيئ، فيكون المعنى هو الذي ولد في ساعة المحنة او الخطر. وربما كلمة "به دجر" تعني "قارئ" فيكون المعنى "ابن القارئ" أو تعني المنادي فيكون المعنى "ابن المنادي او الذي يصرخ كثيرا".

القبيلة الثالثة عشرة – قبيلة حاكوتشو

وهي فرع من قبيلة "صايسيغ"، ويعتبر معظم أبناء بلدة "تحا غابص" التي تقع على ساحل البحر الأسود، من أبناء هذه القبيلة.

القبيلة الرابعة عشرة – قبيلة حاتي قواي – حاتقواي

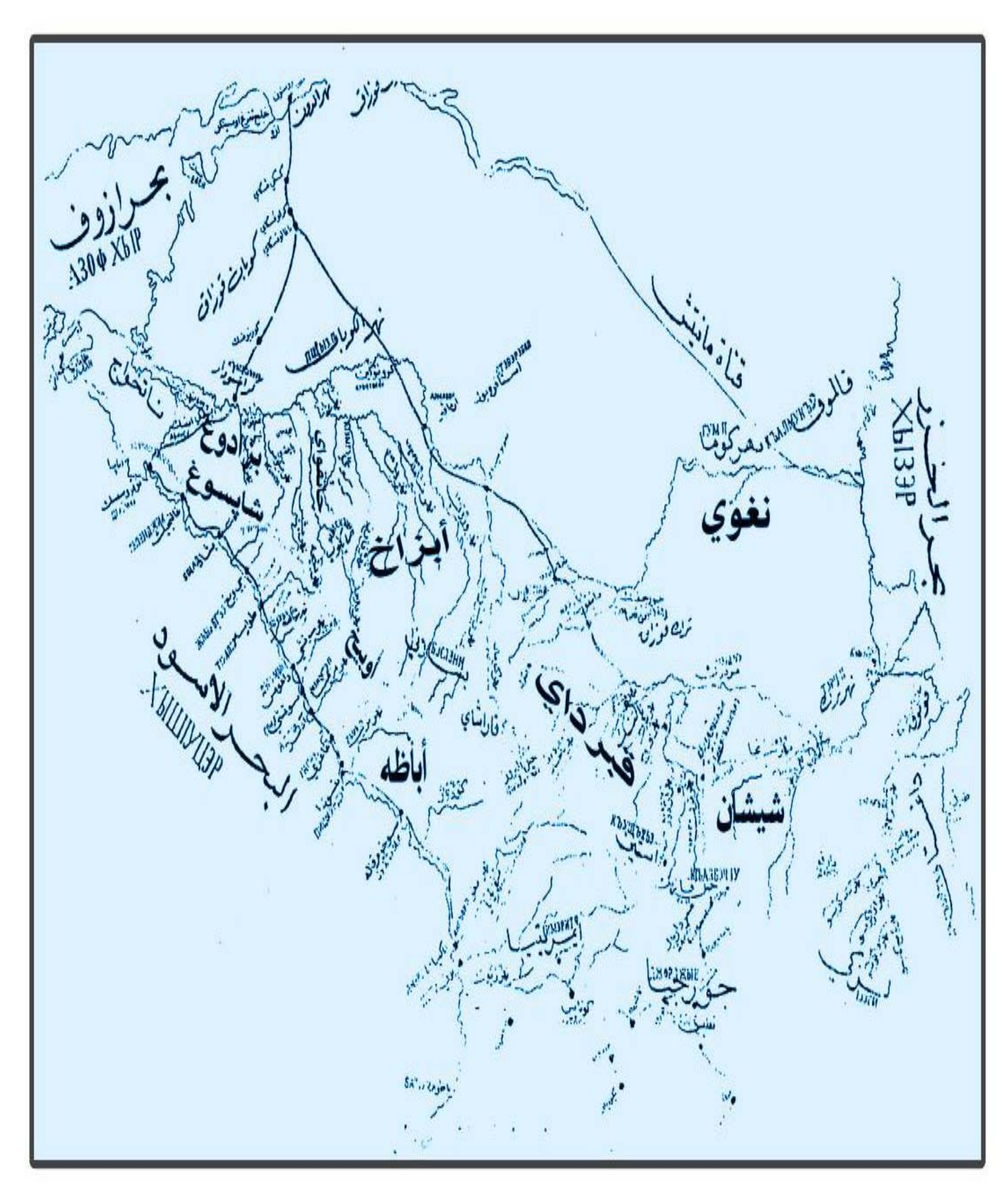
تعد هذه القبيلة من القبائل الشركسية التي ارتحلت كثيراً، وقد استوطنت في فترة من الزمن على ضفاف الانهار التالية:

- "آبن – أيل – أفيس".

ويقول بعضهم أن اسم القبيلة يعود إلى شخص يدعى "حات يقوه = ابن حاتي"، وتوجد بلدة على نهر "لابه" تحمل اسم هذه القبيلة، ويعتقد أن بعض أبناء هذه القبيلة، هم الذين أسسوا هذه البلـــدة، وتعنـــي الكلمة "بلدة ابن حات" وذلك على الأساس التالي: حات = اسم علم + يقو = ابن + يي = له.

القبيلة الخامسة عشرة – قبيلة آداله

قبيلة شركسية قديمة، عاشت في شبه جزيرة تاسان، وعرفت أيضاً باسم آخر هو "ح تكو" وتقول كتب التاريخ أن أفراد هذه القبيلة، اندمجوا مع الزمن مع قبيلة "تات خواي" وقد بقي اسم "آداله" دون تفسير حتى الآن.(١٦)



خارطة تبين
مواطن القبائل الشركسية "الإديغة" قبل الاحتلال الروسي للوطن الأم عام ١٨٦٤

مصادر ومراجع الفصل الثالث

١) نامتيوق، اتيك، مصدر سابق ص٧١-٧٧.

٢) Constatin porphytrgenetc إدارة الامبراطورية نشر عام ٨٤١.

٣) المسعودي، المؤرخ الجغرافي العربي عام ٨٤٣م.

٤) نامتيوق، أتيك، مصدر سابق ص: ٧٥.

٥) المسعودي، مصدر سابق، ص: ٧٧.

٦) نامتيوق، أتيك، مصدر سابق، ص٧٤.

٧) المصدر نفسه، ص: ٧٤.

٨) المصدر نفسه، ص١٣-١٥.

٩) م. جولدن، شيدت M. Guldensstaedt زار القفقاس عام ١٧٦٨وكتب عن حياة بلاد الشركس والابخاز وقدم الكثير من المعلومات القيمة التي اعتبرت معلومات أساسية لمن جاء بعده من الباحثين.

١٠)ن، بالاس N. Pallas زار المنطقة الشمالية من بلاد الابخاز وهو افضل من كتب عن أوضاع الابخاز والابازين (الاباظة) عام ١٧٩٣.

١١)ناميتوق، أتيك، مصدر سابق، ص: ١٥-٢٢.

١٢)جوناتوقة، ت (عزت يوسف) ص: ١٨٠.

١٣)ناميتوق، أتيك، مصدر سابق، ص: ١٩-٢٢.

١٤)جموخة، أمجد – The Circassians منشور في بريطانيا عام ٢٠٠٠ ص: ٢٠-٢١-٢٣-٢٩.

١٥)الجنرال برنتان تورنادو، ذكريات من القفقاس، جورجيا، طبعة عام ١٨١٩ . ص٢٠-٢٤.

١٦)مرتقوة، قاسم ، تاريخ أسماء الاديغية، (باللغة الشركسية) دراسة وترجمة عز الدين سطاس من شراكسة المهجر في سوريا، ونشر تحت عنوان (الشركس حضارة ومأساة) في دمشق عام ١٩٩٩.

١٧)مجلة الآخاء، الجمعية الخيرية الشركسية، فرع وادي السير، العدد (١٤٢) السنة الرابعة والثلاثون، نيسان/ حزيران ٢٠٠٧.

الفصل الرابع

الاسماء والالقاب التي عرف بها الشراكسة

منذ فجر التاريخ وحتى العصر الحديث

قبل البحث في الاسماء او المسميات التي عرف بها الشراكسة منذ العصور القديمة وحتى العصر الحديث لا بد لنا من البحث اولا عن أهم الاسماء الرئيسية التي دار حولها جدل كبير منذ القدم واختلف عليها العديد من المهتمين بتاريخ القفقاس وشعوبها عامة وبتاريخ الأمة الشركسية خاصة وكان أهم الاسماء التي اختلف على منشئها أو مصدرها هي:

الاسم الأول: النارتيون أو قوم نارت.

الاسم الثاني: الانتيون او أمة الآنت.

الاسم الثالث: الأديغة (الاديكة أو اديخة أو اديغي)

الاسم الرابع: الشراكسة (جركس او جراكسة او شراكسة أو سراكس أو سيركسيا)

وفيما يلي تحليل موجز عن مصدر ومنشأ كل من هذه الالقاب الأربعة.

الاسم الأول: النارتيون أو قوم نارت

عرف الشراكسة منذ القدم بقوم (نارت) أو (النارتيين) فهو اسم رمزي استعمله الشراكسة في ملاحمهم الشعرية وقصصهم وأساطيرهم منذ العصور القديمة، ويقول (ناميتوق) بأن استخدام اسم (نارت) يعود إلى زمن بعيد جدا، وهي تسمية لا نعلم ان كانت تعود إلى العصور الحجرية القديمة منها والحديثة (النيوليت) ام قبل ذلك وفي زمن لم تكن فيه الكتابة مكتشفة ولا التاريخ مكتوبا كما يقول أن (النارتيين) هم الأقوام أو الامة التي ينتسب إليها الشراكسة اصلا، وقد يكون هذا المصطلح هو أقدم مصطلح يطلق على الشراكسة في الملاحم الشعرية والاساطير والقصص التي تصف حياة امة متكاملة تضم آلهة وشعوباً وامراء وشخصيات، بالإضافة إلى وصف لعادات ومفاهيم لا يمكن ان تكون جميعها من نسج الخيال ولا بد أنها تصف وتتحدث عن وقائع وحقائق ومع الزمن أضيفت إليها بعض الاحداث والحوادث الخيالية (١).

أما المؤرخ الشركسي (نغموقه) فهو ايضا يتبنى فكرة ان (نارت) هو اسم لشعب، حيث يعتبر النارتيين احفاداً الانتيين وأسلافا للاديغة.

وحسب رأيه فإن كلمة (نارت) أصلها (نارانت) التي تعني (أم الانتيين) مما يفسر حسب اعتقاده العلاقة بين النارتيين والانتيين خاصة وأن الانتيين شعب ثبت وجوده تاريخيا واعتبر الشركس الاديغة هم أحفاداً للانتيين والنارتيين (٢).

وكذلك فإن (سمكوغ) يؤيد ما ذهب إليه كل من (ناميتوق ونغموقة) ويفترض بأن (نارت) وهي التسمية الموغلة في القدم والتي انتسبت إليها الشعوب الشركسية منذ العصور الحجرية وحياة القنص وقطف الثمار، ولا نعلم إلى أي مدى يمكن أن تعود في القدم ولكن تحليلها المقطعي يمكن أن يدلنا على مرحلتها الحضارية ويمكن أن تعود لأواخر الميزوليت أو النيوليت ولبدايات مرحلة (عبادة الأم) ويمكن ان تلفظ (نات) بدون حرف (الراء) لأن (الراء) ما هي إلا أداة التعريف (ن + ت) وتعني (عطاء الام) إذ يعتبرون أنفسهم عطاء الام الآله الكبرى التي كان يعبدها النارتيون.

ويفسر لنا (سمكوغ) كلمة نارت في التحليل التالي:

١- حرف (ن أونا) هو حرف وجذر يدخل مجموعة كبيرة من الكلمات (والألف) هنا حرف صوتي يدل على الفتحة وتأتي للفصل بين حرفين ولا معنى لها (والنون) حركت بالفتحة بسبب الألف وهي في الأصل حرف (ن) ويعني (أم).

٢- حرف (التاء) يعني العطاء والمنح والهبة (باللغة الشركسية) وهكذا تصبح هذه الكلمة ن + ت ومعناها بالشركسية (عطاء الام) و (هبة الأم) وهي التسمية الطبيعية التي تمثل مرحلتها الحضارية عندما كانت هذه الأقوام تعيش عصر (الأسرة الامومية) وعبادة الآلهة (الأم الكبرى) وهي التي تطورت فيما بعد وسميت بآلهة الهبة والعطاء [٣].

اما المؤرخ الشركسي (اوزبك) فيؤكد على ما ذهب إليه الاخرون قائلا: إذا ما تفحصنا تعبير (نات) أو (نارت) نجده مؤلفا من جزأين: الأول (نا) أو (نار) والثاني (ت)، وبالنسبة للأول فإن (نه) تعني (عين) وبالنسبة للثاني فإن (ت) أو (تن) وتعني (اعطى، أهدى) ويكون المعنى الكامل معا (نارت) اي الذي (يضحى بعينه أو يهدي عينه) فالناتيخواج والشابسوغ يستعملان لفظ (نات) أو (ناتة) دون إظهار حرف الراء في الكلمة [٤].

وأما رأي (حادا غالة) المؤرخ المختص بأساطير النارتيين من شراكسة الوطن الأم فيعتقد بأنه يجب على الباحثين التحقق من مدلول كلمة (نارتي) ضمن المعنى الذي يدل على (فتح العين)، حيث إن الاديغة يستعملون تعبير (أنت مثل عيني، انت مثل قلبي) أو (اعط عينك لتحفظ وجهك) وعندما يقول احد من (الاديغة) بأنه يضحي (بعينه) لأجل أحد ما. فهذا يعني أن هذا الشخص ذو قيمة كبيرة لا تقدر بثمن، والأشخاص الذين عندهم استعداد للتضحية بأنفسهم من أجل الآخرين يدعون (نه – يت) أو (نيت) حيث يتغنى عامة الناس بأفعاله ثم يتحول تعبير (نتة) بالتدريج رمزاً للبطولة بكل أشكالها لدى الآسيتين وبقية شعوب الشركسية في القفقاس.

ويرفض (حادا غالة) ان يكون (نارت) هو اسم لأمة او قوم او شعب، انما هو اسم او رمز لقصص وأساطير [٥].

نستنتج مما تقدم وجود اتفاق بين ثلاثة من الباحثين والمؤرخين الشراكسة حول معنى مصطلح (نارت) ويؤكدون بأنه أول اسم عرف به اجداد (الامة أو القوم) الشركسي وانهم جذور الأمة الشركسية واجدادهم الحقيقيون، وان لم يكن احدٌ من المؤرخين القدامى قد ذكرهم او كتب عنهم علما بأنهم ربما يكونون من الأمم القديمة التي سكنت منطقة القفقاس منذ فجر التاريخ قبل الكاسيين والكميريون والحثيين الخ... وحيث أن نشوء هذه الأمة قد يعود إلى العصر الحجري وفي زمن لم تكن الكتابة مكتشفة، والتاريخ غير مدون وان علماء الاثار لم يكتشفوا آثارهم وبقاياهم. "إلا ان عدم اكتشافها لا يعني انها غير موجودة في الطبقات السفلى من الأرض التي كانوا يعيشون عليها وهي الطبقات التي لم يصل إليها علماء الاثار حتى الآن لوجودها في الطبقات السفلى وعلى ابعاد عميقة.

وانطلاقا من هذه الفرضية فإنني (شخصياً) من الذين يرجحون بأن اسم (نارت) هو اسم لقوم أو أقوام أو شعوب عاشت فعلا في زمن يعود تاريخه إلى ما قبل الميلاد، وعلى علماء الآثار عامة والشراكسة منهم مواصلة البحث للتحقق من صحة هذه الفرضية.

الاسم الثاني: الانتيون او (امة الآنت)

يقول (سمكوغ) في كتابه (الشركس في فجر التاريخ) ((مع انتشار الزراعة المروية وبناء المدن تعددت الآلهة وتجاوزت اعدادها منها آلهه الزراعة (أنته) كما هي واردة في الأساطير الشركسية وتعني (عطاء وهبة إله السماء) ويبدو أن تسمية (أنت) تلازمت مع الدخول إلى عصر الزراعة وتربية الماشية)).

كما تشير الأساطير الشركسية بأن (الأنت) كان اسما يطلق على الشراكسة في عصر لاحق لعصر قوم (نارت) وبعض المؤرخين يعتقدون بأن اسم (انت) اطلق على الأمة الشركسية في الفترة ما بين (٣٠٠-٤٠٠) سنة قبل الميلاد كما جاء في مرثية مقتل (امير باقسان).

وتحليل كلمة (انت) الى ثلاثة مقاطع أو أحرف نجد بأنها تتكون: **من الحرف الأول** وهو حرف الالف في أول الكلمة وهي أداة النداء بمعنى (أ + جال) ومعناه ياشاب (أ + بشاش) ومعناه يا بنت.

والحرف الثاني هو الحرف (ن) ومعناه الأم وعندما اقترنت بأداة النداء غدت اسم علم للسماء والحرف (ن) بلغة الأبخاز لا تزال تعني (الأم).

والحرف الثالث هو الحرف (ت) وتعني العطاء او الهبة.

وهكذا يكون معنى الكلمة (هبة إله السماء) أو (عطاء إله السماء)، وهذا يوافق المرحلة الحضارية للبرونز المبكر المتوافقة مع بدايات التحول إلى نظام (الأسرة الأبوية) وعبادة قوى الطبيعة، وقد عرفت هذه المجتمعات عبادة (إله السماء والشمس) نستدل عليها من الرسومات الشعاعية وأوضاع الدفن بشكله المثني باتجاه الشمس والشرق مع رفع اليدين إلى أعلى، ونثر مادة المغرة الحمراء. وهي تشبه أوضاع الدفن في كل حضارات آسية الغربية، وشعوب الأسرة القفقاسية واستيطانها في هذه المواطن بدءا من عصر (النيوليت) وحتى فجر التاريخ [٦].

لقد ورد ذكر كلمة (أنت) لدى الكثير من المؤرخين وخاصة اليونان الذين كانوا يستوطنون حول بحر آزوف وشمال البحر الأسود وكل الساحل الشرقي للبحر الأسود وحوض الكوبان وحتى مصب نهر الترك شرقا، إلى القفقاس الشمالي الغربي حتى ساحل البحر الأسود، وتعتبر المنطقة السابقة البؤرة المركزية لتوزع أسرة شعوب القفقاس غربا نحو أوروبا وجنوباً في آسيا الصغرى ومرتفعات ايران وصولا إلى جنوب الرافدين.

ولإثبات صحة ما تقدم ينبغي علينا الرجوع إلى الشعر الشركسي القديم وأخذ بعض الأمثلة منه. فمثلاً إذا دققنا كلمة (أنتي نوكوبش anty-nokopjesh) وجدنا أن معناها ابن أمير آنتي و (انتيغ شاوه) antigishua معناها شاب آنتي و (آنتيغ ورق antigi-worq) معناها نبيل آنتي كما أن (آنتيغ شو antig shou) معناه فارس آنتي. ويقول (نغموقه) بأن صحة ما أوردناه حول (الآنت) يؤيدها شهادة بعض مؤلفي الاغريق الذين كانوا يطلقون أسماء شعوبنا على المواقع والأقاليم التي كانت تسكنها هذه الشعوب قديما[٧].

وكذلك نجد أن الخارطة التي وضعها (لابي Lapie) والذي اهتم بجمعها وتنسيقها كل من (بتولوميوس ptolemaeus) و (بلينيوس Plinius) نجد كلمة (آنتي سه Antisa) تطلق على ضفتي نهر الكوبان أي عند ملتقى هذا النهر بنهر اللابا.

كما أن (سترابون – Strabon) يسمى في مؤلفه الذي نشره عام ٢٦ق.م نهر الكوبان (آنتي كيتس antikitiss)، غير أن مؤلف كتاب (الدربندنامه Derben Nama) يسمى جميع الشعوب القاطنة في البلاد الواقعة ما بين نهر (الترك terk) وسواحل البحر الأسود الشرقية شعوب (جولي آنت Djuli Ant).

وكذلك نستدل من الروايات المتداولة أن (أمة الأديكة) كانت تقطن قديما البلاد الواقعة ما بين نهر الترك في الشرق ونهري (الفولجا Volga) و(الدون Don) في الشمال. وقد كانت هذه التسمية معروفة قديما لدى الإغريق والرمان، كما ان البيزنطيين يطلقون على دلتا نهر الكوبان ابتداء من نهاية شبه جزيرة تامان اسم (آنتيخه) وفي الموقع الذي يرفد فيه نهر (اللابا) نهر (الكوبان) كان يسمى (آنيتا).

وكذلك فقد اطلق سترابون على منطقة نهر الكوبان اسماً معناه باللغة الجركسية: (المقيمون في وادي الأنت) مع ملاحظة أن المقطع (تيس) هو أداة نسبة في اللغة اليونانية [٨].

نستنتج مما تقدم بأن اسم (آنت) كان يطلق على (الأمة الشركسية) عندما كانت تقطن على ضفتي نهر الكوبان شمال القفقاس حسب رأي المؤرخين اليونانيين والبيزنطيين منذ القرن الخامس والرابع قبل الميلاد [٩].

الاسم الثالث: وهي الاديغة Adyge أو اديكة

وتلفظ بأكثر من لفظ منها (أديخة وأديجة، وأديكة وأتيخة) ... الخ. ومهما اختلف اللفظ فالمعنى واحد فهو الاسم (القومي للشراكسة).

والقاموس الذي جمع ونشر بمعرفة (لجنة علمية) برئاسة العالم (جول تروسو) في الجزء الثاني صفحة (٩٥) يعرف كلمة (أديغة) بأنها اسم (الجراكسة الأصلي) ومعناها نجيب، أصيل، انسان، نبيل، وباللغة (السنسكريتية) معناها أصيل، نجيب أيضا.

والواقع ان الجراكسة يستعملون هذا اللقب للدلالة على معنى (الانسان الكامل). فإذا أعجبهم شخص بأخلاقه ورجولته قالوا عنه انك: (أديكة) أو (أنت أديكة له)، وإذا اقترف أحدهم نقيصة وعيباً ما يعيرونه بقولهم: (أنت لست آديكة) و (لا تحمل صفات الآديكة) [١٠].

وقد اصطلح الشراكسة وأجمعوا على أن اسمهم القومي (أديغة) وان اصلها جاء من كلمتي (اتي – خه) وبمرور الزمن بدلت التاء (وأصبحت دالا) فصارت (أديغة) أما الخاء فتلفظ ما بين الخاء والغين المخففة.

وفيما يلي بعض الفرضيات التي تبحث في أصل اسم أديغة:

وبالرجوع إلى ما كتبه العشرات من المؤرخين والباحثين القدماء ومنهم المحدثين في أصل ومنشأ المصطلح (أديغة) توصلنا إلى أكثر من فرضية وأهمها:

الفرضية الأولى:

يعتمد اصحاب هذه الفرضية على ما ورد في الشعر والأغاني والروايات القديمة الشركسية حول كلمة (آنت Ant) (وآنتي) مع مرور الزمن تم تحريفها (إلى (آديكة Adyga) أو (أديخة Adyche) باستبدال التاء بالدال للتخفيف وإضافة المقطع الأخير وهي (خه che) إلى الاسم الأصلي. (انتي) وهذا المقطع ليس الا أداة تلحق آخر الكلمة في حالة (الجمع) باللغة الشركسية. ولا تزال جماعة حتى يومنا هذا من الكبار في بلاد القبرطاي يلفظون هذه الكلمة على الطريقة القديمة دون أن يغيروا من لفظها الأصلي فيقولون (آنتي خه antiche) والآخرون يقولون (آتي خه atiche) تبعاً لمقتضيات اللهجة التي يتكلمون بها [١١].

الفرضية الثانية:

يقول (جوناتوقة) نقلا عن (نوغموقة) بأن لفظ (تسوخ) هو أول من عبر به عن الجراكسة وان لقبهم (الاديغة) اشتق من اسم (هات – تي – خا) القديم الذي كانت تطلقه عليهم الشعوب القديمة في عصور ما قبل الميلاد خاصة الاغريق [١٢].

الفرضية الثالثة:

توجد في القفقاس جزيرة تحمل اسم آتيخ (Atekh) وهي الجزيرة المحصورة بين فرعي من الكوبان، وكانت تسمى ADA باللغة التترية ومنه أتى اسم آدالي (Adaly) اي سكان الجزيرة، الذي اطلق على الحاتقو (Hatko) وهو اسم يمكن تقريبه إلى آتيخ (Atekh) نفسه، حيث إن كلمة آدا (Ada) تعني جزيرة باللغات التترية والتركية. وفي كل الأحوال، فإن اسم آتيخ (Atekh) قريب من اسم آديغة (Adyghe)، وإذا كانت الكلمة تترية الأصل، فإنها ستبقى بحاجة إلى تفسير.[١٣].

الفرضية الرابعة:

يدعي أصحاب هذه الفرضية بأن اسم (أديغة Adyhe) جاء من آسيا الصغرى، وأنها مشتقة من اسم بلدة (Adyghko) (اديغيكو) الموجود في شمال القفقاس، وخلفية هذه الفرضية تعود إلى قصة الشعب المجهول الذي كان يعيش قديما في بلاد آسيا الصغرى بالقرب من سينوب (Sinope) وكان ذلك الشعب يعبد تلبش (Tlepsh) أو ليبش Lepch وهو (رب النار والحديد) كما كان يقدس مزتحة Mezitha أي رب الغابات.

وعندما بدأ انتشار الإسلام، أرسل النبي محمد صلى الله عليه وسلم صهره (علي) رضي الله عنه إلى (سينوب) لنشر الدين الإسلامي بين شعب (لبش) و (مزتحه)، وقد اجتمع (علي) مع رؤساء

الشعب وعرض عليهم الدين الجديد وطلب منهم اعتناقه. وقد قابل الرؤساء ذلك الكلام بصمت مطبق ومعناه (الرفض)، ولكن (علي) جدد الطلب بإلحاح أكثر، وممثلي الشعب صامتون لا يجيبون، فغضب (علي) وحاول سحب سيفه من غمده، ولكن السيف لم يمتثل له بمعجزة إلهية، وتعجب (علي) كثيرا وامتطى صهوة جواده وحاول الهجوم على الحاضرين، ولكن حصانه دودول (Doudoul) لم يتحرك، وتعجب (علي) من كل هذه المعجزات، ويغادر الاجتماع ويعود من حيث أتى، بينما فرح ممثلو الشعب الحاضرون ويهللون ويدعون الشعب إلى اجتماع عام، ويقيمون احتفالات وابتهالات للرب (مزتحه) رمزاً للاعتراف بالجميل الذي فعله بصنع هذه المعجزات، وبعد سنوات عديدة من ذلك، قامت حرب (دينية) في الاناضول بين المسيحيين والمسلمين، وعندها اراد الشعب الذي ظل وفيا للاله (تلبش) و (مزتحه) ان يحتفظ بدينه القديم، فانقسم إلى قسمين اتجه احدهما بطريق البحر إلى القرم، والثاني إلى شمال القفقاس، وبالتحديد في المنطقة التي كانت توجد فيها بلدة آديغيكو Adygheko وقد اختار القسم الثاني من المهاجرين مكانا لاحتفالاتهم الدينية ومجالسهم القضائية، (تلة) مغطاة بغابات عذراء كثيفة دلالة على تواجد (الرب مزتحه) معهم.

وقد وجد القادمون الجدد في المكان الذي حلوا به شعبا مسالماً ومرحبا ومشتغلا بالتجارة، وكان اسم ذلك الشعب غوى أو (آغوى) (Goi) on (Agoi) وقد نشأت فيما بعد علاقات حسنة بين هذا الشعب والمهاجرين القادمين الجدد، ومن الاختلاط بين (الطرفين) تشكل شعب (الاديغة) الذي اشتق اسمه من اسم المدينة اديغيكو (Adygheko) وكانت واقعة إلى القرب من الغابة المقدسة (مزتحة) وذلك الاسم نفسه الذي أطلق على شعب مكون من اسم العلم آدي (Ady) وكو (Ko) بمعنى (ابن آدى) وكانت هذه الرواية منتشرة بين الشابسوغ يرويها الأب لابنه، وظلت هذه التلة مقدسة لديهم، حتى منتصف القرن الثامن عشر، وكانوا يجتمعون عليها وبين ادغالها لإقامة الدعوات والابتهال للرب (مزتحة) الذي انقذ اجدادهم من آسيا الصغرى وانقذ دينهم القديم.

إلا أن هذه الفرضية فيها شيء من المغالطة التاريخية لأن الإسلام دخل إلى جنوب القفقاس من بلاد آسيا الصغرى عام (٢٢) هجرية بينما الشراكسة كانوا متواجدين في آسيا الصغرى وفي شمال القفقاس قبل ذلك التاريخ بالآف السنين وربما كانت القصة صحيحة إلا أنها لا علاقة لها بالإسلام، والصحيح هو ان بعض المهاجرين من الشعوب القفقاسية القديمة سكنوا آسيا الصغرى قبل استيطانها في منطقة Adygheko [١٤].

الفرضية الخامسة:

ورد في آثار البيزنطيين أن شعب (الكيركاس) كانوا يطلقون على أنفسهم اسم (آنت أو أديكة) كما كان منطقة قريبة من أثينا تسمى (اتيكا). وفي ايطاليا كان يوجد نهر باسم (اتيخ) وكذلك في مصر كان في منطقة بالقرب من ساحل البحر الأحمر موقع يسمى (آتيك)، ويلاحظ مما سبق أن جميع التسميات تشترك في أسماء (حات – آت – أنت) فلو أضفنا إليها ضمير الجمع (خه) وهي تلفظ مثل الخاء الألمانية، لحصلنا على أسماء (حاتخه – آتخه – آنتخه) ونرى بوضوح قربها من كلمة (أديغة) التي هي الاسم القومي للجراكسة حاليا والذي كان شائع الاستخدام من قبل الشعوب التي استوطنت او حكمت بلاد (الاديغة) في العصور ما قبل الميلاد.

الفرضية السادسة:

تعتمد هذه الفرضية على ان كلمة (اديخة) أو (اتيخة) مكونة من مقطعين اثنين، هما (أدَ) أو (أتَ) ومعناها باللغة الشركسية ولدى جميع القبائل (اب) وهذا يعني بأن الأمة الشركسية عندما تحولت من نظام (سلطة الام) إلى نظام (سلطة الأب) اصبح اسم (أديخه) أو (أتيخه) بمعنى جماعة (الأب) أو التابعين (للاب) حيث ان (خه) هي أداة (جمع) وهو نفس التفسير الذي قدمه (ناميتوق) عند بحثه عن اصل الأمة التي ينتسب إليها الشركس [١٦].

الاسم الرابع: وهو الشركس وجمعه (شراكسة)، جركس وجمعها جراكسة.

وجد كلمة شركس (سيركاسي Circassi) مدونا لأول مرة في كتاب (جان دوكاربان Jeandu de Carpin)، الذي أوفده البابا إنيوسنت الرابع (Le pape innocent IV) في عام (١٢٤٥م) إلى بلاد القفقاس وأصبح اسم شركس يظهر في الكتب والرسائل منذ ذلك التاريخ كما ورد على الخريطة الصينية التي رسمها كينغ شي تاتيان (Kingshi Ta Tien) في عام (١٣٣١م) اسم بلاد يدعوها (سا- ر- كويز Sa-rh-ko-sz) [٦].

يكتب (شركس) باللغة العربية بأكثر من طريقة وتلفظ على أكثر من شكل منها: جركس، وجمعها جراكسة، سركس، وجمعها سراكسة، وجيركاس وجمعها جيراكسة وباللغة الانجليزية (Circassians) وبالتركية (Tcherkess) والباحث في مصدر كلمة (شركس) وأصلها يجد وجود اختلاف بين آراء الباحثين وتباين حول اصلها ومصدرها، وان المؤرخين الإغريق والبيزنطيين القدامى ومن بعدهم المؤرخين الفرنسيين والأتراك والعرب قالوا بأن الأمة الشركسية عرفت بأكثر من اسم، وان تلك الأسماء والمسميات اختلفت باختلاف الأمم والشعوب التي كان لها اتصال مباشر مع الشعوب الشركسية عبر العصور القديمة والمتوسطة كما اختلفت باختلاف جنسيات المؤرخين والفترات التي عاشوا فيها مع الشعوب الشركسية في قفقاسية الشمالية.

واما بالنسبة للاسماء والمسميات التي عرفت بها شعوب وقبائل الأمة الشركسية في كل من العصور القديمة والوسطى والمعاصرة وهي على النحو التالي:

أولا: التسميات التي اطلقها الاغريقيون:

اطلق قدماء الإغريق أكثر من اسم على الشراكس مثل (زيك Zyg)، (كركت Kerket)، وبعض المؤرخين اطلقوا عليهم اسم (جيك djik) وعلى بلادهم (جيكيتيا djichetia).

وكان من اكثر الأسماء ذيوعا في التاريخ القديم عند الاغريقيين (سرست) و (جيخ) أو (تسيخ). ومن الراجح ان تكون كلمة (جيخ) أو (تسيخ) مشتقة من (تسوخ) أو (تسي ف) التي تأتي بمعنى (انسان) باللغة الشركسية.

والمؤرخ (أريان Arian) اليوناني ذكر في كتابه المسمى (Peuplus ponti euxeni maris erythrcei) بأن اليونان يطلقون اسم (zyg) على شعب كان يقطن سواحل البحر الأسود الشرقية، وأنهم كانوا يجاورون شعب (زانيخ sanich) وهي قبيلة (جان jan) او (سان) الشركسية والمعروفة حتى اليوم.

كما جاء تفسير (كلمة (كركت) من قبل العالم (J.Klapprotb) في كتابه(Asia polylotta).

يقول (الكركت) كان شعبا قائما بذاته وينتسبون إلى أمة (الأديكة) كما هو الحال مع شعب (السند – sind) أحد شعوب جامعة (مأوت) أو (مه – ؤت) التي كانت أحد شعوب الاتحاد الكميروني في القرن (الثالث) ق. م.

ثانيا: التسميات التي اطلقها الروس

أطلق المؤرخون الروس قديما على الشراكسة اسم (قاسوغي) كما أنهم كانوا يطلقون على قبائلهم التي كانت تسكن شمال نهر الكوبان اسم (السركس) كما كان يسمى المؤرخ الروسي (قسطنطين بورغرانوري) القبائل الجبلية في القفقاس باسم (قازاخ) وبلادهم (قازاخيا).

وفي عهد القياصرة كانوا يطلقون على (الشركس) اسم الجبليين ومنهم المؤرخ (ابراموف) الذي عاش مع القبائل الشركسية أكثر من ثلاث سنوات (١٨٨٢-١٨٨٥) كما أطلق المؤرخ (الاستعماري) الروسي (روسكا باستارينا) الذي عاصر حرب الإبادة الروسية، أطلق على السكان الأصليين في القوقاز مصطلح (توزيميتس) بمعنى (البدائيين المتوحشين) وهي التسمية التي رفضها بشدة المؤرخ الروسي (أبراموف) بقوله:

ولما كنت قد أقمت السنوات الثلاث الأخيرة (١٨٨٢– ١٨٨٥) في منطقة (الترك) مع قبائل القبرطاي وجهت عدة مرات سؤالا إلى ممثلي السلطة المحلية الروسية وإلى العلماء المحليين الروس.. وإلى أناس عاديين (من المستوطنين الروس في بلاد الشراكسة) ما هي الأسباب الحقيقية لهجرة الشراكسة؟

فكان الجواب: (لأنهم متوحشون) وانهم (بدائيون) كما أنهم (كسالى) وغيرها من الصفات الرديئة.

واستطرد قائلا: بعد التدقيق في مثل هذه الاتهامات وبعد التأكد من حقيقة الصفات التي أطلقها الروس والقوزاق على الشراكسة، وجدت بأنها كيدية ولا أساس لها من الصحة، (بل العكس هو الصحيح). وإذا قارنا بين ما قام به السكان الأصليون القوقازيون والذي نفذناه (قمنا به) نحن الروس فإنه يجب ان نعترف بأن الأمة الأقل حضارة وأقل حبا للعمل هي الأمة الروسية (وليس الجبليين الشراكسة). وأنه ليس من الانصاف ان نتهم (الجبليين) بالكسل في الوقت الذي حولوا فيه (الصخور العارية) إلى أرض زراعية بجهدهم وعرقهم وبالدم.

وفي العصر الحديث وبعد حرب الإبادة الروسية وبدء الاحتلال الروسي القيصري لبلاد الشراكسة منذ عام ١٨٦٤ اتبعت السلطات الروسية القيصيرية سياسة تفتيت الشعوب الشركسية (الأديغة) إلى جماعات اثنية صغيرة وأطلقوا على كل منها تسمية خاصة تحمل أسماء قبائلهم القديمة مثل:

١- القبردي – Kabardinians والمعروفين باسم (القبرطاي) خارج روسيا وفي دول المهجر.

٢- تشركيس Cherkess .

٣- واديغي Adigey .

والهدف الأساسي منها هو تحويل الأمة الشركسية إلى تجمعات صغيرة تسكن كل منها في منطقة منفصلة عن المناطق الشركسية الأخرى داخل الوطن الأم.

ثالثا: التسميات التي اطلقها الفرنسيون.

اهتم أكثر من مؤرخ وعالم فرنسي بتاريخ الأمة الشركسية قديما ومن أهمهم:

المؤرخ (سترابون) الذي أطلق في القرن الأول للميلاد على الشراكسة اسم (جيكسا وجيكت) كما اطلق عليهم المؤرخ (أدريان) اسم (توخي).

أما (بلين) فسماهم (سرست) أو (كركس)، كما سمى قبيلة أخرى باسم (سيراكس). [١٧] وكان اول من استخدم اسم سيركاس (Cir cassi) هو الكاتب الفرنسي Carpin عام ١٢٤٥م

هذا بالإضافة إلى العالم الجغرافي الفرنسي (لاب) الذي أطلق على منطقة من مناطق الشراكسة أسم (أديغية) وهي التسمية التي اقتبسها (لاب) عن خريطة كل من (بطليموس وبلين).

وبالرجوع إلى دائرة المعارف الفرنسية المنشورة في القرن التاسع عشر وجدنا بأنها تعرف الجراكسة باسم (انتيخة) أو (انتي) [٢١].

نستنتج مما تقدم بأن الأسماء التي اطلقها المؤرخون الفرنسيون على الأمة الجركسية ما هي إلا أسماء لبعض القبائل الشركسية. وهي مشتقة من جمع (انت) باللغة الشركسية، حيث أن مقطع (خه) يعني مجموعة أو (جماعة) باللغة الشركسية وبالتالي جمع (انت) هو (انتيخه) .

رابعا: التسميات التي اطلقها الايطاليون

اطلق الإيطاليون اسم الشركس (Circasses) و (سيركاس) على (الاديغة) والتسمية جاءت من (الكتاب) الذي ألفه رحالة إيطالي واسمه انتريانو (Interiano) الذي ذهب إلى سيركاسيا (Circassise) أي إلى بلاد الشركس، في عام (١٥٠٢م) وهو بالفعل، يبدأ كتابه بالحديث عن أخلاق وعادات (الزيخ) بالجملة التالية: زيخي Zychi كما يقال لهم بلغة البلغار واليونان والطليان، بينما

يدعوهم التتر والترك باسم سيركاسي (Circassi) أما هم وبلغتهم الأصلية، فإنهم يطلقون على أنفسهم اسم آديك أو اديغة (Adige).[٢١]

خامسا: التسميات التي اطلقها العرب

أطلق العرب على (الجركس) أسماء عديدة منها: (سركس – سراكس – شركس – جركس).

كما أن ابن خلدون والبدر العيني، وغيرهما من كبار المؤرخين العرب يؤكدون بأن (الجركس) كان يتكون من أربع قبائل هي: (تركس)، (آراكس)، (كسا)، و (آص). وتتفرع من تلك القبائل الأربع (بطون وأفخاذ) كثيرة والمسعودي أشار في (مروج الذهب) بأن الجراكسة كانوا يعرفون قديما باسم (كشك) وباسم (كساق) كما جاء في كتاب تقويم البلدان (لأبي الفداء) نقلا عن المؤرخ (العزيزي).

اما نوح المرتوقي الشركسي فيقول بأن (جراكس) او (سراكس) جاء من اسم الأمير العربي (كسا من بني عامر القرشي) الذي هرب خوفا من قصاص الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) الذي قرر الاقتصاص من (كسا) لقلعه عين أحد العربان خلال لعبه بالرمح في احتفال شعبي... وسأل عمر عن (كسا) فقيل له (سرى) بمعنى (جرى) أي هرب (كسا) حتى وصل مع قبيلته إلى بلاد الشركس واستقر هناك، ومن هنا اطلق اسم (سرى كسا) على جماعته [٢٤].

كما اتفق بعض المؤرخين المعاصرين المهتمين بتاريخ الأمة الشركسية بأن الكلمة المستعملة في تسمية شعوب (شمال القفقاس)، ما هي إلا كلمة من مقطعين هما: (سير – كاس) والمقطع الأول كان نعتاً أو صفة واضيف على المقطع الثاني الذي هو الاسم القديم لهذا الشعب وأصبح يلفظها كل قوم حسب لغته. وان (الجراكس) هم بقايا شعب (كاس) من أوائل الشعوب التي سكنت بلاد القفقاس، وأن المؤرخين العرب المحدثين تمسكوا باسم (جركس). وأن الشراكسة في بلاد المهجر بالدول العربية يعرفون (الاديغة) اليوم باسم (الشراكسة) أو (الجراكسة). [٢٤]

سادسا: التسميات التي اطلقها الفرس:

يؤكد المؤرخون الفرس، ومنهم بعض المؤرخين الاتراك والعرب بأن كلمة (الجركس) مشتق من كلمتين هما (جهار وكاس) والتي تفيد معنى (الأربعة الكاسيون) أو (الاربعة رجال) باللغة الفارسية حيث ان كلمة (جهار) معناها بالفارسية (الاربعة) و (كاس) مشتق او كنية لشعب (كاس) الذي كان يعيش في القفقاس في عهد ما قبل الالفية الرابعة قبل الميلاد، وأما مصدر (الأربعة) عدد القبائل التي كانت تحمل اسم (كاس) وهي: (تركس، اركس، كسا، آس) وهي القبائل التي كانت تعيش في المواقع التالية: [٢٥]

١- قبيلة (تركس)، هم سكان ضفاف نهر (تيرك) في الشمال الشرقي من جبال القوقاز ويقال لهم أيضا شركس و شراكسة وما شابه ذلك مثل (جركس) وانحدر منهم شعب الداغستان.

٢- قبيلة (أراكس) وهم القاطنون دون نهر (أركس) القديم عند مصب نهر (الرس) ونهر (كر) عند ساحل بحر الخزر. وهم سكان (البانيا) قديما واذربيجان حاليا.

٣- قبيلة (آص أو آس) هم شعب (اللان) كما يذكره (الحافظ الشهابي العجمي) في كتابه (لب اللباب) وكانوا يقيمون في الجنوب الغربي من قمة جبل (البروز) حتى البحر الأسود.

٤- قبيلة (كسا) يقال لهم أيضا (كاساك) و (كساق) وهم سكان ما وراء جبل (البروز) في الشمال الغربي من جبال القوقاز إلى سهول نهر القوبان وما حولها وهم (الاديغة) حاليا [٢٥].

سابعا: التسميات التي اطلقها الاتراك:

يقول الأتراك أن اسم (جركس) أطلقه احد المؤرخين الاتراك على (الأديغة) لصفاتهم البدنية ولبراعتهم في القتال، فــ (جرى) بمعنى (جندي) باللغة التركية، ومقطع (كس) بمعنى (الرجل)، فيكون معنى (جركس) هو (الجندي الرجل) أو (الجندي البارع).

كما أن بعض المؤرخين الأتراك يقولون بأن (أتيغ خان) بن (كيمر خان) الملك الحثي الذي استولى على آسيا الصغرى كان قد سبق أن تزوج فتاة شركسية اسمها (جير غاس) بنت (كمير خان) بن (أوغوز خان) فاشتهرت (أنسال أتيغ خان) من زوجته الشركسية (جير غاس)، ثم أصبحت تلفظ (جركس) مع مرور الزمن[٢٦].

ثامنا: التسميات التي اطلقها الانجليز:

ربما كان الانجليز الوحيدين الذين تمسكوا بتسمية واحدة للشراكسة (قديما وحديثا) وأن هذه التسمية هي Circassians كما أطلقوا على بلادهم Cir-arcasia كما هو وارد في (دائرة معارف برتانيكا) الانجليزية [٢٨].

الخلاصة:

نستنتج مما تقدم بأن الأمة الشركسية بقبائلها المختلفة عرفوا بأكثر من اسم منذ القدم، وأن أسماءها قد تعددت واختلفت. وأن هذا الاختلاف كان نتيجة اختلاف لغات الأمم التي كان (الشراكسة) على اتصال مباشر وغير مباشر معهم في عصور ما قبل الميلاد وفي العصور الوسطى والحديثة، إلا أن المؤرخين على اختلاف جنسياتهم، وتباين ثقافاتهم، اتفقوا في كثير من الأحيان على اسم أو اكثر، كما أن دوائر المعارف المختلفة من أجنبية وعربية اتفقت على ثلاث تسميات للشراكسة وهي التسميات التي تعرف بها الشراكسة في وقتنا الحاضر وهذه الأسماء هي:

١- (الشراكسة) وتلفظ وتكتب بأكثر من طريقة وهي: جراكس وسراكس وشراكس، وبالانجليزية (Circassians) وأن هذه التسمية لا تشمل القوميات القوقازية الأخرى مثل الداغستان والشيشان والانجوش، والاستين كما كان عليه الحال في العصور القديمة.

٢- (أديغة) وتلفظ وتكتب بأكثر من طريقة وهي: أديكة، أديجة، وأديخة، واديغي وبالانجليزية (Adigey) وهذا هو الاسم القومي الذي يطلقه الشراكسة على أنفسهم، ويشمل هذا الاسم جميع القبائل الشركسية التي تتكلم لغة واحدة وهي (اديغا – بزة) اي (اللغة الشركسية) مع اختلاف اللهجات باختلاف القبائل التالية: قبردي وبلسيني، وتيمرقوي ، وابزاخ، وشابسوغ، وحتوفي، وزانه (جانه) وموخوش وحات – قوي، ونارت – خواج، وحاكوج، وأباظة، ولا يشمل قبيلتي الابخاز والاوبيخ ولهما لغتهما الخاصة.

٣- اطلق الروس في عهودهم الثلاثة (القياصرة والشيوعيين وروسيا الاتحادية) يطلقون ثلاثة القاب على الشراكسة الذين يعيشون في الوطن الأم ثلاثة أسماء وهي الاسم الاول (القبردي) أو كباردين ويطلق على الشعب الشركسي الذي يعيش في (جمهورية كباردينيا بلقاريا) والاسم الثاني (شركسيا) ويطلق على الشعب الشركسي الذي يعيش في جمهورية (قراشاي تشيركسيا)، أما الاسم الثالث (الأديغي) فيطلق على الشراكسة الذين يعيشون في جمهورية (الاديغي).

أما قبيلة الشابسوغ التي تعيش في منطقة كروسندا الروسية تعرف بنفس الأم.

وفي عام ٢٠١٠ عقدت منظمات الأديغة خاسه في جمهوريات الأديغي والقبردي – بلقاريا والقرشاي شركس وبعض منظمات المجتمع المدني "مؤتمر الشعب الشركسي الطارئ" في شركيسك عاصمة القرشاي – شركيس لبحث اقتراح إقامة "شركسيا الكبرى" لتضم تحت لوائها الشراكسة في الجمهوريات الثلاثة وتقدموا بطلب إلى المركز الفدرالي بخصوص توحيد شراكسة القفقاس في جمهورية واحدة ضمن بنية الفدرالية الروسية.

واذا تحقق هذا المطلب فإن الشعب الشركسي وقبائله الذين يعيشون في روسيا الاتحادية عامة والجمهوريات الفيدرالية الشركسية الثلاثة سابقة الذكر يصبح اسمهم شعب الاديغة – شركيسيا واسم جمهوريتهم الجديدة جمهورية شركسيا الكبرى".

مصادر ومراجع الفصل الرابع

١- ناميتوق، اتيك، اصل الشركس، مصدر سابق، ص٢١٩.
٢- نوغمو، شورا بلمرزا (نغوموقة) تاريخ الاديكة (الجركس) القديمة، ترجمه إلى اللغة الالمانية أدولف برجه ونقلها للعربية شوكت المفتي، ص:٨٣.
٣- سمكوغ، برزج أمين – الشركس في فجر التاريخ، مصدر سابق، ص: ٤٣-٤٤.
٤- اوزبك، باتري – اساطير النارتيين والتاريخ الحديث للشراكسة، ترجمة احمد راتب زنداقي، دمشق عام ١٩٨٨، ص: ١٠٤-١٠٥(نقلا عن كتاب (نارت) للمؤرخ الشركسي حداغالة المنشور في كراسنودار عام ١٩٦٧.
٥- حداغاله ، اسكر وبكيت احيانا (هاديغالة) اصدر سبع مجلدات ابتداء من عام ١٩٦٨ وحتى عام ١٩٧١ كما سبق ان اصدر عام ١٩٦٧ في كراستودار وكتاب ملحمة البطولة في الجذور ومنشور باللغة الروسية ص:١٠.
٦- باتريك، ايتك، مصدر سابق، ص: ٤٣.
٧- جوناتوقة، مصدر سابق، ص: (٨١).
٨- المصدر نفسه، ص: ٨٣.
٩- المصدر نفسه، ص٨٤.
١٠- ناميتوق، ايتك، مصدر سابق، ص٧٣.
١١- المصدر نفسه، ص:٢٦-٢٧.
١٢- جوناتوقة، مصدر سابق، ص٨٠.
١٣- ناميتوق، ايتك، مصدر سابق، ص: ٤٣.
١٤- أبراماموف، القوقازيون، مصدر سابق، ص٣١-٣٥.
١٥- نغموقه، مصدر سابق، ص: ٨ .
١٦- دائرة المعارف الفرنسية المنشورة في القرن التاسع عشر.
١٧- المؤرخ الايطالي انتريانو Interiuno في كتابه رحلة إلى بلاد سيركيسا Circassise عام ١٥٠٢ ترجمة آيتك ناميتوق ص: ٧٤.
١٨- دائرة المعارف الاسلامية ص٢٤٧-٢٤٨ اعداد فيصل خبطوش ابزاخ عمان ١٩٩٩.
١٩- آبه زاو، مصدر سابق، ص: ٤٤.
٢٠- دائرة المعارف الإسلامية، المجلد السادس، نقلها إلى العربية احمد الشيناوي وآخرون، ص: ٢٣٨.
٢١- دائرة المعارف الفرنسية المنشورة في القرن التاسع عشر.
٢٢- المؤرخ الايطالي انتريانو Interiuno – في كتابه رحلة إلى بلاد سيركسيا Circassisa عام ١٥٠٢ ترجمة أتيك ناميتوق ص: ٧٤.
٢٣- دائرة المعارف الاسلامية، ص٢٤٧-٢٤٨.
٢٤- نوح المرتوقي الجركسي، قهر الوحدة بذكر نسب الجراكسة من قريش ١٢٨٧هـ اعداد فيصل حبطوش ابزاخ عمان ١٩٩٩.
٢٥- آبه زاو – مصدر سابق، ص: ٤٤.
٢٦- دائرة المعارف الإسلامية، المجلد السادس، نقلها إلى العربية: احمد الشيناوي وآخرون، المجلد السادس، ص: ٢٣٨.
٢٧- جوناتوق، مصدر سابق، ص: ٨٠.
٢٨- دائرة معارف برتانيكا، المجلد الثالث.

الفصل الخامس

الموطن الأصلي لشعوب وقبائل الامة الشركسية

منذ فجر التاريخ

يؤكد علماء وصف الشعوب والأقوام القديمة (الإنتوغرافيين)، وعلماء طبائع الأقوام القديمة (الباليونتولوجيين) وكذلك علماء الآثار (الأركيولوجيين) بالإضافة إلى علماء (الأنثرولبوجيين)، بأن شمال القفقاس هو (متحف) الأقوام القديمة، وأن التقدم الحضاري لهذه الأقوام لم يأت من الخارج، وأن الاثار التي اكتشفت ليست مستوردة وإنما هي من صنع اجداد الشراكسة والأقوام التي استوطنت في شمال القفقاس.

كما أجمع علماء التاريخ القدامى منهم والمعاصرين بأن موطن أجداد الشراكسة هي منطقة القفقاس منذ الألف الثامن ما قبل الميلاد وان هذه المنطقة تتمتع بمزايا جغرافية وبيئية ربما لا تتمتع بمثلها أي منطقة في العالم (قديما وحديثا)، الأمر الذي ادى لغزوها من قبل عشرات الأمم والشعوب والدول القديمة منها والمعاصرة، وأن آخر هذه الدولة هي دولة روسيا القيصرية التي احتلت وطنهم الام بالكامل بعد ان قتل أو نفي أكثر من مليونيين منهم واقتلاع مليونيين آخرين وطردهم بقوة السلاح إلى الولايات التركية في عهد الخلافة العثمانية خلال الفترة من ١٨٦٤م إلى ١٩٢٠م.

وللتأكد من صدق ما نقول حول المزايا الجغرافية والخصائص البيئية للموطن الأصلي للشراكسة كان لا بد لنا من استعراض شهادات عدد من علماء الجغرافيا الاجانب وكذلك التعرف على وصف عدد من الباحثين والرحالة والعسكريين الروس وغيرهم من الاوروبين.

نذكر منها الأقوال والشهادات التالية:

- **الشهادة الاولى هي شهادة الباحث الكسندر غريغولا** وكتب في الأطروحة التي أعدها لنيل شهادة الدكتوراه من جامعة بنسلفانيا تحت عنوان: العدالة والعادات في القوقاز.. قائلا "منذ القدم أثارت القوقاز اهتمام الشعوب، فبالنسبة للمصريين كانت حدود المعمورة. وبالنسبة لليونان كانت أرض العجائب والرخاء، الغنية بخصوبة تربتها وتوفر الثروات المعدنية فيها والمزدهرة ببساتين الفاكهة ودوالي العنب المتسلق على الأشجار والجدران والمصاطب ومياه الأنهار والسيول التي تحمل ذرات من تبر الذهب فيلجأ المواطنون إلى غمس جلود الغنم في مياه سيولها الجبلية ويجمعون ذرات تبر الذهب التي تعلق بها. كما كان بالنسبة للإغريق بأنها أرض (الصوف الذهبي) ومسرح أساطيرهم الجميلة المشهورة. فأسطورة الأرغنوت ومغامرات ابطال الإغريق تدور حول بحثهم عن (الصوف الذهبي) في أرض الكولخيين القديم. كما وأن اسطورة (بورميثوس) التي تسرد كيف قيد على قمة عالية من جبال القوقاز. (واخيلوس) الذي خلّد في شعره العالمي مكانة، وجبال القوقاز المكسوة بالثلوج وتغنى بأرض القوقاز التي يقبع فيها مقيداً وسجيناً (بروميثوس) الذي سرق شعلة نار من السماء وجلبها للأرض منفعة للبشرية.

"وسفينة نوح التي رست على قمة جبل ارارات الواقعة في الطرف الجنوبي من القوقاز. كما اعتبر علماء الأصول العرقية بأن القوقاز هو مهد الانسان، بينما اعتبرها آخرون بأنه ملجأ ومخبأ لأقوام عديدة. (١)

- **الشهادة الثانية وهي شهادة المارشال أندريه غورميكو** (وزير دفاع روسيا سابقا) معترفا بالتضاريس الطبيعية المتمثلة بجبالها الشاهقة وبسهولها الخصبة وأنهارها المتعددة وبحيراتها العذبة، ومياهها المعدنية وغاباتها الكثيفة المملوءة بالحيوانات البرية المتعددة وممراتها الطبيعية ذات الأهمية الاستراتيجية وثرواتها الطبيعية المدفونة منها والظاهرة، ومناجمها المدفونة في الأعماق وآبارها البترولية والغازية المزروعة في كل مكان. واضاف بأن تنوع وتعدد

تضاريسها الطبيعية تجعل بلاد القفقاس نموذجاً لتكامل التضاريس التي لا يمكن ان يوجد منها في بقاع الكرة الأرضية فهي عبارة عن كرة أرضية مصغرة في تكوين طبيعتهاالجغرافية [٢].

- **الشهادة الثالثة جاءت على لسان أجنيس هيربرت** في كتابها (ذكريات من القوقاز) طبيعة القفقاس قائلة:

"وليس في العالم بلد له ما للقوقاز من تأثير على النفس.. فإذا نظرت حولك تولدت لديك عشرات الألوف من المشاعر المختلفة لتعدد تضاريسها وغزارة ألوانها وخصوبة أرضها. فهنا ريف انكلترا الأخضر، وهناك هضاب اسكتلندا الحرجية بألوانها الخضراء والذهبية، وفي مواقع أخرى مروج وسهوب افريقيا الواسعة أو صحاريها الملتهبة حيث تتصاعد زوابع رملية وكأنها تمتد من الأرض باتجاه الشمس، بينما نشاهد في الأفق القريب القمم الشامخة المغطاة بالثلوج الدائمة تذكرنا بغموض وجبروت المناطق المتجمدة الشمالية" [٣].

- **والشهادة الرابعة هي للكاتب الانجليزي فتزوري ماكلين** الذي قال: (القوقاز نهاية حدود المعمورة وأغلب الناس يفتنهم سحر المناطق الحدودية. والقوقاز بسلسلة جبالها الشامخة التي تشكل حاجزاً كبيراً من البحر الأسود إلى بحر قزوين وتفصل أوروبا عن آسيا والغرب عن الشرق والمسيحية عن الإسلام، وهي من أجمل المناطق الحدودية في العالم وأكثرها سحراً. فمنذ أقدم الأزمنة كانت القوقاز تشكل منطقة رومانسية خيالية. فبالنسبة لبعضهم كانت سلسلة جبال القوقاز بمثابة حدود المعمورة.. وما وراءه خيال وغموض. فأبحر إليها (جيسون مع الأرغنوت) بحثاً عن الخلود ذات الصوف الذهبي. وعندما تطلعوا ذات يوم وشاهدوا قمماً ثلجية بيضاء وكأنها معلقة بين البحر والسماء وتتألق فوق منسوب السحب عرفوا أنهم وصلوا إلى القوقاز.. ويستطرد قائلا:

"فهنا في بلاد (الابخاز) مارست (ميديا) سحرها، وعلى قمة جبل (كازبك) قام الاله (زيوس) بتقييد (بروميثوس) بالسلاسل الحديدية وأرسل النسور الكاسرة تنقر عينيه وتنهش قلبه عقاباً له على جرأته وقيامه بسرقة شعلة نار من السماء لخدمة البشرية. وهنا وحوش مرعبة ذات عين واحدة تحرس الكنوز الذهبية وتتقاتل فيما بينها. وهنا عاشت نساء الامازون الشرسات اللواتي كرهن الرجال. والساحر في قصص ألف ليلة وليلة يهدد بأنه سينقل مدينة خصمه إلى ما وراء جبال (القاف) والمقصود به جبال القفقاس ويحول أهلها إلى حجارة". [٤]

- **والشهادة الخامسة هي للسير جون ماندفيل** الذي كتب حول جبال جورجيا قائلا: "توجد في مكان ما بين جبال جورجيا منطقة يكتنفها ظلام حالك بسبب الضباب الكثيف، ويتعذر على الإنسان أن يرى فيها شيئاً ولا يجرؤ على التوغل فيها. إلا أن المواطنين المجاورين لتلك المنطقة يدعون بأنهم كثيراً ما يسمعون منها صوت إنسان أو صهيل حصان أو صياح ديك، وهم واثقون بأنه يعيش في تلك المنطقة قوم يجهلون عنهم كل شيء".[٥]

- **والشهادة السادسة هي للرحالة الفرنسي البير جاك** الذي زار تشيركيسيا في القرن السابع عشر وبالتحديد عام (١٦٧٠) وكتب قائلا: "تشيركيسيا بلاد جميلة وجيدة ذات تنوع طبيعي كبير، ففيها السهول والغابات والجبال والتلال والعديد من الينابيع التي يكفي واحد منها سبعة أو ثمانية تجمعات سكنية تقع حوله .. إن التربة هناك غنية بحيث ان كمية الثمار تشكل وفرة كبيرة ولا تحتاج إلى جهد خاص لجنيها.. وتتكون الثروة الرئيسة من القطعان وخاصة الخيول الجميلة التي تشبه الاسبانية كثيرا، كما أنه توجد لديهم أعداد كبيرة من الأغنام والماعز ذات الشعر الجيد مثله مثل الاسباني، أما الأبقار والثيران فليست بذلك المستوى حيث أنها لا تهم الشراكسة كثيرا، فلديهم من اللحم الجيد والدجاج اللذيذ وطرائد الصيد أكثر مما يستطيعون استهلاكه.. وهم لا يستعملون للصيد الكلاب أو الطيور فلديهم خيول رائعة إلى حد أنهم يجبرون القنيصة على الاستسلام في أثناء مطاردتهم لها.."[٦]

- **والشهادة السابعة هي للروسي ديفيد توتاييف** الذي وصف لنا طبيعة بلاد القوقاز وثرواتها الدفينة وتضاريسها الطبيعية بقوله:

"القوقاز غنية من عدة وجوه.. أراضيها الخصبة، ومياهها الغزيرة، وطقسها المناسب، ومصحاتها الشهيرة، ومناطق الصيد ومرابع السياحة، وسفوح التزلج على الثلج، وآبار البترول والغاز، ومناجم المعادن والخامات المختلفة، ومحطات توليد الطاقة الكهربائية. وكانت القوقاز المصدر الوحيد للبترول في الاتحاد السوفيتي مما جعل احتلالها هدفاً رئيسياً للاستراتيجية العسكرية الألمانية خلال الحرب العالمية الثانية، وكان يمثل انتاج القوقاز ٩٤% من مجموع انتاج الشاي في الاتحاد السوفيتي السابق.

- **والشهادة الثامنة هي للسائح الفرنسي فرانس شيراك** الذي زار القفقاس وفي عهد روسيا الاتحادية وعبر عن دهشته قائلا: "إن الله تعالى قد أظهر قدرته وبراعته بتجميل الطبيعة في هذه البلاد".

- **والشهادة التاسعة هي للكاتب (اسطورة كاوس) اليونانية**، والتي تقول: "أثناء محاولة الآله الأعظم خلق الأرض أصبحت الأرض في حالة غليان شديد لا تستقر فأمر الإله ملاكاً يدعى (سوفوكليس) أن يأخذ قبضة من جواهر الجنة فينثرها على الأرض لتستقر وتهدأ، وفعل الملاك ما أمر به فنثر قبضة من جواهر الجنة في القفقاس واستقرت الأرض". (٧)

وأخيراً شهادة المؤرخ الشركسي الأصل (جونا توقة) الذي وصف جمال الطبيعة الجغرافية لبلاد القفقاس الشمالي موطن اجداد الشراكسة منذ العصور الحجرية بقوله: "وإذا قارنا القفقاس ببلاد سويسرا لوجدنا أنها تكبرها بإحدى عشرة مرة، ويزيد سكانها عن سكان سويسرا خمسة أضعاف، وأنها ستكون يوما ما سويسرا الشرق لما امتازت بها من جمال الطبيعة وجمال التكوين (٨).

هذا هو الموطن الأصلي للشراكسة، وتلك هي البلاد التي نشأ فيها اجداد الشراكسة منذ العصر الحجري القديم الأدنى وهي بلاد جميلة في تضاريسها الطبيعية وغنية بثرواتها المعدنية ومتطورة في انتاجها الزراعي والحيواني منذ (٨) الاف سنة قبل الميلاد.

كما كتب العشرات من الباحثين وعلماء الجغرافيا حول ابرز وأهم الخصائص الجغرافية والبيئية للوطن الأم للشراكسة نذكر منها الخصائص التالية:

*** أولا: اتساع مساحة منطقة القفقاس عامة وموطن الشراكسة في شمال القفقاس خاصة.**

يشغل القفقاس مساحة واسعة (كما هو مبين في الخارطة المرفقة حيث يبلغ عرضها في أضيق حدوده الواقع على خط (بوني – ماخاتشكالا) حوالي (٥٠٠) كيلومتراً والمساحة الممتدة من الحدود الشمالية للقفقاس حتى حدوده الجنوبية حوالي الف كيلومتر، كما تمتد حدوده البرية مع تركيا وإيران في الجنوب حوالي ١٣٨٢ كيلومتراً منها ٧٨٠ كيلومتراً مع تركيا ويحده من الشرق بحر قزوين (بحر الخزر سابقا) ومن الغرب البحر الاسود (وتم حفر قناة بين البحرين) يمتد بين نهر استراخان ونهري الدون والفولغا وتعادل مساحة القفقاس نحو ثلث مساحة الولايات المتحدة الامريكية وربع مساحة اوروبا وتقدر مساحته بحوالي ٦٠٠,٠٠٠ كيلومتر مربع (٩).

وابتداء من القرن السابع عشر الميلادي اطلق على جميع المناطق التي تسكنها القبائل الشركسية المكونة من الاديغة والاوبخ والابخاز والاباظة اسم (تشركسيا) وتقدر مساحتها حوالي ٢٥٠,٠٠٠كيلومتر مربع.

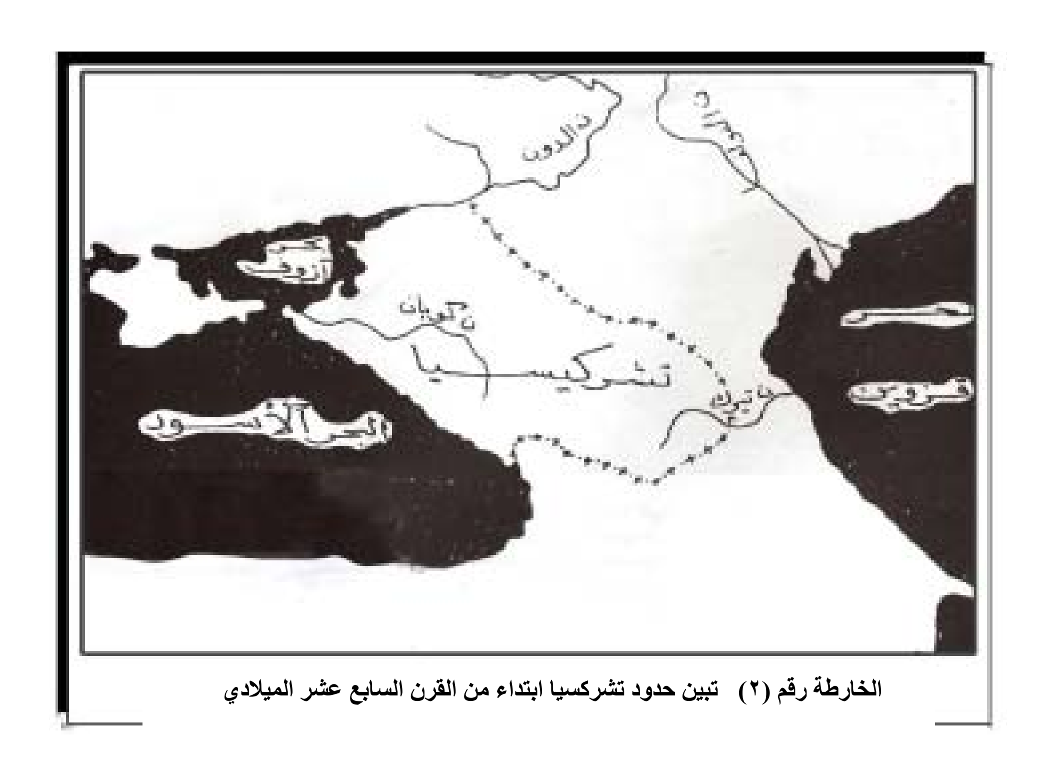
وفي عام ١٨٦٤، وبعد استيلاء سلطات روسيا القيصرية للوطن الأم للشراكسة تم تقسيمه إلى اربع (جمهوريات)، مقاطعات صغيرة.

يلاحظ كما تقدم أن (مجموع مساحات المقاطعات) التي حددت لسكن الشراكسة الذين نجوا من القتل أو التهجير عام ١٨٦٤ لم تتعدَ (٤٢٠٠٠) كيلو متر وهي مساحة لا تشكل اكثر من ١٢% من المساحة الأصلية لبلاد الشراكسة.

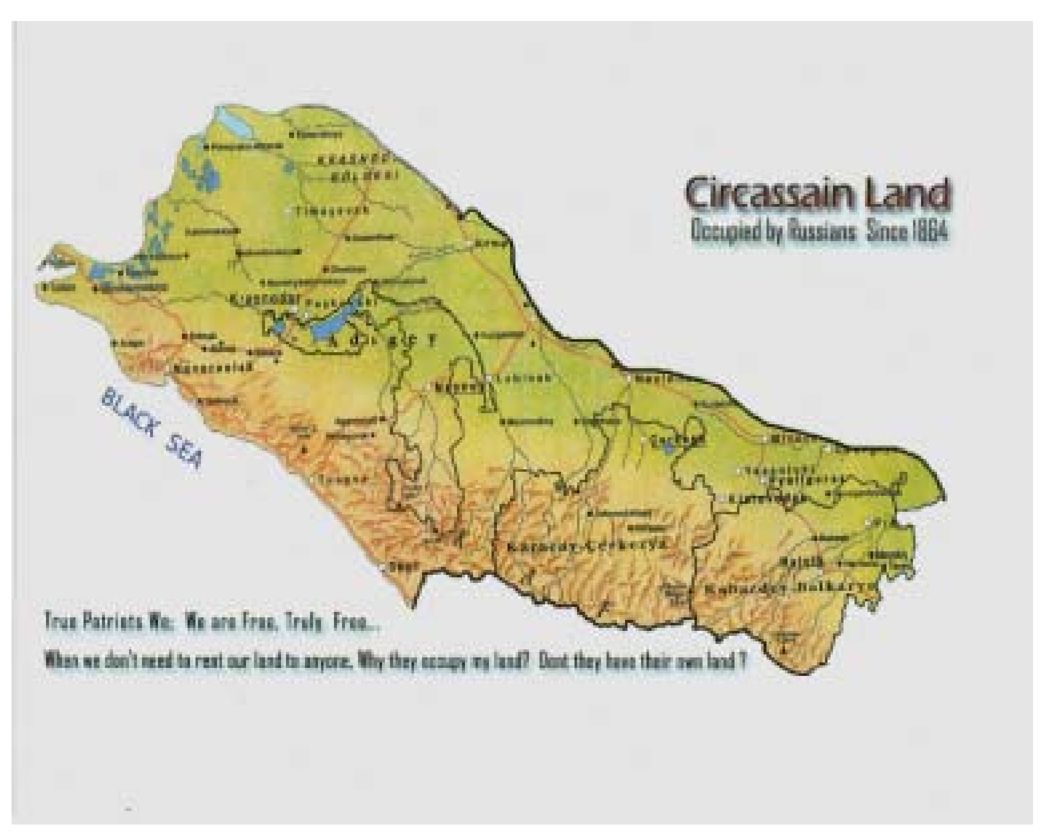
وفيما يلي مجموعة من الخرائط التي تبين مدى تآكل أراضي الموطن الأصلي للأمة الشركية منذ فجر التاريخ وحتى العصر الحديث.



الخارطة رقم (١)   تبين حدود القفقاس الطبيعية في العصور القديمة



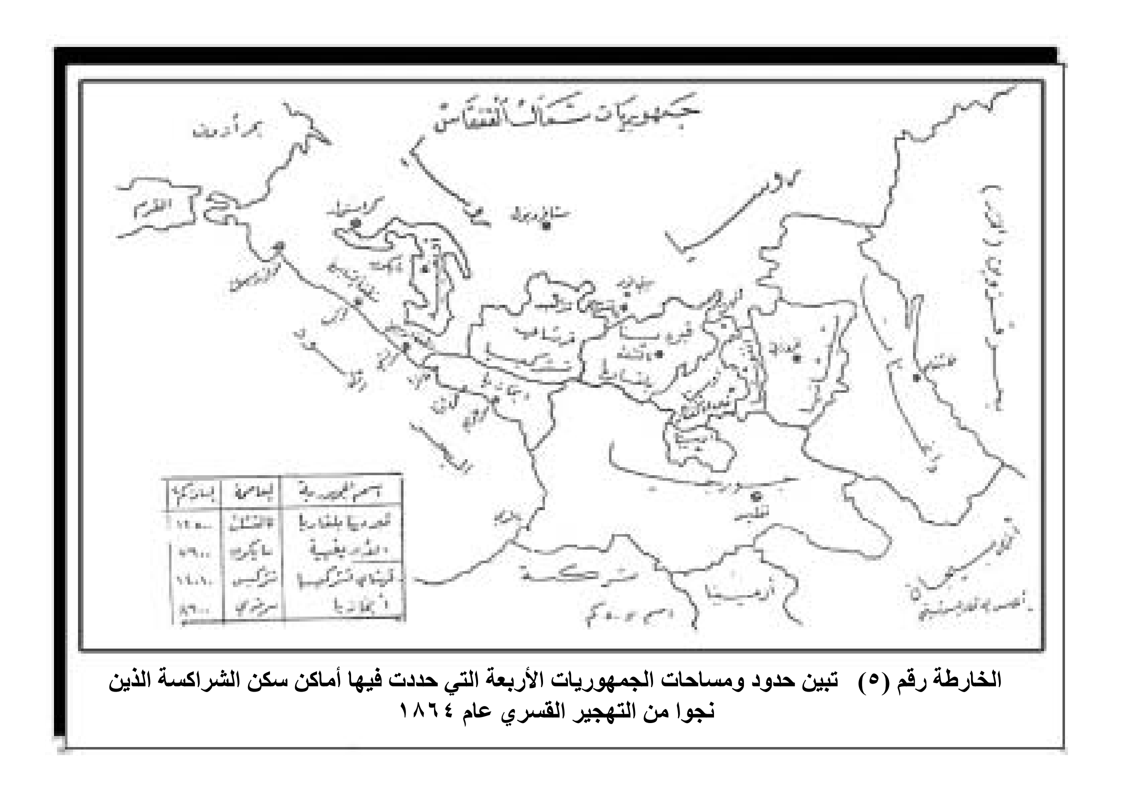
الخارطة رقم (٢)   تبين حدود تشركسيا ابتداء من القرن السابع عشر الميلادي



الخارطة رقم (٣) تبين حدود الوطن الأم في شمال القفقاس قبل الاحتلال الروسي عام ١٨٦٤



الخارطة رقم (٤) تبين حدود الجمهوريات الاربعة التي حددت فيها سكن الشراكسة ما بعد الاحتلال الروسي عام ١٨٦٤



الخارطة رقم (٥) تبين حدود ومساحات الجمهوريات الأربعة التي حددت فيها أماكن سكن الشراكسة الذين نجوا من التهجير القسري عام ١٨٦٤

ثانيا: تميز بلاد القفقاس بجبالها الشاهقة والانهار والحمامات المعدنية والمنتجعات الطبيعية

تشكل السلسلة الرئيسية الجبلية في القفقاس التي تمتد من شبه جزيرة أبشيرون على ساحل بحر الخزر شرقا حتى شبه جزيرة تامان على الساحل بين البحر الأسود وفرعه بحر آزاق في الشمال الغربي بطول ١٣٠٠ كيلومتر تقريبا.

كما تشكل هذه السلسلة سداً طبيعياً بين شمال القفقاس وجنوبه وبين البحر الأسود والداخل، ولهذه السلسلة امتدادات في الشمال ومنحدراتها ذات ميل تدريجي مشكلا وديانا واسعة طويلة حول مجرى الأنهار، وبعض هذه الوديان تضيق عند نهايتها حتى تشكل مضيقا جبلياً يفصل الوادي الداخلي عن السهول الشمالية ويليها إلى الشمال السهول والسهوب، أما الامتدادات الجنوبية لسلسلة جبال القفقاس فهي أشد ميلا ولها امتدادات جبلية تجعل منطقة جنوب القفقاس في كورجستان (جورجيا) وارمينيا وأذربيجان بلاداً جبلية وأعلى منطقة في سلسلة القفقاس تبدأ شرقاً من مرتفعات (ياروبولا) حيث منابع نهر (اندقويسو) حتى منابع نهر (تيبرد) غربا، وهذا القسم بطول ٣٥٠ك.م وهو يحتوي على أعلى القمم وأعظم الجموديات وفيه كتلة تمتد مسافة ٦٠ك.م تضم أعلى جبال القفقاس ومحورها جبل ألبروز وارتفاعه ٥٦٣٣م.

والكاتب الروسي مؤلف كتاب (Exploration of the Caucasus) يقول: "يوجد في قفقاسيا حوالي (٤١) جبلاً ارتفاع قممها ما بين (٥٦٣٣م و ٤٢٨٩م) منها (٩) قمم ارتفاعها ما بين (٥٦٣٣ و ٥٠٠٤) و (٢٢) قمة ارتفاعها ما بين ٤٥٣٠م ، و٤٥٣٤ كما هو مبين في الجدول التالي:

ثالثا: تمتع بلاد الشراكسة بشبكة مائية نهرية لا مثيل لها في كثير من المناطق في العالم

يقول الجنرال (غورميكو) في كتابه (ملحمة القفقاس) بأن أنهار القفقاس الشمالي تجري بصورة عامة موازية للجبال، وتستقي منها روافد عديدة بالمئات، والقفقاس يملك شبكة مائية نهرية لا مثيل لها وخاصة في الهضبة الوسطى كما ان هذه المنطقة تحتوي على ينابيع معدنية كثيرة متعددة الصفات وأهمها في (نارتسان) أي بلاد النارت ولكثرة المياه فيها يسميها الجركس (بس كون) أي مستودع المياه. والمنابع الأولى لهذه الأنهار تتغلغل إلى أعماق السلسلة الجبلية وتشكل ودياناً طويلة

ملتوية وفروعها الكبرى تكون سهولا رائعة حول مجاريها تمتاز جميعا بالخصب الزائد والبهاء والرونق الطبيعي الذي يأخذ بمجامع القلوب، كما أن الغابات الخضراء تكسبها جمالاً طبيعيا لا يوجد مثيل له [١٢].

وأن اشهر انهار القفقاس هي:

كوبان – وتيرك – وقوما – ومانيج في الشمال، وفي الجنوب انهار ريون، وكر، وآراس، وفيما يلي وصف ملخص لكل نهر من تلك الأنهار:

نهر كوبان: ويسمى بسيغ باللغة الشركسية وتتكون منابعه الأصلية من وديان كتلة جبل البروز، وبعد ان تتجمع روافده الأولى وتنفذ إلى السهل شمالاً يتجه النهر نحو شمال غرب البلاد حيث يرفده العديد من الأنهار التي تنحدر من وديان الجبال مث: انهار لابا – ولايا واينجيغ وشحه كواشه... الخ.. وفي شبه جزيرة تامان ينقسم نهر كوبان إلى قسمين يصب فرعه الشمالي في بحر آزوف وفرعه الجنوبي في البحر الأسود. وطول هذا النهر ٨١٠ ك.م وفروعه حوالي ١٤٠٠٠ فرع.

نهر مانيج: منابعه في السهول الشمالية في منطقة مستنقعات مانيج والبحيرات المالحة يجري باتجاه الشمال الغربي ويصب في بحر آزوف.

نهر تيرك: المنبع الأصلي لهذا النهر هو المكان الذي يسمى (كريستولا) ويقع في ممر داريال، ويتجه في مسيله إلى الشمال الشرقي وترفده عشرات الأنهار التي

تسيل من وديان الكتلة الجنوبية الوسطى مثل انهار سونجا وروافده وصولاق وروافده ويصب في بحر الخزر بدلتا واسعة، واضيق محل فيه (١٠٠م) ويبلغ عرضه عند مصبه (٥٠٠م).

نهر قوما: توجد منابع روافده من كتلة جبل البروز الوسطى، وتتجه فروعه نحو الشمال ثم الشرق وتتلاقى ويتابع النهر مسيله في سهول الاستبس حتى يصب في بحر الخزر.

اما الانهار التي تجري في بلاد الشركس فهي على النحو التالي:

تجرى في جمهورية كباردينا بلغاريا (٩) انهر رئيسية ابتداء من نهر باخسان وتيرك وبلقا وتشيرك بالإضافة لأنهار ارغودان وشحيم وكوركوترين واوروخ ولبسكن.

وفي جمهورية تشيركس فرشاي تجري انهار الكوبان (ينجج الكبير وينجج الصغير) واللابا، دنيادرا.

وفي جمهورية اديغي فإن امتداد انهار الكوبان واللابا، وبشكوبس، كيشا، شخاريا، خودز، ادراس يمر فيها.

أما البحيرات فإنها تمتد بالمئات منها (١٠٠) بحيرة في جمهورية كباردينا بلغاريا وحدها وأهمها:

تسيركل، جلوبيا السفلي، جلوبيا العليا، كيلتشيس وتقع ٥٥% من هذه البحيرات ما بين نهر باخسان ونهر ملقا.

وهناك في جمهورية تشركيس قراشاي خزانات مياه طبيعية، مثل خزان تشريكيس، ويبلغ مجموع مساحة مسطحاتها المائية اكثر من مائة الف متر مربع[١٣].

رابعا: تتميز بلاد القوقاز عامة وبلاد الشراكسة خاصة بالحمامات المعدنية والمصحات والمنتجعات الشهيرة

يوجد في القفقاس (٦٠٠) نوع من المياه المعدنية تصل درجة حرارة المياه الحارة فيها ما بين (١٠) درجة إلى (٦٠) درجة مئوية كما يوجد في القوقاز

(١١٤) من مجموع (٤٢٣) مصحاً في روسيا الاتحادية موزعة على النحو التالي:

٢٠ مصحا في جمهورية أذربيجان. ٩ مصحات في جمهورية أرمينيا.

٦٤ مصحا في جمهورية جورجيا. ٢١ مصحاً في شمال القوقاز.

جدول لمصحات الشهيرة في القوقاز

المصدر: مجلة Cancasion Review Vol. 1, 1955

الرقم	اسم المصح	فتح المصح للزوار	معدل الامطار مم	معدل عدد الساعات المشمسة في السنة
١	اباستوماني	طول السنة	٦١٨	١٩٨١
٢	انابا	=	٦٨٠	٢٥٥٦
٣	آرزني	١١/١٥–٥/١٥	٣٥٠	١٩٦٣
٤	بورزهوي	تموز وأكتوبر	٥٨٠	١٧٠٠
٥	غاغا	طول السنة	١٣٠٠	١٨٥٠
٦	غيليند زهك	مايو– اكتوبر	٧٠٠	٢٤٠٠
٧	ديلزهان	طول السنة	٥٤٠	٢٠٩١
٨	اسنتوكي	=	٥١٩	٢٢٤٠
٩	زغيرنوفودسك	=	٥١٩	٢٢٤٠
١٠	بارداكياني	=	١٢٠٠	٢٠٠٠
١١	نالتشك	١١/١–٥/٥	٦٠٠	٢٢٨٩
١٢	بياتيغورسك	طول السنة	٦٠٠	٢١٨٦
١٣	سوتشي	=	٦٨٢	٢٠٠٠
١٤	سوخومي	=	٨٦٠	١٨٩٥

خامسا: الثروات الزراعية والحيوانية وتتكون من الثروات التالية:

١) الغابات والأحراج:

تغطي ٣٥% من مساحة القفقاس كما تغطي كامل سلسلة القفقاس الرئيسية وسطوحها حتى ارتفاع (١٥٠٠–١٨٠٠)م بالأحراش والغابات وأغلب أشجارها من النوع الدائم الخضرة. كما تغطي الغابات السلسلة الجبلية الأصلية على امتدادها بعرض ٢٥ك م من كل جانب، وتغطي سفوح جميع الجبال الفرعية في الشمال والجنوب وتمتاز الجبال على ساحل البحر الأسود بجمال مناظرها.

٢) أنواع الأشجار والمزروعات

يوجد في سلسلة جبال القفقاس أنواع من الشجر التي تستخدم في صناعة اجود انواع الخشب كما تحتوي الغابات أنواع كثيرة من الأشجار المثمرة (الطبيعية) غير مملوكة لأحد مثل البندق والجوز والكستناء والكمثري والتفاح والخوخ والتين والأعناب، وأنواعاً أخرى عديدة، وحتى عهد قريب كانت منطقة مزدوك (الغابة الصماء) مكسوة بأحراش كثيفة يصعب المشي خلالها، وكذلك حوض نهر كوبان.[١٥]

وتمتاز أراضي القفقاس بأنها تصلح لجميع أنواع الزراعة حتى أن القفقاس كان يعد (المزرعة الأولى) في الاتحاد السوفياتي كله (سابقا) ويعتبر مستودعاً مهما لتأمين التموين وكانت كولخزات المزارع التعاونية السوفيتية في القفقاس تأخذ دائما الدرجة الأولى في الانتاج الزراعي على كافة مناطق الدولة.

كما يزرع الذرة الصفراء في القفقاس بشكل دائم وينتج منها أجود الأنواع وكذلك الشعير والجلبان والبقول والخضراوات والفواكه والشمندر السكري الذي يؤمن جانباً كبيراً من احتياج الاتحاد السوفياتي (سابقا)، وبساتين الفواكه بجميع أنواعها حتى المشمش والحمضيات تنمو بشكل جيد جداً على السواحل وفي جنوب القفقاس.

وربما يمتاز القفقاس عن أوروبا في امكانية زراعة الكروم على ارتفاعات تزيد على (١٦٠٠م) عن سطح البحر بينما في اوروبا لا تعيش الكروم على ارتفاعات تزيد على ٩٠٠م فوق سطح البحر.

وأما القطن فيتم زراعته على ارتفاع ٦٨٠م عن سطح البحر والحبوب حتى ارتفاع ٢٣٠٠م عن سطح البحر. كما يزرع الشاي في مناطق عدة ويعطى محصولا وافراً، كما تعطي أهمية كبرى لزراعة نبات دوار الشمس، وقد اشتهرت مؤخراً بزراعة التبغ وتنتج منه أنواعاً ممتازة ومحصولاً وافراً. وأخصب الأقاليم وأكثرها ملاءمة للزراعة هي منطقة الأبخاز (أباظة) وفي الشرق ساحل البحر الأسود.

٣) النباتات البرية:

تنمو النباتات البرية في جبال القفقاس على ارتفاعات لا تصل إليها في جبال اوروبا. وفي جبال القفقاس أنواع من النباتات وتزدهر بكثافة اكثر مما في جبال الالب، والنباتات بصورة عامة في القفقاس تشابه نباتات فرنسا الغربية اكثر من مشابهتها لنباتات حوض البحر المتوسط، ومع ذلك فإن مناطق (بوتس وصخوم وكوتائيس) تحتوي على نباتات منطقة حوض البحر المتوسط وغرب اوروبا خاصة في سواحل البحر الأسود وبحر الخزر التي تتأثر بالإقليم البحري [١٦].

وأكثر الاعشاب والنباتات نمواً في بلاد القفقاس هي الازهار البرية ذات الروائح الطيبة، والبهاء والرونق بالإضافة إلى أعشاب طبية متعددة ومتنوعة.

٤) الحيوانات البرية:

تعيش على جبال القفقاس وهضابها وممراتها عشرات الأنواع من الحيوانات البرية أهمها: النمر والفهد والثور الهندي والدب والذئب والثعلب والقط البري والغزال والماعز البري والوعل والجواميس البرية والطيور الجارحة مثل العقبان والنسر.

٥) الحيوانات الأليفة:

تشير الدراسات المتعلقة بالثروة الحيوانية (الأليفة) في بلاد القفقاس الشمالي بأن جميع أنحاء بلاد القفقاس ذات شروط مشجعة جداً لتربية الماشية بجميع أنواعها لكثرة مراعيها وأعشابها التي تغطي الجبال والسهول والغابات واطراف المزارع لذلك يتم فيها تربية قطعان الغنم والماعز والبقر والجواميس بكثرة، كما أن البقر القفقاسي الأصيل من أضخم انواع البقر في العالم كله، كما كانت تربى فيها قطعان الخيول، خاصة اجود الأنواع منها مثل الخيول الأصيلة الكريمة وهي (آلب، فاره بسوغ – بروبل – بجقان – شولوخ) وان اجود أنواع الخيول تمتاز بالقوة والضخامة والسرعة هي (فاره يسوغ، وهي ضامرة جميلة سريعة كالريح). أما الحمير والجمال فإن الشراكسة لم يكونوا يهتمون بتربيتها.

٦) الطيور والدواجن:

وهي منتشرة بكثرة لسهولة تأمين غذائها ولا يوجد بيت شركسي يخلو من عشرات او مئات طيور الدجاج والبط والوز والحمام وغيرها من انواع الطيور النادرة.

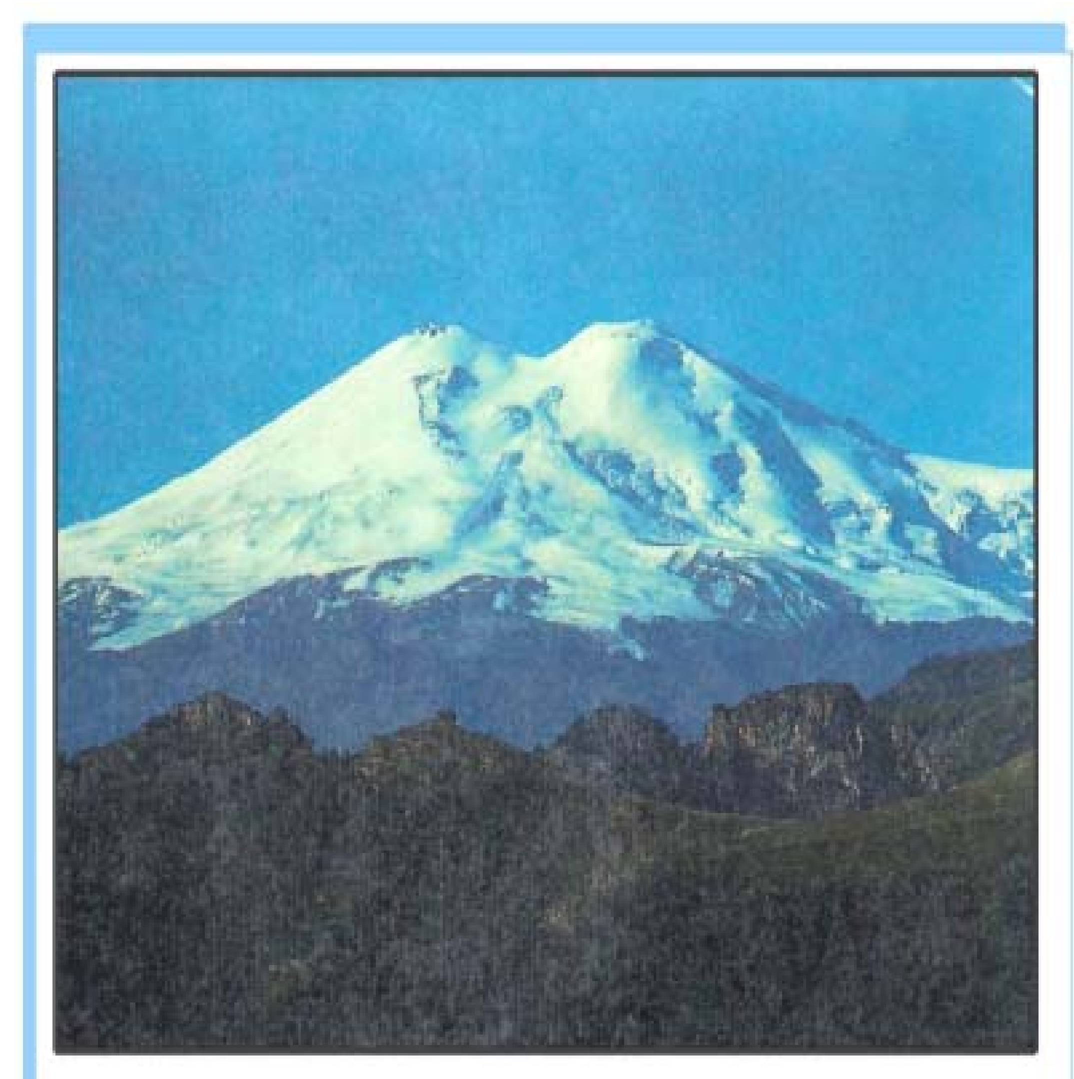
سادسا: المصادر الطبيعية والثروات الدفينة في بلاد الشراكسة

يعد القفقاس من أكثر المناطق في روسيا واوروبا غناءً في ثرواتها الطبيعية وبالأخص الثروات التالية:

٢) **البترول:** ويستخرج من سهول الكوبان في بلاد الشركس (بالقوقاز) وفي (باكو) في اذربيجان و (غروزني) في الشيشان و (مايكوب) في بلاد الأديغي و (مزدوك) في منطقة القبرطاي المسيحين بالإضافة إلى منطقة سونترتال.

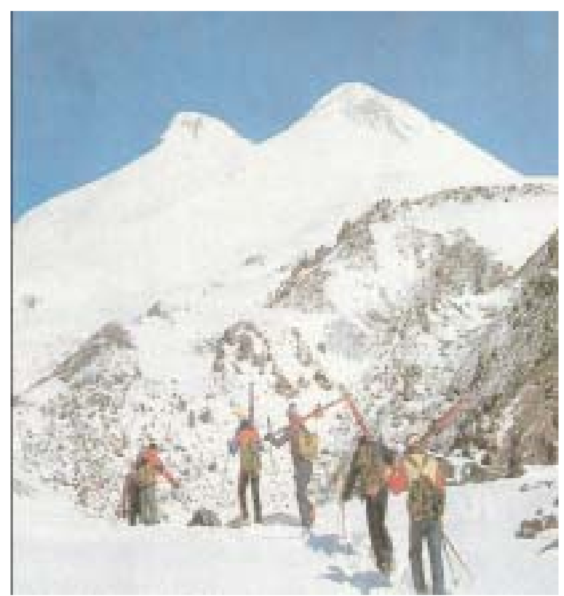
٣) **المعادن:** تستخرج من ارض القفقاس المعادن التالية: المنغنيز، والفحم، والحديد (كان القفقاسيون أول من استخدم الحديد في الصناعة في العالم)، والذهب والالمنيوم والفضة والتوتياء والقصدير والكوبالت والنحاس.

٤) **البراكين:** يوجد في القفقاس جبال بركانية صخرية وفيها ايضاً العديد من الفوهات البركانية الخامدة في منحدرات جبال (هرمة) منذ القدم [١٧].

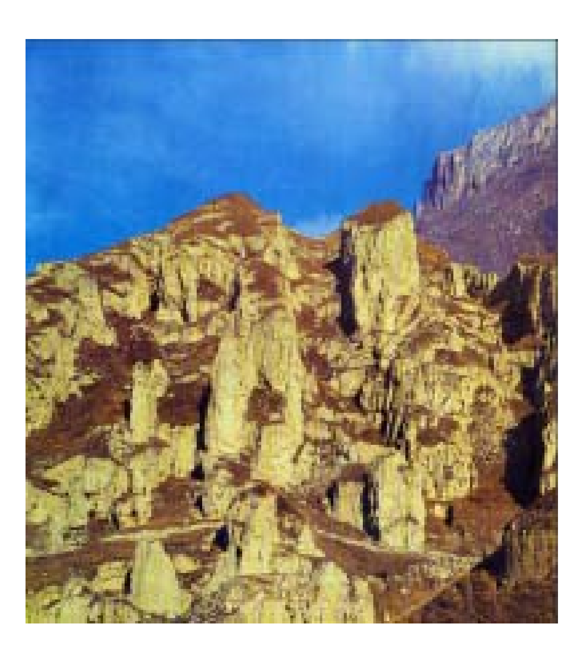


منظر عام لقمة جبل البروز في منطقة القبرطاي في الوطن الأم ويبلغ ارتفاعه ٥٦٣٣م من الجهة الغربية و ٥٥٩٥ من الجهة الشرقية

نماذج
من المناظر الطبيعية في بلاد الشراكسة في الوطن الأم في شمال القفقاس

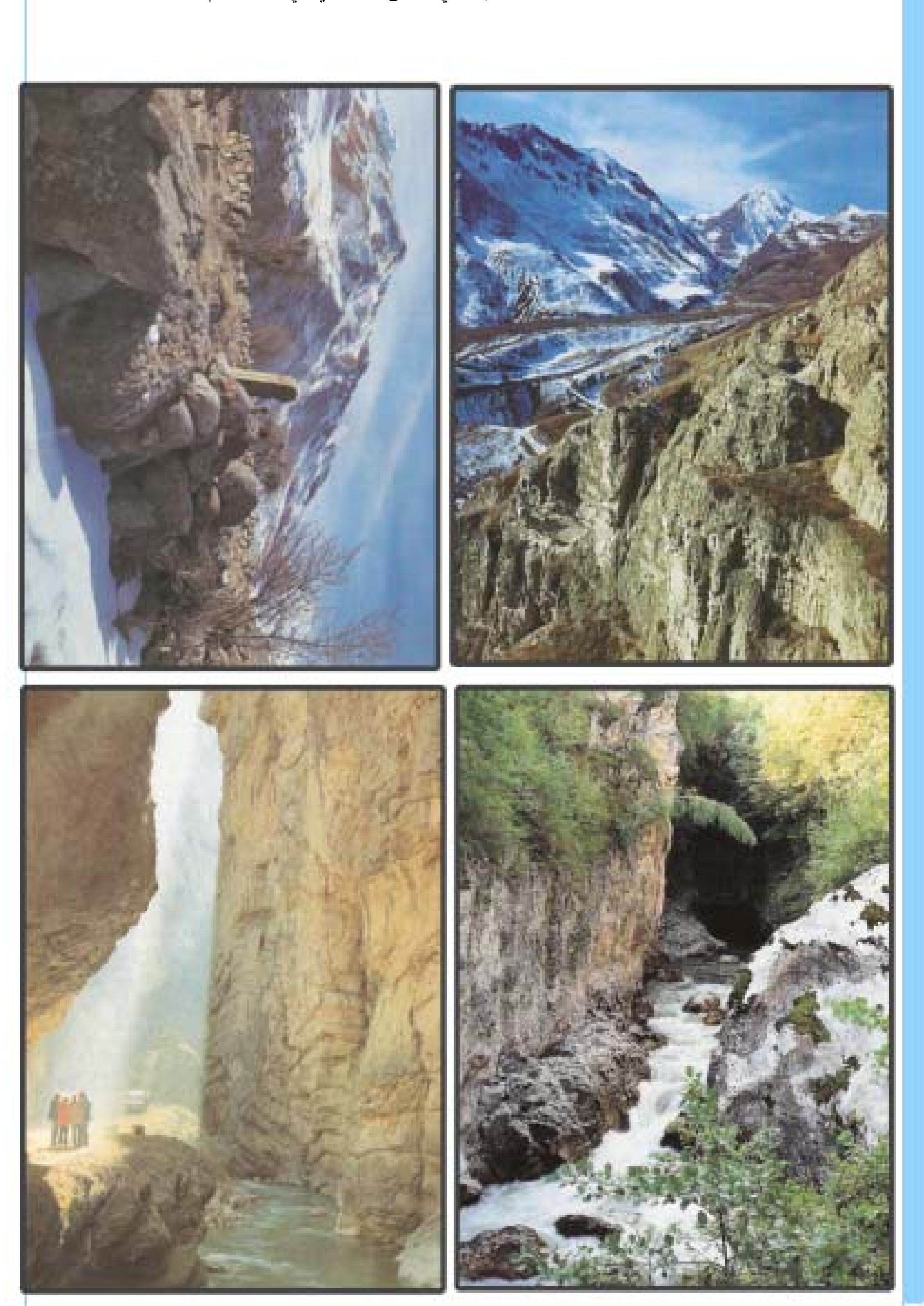



منظر لمنطقة التزلج في جبل البروز

مناظر طبيعية لبعض جبال في الوطن الأم للشراكسة في شمال القفقاس

مناظر طبيعية لجبال وشلالات وأنهار في مناطق القبرطاي في الوطن الأم



مصادر ومراجع الفصل الخامس

١) الكسندر غريغولا: العدالة والعادات في القوقاز وسكان المناطق الجبلية في جورجيا – اطروحة دكتوراه –جامعة بنسلفانيا ص: ١٧.

٢) المارشال اندريه غورمبكو (وزير الدفاع السوفيتي الاسبق)، ملحمة القفقاس (باللغة الروسية) تعريب اللواء الركن عبد الرزاق الدردري والعميد الركن عبد العزيز جركس، دمشق ١٩٧١، ص: ١٦.

٣) اجنيس هيربرت – ذكريات من القوقاز منشور باللغة الانجليزية ترجمة سعيد بيونو، عمان ١٩٩٧ ص: ١٥.

٤) فتزوري ماكلين، القوقاز نهاية حدود المعمورة، منشور باللغة الانجليزية، ترجمة سعيد بينو عام ١٩٩٧ ص: ١٥–١٦.

٥) السيرجون ماندفيل، جبال جورجيا، منشور باللغة الانجليزية ترجمة سعيد بينو عام ١٩٩٧ ص: ١٦.

٦) البيرجاك، رحالة فرنسي عاش في الفترة (١٦٠٥–١٦٨٦) وزار بلاد تشيركيسيا في عام ١٦٧٠ وكتب تقريراً عن أوضاعها الاجتماعية والزراعية وعن جمال طبيعتها.

٧) محمد صادق آبه زاو، مصدر سابق، ص: ٣٢.

٨) جوناتوقه يوسف عزت، تاريخ القوقاز، منشور باللغة التركية، عام ١٩١٢ ترجمة عبد الحميد بك غالب خوست (من شراكسة مصر) ونشر في جميعة الاخاء الشركسي بمصر عام ١٩٤٠ (وهو أول كتاب باللغة العربية عن تاريخ الشراكسة.

٩) آبه زاو محمد صادق، مصدر سابق، ص: ١٧.

١٠) مالتوف، استكشاف القوقاز – Exploration Caucasus المنشور عام ١٨٩٦ ونقلها إلى العربية سعيد بينو وأوردها في كتابه الشيشان والاستعمار الروسي، المنشور عام ١٩٩٧ في عمان ص: ٣٣.

١١) المصدر نفسه ص: ٣٤.

١٢) الجنرال غورميكو – ملحمة القفقاس، مصدر سابق، ص: ٢٩.

١٣) دليل أهلنا، الجمعية الخيرية الشركسية – فرع صويلح، مصدر سابق، ص: ٢٨–٣٣.

١٤) مجلة القفقاس Caucasus Review عدد (١) عام ١٩٥٥ عن سعيد بينو في كتابه – الشيشان – مصدر سابق، ص: ٣٦.

١٥) آبه زاو، محمد صادق – مصدر سابق، ص١٨.

١٦) مجلة دركسي – عدد شهر نيسان ١٩٥٣، باللغة التركية، ترجمة جمال صادق آبه زاو ص: ٣٣.

١٧) آبه زاو، محمد صادق – نقلاً عن مجلة الاتحاد السوفيتي، عدد (٣) سنة ١٩٦٣ ص(٣٠).

المجلد الأول

الجزء الثاني

الخصائص القومية للأمة الشركسية

منذ فجر التاريخ وحتى عصرنا الحديث

فهرس فصول الجزء الثاني

الخصائص القومية للأمة الشركسية منذ فجر التاريخ وحتى العصر الحديث

تقديم:

تؤكد الدراسات الاجتماعية والانثروبولوجية القديمة منها والحديثة بأن الأمة الشركسية من الشعوب القديمة التي تميزت بخصائصها القومية وأن هذه الخصائص انتقلت من جيل الاجداد الذين عاشوا في فجر التاريخ إلى جيل الآباء والاحفاد وعلى مدى الاف السنين في كل الوطن العربي في أكثر من خمسين دولة موزعة على القارات الخمسة.

كما أكدت تلك الدراسات بأن أكثر الخصائص القومية التي تتميز بها الأمة الشركسية هي الخصائص الاجتماعية، واللغوية، والمعتقدات الدينية، و (الاديغة خابزة) وهي العادات والتقاليد والاعراف التي تعتبر دستور حياة عند الشراكسة منذ فجر التاريخ وكذلك الخصائص القومية المميزة للإنسان الشركسي (رجالا ونساء) .

وفيما يلي دراسة تحليلية لكل خاصية من الخصائص القومية للأمة الشركسية منذ فجر التاريخ وحتى العصر الحديث والتي تمثلت بالخصائص والصفات الخمسة التالية:

- الخصائص الاجتماعية للأمة الشركسية .
- خصائص اللغة القومية للأمة الشركسية .
- خصائص المعتقدات الدينية للأمة الشركسية .
- خصائص الأديغة خابزة (العادات والتقاليد الشركسية) .
- الصفات والخصائص القومية المميزة لشخصية الإنسان الشركسي .

الفصل الأول

الخصائص الاجتماعية للأمة الشركية

منذ فجر التاريخ وحتى العصر الحديث

تميزت الأمة الشركسية منذ عصر الاجداد، وابتداء من الألف الثاني ما قبل الميلاد بقوة نظامها الاجتماعي ومتانته، كما تميزت بتماسكها وتعاضدها وتكاتفها الاجتماعي.

وفيما يلي تحليل موجز لنشأة وتكوين المجتمعات الشركسية، وتطورها مع تطور الحياة وتقدم المدنية فيها وتشعبها، حتى أصبح النظام الاجتماعي لدى الشراكسة ركنا من اركان تقدمها وبعداً من أبعادها الحضارية.

أولا: نشأة المجتمعات الشركسية في الوطن الام

تشير الدراسات الانثروبولوجية بأن المجتمعات الشركسية نشأت وتطورت على مراحل زمنية وهي:

المرحلة الاولى:

في منتصف الألف الثاني قبل الميلاد، وظهرت الملكية الخاصة في المجتمعات القوقازية عامة، وبين الشراكسة خاصة، ونتيجة لتطور الزراعة بعد البدء في تصنيع المحاريث واستخدامها بدلا من الفؤوس الحجرية حيث ظهرت الحاجة إلى أيدي عاملة أكثر عددا من السابق، ومن هنا ظهرت (العمالة المأجورة) وتكونت طبقة (الفلاحين العاملين لدى اصحاب الاراضي) ومن هنا نشأة أول مجتمع لقدماء الشراكسة، وأصبح المجتمع الواحد يضم ملاكين وعمال وفلاحين وأغنياء يملكون الأراضي وفقراء لا يملكون أراضي زراعية وانما يعملون لديهم بالاجرة.

المرحلة الثانية:

وهي المرحلة التي حدثت فيها الخلافات على ملكية الأراضي الزراعية الرعوية، ومصادر المياه، حيث تطورت هذه الخلافات إلى نزاعات مسلحة بين القبائل أو العشائر، خاصة بعد البدء في تصنيع الاسلحة والادوات الحادة مثل: صناعة (القامة) وصناعة رؤوس الحراب من المعدن بالإضافة إلى اختراع الدروع الواقية، وغيرها من الادوات والاسلحة المصنوعة من نوع من انواع المعادن المكتشفة في بلاد القفقاس، ومع تطور النزاعات المسلحة وتعددها ظهرت طبقة الاسرى الذين أسروا بعد النزاعات والغزوات، واستخدموا كعبيد لدى الملاكين ورؤساء وشيوخ القبائل، وربما كان افضل وصف كتب حول مرحلة ظهور (العبيد) المتمثلة في أسرى الحروب هو ما كتبه (برزج) بقوله:

"لقد زاد النمو السكاني، وزادت الأرض المستغلة، وزاد السكان المستقرين، وحدثت صدامات عنيفة حول الأرض، وقوي الشعور بملكية الأراضي، وظهرت أخطار الحروب وبدأت الهجرات الجماعية والصدامات المسلحة المحلية، وعمت سلطة الزعماء وتركزت الثروة في ايديهم عن طريق غنائم الحرب، وخير دليل على ذلك تلك الثروات التي تشاهدها في المدافن الغنية بالحلى والادوات حتى اننا نجد قطعا من المعادن الثمينة، ومن هنا وجدت طبقة العبيد لدى الأسر الغنية، والذين كانوا على الغالب اسرى الحروب وبقيت هذه (العبودية) على مستوى الزعماء فقط، وظهر بعد ذلك التفاوت الاجتماعي وظهرت الأرستقراطية الحربية يمثلها الفرسان، وكان الحصان دائما محملا بالأسلحة الثمينة الغالية، والمعدات المتنوعة الكثيرة، **ودخلت القبائل المتجاورة في اتحادات كبيرة للوقوف في وجه الاعداء، مما استدعى وجود روابط تنظيمية للسلطة، وهكذا تشكلت هذه المجتمعات على شكل ديمقراطيات حربية**" (٢٣).

المرحلة الثالثة:

بدأت في هذه المرحلة مفاهيم اقطاعية جديدة في المجتمعات الشركسية، ويؤكد بعض المؤرخين بأن الاقطاعية الشركسية ظهرت بعد ظهور الاقطاعية في اوروبا ابتداء من القرن الرابع الميلادي اولا، وبسبب انحلال وانتهاء الحكم في الدول والدويلات واتحادات القبائل الشركسية بسبب حروب **(السكيت والهون والقوت)** وغيرهم ثانيا، حيث تفككت تلك الدول وتفرقت وظهرت القبائل والعشائر الشركسية المتعددة في مختلف انحاء قفقاسيا الشمالية كما أشرنا إليها سابقا.

كما يؤكد هؤلاء المؤرخون نشوء نظامين رئيسيين من نظم الحكم لدى الأمة الشركسية في الوطن الام منذ القرن الرابع بعد الميلاد.

فالنظام الاول هو الذي سمي (بنظام حكم الامراء) وهو ما يشبه النظام الارستقراطي الذي كان سائدا في اوروبا في العصور الوسطى وكان مطبقا لدى قبائل القبرطاي والبسلني والبجدوغ.

أما النظام الثاني فهو الذي سمي (بنظام المساواة) أو نظام الحكم الشعبي، كما اطلق عليه في مراحل لاحقة (بالنظام الشركسي القفقاسي) وهو نظام ديمقراطي يعتمد على حكم الشعب من خلال مجالس شعبية يرأسها (تحمادات) منتخبين من الشعب.

وبالبحث عن مفاهيم كل نظام من النظامين السابقين تبين ما يلي:

١- يلاحظ بأن نظام الامراء كان مصبوغا بصبغة اقطاعية اكثر من النظام الثاني، إلا أن النظامين يلتقيان في كثير من الامور والتشريعات المشتركة والمتشابهة، وقد اقتبس كل منهما بعض تشريعاته من النظام الاقطاعي الذي كان سائدا في العالم اجمع تقريبا في ذلك العصر.

٢- الاختلاف الاساسي بين النظامين يكمن في أن (النظام الشركسي) لم يكن يقبل بوجود سادة وعبيد، بينما (نظام الامراء) كان يعتمد على ذلك، بالإضافة إلى وجود امتيازات خاصة للأمراء والنبلاء في كثير من امور الحياة، كما اصبحت السلطة وكثيرا من المناصب وراثية، داخل عائلات معينة في هذا النظام.

٣- إن سلطة سن القوانين والتشريعات كانت من صلاحيات (المجالس) المنتخبة من الشعب، وكانت القرارات والمشاريع التنظيمية التي يجري اعدادها من قبل تلك المجالس تخضع لموافقة المؤتمرات الشعبية العامة حتى تصبح قوانين نافذة. بل أن الامراء في نظام الامراء او الزعماء وفي النظام الشعبي كان يجري انتخابهم وتعيينهم في المجالس والمؤتمرات الوطنية [٢٤].

المرحلة الرابعة: وهي مرحلة ظهور الطبقية في المجتمعات الشركسية في الوطن الأم

مع حلول القرن السادس عشر ظهر في بلاد الشراكسة نظم اجتماعية تعتمد على تعدد الطبقات الاجتماعية، حيث قام العديد من الباحثين والرحالة الذين زاروا القفقاس بدراسة النظم التي كانت سائدة في القرن التاسع عشر وقدموا لنا تصورا عاما عن اقسام وانواع الطبقات التي كان يتكون منها المجتمع الشركسي في ذلك الوقت ومن اهمها:

- **تقسيمات الرحالة الاجانب الذين زاروا بلاد الشراكسة خلال القرن التاسع عشر:**

١- تقسيم دولبيز دومونتبارو (١٨٣٩) وقسم الشركس إلى خمس فئات وهي على النحو التالي:

١- الامراء. ٢- النبلاء. ٣- الاحرار. ٤- الخدم. ٥- الاتباع.

إلا أن (مونتبارو) كتب بشكل موجز دون توضيح تاريخي او تمييز بين التقسيمات في مختلف القبائل الشركسية [٢٥].

٢- تقسيم ن.ج. دانيليفسكي (١٨٤٧) حيث قام بتقسيم مجتمع القبرطاي إلى خمسة اقسام وعلى النحو التالي:

١- الامراء. ٢- أصحاب السلطة الروحية. ٣- اوزدن (النبلاء). ٤- الفلاحون.

٥- غير الاحرار – الاسرى [٢٦].

٣- تقسيم ث. لابينسكي (١٨٦٣) الخبير بتاريخ مجتمع الشراكسة حيث قسم شراكس الغرب إلى (٤) فئات عام ١٨٦٣ وهي:

١- الامراء. ٢- النبلاء. ٣- الاحرار. ٤- العبيد. [٢٧].

٤- تقسيم الباحثةساندرز (١٩٤٤) حيث قامت بتقسيم المجتمع الشركسي إلى خمس طبقات وهم:

١- الامراء. ٢- النبلاء. ٣- الاحرار. ٤- العبيد. ٥- التابعين (الاتباع) [٢٩]

٥- تقسيم (جاباغي) عام (١٩٦٩) الذي قسم شراكسة تركيا إلى ثلاث طبقات فقط.[٣٠]

١- الامراء (بشي). ٢- النبلاء (ورق). ٣- الفلاحون الاحرار (تليقوتل).

يلاحظ من تقسيمات الرحالة الاجانب المشار إليهم اعلاه، العمومية في التقسيم، وعدم الدقة فيها وانها تقسيمات لبعض القبائل الصغيرة وليست للفئات الطبقية لدى القبائل الكبيرة.

الفئات الطبقية وانواعها لدى الشراكسة من وجهة نظر بعض المؤرخين الشراكسة.

ربما كان من اكثر المؤرخين الشراكسة دقة في وصف النظام الاجتماعي لدى الامة الشركسية في الوطن الام منذ القرن السادس عشر هو المورخ (خان كراي) مؤلف كتاب "مشاهير الجراكسة" عام ١٨٣٥. كما ان الامير (جان خواتوقة بسلان) قام بإدخال بعض التعديلات على الفئات الطبقية التي كانت سائدة في القرن السادس عشر بعد الميلاد. وكذلك فإن المؤرخ الشركسي (شورا نغموقة) يعتبر افضل من وصف النظام الاجتماعي لدى الأمة الشركسية في الوطن الام، حيث يقدم لنا تصنيفا دقيقا وشاملا للفئات الطبقية التي كانت سائدة لدى مختلف القبائل الشركسية منذ القرن السادس عشر حتى بداية القرن التاسع عشر، وبالتحديد حتى قيام الفلاحين وعامة الشعوب الشركسية بانتفاضات وثورات شعبية أدت إلى إلغاء النظام الطبقي منذ مطلع القرن التاسع عشر، **وفيما يلي وصف لكل فئة من الفئات الطبقية كما حددها (نغموقة).**

- **الاعيان لدى القبرطاي:**

يقول (نغموقة) بأن اعيان الشراكسة كان يتكون من خمس طبقات هي على النحو التالي:

الفئة الاولى: لقوه لاش – وهي كلمة مركبة من ثلاثة ألفاظ وتأتي بمعنيين:

- بمعنى الشهير المعروف المنتمي لثلاثة جدود امجاد.
- مشتقه من كلمة (لاب قوش) وتأتي بمعنى حائز لأوصاف الشهامة.

والشجاعة وأصله من ثلاثة جدود أبطال فما فوق.

الفئة الثانية: ديظنوقة وهي مركبة من كلمتين (ديظين – و – قوه) بمعنى "ابن الفضة" وتطلق على اولاد الامراء من الطبقة الثانية.

الفئة الثالثة: كوه دز (كوه دس) من المعتقد أنها تطلق على أعيان ونبلاء الاجانب الذين تجركسوا واستوطنوا مع الجراكسة.

الفئة الرابعة: بشيش ورق (بسلان ورق) وتطلق على الورق الموجودين في معية الامراء "البشى".

الفئة الخامسة: ورق صاوه له غوسه – كلمة مركبة من ثلاثة ألفاظ وهي:

(ورق – صاوه له – غوسه) ومعناها الرفيق الأصيل الشجاع المرافق للورق ويلاحظ بأن القاب الشرف الثلاثة الأول تطلق اليوم على النبلاء والعظماء من الدرجة الاولى.

وهذه الأوصاف والألقاب التي ابتكرها أمير القبرداي (جان باسلان) كما ذكرها (شورانوغموقة) غير مستخدمة إلا في قبائل القبرداي. ولا يؤيد هذا الرأي (خانكراي) مؤلف (مشاهير الجراكسة) سنة ١٨٣٥. بقوله: "إن هذه الالقاب والدرجات كانت موجودة ومحترمة ومرعية في عموم القبائل بلا استثناء" وليس فقط لدى قبائل القبرطاي. [٢٨].

وفيما يلي وصف ملخص لكل فئة من فئات الطبقات الاجتماعية التي كانت سائدة في المجتمعات الشركسية في الوطن الأم حتى مطلع القرن التاسع عشر.

(١) الامراء (البشى):

البشي هو أعلى درجة في طبقة الأمراء النبلاء عند الشركس، أما دوره الحقيقي ووظيفته فكانتا مختلفتين من قبيلة إلى أخرى. ليس فقط بين القبرداي بل أيضا بين (بيسليني، البجادوغ، الاوبيخ، الابخار)، وكان أقل وضوحا عند الأبزاخ والشابسوغ، وعلى هذا فإن البشي يأخذ عند الشركس أعلى درجة في التصنيف الاجتماعي.

ويلاحظ أن كلمة بشي بالذات لها ثلاثة معاني:

المعنى الاولى (كما ذكر سابقا): أعلى طبقة بين الأمراء.

" لقد كان عند البجادوغ، القبارداي، الكيميرغوي، والهاتيكواي أمراء نصّبوا أنفسهم أيضا قضاة للفصل في قضايا شعوبهم لقد كان بيدهم حق إعلان الحرب وإقرار السلم واتخاذ القرارات الاخرى الهامة" (دانيليفسكي) [٣١].

"وعند القبارداي كان النظام المتميز بحاكمية الامراء متطورا جدا. وكان هناك اتباع بدرجات مختلفة، فلاحون وبشل". (لاينبسكي) [٣٢].

لقد كان الامراء كما (ذكر سابقا) واعين تماما لوضعهم، وكانوا لا يحبذون التزاوج مع الطبقات الادنى، ومع ذلك كان بإمكان (البشي) ان يتزوج امرأة من أي طبقة ادنى إذا وافق والده على ذلك. أما بالنسبة للاميرات فكان مسموح لهن بالزواج من طبقة النبلاء وليس أقل من ذلك، وحتى هذا لم يكن مقبولا ومرضيا عنه، ولذا كان نادرا أن يحدث ذلك. حيث كان من المقبول اجتماعيا زواج احد النبلاء من طبقة أدنى وليس العكس، كما كان يعتبر زواج إحدى النبيلات من طبقة أدنى عارا وغير مقبول اطلاقاً.

لقد لعب (الأمير) دور الحامي والكفيل لأتباعه. وإذا اصاب أحدهم ضرر ما كان على الامير ان يتصدى لإعادة الحق إلى نصابه، بل قد يصل الأمر إلى حد تعويض الاضرار من ماله الخاص.

وفي بلاد القبردي يقال بأن الامراء قسموا الشعب إلى درجات وحددوا حقوق وواجبات كل درجة فيها، ومن الملحوظ أن الصراعات بين النبلاء كانت تنتهي بتجريد المهزوم من سلطته أو طرده ولم يكن يقتل، بينما كانوا يقتلون الامراء في مثل هذه الصراعات مما يوحي بأن الامير والامارة ما هي إلا ترتيبات جديدة على المجتمع الشركسي جاءته قد تكون من الخارج، ثم جرى رفضها فيما بعد.

المعنى الثاني للبشى هو كل من يرأس مجموعة. فيمكن ان تفهم كلمة (بشي) على انها مرادف لـــ (تحمادة) (لابينسكي) [٣٤].

المعنى الثالث للبشى هو اللقب الذي تطلقه الزوجة على زوجها او حماها أو ابو حماها (الجد) إن كان حياً.

٢- طبقة النبلاء (لقوالاش)

صنف (داينليفسكي عام ١٨٢٧) نبلاء القبارداي ونبلاء البيسليني إلى (٣) **فئـات. فالفئـة الاولى:** هي فئة النبلاء الكبار، وهم في المرتبة بعد الامراء مباشرة، **والفئة الثانية:** ولهم نفس المرتبة ولكن سلطتهم اقل. **وأما الفئة الثالثة:** فهي تشمل النبلاء الفقراء والذين يتبعون ويخـضعون لنـبلاء الدرجات الاعلى، ويدعى نبلاء الدرجة الاولى والثانية: الازدان الكبار (النبلاء الكبـار) امـا نـبلاء الدرجة الثالثة فكانوا يدعون (النبلاء التابعين للنبلاء الكبار).

لقد كان النبلاء متكاتفين ومتماسكين ويتزاوجون فيما بينهم، حفاظا على ميزاتهم، وإن حدث وأن يتزوج بعض النبلاء من طبقات أدنى فإن أولاد هذه الزيجات يعتبرون من الاحرار (فقولء)

ويقول (جباغي) بأن الامراء والنبلاء كانوا محبوبين ومقربين إلى شعوبهم، ويندر أن تجـد عند الشراكسة عامة والابزاخ خاصة امثال فيها انتقاد او انتقاص من طبقة الامراء والنبلاء[٣٥].

٣- طبقة الاعوان (ورق):

هم طبقة من الفرسان الاعوان ويعتبرهم القبرطاي بعد طبقة النبلاء مرتبة، ويعظّمهم النـاس وينسبون إلى اسمائهم القرى والاحياء التي يقيمون فيها هم وأفراد عائلاتهم واتباعهم [٣٣].

٤- طبقة الفلاحين (تلاقوتل) أو (فوتول)

ويمكن تفسير كلمة (تلاقوتل) في لغة الاديغة: (تلاقو)، ومعناها تقريبا (القبيلة – العشيرة) أما (تل) فمعناها (رجل) ويصبح معنى تلاقوتل (أعضاء العشيرة او رجال القبيلة).

والقسم الاكبر من الشعب الشركسي انتمى، وينتمي إلى هذه الفئة من فئة الفلاحين الاحرار. وقد اختلفت قوة هذه الطبقة وتأثيرها السياسي من قبيلة إلى أخرى، فمنهم من تمتعوا بحريـة غيـر محدودة في بلاد (الابزاخ) والشابسوغ مثلا. اما عند القبارطاي والابخاز فكانوا تـابعين للأمـراء أو النبلاء ويصف (دانيليفسكي –١٨٤٧) الفلاحين القبارطاي بقوله:

"انهم مرتبطون بالأرض ويعاملون تقريبا (كالعبيد) مع انهم ليسوا كذلك وفي بعض الحالات الضرورية يمكن ان يباعوا كأفراد او كعائلات واغلب الفلاحين يتبعون النبلاء وفئة صـغيرة مـنهم يتبعون الامراء [٣٦].

اما (لابنسكي) الذي كتب عن احرار الابزاخ (١٨٦٣) فيقول بأن "كل شركـسي (تلاقوتـل) (حر ينتمي إلى قبيلة). وإذا أراد امير أو نبيل الانضمام إلى قبيلة، فإنه يصبح فيها ايضا (تلاقوتـل). ويحوز بذلك على حقوق وحماية القبيلة، وبين الاحرار لا توجد فروق، فكلهم متساوون مع بعـضهم بشكل كامل" وفي عام ١٧٩٠ وبعد الثورة الاهلية للأبزاخ انتقلت الـسلطة بكاملهـا إلـى الاحـرار (تلاقوتل).[٣٧]

وطبقة الاحرار كانوا يتزاوجون فيما بينهم ومعظم افراد هذه الطبقة هم من الفلاحين الكبـار ميسوري الحال (خاصة عند الابزاخ والشابسوغ). ولم يجدوا غضاضة في القيـام بالعمـل، بعكـس الامراء والنبلاء الذين لم يكن يعملون على الاطلاق.

٥- طبقة ال (بشيل) (الاتباع أو رجال الأمير) [٣٨]

إن كلمة (بشيل) باللغة الشركسية ترجمت من قبل العديد من الرحالـة والمـؤرخين خطـأ (بالعبيد) ومع الاعتراف بأنهم كانوا يعدون من ملكية الامراء أو النبلاء أو الـورق، حيـث كـانوا يشترون أو يؤخذون أسرى في الحروب، مما أدى لوصفهم (بالعبيد) علما بأنهم كانوا يحملون السلاح ويشكلون جزءا من القوات المحاربة ويقدمون أعطيات معينة أو العمل عنده والمحاربة مـن أجلـه. وفيما عدا ذلك فإنهم كانوا يتمتعون بنفس الحريات تقريبا التي تتمتع بها الفئات الاخرى، كما كان لهم حق مقاضاة سيدهم (النبيل الأذرن) والمثول امام القاضي كما كان (سيده) ملزما بتحمل كامل نفقـات معيشته. وأما (بشل) أبتاع قبائل (القبرطاي) فلم يكن لهم الكثير من الحقـوق والحريـات المـذكورة سابقا، وكانوا يعتبرون في غالب الاحيان من أملاك الامراء او الاغنياء. صحيح انه كان من حقهـم

مقاضاة سادتهم، إلا أن الغرامات المفروضة على الأتباع تجاه سادتهم كانت أكبر من تلك المفروضة على السادة تجاههم.

وكانت شروط حياة الأتباع الملحقين بسادتهم في القبائل الشركسية الاخرى افضل من شروط حياتهم لدى القبرطاي، خاصة ما يتعلق منها بعادات الزواج والدفن وغيرها من أمور الحياة اليومية فكانت نفس عادات الاحرار (٣٩).

ويؤكد (بيل) الذي كتب عن نظام الطبقية لدى الشراكسة عام (١٨٤٠) بأن الاتباع يصبحون (اتباعا) في احدى الحالات التالية:

- أسرى الحرب: سواء كانوا من قبائل شركسية اخرى او من شعوب اخرى.
- الاشخاص الذين اصبحوا اتباعا بحكم قضائي (الأمر المألوف عند القبارطاي عندما لا يتمكن البعض من دفع الغرامات للأمير يصبحون (اتباعا- بشل).
- المسروقين أو (المخطوفين) من القبائل الاخرى خلال الغزوات والنزاعات القبلية.
- الاتباع المسروقين أو (المخطوفين) من غير الشركس اثناء غزوة يقوم بها شخص أو اكثر من القبائل الشركسية (٤٠).

ويشير (لابينسكي) في كتابه جزء (١) المنشور عام (١٨٦٠) بأن طبقة (البشل) من اتباع الامراء كانوا يشكلون ربع سكان قبائل الاوبيخ وعشر قبائل الابزاخ وخمس قبائل القبرطاي (٤٠).

ويؤكد (لابينسكي) بأن (الاتباع) (البشل) عند الابزاخ كانت لديهم حقوق اكثر من الاتباع في القبائل الاخرى ولم يكن عليهم العمل لفترة اطول من أي سيد آخر في القبيلة، وكانت لهم بعض الممتلكات الخاصة المنقولة، وعائلاتهم الخاصة، ويسكنون بيوتا خاصة بهم، كما امكنهم استصلاح وزراعة قطعة من الأرض إلى جانب السماح لهم بتربية المواشي وغيرها من الحقوق الشخصية.

٦- طبقة الخدم (وونة – أوت)

ومعناها خدم البيوت او الترجمة الحرفية لها (الذين يقفون امام البيت) فهم أدنى طبقة في التنظيم الطبقي في المجتمعات الشركسية القديمة. ونستدل على ذلك من المثل الشركسي القائل ان تكون من الاتباع (البشل) شيء جيد، اما ان تكون من الخدم (وونة – اوت) فإنه امر سيّئ جدا (٤٢).

يؤكد المؤرخون للنظام الطبقي في المجتمعات الشركسية، بأنه كان نظاماً مختلفاً عن النظم الطبقية الاخرى التي كانت سائدة منذ العصور الوسطى في المجتمعات الاوروبية، وان هذا الاختلاف يكمن في عدم وجود حواجز الانتقال من طبقة إلى طبقة أخرى، هذا بالإضافة بأن مفهوم العبودية بالمعنى المتعارف عليه في نظام (الرق) لم يكن موجودا لديهم وفئة (البشل) الذين يعتبرون من اتباع الامراء كانت لهم حقوق وحرية شخصية من حيث السكن، والزواج، والعمل، وكذلك الامر بالنسبة لأدنى طبقة في المجتمع الشركسي وهم (ونة اوت) أي الخدم (العاملين في البيوت) فكان لهم الكثير من الحقوق كما كانوا يعاملون معاملة حسنة من قبل الامراء والنبلاء والاعيان التابعين لهم ويقومون بخدمتهم. (٤٣)

*** الثورات والانتفاضات الشعبية في الوطن الام:**

يشير المؤرخون للمجتمعات الشركسية في القرنين الثامن والتاسع عشر الميلادي إلى حدوث تحول كبير في النظام الاجتماعي الطبقي لدى الامة الشركسية في الوطن الام، كما يشيرون إلى الثورات والانتفاضات الشعبية التي حدثت ضد الامراء (البشي) والنبلاء (أذون) والاحرار (الورق) من طبقة الاغنياء ملاكي الاراضي الزراعية، والذين كانوا يسيطرون على الثروات الزراعية والحيوانية. ففي عام ١٧٦٧ انتفض حوالي عشرة آلاف قروي بزعامة (داميلي ما مسرقوه) بثورة شعبية ضد زعماء القبرطاي إلا أن تكاتف وتحالف رجال الدين والزعماء، ادى للقضاء على هذه الانتفاضة، كما قامت انتفاضات اخرى في مناطق البزادوغ إلا انها لم تكن بحجم انتفاضة

(مامسرقوه) ومن اجل القضاء عليها كان بعض الزعماء والأمراء والشراكسة يطلبون المساعدة من الروس.

وفي سهول الكوبان، نشطت القبائل الشركسية واستطاعت ان تجمع قواتها ضد امرائهم ونبلائهم وفي الاعوام ما بين ١٧٩٠ ولغاية ١٨١٠ استطاعوا القضاء على نظام الاقطاع مما اضطر الكثير منهم إلى اللجوء إما إلى روسيا أو إلى القرم.

ومع حلول عام ١٨١٠ استطاعت جماهير الشعب الشركسي اخذ الصلاحيات من الامراء والنبلاء في عموم مناطق شمال غرب القفقاس مما صبغ هذه الحركة بصبغة العصيان او التمرد التي ادت لحدوث انقلاب اجتماعي بمعنى الكلمة، وحركة تصحيح عامة، وكانت البداية الاولى الحقيقية لبدء سقوط نظام الاقطاع الشركسي الذي كان منتشرا في تلك المنطقة. [٤٥]

كما أكد كل من (تشيراسي وليجوت) وهما من المؤرخين الشراكسة في (مايكوب) على قيام ثورات شعبية، تحولت إلى حروب اهلية (عام ١٧٧٠) دامت لأكثر من عشرين عاما، وأدت إلى قتل غالبية الامراء الشراكسة في قبائل الابزاخ، وطرد النبلاء وتجريدهم من سلطاتهم واماراتهم، وكذلك قيام احرار الشابسوغ بتجريد الامراء والنبلاء من سلطاتهم (سلميا) دون سفك الدماء، وان هذه الثورة تزامنت مع الثورة الفرنسية في القرن الثامن عشر. كما هاجر كثير من النبلاء الفرنسيين إلى روسيا، فإن الكثير من امراء الشراكسة هاجروا إلى روسيا. [٢٠]

وفي عامي ١٨٤٦ – ١٨٤٧ قامت ثورات أخرى ضد زعماء وامراء الشراكسة عندما قام احرار وفلاحي الناتخواج والابزاخ بمصادرة بيوتهم وتحرير اكثر من (٥٠٠٠) فلاح وعبد (بشل) من تبعية الامراء والنبلاء [٤٧].

بالرغم من قيام السلطات القيصرية في القفقاس بإجراءات عسكرية لحماية الأمراء والنبلاء وارسال حملتين تأديبيتين لبلاد الشابسيغ والناتخواج فإن رد فعل شعوبهما هو الاستيلاء على كل ممتلكات النبلاء الذين التحقوا بالروس، أما النبلاء الذين بقوا في ما وراء الكوبان، وخوفا من فقد كل ممتلكاتهم وباقي عبيدهم وجدوا حلا وسطا مع كبار الشعب بحيث يصبحون متساوين في الحقوق مع باقي الشعب تحت طائلة الطرد من أراضيهم في حال مخالفتهم لهذا الحل، كما كان الصراع الاجتماعي حادا لدى (الاديغة) من المجموعة الارستقراطية الذين كانوا يعتبرون انفسهم خاضعين لروسيا.

كانت اكبر وآخر الانتفاضات الشعبية تلك التي قام بها فلاحو البجدوغ في شباط عام ١٨٥٦ التي عرفت باسم (حرب الامراء والنبلاء)، ولم يستطع النبلاء والامراء البجدوغ اخماد الانتفاضة إلا بالاستعانة بالقوات الروسية، فقد تم تنظيم عدة حملات تأديبية روسية ضد البجدوغ نتج عنها تدمير الكثير من القرى [٤٧].

المؤسسات الاجتماعية للأمة الشركسية في الوطن الام في مرحلة ما قبل طردهم من الوطن الأم

ومع نهاية القرن الثامن عشر تكوّن مجتمع الامة الشركسية من عشرات المؤسسات الاجتماعية والتي تسمى اليوم بمؤسسات المجتمع المدني، من اهم هذه المؤسسات هي:

- **البيت:** وهي اللبنة الاولى المكونة لمجتمعات الامة الشركسية وتتكون من اسر كبيرة تضم (الجد والابن والحفيد) والتي تسمى بمفهوم علم الاجتماع الحديث (بالاسرة الممتدة) أي ان الاسرة تكونت من ثلاثة اجيال.

- **المسجد:** كان المسجد المؤسسة الهامة في المجتمعات الشركسية بعد اعتناقهم للديانة الاسلامية، فكان له دور تربوي وتثقيفي جنبا إلى جنب مع الدور الديني.

- **مجالس المضافات** وربما كانت الأمة الشركسية أكثر امة متميزة في مضافاتها التي كانت تعتبر مؤسسة تربوية واجتماعية وسياسية وقضائية. فالمضافات الشركسية والتي تسمى (حاشيش) كانت مؤسسة لها مكانتها ودروها في المجتمعات الشركسية قديما وحديثا. ففيها تلتقي مختلف

طبقات الشعب من امراء ونبلاء واحرار وفلاحين وحتى التابعين للامراء (البشل) كان لهم حق حضورها كما كان يحضرها المغنون والمنشدون ورواة الحكايات والاساطير. كما كانت المضافات هي مكان اقامة الضيوف من مختلف الاجناس والاقوام الذين كانوا يلقون كل ترحاب وتكريم، وكان الويل والعار للمضيف الذي يهمل ضيفه او يعجز عن حمايته .

- **مجالس الشعب،** وهي المجالس التي تضم في عضويتها الامراء والنبلاء والاعيان الممثلين والمنتخبين من عامة الشعب.

وكانت المجالس هي اعلى سلطة في النظام الاجتماعي والسياسي لدى الامة الشركسية وتحولت في مراحل لاحقة من القرن الثامن عشر إلى مجالس نيابية قومية منتخبة من الشعب مباشرة.

في مرحلة ما قبل طردهم من الوطن الأم تكون المجتمع الشركسي من الفئات التالية:

- **فئة الحكام،** وهم الامراء والنبلاء وزعماء ورؤساء القبائل أو الامارات والدويلات التي كانت تتكون منها مجتمعات الأمة الشركسية.
- **فئة رجال الدين (المولات أو الشيوخ)** وهم الفئة التي تشرف على دور العبادة وتطبيق الشريعة الاسلامية.
- **فئة القضاة** وهي الفئة التي كانت تسهر على نشر العدالة والفصل بين المنازعات في المجتمعات الشركسية.
- **فئة الفلاحين (المزارعين)** وهي الفئة الغالبة في المجتمعات الشركسية في تلك الفترة.
- **فئة الحرفيين،** وهم الذين يمتهنون مختلف الحرف اليدوية من نجارين وحدادين، وصاغة سروجية وصانعي الاسلحة وخياطين وبناءين... الخ.
- **فئة الفنانين** وهم المغنون والموسيقيون.. الخ.
- **فئة الشعراء ورواة الاساطير** وهم فئة متخصصة في تأليف القصائد والأشعار وكذلك فئة (الرواة – حكاواتية).
- **فئة المقاتلين:** وهي الفئة التي كان يتكون منها مجموعات المقاتلين المدافعين عن الأرض والعرض خلال حروب الدمار والابادة التي تعرضت لها الامة الشركسية وهي فئة متطوعة وغير محترفة.
- **فئة التربويين** وهي فئة ظهرت في مراحل لاحقة بعد أن أنشئت المدارس والمعاهد التعليمية.
- **فئة رجال الامن (الحراس)** وهم بعض المحاربين أو قسم من الجيش المفرغين لحفظ الأمن والسهر على سير القوانين وتنفيذها، بالإضافة بعض الرماة المسلحين المعنيين لحفظ الامن وتطبيق القانون في كل قرية، بحيث يخصص رجل امن واحد اذا كانت القرية صغيرة، وعدد أكبر من الرجال في كل قرية كبيرة أو بلدة.

خصائص المجتمعات الشركسية ومقوماتها:

تميزت المجتمعات الشركسية منذ عصر الاجداد في فجر التاريخ وحتى عصرنا الحديث بمجموعة من الصفات والخصائص والمقومات الاجتماعية، كان أهمها هي:

علاقة الفرد بأسرته في المجتمع الشركسي:

ربما كان المثل الشركسي التالي خير دليل على خصوصية علاقة الفرد بالاسرة ومجتمعه وهو المثل القائل (تتشكل القرية من مجموعة من الاسر)، أما المعنى الاوسع للمثل فهو (صلاح المجتمع من صلاح الاسرة)، فإذا كانت العلاقة بين افراد الاسرة علاقات صحيحة، يسودها الحب والتعاون، واذ كان كل من افرادها يدرك حقوقه وواجباته ودوره في الاسرة، فإن مثل هذه الاسرة، لا

بد ان تكون اسرة سعيدة تتمتع بالمواصفات اللازمة لبناء العلاقة السلمية بالمجتمع الكبير الذي تعيش ضمنه.

وهذه المظاهر كانت تتجلى بشكل واضح في الاسرة الشركسية منذ القدم، فالمجتمع الرعوي الزراعي، وحياة الفروسية، والحروب المستمرة، كانت كلها اسبابا مساعدة لتنامي العلاقات الجيدة بين افراد الاسرة، بحيث نتج عنها تراث كبير من العادات والتقاليد والاغاني والقصص والاشعار والامثال وكلها وضعت لتحكم تلك العلاقات وتوجهها بشكل صحيح.

*** العلاقة بين الجيران في المجتمع الشركسي**

نأتي إلى العلاقة الاوسع قليلا، وهي العلاقة بين الجيران بعضهم ببعض، ولنستعرض بعض الامثال الشركسية كمدخل للتعرف على هذه العلاقة في التراث الشركسي نذكر منها:

المثل الذي يشبّه (الجار باللباس) فكما ان اللباس يستر عورة الانسان فإن الجار الصالح، يستر عورة جاره، ويظل اقرب الناس إليه بعد اسرته، لا بل ان المثل الشركسي يقول بأن الجار الجيد اشبه بالاخ، كما أن مثلا آخر يشبّه (الجار الصالح بالأخ الصالح) وبمعنى آخر فإن الجار الصالح أفضل من الأخ الطالح!!

هذا بالاضافة إلى أن من المعايير الحقيقية (للأديغا خابزة) هو مدى المحافظة على حرية الجيرة واعتبار الجار قبل الدار، ومن الامثلة التي تدل على ذلك المثل الشركسي القائل: (إن جارك القريب افضل من قريبك البعيد) وكذلك (من يعيش بجوارك يمت لك بالقربى اكثر من اهلك البعيدين)، فإنك تجد جارك عندما تحتاجه وتقاسمه احزانك وافراحك في الحياة، وان الشركسي يحافظ على جاره مثل محافظته على قميصه الداخلي الابيض نظيفا.

مفهوم الاخوة والصداقة في المجتمع الشركسي:

إن قواعد (الأديغا نيميس) تؤكد على متانة علاقات الصداقة بين الرجال والنساء، حيث تتصف هذه العلاقات بأنها الأكثر متانة وعمقا واخلاصا، وإذا لم يكن بالإمكان أحدهم الوثوق بصداقة، فإنه يعتبر غير محترم اجتماعيا، والصديق المعتمد (وفق معايير تلك الايام) أقرب الناس إليك هو بمثابة أخيك، وإن لم يكن بالدم فبالروح، وانك تتقاسم معه الأفراح والاتراح وصعوبات الحياة ومسراتها، والصديق يصارح صديقه بالحقيقة مهما كانت مؤلمة، ويحاول دائما ان يتفهم ويدرك وضع ومزاج الصديق، ويغفر له تصرفاته وفاء للصداقة، وان الشركسي يكون مستعدا للتضحية حتى بحياته من اجل صديق، وان انقاذ صديق له يعتبر شرفا كبيرا له. ومثل هذه الصداقات كانت تمتد إلى عائلات الصديقين، وخاصة إلى ابنائهم. وإذا ما توفي أحد الصديقين، فإن من بقي حيا منهما يأخذ على عاتقه وحتى نهاية عمره الاهتمام بعائلة صديقه المتوفى وخاصة ما يتعلق بتنشئة اطفاله الايتام.

فتقول (رايا مامخيغ) حول خصوصية الصداقة في القفقاس بأن ثمة كلمة متعارف عليها هي (كوناك)، وهي الصديق من مرتبة الاخ ويقدمون كل ما لديهم فداء هذا الصديق حتى الحياة نفسها.

كما أكد الرحالة الذين زاروا بلاد الشراكسة على انتشار عادة (قسم الاخوة) الذي أدى إلى تعاضد وتكاتف الشراكسة في كل المراحل الزمنية وهو (القسم) الذي يتم بعد ان يتقدم من بين صفوف الجماعة التي تتسم بالاخوة رجل ينعقد الرأي على احترامه، بينما تتقدم سيدة من بين الجماعة الاخرى وتعرض على الرجل صدرها، ويختتم هذا الحفل بالقسم على القرآن.

مفهوم التعاون في المجتمع الشركسي:

من العادات المتأصلة في نفوس الجراكسة التعاون، فهم يتعاونون ماديا ومعنويا واجتماعيا. وبذلك تقل الفروق بين طبقاتهم.

ومن مظاهر التعاون الجميلة عندهم تطوع الشباب والرجال في عملية لإنجاز عمل لأحدهم لا يستطيع انجازه وحده في اسابيع مثل بناء بيت او حرث أرض، او حصاد زرع، أو درس بيدر، أو جلب ما يحتاج إليه من حطب. وقد يكون غير قادر على القيام بهذا العمل، لأنه ينقصه بعض

مستلزماته من آلة وما شابه ذلك. ففي مثل هذه الحال، فإنهم يتبعون عادة من أجمل العادات وهي: قيام صاحب العمل باقامة حفلة غداء في مكان العمل، تشترك في تحضيره واعداده قبل يوم العمل (الجارات) وهكذا يقومون بالعمل دون ان يشعروا بتعب او ملل، وعند الانتهاء منه يعودون إلى بيوتهم على انغام موسيقاهم الجركسية، واغانيهم الحماسية، ورقصاتهم الرياضية، متمنين من صميم قلوبهم ان يدوم العمل الجدي على هذا الشكل المبهج والمفرح، وان لا ينقطع ابدا، وبذلك ينجز صاحب العمل عمله، وما خسر إلا قليلا، لأن الأكل قد شاركت بتحضيره جارات زوجة صاحب البيت، فكل واحدة منهن تبرعت بأكلة من عندها.

ولم تكن "العونة" تقتصر على امور الزراعة بل كانت تشمل كثيرا من الاعمال التي كانت تتطلب التعاون والعمل الجماعي.

كما كانت هناك انماط اخرى من الحياة الاجتماعية التي تعكس مظاهر هذا التعاون، فهناك فرن (الطابون) المشترك في الحارة، والذي كان يستعمل من قبل اكثر من عائلة، حيث كان لكل منها دور في استخدامه لاعداد خبزهم، كما كانت العائلات المتجاورة تتعاون في اكثر من عمل، فالبرغل (المادة الرئيسية لصناعة الباسطة) والذي لم يكن يخلو أي بيت شركسي منه، كان يتم صنعه عن طريق العونة تماما مثل (تصويل القمح)، أي غسله وتنظيفه تمهيدا لطحنه، وتحضير مستلزمات طبخة (العاشوراء) الذي كان يتم في اماكن محددة في القرية، والتي يتواجد فيها (الجرن الخشبي) الذي يستعمل لإزالة قشرة الذرة الصفراء والقمح المادتين الرئيستين لهذه الطبخة.

كما كانت المعونة في اعداد وتوفير مستلزمات البناء وصيانة البيوت من حجارة واخشاب وقصب واغصان شجر الدفلى والتراب المخصص لاعمال القصارة في البيوت الطينية والتراب اللازم لبناء الطوب والذي كان يستخرج من اماكن محددة على اطراف القرية. كل هذه المظاهر التي ذكرتها وغيرها، تدل دلالة واضحة على التعاون (ولو بطريقة غير مباشرة) في الحياة الاجتماعية الشركسية.

وبفضل هذا التعاون لم تكن هناك حاجة لطلب العون من مناطق اخرى الا نادرا، فكل المهن اللازمة لحياة القرية الشركسية في كل قرية كانت متوفرة، من الحداد إلى النجار والبناء والطحان وصانع الجلود والادوات الزراعية وحتى والمعالجين بالطب الشعبي.

*** مفهوم التكافل والتضامن في المجتمع الشركسي**

يؤكد المؤرخون والباحثون الاجتماعيون بأن المجتمعات الشركسية تكاد تخلو من (المتسولين) وان فقراءهم لا يمدون اليد، لأن الأمة الشركسية من الامم القديمة التي طبقت مفهوم التكافل والتضامن منذ ان كانوا وثنيين وقبل اعتناقهم للديانة المسيحية ومن ثم الدين الاسلامي، ومن أهم مظاهر التكافل التي كانت تطبق منذ عهد الاجداد هي:

- **مبدأ كفالة الاطفال الايتام** من قبل اصدقاء ابائهم او من قبل جيرانهم، لأن من اكثر العادات التي كان يتمسك بها الشراكسة منذ القدم هو قيام اصدقاء الاباء او جيرانهم برعاية اطفالهم بعد موتهم او استشهادهم في المعارك.

- **مبدأ (العونة)** التي تحدثنا عنها، وكذلك مبدأ اعتبار الارض ملكا مشاعا بين الناس، وبعبارة ادق فإن الشراكسة كانوا يؤمنون بأن لكل انسان الحق في الحصول على قطعة ارض لإعالة عائلته. فكان الرجال في قرية ما، يعزقون الارض ويحرثونها ثم يزرعونها، بجهد مشترك، وعند الحصاد والاثمار يقسمون الأرض وناتجها فيما بينهم. فالعائلة الاكبر عددا والاقل حظا، تأخذ الحصة الاكبر. والحصة الثانية تذهب إلى العائلة التي تليها في الترتيب، وهكذا إلى ان تحصل كل عائلة على ما يكفيها، وإذا حدث جفاف أو قحط، وانعدم الحصيد والثمر، هبت القرية المجاورة إلى مساعدة سكان القرية المنكوبة. وإذا عجزت عن الوفاء بكل الالتزامات هب أهالي القرية التي تليها في سد النقص، وإذا اصاب الولاية كلها، قحط او نكبة ما، تقدمت الولاية المجاورة للمساعدة. وهذا ما حدث في الحروب الاخيرة التي جرت بين ابخازيا وجورجيا حيث

هبت الجمهوريات والمجتمعات (الاديغية) في الوطن الأم إلى مساعدة الابخاز، ولما اشتكى الجورجيون إلى الروس، حاول الروس أن يوقفوا تدفق المساعدات إلى ابخازيا، وفشلوا في تحقيق ذلك، لأن الشعب أصر على التمسك بمبدأ أو نظام (العونة) الشركسية واستمرت الشاحنات والقطارات تفرغ حمولاتها في مختلف مناطق الابخاز.

- **مبدأ تخصيص حصة من المزروعات للفقراء والمحتاجين والغرباء وابن السبيل:**

كان من عادات الشراكسة منذ القدم هو قيام الفلاحين في القرية بزراعة الاراضي الخاصة بالأرامل والايتام وكبار السن والضعفاء او المرضى، كما كانوا يقومون بحصدها بشكل جماعي، هذا بالإضافة إلى قيام اهل القرية بزراعة قطع اراضي اضافية من غير الاراضي المخصصة لكل عائلة وتخصيص انتاجها للفقراء او للغرباء الذين قد يصادف حضورهم عند الحصاد، وهو النظام الذي كان يسمى بالشركسية (حامة – أحه) ومعناها (حصة الغريب) لأن الشراكسة كانوا يؤمنون بالمبدأ الشعبي القائل (اللي بحضر السوق بتسوق).

- **مبدأ المسؤولية الجماعية في المجتمعات الشركسية:**

لم يكن يوجد أحد في المجتمع الشركسي قديما وحتى إلى وقت قريب في الوطن الأم أو في بلاد المهجر شيخ يعيش وحيدا بلا رعاية أو ايتام هائمون أو اطفال شوارع أو اطفال أسر مفككة وذلك بفضل (الأديغة – خابزة) التي تجبر أبعد قريب لذلك الشيخ أو (الطفل اليتيم) أو (المرأة الوحيدة) عن رعايتها، وإن لم يوجد مثل هذا القريب يعتبر أهل القرية أو الحي مسؤولون عن رعاية هذه الفئة المهمشة.

- **مبدأ احترام العمل والعمال في المجتمع الشركسي:**

اعطت العادات والتقاليد الشركسية (الخابزة) اهمية كبرى للعمل والعمال، والتراث الشركسي الشفوي غنية في الاقوال والحكم التي تعتبر العمل قيمة اجتماعية كبيرة، وأنه متأصل في المجتمعات الشركسية منذ القدم، وأن اهمية العمل لا تقتصر على كونه وسيلة الانسان لتوفير مأكله وملبسه وحاجاته وحسب، بل أنه يمنح الانسان، الثقة بنفسه، ويكسبه احترام الآخرين، وينمي لديه الطموح والأمل، والفرد الذي يأكل من عرق جبينه هو الذي يعرف قيمة الحياة ويشعر بلذتها وينسى متاعبها، كما يتضح ذلك في المثل الشركسي القائل: **(ألذ الزاد، أصعبه منالا).**

كذلك المثل القائل: **(كل من كدك، لأن زاد الاحسان لا يشبع).**

وكذلك فإن المجتمعات الشركسية كانت تنظر إلى المكانة الاجتماعية للانسان الشركسي وقيمته بقدر اقباله على العمل واتقانه له، كما يتضح في المثلين التاليين: **(قيمة الانسان تقاس بمقدار ما ينجزه من عمل).**

(جمال الانسان بعمله، وجمال الاشجار بثمارها)

واعتاد الشراكسة منذ القدم على احترام العمل، وعدم الخجل منه، ولو كان عملاً متواضعا، وهذا ما تعكسه قصة "الحكيم جباغي"، عندما جاءه شخصان يريدان استشارته، فلما رأياه يعمل في الحقل مع زوجته، عاد أحدهما من حيث أتى قائلا: **وهل يمكن أخذ الحكمة من رجل يعمل مع زوجته في الحقل؟ فكان رد (جباغي) المشهور (لا تحتقر العمل الشريف، مهما كان حقيرا).**

مبدأ قرابة (الاتالق) والاخوة بالرضاعة او بالتعاهد:

فقرابة الاتالق هي القرابة التي تنشأ بين أسرة (الولد) المطلوب تربيته ويسمى (قان) وأسرة المربي ويسمى (الاتالق) حيث كان من عادات الشراكسة منذ القدم تربية طفل من أسرة ما عند اسرة اخرى، بهدف اقامة علاقة قرابة بين الاسرتين، ويصبح الزواج محرما بين هاتين الاسرتين، وكان الامراء والنبلاء يرسلون ابناءهم إلى عائلات (الورق) ليربونهم ويدربونهم لمدة سبع سنوات ثم يعود

الشاب إلى منزله في السادسة عشرة من عمره، وتسمى هذه العادة عند القبرطاي (أوزدن) والوالد المربي (بوف خاكؤه) والطفل المربى (قان) وكان المربي يغني للطفل "**أنت اليوم طفل صغير وغدا ستغدو بطلا عظيما فإذا ما اشتدت ساعدك، لك ان تغزو وتأتي بقطعان الخيل والغنائم والاسلاب وعليك ان لا تنساني أنا مربيك العجوز**" وقد يغدو الولد (المربى) أغلى من الولد الحقيقي وعند الشراكسة اسطورة شعبية تقول بأن امرأة انقذت ولدها (القان) من حريق قبل ولدها الحقيقي الذي مات حرقاً.

والمبدأ الثاني هو مبدأ الاخوة بالرضاعة الناشئة من ارضاع طفل او اكثر من قبل جارة او مربية، وفي هذه يكون الاولاد او البنات اللاتي رضعن على ابن او بنت المرضعة محرماً التزاوج بينهم وهي عادة كانت مطبقة من قبل الدخول في الاسلام.

واما الاخوة بالاتفاق او التعاهد وهي الاخوة الناشئة عن اداء قسم التآخي ويصبح من المحرمات بالزواج من بعضهم البعض وهو ما يعرف باللغة الشركسية (آخرة زش) أو (آخره قدش) **ومعناها أخوة حتى يوم القيامة**، وهو مبدأ شائع حتى يومنا الحاضر في كل من الوطن الام وبلاد المهجر.

مبدأ رفض الكسل واحتقار العاطل عن العمل:

ربما كان من اكثر الاشخاص ازدراء واحتقارا في المجتمعات الشركسية هو الشخص الكسول العاطل عن العمل وهو قادر على ذلك، وهناك امثلة شركسية عديدة تعبر عن الموقف الرافض للمجتمعات الشركسية للكسل والعاطل عن العمل:

(ان الرزق يأتي مع العمل، كما تأتي المشاكل مع الكسل).

(يوم الكسول طويل).

(من لا يتقن الحصاد، يتعلل بسوء منجله).

(العاطل عن العمل، أكول).

(من يزرع أشجار الغابة، لا ينتظر أن يأكل من ثمرها).

(لا تغتر بجمال مظهرك، بل باتقان عملك).

(الذي يأتي بالسهل، يذهب بالسهل).

وربما كانت الابيات الشعرية التهكمية التالية خير دليل على احتقار الذين يأكلون من كد وتعب غيرهم.

(نحو العمل لا يندفع لكن السباق عند الأكل).

(يستصعب حلب البقرة وذيبك عند أكل القشطة).

(يستقل ما يأكله ويستكثر ما يعمله).

الفصل الثاني

اللغة القومية للأمة الشركسية

(نشأتها وتطورها منذ فجر التاريخ وحتى العصر الحديث)

يعود تاريخ نشأة الكتابة التصويرية اللفظية إلى الالف الثالث قبل الميلاد[١]، وهناك دلائل مادية تشير إلى نشأة اللغة كلغة تخاطب مع نشأة العلاقة بين اللغتين السومرية والشركسية قبل خمسة الآف سنة [٢].

والدارس لنشأة اللغة الشركسية وتطورها يجد أنها مرت في خمس مراحل زمنية وعلى النحو التالي:

المرحلة الاولى: وهي مرحلة نشأة اللغة كوسيلة للتفاهم والتخاطب بين افراد المجتمعات القديمة وهي المرحلة التي نشأت فيها اللغة الشركسية كلغة خاصة بقوم (النارتيين).

ويتضح ذلك من اساطير النارتيين التي تحدثت حول احداث حدثت في العصور الحجرية والبرونزية، وبالتالي فإن نشأتها تعود للألف الرابع قبل الميلاد.

المرحلة الثانية: وهي مرحلة (الكتابة الصورية) التي كانت تعتمد على الرموز للمقاطع الصوتية شبه المجردة... وهي الكتابة في العصور القديمة بدلالاتها الصوتية للمقاطع، وكما هو الحال في الكتابة الهيروغليفية الاولى وإن تشابه الكتابات التي وجدت في صوخومي مع كتابات مايكوب لا يدع لنا مجالا للشك أنه ما بين عام (١٣٠٠ – ١٢٠٠)ق.م كانت هناك لغة واحدة تستخدم كتابة واحدة على مساحة كبيرة تمتد من صوخومي وحتى مايكواب. وانتقلت هذه الكتابة الصورية إلى ايجاد رموز للمقاطع الصوتية شبه المجردة بجانب المقاطع التصويرية، وكانت بداية الانتقال للكتابة ذات الدلالات الصوتية للمقاطع، وقد انتقلت هذه الكتابة خارج القفقاس الشمالي إلى الساحل السوري الفينيقي، وكان العالم النمساوي البرفسور (انطوان ايركو) هو أول من شك بأن الكتابة الهيروغليفية الأولى في فينيقية هي كتابة قفقاسية المنشأ.

وربما كان (سمكوغ) افضل من كتب في هذا الموضوع، حيث أكد في كتابه (الشراكسة في فجر التاريخ) بأن الأقوام ذات الأرومة والأصل والواحد والتي غدت مع الزمن واستمرار الاستيطان والاستقرار في أحواض الأنهار شعوبا وبدأت الفروق اللهجوية تتوضح وتزداد حتى غدت لغات مستقلة ذات أصل ومنشأ واحد، وكلها لغات مقطعية يظهر أصلها المشترك بشيء من التحليل البسيط، وهذه الشعوب هي التي خرجت حاملة نمطها الحضاري المميز والمتشابه من ظلمات العصور الحجرية المعدنية (ما قبل التاريخ) إلى سدة التاريخ فاخترعت الكتابة الاولى في سومر (٣١٠٠) ق.م. دون أن ننسى باقي الشعوب من أرومتها والتي وضعت كتاباتها الخاصة بها (الكتابة الميخية، والكتابة الهيروغليفية الحديثة في قبادوكيا، والكتابة الصوتية الكريدية في مسينا والآشوية في الكوبان) واعتبر المؤرخون هذا الحدث بأنه أسبقيه سومر في اختراع الكتابة وأنه الثورة الثانية الهامة في سلم الحضارة الإنسانية.

ويقول (سمكوغ) "كانت هذه الكتابة والكتابات الأخرى الخاصة بلغات مقطعية جمعية (حرفية، مقطعية، ووصفية) لا يمكننا بأن نتصور بأن الشعوب ذات اللغات الاشتقاقية قد شاركت في وضعها او اكتشافها، ونبني حكمنا هذا على خصوصيتها الشديدة بتلك اللغات المقطعية والبون الشاسع بين طبيعة وشكل اللغات المقطعية واللغات الاشتقاقية، وكذلك من منطلق انشغال الشعوب ذات اللغات الاشتقاقية بنمط الحياة القاسية والتنقل الدائم، وإنما يمكننا التأكيد على أن هذه الكتابة الصورية تطورت إلى كتابة مقطعية مسمارية، وقد تمت استعارتها لكتابة اللغات الاشتقاقية بها فيما بعد، وجرى تطويرها حتى يتم التغلب على الصعوبات التي نشأت عن كتابة هذه اللغات الاشتقاقية بكتابة وضعت أصلا للغات مقطعية، وربما كان هذا التطوير هو السبب غير المباشر في الوصول في النهاية إلى

وضع الابجديات التي تصلح لكل أنواع اللغات، لذلك فإن المتتبع لتطوير واسلوب الكتابة الصورية المقطعية، من صورة أولى مفردة تدل وحدها على المرأة (صورة إمرأة) ثم صورة ثانية للجبل (صورة جبل) يجد بأن المقصود من هاتين الصورتين ليست المرأة وليس الجبل وإنما اسم العلم الذي تدل عليه هاتين الصورتين وهي (الخادمة) لأن اسم الخادمة مكون من مقطعي (الجبل والمرأة) ربما لأنهم كانوا يأتون بها من الجبل، أي أن عبارة (امرأة الجبل) صارت اسم علم ويمكن ان نزيد هذا الأمر وضوحا فنأخذ مثالا من اللغة الشركسية (الأديغة) التي هي الأخرى لغة مقطعية إن اسم العلم الذي يدل على (الزعيم) أو الرئيس هي كلمة (تحمادة) وهي تعني زعيم القوم وكبيرهم ولا يفهم منها معانيها المقطعية حتى يتم تحليلها إلى مقاطعها التي كونت هذه الكلمة وهي (تحة) وتعني (إله) (والميم) بمثابة اللام الجارة في اللغة العربية و (آده) تعني الوسيلة أو الأداة، ويصبح معنى المقطعين (وسيلة الإله أو أداة الإله) وربما احتوت المعنى المجازي نائب الإله، ولكن القارئ والمتكلم لا يفهم هذه المعنى لأنها غدت مجتمعة اسم علم يعني الزعيم أو الرئيس، وهكذا فاسم العلم في اللغات المقطعية يتألف من مقاطع وحروف وصفية، وهذا غير موجود في اللغات الاشتقاقية لذلك كانت الكتابة السومرية الصورية المقطعية خاصة بالسومرين ولم يشاركهم أحد في اكتشافها. (٣)

وكذلك فإن العالم الفرنسي (ديونان) له وجهة نظر مشابهة حول كيفية ظهور الكتابة الخطية بقوله:

"... وهكذا أصبحنا نعلم كيف ظهرت الكتابة الخطية الفينيقية بعد ظهور الكتابة الآشوية في بيبلوس، وهذا ما حصل للكتابة اليونانية التي تأسست بدورها على رسوم الكتابة الفينيقية الكنعانية الخطية التي كانت قد تأسست على أساس الكتابة المقطعية اللفظية الآشوية ويفيدنا أن نذكر هنا أن أقدم الكتابات الفينيقية في بيبلوس تعود للقرن الرابع عشر ق. م. في حين تعود الكتابات الآشوية في بيبلوس إلى القرن العشرين ق. م.

وهي الكتابة التي سميت (بالكولخدية) الابخازية القديمة حسب رأي عالم (تورتشانيتوف) مؤلف كتاب (اكتشافات وفك الرموز القديمة الاشوية) (٤).

المرحلة الثالثة: وهي المرحلة التي نشأت فيها الكتابات الخاصة باللغة الشركسية (اديغابزة) وهي المرحلة التي اختلف فيها علماء اللغة وخبراء الاقوام القديمة حول منشأ اللغة الشركسية وأصلها، وهذا الاختلاف أدى إلى ظهور أكثر من نظرية وكل واحدة منها تعتبرها مصدر ومنشأ واصل الكتابة باللغة الشركسية... فمنهم من يؤكد بأن لغة الكتابة الشركسية كانت تستخدم كاحدى اللغات السبعة التي كان يستخدمها الحثيون في الالف الثاني قبل الميلاد، بينما فئة ثانية من العلماء يفترضون بأن اللغة الشركسية استخدمت الاحرف الفينيقية، وفئة ثالثة اكدت بأنها لغة مشتقة من اللغة السورية القديمة، وذهبت فئة رابعة للقول بأن اللغة الشركسية تعود إلى اللغة الايبرية (وهي احدى اللغات الهندأوروبية) وتعتبر من اقدم اللغات في العالم.

واما العالم (تورتشانيتوف) فيقول بأن الاثار المكتشفة في (صوخومي) اولا وفي (مايكوب) ثانيا تؤكد بأن اللغة الشركسية تنتمي إلى اللغة الاشوية (الابخازية) القديمة.

ويؤكد الباحثون في أصل ومنشأ اللغات القوقازية عامة واللغة الشركسية خاصة بأنها بقيت لغة تكتب بالاحرف التصويرية الخاصة بها حتى القرن الرابع(٤).

المرحلة الرابعة: وهي مرحلة نشوء اللغات القومية القوقازية وتشعبها إلى لهجات قبلية محلية.

حيث قام بعض العلماء الغربيين من أمثال تودنستد وباللاس الالمانيان، وادولف دبر الانجليزي، وكذلك العالم الكرجي الشهير تيغولامار بالبحث في أصل اللغات القومية التي ظهرت في مراحل وعصور ما قبل الميلاد وتوصلوا لحقيقة بأنها لغات مشتقة من أصل لغوي واحد وان اللغات التي ظهرت في القوقاز في القرون الوسطى وما بعدها ما هي إلا لغات اشتقاقية حتى اصبح القفقاس من اكثر المناطق في العالم تعددا في لغاتها القومية ولهجاتها المحلية.

وفيما يلي نتائج الدراسات التي قام بها العديد من علماء اللغة الغربيين والروس وغيرهم..

اولا: قام العالمان (تودنستد وباللاس) في القرن الثامن عشر بتصنيف اللغات القفقاسية إلى ستة أصناف وهي:

١- لغة التتار = تركية	٤- لغة أوست = ايرانية
٢- لغة لزكي = داغستانية	٥- لغة الجركس = آديكية
٣- لغة كيست = جاجانية	٦- لغة الكرج

ثانيا: الدراسات التي قام بها كل من العلماء (كالابروث وبروس وروزه شيغنر واوستار وفريدريك موللر) وأخيرا وفي عام ١٨٩٢ العالم (ر.فون أركت) بعنوان (Disprachen des Kaukasichen stammes)

كما تشير نتائج هذه الدراسات بأن جميع اللغات قد تفرعت من أصل واحد بعينه، وأساساتها تعود إلى لغة واحدة وهي اللغة الأم. القوقازية (الايبرية).

ثالثا: ذهب العالم (أدولف ديرر) إلى القفقاس وعاش فيها سنين عديدة، وأجرى دراساته في شرقي القفقاس وتوصل إلى أن اللغات القفقاسية تنقسم إلى ثلاثة أقسام وهي:

* قسم اللغة القارتوالية: وهي لغة الايبريين أي الكرج.

* قسم اللغة الآديكية: وهي لغة الأباظة والأوبيخ والجركس (آديكة).

* قسم لغة الجاجان والداغستان وهي سكان المنطقة الشرقية في شمال القفقاس.

وأكد أن هذه اللغات الثلاث مشتقة من أصل واحد، أو انها ثلاثة شعوب متفرعة من أصل واحد وانها ليست لغات مختلفة لقوميات مختلفة.

رابعا: قام عالم اللغات الشهير الكرجي (نيقولامار) بجمع اكبر عدد من اللغات القفاسية تحت اسم (اللغات اليافثية) ووزعها إلى أربع لغات وهي:

١- لغة اللزكي	٢- لغة الججن
٣- لغة آباظة	٤- لغة قارتوه ل.
٥- لغة الآدكة	

كما قالوا اللغات القفقاسية الشمالية تنقسم إلى صنفين، شرقية وغربية، لكان الصنف الشرقي يحتوي على لغات الجاجان والداغستان، والصنف الغربي لغة الآديكة والأباظة.

فالصنف الأول – تتكلم به قبائل (لزكي – جاجان – اينكوش)

والصنف الثاني – تتكلم به قبائل الآديكة والأبخاز والاوبيخ.

خامسا: قسم العالم (فريدريك موللر) اللغات القفقاسية إلى ثلاثة اصناف، كما قال بأن هذه الأصناف الثلاثة تعود إلى أصل واحد، ولكن الانكماش بين الجبال" وعدم الاختلاط، لعدم وجود وحدة سياسية، مئات وربما آلاف السنين" "أثر عليها بمرور الزمان فأصابها التغيير والتبديل، كما حدث في اللغات السامية".

نستنتج من الدراسات السابقة بأن القفقاس هو بلد (الالسن) وتتعدد فيها اللغات واللهجات إذ تصل إلى المئات ونستدل على هذه الحقيقة من قول كل من:

* المؤرخ اليوناني (سترابون) في القرن الأول للميلاد القائل بأن الذين يدخلون إلى بلدة دياسكاريوس (بجوار صخوم الحالية) على البحر الأسود، بقصد البيع والشراء يجدهم يتكلمون سبعين لغة ولهجة مختلفة.

* وأما المؤرخ الروماني (بلين) واعتمادا على كلام (ديموستين) فإنه قد رفع هذا الرقم إلى ثلاثمائة لغة كما عقب قائلا: "نحن الرومان ننجز معاملاتنا مع الاهالي باستخدام ١٣٠ ترجمانا.

*** وكذلك المؤرخ العربي (العزيز) سمى قفقاسيا الشرقية بجبل الألسن.**

وأما المؤرخون الروس الذين كانوا أكثر المتحمسين من المؤرخين الآخرين لإبراز اختلاف اللغات وتعدد القوميات في القفقاس لتحقيق الدعاية المغرضة والدس وقلب الحقائق بقصد إيقاع التفرقة والفتن بين القفقاسيين على قاعدة (فرق تسد) حيث اعتبرت كل لهجة من لهجات اللغة الواحدة، لغة قومية مستقلة بذاتها، وجعلوا لها إدارة محلية ويغذونها بأفكار التنافر القبلي والعرقي كما حدث مع الأمة الشركسية.

إلا أن علماء منصفين حياديين شغلوا أنفسهم في دراسة اللغات القفقاسية دراسة علمية موضوعية لا يقصدون منها سوى معرفة الحقائق، وهي دراسات حيادية موضوعية تهدف إلى الوصول لنتائج علمية فقط، والكشف عن ادعاءات علماء الروس اولا وتصحيح المعلومات الخاطئة التي سبق ان توصل إليها علماء اليونان والعرب حول تعدد اللغات القفقاسية القديمة ثانياً [٥]، حيث كانوا يعتقدون بأن كل لهجة عبارة عن لغة قائمة بذاتها فمثلا كان عدد القبائل الشركسية (الاديغة) في القرن الثامن عشر مثلا حوالي (١٨) قبيلة وكل قبيلة لها لهجة تختلف عن لهجة القبائل الأخرى.. فالمؤرخون او الرحالة الرومان أو الفرنسيون أو الانجليز كانوا يعتبرون كل لهجة لغة، علما بأن (١٨) لهجة هي لغة واحدة. وكذلك الأمر بالنسبة للقوميات الأخرى وخاصة الداغستان فربما كان فيها أكثر من (٨٠) لهجة بينما عدد لغاتها لا تتعدى (٣٠) لغة فعليا.

وفي عهد الاتحاد السوفيتي فإن عدد اللغات في القفقاس ارتفع إلى (٥١) لغة إلا أن اكثر من نصفها هي لغات غير قوقازية الأصل وانما هي لغات لشعوب واقوام وفدت واستوطنت في بلاد القفقاس. كما هو مبين في الخارطة اللغوية التالية.



خارطة

تبين توزيع اللغات في الجمهوريات القوقازية في العصر الحديث

المرحلة الخامسة: وهي مرحلة دراسة اللغة الشركسية من قبل علماء اللغة.

تنتمي اللغة الشركسية إلى اللغات القفقاسية، وتعد في حد ذاتها الشقيقة الكبرى لهذه اللغات سابقة الذكر، والمقصود بالانتماء هنا، هو ان اللغة الشركسية اصلا منبثقة عن اللغة القفقاسية الايبيرية الام، تماما مثلها مثل اللغة العربية المنبثقة من اللغة السامية الام، ومثلما اللغة الانجليزية المنبثقة من اللغة التيتونية (الجرمانية) وبالتالي فهي لغة مستقلة تمام الاستقلال يطلق عليها علماء اللغات اسم اللغات القفقاسية، ويعتبرونها اقدم كثيرا من اللغات الهندواوروبية والسامية والطورانية وغيرها.

وتزايد اهتمام علماء اللغة بدراسة اللغة الشركسية دراسة لغوية واتموليجية. وتعتبر (حضارة مايكوب) التي ظهرت في العصر البرونزي الحضارات التي تلتها، والمنسوبة إلى شعوب (الميئوت والسند من اجداد الشراكسة القدامى) موضوع دراسات مكثفة من قبل عدد كبير من علماء الاثار والتاريخ واللغات. وقد اجرى هؤلاء العلماء في فترات متفاوتة، ابحاثا هاما في اصول وتطور اللغة الشركسية وحسب التواريخ التالية:

* العالم الايطالي ج. انتريانو – في القرن السادس عشر.
* العالم الالماني فايتسن – بداية القرن الثامن عشر .
* العالمان جولد نشتات وبالاس – في نهاية القرن الثامن عشر .
* في القرن التاسع عشر – مجموعة من العلماء تضم كلا من:

جوليوس ف. كلا بروث، بروسيت، ج. روزن، أ. شيفنر، ب. ك. اوسلار، ف. ميللر، ل. لوايوا، ر. ف. ايركيرت، ل. لوباتنسكي.

ولم يقتصر البحث في اصول اللغة الشركسية وتاريخها على هؤلاء العلماء فقط، بل هناك مجموعة كبيرة اخرى ابدت اهتماما فائقا في دراسة هذه اللغة ووضعت مؤلفات قيمة كثيرة مثلها مثل لغات عالمية مختلفة، وأخص بالذكر في هذا المجال العلماء:–

* **البرفسور ج. ديترز – جامعة بون.**
* **الدكتور ج. نوبلوخ. – عضو معهد ابحاث إنسبورك (النمسا).**
* **البروفسور ن. ف. ياكو فليف (الاتحاد السوفياتي) – (ويعتبر هذا العالم اللغة الشركسية إحدى اللغات التي كانت موضع بحث وتدقيق علماء اللغة).**
* **البروفسور ج. دومزيل الذي قام بزيارة تركيا مرتين لدراسة لغة قبيلة (الأوبيخ) وله مؤلفين بهذا الخصوص.**

توصل هؤلاء العلماء إلى حقيقة اساسية هي أن تاريخ الكتابة باللغة الشركسية تاريخ قديم ويعود إلى سنة (٢٠٠٠) قبل الميلاد.. وشاركهم في هذا الرأي كل من العالم البلغاري ب. جيوجيف (١٩٥٧) والعالم ارن تشيكوبافا (مايكوب) في كتابه عن اللغة القفقاسية الايبيرية المجلد الثاني الصادر في مدينة مايكوب عام (١٩٦٣) بقوله: (ان اللغة الحثية واللغات الابازكو شركسية تشترك مع بعضها البعض في اصول جذرية واحدة). وقد تمكن عالم اللغات الروسي ج. ف. تورتشانيتوف المختص بنظم كتابات اللغات القفقاسية، من حل الكتابة الغربية التي وجدت محفورة على (بلاطة) حجرية كبيرة استخرجت في العصر الحديث من حفريات مدينة (مايكوب) في مقاطعة الاديغي ذات الاستقلال الذاتي. بقوله ان الرموز المحفورة على هذه البلاطة مكتوبة بحروف فينقية وبلغة ابازكو شركسية، وان تاريخ البلاطة يعود إلى القرن الثامن او السابع قبل الميلاد)[٧].

وفي عام ١٧٧٣ عثر العالم الالماني (جولد نشتات) اثناء تجواله في بلاد القبردي بالقرب من ضفة نهر (بساطقوه) على تمثال حجري محفور عليه باللغتين اليونانية والشركسية وفي نهاية الحفر كتب تاريخ وضع التمثال هناك وهو القرن الرابع قبل الميلاد.

وللوصول إلى تاريخ بدء كتابة اللغة الشركسية لأول مرة بحث علماء اللغة في قواميس اللغات الشركسية والابخازية والوبخ عن الكلمات التي تتعلق بالكتابة ووجدوا توافقا تاما للمفردات المستعملة في هذه اللغات ودلالات تؤكد بأن كتابتها قديمة منها:

١) باللغة الشركسية – كلمة (تخ) بتسكين التاء وكسر الخاء المخففة تعني أكتب.

كلمة (تخا) بتسكين التاء وفتح الخاء المخففة تعني كتب.

كلمة (تخل) بتسكين التاء واللام المميعة وكسر الخاء المخففة تعني كتاب او رسالة.

٢) بلغة الوبخ: كلمة (تخ) مثل الشركسية لفظا ومعنى.

كلمة (تخل) مثل الشركسية لفظا ومعنى.

٣) بلغة الابازة: كلمة (اتخره) كسر التاء وتسكين الخاء المخففة.. بمعنى (كتاب).

والملاحظ هنا، ان هذه الكلمات موجودة في اللغة بصفة اصلية منذ فجر التاريخ وليست مستعارة من اللغات الاخرى التي احتكت بها اللغة الشركسية في تاريخها القديم والحديث مثل اللغات الاسكيتية والمغولية والتركية والارمنية والروسية والعربية وغيرها. وهذا يدل على ان الشراكسة كانوا يكتبون لغتهم في الازمنة الغابرة بوسيلة او بأخرى. ويؤكد هذه الفكرة وجود علامات (دامغة) خاصة بكل عائلة شركسية كانوا يدمغون بها اسلحتهم وخيولهم ومواشيهم وبيوتهم، وما زالت عائلات كثيرة تحتفظ بهذه العلامات إلى يومنا هذا. ولو دققنا النظر في هذه العلامات لوجدنا ان اشكالها تشمل تقريبا جميع الاحرف اليونانية واللاتينية وغالبية الاحرف السلافية.

ان اول ذكر عن الكتابة الشركسية في تاريخ هذه اللغة، قد ورد على لسان العالم الالماني الكبير (ي. فون ميزاروس) في كتابه لغة (الوبخ) – شيكاغو عام ١٩٣٤، حيث قال:

اننا لو قارنا لغتي (الوبخ) و (الحثيين) لوجدنا تقاربا شديدا في اصول اللغتين، والمدهش حقا هو التناسق الغريب بين قواعد اللغتين، مما يشجع كثيرا على اعتبارهما لغة واحدة. والمعروف ان تاريخ اللغة الحثية المكتوبة يعود إلى عام (٢٠٠٠) ق. م كما ذكرنا سابقا. أضف إلى ذلك بأن اللغة الجركسية تحتوي على الاسماء الخاصة بوسائل القراءة وادوات الكتابة مثل (الكتاب، والورق، والقلم، والمدرسة، والمعلم) فمن البديهي أن يكون الشراكسة قد مارسوا فن الكتابة والقراءة في دور من ادوار حياتهم منذ الازمنة التاريخية القديمة ويعتقد ان هذا الدور كان في زمن الحضارة الاغريقية، او قبل ذلك اي في زمن الامبراطورية (الكيميرية) التي كانت من اعضائها قبائل السند والكركت وغيرهما من اجداد الشراكسة *

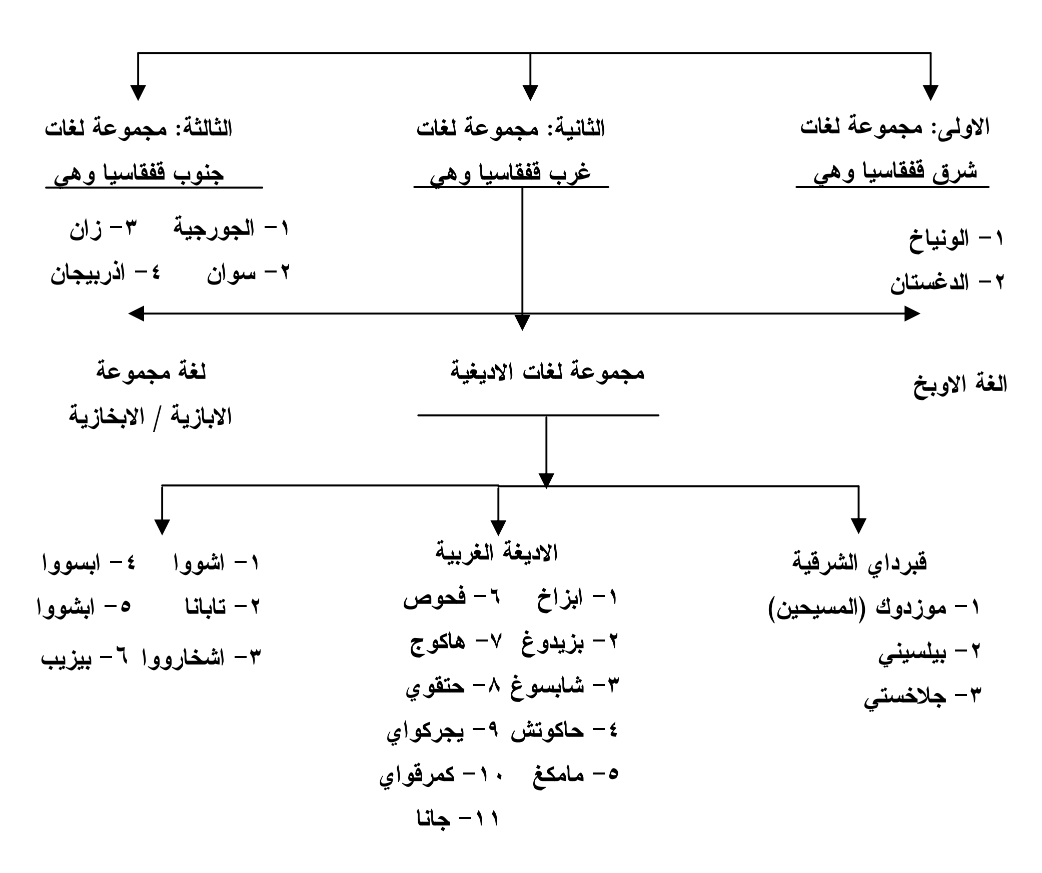
ومن الواضح بأن اللغة الشركسية لم تكتب منذ القرن الرابع الميلادي وحتى منتصف القرن التاسع عشر الميلادي وان اول من فكر بإحياء كتابة اللغة واوجد لها حروفا خاصة هو العالم الشركسي نغموقة شورا بكمرزا في عام ١٨٤٠، وقد استعمل الاحرف السلافية في بادئ الامر ثم وضع الف باء اخرى مستعملا الحروف العربية في عام (١٨٤٣) وسيتم مناقشته في (المرحلة السابعة) من تاريخ نشأة وتطور اللغة الشركسية (٢٢).

المرحلة السادسة: مرحلة توقف الكتابة باللغة الشركسية واستخدامها كلغة تخاطب وتفاهم فقط، حيث تشير الوقائع التاريخية بأنها لم تكتب بأي شكل من الاشكال لأكثر من (١٥) قرنا وهي المرحلة الزمنية الممتدة من القرن الرابع وحتى القرن التاسع عشر ميلادي وهي الفترة التي تعرضت فيها

* لمزيد من المعلومات حول تاريخ كتابة اللغة الشركسية يمكن الرجوع للمؤلفات التالية:
(١) كوبرز (١٩٥٥) في كتابه: (الفونيم والمورفيم في لهجة القبردي) الصفحة العاشرة.
(٢) العالمين ن. ف. ياكوفليف والبروفسور د. أ. اشحماف (من الاديغي) اعضاء اكاديمية العلوم في الاتحاد السوفياتي الصادر في موسكو عام ١٩٤١ ، كتاب قواعد اللغة الادبية الشركسية ص: ٣.
(٣) احمد شردم، تاريخ كتابة اللغة الشركسية، مجلة الواحة – الجمعية الخيرية الشركسية/ عمان، العدد (١٦) السنة الثانية لعام ١٩٧٦ ص: ١٤-١٥.

الامة الشركسية إلى مئات الغزوات البربرية وعشرات الحروب المدمرة من قبل دول وشعوب وأمم من خارج القفقاس ومن داخلها، وكان آخرها حرب الابادة والدمار التي تعرضت لها الأمة الشركسية من قبل روسيا القيصرية وبمساهمة مباشرة وغير مباشرة من العثمانيين الاتراك والايرانيين وتتار القرم والانجليز والفرنسيين وهي الحروب التي انتهت باحتلال الأراضي القفقاسية عامة والاراضي الشركسية خاصة من قبل المستعمر الروسي القيصري ابتداء من عام ١٨٦٤ [٦].

المرحلة السابعة: وهي مرحلة تعدد اللغات القفقاسية واللهجات لدى الأمة الشركسية (الاديغة) وظهرت في هذه المرحلة لغات قفقاسية متعددة بعد ان كانت في فجر التاريخ لغة واحدة ويقسمها (كليموف) إلى ثلاث مجموعات لغوية، وهي على النحو التالي: [٧]



وفيما يلي تحليل للغات كل مجموعة، وعلى النحو التالي:

أولا: لغة مجموعة غرب قفقاسيا وهي مجموعة الشراكسة في الاديغي

يؤكد الباحثون المختصون بتاريخ اللغة الشركسية (الاديغة) بأن الشراكسة الذين يسكنون المنطقة الممتدة من نهر "دون" شمالا وحتى شواطئ نهر "أزوف" يتكلمون ويكتبون اللغة الشركسية المعتمدة على **لهجة الكمرقواي**.

كما يتحدث بها قرى الشابسوغ على سواحل البحر الاسود وفي كراسنودار، وكما يتحدث بلهجة الاديغة الشرقية والمسماة (قبرطاي) في جمهورية قباردينا بلقاريا وفي منطقة قراشاي – تشركيسك وفي ولاية ستافروبول.

وتنقسم لغة الاديغة الغربية (لغة الاديغة القديمة القومية) من حيث اللهجة إحدى عشرة لهجة بمعدل لهجة واحدة لكل قبيلة من القبائل المذكورة في مجموعة لغة الأديغة الغربية كما هو مبين في المخطط السابق:

كما تعتبر لهجة مخوص ولهجة جانه من اللهجات التي انقرضت حيث لا يوجد اي شـــخص الآن يتحدث بها.

ثانيا: مجموعة لهجة لغة الاديغة الشرقية (لغة القبرطاي)، وهي لغة لا تختلف لهجاتها إلا ببعض الفروق الصوتية في أواخر الكلمات وتنقسم إلى ثلاث لهجات:

(١) لهجة بسلني. (٢) لهجة جيلاخستني. (٣) لهجة أهل مزدوج.

وتكتب لهجات لغة الاديغة الغربية بأحرف ابجدية معتمدة على لهجة ال "كميرقواي" اساسا لها، واللهجات الشرقية تعتمد في أحرفها الابجدية على لهجة ال "جيلاخستني"، ولا يوجد في أي من الابجديتين ما يشكل فارقا كبيرا حيث يتعدى الاختلاف بينهما أكثر من (٣٠-٥٠) كلمة، وهي الكلمات التي دخلت إلى اللهجة الشرقية من اللغات الاجنبية.

كما أن الاختلافات في الاصوات بسبب اختلاف المناطق تبلغ ثمانية أصوات فقط، كما ان هنالك اختلافات في زوائد نهايات الكلمات.

ثانيا: مجموعة لغة الابخاز (الاباظة)

وهو فرع من لغات القفقاس الغربية، ولغة الباسك التي تتحدث بها الشعوب التي تسكن في منطقة جبال بيرية على الحدود الفرنسية الاسبانية هي ايضا من نفس الفرع.

في عام ١٩٦٤ تم العثور بجوار "مايكوب" على كتابة من داخل حفريات أثرية تعود إلى القرن الثالث عشر قبل الميلاد. وعلى اثر الابحاث والدراسات التي اجراها العلماء المتخصصون في علوم تاريخ ولغات القفقاس في الاتحاد السوفياتي فقد تم الحصول على نتيجة ان لغة الاديغة ولغة الاباظة كانت تشكل لغة واحدة.

وفي سنة (٨٠٠) بعد الميلاد كان الابخاز (الاباظة) يشكلون دولة كبرى في قفقاسيا، وفي تلك الفترة كانت لغة الابخاز منتشرة في قسم من جورجيا وفي مناطق الاديغة ايضا.

واليوم يبلغ عدد الذين يتحدثون بلغة الابخاز في كل من الجمهوريتين (١٦٠) الف نسمة فقط.

وتنقسم لغة الابخاز إلى (٦) لهجات وأهمها هي:

(١) أبسوا: وهي اللغة القومية لجمهورية ابخازيا ذات الحكم الذاتي ومركزها سوخوم (أكو) وتتفرع إلى فرعين: ابيوا وبزيب، وتم في نهاية القرن التاسع عشر المباشرة بكتابتها بأحرفها الابجدية، واليوم لديهم أدب متطور بهذه اللغة.

(٢) ابازين: ويتحدث بها الابخاز الذين يقطنون في منطقة قراشاي – تشركيسك ذات الحكم الذاتي. وتنقسم إلى فرعين هما: أشيوا (تابانتا) وأشكها روفا.

وأما اللهجات الاربع الاخرى للابخاز وهي تابانتا، واشخارووا، وابودا وابشوا، وبيزيب منها لم تعد مستخدمة حالياً.

ثالثا: لغة الاوبيخ:

يصف العلماء المختصون بلغات القفقاس بأن لغة الابيخ هي وسط بين لغة الابخاز ولغة الاديغة ويسمى الابيخ انفسهم (بيخ) ويسميهم الابخاز (سادز).

وفي عام ٥٠٠ للميلاد قام (الزيخ) وهم اجداد الاوبيخ بتوحيد كامل قبائل شمال غرب القفقاس ضمن اتحاد فيدرالي. ومع مرور الزمن تحول هذا الاتحاد الفيدرالي المستقبل للقبائل الممتدة من ابخازيا إلى شبه جزيرة تامان إلى دولة (زيخيا) واثناء ذلك اصبحت لغة الاوبيخ لغة مؤثرة في جميع مناطق شمال غرب القفقاس.

وفي القرن التاسع عشر كان (الاوبيخ) يعيشون في المناطق الممتدة من جاجري على شواطئ البحر الاسود جنوبا إلى نهر شاخة شمالا، وكان عددهم آنذاك يتراوح من ٥٠ – ٨٠ ألف نسمة.

وفي عام ١٨٤٠ للميلاد وبناء على قرار مجالسهم القومية قرروا تبني لغة الاديغة كلغة رسمية لهم * .

واليوم لا يوجد في قفقاسيا من (الاوبيخ) سوى بعض العائلات والتي تم اسكانها في مناطق اخرى. ولا يتحدثون بلغة الاوبيخ، كما يعيش في كل من قرى تركية وسورية والأردن ما يتراوح من ٢٥–٣٠ الف نسمة من الاوبيخ ويتحدثون بلغة الاديغة بدلا من لغتهم التي اندثرت تقريباً.

حيث كان آخر شخص في العالم يتحدث بلغة الاوبيخ هو "توفيق اسنش" من قرية حاجي عثمان في تركيا وقام البروفوسير (جورج دوميزيل) المختص بلغات القفقاس في جامعة السوربون بدراسة لغة الاوبيخ لعدة سنوات، وقام بكتابة خمسة كتب تتعلق بقاموس للغة الاوبيخ وكتاب القواعد اللغوية للغة الاوبيخ وكتاب التاريخ والاقوال. ***

أما بالنسبة للغات المجموعة الشرقية والمجموعة الجنوبية في القفقاس والمتعلقة بلغات الويناخ والداغستان والجورجيين والاذربيجان والتسوان والزان فإنها خارجة عن موضوع بحثنا في هذه الموسوعة.

النظريات والفرضيات التي تبحث في منشأ اللغة الشركسية وأصلها (اديغا بزة)

نستنتج من الدراسات والابحاث التي اجراها علماء اللغة عامة وعلماء الشراكسة خاصة (بالرغم من قلة عددهم) نستنتج وجود أكثر من نظرية وفرضيات تبحث في منشأ اللغة وأصلها الشركسية (اديغابزة) وأن عدد النظريات تصل إلى خمس نظريات والفرضيات إلى اربع فرضيات يمكن تلخيصها على النحو التالي:

النظرية الاولى: وخلاصتها بأن اللغة الشركسية (اديغابزة) هي لغة حثية:

ومن أصحابها المؤرخ الروماني (ديموستين) وهو من المؤرخين الذين اكدوا بأن منشأ اللغة الشركسية هي احدى اللغات الحثية (السبعة) وتوصل أصحاب هذه النظرية إلى هذه النتيجة من الدلائل والقرائن التالية:

١– اللغة الحثية ثابت بأنها لغة تركيبية ، واللغة الجركسية أبرز مثال للغات التركيبية.

٢– في اللغة الحثية تحرك آخر حرف في الكلمات، وهذا يشابه اللغة الجركسية تماما.

٣– أظهر الاكتشفات الاثرية في جنوب القفقاس وجود تشابه كبير بين الحروف والعلامات التي تستعملها العائلات الجركسية لدمغ الحيوانات الخاصة بهم وتسمى (دامغة) ومن الاحرف الحثية.

٤– إن اللغات القفقاسية الحالية هي سبع لغات (الاديغة والآبخاز واوبخ والجاجان واللزكي والداغستان والسفانية) وهي التي تكوّن اللغات الحثية السبعة.

٥– العديد من أسماء ملوك الحثيين لها معاني باللغة الشركسية ومن أمثلة ذلك:

* مجلة قفقاسيا الجديدة، استانبول ١٩٥٨، عدد ١١.

*** كاتبه الدكتور ريكس سميث، حول اللغة الشركسية/ جامعة ليدن، هولندا، ١٩٧٤.

* بيتحاناش – الملك المؤسس للدولة الحثية – وكلمة حاناش معناها باللغة الجركسية (الكلب الاحول).

* لابرناش – ملك حثي – ومعنى (لابر) (في الحاشية لابارنا).

* ماؤزير – ملك حثي ومعناه ماؤ الأول أي أن (زير) معناه الواحد وكذلك فإن اسم ماو دارج الاستعمال إلى اليوم لدى الشراكسة.

* ماؤطؤر – ملك حثي، ومعناه ماؤ الثاني (طؤ) معناه (اثنين) باللغة الشركسية.

٦- وجد العديد من اسماء المواقع والمدن والعشائر لدى الحثيين لها معاني مرادفة لها في اللغة الشركسية منها:

* طؤابسين: ومعناه النبع المزدوج أو البئر المزدوج.

* تحابسين: ومعناه بئر الله (تح) معناه (الله) (بسين) معناه منبع أو ماء.

* حاتوشاش: وهي عشيرة شاش موجودة بين الجراكسة حتى وقتنا الحاضر.

* شاسي، حاتي، وهي أسماء لعشائر جركسية موجودة حاليا في قفقاسيا.

* حاتوكوي اسم بلدة جركسية في القفقاس ومعناه موطن الحات.

* كاسخي: قاسوخي: قبيلة حثية، لعلها قبيلة الشابسوغ الجركسية التي كانت تسمى قديما (قاسوغي) او قاسوغ.

* ليك: قبيلة حثية، (وليك) هو الاسم القومي حاليا للداغستان.

* تحة شؤب: اسم (إله حثي) ومعناه الصريح باللغة الجركسية (الإله الردئ) ولعله كان إله الشر أو إله الحرب لدى قدماء الشراكسة.

* حت أو حات: وهو الاسم القومي للحثيين وحاتقواي اسم لقبيلة جركسية كبيرة ومعناه (منشأ الحات) وحتقوة اسم لعشيرة من الآبزاخ ومعناها ابن (حت). [٢٤]

النظرية الثانية: وخلاصتها بأن اللغة الشركسية مشتقة من اللغة الفينقية

يؤكد بعض المؤرخين بأنه كان للشراكسة قديما علاقات تجارية وثقافية مع اليونانيين والفينقيين وانهم استعملوا أحرفا شبيهة بالأحرف الفينيقية في لغتهم وحجتهم في ذلك، الدلائل والقرائن التالية:

١- تدل الاكتشافات الاثرية في قفقاسيا وجود كتابات فينيقية في بلاد الأبخاز القدامى منذ القرن الثاني عشر قبل الميلاد.

٢- أصحاب هذه النظرية، يؤكدون على وجود تشابه كبير بين الكثير من الكلمات الاغريقية والكلمات الشركسية والقفقاسية، ويتضح ذلك من تحليل اللغة اليونانية القديمة كما جاء في كتاب (الاناضول القديم).

٣- من الأدلة التي يستند عليها اصحاب النظرية القائلة بأن اصل اللغة الشركسية مشتقة من اللغة اليونانية هي نتاج الدراسات التي أكدت بأن دولة من دول اليونان القديمة جاورت بلاد الجركس وأنهم أنشأوا في الأعوام ما بين ١٠٠٠ – ٢٠٠٠ ق. م. مستعمرة تجارية على سواحل البحر الأسود الجنوبية وفي منطقة قفقاسيا الشمالية بالتحديد والتي تعتبر الموطن الاصلي للشراكسة (الاديغة) منذ القدم حيث تم اكتشاف مسكوكات نقدية في بلاد (الاديغة) مكتوب عليها بالأحرف اليونانية.

النظرية الثالثة: وخلاصتها بأن اصل اللغة الشركسية مشتقة من اللغة السومرية

وصاحب هذه النظرية هو العالم اللغوي الشركسي (ابراهيم ادهم بج) مكتشف العلاقة بين اللغتين الشركسية والسومرية حيث جمع مئات الكلمات والمصطلحات المكتوبة باللغة السومرية وقارنها بكلمات ومصطلحات مستخدمة في اللغة الشركسية فوجد تطابقاً (شبه) كامل بين اللغتين السومرية والشركسية من حيث اللفظ والمعنى.

وفيما يلي نماذج من مقارنة كلمات ومصطلحات سومرية ومصطلحات شركسية معتمدا في ذلك على الدلائل والشواهد التالية:

١- الكتابة السومرية تستخدم الكتابة المسمارية ولها ثلاثة انواع من العلامات

وتمثل كل واحدة (العلامة) الدالة، (المقاطع الصوتية) فعلامة الضم مثلا تلفظ (gu) والعلامة الدالة توضع قبل الكلمة لتحديد معناها مثل كلمة (Daza) ولها اكثر من معنى فإن وضعت علامة أو صورة (اسنان) (Daza) تعني (سن) وان وضع صورة جنود وعساكر يكون المعنى (جيش) ويلاحظ بأن اللغة السومرية تتضمن بعض الكلمات التي لها اكثر من ثلاثة وأربعة معاني، وكذلك الأمر في اللغة الشركسية فلها نفس المعاني.

٢- اللغة السومرية لغة مقطعية، وكذلك اللغة الشركسية (لغة الاديغة)، وهذا يعني حقيقة هامة أن لكل حرف من حروف هذه اللغات المقطعية معنى، فحرف (آ) تعني اليد، وحرف (ب) تعني طرف أو أنف والمقطع المؤلف من حرفي (آب) يعني طرف اليد والكلمة تتألف من مجموعة من المقاطع والحروف فيها مجموع معانيها فاحرف (آ ب ش) تعني (رسغ طرف اليد).

٣- معاني الحروف ثابتة لا تتبدل مع الزمن ومع تطور اللغة لأنه إذا تبدل معنى أحد الحروف فسيبدل معاني مئات الكلمات التي يدخل في تركيبها هذا الحرف ويؤثر على اللغة من أساسها لذلك كان من المستحيل ان يتبدل معنى الحرف مع الزمن. وهذا هو سر احتفاظ اللغة الشركسية وعدم اندثارها او اختفائها كما حدث في لغات قديمة كثيرا.

٤- ثبات معاني الحروف والمقاطع، وبالتالي ثبات الكلمات هو الذي يمكننا من فهم اللغة السومرية بعد قرابة خمسة آلاف عام. إن الكلمة السومرية لا تفهم للوهلة الأولى باللغة الشركسية لقدمها، ولكننا عندما نحللها إلى مقاطعها وحروفها ونرى معانيها الثابتة يتبين لنا المعنى واضحا وهو يطابق تماما المعنى الذي أعطي للكلمة السومرية اصلا.

٥- ثبات معاني الحروف والمقاطع هو من خصائص هذه اللغات. ولولا هذه الخاصية لضاعت هذه اللغات وحدثت فيها اخطاء إلا أن هذا الثبات لا يعني ان هذه اللغات لم تتطور وانما التطور الحاصل فيها يحدث في اسلوب جمع الحروف والمقاطع وترتيب الجملة ونلاحظ هذا التطور تماما بمقارنة اللغة السومرية القديمة وباللغة الشركسية اليوم.[٢٥]

٦- بالرجوع للقاموس السومري [٢٦] وجد بأن اكثر من ٨٠% من الكلمات والاحرف السومرية لها نفس اللفظ ونفس المعنى باللغة الشركسية وفيما يلي بعض المقارنات بين اللغتين السومرية والشركسية:

اللفظ بالسومري	اللفظ بالشركسي	المعنى بالعربي
A-ZU	آزه	طبيب
A	أ	يد
ku	قُ	خنزير
αd-dα	أدا	أب
en- yen	ين	كبير
gα	شا	حليب
gissu	جاوَ	أمل
Tus	طس	اجلس
Nin	نَنَ	أم
Kα-gα	جا	فم
Ku	كَو	اذهب

نستنتج مما تقدم وجود تطابق في اللفظ والمعنى في الكلمات والمصطلحات في اللغتين السومرية والشركسية مما يدل على ان اللغة الشركسية مشتقة من اللغة السومرية او العكس.

النظرية الرابعة: وخلاصتها بأن اللغة الشركسية تعود في أصلها للغة الايبرية

وهي احدى اللغات (الهندواوروبية) وهي من اقدم اللغات في العالم واصحاب هذه النظرية يعيدون أصل اللغة الشركسية إلى اللغة القفقاسية الأم (الأيبرية) وهي لغة شبيهة باللغة الباسكية الحالية واللغة الاتروسيكية القديمة المستخدمة في شمال ايطاليا، وان اللغة الايبرية كانت تستخدم قديما في آسيا الصغرى واصحاب هذه النظرية يعتبرون اللغة الشركسية من أقدم اللغات (الهندواوروبية) وانها اقدم من السامية والطورانية والتركية.

وأصحاب هذه النظرية يقدمون لنا بعض الادلة والشواهد اللغوية لإثبات صحة ما يذهبون إليه حول اصل اللغة الشركسية وعلى النحو التالي:

١- الشراكسة ينتمون عرقيا إلى السلالة (الهندية الاوروبية) وبالتالي لا بد من ان تكون لغتهم واحدة او متشابهة.

٢- توصل علماء اللغة الاوروبيين إلى وجود تشابه بين قواعد اللغة الشركسية وبعض اللغات الاوروبية، وكذلك تشابه من حيث تركيب الكلمات ومخارجها ويؤكدون على ذلك بالأمثلة التالية [٢٧].

٣- (خاء فوقها نقطتان): يلفظ كما تلفظ (ch) الالمانية (خه) كما في كلمة (خاسه) بمعنى (المجلس) وتنطق بالخاء والهاء مدغمتين.

٤- الهمزة إذا تقدمها حرف (ب) الساكن ينطقان معا. وكذلك إذا تقدمها (ج) و (ص) و (ك) و (ف) مثل (بئه) بمعنى فراش و (جئه) بمعنى جديد.

أمثلة لبعض الكلمات الجركسية المشابهة لفظا ومعناً للكلمات الاوروبية (أي الهندية الاوروبية):

جركسي	لغات اوروبية	عربي
طؤ	Deux (فرنسي)	اثنين
مازه	Mois (فرنسي)	شهر
وونه	Vona (هولاندي)	مسكن
خبزه	Habit (انجليزي)	عادات
واصه	Wasa / (روسي)	مهر (صداق)
بسه	Psy (رومي)	روح
تحه	Theo (رومي)	اله
طو	دو (فارسي)	اثنين
شي	شه (فارسي)	ثلاثة
مازه	ماه (فارسي)	شهر
ارى	ارى (فارسي)	نعم

النظرية الخامسة: وهي احدث نظرية وخلاصتها ان اللغة الشركسية تنتمي إلى اللغة الآشوية القديمة لأجداد الاباظة والابخاز والابيخ.

وظهرت هذه النظرية عام (١٩٦٣) بعد (مكتشفات مايكوب) عاصمة جمهورية الاديغية الحالية في الوطن الام، ونشرت المعلومات الاولية عن الكتابات القديمة التي تعود إلى القرنين الثالث والثاني عشر قبل الميلاد وصدر كتاب حول نتائج تحليل هذه الكتابات وسميت بالكتابة (الكولخيدية الابخازية القديمة) وفي عام ١٩٦٨ تغير اسم الكتابة إلى (الاشوية) بعد اكتشافات منطقة (صوخومي) على ساحل بحر الاسود والتي يعود تاريخها إلى القرن الثاني قبل الميلاد ويقول العالم (تورتشانيتوف) مؤلف كتاب (اكتشافات وفك الرموز القديمة) الموجودة على اللوحات البرونزية العائدة للقرن التاسع عشر قبل الميلاد وعلى إنائين فضيين وجدا في مقبرة مايكوب الشهيرة والعائدة في تاريخها لمنتصف الالف الثالث قبل الميلاد حيث وجدت خارطة محفورة على احد الإنائين تبين البلد الذي صنع فيه الاناء. يستدل منها انه صنعت في بلد (الاشويين) والذين كانوا يقطنون على مساحة كبيرة في ذلك الوقت تبدأ من ساحل البحر الاسود جنوبا ومن (مايكوب) شمالا ونهر (الكوبان) في الشمال الغربي ووصولا إلى (ربون) في الجنوب الشرقي وهي المنطقة التي كان يسكنها الشراكسة (الاديغة) قبل التهجير في منتصف القرن التاسع عشر ويضيف قائلا... "بأن الابخاز حتى الآن يسمون الاباظة (اشبوا) اما سكان (آشو) كما هو وارد في الاساطير القديمة فيسمون (آشي) وهي منطقة على ساحل البحر الاسود شمال غرب القفقاس ويعتقد بأنها كانت الموطن الاصلي لقبيلة الاباظة[٢٨].

نستنتج مما تقدم بأن اللغة الشركسية، هي لغة قائمة بذاتها وأن لها قواعدها، وفقهها وأنّ الشراكسة منذ عصر الأجداد استخدموا اكثر من أحرف في كتابة لغتهم في أكثر من مرحلة من مراحل العصور التي مرت فيها أجداد الشراكسة وحتى يومنا الحاضر، حيث استخدموا في مرحلة الأحرف الفينقية، وفي مرحلة ثانية استخدموا الأحرف الحثية، وفي مرحلة ثالثة استخدموا الأحرف السومرية، كما استخدموا في المرحلة الرابعة الأحرف الاشوية، وفي العصور الحديثة فإنهم استخدموا الأحرف العربية، ثم الأحرف اللاتينية، وفي وقتنا الحاضر يستخدمون الاحرف السلافية وبالتالي فإن استخدام أحرف لغة من اللغات سابقة الذكر لا يعني بالضرورة أن تكون اللغة الشركسية مشتقة من تلك اللغة أو أنها تعود في أصلها إلى لغة من اللغات التي استخدمت أحرفها. وقد يعود في أصلها إلى اللغة الآيبيرية القوقازية، وأنها من اللغات القديمة في العالم ويرجع منشأها إلى ما قبل ٢٠٠٠ سنة قبل الميلاد على الأقل.

مصادر ومراجع الفصل الثاني

١) توزتشانيتوف غ. ف.، اكتشافات وفك رموز الكتابات القديمة في القفقاس من منتصف الالف الثالث قبل الميلاد وحتى القرن الرابع بعد الميلاد، مخطوطة باللغة الروسية، ترجمة الدكتور عمر شابسوغ، دمشق عام ١٩٩٠، ص١٠.
٢) بج، منذر: العلاقة بين اللغتين السومرية والشركسية (اسطورة، ملحمة، تراث) حلب عام ١٩٩٦.
٣) سمكوغ، برزج، الشركس في فجر التاريخ، مصدر سابق، ص٣٣-٣٥.
٤) تورتشانيتوف، مصدر سابق، ص: ٣١.
٥) آبه زاو – مصدر سابق، ص: ٣٦٩-٣٣١.
٦) نغموقة – مصدر سابق، ص: ٤٠
٧) م. كليموف، تقسيم اللغات القفقاسية – منشور في عام ١٩٦٩، ص: ١٣٤-١٣٥ ترجمة باتري اوزبيك عام ١٩٨٨.
٨) نغموقه، قاموس الالفاظ الشركسية عام ١٨٤٠.
٩) حاتوقشوقه، الهجاء الجركسي بالحروف الروسية عام ١٩٦٠ (لا يوجد منها نسخ حاليا) حسب قول شورا بكمرزة في كتابه تاريخ القوقاز ص: ٢٣٤-٢٣٥.
١٠)جموخة أمجد، مصدر سابق، ص٢٤٨.
١١) رشدي، راسم (باحث مصري من اصل شركسي)، دائرة المعارف الاسلامية، ص: ٢٣٩.
١٢) بالاس. ب س، رحلات إلى الاقاليم الجنوبية الشركسية من الامبراطورية الروسية ١٧٩٣ – ١٧٩٤ (باللغة الروسية) تجميع واعداد وصفي ميرزا، ترجمة واخراج فهمي شما، عمان ١٩٨٢.
١٣) المصدر نفسه ص: ٢٥٢.
١٤) برزج، نهاد، اللغات القفقاسية (باللغة التركية)، ترجمة سمير الدغستاني، عمان ١٩٨٨، ص: ٧.
١٥) المصدر نفسه: ص٨.
١٦) سمكوغ، امين، مدخل إلى تاريخ الشراكسة دمشق ١٩٨٤، ص: ٥٦.
١٧) برزج، نهاد، مصدر سابق، ص:٧.
١٨) جموخة، امجد، مصدر سابق، ص: ٢٥٥.
١٩) المصدر نفسه، ص ٢٥٦-٢٥٧.
٢٠) سمكوغ، أمين، مصدر سابق، ص: ٥٦.
٢١) برزج، نهاد، مصدر سابق، ص: ٧.
٢٢) المصدر نفسه، ص: ١١-١٤.
٢٣) جموخة، امجد، مصدر سابق، ص: ٢٤٠-٢٦٠.
٢٤) ابه زاو، محمد جمال صادق، مصدر سابق، ص١٢٤-١٢٧.
٢٥) بج، منذر، العلاقة بين اللغتين السومرية والشركسية، حلب عام ١٩٩٦ ص٥٧-٦٣.
٢٦) المصدر نفسه ص١١١-١٤٣.
٢٧) جوناتوقه، مصدر سابق، ١٦٣-١٦٨.
٢٨) غ. ف تورنشانيتوف – اكتشافات لفك رموز الكتابات القديمة في القفقاس – مصدر سابق، ص: ٦-١١.
٢٩) آبه زاو، مصدر سابق، ص: ٦٥.
٣٠) تورنشانيتوف – مصدر سابق، ص: ٣١.
٣١) سطاس، عز الدين، كلام في توحيد اللهجات الشركسية، مجلة الاخاء الشركسية – اصدار الجمعية الخيرية الشركسية في وادي السير الاردن، العدد (١٢١) اذار ٢٠٠٢، ص١٠-١١.

الفصل الثالث

المعتقدات الدينية للأمة الشركسية خصائصها (ونشأتها وتطورها) منذ فجر التاريخ وحتى العصر الحديث

نشأة وتطورالفكر الديني لدى الأمة الشركسية

بالرجوع إلى ما كتبه المؤرخون القدامى والمعاصرون حول تاريخ الامة الشركسية منذ العصر الحجري القديم عامة وحتى العصر الحديث **تبين لنا بأن الأمة الشركسية مرت في ست مراحل أساسية في فكرهم ومعتقداتهم الدينية والتي يمكن تلخيصها فيما يلي:**

*** المرحلة الأولى: نشأة وتطور الفكر الديني**

اقر العلماء المختصون في دراسة الاديان القديمة ان الانسان توصل أولا إلى تعلم الكلام ثم اكتشف الكتابة، وبعدها توصل إلى مجموعة من العادات والتقاليد التي تنظم حياة الانسان ابتداء من العصر الحجري القديم (باليوليت) وبعدها ظهرت المعتقدات الدينية، وفي البداية كان هناك خلط بين المعتقدات الدينية وانظمة الحياة الاجتماعية ويقول (دغوظ) بأن الشراكسة كانوا يطلقون في قديم الزمان على مثل هذه المعتقدات (تخة – خابزة) أي العادات الالهية وبمعنى ان الدين لديهم كان عبارة عن العقيدة الالهية أو النظام الالهي (١).

وفي العصر الحجري الوسيط (ميزوليت) ومنذ الالف السادس قبل الميلاد كان الشراكسة ينتمون إلى (سلطة الام) وسيطرتها، وكان يسمى عصر (نظام الاسرة الامومية) وهذا النظام كان قائما على سلطة النساء عامة والامهات خاصة وهن اللواتي تولين حكم الاسرة وقيادتها كما كان الانتساب (للام) وليس (للأب).

وكذلك كان الأفراد ينتمون إلى عشيرة الام لا إلى عشيرة الاب، والميراث ينتقل إلى عشيرة الامهات، وظهرت خلال هذه الفترة معتقدات دينية سميت بأرباب العشائر وفكرة التواتم ومفردة (توتم) أي تعويذة او قرينة. واتخذت كل عشيرة (توتما) لها إما من الطيور أو من الحيوانات وتعتبرها حامية لأفراد العشيرة (وربأ) لجماعتها وبدأ الاعتقاد بوجود نوعين من الجن (الابيض والاسود) وظهر الوسطاء بين الجن والانسان اطلقوا عليهم (الكهنة والعرافين) وغيرهما من الاسماء وهم الذين كانوا يقيمون الاحتفالات الدينية والابتهالات إلى الله (تحة) قبل الشروع في اي عمل تنوي الجماعة القيام به واستمر العمل بهذه المعتقدات الدينية حتى العصر الحجري الحديث (النيوليت) والنظر إلى الام (كألهة كبرى).

*** المرحلة الثانية: مرحلة "الوثنية"**

وفي بداية عصر المعادن ومنذ الالف السادس قبل الميلاد وحتى الالف الثالث قبل الميلاد وهو العصر الحجري / النحاسي الذي تم فيه اكتشاف البرونز كما تغيرت في هذه المرحلة السلطة والسيطرة في الاسرة من (الام) إلى (الاب)، ومن النساء إلى الرجال وبدأ عصر سيطرة الاب والمسمى بعصر (باترياركة) او رئيس العشيرة او الشيخ وظهر خلال هذه الفترة الفكر الديني الذي يعتمد على عبادة الظواهر الطبيعية وبعد ان كان الفكر الديني في عهد (سيطرة الام) يعتمد على فكرة (التوتمة) أو (التعويذة) واتخاذ بعض الحيوانات بمثابة (الارباب) حماة من الجماعة من الشر.

ويقول (ماكس موللر) بأن تكامل العقائد الدينية تعود إلى أسباب بسيكولوجية بحتة، فالمظاهر الطبيعية كانت تسبب الخوف، كما كانت توحي إليه بالأمل، وبالحيرة في أحيان أخرى، كما كان الاعتقاد بأن الشمس والنار والبرق والعواصف والأمطار تملك القدرة على الأذى والتخريب والاعتقاد أيضا أنها تملك القدرة على وهب الحياة والخيرات للنبات والحيوان والإنسان وأن الشمس ترسل الضياء والنور ومعها الاطمئنان من غدر الظلام وتوفير شروط الأمن للسعي وراء الرزق والحياة.

وأن النار التي هي قبس من تلك الشمس، تدفئه في الشتاء وتنير حلكة الظلام وتخيف الوحوش، وقد اكتشف فيما بعد أنها تشوي اللحوم فتحسن طعمها، ثم تذيب المعادن وتسهل طرقها وتصنيعها فكانت الوسيلة الاولى لاختراع الأسلحة الدفاعية والمعدات الحربية.

فالشراكسة ايضا مثلهم مثل الشعوب القديمة الاخرى لم تخل حياتهم منذ القدم من الفكرة الالهية والعقيدة الدينية لأنها منغرسة في النفس البشرية وموجودة في فطرتهم، وإنه لم يخل قوم (أينما كانوا) ومهما كانوا في رقيهم او تأخرهم من الفكرة الإلهية والعقيدة الدينية مع اختلاف مظاهرها ومستوياتها وأنواعها.

قسم العالم شورتانوف الآلهة عند الشراكسة إلى خمس أنواع من الآلهة، على النحو التالي:

١- الآلهة الكونية: وتضم الآلهة التالية: (تحاشكوه)، واشخو، غوبج غوش، بساتحا، شبله.

٢- الآلهة المحلية: وتضم الآلهة التالية: تحاغالج، اميش، تلبش، اخين، ميزيتحا، شوزيريش، كوديس، نيسرين، زيكوتحا، جيغوباتحا، اوشجيرجيي، إيلا.

٣- آلهة الإناث: وتضم الآلهة التالية: ستناي، ميليشيبخو، اديف، جيغ كواشا، حانتسيه-كواشا، خيبا-كواشا، بسخوة – كواشحادة – كواشا، تحار كواشا، ميز – كواشا، ماريم.

٤- آلهة الحُماة/ القبائل: وتضم الآلهة التالية: نواكشه، تشاشتا، تحارليي، تحاتاباس، توخليتحا، ديغوديش، حاؤتس حاش، تحاغيشو، اوتخوي-كاس، شو-موتشو، خوخ-موخ، تحاكوافيشو، حادريخ، تحاشيو تحاشيريبخو، شخوسكا، حاكوستاش، كوديش، بشيشان، سوتراش.

٥- آلهة المخلوقات العجيبة: وتضم الآلهة التالية: ينيج، بلاغو، ييمينيج، حاشحا، فيتلا، الماستا، ناغوتشيتسا.

وقدم لنا المؤرخ الشركسي ك. شوجين في كتابه (أرض الأديغة)* ثلاثون إسما لآلهة قدامى الشراكسة وحُماتهم وعلى النحو التالي: ايرج، ايميس، اليي، انتسفا، اوشيج، افي، أخاميدا، ديبيش، جاغه، دزاخوش، تييميش، زيسحان، إيسا، ماميش، ميزيتل، ميسته، موسى، سوسروق، ستاوتغا، تلوخوميش وشيبيريز، توغوزيتحا، توغوبلاخو، وازرميس، شيبرس، شحاغوشا، شيرغوبس.

أما (باتريك) اوزبك) فقد قدم لنا في كتابه (أساطير النارتيين) نقلا عن أقوال عشرات الرحالة الذين عاشوا بين القبائل الشركسية في القرنين التاسع عشر والقرن العشرين أسماء ٢١ إلاهاً من الآلهة التي وردت أسمائهم في قصص وأساطير النارتيين [٥] وهي:

١) أميتش
٢) أوجيدج
٣) ييمش
٤) ميريسا او (ميريم)
٥) ميزيتحا
٦) أوشحاماخوا
٧) باكوي
٨) بساتحا
٩) بسيتحا كواشة
١٠) زيكوتحا
١١) سوسيريز (سوسيريش)
١٢) شيبلة
١٣) تحاغيليدج
١٤) تليبش
١٥) تيغوبتلوق
١٦) واشا
١٧) جيتحا
١٨) آخين
١٩) بله ووص: رب الرقص
٢٠) ساوسرس: رب الزوابع والانواء
٢١) يه له: رب الصواعق.

* A.K. Sheugen. G.A. Galkin. N.E. Aleshin. A.A. Kushu. B.E. Sheugen. Zemlia Adyghov (The Land of the Adyghas). Maikop. 1996.

*** المرحلة الثالثة: وهي مرحلة الديانة المسيحية وامتدت من عام (٥٢٧م) وهو العام الذي بدأ فيه انتشار المسيحية في بلاد القفقاس عامة وبلاد (الاديغة) الشراكسة خاصة وحتى عام ١٧١٧:**

وفيما يلي مراحل انتشار المسيحية في القفقاس بصورة جدية وواسعة وابتداء من عهد الامبراطور (جوستنيان البيزنطي) Justinian في الفترة (٥٢٧–٥٦٥م) حيث أوفد كاهناً يدعى (بونتوك) لنشر الدين على سواحل البحر الاسود، والقيصر (جوستنيان) يسميه الشراكسة (جوستين) وكان حليفا لأمة الآنت (الجراكس) حتى أنه كان يلقب بالفارس (الأنتي)، وحارب (الغوت) بمعاونة (الاديغة) وأحرز عليهم النصر، وما زالت ذكريات هذه الملحمة ترد في أغاني (الأديغة) القديمة.

قام (جوستين) بنشر الديانة المسيحية بين شعوب (الأديغة) ولاقت دعوته نجاحا، واقاموا الكنائس، وكانوا يسمون الراهب أو الخوري باللغة الشركسية شوجن[٢٦]. كما نجح اليونانيون في نشر الديانة النصرانية بين قبائل القبرطاي ولا يزالون يذكرون اسم الموقع الذي أقام فيه أول أسقف قدم إليهم من اليونان وهو مكان قريب من مدينة (نالشيك الحالية) ويسمى حتى الان (مزكورغان) أي (غابة الرابية)، وهو تل مرتفع تكسوه الاشجار الكثيفة. وكان الشراكسة يقدسون هذا المكان ويحترمونه ويبجلونه كما كانوا يكثرون من الثناء والمديح للخوري شوجن* بقولهم:

(شوجن) هو حامينا ومربي ضعافنا وأطفالنا، وهو نور أرسله الله إلينا لينقذنا من الظلمات، وهو الذي هدانا إلى المولى وجعلنا بنصره في الأعالي وشيد للخالق برجا من الحديد ذا أبواب من الفضة، وفيه حلت واستقامت روح الله ذي النور القدس وهو يرفرف بروحه ويرتفع كالطير في الفضاء حتى يمس السحب ويرى الظالمين من تلك الأعالي وأما أضلاعه فليست من عظام فانية تبلى، بل إنها من العاج الخالص يقاوم الدهر والأيام، وأما الصليب الذي يتدلى على صدره فهو من الذهب الخالص الوهاج، وضياؤه الحب والحنان [٢٧].

ويقول (آبه زاو) في كتابه (موسوعة تاريخ القفقاس والجركس) بأنه كان يوجد بين الرهبان ورجال الدين من أصل شركسي ويقولون عن رجل الدين الرومي (روم شوجن) (Rome Shogen) وعن الجركسي (كركه شوجن) (Karkshogen) كما كان بينهم ايضا خوارنه من (اللاتين) حيث كان يوجد في بلاد (الاديغة) رهبان ورجال دين يتبعون الكنيسة اللاتينية، ويوجد حتى الان كنائس قديمة بنيت على الطراز الاغريقي وتوجد واحدة منها على المجرى العلوي لنهر (الكوبان)، واثنتان بين نهري (الكوبان والتبردي) وهي مبنية من الحجر والآجر، وتسمى الاولى (شونة) وهي مختصرة من (شوونه) أي (بيت الفرسان) فقد عثر فيها على (المعالف والمزاود والمناهل) من الآجر الحجرية، والثانية تسمى (خاسه ميفه) أي (صخرة المجمع) وهو المكان الذي كان يجتمع فيه مجلس القضاة من الخوارنة ويوجد بداخلها (مرآة القضاء) وصخرة منقوش عليها حذوة (جواد) ورجل على هيئة (كلب)، وفيها فتحة (فوهة) تتسع لمرور شخص (عاري الجسم) وحسب القصص الشعبية كان هذا المكان مخصصا للكشف عن المجرمين من خلال تمرير المتهمين والمذنبين من هذه الفوهة فالبريء مهما كان ضخما وسمينا كان يمر منها بسهولة، أما المذنب ومهما كان نحيلا كان يعلق فيها ولا يستطيع المرور دلالة على أنه مذنب ويحال لمجلس القضاة [٢٩].

كما يوجد بين (نهري الكوبان وسلنجوق) بعض الأبنية من (الآجر) مبنية فوق التلال (الرابية) وحسب الروايات القديمة فإن هذه الابنية كانت مخصصة لسكن بعض الرهبان والقسيسين.

والشراكسة لم يكونوا يعّمدون أطفالهم إلا بعد بلوغهم السنة الثامنة من عمرهم. والعماد عندهم عبارة عن رش قليل من الماء (المبارك) وتلاوة صلاة قصيرة من قبل الراهب.

وكذلك فالنبلاء منهم لم يكن يدخلون الكنيسة للصلاة إلا بعد بلوغهم الستين من أعمارهم، إذ من عاداتهم وهم في سن الشباب الخروج للغزو، وان هذه الاعمال لم تكن تتفق مع احكام الدين والكنيسة لذلك كانوا يعتقدون أن دخولها قبل (سن الستين) انتهاك لحرمتها، كما كان الشبان منهم

* الرهبان كانوا يدعون (شوكن Shogen) ومعناه (معلم الاولاد)، واليوم هناك أسر عديدة بين الجراكس يدعون بهذا الاسم لكونهم احفاد اولئك القساوسة ورجال الدين الذين كانوا قسما من الاغريق الاورثوذكس وقسما من اللاتين.

يحضرون الصلاة وهم واقفون أمام باب الكنيسة أو راكبون على ظهور الخيل، وبعد بلوغهم سن الستين من العمر وتركهم أعمال الغزو يدخلون الكنيسة للقيام بالصلاة والعبادة داخل الكنيسة.

وبقي الشعب على عادته القديمة في الذهاب إلى (جولات)؛ لأداء قسم اليمين بقولهم: (الله يجعلني أمر من التترتوب إذا لم أكن صادقا)، وهو الاسم الذي سميت به (الجولات) بعد احتلالها من قبل خانات التتر فأصبح اسمه (تترتوب).

ولا تزال الروايات الشعبية تذكر ايضا بأن قدماء الشراكسة كانوا يقدسون (أوشى كركه) وهو (اليسوع اليوناني) ويدعون النبي (الياس) باسم (ياليزا) والنبي موسى باسم (ايمش) أو (آيمم) والنبي داود (له يابش)، وقد يكون معناها (ملك الرجال)، وكذلك يذكرون ان القدماء كانوا يحرمون على انفسهم أكل اللحم في بعض ايام الربيع. [٢٩]

هذا ما كان من امر انتشار الدين المسيحي بين شعوب الآديكه في الأزمان الغابرة، وظل الدين قويا خلال المدة التي استمر فيها الاغريق في إرسال الوفود الدينية لبلاد الشراكسة ولكن بعد سقوط الامبراطورية البيزنطية اعتراه ضعف وانحلال لعدم وجود رجال دين اكفاء.

ومن رأي المؤرخين (مورجان) و (شوبان) ان الجراكسة لم يطبقوا النصرانية بحذافيرها بل أخذوا منها ما شاءوا وتركوا منها ما لم يوافقهم ولم يتماشى مع أخلاقهم وعاداتهم وتقاليدهم.

كما يقول بعض مؤرخي الافرنج أنه نظرا لما في الدين المسيحي من بعض التعاليم المغلقة المعقدة التي أشكل على الجراكسة فهمها فإنهم لم يتعمقوا كثيرا في النصرانية بل اكتفوا بتطبيق بعض التعاليم التي راقت لهم [٣٠].

ويلاحظ بأن قسما كبيرا من الشراكسة وخاصة بعض قبائل شراكسة الغرب ظلوا وثنيين ولم يعتنقوا الديانة المسيحية. وأكد المؤرخ (شوبان) على هذه الحقيقة بقوله: إن الجراكسة كانوا يميلون دائما إلى معتقداتهم الوثنية القديمة رغم انتقالهم إلى المسيحية، وكانوا يقيمون بعض تلك المظاهر العالقة بأذهانهم من زمن الجاهلية الأولى وكانوا يقدمون الضحايا لأرواح الموتى ويطعمون الطعام في حبهم ويعظمون (له بش) رب الحديد وأمثاله من الآلهة. [٣١]

والخلاصة أن معتقدات الشراكسة كانت خليطا من الوثنية والمسيحية وبعض المبادئ الإسلامية الأولية وكانت العقائد مضطربة غير مستقرة في هذه المرحلة من حياتهم.

ويقول (ناشخوا) حول مدى انتشار الديانة المسيحية في بلاد الشراكسة "رغما عن ان جميع النشاطات التبشيرية المدعمة بالقوة العسكرية والنفوذ السياسي فإن المسيحية لم تنتشر وترسي قواعدها بين الشراكسة، لأن أحكامها وشرائعها لم تكن تنطبق مع ميولهم وأخلاقهم وفطرتهم، ووصف أحد المؤرخين الذين زاروا بلاد الشركس (الأديغة) في القرن السادس عشر بأن الشباب الشراكسة لم يكونوا يدخلون الكنائس طول سن الشباب، بل كانوا يقفون خارج الكنيسة أيام الأحد وهم على ظهر الجواد، على اعتبار ان عنفوان الشباب لا يتفق مع تعاليم الدين المسيحي التي تدعو إلى التسامح عملا بقول المسيح عليه السلام: (إن صفعك (ضربك) على خدك الايمن أدر له خدك الأيسر) [٢٨].

وبالتالي فإن الديانة المسيحية لم تكن تجد صدى لدى الشباب، لأنهم كانوا منذ آلاف السنين يقضون حياتهم في كفاح ونضال دائم ضد الغزاة والطامعين حتى أصبح القتال والحرب والعنف (جزء) من حياتهم اليومية.

ويقول (نغموقة) بأن اعتناق الشراكسة الديانة المسيحية ساهم في إحداث تطور في حياتهم ونهضة جديدة في أفكارهم ومجتمعهم، وربى فيهم ميلا إلى الثقافة والاهتمام بالصنائع والفنون الجميلة، إلا أنهم لم يقلعوا عن حياة العنف بل استمروا فيها وظلوا يزاولون أعمالهم الحربية ويقتدون بآثار آبائهم في العادات (الخشنة) مفاخرين بشجاعتهم، إلا ان اعتمادهم على قوتهم وبسالتهم واستصغارهم لأعدائهم جعلهم يبقون على ما كانوا عليه في سالف الازمان، وأثر ذلك على تقدمهم وحضارتهم [٢٩].

*** المرحلة الرابعة: مرحلة اعتناق الشعوب القوقازية عامة والشركسية خاصة الدين الاسلامي.**

بالرجوع إلى تاريخ الفتوحات الاسلامية عامة وفتوحاتها في بلاد القفقاس خاصة توصلنا بأن أكثر من قائد من القادة المسلمين، وأكثر من دولة من الدول الإسلامية كان لها دور فاعل في دعوة الشعوب القوقازية لاعتناق الدين الإسلامي الحنيف، ابتداء من عهد الخلفاء الراشدين والدولة الأموية، والعباسيين، ودولة شراكسة مصر (المماليك البرجية والبحرية) والدولة العثمانية، وخانات القرم بالإضافة لدور التجار المسلمين من عرب وايرانيين واتراك وكذلك الامبراطورية المغولية كما كان للجماعات الصوفية واصحاب الطريقة النقشبندية دور في نشر الإسلام في بلاد القفقاس.

(١) فيما يلي ملخص لدور كل من الدول والجماعات وأصحاب الطرق الصوفية في نشر الدين الإسلامي في القفقاس عامة وفي بلاد الشراكسة خاصة.

أولا: دور خلفاء الراشدين



أول مأذنة إسلامية أقيمت في القفقاس في القرن ١٣/م – في منطقة مايكوب (للفنان عبدالله برسيقوه)

في عام ٢١هـ ٦٤٢م امر الخليفة عمر بن الخطاب القائد سراقة بن عمر بالتقدم لفتح مدينة – باب الابواب – دربند – وجعل في مقدمته عبد الرحمن بن ربيعة ومعه حذيفة بن اسير الغفاري وبكير بن عبد الله الليثي ليقودا جناحي الجيش ومعهم سليمان بن ربيعة الباهلي، ثم امدهم بحبيب بن مسلمة الفهري وتمكن من فتح الباب – دربند– سلما.

وفي السنة نفسها ارسل سراقة القائد بكير بن عبد الله إلى (موقان) وحبيب ابن مسلمة إلى (تفليس) وحذيفة بن اليمان إلى جبال (اللان). ولكن القائد سراقة توفي بعد أن تمكن من تعريف الاسلام لكثير من اهالي البلاد، وخلفه عبد الرحمن ابن ربيعة في القيادة وأمره الخليفة عمر بن الخطاب بغزو بلاد الترك في شمال الباب دربند والتقدم شمالا.. فتقدم وفتح مدينة – بلنجر – ولكنه عاد دون ان ينجح في محاولته. واستمر حبيب بن مسلمة وسلمان بن ربيعة على قتالهم مع الارمن.

وكان عياض بن غنم قد دخل في عام ١٩هـ–٦٣٩م – بلاد الكرج حتى بلغ مدينة (تفليس) وبقي يحارب هناك حتى عام ٢٠هـ – ٦٤٠م ولكنه لم يتمكن من الوصول إلى أرمينيا القفقاسية.

كما وصلت جيوش عربية إلى سواحل بحر قزوين ففتحوا (الري وجرجان وطبرستان) على يد القائد نعيم بن مقرن عام ٢٢هـ–٦٤٣م.

وفي عهد عثمان بن عفان وبعد ان توفي عمر بن الخطاب رضي الله عنه عام ٢٣هـ ٦٤٤م أمر باستعادة فتح اران في اذربيجان بقيادة نعيم بن المقرن في عام ٢٤هـ.

وفي عام ٣٠هـ ٦٥١م ارسل الخليفة عثمان القائد حذيفة بن ربيعة على فتح باب اللان وفي عام ٣٢ هـ ٦٥٣م حاول عبد الرحمن بن ربيعة مرة اخرى التقدم نحو الشمال إلى بلاد الترك من باب الابواب دون موافقة عثمان بن عفان رضي الله عنه، ولكنه قوبل بمقاومة شديدة واضطر لمقاتلة الترك والخزر معا. فانهزم واستشهد عبد الرحمن بن ربيعة، فارسل سعيد بن العاص اخاه سلمان بن ربيعة الذي تمكن من انقاذ بقية الجيش من الوقوع في الاسر فعينه مكان اخيه حاكما على الباب.

ونتيجة للحروب التي كان قد قام بها حبيب بن مسلمة الفهري وسلمان بن ربيعة في تلك البلاد حتى عام ٢٥هـ ٦٤٦م كان المسلمون قد تمكنوا من فرض سيطرتهم على اقاليم اران في اذربيجان "والبانيا التاريخية" وعلى جورجيا التي كانت تسمى عند العرب (جرزان) ولكن لم يستتب الهدوء تماماً لأن الروم كانوا ينازعون العرب السيطرة على تلك البلاد التي كانت تدين في الاصل بالديانة المسيحية. فقد كان العرب ينتصرون فيها مرة وتبقى البلاد تحت سيطرتهم، ومرات اخرى

كانت القوات البيزنطية التي كانت تساعد ارمينيا وجورجيا تتمكن من الاستيلاء على البلاد من جديد ليعود العرب المسلمون إلى استعادتها مرة اخرى. وبالرغم من كل هذه القلاقل والفتن بقيت هذه البلاد تحت حكم المسلمين دون ان تتمكن القوات المسيحية والخزرية من إجلائهم عنها.

ثانيا: دور الامويين

في عام ١٠٤هـ عين يزيد بن عبد الملك الجراح بن عبدالله الحكمي عاملا على ارمينيه وامره بغزو الخزر وغيرهم. فدخل باب الابواب – دربند – وفتح مدينة بلنجر عنوة وسار في البلاد الى حصن الربند، ولكن بعد مدة ثار اهل البلاد مما اضطره إلى طلب نجدة من يزيد الذي وافته المنية. ولكن هشام بن عبد الملك جدد له الولاية على ارمينية وبلنجر وباب الابواب. وفي عام ١١٢هـ ٧٣٠م هزم وهو يحاول فتح باب "اللان" داربال حاليا. فتقدمت جيوش الخزر واستشهد في مرج اردبيل وخلفه اخوة عبد الملك مسلمة بن عبد الملك مكانه على إقليم باب الأبواب وأرمينية، فحاول بدوره فتح البلاد الواقعة في شمال هذا الأقليم ولكنه لم ينجح وانتصر عليه الخزر وكان مسلمة بن عبد الملك قد وصل إلى باب اللان واحتل قلعتها.

بعد هذه الهزيمة عين هشام بن عبد الملك مروان بن محمد حاكما على ارمينية واذربيجان وعلى البلاد الخاضعة للمسلمين في جنوبي القفقاس، وكان ذلك في عام ١١٤هـ ٧٣٥م ووضع تحت تصرفه قوات كبيرة من الجنود والمرتزقة بلغت ١٢٠,٠٠٠ فردا مكنته من التغلب على الخزر واخذ الثأر منهم، كما نجح في احتلال ابخازيا التي كانت تدين بالمسيحية في تلك الازمنة.

ثالثا: دور العباسيين

لما آلت الخلافة للعباسيين لم تهدأ الحالة في البلاد، بل بقي التنازع بين العرب والسكان مستمرا بتشجيع من الدول المسيحية المجاورة، ومع ذلك بقيت هذه البلاد محكومة تقريبا من قبل المسلمين العرب منذ ايام الخلفاء الراشدين.

ورغم كل التغييرات التي جرت في جنوب القفقاس، بسبب تعرضهم لغزو متواصل من جهات مختلفة ووقوعها تحت حكم دول ذات ديانات متباينة، بقيت البلاد خاضعة للنفوذ الاسلامي وتعاليمه وبقيت تسير على النظم الادارية التي كانت قد ادخلت ايام الخلفاء الراشدين على ايدي حكام مثل عتبة بن فرقد وحبيب بن مسلمة وعبد الرحمن بن ربيعة ونعيم بن المقرن وغيرهم، وكذلك من قبل قواد مثل هشام بن عبد الملك ومروان بن محمد. وبقيت البلاد في ايدي المسلمين مع ادخال تغييرات طفيفة في الادارة تتناسب مع الوضع العسكري والانظمة التي كان يفرضها الحكام والدول التي كانت تتغير وتتبدل باستمرار كما كانت البلاد الخاضعة للخلافة الاسلامية مقسمة إلى دويلات مثل (جرزان) – جورجيا الحالية، والبانيا القديمة اذربيجان الحالية والتي كانت تعرف باسم (اران)، وارمينية التي بقيت تحمل نفس الاسم دون تغيير وكانت اللغة العربية هي اللغة المسيطرة كلغة للثقافة والتعليم الديني، خاصة في شمال القفقاس، وفي كل من الداغستان والشيشان وبعض مناطق الشراكسة.

وفي عام ٨٠٠م كان كل سكان الداغستان وبلاد الشيشان يدينون بالدين الاسلامي وفي عام ٢٨٧هـ- ٩٠٠م – كانت اكثرية سكان شمال القفقاس قد دخلت الدين الاسلامي. باستثناء الشعوب الشركسية التي تأخر انتشارهم للقرن الثامن عشر الميلادي.

رابعا: دور ملوك الدولتين البحرية والبرجية الشركسية في مصر

كان لملوك مصر من اصل شركسي في عهد المماليك وهم أول من بدأوا في نشر الاسلام في بلاد الشركس حسب ما كتبه ابن بطوطة في كتابه المسمى (تحفة الانظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار) حيث قال بأن محمد ازبك خان الذي ولي في عام ١٣١٣-١٣٤٠ على مكان يدعى (بيش داغ) ويسمى الآن بالروسية (بياتيكورسك) واصبح هذا المكان مع مرور الزمان مدينة كبيرة تقع في شمال القفقاس في بلاد القبردي من بلاد الشراكسة. وفيها ينابيع مياه معدنية كثيرة، يفد إليها

الناس للاستشفاء. ويروى أن (اوزبك خان) هذا قد عاش في بلاد الشراكسة كلاجيء وكان يجيد التكلم باللغة الشركسية كما كان يوجد حي خاص للشراكسة في سراي عاصمة ملكه.

ويقول ابن بطوطة انه قابل في بلاط اوزبك خان الشريف نقيب الشرفاء عبد الحميد مربي ولده، والقاضي حمزة والامام بدران القوامي والامام المقرىء حسام الدين البخاري وغيرهم، مما يدل على ان الدين الاسلامي كان قد انتشر إلى داخلية البلاد الشركسية، مع العلم ان القوات الاسلامية بقيت خارج حدودها. ومع ذلك كانت لها علاقات مع البلاد العربية، وكان ذلك ايام دولة المماليك البحرية التركية والمماليك البرجية الشركسية وفي ايام الايوبيين من قبلهم، وكان من الطبيعي والحالة هذه ان يكون للسكان الالمام بالشيء الكثير عن الديانة الاسلامية عن طريق ابنائهم واقاربهم الذين عاشوا في مصر لمدة ستة قرون متواصلة تقريبا، والذين كانوا يقومون بزيارة بلادهم او يستضيفون اقاربهم في مصر. إلا اننا لا نمتلك وثائق تاريخية لنعرف منها النشاطات التي كانوا يقومون بها لنشر الدين الاسلامي في موطن آبائهم واجدادهم.

إلا اننا نعرف انهم كانوا يعودون إليها او يزورونها وهم مسلمون متعلمون ومتعصبون للإسلام، وجميعهم كانوا يتخرجون من مدارس خاصة انشأت لتعليم المماليك تعرف باسم الطباق في القلعة في مدينة القاهرة، وكانوا يتفقهون في العلوم الدينية ويجيدون اللغة العربية قراءة وكتابة كأحد ابنائها، يمكنهم من تلقين اهلهم واقاربهم ومعارفهم اصول الدين على اسس سليمة. وللاسف لا توجد لدينا معلومات تساعدنا على تقدير مدى انتشار الاسلام بين الشراكسة عن طريق هؤلاء المماليك ومع ذلك سنذكر اسماء بعض السلاطين والأمراء الذين عادوا إلى بلادهم او احضروا إلى مصر اقاربهم لزيارتها وهم:

١- في عام ٧٨٢هـ الموافق ١٣٨٠م حضر إلى مصر والد برقوق الشركس وهو لا يزال قائد جيش، وكان اسمه (انس) ومعه عدد كبير من اقاربه واولاده واخوته بصحبة التاجر فخر الدين الخوارزمي.

٢- تحالف السلطان برقوق مع توختمش خان القبجاقي ضد تيمورلنك، وكان ذلك بين عامي ١٣٩٤-١٣٩٥م وكان ثالث سلطان مصري يعقد حلف مع القبجاق.

٣- زار الامير يشبك الدوادار عام ٨٧٥هـ - ١٤٧١م ايام سلطنه الاشرف قايتباي بلاد القفقاس وكتب عن رحلته ابو حامد بن خليل يوسف المقدسي.

٤- سافر سنة ٨٨٣هـ -١٤٧٨م الامير قانصوه الالفي إلى بلاد القفقاس للتداوي من توعك اصابه في اذنيه وعينيه وعاد منها سنة ٨٨٤هـ-١٤٧٩م.

٥- جاءت في سنة ٨٧٧هـ-١٤٧٣م من بلاد الشراكسة إلى مصر اخت السلطان قايتباي واسمها – جان كين – ومعها ولدها.

٦- سنة ٩٠٠هـ - ١٤٩٤م سافر الامير قانصوه (الخمسمائة) إلى القفقاس.

٧- حضر سنة ٩٢١هـ- ١٥١٥م من القفقاس إلى مصر شخص يقال إنه ابن اخ السلطان قانصوه الغوري.

ولا شك بأن هذه الزيارات كان لها دور في نشر الاسلام في المناطق التي وصل إليها ملوك وسلاطين مصر من اصول شركسية في عهد المماليك البحرية والبرجية.

خامساً: دور ملوك المغول

* كان لامبراطورية المغول في القرنين الثالث عشر والرابع عشر دورها في نشر الدين الاسلامي حيث كان ملوك المغول من العشيرة الذهبية وخانات تشغتاي قد اهتدوا إلى الاسلام ودخلوا الاسلام على يد (النوغاي) في القوقاز الأوسط في القرن الثاني عشر. وفي نهاية القرن الخامس عشر اعتنق دين الاسلام معظم البلقر والكراتشاي والقبرطاي والشركس الشرقيون.

سادساً: دور جماعات الصوفية والنقشبندية

ظهرت الجماعات الصوفية من أصحاب الطريقة النقشبندية التي سجلت الموجه الثانية من انتشار الاسلام في القوقاز كما ظهر في داغستان وشيشانيا دعاة النقشبندية القادمون من شيرفان وآسيا الوسطى، وكانت المقاومة الشديدة والمستعمرة التي خاضها قبائل القوقاز وتصدوا بها للزحف الروسي هي ثمرة دعوى مريدي النقشبندية، وإليهم يرجع الفضل في نشر الاسلام نهائيا بين الشيشان في مطلع القرن التاسع عشر والشركس الغربيين والابازا.

تاسعا: دور الحركة المريدية

كان لأصحاب الحركة المريدية دور هام في نشر الاسلام في القفقاس عامة وفي بلاد الشراكسة في وقت متأخر خاصة، حيث قام اصحاب الطريقة النقشبيندية والحركة المريدية بنشر الاسلام بين شراكسة غرب القفقاس الشمالي.

حاول الشيخ شامل ادخال المريدية إلى بلاد الشراكسة في غرب القفقاس، وعندما طلبوا منه ارسال من ينوب عنه لتنظيم المقاومة والادارة في البلاد سعيا وراء توحيد المقاومة ضد الغزو في الشرق والغرب بإحداث قيادة موحدة وتنظيمات متجانسة، لم يكن في الامكان إتمام مثل هذه الاعمال الكبيرة على اسس الدين بالإضافة إلى روح الوطنية التي كانت تستند عليها مستلزمات الجهاد في الدفاع عن الوطن الام، والسبب هو عدم وجود لغة واحدة مشتركة للتفاهم بين شرقي القفقاس وغربه، ولذا كانت الآمال كلها معقودة على توحيد الدين وتقويته في نفوس الافراد، وتكوين الرابطة التي ستمكنهم من الوقوف صفا واحدا امام الخطر الداهم لكلا الطرفين، فأرسل الشيخ (شامل) عام ١٨٤٢ نائبه الحاج محمد ثم الحاج سليمان في عام ١٨٤٤ ولكن النجاح لم يكن من نصيبيهما. واخيرا ارسل إليهم النائب (محمد امين) وهو شاب ذكي ونشيط، في عام ١٨٤٦، وبعد ان درس أحوال البلاد عن كثب اعلن الغاء القاب الامراء والاشراف والنبلاء ليتخلص الشعب من تحكم الطبقة الخاصة، كما شدد على اعتناق الاسلام لكل من لم يكن قد اعتنقه من سكان البلاد حتى ذلك التاريخ. حيث ان كثيراً من الشراكسة كانوا ما زالوا وثنيين، فقام (النائب) بتعليمهم تعاليم الاسلام. وقام بالدعوة للحرب المقدسة. وكانت البلاد في ذلك الوقت متأهبة لمثل هذه الدعوة. اضافة إلى ان كثيرا من الأمراء كانوا قد دخلوا الاسلام وبمساعدة هؤلاء الأمراء استطاع ان ينشر الاسلام بين جميع سكان الاقليم تقريبا، فالدعوة انتشرت بين جميع الأديغة في وقت قصير ولكن هذا لم يجعل النائب يشعر بالرضا، فبعد إشاعة الاسلام في كل المنطقة قام بإطلاق سراح كل الأسرى من جنود الأعداء ودعاهم لاعتناق الاسلام وجعلهم نواة لجيش صغير، وبمساعدة هذه الفرقة المحاربة استطاع القضاء على المشاكل القائمة، وأصبح يجمع الضرائب والمتطوعين وتجولوا في الجبال مع مرافقيه يدعون الناس للاجتماع واداء الصلاة ودفع الضرائب الحربية وكل من يعترض على ذلك كان يعاقب دون رحمة.

يقول جيمس بل، الذي زار القفقاس عام ١٨٣٧ واقام فيها لمدة ثلاث سنوات، في كتابه – الاقامة في القفقاس – المجلد الاول – صفحة ٣٣٨.

يقول بأن "امراء القبائل لم يكونوا يتمتعون بأي نوع من نفوذ او امتيازات في ايامه ويعزي ذلك إلى الدخول في الديانة الاسلامية التي ساوت بينهم، كما كانت لجنة المحلفين تدور في البلاد لتنظيم (اليمين) على أفراد الشعب ليبقوا مخلصين على تحالف القبائل، حيث كان العلماء والمشايخ الذين يرافقونهم هم الذين يتولون عملية التحليف ويطلبون من كل فرد ان يحلف على القرآن الكريم لا على كتاب آخر، مما يدل على ان الدين الاسلامي كان منتشرا بينهم ويسير الناس بموجب تعاليمه.

ويقول بعض المؤرخين لا يمكن ان يعزى كل ما جرى من التغييرات في بلاد الشراكسة إلى نشاط النائب محمد امين بل كانت البلاد مستعدة عند مجيئه لقبول أفكاره التحريرية الجريئة، ومع ذلك يجب أن لا ننكر على هذا الرجل ما قدمه للشراكسة من خدمات في تنظيم البلاد إداريا وعسكريا على اسس دينية محاولا ايجاد تقارب ان لم يكن اتحادا بين شرق القفقاس وغربه، واصبحت البلاد تدار من قبل مجلس مكون من ١٥ شخصا من ابناء القبائل المذكورة عرف باسم – مجلس الميثاق القومي – غير ان الامبراطورية الروسية كانت له بالمرصاد، ولم تعطيه الفرصة للقيام بأعمال كبيرة.

ويجدر بنا ان نذكر ان شرقي القفقاس الذي كان قد اسلم على ايدي العرب بقي مسلما واصطبغ بالاسلام منذ دخوله فيه، ولكن الاسلام وجد مقاومة في غربي القفقاس، الشمالية والجنوبية، لم يجده في الشرق، وذلك بسبب قرب المناطق الغربية من الامبراطورية البيزنطية والقسطنطينية التي كانت تتمركز فيها زعامة الديانة المسيحية الارثوذكسية التي كانت تدين بها سكان المناطق الغربية قبل وصول الاسلام إليها، وإلى البلاد الاخرى المحيطة بالبحر الاسود مثل ارمينيا وجورجيا ومنغوليا وابخازيا – وبلغاريا ورومانيا وروسيا بعد ان اصبحت الاخيرة من دول البحر الاسود، وورثت الزعامة الارثوذكسية بعد زوال الدولة البيزنطية، هذه الدول كانت كلها مسيحية تحاول دائما وبكل الطرق المحافظة على الديانة المسيحية وحمايتها في مختلف المناطق القفقاسية، مما ساعد على بقاء جورجيا وارمينيا ومنغوليا وحتى ابخازيا مسيحية إلى يومنا هذا. ولذا فإن سكان بلاد الشراكسة تأخروا في دخول الدين الاسلامي حتى القرن السادس عشر، ولم يعم الاسلام فيها إلا في اوائل القرن الثامن عشر على يد خانات القرم والدولة العثمانية.

ويلاحظ بأن الذين اسلموا من سكان القفقاس على ايدي العرب على ايدي الفاتحين العرب يتبعون الامام الشافعي، بينما الشراكسة الذين اسلموا على ايدي خانات القرم وولاة الدولة العثمانية ومبشريها يتبعون المذهب الحنفي.

نستنتج مما تقدم بأن الانتشار الحقيقي للدين الحنيف بين مختلف الامارات الشركسية في شرق وغرب القفقاس قد تمت على فترات متباعدة ابتداء من اواسط القرن السادس عشر؛ اي ابتداء من عام (١٥٥٧) وحتى عام (١٨٦٠) ويمكن تلخيصها على النحو التالي:

الفترة الاولى: وهي الفترة الممتدة من اواسط القرن السادس عشر ابتداء من عام (١٥٥٧ إلى عام ١٧١٧)

حيث بدأ اعتناق بعض أمراء الشراكسة الإسلام، وبعض عامة الشعب من مختلف القبائل الشركسية التي كانت سكنت في المنطقة القريبة من بلاد (القرم) وذلك بتأثير (خانات) القرم المجاورين لبلاد الشراكسة من الشمال، وامتدت إلى منطقة حوض نهر (الترك) وتلاقت مع المسلمين في القسم الشركسي من القفقاس، إلا أن المناطق الداخلية من ساحل البحر الاسود والقسم الاوسط والأدنى من حوض (الكوبان) فقد تأخر انتشار الاسلام بين سكانها من (الأديغة) عامة والقبرطاي خاصة.

ولإعطاء فكرة واضحة عن الأوضاع الدينية التي كانت سائدة لدى الشراكسة (الأديغة) في هذه الفترة لا بد من اقتباس بعض الفقرات من كتاب (Quelquejay)[٣٣] ترجمة (نيازبا توقه) وهو أفضل من كتب عن هذه الفترة، حيث يقول في الفصل الخاص بالبنية الاجتماعية والسياسية والدينية في القفقاس الشمالي بالقرن السادس عشر [٣٣]. بدأت العلاقات بين روسيا (والقبرطاي) عام ١٥٥٧ اي بعد سنة من احتلال (خانية استراخان) من قبل الجيش الروسي الذي كان في حينه الجيش الذي لا يقهر في نظر القفقاسيين. وفي تموز من عام (١٥٥٧) توجه سفير الامير (تمروق) احد أمراء (القبرطاي) إلى موسكو طالبا الحماية من القيصر ضد اعدائهم (الداغستانيين والنغويين) الاشقياء و (خانات القرم). وتؤكد الوثائق الروسية بأن بعض عائلات الامراء من (القبرطاي) كانوا من المسلمين وكذلك الامير (تمروق بن إيدار) كان مسلما لكن ابنته (ماري) اعتنقت الديانة المسيحية الارثوذكسية عندما تزوجت القيصر (إيفان الرهيب).

ومن مظاهر (التذبذب) الديني لدى بعض أمراء الشراكسة في هذه الفترة هي ظاهرة تأثرهم بديانة (الدول) والسلطات التي يتعاملون معها.. فأولاد الأمراء الذين كانوا على اتصال مع القياصرة الروس كانوا يعتنقون المسيحية، اما الاولاد الذين كانوا على اتصال مع العثمانيين فكانوا يعتنقون الدين الاسلامي، وكذلك فإن المقيمين منهم في البلاد كانوا مسلمين، ومن الذين اعتنقوا المسيحية هو أحد أحفاد الأمير (تمروق) وابن (مامستروق) و (كانشوف) بينما شقيقهم (قانصاو) كان مسلما، كما كان جميع أعضاء أسرة الأمير (تمروق) مسلمين.

وفي عام ١٥٥٨ أخذ الأمير قانبولات شقيق ابنه (خورشاي) إلى بلاط القيصر بهدف طلب الحماية الروسية، وأصبح ابنه مسيحيا وعمد تحت اسم (بوريس) بينما ابن آخر لقانبولات وهو الأمير (كودنت) الذي بقي في القفقاس كان مسلما، ولكن ابنه الثالث (أرسلان) الذي عاش في موسكو مع طبقة (الستولنيك Stolnik) اعتنق المسيحية وسمى نفسه (ياكوف).

نستنتج مما تقدم بأننا امام ظاهرة تكاد تكون فريدة في نوعها في تاريخ الاسلام وهي وجود بعض من أعضاء العائلة الواحدة يدينون بالمسيحية الارثوذكسية والبعض الآخر بالإسلام.

وفي عام ١٥٦٦ قرر القيصر (إيفان) دفع حركة التنصير إلى أبعد من ذلك في بلاد (القبرطاي) فأرسل احد القادة العسكريين المقربين إليه واسمه (جرمينسوف) إلى بلاد (القبرطاي) على رأس جيش كبير ضم العديد من القساوسة الأرثوذكس بهدف ادخال الشركس عامة و (القبرطاي) خاصة إلى الديانة المسيحية إلا أن هذه المحاولة لم تنجح وقد حدث العكس حيث أدت المحاولة الخاطئة لتخويف (القبرطاي) من هذه الحملة فكانت النتيجة بأن اعداداً كبيرة تركت المسيحية واعتنقوا الاسلام بعد عام ١٥٦٠.

وفي تموز عام ١٥٦٣ حينما كان الأمير (تمروق) المدعوم من قبل القيصر يناضل ضد منافسيه الاميرين (سيبوق وقانوق) من بشتاو واللذين كانا من قبل في خدمة القيصر، يحملان اسمين مسيحيين هما (الكسي) و (غاقربل) هربا من موسكو ليتوجها أولا إلى (ليتوانيا) ومن هناك إلى (القرم). وهكذا فإن أمراء (القبرطاي) كانوا في فوضى من الناحية الدينية والسياسية، فالحزب الموالي للروس كان على رأسه أمير شركسي مسيحي بينما كان القبرطاي المسلمون يتوجهون إلى معسكر التاتار (في القرم).

هكذا كان الوضع الديني لدى الشراكسة (القبرطاي) الذين كانوا يسكنون القسمين الاوسط والشمالي من بلاد القفقاس. أما الشراكسة الذين كانوا يقطنون المنطقة الغربية منها مثل (الأبازة) فكان وضعهم الديني يتسم بالتذبذب ايضا خلال القرن السادس عشر ما بين مبايعة خانات القرم والإسلام من جهة والتابعية الروسية والمسيحية من جهة أخرى، ولم يتم اعتناق (الأبازة) للإسلام إلا في القرن الثامن عشر.

ويقول المؤرخ (Quel Quejay) عندما تكلم عن البنية الاجتماعية والسياسية والدينية في القفقاس في القرن السادس عشر بأن الوضع عند الشراكسة الغربيين كان أكثر تعقيدا وأكثر اضطرابا عنه لدى (القبرطاي) في الشمال بسبب غياب الهرم الاقطاعي عندهم، كما هو الحال عند جيرانهم (القبرطاي)، فقد كانت الطبقة النبيلة حتى عام ١٥٦٠ تدين جزئيا بالمسيحية وجزئيا بالإسلام مع احتمال وجود أقلية (تدين بالوثنية)، كما كان إقطاعيو (الأديغية) يبدلون دينهم من حين لآخر وأما طبقات الفلاحين والأحرار والخدم، فكانوا بشكل عام يدينون بمذهب وجود الروح في الكائنات الحية (Animistes)، كما كانت القاعدة عند نبلاء الشراكسة الذين توجهوا لخدمة القيصر أن يصبحوا مسيحيين (تحت اسم جماعي جركاسي Gerkasi) واقدم تعميد للشراكس الغربيين يعود إلى عام ١٥٥٠ عندما توجه أحد الابازة (القاليج) Alqalig ابن (ايزبوزلوقة) إلى موسكو وتعمد تحت اسم (إيفان) كما كان ابن (غردنوقة) يعيش حينئذ في بلاد القيصر (إيفان) وهو من اصل ابازي. وفي عام ١٥٥٥ أرسل امير قبيلة (جاني) الشركسية واسمه (سيبوقة) ابنه (كوداد يقوه) إلى موسكو وتعمد تحت اسم (الكسندر) وفي عام ١٥٦٠م ارسل القيصر (إيفان) عددا كبيرا من الشراكسة المسيحيين الذين كانوا يعيشون في موسكو ضمن حملة تضم قساوسة بهدف ادخال عائلة (جاني) إلى المسيحية، وساهم رؤساء قبيلة (جاني) في الأعوام ١٥٥٦-١٥٦٠ مساهمة فعالة في محاولة الامير (ديمتري فيشنيفسكي) لاحتلال القلاع العثمانية (آزاق، وتامان، وتمروق)، وانتهت محاولة (فيشنيفسكي) بمساعدة قبائل الشركس لاحتلال القلاع بالفشل النهائي عام ١٥٦٠ وبدأ الإسلام يتأصل بقوة لدى الشراكسة الغربيين بعد هذه المحاولة بعام واحد حيث اعتنق نبلاء قبيلة (جاني) الاسلام شيئا فشيئا.

والدارس للأرشيف العثماني في القرن السادس عشر، يجد بأن بعض أمراء الشراكسة عامة وقبيلة (جاني) خاصة اعتنقوا الدين الاسلامي ابتداء من عام ١٥٦٠ وفي عام ١٥٦٥ أرسل كبير

(البكوات) العثمانيين واسمه (بيلربي) خبرا يعلمهم فيه بأن أحد زعماء الشراكسة يرغب الحضور إلى اسطنبول ليعتنق الدين الإسلامي، كما أعلم أحد ضباط (الباب العالي) بأن قبائل شركسية تحمل علم السلطان وتدفع له الجزية باستثناء قبيلة جاني (جاتقوق) كانت متمردة وتهدد خانات القرم. وفي نفس الوقت فقد أخبر الضابط الحكام بأن رئيسا شركسيا وهو (انقوتوقه) (اسمه لا يكشف عن انتمائه الديني) كان ينوي القدوم إلى اسطنبول، ربما لاعتناق الاسلام.

في عام (١٥٧٤) أصدر قاضي (صمصون) التتري أمرا يعلن فيه إباحة بيع الأسرى من الشراكسة (غير المسلمين). وفي عام (١٥٨٢) أصدر أمراً آخر إلى بيك البكوات (بيلربي) في (باطوم) يصف فيه الابخاز (ابازة في النص العثماني) وشراكسة الجبال الذين يغزون منطقة باطوم بأنهم (كفار)، وبعد عام ١٥٩٠ ازداد عدد زعماء الشركس (المسيحيين) الذين يرغبون القدوم إلى اسطنبول للمبايعة واعتناق الاسلام ويبدو بأنه مع نهاية القرن السادس عشر كانت جميع القبائل (الغربية) ذات البنية الاقطاعية قد دخلت إلى الإسلام.

كما أكد (الأبخازي هزارفين) كاتب اليوميات العثمانية (أن الذين يقطنون في الغرب من بلاد الشركس مثل قبيلة (جاني) من سنجاق تامان يعترفون بقواعد الشريعة ويتقبلون القضاة المعينين من قبل الباب العالي، وبالتالي فلا يحق لنا أسرهم، لكن الذين يقطنون شرق قبيلة (جاني) وحتى شراكسة القبرطاي فإنها (دار حرب) ويمكن ان نأخذهم أسرى. نستنتج من ذلك بأن قبائل الشراكسة الشرقية ومنها (البسلني) اعتبرهم (العثمانيون) كفارا، لأنهم كانوا يدينون (بالوثنية Animists) ويعتقدون بأن الكائنات الحية لها أرواح، ووصفتهم الوثائق العثمانية في ذلك العهد بأنهم (كفار) [٣٤].

الفترة الثانية: وهي الفترة الممتدة من تاريخ قتل الاساقفة والخوارنة الارثوذكس من أصول بيزنطية أو شركسية في عام ١٧١٧ وحتى عام ١٨٥٠ وهو العام الذي انتهى فيه محمد أمين نائب الامام شامل من مهمة نشر الدين الاسلامي بين جميع القبائل الشركسية في الغرب.

يقول (نوغموقة) في كتابه تاريخ الاديكة (الجركسي) القديم: إن الضربة القاضية التي اصابت الديانة المسيحية في القفقاس، كانت عام ١٧١٧، حينما امر سلاطين الاتراك خان القرم (دولت كراي Dewlet Girai) و (غاز كراي Ghaz-Girai) بنشر الديانة الاسلامية بين (الآديكة) بقوة السيف، وقتل رؤساء الدين المسيحيين والخوارنة (شوجن) وإحراق كتبهم المقدسة وتحطيم عصيهم، مما أدى إلى ترك أثر كبير في نفوس الشراكسة المسيحيين وضربوا امثالا للتعبير عن استيائهم، منها المثل القائل **(ليتهم يسلبوا متاعك وملكك كما سلبت عصي الاساقفة)**.

إلا أن القادة العسكريين لخانات القرم أساؤوا التصرف مع القبائل الشركسية التي اعتنقت الدين الإسلامي حيث فرضوا على كل عائلة شركسية إيواء أربعة من رجالهم العساكر مع خيولهم، وأجبروا الأهالي على إطعامهم وإيوائهم، ثم عينوا في كل بلدة إماما (مولى) لتعليم الاهالي قواعد الدين الاسلامي، وبقي (جيش القرم) محتلا بلاد قبيلة (القبردي) من شركيسيا عدة سنوات، وقبل بعض السكان منهم اعتناق الدين الاسلامي بينما رفض آخرون، وظلوا يمارسون شعائر دينهم القديم خفية، خوفا من اضطهاد التتار لهم.

وفي عام ١٧٢٥م أمر (أمير قبائل القبردي) الشركسية كل شركسي من سكان المقاطعة قتل كل من يعثر عليه من (الاتراك) وأهل (القرم) اينما كانوا وحيثما وجدوا ولما خيم الظلام قام أهل (القبردي) قومة رجل واحد وسلطوا السيوف على رقاب الغاصبين خانات القرم والاتراك، وأبادوهم عن آخرهم، حتى لم يبق منهم أحد على قيد الحياة. وفي عهد الامير الشركسي (حاتوظوقة) دخل فريق من شعب الاديغة (الشراكسة) بالإسلام، وعندما تسلم الإمارة أخوه (عادل كراي Adil Girai) الحكم وكان قد تعلم اللغة العربية والتركية، أخذ بنشر الدين الاسلامي بين عشائر القبردي الشركسية التي لم تكن قد اعتنقت الدين الاسلامي، كما اهتم في بناء المساجد وتعيين الائمة والمشايخ وعلماء الدين الاسلامي في كل انحاء منطقة القبردي الشركسية، وهكذا أخذ الدين الحنيف بالانتشار ذاتيا، وعلى يد أمراء الشركس انفسهم وبأسلوب الإقناع والترغيب، وقد أدى تطبيق أحكام الشريعة الاسلامية إلى انتظام الاحوال المدنية والاجتماعية في بلاد القبردي الشركسية.

أما قبائل الشراكس الأخرى التي كانت تسكن وسط وشمال قفقازيا الشمالية وشواطئ البحر الأسود الشرقية، فقد تأخر انتشار الدين الإسلامي بينهم حتى سنة (١٨٤٢م) عندما قرر الكثير من ابناء تلك القبائل الدخول في الدين الاسلامي نتيجة الحركة المريدية على يد (الإمام شامل) الذي قاد حركة الاستقلال ضد روسيا في القرن الثامن عشر الميلادي، فقد أرسل عام (١٨٤٢) أحد نوابه وهو (الحاج محمد أمين) إلى بلاد الشراكسة في منطقة الاديغي قادما من بلاد الداغستان، فأخذ النائب يبث الدعاية للإمام (شامل)، ويصوره للأهالي بأنه محارب شجاع ومن (أولياء الله المطهرين)، ووعد بأنه سيعينهم على الروس إذا قبلوا الإسلام دينا لهم، واتبعوا ارشاداته وتعاليمه. وتبين للقبائل الشركسية الشمالية أن ما يطلبه منهم الإمام شامل مقابل مساعدته لهم ضد الروس، يختلف عما قدمه الاتراك سابقا، وايقنوا ان دخولهم في الإسلام هو الطريق الوحيد للخلاص من عدوان الروس عليهم والحصول على المساعدات اللازمة لإخراجهم، وكانت أولى القبائل الشركسية الشمالية التي اعتنقت الإسلام هي قبيلة (الأبزاخ)، وساعد على انتشار الإسلام بين أبناء هذه القبيلة غضب العامة من حكم أمرائهم ونبلائهم، فتقبلوا الدين الجديد واستطاعوا القضاء بمساعدة (الإمام محمد أمين) على هذه الطبقة من الحكام، وفرضوا قوانين الشريعة الاسلامية في شمال القفقاس وبناء المساجد [٣٥].

حاول النائب (محمد امين) بعد ان استتب له الأمر في بلاد (الابزاخ) الشركسية أن يمد نفوذه وينشر الدين الاسلامي في منطقة (الاوبيخ والشابسوغ) إلا أنه وجد في منطقة (الاوبيخ) مقاومة شديدة حيث صمد له سكانها الذين كان أكثرهم يدين بالمسيحية فاضطر إلى تأجيل هذه المنطقة من برامجه، ووجه اهتمامه إلى قبيلة (الشابسوغ) التي كانت من أمهات القبائل الشركسية في الغرب وأقواها، إلا أن الامور لم تتيسر له في بلاد الشابسوغ، حيث أن هذه القبيلة لم تكن تعاني من تسلط نظام الإقطاع عليها، ولم تكن لديها طبقة نبلاء وامراء حتى يتمكن النائب من تحريض طبقة العوام عليهم كما فعل في منطقة (الابزاخ)، عدا أن وجود مسلمين ومسيحيين بين ابناء قبيلة الشابسوغ قسم الرأي العام منهم إلى قسمين بين مؤيد لاستقبال (نائب الامام شامل) ومعارض له. أما أهالي منطقة (ناتخواج) من القبائل الشركسية ايضا التي كانت تسكن شمال بلاد الاديغة، فكانوا ميالين لاستقبال النائب لاحتياجهم لمساعدته الحربية أكثر من سواهم بسبب قربهم من حدود الروس، أما سكان الاقسام الجبلية من بلاد الشابسوغ، وبخاصة القاطنين بين نهري (شيس) و (أفيبس)، فقد تسلحوا لمقاومته حربيا.

وفي عام ١٨٤٩م جمع النائب (محمد أمين) جيشا كبيرا من قبائل الشركس التي اعتنقت الاسلام، وفي مقدمتها قبيلة (الابزاخ) التي جمعت له (٢٠الف) مقاتل و (٤آلاف) من مسلمي الشابسوغ أنفسهم وجرت معركة بين المعارضين للدخول في الدين الاسلامي من قبيلة الشابسوغ، وكان عددهم ستة آلاف مقاتل وبين جيش النائب (محمد أمين) البالغ عدده (٢٤ الف) مقاتل من (الأبزاخ والشابسوغ) عند ضفاف نهر (دوغاي) أسفرت عن صمود المعارضين وقتل خمسمائة محارب من كلا الطرفين، ولم يستتب الأمر للنائب (محمد أمين) إلا بعد عدة معارك مع المعارضين حدثت عند أنهر (آبين) و (أيل) و (حابل) و (بوغندور). بعد ذلك أخذ النائب يسرع في تقدمه ويقيم عند كل نهر اسبوعا كاملا، يقوم خلاله بجمع السكان وإجبارهم فردا فردا على أداء كلمة الشهادة وتلاوة بعض السور القرآنية، وكان يسجل اسم من يؤمن ويجبره على الالتحاق بجيش المسلمين. ثم توجه بجيشه الذي بلغ ٢٥ الف مقاتل إلى منطقة قبيلة (ناتخواج) حيث استقبله الأهالي بحفاوة بالغة وأعلنوا إسلامهم راغبين، ونقضوا هدنتهم مع الروس إذ كانت بلادهم متاخمة للبلاد الروسية، وعقدوا مؤتمرا شعبيا عاما تقرر خلاله أنه ليس بمقدور أية جماعة أو قبيلة بمفردها أن تهادن الروس وأن كل مفاوضة او اتفاق أو حرب مع الروس يجب ان يشترك فيه جميع قبائل الأمة الشركسية. وبعد انتهاء النائب (محمد أمين) من اعماله في بلاد الشابسوغ والناتخواج وجه نظره إلى بلاد الاوبيخ والأقسام الجبيلة من الشابسوغ التي كان قد تركها وشأنها في بادئ الأمر، لأن سكان هذه البلاد الممتدة على ساحل البحر الأسود من (صوجاق) (ميناء على ساحل البحر الاسود الشرقي) حتى حدود بلاد الاوبيخ، كانوا أشد الناس تعنتا وتعصبا لدينهم المسيحي [٣٦].

ثم غير النائب (محمد امين) من أسلوبه ولجأ إلى أسلوب الاقناع وتوسيط ابناء الشابسوغ المسلمين لاقناع إخوانهم من أهالي شابسوغ الجبال بالدخول في الدين الاسلامي، وإنشاء محاكم في

كل (المدن الساحلية على شاطئ البحر الاسود الشرقي)، وقد نجح أخيرا في إدخال (شابسوغ) الجبلين في الدين الاسلامي. وقد قضى النائب (محمد أمين) شتاء سنة ١٨٤٩-١٨٥٠م وهو يحاول انشاء محكمة إسلامية في بلاد الاوبيخ إذ لقي من أهلها العصيان لإرادته، غير أن أهالي بلاد (الاوبيخ) لما رأوا أن جميع الأمة الشركسية قد اعترفت نهائيا بنيابة (محمد امين) وسيادته عليها لم يقاوموه حربيا، وهكذا نجد أن الفضل في انتشار الدين الاسلامي بين الامة الشركسية في الغرب يعود للنائب (محمد امين نائب الامام شامل)، وليس للدولة العثمانية التي عجزت عن تنظيم البلاد الشركسية، كما نجح هذا النائب في تقسيم البلاد الشركسية إلى مراكز وإدارات وأقام المحاكم والمساجد في جميع أنحاء بلاد الشركس.(٣٧)

الفترة الثالثة وهي فترة حرب الشعارات والتي تتداخل مع الفترة الزمنية الثالثة وحتى بدء التهجير القسري لشعوب شمال القفقاس عامة والشراكسة خاصة (١٨٢٩م-١٨٦٠م).

تميزت هذه الفترة بأربعة ظواهر دينية / سياسية وهي:

الظاهرة الاولى: وهي ظاهرة حرب الشعارات الدينية التي أطلقها كل من اصحاب الحركة المريدية التي قادت المقاومة الاسلامية شمال قفقاسيا عامة والداغستان خاصة، وهي حركة كانت تتبع (الطريقة النقشبندية) التي أسسها محمد البخاري المتوفى سنة ٧٩١هـ، وبدأت حركة إصلاح ديني إلا أن الإمام (محمد البرغلي) أعطاها طابعا سياسيا وتولى قيادتها محمد الغمري المعروف باسم "غازي مولا" من بلاد الداغستان، وفي عام (١٨٢٩م) وجه نداء عاما لشعوب الداغستان بالجهاد في سبيل نشر الدين الاسلامي، واستشهد عام ١٨٣٢، بعد عدة معارك مع القوات الروسية، وتولى الامام (فخرات) قيادة المريدية إلا أنه اغتيل بعد عامين من قيادته من قبل (الحاج مراد) وهو من قبيلة (باخوبيخي زعيمة خونزاح الداغستانية) وتولى القيادة من بعده الإمام (شامل) عام ١٨٣٤، وأمضى في تنظيم الحركة المريدية (عسكريا) خلال السنوات (١٨٣٤-١٨٣٧) وفي عام ١٨٣٨ بدأ حربا مفتوحة على القوات الروسية في كل من بلاد الداغستان والشيشان وشراكسة الغرب واستمر في قتاله حتى استسلم عام (١٨٥٧) (٣٨).

وتميزت الفترة التي قاد فيها (شامل) الحركة المريدية برفع شعارات دينية سياسية، ومن هذه الشعارات:

- الجنة تحت ظلال السيوف.
- جميع الروس لا يدينون بدين الاسلام.
- من شروط الإسلام كره الروس.
- كل ما هو عائد للروس فهو محرم على المسلمين.
- لا يقبل الدين قطعيا ذهاب المريض للعلاج عند الاطباء الروس.
- كل شخص لا يحارب الكفرة الروس مصيره إلى جهنم.
- إن أمة محمد لا يمكن ان تعيش تحت إدارة الكفرة من غير المؤمنين بالله.
- على كل مسلم أن يفكر بالجهاد وفق الشريعة السمحة (٣٩).

الظاهرة الثانية: وهي رفع الشعارات المضادة للشعارات (المريدية النقشبندية) الإسلامية من قبل جماعة عدوانية من قبائل القوقاز المدعومين من حكام روسيا القيصرية وهي الجماعة التي سمت نفسها بالطائفة (الزباروزية) التي اعتنقت الديانة المسيحية حديثا.. فرفعت هذه الطائفة شعارات تمجد الديانة المسيحية على اعتبارها أفضل الأديان والتحريض على قتل القفقاسيين.

وكان من الشعارات التي رفعتها الطائفة الدينية المتعصبة هي:

- أفضل الأديان هي المسيحية.
- يجب قتل كل قفقاسي يرفض ذلك.
- وهذه أهم مهام للزباروزية.

ولا شك بأن هذه الدعاية المركزة من قبل الطرفين أدت إلى عدم تحكيم التفكير السليم والعقلاني في موضوع المقاومة والحرب في شمال القفقاس وعدم التفاهم للتعايش واستمرار الحروب الدامية لسنوات طويلة. (٤٠)

الظاهرة الثالثة: وهي وقوع صراعات ونزاعات وصدامات دموية بين الأمراء والنبلاء من جهة وعامة الشعوب الشركسية من جهة أخرى لدى قبائل (القبرطاي والابزاخ) وهي الصراعات التي وصفها الجنرال (بريافنسكي) نائب القيصر الروسي في رسالته المطولة التي أرسلها إلى القيصر ونصها كما في مذكرات الجنرال الشيشاني (كندوقوف) ونقتبس منها الفقرات الخمسة التالية: (٤١).

الفقرة الاولى من رسالة الجنرال: وفيها وصف الصراعات القائمة بين الأمراء والنبلاء وعامة الشعب بقوله: ((مع ان النظام العسكري الجديد الذي طبق في القفقاس في الفترة الأخيرة يعطي الأمل في الحصول على صداقة هذه المنطقة، فإن الاستسلام الحاصل نتيجة قوة السلاح والذي يعتبر ضررا لنا لأنه يحاول بالواقع منع المد الديني بالطريقة المريدية، فلذا يجب العمل على ازالة هذه الفكرة من الوجود. فالمريدية ليست عقيدة دينية فقط بل هو قانون يمنع الامتياز الطبقي ويعتبر الناس سواسية بدون تمييز او طبقية، ويوحد أبناء الشعب، والمريدية نظام يرفض الحكم العلماني ولا يقبل إلا بالحكومة التي تطبق أحكام الإسلام وهم لا يعترفون بسلطان عليهم إلا السلطان العثماني (سلطان جميع المسلمين) وبالنسبة لهم فإن الشريعة هي القانون الوحيد الذي يمكن ان يحافظ على حقوق وأرواح المسلمين)).

واستطرد قائلا: من هنا يتضح أنه إذا لم نتمكن من إضعاف طريقة المريدية ونضع العوائق والموانع في طريق تقدمهم وازديادهم فإن النصر العسكري الذي حققناه في قفقاسيا سوف يذهب هباء بظهور إمام قوى يستطيع أن يوحد الشراكسة مرة ثانية، والطريقة الحتمية لذلك هي إحياء النظام الذي يعتمد على الطبقية في قفقاسيا، وبذلك فإن أي حكومة تعتمد على الطبقية ستضعف التيار الديني بأقصر الطرق، وبالطبقية سيبدأ تطبيق العادات الشركسية بدلا من الاحكام الشرعية وستظهر المحاكمات التي تؤيد العادات والتقاليد.

الفقرة الثانية من الرسالة المذكورة: وركز فيها على مدى تأثير الطريقة المريدية على الشعوب الشركسية بقوله:

"وتم اعتماد الجهاد كمبدأ ديني بطريقة المريدية واعلنت الحرب ضد الكفرة الموجودين في قفقاسيا أو يحاولون الدخول إليها. وبهذا فقد انتشر الحس الديني في قفقاسيا التي كانت مفرغة من كل فكر مخالف لنا وانضم الجميع تحت لواء الشريعة الاسلامية. فبتأسيس هذه الوحدة الدينية والوطنية في جبال القفقاس وازدياد اهمية الائمة المستمرة اجبرنا على تقوية وزيادة عدد افراد قواتنا العسكرية في المنطقة، وفي الحقيقة قديما كنا بحاجة إلى قوة صغيرة لإيقاف العصيان او التمرد الحاصل في المنطقة. أما اليوم فإننا بحاجة إلى ألوية من الجيش لإيقاف مثل هذه العصيان أو التمرد.

الفقرة الثالثة: فقد خصصها لشرح الحركة المريدية والتأكيد على أنها ليست عقيدة دينية فقط وإنما هي قانون يمنع الطبقية بين شعوب القفقاس عامة والشراكسة خاصة.

وفي الفقرة الرابعة من الرسالة المذكورة: يقترح فصل الاعمال الدينية عن الاعمال الادارية كما يقترح احياء النظام الطبقي بقوله: هذا وسيكون طريقا سهلا لكي تفرض الحكومة الروسية سيطرتها وأن تضع الاعمال الادارية تحت سيطرتها وتوجيهها حسب ما تراه مناسبا. وبإحياء النظام الطبقي سوف يضعف رجال الدين الإسلامي (مادة ومعنى)، فالشعب الذي سيتخلص من نفوذ رجال الدين سوف يتهرب من دفع الضرائب التي فرضها عليهم. فلهذا السبب سيضطر أخيرا رجل الدين للتخلي عن قيادة الأمة، وسقوط رجال الدين وقطع علاقاته مع ابناء الشعب، فالمسلمون من الناحية الاخلاقية ستبقى العلاقة الدينية كل حسب ما يشعر أنه يلزمه، ومع مرور الزمن سوف يتخبط الشعب في معتقداته، وبالتالي سوف تجد الحكومة الروسية شعباً تقوده كيفما تشاء بدلا من شعب تحسب له ألف حساب. ولهذا يجب أن يرى المسلم الذي فقد أسلوب إدارته عقيدة تتناسب مع روح العصر وجب علينا أخذ التدابير اللازمة، لذلك، ومنذ الآن وحتى يتمكن ذلك المسلم من المقارنة بين عقيدته

الإسلامية والعقيدة الجديدة ان يرى افضلية العقيدة الجديدة ويقدرها أضعاف اضعاف العقيدة الاسلامية.

وفي الفقرة الخامسة والاخيرة من الرسالة المذكورة: ركز الجنرال على وجوب نشر الارثوذكسية بقوله: "أعتقد بوجوب نشر الارثوذكسية في القفقاس من خلال تأسيس الكنائس وايجاد أساليب لإنشائها، وبذلك نكون قد وضعنا حجر الأساس لهدفنا في الوقت الحاضر. إن القناعات السلبية حول ديننا والتي يجعلها غير مرغوب فيها مع الأسف فإن رجال الدين المسيحي ليس لهم أي احترام أو تقدير في نظرنا نحن كما لشيوخ ورجال الدين الإسلامي، نحن الآن وصاعدا يجب ان نضع رجال الدين في المكان اللائق بهم ونحترمهم ومن أجل ما ذكر أجد في نفسي الشجاعة لإصراري على ما ذكر واعتماد الأسس التي ذكرتها بالبدء فورا في تأسيس كوادر لنشر الدين المسيحي في قفقاسيا".

واستطرد قائلاً: "عندما تمكنا من الدخول في قفقاسيا بعد عناء طويل وجدنا أن هناك صراعا بين الفئة المسلمة التي تتمسك بروحية الاسلام وبين الفئات الاخرى مما زعزع في مواقعهم وقوتهم، ومن هذه الفئات وجدنا ان الامراء والبكوات وزعماء العشائر يحكمون البلاد بالعادات والتقاليد المتوارثة اكثر بكثير من اتباعهم أصول الشريعة والدين".

وعلى هذا الأساس فإن تأييد من يتفق ووجهات نظراتنا السياسية هو أحدى الوظائف التي تقع على عاتق حكومتنا. ولكن نتيجة الأسلوب الخاطئ حاليا فإن هذا الموضوع الذي هو مطلب طبيعي لكل إنسان والذي يمكن ان يكسب تأييد الشعب بأسرع الطرق لم يدرس ولم يؤخذ بالشكل المطلوب لغاية الآن. فالإسلام يرى المستقبل بوحدة الجماهير تحت اسم الطريقة المريدية وفي الحقيقة أن الشعب يفضل حكم الشريعة الإسلامية أكثر من حكم طبقة النبلاء الذي يعتمد على العادات. وهكذا فإن ممثلي حكومتنا في النهاية يقعون في أول خطأ قاتل يبدأ من عدم معرفتهم بوضع الشعب. والآن وبسقوط الطبقة الارستقراطية التي كانت تسهل علينا حكم شعوبهم لانقسامهم إلى قبائل متعددة، ذلك الشعب اتحد تحت لواء ديني واحد أدى إلى وجود زعيم إداري وديني واحد لكل المنطقة بأسرها. [٤٢]

الظاهرة الرابعة: وهي المتمثلة بخلق مناخ مناسب لتهجير القفقاسيين عامة والشراكسة خاصة إلى الأراضي العثمانية تنفيذا لسياستها المخطط لها مسبقا وبإحكام تام ورفع شعارات وبث دعايات مستغلا في ذلك النعرة الدينية المتأصلة لدى الشعوب القفقاسية عامة والشركسية خاصة، ومن الشعارات الدينية التي نشرها العثمانيون بين الشعوب القفقاسية هي:

- لا يمكن العيش والبقاء في بلد كافر وتحت إدارة الكفرة، لذا وجب الحرب أو الموت او الهجرة إلى البلاد الإسلامية.
- الهجرة قدرنا ومكتوبة لنا فلا مناص إلا إطاعة امر الخالق.
- الهجرة موجودة في الإسلام، فلقد هاجر اتباع محمد صلى الله عليه وسلم إلى الحبشة كما هاجر محمد صلى الله عليه وسلم إلى المدينة.
- ستذهب إلى البلاد الإسلامية فقط ومن ثم نستعد ونعود لتحرير الوطن.
- من يموت في غير الديار الإسلامية يذهب إلى جهنم ومن يريد الجنة يجب ان يموت في ديار الخلافة الإسلامية.
- ما أوله بلاد الشام آخره بلاد الشام. [٤٣]

*** الفترة الرابعة: وامتدت من عام ١٨٦١ إلى عام ١٨٦٤.**

بدأت هذه الفترة من تاريخ قيام القيصر الكسندر بزيارة إلى بلاد الشراكسة يوم ١١/١٨ من عام ١٨٦١، تلك الزيارة التي كشفت عن نوايا القيصر الاستعمارية والاضطهادية وتهديد الشراكسة قبل البدء بهذه الزيارة وإصراره على استسلام الشراكسة والرضوخ لحكمه بقوله: **لا خيار أمامكم أنتم شعوب قفقاسيا الشمالية عامة والشراكسة خاصة غير خيار واحد من ثلاثة خيارات وهي:**

- إما الموت بلا قبور أو
- الهجرة لبلاد العثمانيين أو

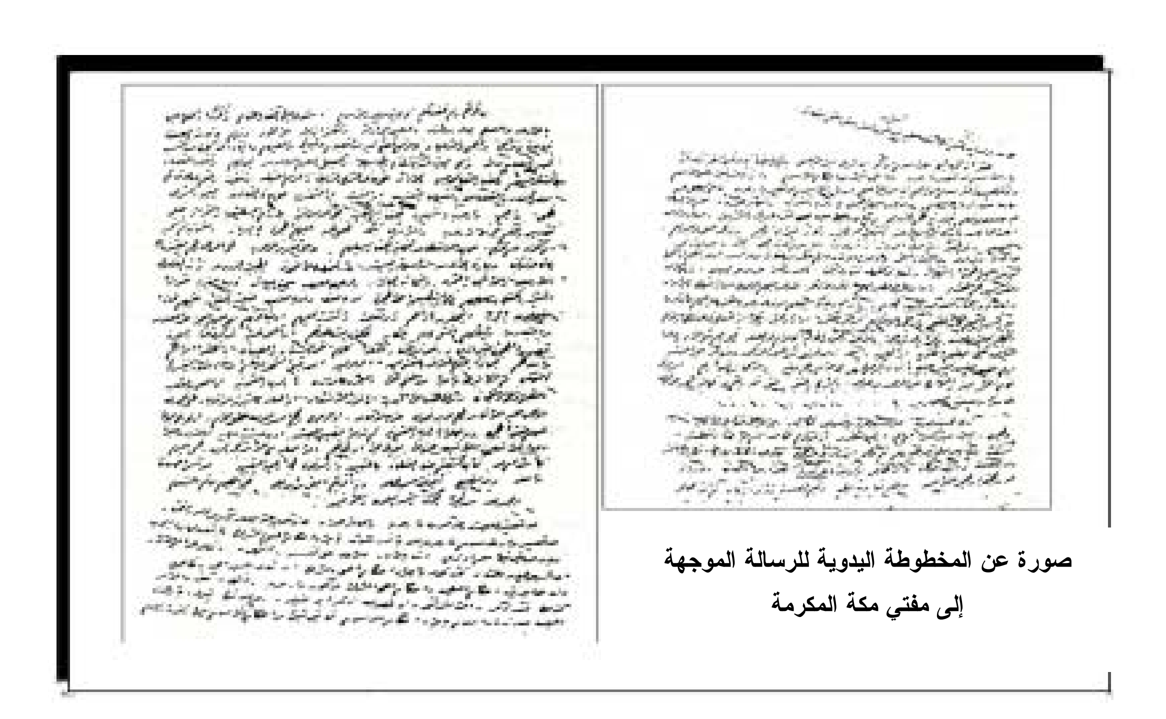
- اعتناق الديانة المسيحية.

كما كشف الجنرال (نقولاي) قائد القوات الروسية في بلاد القفقاس في هذه الفترة عن سياسته والمتمثلة بمحاولة (استرضاء الأمراء والنبلاء الشراكسة بإيجاد وظائف لهم) وكذلك محاولتهم تحسين الأحوال المعيشية لدى الطبقات العامة في بلاد (الاديغة) مع تكثيف حملات التبشير وإعادة تنصير الذين اعتنقوا الدين الاسلامي.. إلا أن قادة الشراكسة واتباعهم رفضوا تلك السياسة التهديدية بقوة، وتمثل هذا الرفض في الكلمة التي ألقاها أحد كبار السن من الأبخاز (الأباظة) واسمه "لصه صوته قولسبه تو" أمام القيصر الكسندر وحاشيته نقتطف منها الفقرات التالية:

"جلالة القيصر قال: لنا ما ينبغي قوله من وجهة نظره، ولا نعتب عليه... أما ما سأقوله أنا فلن يتوافق مع ما يريده القيصر واستطرد قائلا: القيصر الروسي أعجبته بلادنا وحاربنا من أجلها (٦٠) سنة وحاول الاستيلاء عليها بالقوة، ونحن نحب بل نقدس أرضنا ووطننا الأم، وسندافع عنه بأرواحنا وانفسنا، وعلينا أن نعطيه الجواب: بأن آباءنا وأجدادنا والرب الذي خلقنا جميعهم شهدوا بأننا لم نتهاون يوما في الدفاع عن ارضنا الحبيبة وأن الموت خير لنا من ان نعيش عبيدا وبلا أرض أو وطن.

"إن الله ليس مع القوة الطاغية بل مع الصادقين... سنحارب حتى النهاية وقال بأن (الوطن، والشعب، والحرية) هي شعارنا فإن سقطنا شهداء من اجلها، فليس عيبا. ويمكن للروس أن يستولوا على بلادنا القفقاس، لكن الشراكسة لن يكونوا عبيدا لهذا القيصر طالما يجري في عروقهم دم شركسي[٤٤].

وفي هذه الفترة وبعد ان تأكد لزعماء الشراكسة بأن العيش في الوطن الأم وبين الروس (الكفرة)، وكذلك فإن جواز العيش في ظل حكم مستعمر كافر اصبح بحاجة إلى افتاء ديني لذلك قام بعض الفقهاء من الشراكسة ورجال دين بإرسال **ثلاث رسائل إلى كل من مفتي مكة المكرمة ومفتي الديار المصرية، ومفتي الديار الشامية** يستفتونهم في حالتهم وفي القلق الذي كان ينتابهم حول جواز الفرار بدينهم من ظلم الروس الكفرة في الوقت الذي كانوا متمسكين فيه بأرض الوطن وعدم الرغبة في تركه للكفار. [٤٥] كما هو مبين في المخطوط المنسوخ باليد عن النسخة الاصلية.



صورة عن المخطوطة اليدوية للرسالة الموجهة إلى مفتي مكة المكرمة

مراجع ومصادر الفصل الثالث

١) دغوظ، فؤاد يحيى، العادات والقوانين الشركسية، وتاريخها، دراسة علمية الجمعية الخيرية الشركسية عمان عام ١٩٨٩.

٢) مولر، ماكس، نشوء العادات والعقائد الدينية لدى الشعوب القديمة، اقتباس آبه زاو– موسوعة تاريخ القفقاس والجركس دمشق عام ١٩٩٦، ص٣١٧–٣١٨.

٣) برقوق، اسماعيل، قفقاس في التاريخ منشورة في الاستانية عام ١٩٥٨ (باللغة التركية) ونقل بعض موضوعاته إلى اللغة العربية محمد جمال أبه زاو وضمنها في كتابه موسوعة تاريخ القفقاس الجركسي ص: ٣٣٧.

٤) م. لوف، مؤرخ انجليزي، كتب عن الآلهة التي كان يعبدها الاديغة (الشراكس) منذ القدم ونقل عند أبه – زاو ص٣٢.

٥) يزبك، باتريك، اساطير النارتيين والتاريخ الحديث للشراكسة، مصدر سابق، ص: ١٧–١٨٠.

٦) حداغالة، اسكر، موسوعة للامم نارت – جزء (٤) ١٩٧٠، ص: ٨٠.

٧) المصدر نفسه، جزء (٧) عام ١٩٧١، ص:١٠٦.

٨) ايليا جيليني، ١٩٦٩، وهان ١٩٦٨ الآلهة عند الشراكسة .

٩) الرحالة توكاريف، رحالة روس، ونشر بحثا عام ١٩٦٨ عن الآلهة لدى الشراكسة، ص٢٤٧.

١٠) حاداغالة، مصدر سابق، الجزء (١) عام ١٩٦٨، ص١٠٩–١١٣.

١١) المصدر نفسه، الجزء (٧) ١٩٧١ص: ١٠٧.

١٢) المصدر نفسه، الجزء (١) ١٩٦٨ ، ص: ٨٦– ١٠٣.

١٣) نويمان، رحالة انجليزي زار بلاد الاديغة عام ١٨٤٠، وكتب عن اوضاع الشراكسة والهتهم – ص١٠٨– ١٠٩.

١٤) شتيدت، بودن، رحالة المانية زارت بلاد الاديغة عام ١٨٤٨ وكتبت عن احوال الشراكسة والهتهم، ص: ٢٠١.

١٥) المصدر نفسه، ص: ٢٠٢.

١٦) دانيليفسكي، رحالة ايطالي زار بلاد الاديغة عام ١٨٤٧ وكتب عن اوضاع الشراكسة الاديغة:ص:٩٤.

١٧) تروبيزكوي، رحالة تجوّل في شمال القفقاس وعاش بين قبائل الشابسوغ لأكثر من عام، وكتب عن عاداتهم وآلهتهم، ص: ١٠٩.

١٨) نويمان، مصدر سابق، ص١٠٩.

١٩) تروبيزكوي، دبودن، مصدران سابقان، ص: ١٨٠–١٨١.

٢٠) توكاريف، مصدر سابق، ص: ٢٤١–٢٤٧.

٢١) مونتير دوبويس، رحالة تجوّل في بلاد الاديغة عام ١٨٤٢، وكتب عن عاداتهم ومجتمعهم وآلهتهم عدة اجزاء، ص: ٧٩.

٢٢) شتيدت، بودن، مصدر سابق، ص: ٢٠١–٢٠٢.

٢٣) نويمان – مصدر سابق عام ١٨٤٠، ص: ١٠٨–١٠٩.

٢٤) توكاريف – مصدر سابق، ص: ٢٤٦.
٢٥) دائرة المعارف الاسلامية، المجلد السادس، مصدر سابق، ص: ٣٤٢.
٢٦) نغموقة، مصدر سابق، ص: ٤١-٤٢.
٢٧) المصدر نفسه، ص: ٤٣.
٢٨) ناشخوا، جودت، ص:٨٥.
٢٩) نغموقة، مصدر سابق، ص: ٤٤.
٣٠) مورجان، (مؤرخ فرنسي) كتب عن تاريخ القوقاز، ص: ٢١٨.
٣١) كيليجان وبيتفيسن، المسلمون المنسيون في الاتحاد السوفيتي، مترجم إلى اللغة العربية، عام١٩٧٠.
٣٢) ابه زاو، مصدر سابق، ص: ٣٣٦.
٣٣) س. ل كويل قوجي، C. L Quelquejay في كتابه البنية الاجتماعية والسياسية والدينية في القفقاس الشمالي في القرن السادس عشر ترجمة نياز باتوقة مكتبة الجمعية الخيرية الشركسية ص: ١٣٩.
٣٤) المصدر نفسه، ص: ١٣٩-١٤١.
٣٥) المفتي، شوكت، مصدر سابق، ص: ١٥٥.
٣٦) ناشخوا، جودت، مصدر سابق، ص٩١.
٣٧) المفتي، شوكت، مصدر سابق، ص: ١٥٦.
٣٨) الشيشاني، احمد، مصدر سابق، ص: ٧٩.
٣٩) برزج، نهاد، تهجير الشراكسة، مصدر سابق، ص: ٩٦-٩٧.
٤٠) المصدر نفسه، ص: ٩٧.
٤١) كندوقوف، موسى، جنرال شيشاني، مذكرات موسى كندوقوف، عام ١٨٦٥، ص: ١٠٥.
٤٢) برزج، نهاد، مصدر سابق، ص: ٩٩-١٠١.
٤٣) المصدر نفسه، ص: ٩٧-٩٨.
٤٤) رسلان، مخوص، تاريخ حرب القفقاس ونتائجها من أحداث ومظالم، ترجمة واعداد احمد اسماعيل، دمشق، عام ١٩٩٥، ص: ٤٠-٤١.

الفصل الرابع

الاديغة خابزة

العادات والتقاليد الشركسية خصائصها (ونشأتها وتطورها)

منذ فجر التاريخ وحتى العصر الحديث

عندما ظهر بنو البشر على وجه الأرض لم تكن لديهم أية قواعد ونظم تنظم حياتهم وتحدد أسلوب معيشتهم، إلى أن أصبحت لديهم لغة للتفاهم فيما بينهم، ثم بدأوا يضعون ويحددون بعض النظم والقواعد لحياتهم اليومية وهي التي أصبحت فيما بعد تسمى عادات وأعراف يتقيدون بها، ويعود هذه العادات وتلك التقاليد عند الأمة الشركسية إلى العصور الحجرية وارتبطت في البداية بالمعتقدات الدينية القديمة كما ارتبطت بسلوك (الامهات) اللواتي تولين الحكم والقيادة (آنذاك) كما كان الانسان الشركسي ينتسب إلى عشيرة الأم وليس إلى عشيرة الأب، فكانت العادة أن ينتقل الرجل إلى بيت الزوجة، كما كان الإرث ينتقل إلى عشيرة الأم (ونستدل على هذه الحقائق من التراث الشركسي القديم عامة ومن أساطير النارتيين خاصة)، ثم تحولت السلطة إلى مجالس الامهات وهي التي كانت تضع مجموعة العادات والتقاليد والتي سرعان ما تتحول إلى مجموعة أنظمة وقواعد وقوانين تنظم حياتهم.

وفي العهد البرونزي تحولت عند الشراكسة السلطة إلى الأب، فأصبح لكل عشيرة رئيسا (تحمادة) ومن مجموع العشائر تكونت القبائل وهي التي استوطنت شمال قفقاسيا. وتغيرت العادات التي كانت سائدة في عهد (سلطة الامهات) خاصة ما يتعلق منها بالزواج والميراث، وأدوار كل من الرجل والمرأة، كما ظهرت عادات تتعلق بدفن الموتى، كما كان أهم التقاليد (آنذاك) أن المرأة لها زوج واحد وأن الرجال كانوا يتزوجون اكثر من امرأة، كما كانت التقاليد تمنع الزواج من الأقارب والجيران وكان لا بد لهم من البحث عن الزوجة في القرى والقبائل الأخرى، ومن هنا ظهرت عادة (الكواسة) وهي عادة (الزواج بالفروسية) والمتمثلة بخطف الفتاة عندما يرفض الأهل تزويج ابنتهم من شاب قادم من قبيلة أخرى ومن مكان بعيد وهي العادة التي وضعت لها القواعد والأعراف وبما يتمشى مع حدود الأدب والشرف، وبما يتناسب مع المبادئ الاخلاقية المرتبطة بالفروسية. وفي تلك العصور ايضا وضعت العديد من العادات ومُرست مجموعات كثيرة من التقاليد والتي تتعلق بتنظيم الحياة العامة، وتحديد العلاقات بين الرجل والمرأة، وبين الرئيس والمرؤوس، وبين الأمير (بشه) والرعية من الاحرار مثل (اوزدن) وعامة الناس لهم وهم (الفلاحين) وفي مرحلة لاحقة وهم التابعين للأمير (ابشل)

أما بالنسبة للعادات المتعلقة بالمعتقدات الدينية تم تحديد العلاقة مع بداية عبادة المظاهر الطبيعية وكان الشراكسة يعتقدون بوجود إله أكبر اسمه (تحة) وكان من ابرز آلهتهم إله البرق (تحه شيبله) وإن أبرقت المساء وأرعدت كان ذلك فألا حسنا ودليل رضا (إله البرق) فإذا انتصروا في الحرب قاموا بتقديم الاكباش السمينة قربانا له وإذا اصاب البرق مواشيهم، يقوم الرعاة بتعليق الحيوان الذي قتله البرق على شجرة أو عامود ويذبحون عجلا فداء لماشيته، ويطعمونه لأهل القرية في حفلات يتخللها أناشيد المديح والتقرب من (إله البرق)، وكانت العادة ان لا يبكي احدٌ أبدا حتى لا يغضب منه (الإله) وإله آخر هو إله الروح (تحه – بسه) كما كانوا يصيدون شجرة اسمها (كادوش) يتعبدون في ظلها، ويقال انه كان لكل عائلة شجرة مقدسة، فإذا نوى شخص القيام بعمل هام كان يذهب إلى الشجرة المقدسة ويدعو طالبا منها التوفيق والنجاح فإن نجح يقيم حفلة تحتها ويعلق على أعضائها المأكولات، وإن عاد مخذولا حقد عليها وقام بقطعها وحرقها، ويتخذ شجرة أخرى للعبادة.

وبالنسبة (للموتى) فكانت العادة ان تفرغ احشاؤهم وعرضهم على الناس لمدة اسبوع، إن كان من علية القوم وتجلس بجانبه زوجته (بدون بكاء)، كما تقف عند رأسه فتاة شابه تهش الذباب والحشرات. وبعد انتهاء مراسم العزاء كانوا يدفنون الموتى بكامل ملابسهم مع أسلحته وقسما من اشيائهم الثمينة ويقيمون على القبر (تل ترابي) يسمى (كورغان) وكلما كان التل كبيرا كان مقام الميت كبيرا.[١]

وفي عهد انتشار المسيحية في بلاد القفقاس عامة ومنطقة (الشراكسة – الأديغة) خاصة في زمن حكم الامبراطور (جوستنيان) البيزنطي في الفترة ما بين ٥٢٧ و ٥٦٥) كان الشراكسة يسمونه (جوستين) وكما لقب بالفارس (الانتي) أي الفارس (الاديغة) فظهر بين الشراكسة رهبان ورجال دين (شوجن). وسموا يوم (الاحد) يوم الله أي (تحه – مافه) ويوم الجمعة يوم (مريم) أي يوم مريم (مافه) فظهرت عادات جديدة تتناسب مع الديانة المسيحية، فمثلا عند وفاة شخص ما كان يوضع مقص مفتوح فوق بطنه، وتضع المرأة بعد انتهائها من عجن العجين إشارة صليب (+) فوق العجينة، ولتجديد الصداقة بين شخصين تخاصما كانا يذهبان إلى المعابد الجبلية في بلاد القبرطاي واسمها (الجولات) لتجديد الصداقة بينهما، وايضا فإن عادة عدم الزواج من الأقارب قد يعود إلى تعاليم السيد المسيح... وهكذا.

وفي الفترة ما بين (١٦٨٤-١٧٥٠) ظهر المفكر والفيلسوف الشركسي الكبير (قازنوقه جباغي) في منطقة القبرطاي، وكان من طبقة العمال الذين يعملون في خدمة الامير (البشه) فأحبه الامير ومنحه الحرية وتبناه فأرسله إلى منطقة (البلقر) وهو في الرابع من عمره ليعيش في كنف أحد النبلاء "الاتالق" وتحت إشراف مباشر من قبل شخص يتميز بكل الصفات الجيدة من علم ودين وخلق، فكان لهذا النبيل الاثر الاكبر في بناء شخصية (جباغي) في هذه المرحلة المبكرة من عمره فعاد إلى قبيلة القبرطاي عام ١٧٠٠ تقريبا وهو فارس ملم بالعادات والتقاليد وأصبح ذو شهرة عظيمة وهو ما زال في سن الخامسة عشرة من عمره وتكونت شخصيته الفذة من مرافقته للأمير "حتوقشوقوة" وحضوره مجالس واجتماعات النبلاء والامراء.

واستطاع اقناع الامراء بوضع قواعد لتهذيب بعض العادات القديمة والتي لم تعد تتناسب مع مبادئ الدين الاسلامي. ومن هذه القواعد التي وضعها (جباغي) هي:

- الدعوة لإنهاء الطبقية في المجتمع الشركسي عامة ولدى القبرطاي خاصة.
- احترام المرأة وإيقاف تعدد الزوجات.
- احترام واعتبار العمل شرف والوسيلة الوحيدة للكسب الحلال وكل من لا يعمل فهو ليس بإنسان شريف.
- لا فرق بين ما يتم كسبه عن طريق النهب والسلب وما يتم كسبه عن طريق السرقة وكلاهما حرام.
- إن ما تقوله الاغلبية هي الحقيقة وما تفعله الاغلبية هي العادة.

وقام (جباغي) وبعد اقناع الامراء بوضع قواعد لتهذيب بعض العادات القديمة والضارة بالمجتمع وكان على الجميع مراعاة هذه القواعد.

وفيما يلي بعض هذه القواعد الجديدة التي وضعها (جباغي):

- احترام المرأة ولا يجوز القيام بعادة الخطيفة بدون موافقة الفتاة.
- لا يجوز تناول المشروبات الروحية والقيام بأعمال مشينة تزعج المواطنين.
- على الصغار احترام الكبار.
- الدفاع عن الوطن واجب مقدس على جميع المواطنين دون استثناء، ومن يتخلف عن هذا الواجب يحتقر من قبل المجتمع.

- الاتحاد والتعاون هما من اسباب القوة، فعلى الجميع السعي للاتحاد والتعاون.
- على أمراء ونبلاء القبردي التخلص من غرورهم والانفتاح على المجتمعات الاخرى، وبناء الصداقات مع زعماء هذه المجتمعات وعليهم ان يعلموا ان مصير شعوب شمال القفقاس مصير واحد.

كما ركز (جباغي) على اهمية التمسك بالعادات وان مخالفة تلك العادات والقيام بأعمال منافية لها هو (عيب كبير) وقد رسخ في نفوس الشعب الشركسي مفهوم العيب (حينابه) وحفره في عقولهم، وأصبح لهذه الكلمة مفعول كبير جدا، وبدأ ينشر أفكاره في منطقة القبرطاي وفي جميع المناطق الشركسية الاخرى في شمال القفقاس مقدما الامثلة والحكم التي تعبر عن القيم الشجاعة والرجولة نذكر منها:

- كل عمل له قيمة، ولكن على الانسان ان يختار عملا يتقنه.
- لا تدر ظهرك لعدوك مهما صغر.
- لا تقم بعمل وأعصابك ثائرة حيث أنك ستكون بدون أي منطق في هذه الحالة.
- لا تتهرب من الحقيقة وقل الحقيقة حتى وإن ادت إلى موتك.
- احترام العادات والتقاليد واحترام بعضنا بعضا ضرورة.
- لا تنجرف خلف اهوائك مثل أوراق الشجر الجافة التي تتقاذفها الرياح.
- كونوا دائما بجانب الخير والصدق فإن ما لم يمنحه الخير لن يعطيه الشر.
- فكر وتكلم، وانظر جيدا واجلس، وتأكد دائما من موطىء قدميك.
- الكبار أعمدة البيت واحترامهم واجب.
- إن نهاية الأشرار دائما الهلاك.
- لا حدود زمنية للصداقة الحقيقة.
- إن النبل في جوهر الإنسان وليس في اسمه.

وكانت آخر اقوال (جباغي) وهو على فراش الموت:

- عليكم احترام النساء.
- يجب انهاء جميع قضايا القتل خارج المحاكم ومعاقبة القاتل من قبل القضاء ونبذ عادة الثأر.
- يجب ان لا يستبيح الاقوياء حقوق الضعفاء.
- يجب ان تعرفوا اعداءكم جيدا.

وكانت لأفكار الفيلسوف (جباغي) الفضل الأول والأخير لتنقيح العادات القديمة، وتكييفها بما يتناسب مع مبادئ الدين الاسلامي الحنيف اولا، وبما يتماشى مع روح العصر الذي كان سائدا أواخر القرن الثامن عشر ثانيا، ثم بما يتوافق مع الروح القتالية التي كانت تتطلبها الحروب التي كان يشنها جنود التتار وقياصرة الروس ثالثا.

فمن هو قازانوقوه جباغى


تمثال قازانوقوه جباغى

هو الحكيم والفيلسوف الشركسي الذي عرف بسعة أفقه، وعمق تفكيره، بحيث تمكن من حل معضلات كثيرة جابهت الحكام عامة والناس خاصة، وتناول مختلف شؤون الحياة، وأمن الوطن القومي حيث كان (قازانوقوه) يعالج كل ما يستشار به بتأن وروية ويعمل دون تحيز أو محاباة، فيخرج بأحكامه العادلة التي أرضت الجميع (الرابح منهم والخاسر) محاولا في ذلك ترسيخ المبادئ القومية، وتدعيم روح التسامح، وإحلال الوئام محل الحقد والبغضاء، ولعلنا نلاحظ فيما نقل إلينا من أحكامه وحكمه ملامح من شخصيته الفذة، حيث كان قادرا على الاقناع وعلى نزع فتيل الشر في أحلك الظروف. وإخماد نار الثأر بين العائلات والقبائل، مستثيرا في النفس النزعات القومية وكان (لقازانوقوه) نظرة شمولية ادى إلى اكتساب المحبة والتقدير العام فقربه الامراء والحكام وأحبه عامة الشعب. كما نال تقدير كافة شعوب القفقاس من شراكسة وشيشان وانجوش وبلقر وقرشيه.

وعمل خلال حياته مع عدد كبير من حكام القبردي مثل الأمير (أرسلان قيتوقه) والأمير (حتوخجوقة) وقد اسند إليه منصب القاضي العام في منطقة القبردي، وعندما مرض (قازانوقوه) وأحس بدنو أجله طلب إعادته إلى قريته على ضفاف نهر (شروج) حيث أمضى معظم أيام حياته وأوصى بدفنه على تلة فيها كانت مكانه المفضل للاستجمام والراحة، وطلب ان يقيموا له نصبا فوق قبره.

ونفذت وصية الحكيم، إلا أن الشعب الذي أحبه اصر على تخليده في أكثر من موقع حيث اقيم له نصب تذكاري في المكان الذي عمل فيه مع الامير (حتوخجوقوه) في قرية "زيقوه" اليوم.

وأقيم له نصب ثالث على تلة تدعى (أوشحة تسج) حيث كان يعقد عليها الاجتماع العام لكافة قبائل القبردي.

أما النصب الرابع فقد اقيم في قرية (قانجة) حيث كانت تقع على مفترق طرق.

كل ذلك ليكون "قازانوقوه جباغي" قريبا بأفكاره ومثله من الشعب الذي أحبه.

ولعلنا ننصف "قازانوقوه" حين نقول أن خلوده في ذاكرة الشعب الشركسي يعود أولا وأخيرا إلى شخصية (قازانوقوة) نفسه وإلى مصداقيته في التعامل وأمانته في خدمة شعبه وإلى إنسانيته التي تركت بصماتها على وجه الزمن. [٣]

وأما (رايا مامخيغ) والتي تعتبر افضل من كتبت عن العادات الشركسية القديمة وعن نشأتها وتطورها وتطبيقها في الوطن الأم. حيث تقول بأن: (أديغا نيميس) و (أديغا خابزة) هما في المضمون شيء واحد، وبحسب تصورنا فإنها ما هي إلا مجموع النظم والعادات التي يتقيد بها الشراكسة في حياتهم وتصرفاتهم، كما تقول لقد أوجد الشراكسة مجموعة هذه العادات الشائقة والمعمقة والمدروسة بكل عناية لتحيط بكل جوانب المجتمع بشكل مذهل، وبكل جوانب الحياة والنشاطات، وتأخذ بالاعتبار التعقيدات والعلاقات المتبادلة في الأسرة والمجتمع وحتى على مستوى الدولة.

لقد لعبت (الاديغا خابزة) دورا هاما في حياة الشراكسة، ومع ذلك فقد انتقلت من جيل إلى آخر شفهيا، على الرغم من ان الشراكسة كانوا يبدون اهتماما كبيرا بالثقافة والعلوم وحب المعرفة للحياة الانسانية [٥].

وتعرف (مامخيغ) (الاديغا نيميس) بأنها مجموعة العادات والتقاليد (إتيكيت)، وكلمة إتيكيت مشتقة من الكلمة اليونانية ethos ethika وهي تعني العادات. وللتعريف العلمي للحدود الاخلاقية للاتيكيت نسوق قول ارسطو طاليس الذي تضمن:

"يعتبر الفلاسفة ان الاتيكيت تشكل بطريقة عفوية من خلال العلاقات الاجتماعية للناس، وقد ظهر نتيجة الفصل بين انشطة النظريات الدينية والتطبيقات المادية في الحياة، وكان على الاتيكيت ان يحل المشاكل ذات الطابع المهني العملي الاخلاقي التي تواجه الناس في حياتهم، كيف يجب ان نتصرف؟ ما الجيد وما الذي يعتبر شيئا ما مهم للإنسان وما الغاية من حياته؟"

أما في قاموس الكلمات الاجنبية في اللغة الروسية فقد ورد أن الاتيكيت هو: "... النظام الموضوع بدقة حول طريقة التعامل خلال العهود الاقرب **إلينا كما نجد كلمة إتيكيت في (قاموس الاتيكيت):** "بإنها مشتقة من الكلمة الفرنسية، etiguette وهي مجموعة قواعد السلوك المرتبطة بظاهر العلاقات وفيما يخص التعامل مع الناس والتعامل مع الوسط المحيط، واسلوب القاء التحية، وكيف تتصرف في الاماكن العامة، وكيف تتحرك وماذا ترتدي..." أي إن الاتيكيت هو مجموعة جزئيات السلوك الظاهري في المجتمع الذي يشكل (الثقافة الخاصة بالسلوك).

ومن وجهة نظر أخرى، فإن كلمة (نمس) ربما كانت مشتقة من الكلمة العربية (ناموس) وانها تعني الجدارة والسمعة الحسنة والقدوة والاحترام، وعند الشراكسة تستعمل هذه الكلمة لإعطاء تصور عن شخصية المرء، ويقولون بأنه شخص (لبق مربى بحسب الاصول)، ويعمل بما يقتضيه الناموس، ومؤخراً صار غالبا ما يقال وللأسف شاع تعبير "إنسان بلا ناموس أو قيم".

وكما قال المثل الشركسي القديم: "حيث لا يوجد الناموس لا توجد السعادة أيضاً [٥].

المصطلحات القومية التي تعبر عن مفهوم العادات والتقاليد الشركسية

نستنتج مما تقدم بأن الشراكسة منذ عهد الاجداد يستخدمون (أربعة) مصطلحات قومية للتعبير عن مجموعة العادات والتقاليد والاعراف والقيم القومية الشركسية وهي:

المصطلح الاول: هو أديغة خابزة أي العادات الشركسية

ويمكن تعريفها، بأنها الاعراف والقيم والمعتقدات والاتجاهات التي تنظم سلوك الشعوب الشركسية منذ القدم وتوضع لها قواعد لتنظيم الامور السياسية والاجتماعية والاقتصادية والتربوية والفنية... إلخ لتصبح مع مر الزمان في قوة القانون والدستور (غير المكتوب). وان هذه القواعد هي نتائج جميع القضايا المتعلقة بحياة الناس على اختلافهم رجالا ونساء كبارا وصغارا، حكاما ومحكومين، مثقفين وغير مثقفين. كما هي التي تنظم العلاقات بين الزوج والزوجة، والابناء والآباء، والكبار والصغار كما أنها تنظم المراسم المتعلقة بالزواج او الولادة او الموت كما تحدد اسلوب تربية الاولاد وتوزيع الادوار الاجتماعية بين الرجال والنساء.

المصطلح الثاني: هو اديغة "نمس أو ناموس"

وهي مجموعة العادات والتقاليد التي تتعلق (بالاتيكيت) وهي العادات التي تتعلق بآداب التعامل مع المرأة والاكبر سنا ومع الضيف، وهي الآداب التي تتضمن قيماً اخلاقية منها احترام كبير للآخرين، ومن العار ان يوصف الشخص الشركسي بأنه بلا (ناموس) أي لا قيم له. أما الشخص الذي يتمتع بعادات مرتبطة (بالناموس) فهو شخص لبق تمت تربيته حسب (الاصول).

المصطلح الثالث فهو: اديغة نابه

وتعني حرفيا (الوجدان والضمير أو الشرف الشركسي) ويفسر ذلك بأن الوجدان كتصنيف اخلاقي ليس صفة لفئة معينة من الناس بل لكامل الأمة، ولذلك لا يزال حتى يومنا هذا يستعمل لدى الشراكسة تعابير: (ضمير الامة والشعب والقبيلة أو العشيرة) (بلا شرف، بلا ضمير، عديم الوجدان).

وكلمة (نابه) وبحسب ورودها في النص يمكن ان تعني (ضميرا او وجدانا أو شرفا) ويقال: "ذو ضمير، انساني، اخلاقي، مستقيم) وفي التعابير القديمة المستعملة لدى الشيوخ وكبار السن يقال:

"لنأمل ان يكون لقاؤنا في العالم الآخر بأصفى (ضميرا ونية) وان نلقى الله (بوجوه بيضاء) فإذا ما تصرف احد ما بشكل غير لائق يقول الشركسي: يا للعار يا للفضيحة التي جلبتها. وإذا ما وقع احد ما في موقف حرج وشعر بالخجل فيقال عنه: إن هذا الشخص فقد الاحترام والاعتبار وأصيب بالعار واسودّ وجهه ونال الخزي وافتضح امره.

لقد أولى الشراكسة منذ القدم اهتماما جديا لهذا الرقي من الصفات الانسانية كأمور وجدانية وكانت صفة احمرار الوجه (خجلا) هي صفة محمودة إذا ما حدث وتصرف المرء بشكل شائن والانسان الذي يحمر وجهه خجلا يكون قد اعترف بتصرف ما كان يجب عليه عدم القيام به، ومثل هذا الشخص مؤهل لأن يرفع من مستوى اخلاقياته ويطورها ويرقى بنفسه روحيا.

لقد كان الشراكسة يثقون بالرجل صاحب الوجدان والضمير الحي، ذلك أن الضمير هو الذي يراقب الانسان، وهو الذي يذكره بالتزاماته تجاه الاخرين.

وكثيراً ما نسمع في اللغة الشركسية تعابير مثل: "بحسب ما يراه ضميرك، إذا سمح لك ضميرك، ضميرك يتحمل بقدر ما تسمح انت".

المصطلح الرابع: اديغة- له أو (أديغال) ومعناها (رجل شركسي بحق وحقيقة)

ويجب أن يتصف الرجل الشركسي الذي يستحق هذا اللقب أن يكون:

- كامل الرجولة، شجاع، مقدام، جريء.
- يتمتع بروح معنوية عالية معطاء قادر على التضحية في سبيل الوطن والآخرين.
- لديه حكمة قادرة على معالجة الامور بموضوعية وتجرد.
- قادر على التصرف بلباقة وكياسة وأدب مع النساء أولا ومع الاكبر سنا ثانياً.

وخلاصة القول، فإن الرجل الشركسي الذي يطبق العادات والتقاليد والاعراف التي تفرزها (الاديغة خابزة) وكذلك الذي يحافظ على (الاديغة نابه) بضميره الحي وبمحافظته على الشرف وبقدر تمتعه بالقيم الاخلاقية فإنه رجل يستحق ان يكون (اديغة – له) بمعنى انه رجل شركسي بحق وحقيقة(٥).

نستنتج من استعراض نشأة وتطور العادات والتقاليد الشركسية الحقائق التاريخية التالية:

الحقيقة الاولى: ان اجداد الشراكسة وضعوا القواعد لتنظيم حياتهم اليومية والتي اصبحت فيما بعد عادات وتقاليد كما كانت السلطة بيد الامهات ابتداء من العصور الحجرية، ثم تغيرت هذه العادات وخاصة ما يتعلق منها بالزواج والميراث وادوار كل من الرجل والمرأة بعد ان تحولت السلطة إلى الاباء في العصر البرونزي في الالفية الثالثة قبل الميلاد.

الحقيقة الثانية: ظهرت العادات المتعلقة بالمعتقدات والفكر الديني مع بدء عبادة المظاهر الطبيعية مثل عبادة ظاهرة (البرق) وعبادة إله اسمه (شبله تحه)؛ أي اله (البرق) وغيرها من عشرات بل المئات من آلهة المظاهر الطبيعية.

الحقيقة الثالثة: تغيرت وتبدلت العادات والتقاليد القومية الشركسية بعد اعتناق اجداد الشراكسة للديانة المسيحية في عهد الامبراطور البيزنطي (جوستنيان) في منتصف القرن السادس الميلادي، فتخلى أجداد الشراكسة عن بعض العادات والتقاليد التي تتعارض مع تعاليم الدين المسيحي واضافوا عادات وتقاليد اخرى تتوافق مع تعاليم هذا الدين.

الحقيقة الرابعة: عندما انتشر الدين الاسلامي في بلاد شمال القفقاس، واعتنق اجداد الشراكسة الدين الاسلامي الحنيف ابتداء من القرن الخامس عشر الميلادي وحتى القرن الثامن عشر وبالتحديد حتى

عام (١٧١٧) وهو العام الذي قام به خانات القرم بالقضاء على رجال الدين المسيحي في بلاد الشراكسة عامة وفي بلاد القبرطاي خاصة تغيرت بعض العادات الشركسية التي تتعارض مع تعاليم الدين الأسلامي.

الحقيقة الخامسة: ربما كان آخر تنقيح ومراجعة للعادات والتقاليد الشركسية القومية قد تمت على يد المفكر والفيلسوف الشركسي (قازنوقة جباغي) الذي عاش في الفترة من (١٦٨٤-١٧٥٠) حيث استطاع اقناع الامراء تهذيب بعض العادات القديمة والتي لم تعد تتناسب مع مبادئ الدين الاسلامي اولا، وضرورة انتهاء الطبقية في المجتمع الشركسي ثانياً.

- **العادات والتقاليد الشركسية من وجهة نظر الرحالة والكتّاب الاجانب**

ربما كان خير وصف للعادات والتقاليد الشركسية التي كانت سائدة في المجتمعات الشركسية في الوطن الام عامة ولدى قبيلة القبرطاي خاصة... هو وصف الجنرال الروسي [٦] (ايفان فيدروفيتش بيرغ) الذي رصد خلال عشر سنوات من حياته (١٨٣٠-١٨٤٠) المجتمع الشركسي حيث كتب واصفا حياة الشراكسة بقوله: "... **إن الطاعة العمياء للأهل، واحترام الكبير وللطاعنين في السن معمول بهما لدى هذا الشعب بمنتهى الدقة وإن الابن لا يبيح لنفسه الجلوس بحضرة والده، أو أن يجلس الابن الاصغر بحضور الاخ الأكبر سنا، وهم لا يتكلمون مع الأكبر سنا بحضور الغرباء، كما ان صغار السن المتواجدين بحضرة من هم أكبر سنا لا يتكلمون بصوت عال ابداً، ولا يبتسمون، وعليهم فقط الرد عندما يطرح عليهم أي سؤال، وتفرض العادات على الأصغر الوقوف عند ظهور كبار السن رجالا أم نساء، حتى لو كان القادم أقل منزلة اجتماعية، ويمكن الجلوس فقط بعد ان يتوجه الشخص الذي وقفوا احتراما له بقوله (ف. تسه) ومعناها (اجلسوا) ولا يمكن هنا أبدا تجاهل هذه التقاليد، وهم متعصبون جدا للحفاظ على هذه العادات الصعبة.**

كما قال "... إن الشراكسة في حياتهم الخاصة ليسوا سيئين أبدا، ولا ينقصهم التفكير السوي، وهم مضيافون وأذكياء، معتدلون ومتواضعون في طعامهم وتعاطيهم للشراب، مخلصون في صداقتهم، شجعان، مقدامون في الحروب...".

واستطرد قائلا: ... وبحسب العادات المتداولة منذ القدم ليس للأمراء ان يقوموا بتربية ابنائهم في منازلهم أو بإشرافهم، وعليهم ما أمكن باكرا (ليس بعيدا عن زمن الولادة) إرسالهم ليتربوا في بيت آخر، أي بيت النبلاء (الاوزدن) ويبذلون قصارى جهده من أجل الحصول على هذا الشرف. والمنزل الذي يقع عليه اختيار تربية الأمير يعتبر ذلك ثقة كبيرة وشرفاً كبيراً لتلك الاسرة.

ويدعى المربي المختار في تلك الحالة (اتالق)، وعليه ان يعلم الشركسي ويطعم (المربي) حتى يحين موعد إعادته إلى أهله، وهو غالبا عند بلوغه سن الرجولة وبعد ان تكون تربيته قد تمت.

وتتضمن التربية المذكورة التدريب على مختلف الرياضات العضلية المجهدة، والتي تؤدي إلى القوة الجسدية والمهارة في ركوب الخيل وأساليب الإغارة والقتال العسكري والرمي بالقوس والبندقية والمسدس وغيرها، كما أن التربية تشمل أسلوب الحديث والمناقشة والمعالجة مما يساعده على التحدث في الاجتماعات واللقاءات العامة.

ولهذا الغرض يقوم المربي (الاتالق) بتدريب المربي لديه (القان) على كل ما يقوّي لديه البنية او الذكاء، مستعملا احيانا بعض الحيل للتوصل إلى ذلك.

وعندما يبلغ المربي سن الشباب، أو كما يقول الشراكسة أصبح مستوعبا لفنون القتال، يعيده مربوه لأهله وذويه بوجود والده وجميع أقاربه، حيث تقام وليمة فاخرة (يؤكل فيها نوع من الحبوب) وتهدى إلى المربي (الاتالق) هدايا قيمة من الاسلحة والمواشي والجياد.

ويبقى المربي طوال حياته مجال احترام من قبل أسرة الشاب الذي تربى لديه، ويتعاملون معه كفرد من العائلة.

أما اطفال الاسر العادية فيتربون في كنف أسرهم أو أسر مشابهة لهم اجتماعيا، ويتدربون على الحراثة وليس على فنون القتال، وهذا بسبب النظرة السياسية والاجتماعية حيث يجب أن لا يشكل هؤلاء عند كبرهم خطرا على الأمراء الذين يرغبون بإبقائهم بمنزلهم كتابعين لهم (بشل).

وأما بنات الامراء فيتربين ايضا في بيوت أخرى، وتتولى تربيتهن نساء الـــ (أوزدن) من النبلاء، حيث يخضعونهن إلى الطاعة العمياء، ويعلمونهن الخياطة والتطريز بخيوط الذهب والفضة وغيرها من الاعمال اليدوية، ولا يسمح لهن بالتحدث إلى الغرباء بل مع الاهل فقط، وذلك لا يعني انهن يعشن حياة الرهبنة، وإذا ما اضطررن للرد على سؤال أحد الغرباء فإنهن تأدبا يقمن بذلك وقد استدرن بنصف دورة تقريبا وعيونهن مسبلة للاسفل.

ويلتقي الشباب من كلا الجنسين باستثناء سلالة الأمراء، ويتم ذلك في كافة التجمعات وبحضور الأهل، ويقضون اوقاتهم في الرقص وبممارسة الألعاب المختلفة، وهم بذلك يتعارفون من خلال طقوس القرية الذاتية.

ويستطرد قائلا: "لا تتمتع الفتيات الشركسيات فقط بشهرة الجمال الخلاب الموروث عن أسلافهن، بل إن لديهن ميزة هامة تنبع من المعطيات الروحية لهذا الشعب، ونحن نتكلم هنا عن عادة الاحترام والتقدير الفائق الذي يكنه الشراكسة للمرأة ويتمثل هذا الاحترام من توقف القتال فورا وانهاء سفك الدماء، ان قامت امرأة مكشوفة الرأس برمي نفسها بين فارسين يقتتلان خاصة إذا كانت المرأة متقدمة في السن أو من أسرة مشهورة.

وكذلك يكفي أي مطارد ان يأوي أو يختبئ لدى امرأة حتى يصبح من المحرم المساس به، وكذلك لا يمكن ايقاع أية عقوبة به أو انتقام وخاصة القتل بوجود امرأة، وان كان من المتعارف عليه في أوساط الشراكسة أنه من العار اللجوء إلى حماية المرأة، ولذلك لا يلجأ إليها إلا في حالات نادرة.

وكذلك فإن كتابات الداعية السياسي الانجليزي الاصل (جيم بل) حول العادات الشركسية عامة وعادات كرم الضيافة خاصة خلال عيشه في المجتمع الشركسي في منطقة القبرطاي وتشركيسيا عام ١٨٣٧-١٨٣٩.. يقول في إحدى كتاباته:

"لقد ادهشني عدد الأشخاص ذوي الطلعة الجميلة، إن تقاطيع وجوههم الرائعة وقاماتهم المديدة، والصدور العريضة، والاكتاف المتينة مع خصور نحيلة، واقدام متوسطة الحجم، كل ذلك يضاف إلى العيون المشبعة بالحيوية بشكل مدهش...".

"... في أثناء وجودك هناك يمكنك القول بكل ثقة إن هؤلاء الرجال هم خير عطاء قدمته هذه الأرض...".

بعدها يتابع جيم بل:

"... إنهم لا يستعملون أية ألقاب عند التخاطب حتى إن التابعين يخاطبون مرؤوسيهم بأسمائهم المباشرة، **وإنما لا تجري مخالفة التقاليد باحترام الكبار في السن والمستوى...**".

"**... لقد نسيت التذكير حول الشرف الرائع الذي منحني إياه مضيفي مساء البارحة، فبعد الصلاة (وبحضور عدد من الشهود بمن فيهم مترجمي) توجه صاحب الدار من عند المذكورين باتجاه منزله حيث قام أحمد (أي المضيف صاحب الدار) شخصيا بالتضحية (بعجل صغير) من أجل توطيد الصداقة الاخوية بيننا، وقال لي: "عليك ان تعتبر نفسك منذ الآن فردا من أفراد العائلة التي على كل منا احترامها وحمايتها**".

ويتذكر بيل منزلا آخر كان يحل فيه ضيفا بقوله:

"... لقد استقبلني الاخ الأكبر لمضيفي بمنتهى الحفاوة القلبية وخاطبني باحترام كبير ولباقة مميزة قائلا:

"سوف نعتبر ان لدينا أما وابا آخراً منذ الازل"، وقد قبلت منه هذا القول مع بعض التحوير المعنوي، ثم طلب مني (محمد) ان نتبادل ملابسنا كي أصبح أكثر شبها بالشراكسة، وهكذا قام بحشر

أكتافه العريضة ذات العضلات في معطفي الأنيق، بينما سعدت أنا كثيرا لشعوري بالارتياح الكبير وأنا ارتدي ملابسه الواسعة علي والمصنوعة من الجوخ الغامق، وكانت موشاة بالذهب والفضة عند الاكمام وخيطت على صدرها جيوب صغيرة للرصاص..

... أما عن غذائنا اليومي أو بالأحرى (أغذيتنا) فقد غطت على عشائنا البارحة، لقد حاولت لفترة طويلة ان أحصي عدد أصناف الطعام وكنت أخطئ في كل مرة، وقد قال لي خادمي فيما بعد إني لم أر إلا جزءا يسيرا منها فقط بعد أن تأكدوا أننا "تغدينا" من فترة وجيزة فلم يقدموا الباقي. وقد لبينا دعوة العشاء مجاراة للعادات وتذوقت بعض اصناف الطعام حيث لم يكن بالامكان رفض هذا الشرف...

وقد أكد (خادمي) الذي كان يرافقني أنه رأى صفوفا من الطعام على إحدى الموائد كأنها في تنظيم عسكري، وقد عد في إحدى المآدب (اثنين وأربعين صنفا)، بينما تكونت أخرى من خمسة وأربعين، ولقد تساءلت إن كانت مضيفة المنزل قد حاولت جمع المعلومات عن عدد الاصناف التي قدمتها جارتها...

ومما أثار دهشة (بيل) ايضا المشهد التالي الذي يذكره بكل إعجاب:

"... في الطريق خرج لاستقبالنا أحد الزعماء مرتديا درعا من الزرد، وكان مظهره عسكريا تماما، وسبقه مرافقوه للقائنا ثم ما لبث ان انضم إلينا شاب كان قد لاحظته سابقا حيث كان مميزا حتى عن مماثليه ببنيته القوية وبحيوية، فقام هذا الشاب باستعراض مهارته أمامنا من فن قيادة الخيول وشهر السلاح في كافة حالات الركوب ورفع غطاء السلاح وإطلاق النار على قبعة ملقاة على الأرض، إضافة إلى استعراض براعات أخرى كالقفز من السرج مع تعمر السلاح في وقت واحد أو خطف السيوف من اغمادها..." (٧).

وكذلك فإن "بويكو" يقول في مقدمة كتابه (الخداع في القفقاس):

"... إن كلاسيكيي الأدب الروسي قد فنّدوا الاكاذيب بمؤلفاتهم الرائعة عن الصفات التي لا تنسى للقفقاسيين، ومن هؤلاء الكتاب أملات بيك، بستوجيف، مارلينسكي، كازبيتش، بيلا، متسيري، م، يو لير منتوف وآخرون".

ويمضي مؤلف (الخداع في القفقاس) أكثر من ذلك، حيث إنه وبكل صراحة يمتدح شعبا بأكمله وليس أشخاصا محددين بقوله:

"... كم أحب طبيعة الشرف البدائية لديهم، خذ الشركسي وتمحص فيه كإنسان، كم هو محب لعائلته، متدين ولا يعرف الكفر او الالحاد على الرغم من المناسك القاسية لديانته، كم هو واع ومتفهم ومتواضع في متطلباته وحياته! إنه يؤمن بالصداقة ويحترم الحياة الروحية، كما يحترم كبار السن ويجل والديه، وأما عن الشجاعة فماذا يمكن القول وهي معروفة للجميع، كما انه ينصاع مغمض العينين لتقاليده القديمة التي تعتبر بمثابة القانون، وعندما يدعوه الواجب الاجتماعي العام للتطوع فإنه يندفع بكل قواه هاجرا كل شيء، متناسيا عداوته وحتى ثأره وسفك الدماء الحاصل".(٨)

وفي عام ١٨٣٣ كتب العالم المشهور (فريدريك) وهو جغرافي وعالم طبيعة وآثار عن مشاهداته في بلاد الشراكسة قائلا: "... إن الوضع الحالي للشراكسة يثير في الذاكرة صور الحضارة في أيامها الأولى في ممالك ألمانيا وفرنسا، حيث المظاهر الاقطاعية والنبلاء وأرستقراطيات العصور الوسطى والبطولات لدى وجهاء اليونان القديمة. كما ان الروح القبلية نامية للغاية وهي أقوى مما كانت عليه في المانيا وفرنسا، ويشكل الأمراء ونبلاء الريف والمحررون وفلاحو الأراضي والاقنان طبقات المجتمع الشركسي الخمس.

ويتابع قائلا:

"إن سكان السواحل من الشراكسة طوال القامة، ذوو أجسام متناسقة وأنيقة، وهم يحرصون دائما على الحفاظ على هذا الجمال بشد خصورهم بالقشط الجلدية، ومشيتهم خفيفة ورشيقة، برؤوس

متطاولة وعيون داكنة، أما أنوفهم فهي دقيقة وجميلة، وعظام الفك طويلة وحسنة التوضع..." . "... من أكبر الاساءات في المجتمع الشركسي الزواج غير المتكافئ اجتماعيا". "... وكما كانت الحال لدى (إسبارطة القديمة)، فإن المتزوج من الرجال لا يظهر امام الاخرين بصحبة زوجه ابدا، وهو يقابلها منفردا فقط، أما الحديث مع الزوج عن أمور تخص الزوجة فهو من قلة الادب والعيب. وإنما مع تقدم الاشخاص في السن يمكن ان يخف التقيد بذلك وبنسب محدودة..".

كما يصف المآكل ونظام الحياة ومزاجهم وشدة تحملهم غير الطبيعية والصبر والجلد وعدم التذمر خلال اعمالهم.

وكذلك فإن جورجيو انتريانو الرحالة والجغرافي الايطالي وعالم دراسة تاريخ الشعوب: "إن هؤلاء الزيخ (التسمية القديمة للشراكسة) جميلو الطلعة بغالبيتهم وممشوقو القوام، وقد تصادف في القاهرة في (مصر) اناسا متميزين بضخامة اجسادهم من المماليك والأمراء وهم بغالبيتهم كما يقال من هذه القبائل، ويمكن ذكر الشيء نفسه عن نسائهم اللواتي يعتبرن في تلك البلاد اكثر الناس إكراما للضيف حتى بالنسبة للغرباء.

ويكتب انتريانو عن المستوى الاخلاقي للشراكسة قائلا: "إن لديهم اعتقادا بأنه لا يجوز اعتبار أي انسان عريقا إذا ما وجدت مسموعيات عن قيامه بعمل شائن في وقت ما، حتى لو كان لدى هذا الإنسان سلالة عريقة ومن نسل القيصر نفسه".

وهم لا يرغبون في ان يمارس اتباعهم اية اعمال تجارية باستثناء بيع منتجاتهم الخاصة، كما يقولون بأن واجب الانسان العريق ان يقود قومه فقط ويدافع عنهم، إضافة إلى ممارسته رياضة الصيد والتمارين القتالية. [١٠]

وصف موجز لأهم العادات والتقاليد القومية الشركسية

وفيما يلي وصف موجز لأهم العادات والأعراف والتقاليد والقيم الشركسية التي تشكل مبادئ دستورية يلتزم بها الامراء والنبلاء واعيان القوم قبل عامة الشعب كما يطبقها الصغار قبل الكبار، ويتمسك بها كل من الرجال والنساء على حد سواء كما يطبقها الاغنياء قبل الفقراء.. وخلاصة القول بأن مجتمع الشراكسة اينما كانوا يلتزمون بها التزاما حرفيا منذ عصر الاجداد وحتى يومنا الحاضر .

ويمكن ايجازها في (احدى عشرة) مجموعة من العادات والتقاليد والاعراف وهي على النحو التالي:

المجموعة الاولى: وهي العادات والتقاليد المرتبطة باحترام المرأة الشركسية

قال الانثربولوجي رادكليف براون: إذا كانت المرأة في الغرب تتمتع بحرية أكبر فالمرأة الشركسية تحظى باحترام أوسع.

والدارس للعادات الشركسية المتعلقة باحترام المرأة وحقوقها في المجتمعات الشركسية في الوطن الأم أو في بلاد المهجر يجد بأن أبرز هذه العادات هي:

١- تقديم المرأة على الرجل في المجالس عامة.

٢- وقوف الرجال إن كانوا جالسين عند مرور امرأة في الطريق العام او في أي مكان آخر.

٣- التحدث مع المرأة بأدب واستخدام تعابير خاصة تدل على الاحترام الشديد والتبجيل لها. وكانت العادة اذا تشاجر رجلان وحضرت امرأة ورمت منديلها يتم ايقاف الشجار حالا، ومن عاداتهم ايضا تحريم القتل تحت سقف بيتها أو بحضورها.

٤- احترام بل تحريم المساس بأي شخص أصبح دخيلا على امرأة مهما كان ذنبه أو جريمته التي ارتكبها.

٥- التوقف عن الحديث والوقوف عندما تبادر المرأة بالتحية، فالعادة أن المرأة هي التي تمد يدها للمصافحة.

٦- إن صادف رجل وهو على ظهر جواده، فلا يجوز له الاقتراب من المرأة بالجواد بل عليه الترجل عن الجواد والاقتراب منها ممسكا باللجام، ثم يلقي عليها التحية، ويرافقها ماشيا بضع خطوات ثم يتابع طريقه إن لم تكن بحاجة لمساعدتها.

٧- على الرجل الماشي إن صادف امرأة في طريقه ان يدعها تمر عن يمينه (لأنه يحمل سلاحه بالجانب الايسر).

٨- احتراما للمرأة جرت العادة ان لا يتجادل الرجال او يتخاصموا او يتعاركوا بحضور امرأة، بل إن العادة أن يتوقف عن كل ذلك عندما تظهر امرأة او تطلب منهم ذلك.

٩- مراعاة حسن مظهر الرجال عند زيارة او مقابلة امرأة (خاصة الجارات أو القريبات منه) كأن يظهر أمامها حافيا أو أشعث الشعر أو في ملابسه الداخلي... الخ.

١٠- تقديم العون والمساعدة للمرأة إن طلبت ذلك أم لم تطلب، خاصة إذا صدف أن كانت تقوم بجهد بدني أو عمل من أعمال الرجال مثل التحطيب أو حمل شيء ثقيل.

١١- ضرب المرأة من المحرمات في (الناموس) الشركسي وليس من الرجولة أيضا إهانة امرأة أو التحدث معها بألفاظ نابيه، وكل من يفعل ذلك كان يحاكم ويحاسب أمام مجلس الكبار (التحمادة) كما كان ينبذ من المجتمع.

١٢- من المحرمات حسب العادات الشركسية قتل امرأة (اية امرأة) وأكبر دليل على ذلك الحادثة التي ذكرها (جون بادلي) وخلاصتها بأن المقاتلين الشركس كانوا يحاصرون موقعا روسيا ويطلقون النار عليه تمهيدا لاقتحامه، وحدث أن مرت أمامهم زوجة قائد الموقع، فتوقفوا عن اطلاق النار، وتراجعوا عن الموقع لأنه من أكبر العيوب والنقائص اطلاق النار على امرأة.

١٣- ومن عادة الاوانس الجركسيات أن لا يحتجبن ما دمن غير متزوجات ويخالطن الرجال ويجلسن في مجالسهم ويرقصن معهم ويشاركن الرجال في أحوال كثيرة وكل هذا في دائرة الحشمة الوقار.

١٤- من عادة الشراكسة تعظيم النساء عامة والعرائس والاوانس منهن خاصة، ونستدل على ذلك من حرص الجميع على مناداة العروسة بـــ (كواشه نيسه) يعني العروسة السيدة، والوالدات المسنات بـــ (كواشه نان) يعني السيدة الجدة، والرجال بـــ (زي ويس حن) يعني الذي "افندية" والأولاد الذكور بـــ "دينه – نف" يعني نور العيون. كما كانت العروس تنادي اخت (الحمى) بأسماء مستعارة تعبر عن مشاعرها الخاصة تجاهها مثل: "دشه" الذهب "أديغة"، الشمس "الف"، الضوء "داخة"، وحلوتي، وغير ذلك.

وبحسب المبدأ نفسه كانت الكنة تنادي أخت الزوج: بالرشيقة أو الخفيفة الحركة، يا ذات البشرة البيضاء، يا ذات الوجه الوضاء. (وكأن البياض أحد اهم معالم الجمال لدى الشراكسة)، ولذلك كان اسم بيضاء البشرة، البيضاء، يستعمل كثيرا كأسماء مستعارة.

وايضا كلمة الرشيقة، سريعة الحركة، العذبة.. والمقصود هنا الجاذبية والنعومة واللطف، وكانت تستعمل كذلك كلمات مثل (فاتنة العينين وذهبية العينين أو سوداء العينين وذات العينين الحور) وغيرها او بيضاء الوجه أو الحسناء ذات العيون الكستنائية.

كما كان يختار لشقيق الزوج أسماء بحسب المبدأ ذاته: مثل الفارس، شاب نارتي، فارس مقدام، بطل... الخ.

اما والدا الزوج فعليها ان تناديهما بالجد والجدة او (تحمادة) للجد أو "وكواشة" للجدة أو الحماية ولا يجوز ذكر اسمائهم الحقيقية أمام الآخرين من داخل العائلة أو خارجها.

ومن الاحداث والوقائع النادرة التي نستدل منها مدى قوة وتأثير العادات هي الرواية التالية: "حدث أن كانت امرأة شركسية تتلو القرآن حتى وصلت إلى موضع وردت فيه كلمة (حسن) وتلعثمت ثم قرأت (قرضاصاواتسوك) عوضا عن (قرضا حسنا) مع العلم ان المسلم لا يسمح له بتغير الفاظ القرآن وإلا اعتبر ذلك خطيئة كبيرة، وبالنسبة لهذه المرأة فقد كان (حسن) اسم شقيق زوجها الذي لا يسمح لها حسب العادات بلفظ اسمه الحقيقي وهكذا فقد غيرت اسمه عامدة مفضلة تحمل إثم تغيير القرآن على إثم الانحراف عن العادات الشركسية.

تلك هي (مظاهر احترام المرأة الشركسية وحقوقها) حسب العادات والتقاليد الشركسية وبالمقابل فإن العادات تلزمها طاعة الوالدين طاعة عمياء وكذلك طاعة زوجها إن كانت متزوجة، وتقديم كل ما يلزم من خدمات لإسعاد الزوج، وأن تكون زوجة مثالية وأماً وفية وأن تقوم بكل متطلبات الحياة الزوجية والأسرية.

كما ان الامثلة الشركسية تؤكد على اهمية دور المرأة الشركسية عامة والزوجة خاصة، ومن هذه الامثال المأثورة .

- دار لا امرأة فيها كأرض بلا نبات.
- الحظ يأتي مع الزوجة الصالحة.
- المرأة الفاجرة تجعل زوجها يخرف "يصاب بلوثة عقلية" قبل الأوان.
- انظر إلى الام وتزوج الابنة.

المجموعة الثانية: وهي العادات والتقاليد المرتبطة باحترام كبار السن من الجنسين

ربما كان أفضل وصف للعادات المرتبطة بكبار السن هو ما قاله بعض الكتاب الروس والألمان حول مبدأ احترام الكبار لدى الشراكسة ونقتبس منه بعض الفقرات التي أوردها الكاتب الشركسي في الوطن الأم (ب. خ.) بغجنوقة.

ويقول مؤرخ القرن التاسع عشر الروسي المعروف برونيشكي بأنه "لا يحق للفتى الجلوس أمام والده فقط، كما لا يحق له الجلوس بحضرة أخيه الأكبر أيضا، ولا يحق له مشاركة الكبار في أحاديثهم، وإذا ما كانوا في مجلس للكبار فعليهم ان لا يرفعوا أصواتهم في الحديث، أو الضحك، كما عليهم الاجابة بتواضع عن اسئلة الكبار".

ويقول العالم الالماني "كوخ" بهذا الصدد: "في الوقت الذي لم تكن فيه الحكومة الالمانية، وللأسف، تعير المسنين اهتماما كافيا، هؤلاء الذين يعتمدون في حياتهم على الشباب بشكل رئيسي، نجد أن شيوخ الشراكسة كانوا يتمتعون باحترام عام وكامل، ولم تكن الاساءة لهم تقابل باحتقار المجتمع فقط، بل وكان المسيء يعرض نفسه إلى عقاب يقرر في اجتماع عام وحسب اساءته".

واما ضابط الجيش الروسي "ترناو"، والذي كان في اسر الكبارديين لمدة عامين (١٨٣٦-١٨٣٨) يقول في كتابه (الاديغة):

"للعمر عند الجبليين (الاديغة) مكانة سامية، وعلى الشاب، وبغض النظر عن نسبه وأصالته القيام احتراما لكل مسن ولو لم يكن يعرفه، وعليه ان يخلي له مجلسا ويقدمه له، ولا يجلس حتى يأذن له بذلك، كما ان عليه المحافظة على الصمت والهدوء امامه والاجابة عن اسئلته باختصار واحترام. وان كل ما يعمله الشاب في خدمة ذوي الشعور البيضاء تزيده شرفا وعلوا، ونجد أيضا انه حتى المسنين غير المقتدرين غير معفيين من هذه القاعدة".

واما الكاتبة الشركسية من الوطن الأم (مامخيغ) فتقول: "يولي الشركسي اهتماما خاصا بالكبار مثل: الأكبر في العائلة والأكبر في العشيرة، والأكبر في المجموعة وقد يكون الأكبر في السن أو في المنصب.

ومن المفيد ملاحظة ان كلمة (كبير) تستعمل في اللغة الشركسية بصيغة المفرد غالبا، مع التعدد في المفاهيم، وهذا يعني بالنسبة للشركسي أن كل كبير من الأهل أو غيرهم أو من الاقرباء أو المعارف أو حتى من غير المعارف له كل الحق بالاحترام، وعلى الشركسي أن يستمع للأكبر بشكل خاص وإلى أي ملاحظة يبديها ويتقبلها كمعلومة، وأن يتقدم له بالشكر".

وتقول ايضا: "ومنذ وقت ليس بالبعيد كان لا يمكن ان نرى فتى أو فتاة شابة عبر عن رأيه أو مشاعره بشكل غير لائق، أو ان يتصرف بشكل غير مناسب، أو لا يتمتع بالمظهر المقبول، فقد كان أحد الكبار يدنو منه حتما ويحييه ثم يتعرف إليه من أية أسرة أو أية عشيرة هو، ثم يعبر له عن رأيه حول تصرفه، وما كان الشباب في تلك الحالة ليعترضوا، بل كانوا يصغون بكل انتباه حتى نهاية حديثه، ثم يعتذرون منه ويشكرونه على ملاحظته ويتوارون بأقصى سرعة".

وربما كان أحد مظاهر سوء (التربية) او انعدامها هو اعتراض الأصغر سنا على ملاحظات الاكبر، أو إبداء أي شكل من أشكال عدم الرضا لملاحظاته.

كما يجب أن نلاحظ ان آداب المخاطبة عند الشراكسة تتضمن صيغة الجمع ولا توجد مفردات خاصة بالكبار، أي يؤخذ بالاعتبار ايضا تغير لهجة ونبرة الحديث وغيرها من الأساليب اللغوية الأخرى المعبرة عن الفكرة المطلوبة مثل:

(الوقفة، النظرة، ترادف الكلمات المستعملة، وتيرة الصوت)، وإليكم مثلا كيف يعامل الأكبر سنا وفقا للعادات الشركسية:

- لا يمر احد قاطعا الطريق من أمامه ولا بأية حال، بل يتوقف الأصغر سنا حتى يعبر الأكبر سنا طريقه.
- لا يقاطع حديثه أبدا ولا يتكلم أحد بصوت مرتفع بحضور الكبار، ولا يثار أي ضجيج ولا يتمادون في المزاح، أو العراك أو الجدال أمامه فذلك كله غير وارد نهائيا بوجود الكبار.
- للأكبر سنا أفضل الأماكن على مائدة الطعام وفي أي المجالس ووسائل المواصلات.
- لا ينادي على الأكبر سنا في الطريق لسؤاله عن شيء ما، بل يسير خلفه وكذلك لا يتجاوزه.
- يخصص للأكبر سنا المقاعد الأمامية وهي ابعد زاوية عن الباب وفي أثناء المسير يرافقه الاصغر سنا، وعادة يمشون معه وفق الترتيب التالي:
- إذا ما كان المرافق واحدا فإنه يمشي عن يسار الأكبر ويبقي له الطرف الايمن خالياً، أما إذا كانوا ثلاثة فإن الأكبر يمشي في الوسط وعن يساره من يليه في السن والأصغر عن يمينه، وكان هذا ملائما من حيث انه إذا ما دعت الحاجة إلى تكليف أصغرهم بأمر ما وبقي اثنان، لم يكن ثمة حاجة إلى تبادل الأماكن في السير.
- وإذا ما سأل احد الكبار في الطريق من هو أصغر منه عن مكان ما، فلا يجوز الإشارة بالإصبع او الشرح، بل كانوا يقومون بمرافقته إلى حيث يريد ويتابعون سيرهم، ولكن حتى الكبار في السن كانوا يتوجهون بمظاهر الاحترام عند لقائهم أشخاصا معتبرين اجتماعيا كأبطال للأمة والذين هم قدوة للآخرين كافة.

ويكتب عن مثل ذلك "ت. م. كيراشييف" في روايته (ابنة الشابسوغ) قائلا:

... لاح له في الطريق بمواجهته فارس ما، وتبين له أنه فلاح عجوز، وعندما اقترب كل منهما من الآخر توقف العجوز وترجل عن جواده، وتوجه إليه ماشيا جارا جواده خلفه، معبرا بذلك عن احترامه للضيف الذي يبدو أنه قد عرفه، وأسرع الضيف إليه أيضا قائلا له:

وصولا ميمونا (حاتخه محمد)، بادر العجوز، فرد الضيف: أطال الله في عمرك.

وكان (حاتخه محمد) نجما مشهورا لدى الشابسوغ، قائدا لمجموعة مقاتلة، وقد نظم الشعراء من الأغاني والأساطير حول بطولاته وشجاعته.

وبعد تلك التحية قام (الشيخ) بكل احترام بمساعدة الضيف على امتطاء حصانه، ممسكا اللجام بإحدى يديه والركاب بالأخرى، وتقديرا للضيف المجيد قام (العجوز) بالالتفاف ومرافقة الضيف سائرا عن يساره.

وبعد مضي بعض الوقت أوقف (حاتخه محمد) جواده وشكر العجوز لما أبداه له من الاحترام، وطلب منه متابعة طريقه إلى حيث كان يبغي...

- استشارة الكبار في السن في العائلة الواحدة والأخذ برأيهم، وعدم ازعاجهم، والقيام بخدمتهم شخصيا مثل قص الاظافر وتمشيط الشعر، وإطعام الكبير في السن ومرافقته في نزهة خارج المنزل وحتى النوم معه ليلا في غرفته او حتى في فراشه ان كانت صحته تسمح بذلك.
- وفي موائد الطعام يخصص للاكبر سنا أفضل الطعام خاصة قطع اللحم أو الدجاج.. ولا يبدأ الطعام إلا بعد أن يسمح بذلك الاكبر سنا على المائدة.
- لا يقوم أحد من الابناء أو الاحفاد بالتدخين أمامه وبحضوره وقد يصبح عمر الابن ستين عاما ولم يقم بالتدخين امام والده.
- إن دخل احد كبار السن مكانا او مجلسا تعطى له الصدارة، وكان أحد ابنائه أو احفاده مشاركين في الحفلة ينسحبون فورا ويقفون بالصفوف الخلفية خاصة في حفلات الرقص الشركسي.
- من مظاهر احترام الكبار، الحادثة التي اوردها احد المسنين من شراكسة المهجر في تركيا الحادثة التالية:

"لاحظ احد الشبان ابنه في اثناء لعبه وقد اقترب من حافة منحدر خطير وتعلق به خشية السقوط، وعلى بعد خطوات توقف بعض كبار السن دون ان ينتبهوا إلى ذلك، فما كان من الأب إلا ان اقترب من الطفل ووطأ بقدمه على قميصه مانعا إياه من السقوط إنقاذا لحياته، دون ان يهرع لحمله بين يديه بوجود المسنين".

المجموعة الثالثة: وهي العادات المرتبطة بالتربية القومية الشركسية

ربما كانت العادات المرتبطة بالتربية القومية لدى الشراكسة من العادات التي اعطت خصائص مميزة للشخصية القومية الشركسية من الجنسين... إن الانظمة التربوية التي كانت سائدة في المجتمعات الشركسية منذ عصر فجر التاريخ وفي العصر الحديث كانت انظمة تنفرد بها الأمة الشركسية منذ عصر الاجداد... وان أحدا من المؤرخين لم يذكر بأن شعبا أو قوماً من الاقوام القديمة كان لديها انظمة تربوية مشابهة للانظمة التي كانت سائدة لدى الأمة الشركسية وان كان اليونانيون في عهد (اسبارطة) يتبعون نظاما تربويا مشابها للنظام التربوي الشركسي المسمى (تربية الاتالق) إلا أن الدولة هي التي كانت تقوم بتربية اطفال في اسبارطة وليس الاشخاص او العائلات كما هو الحال في النظام التربوي الشركسي.

وللوقوف على العادات المرتبطة بالنظام التربوي القومي الشركسي قمنا بمراجعة بعض الدراسات التي قام بها بعض المهتمين من الباحثين الشراكسة منهم دراسة (يخول) ولخص لنا المراسم المرتبطة بتربية الطفل منذ الولادة وحتى نهاية السنة الاولى من عمره.

وبتحليل هذه الدراسة توصلنا إلى أن الشراكسة كانوا يولون المراسم المرتبطة بكل مرحلة من المراحل العمرية منذ السنة الاولى من ولادة الطفل والتي تضمنت اربعة انواع من المراسم وهي على النحو التالي: [١١]

(١) مراسم مرحلة الولادة: وتتم في الشهور الستة الأولى وهي المرحلة التي يتم فيها وضع الطفل في (الكوشة) أي سرير الطفل الخشب الهزاز.

(٢) مراسم اطعام الطفل: وتبدأ بعد ستة أو سبعة أشهر من عمر الطفل حيث يتم فيها تقديم طعام اضافي للطفل مع حليب الرضاعة وعندما يصبح عمره سنة يقدم له طعام الكبار تقريبا.

(٣) مراسم مشي الطفل، وفيها يتم تفصيل لباس أحمر جميل ويزين بألوان مزركشة بهدف الهاء الناظر للطفل بهذه الزركشة وابعاد عين الحسد عنه.

(٤) مراسم مرحلة قص شعر الطفل: وكانت العادة قص شعر الطفل لأول مرة وعلى (الصفر) باحتفال خاص عندما يبلغ عمره سنة... وتقديم الطعام للحاضرين في هذا الاحتفال.

* عادة إرضاع الطفل من نساء شركسيات من جيران الأم أو من اقربائهن بهدف توسيع صلة الاخوة بين ابناء الشراكسة.

* عادة تربية ابناء الامراء والنبلاء [١٢] عند مربين من الدوق او النبلاء ويسمون (الاتالق) والطفل الربيب يسمى (قان) .

* عادة ابعاد الطفل عن والده، وعدم مداعبته ولا يأكل معه حتى طفولته المتأخرة وتركه مع أمه ومع المربين بالنسبة لأبناء الأمراء [١٣].

* عادة تربية الفتيات على السلوك الذي يجب ان يسلكوه بعد زواجها وعلى الاسلوب الذي يجب ان تتبعه في تعاملها مع الحماة والحماية وكبار السن في أسرة الزوج. [١٤]

المجموعة الرابعة: وهي العادات والتقاليد المتعلقة بالزواج عند الشراكسة

ربما كان (الزواج) من أكثر مكونات حياة الشراكسة منذ القدم تنظيما وانضباطا وفق احكام العادات والتقاليد وبما يتماشى مع تعاليم الدين الاسلامي الحنيف وربما **كان الشاعر الروسي (مينتوف) افضل من وصف بعض العادات المتعلقة بالاعراس في رواية، له حيث كان شاهد عيان وقد دوّن ذلك بأسلوبه الشاعري قائلا: يقرأ، "الملا" آيات من القرآن قبل كل شيء، ثم تقدم الهدايا للعروسين واقربائهما جميعا، ثم يأكل الناس ويشربون (البوزا) ويقصد بها (الباخسمة) ويبدأ استعراض العاب الفرسان بشخص قذر يرتدي اسمالا من الملابس، فيمتطي حصانا أعرج ويقوم بحركات مضحكة يسلي بها الناس، حتى إذا جاء المساء بدأ في القاعة شيء يشبه أن يكون حفلة رقص، ثم يأخذ رجل عجوز بالضرب على الاوتار الثلاثة من آلة موسيقية، فينهض الشباب والصبايا ويصطفون صفين متقابلين ويصفقون، ثم يتقدم إلى وسطهم فتاة وفتى يتناشدان بصوت رتيب ما يخطر على بالهما من أبيات يرددها الناس بعدهما كأنهم جوقة" ويتابع (مينتوف) روايته قائلا: "عرف الزواج (بالخطف) عند كثير من الشعوب ومنهم (الامرنيد) في امريكا الشمالية حيث تخطف العشائر زوجاتهم، ويتم ذلك في حفلات صاخبة يشارك فيها رجال العشيرة التي (خطفت) منهم الزوجة، وهذا النوع من الزواج يوافق عليه المجتمع شريطة ان لا يكون للخاطف علاقة سابقة بالزوجة المخطوفة قبل زواجهما.** وتسمى هذه العادة عند الشراكسة القدامى (الخطف بالفروسية).

وفيما يلي تحليل لأهم العادات والتقاليد المرتبطة بالمراحل المختلفة للزواج في المجتمعات الشركسية منذ القدم وحتى العصر الحديث.

العادات المتبعة بتعارف الشاب بالفتاة الشركسية:

وفيها يتم التعارف بين الشاب والفتاة وتسمى مرحلة (البسة – لوخ) وترجمتها الحرفية (البحث عن الروح) إلا ان معناها الحقيقي هو البحث عن شريك أو شريكة حياة وهي بمثابة البحث عن الروح.

ويتم التعارف عادة في (بيت) الفتاة حيث تسمح العادات الشركسية بأن يزور أي شاب شركسي أي (بيت) شركسي والالتقاء مع أية فتاة بحضور شقيقتها الصغرى أو إحدى صديقاتها وأحيانا بحضور الأخ الأصغر (وليس الأخ الأكبر) لأن العادة أن لا يحضر مثل هذه اللقاءات (الأب أو الأم او الأخ الأكبر... الخ).

وإذا تم التعارف وأصبح هناك نوع من الاعجاب المتبادل تصبح الفتاة بمثابة خطيبة أو (قشن) غير رسمي وبعد تكرار الزيارات بمعرفة اهل الفتاة (وليس بالضرورة ان تتم بموافقتهم او رضاهم) لأن من أكبر العيوب في المجتمع الشركسي أن يلجأ أي فرد من أفراد عائلة الفتاة إلى منع أو استقبال أو رفض زيارة أي شاب شركسي لأي فتاة شركسية، مهما كان مستوى الشاب الاجتماعي أو الاقتصادي أو الثقافي.

العادات المرتبطة بالخطبة (الجاهة) او الكواسة

يتم الزواج عادة بإحدى الطريقتين التاليتين: **الأولى:** الطريقة التقليدية وفيها يقوم أهل الشاب بإرسال اثنين او ثلاثة من وجهاء الشراكسة أو من كبار العائلة أو الأصدقاء إلى اهل الفتاة (القشن) لطلب يدها رسميا من والدها إن كانت الفتاة على ثقة بأن أهلها سيوافقون على زواجها من ذلك الشاب (البسلوخ) وكانت العادة في هذه الحالة أن يقوم أحد أفراد (الجاهة) وكانت العادة في هذه الحالة أن يقوم أحد أفراد (الجاهة) بتعليق (الكراوخة) أي المسدس الشخصي للخطيب التقدم لخطبة الفتاة ويفهم أهل الفتاة بتقصد الجاهة وطلبهم، فإن وافق الأهل تبدأ مراسم الزواج (بالأسلوب الذي سيرد لاحقا)، أما إذا كان الأهل جميعا أو احد أفراده له موقف او معترض على الخطيب، يلجأ كل من الشاب والفتاة إلى إتمام الزواج وفق عادة (الكواسة) **ومعناها اتفاق بين الشاب والفتاة على اتمام الزواج عن طريق انتقال الفتاة سرا وبدون علم الشخص المعترض عليه من أسرة الفتاة وأحيانا من أسرة الشاب** برفقة امرأة أو فتاة محرّمة على الشاب (البسلوخ) (أي الخطيب) مع أحد أصدقائه إلى بيت وجيه من الوجهاء الشراكسة أو لبيت كبير عائلة الشاب. وبمجرد دخول الفتاة (القشن) لبيت مضيفها، تصبح ضيفة وجب حمايتها ورعايتها من قبل (الوجيه) وأهله أو من قبل كبير العائلة. وتنتهي هنا مهمة (البسلوخ) أي الخطيب ويحرم عليه دخول ذلك البيت حتى اتمام مراسم عقد النكاح وفق أحكام الشريعة الاسلامية. وهذه العملية هي ما يطلق عليها خطأ في الدول العربية (بالخطيفة) فهي عملية لا علاقة لها (بالخطف) إطلاقا لأن كل شيء يتم برضا وموافقة الشاب والفتاة وفي حدود العرف والعادات الشركسية.

ومن أهم مظاهر أو شروط الزواج عن طريق (الكواسة) هي:

- موافقة الفتاة الصريحة ومعاهدة (الخطيب) أي (بسلوخ) عن عدم تراجعهما مهما اشتدت معارضة الاهل.
- أن لا ترافق عملية انتقال الفتاة إلى بيت الضيافة المؤقتة والتي تسمى بـــ (القانة) إلى إكراه أو تضليل أو اساءة للفتاة.
- أن لا تتم عملية (الكواسة) مع (الخطيب) وحده بل يجب ان يرافقه فيها (نساء او اصدقاء) يكونون بمثابة (الأخوات او الأخوة له).
- إبلاغ أهل الفتاة من مجرد وصولها إلى بيت (المضيف) مع إعلامهم بأن مراسيم عقد النكاح ستتم لاحقا، وإبلاغهم عن تاريخ وموعد عقد القران، فإن لم يحضر أحد من طرف أهل الفتاة يصبح من حق الفتاة توكيل أحد الأقارب أو الاصدقاء لإتمام عملية عقد القران.

وإذا بحثنا في التاريخ القديم او الحديث لعمليات (الكواسة) لن تجد حالات عادت فيها الفتاة لأهلها دون اتمام الزواج إلا ما ندر، خاصة إن كان هدف الفتاة من (الكواسة) هو التخلص من قرار الأهل تزويجها لشخص ما وهي لا ترغب في الزواج منه.. وهي حالات نادرة جدا، وتعود الفتاة في مثل هذه الحالة لأهلها في حال تعهدهم بعدم اكراهها على الزواج من شخص هي لا ترغب فيه أو تحبه.

وأما بالنسبة للعادات المرتبطة بخطف (الفتاة) بالقوة او الاكراه فإنها اصبحت منسوخة وغير منطقية في الوطن الام وفي بلاد المهجر، وهي عادات كانت تطبق قديماً في احدى الحالتين التاليتين:

الحالة الأولى: في حال قيام الفتاة باحتقار الشاب أو رفضها وتحديها له.

الحالة الثانية: رفض الأهل للشاب كعريس لابنتهم لأي سبب كان في حين ان الفتاة موافقة وانها تحب الشاب وترغب بالزواج منه.

ففي هاتين الحالتين كانت تتم عملية خطف الفتاة باستخدام القوة والعنف في الحالة الاولى، وباستخدام الرجولة والفروسية في الحالة الثانية، وكان للخطف بهذا الاسلوب شروط وتقاليد صارمة منها:

١) ان يتم الخطف بواسطة الخيل.

٢) وجوب مرافقة الاصدقاء المقربين للشاب الخاطف، وان لا يتم الخطف من قبل الشاب وحده.

٣) عدم المساس بالفتاة بأي اذى جسدي وان حدث فهو عار يحاسب عليه الخاطف.

٤) وضع الفتاة لدى احد (التحمادات) من كبار السن كأمانة الى حين اتمام مراسم الزواج.

٥) قيام اصدقاء الشاب الخاطف بالتطوع لمساعدة الشاب الخاطف، وذلك بدراسة الطرق المؤدية إلى قرية (العروس) وأيتها يسلكون في ذهابهم، وايابهم؟ وهل هي قريبة تقوى الخيل على قطعها دفعة واحدة، أو بعيدة تحتاج إلى تبديلها؟ وعن مراكز الكمين لمنع تقدم المطاردين، وعدد المدافعين، وعند من سيضعون (العروس)، ومن يستجيرون به، فاذا ما فرغوا من ذلك كله، امتطوا ظهور جيادهم، وخرجوا من قريتهم خلسة، وذهبوا في الساعة المتفق عليها من الليل، فيتقدم العريس ويحمل العروس التي تكون بانتظاره على ظهر حصانه، ثم يقف ورفاقه الشجعان على حدود القرية ويطلقون العيارات النارية الثلاثة المتفق عليها بين القبائل، ايذانا لشباب القرية عن بإتمام عملية (خطف عروس)، فيهب الفرسان من نومهم ويلبسون عدة القتال، ويسرجون ويلجمون خيولهم في دقائق معدودة ويلحقون بالخاطفين وعندما يقتربون من (الكمين) المنصوب لإعاقة اللاحقين، ينذرهم بإطلاق عيار ناري عليهم، وتقضي التقاليد عند ذلك بوجوب الانصياع لهذا الانذار وعدم اجتياز هذه الكمين، والتفتيش عن غيرها، ولكن قد يحدث (ونادرا ما يحدث ذلك) من تأخذه العصبية من بين هؤلاء المهاجمين، فيصر على اقتحام الكمين، فينذرهم الكمين ثانية، ولكن بأسلوب آخر، وهو قتل جواد المغير بعيار ناري، فإن لم يعودوا عملا بالتقاليد المتعارف عليها، وأصر أحدهم على اقتحام الكمين فيحق للكمين آنذاك ان يدافع عن نفسه ويقتل (المهاجم) ولا يطالب أبدا بدمه، وما دام قد أنذره اولا، وقتل جواده ثانيا. واذا وقع اختلاف وسوء تفاهم في ذلك، عرضه الطرفان على مجلس التحمادات ليحكموا بينهم، وحكمهم هو القول الفصل، وعلى الجميع ان يتقبلوه بدون اعتراض.

العادات المرتبطة بالفزشة وفيها يتم (انتقال العروس) لبيت العريس بعد عقد النكاح

من العادات المتبعة في حال اتمام عقد النكاح في بيت الوجيه (المضيف) بعد عملية (الكواسة): يتم نقل العروس إلى بيت العريس أو إلى بيت اهله باحتفال يسمى (فزشه) يشارك فيه أهل العريس وأصدقاؤه ومعارفه من الجنسين وتشبه عادة الفاردة أو (الزفة) عند العرب ومن شروط اتمام زفة (الفزشه) أن:

* لا يشارك العريس في الزفة ولا يسمح له بذلك.

* لا يشارك اهل العروس عامة والكبار منهم خاصة بمراسم (فزشه)، ومن حق أصدقاء وصديقات (العروس) منع خروجها من بيت أهلها ان كان عقد النكاح في بيت اهلها ما لم يقم اهل العريس بدفع مبلغ من المال إرضاء للشباب من الجنسين من اصدقاء العروس (حيث يتظاهرون) بأنهم غير راضين على زواج جارتهم او صديقتهم دون موافقتهم أو دون علمهم ويتم إقامة حفل غداء

أو عشاء بقيمة المبلغ المدفوع وهي التي تسمى (غتكبشة) ومعناه دفع فدية أو غرامة حتى يسمحوا للعروس بالخروج من بيت اهلها.

* من حق خال (العروس) طلب مسدس أو (قامة) من اهل العريس قبل خروجها من البيت وهي عادة موجودة حتى وقتنا الحاضر.

* في حال كانت العروس من قرية او مدينة ثانية فإن شباب قريتها يضعون الحواجز على الطريق الذي تمر فيه الزفة بهدف تعطيلها خاصة إن كان شباب قرية العروس غير راضين على هذه الزيجة ولا يسمحوا بمرور الزفة ما لم يدفعوا (فدية).

* يخرج العريس (الشاوة) من بيته قبل وصول موكب العروس، ويحل ضيفا على أحد اصدقائه المقربين ويسمى (شاوا قوت) أي (شبين العريس) ولا يسمح للعريس بالعودة إلى بيته إلا ليلا وبعد انتهاء مراسم حفلات (الجوك) الراقصة ويغادره صباحا باكرا ولا يراه احد من الابوين او الكبار في عائلته.

العادات المتبعة في إقامة حفلات العرس

تبدأ مراسم الاحتفالات في مكان تواجد العروس (في بيت الاهل) وكذلك في مكان تواجد العريس في بيت الصديق الذي يستضيف العريس (الشاوه – قوت) ففي بيت اهل العريس تقام كل ليلة تقريبا الحفلات الراقصة بمشاركة الفتيات والشباب وتسمى (الجوك) أو واحيانا تستمر الحفلة حتى طلوع الشمس.

ومن اهم وأبرز القواعد والأتيكيت المتبعة في هذه الحفلات هي:

- يسمح لجميع أبناء الشراكسة من نفس القرية أو من أية قرية أخرى حضور حفلات (الجوك) ولا يجوز الاعتراض على حضور احد منهم.
- لا يسمح بحضور حفلات الجوك الشباب من الأعراق غير الشركسية.
- يشارك في حفلات (الجوك) كل من الفتيات والشباب أو كبار السن من الرجال ولا يسمح للمرأة الشركسية المتزوجة المشاركة بالرقص وإن كان يسمح لها الحضور ومشاهدة الرقص من بعيد ومن خلف حلبة الرقص.
- في حال حضور كبار السن من الاباء أو الاجداد فتكون لهم أولوية الرقص كما أن الابناء او احفادهم ينسحبون من حلبة الرقص احتراما لآبائهم أو اجدادهم وحتى لإخوانهم الاكبر سناً.
- تبدأ وتنتهي حفلات (الجوك) برقصة من قبل احد الشباب الحاضرين من الاصدقاء او الاقرباء من اهل العريس ويسمى (حاتياقوة).
- من أهداف إقامة حفلات (الجوك) اتاحة الفرصة للشباب من الجنسين للتعارف قبل أو بعد الحفلة برضى وموافقة الطرفين ودون أي نوع من الضغط أو الاكراه وهو ما يعرف بعادة (بسلوخ) ومعناها غير المباشر (الباحث عن شريك الحياة) أو الباحث عن خطيبة (قشن).

بالإضافة إلى ما تقدم من مراسم وقواعد حفلات (الجوك) التي تستمر أحيانا لأكثر من اسبوع هناك عادات أخرى تمارس خلال فترة العرس منها:

- قيام مجموعة من صديقات وقريبات وأصدقاء أهل (العريس) دعوة فتيات من مناطق أخرى قريبة أو بعيدة من اهل العريس للمشاركة بحفلات الرقص ويتم إحضارهن مشيا على الاقدام إن كن يسكن في منطقة قريبة أو بالعربات إن كن يسكن مناطق بعيدة، كما يتم إعادتهن برفقة نفس المجموعة إلى اهلهن في نفس الليلة، أما بالنسبة للشباب فالدعوة مفتوحة للمشاركة بحفلات الرقص (الجوك) كما سبق ذكره.

- من العادات المحببة عند الشراكسة قيام مجموعة من الشباب والفتيات من أصدقاء العريس (بالسطو) على عش او حظيرة الدجاج أو الحبش الخاص بأهل العريس وجيرانهم واقربائهم ومسك عدد من الطيور والدواجن وجلبها إلى بيت العريس أو إلى بيت أحد الاصدقاء لقيام الفتيات بطبخها وتقديمها في حفل عشاء او غداء في اليوم التالي لعملية (السطو المشروع) بحكم العادات الشركسية.

واما بالنسبة لمراسم الاحتفال في بيت الصديق الذي يستضيف (الشاواة) أي العريس ويسمى (شاواقوت) فهي تشبه ما يتم في بيت اهل العريس مع بعض الاضافات منها:

- تنظم حفلات ساهرة لا يتخللها الرقص وإنما يتم فيها ممارسة بعض الالعاب المسلية منها ما يسمى (أجوتيوه) وهي عبارة عن لعبة تبدأ بقيام (عريف الحفل) بالضرب على (كف) أحد الحضور، وهذا بدوره يختار فتاة لتجبير الضربة لها، والفتاة (تجير الضربة) لأحد الشباب وقد يكون (البسلوخ) للانتقام من الضارب الأول، خاصة وإن كانت الضربة قوية وشديدة ... وهكذا يستمر اللعب.
- يخصص مقعد يسمى (لوج) ومن يجلس عليه من الشباب يصبح (ملكا) في تلك الليلة ويختار إحدى الفتيات للجلوس معه على اللوج لتصبح (ملكة) تلك الليلة، ومن قواعد هذه اللعبة هو: اعطاء الحق لكل من (الملك والملكة) إصدار أحكام مختلفة على الحضور، وعلى من صدر بحقه أي حكم عليه تنفيذه حسب قواعد هذه اللعبة، والأحكام قد تتضمن القيام بالغناء أو الرقص أو القاء نكتة، او القيام بأي عمل او جهد بدني، وفي نهاية تلك الليلة تقوم المحكمة المؤلفة من الرجال الأكبر سنا من المشاركين بالحفلة بإصدار حكم على الشاب الذي مثل دور الملك بالتكفير عن أحكامه الجائرة بإحضار (حلويات أو صدر كنافة) أو اقامة حفل عشاء لجميع الحضور في اليوم التالي لصدور الحكم عليه، كما يتم كذلك قيام الشاب الذي قام بدور الملك تكريم الفتاة التي قامت بدور الملكة بإهدائها هدية شخصية ثمينة.

العادات المرتبطة بالونيشة

وفيها يتم تقديم العروس إلى (ام العريس) وإلى كبار السن من النساء في عائلة (العريس)، وتتضمن هذه المراسم الخطوات التالية:

- يجتمع أهل العريس من كبار السن من النساء في البيت الذي أقيمت فيه احتفالات العرس.
- تعتبر حفلة (الونيشة) يوم تنقيط للعروس فيقوم كل من حضر هذه الحفلة بتقديم هدايا للعروس كل حسب إمكانياته ومقدرته المادية ودرجة القرابة من اهل العريس.
- في نهاية يوم (الونيشة) تقام وليمة كبيرة للحاضرين ايذانا بانتهاء المراسم الرسمية للزواج.

العادات المرتبطة (بالشاوا – شيش)

وفيها يقوم أصدقاء (العريس) بإعادة العريس إلى (بيت) الاهل في (عراضة) كبيرة وتكون مشيا على الاقدام (إن كان مكانه قريبا) أو بالحافلات إن كان بعيدا وتتضمن المراسم الخطوات التالية:

- يتم تقديم أحد أصدقاء (العريس) على والد وكبار السن بديلا عن (العريس) أولا وللتأكد بأنهم يعرفون ابنهم (العريس) وكل ذلك على سبيل المزاح.
- يرفض الاب ومن معه من الكبار العريس البديل، ويقولون أين ابننا ماذا فعلتم بابننا نريده الآن، ومن ثم يتم تقديم العريس الحقيقي إلى الوالد وإلى الحضور من كبار السن، وأثناء دخول العريس لبيته يقوم أصدقاؤه بوخزه (بالدبابيس) لاختبار مقدرته على تحمل (الأذى) من وخز الابر. وتقام في هذه المناسبة حفل تقدم فيه (الباخسمة) وهي شراب مصنوع من الدقيق والعسل ويتم تخميرها وتصبح مسكرا حيث يتم تدوير (الباخسمة) بين الشباب

والرجال الحاضرين للشرب منها، ويقوم البعض بإلقاء قطع من النقود داخل الوعاء بهدف طرطشة شاربها وكذلك بهدف جمع نقود تكفي لإقامة حفل عشاء للشباب من اصدقاء العريس فيما بعد.

العادات المرتبطة بحفلة (لج – غاشخة)

وفيها يتم دعوة كبار السن من الرجال من أهل العريس واقربائهم واصدقائهم إلى وليمة كبيرة تذبح فيها (خرفان) وتكون خاتمة مراسم الاحتفال بالعرس.

عادات ومراسم ما بعد انتهاء حفلات (العرس)

يجد الدارس للعادات الشركسية (الحقيقية) في مرحلة ما بعد انتهاء (مراسم العرس) وبدء الحياة الزوجية في (بيته) أو (بيت) اهله يجد بأن عادات (صارمة) تطبق على حياة كل من (العريس والعروس) وكذلك على الأب والأم ومن أهم هذه العادات هي:

- لا يجوز للعروس ان تكلم الحماية أو الحماة لفترة قد تطول لأكثر من سنة خاصة الحماة، وذلك تعبيرا عن احترامها لهما... ويتم التفاهم فيما بينهم وتخاطب العروس مع الحماية او الحماة بالاشارات او بالكتابة.
- لا يجوز للحماة ان يرى عروسة ابنه لفترة من الزمان قد تصل لأكثر من سنة... وإلى ان يتم تقديمها له في احتفال عائلي مقابل إهدائها هدية ثمينة ويسمى هذا الاحتفال بـــ (تيحبشة).
- لا يجوز للحماة ان يشاهد (العريس والعروس) معا في البيت لمدة من الزمن وإلى حين انجاب طفلهما الاول.
- لا تقوم العروس بالجلوس على سفرة (الحماة والحماية) وإنما تقوم بتناول الطعام مع الأصغر سنا من أفراد العائلة.
- لا يقوم الأب بحمل او ملاطفة أبنائه في حضور الجد.
- لا تنادي العروس (حماتها أو حماها وأحيانا أخوة الزوج – العريس) بأسمائهم الحقيقية وإنما تطلق عليهم جميعا أسماء مستعارة فيها نوع من التحبب والتعظيم.
- إذا ذكر اسم الحماة أو الحماية، وكذلك اسم الزوج بأية مناسبة (تقف) العروس من مكان جلوسها احتراما لذكر اسمائهم الحقيقية.
- جرت العادة ان لا ينادي على (العروس) باسمها الحقيقي من قبل الحماة أو الحماية وفي العادة أن تطلق الحماية اسم (مستعار) على العروس أو ينادونها (عروسة) أو عروستنا... "دي – نسة".

العادات المرتبطة بتعارف اهل العروسين:

جرت العادة ان يقوم والد العريس ووالدها بدعوة والد العروسة والكبار في السن من اهل العروس من الجنسين لحفل غداء او عشاء بهدف التعارف او بهدف انهاء أي خلاف كان قد حدث نتيجة خروج ابنتهم من البيت دون علمهم وفقا لعادة (الكواسة).

العادات المرتبطة بمراسم الزيارة الأولى للعروس من أهلها:

في العادة أن تقوم (العروس) بزيارة إلى أهلها بعد سنة تقريبا من زواجها... ومن أهم المراسم التي تطبق في هذه الزيارة هي:

- تحمل العروس معها هدية لكل فرد من عائلتها صغيرا وكبيرا وكذلك هدية للكبار في السن من الجنسين خاصة الأكثر قرابة لاهلها.

- ترافق (العروس) في زيارتها بعض افراد عائلة زوج العريس من النساء.
- يقام حفل غداء او عشاء على شرف المرافقات للعروس.
- تقيم العروسة في بيت أهلها مدة اسبوع او اكثر ثم تعود إلى بيتها محملة بالهدايا مماثلة للهدايا التي حملتها معها عند عودتها لأهلها.

وبانتهاء مراسيم هذه الخطوة تصبح الحياة طبيعية في بيت العروسين.

العادات التي تنظم علاقة الزوج بالزوجة يمكن تلخيصها على النحو التالي:

- يقيّم الرجل الشركسي – كزوج – من خلال علاقته بشكل رئيسي مع زوجته ومن خلال المحافظة على شرفه وعفته وأخلاقه وإخلاصه لأسرته وزوجته وإحساسه بالواجب تجاهها، وأنه رأس العائلة والمدافع عن شرف زوجته وجدارته بأسرته متعلقة بمدى محافظته على سمعة زوجته.
- الشركسي المربي وفق التقاليد، لا يقوم ابدا امام الملأ وبوجود الغرباء وكبار السن من أقربائه بالتحدث عن علاقته الزوجية، ولن يذكرها ابدا في حديثه، أو يعبر عن تعاطفه معها في أثناء مرضها، ولا يتحدث عن تعبها وإرهاقها ولا يمتدحها مهما كانت تستحق ذلك، كما أنه لا يمدح أطفاله أمام الغرباء، فكل ذلك ليس من صميم العادات الشركسية.

وأن الحياة المشتركة بين الزوجين بكل دعة ووفاق، وحدها تنبئ عن حب الزوج واحترامه لزوجته، وأنه لن يفرط بها ابدا، كل ذلك بلا أية كلمة مباشرة وكل شيء يجب ان يكون مفهوما من تلقاء نفسه وبطريقة غير مباشرة.

وكذلك فهو لا يمدحها ولا يذمها ولا يدلي بأي معلومة تخصها، وأيضا لا يصرح لها بحبه بلا مناسبة، وأن افضل اساليبه في التعبير عن مشاعره هو تصرفاته وطريقة تعامله معها.

ترتبط سمعة الرجل الشركسي بسمعة زوجته ويتبين هذا من الأمثال الشعبية القديمة (إن الرجل الجيد إنما تصنعه زوجته) ومثال آخر (إذا ساءت سمعة الرجل بسبب زوجته، فلا يمكن لقريته ان تحسنها، أما إذا ساءت سمعته بسبب قريته، فبإمكان زوجته ان تحسنها) ومثال ثالث (بإمكان الزوجة الصالحة أن تحسن من سمعة زوجها التي ساءت بسبب اصدقاء السوء).

إلا ان (جباغى) الفيلسوف الشركسي الذي وضع قواعد وأسس (الأديغة خابزة) المعاصرة في القرن الثامن عشر لفت انتباه الناس إلى دور الزوج في تطوير علاقته بزوجته في رفع سوية علاقتهما بقوله: (إن الزوج تكونه زوجته والزوجة يكونها زوجها) كما قال: (إن من لا يمد يده لمساعدة امرأة ليس زوجا حقيقيا) ودعا الازواج إلى التفاهم والاحترام المتبادل وحذر قائلا: (كلما كنت معاديا لزوجتك، كان هناك إمكانية أن تعادي العالم).

المجموعة الخامسة: وهي العادات المرتبطة بالرقص القومي الشركسي

أشارت ل. غ. ناغايتسيبفا [٢٣] إلى مجموعة من القواعد التي تنظم الرقص الشركسي (القافا) الذي يشارك فيه كل الشباب والشابات برقصات مزدوجة او رقصات جماعية مثل:

القاعدة الاولى: لا يفترض بالشاب ان يلامس الفتاة، بل عليه ان يرقص على بعد ذراع منها دون ان يلامس حتى ملابسها، ومن الكبائر عند الشراكسة لمس الفتاة (باليد او الجسم او الرجل)، وإن حدث ذلك بدون قصد يحق للفتاة مقاضاة الشاب لعدم قدرته السيطرة على حركاته خلال الرقص، وأما إذا شعرت بأنه يقصد ذلك فيحق لها التوقف عن الرقص ومغادرة الحلبة، كما يحق لها مقاضاته أمام (مجلس التحامدات) من كبار السن.

القاعدة الثانية: على الشاب ان يتصرف خلال الرقصة بكل عنفوان محاولاً ان يظهر انه راقص جيد، وان يحافظ على سلاحه وملابسه، وأن يدرك خفايا الرقص وحركاته وتفصيلاته بعيدا عن الفتاة. كما هو مبين في الصورة المرفقة.



لقطة لشاب وشابة تبين رجولة الشاب أمام الفتاة بما يتفق مع آداب الرقص الشركسي.

القاعدة الثالثة: على الفتاة ان تلتزم خلال الرقص بالجدية والتواضع، مسدلة أهدابها وان تردد حركة الشاب إذا استجابت لدعوته في الرقص، حتى لو كان الشاب ممن لا ينال إعجابها فإنها لن تظهر هذه المشاعر ابدا خلال الرقص.

اما الكاتب (خان جيري) فيقول حول قواعد وآداب (الإتيكيت) بأن "الراقصون يستطيعون التكلم مع مراقصيهم من الفتيات بحرية، وتستطيع الفتيات ان يجبن بلا أي وجل وطبعا مع الالتزام بالسلوك المهذب وبلا أية قهقهة أو استعمال تعابير مناقضة لطبيعتهن الانثوية او تسيء لسمعتهن، وبالحد الأقصى من الاعتبارات التي تمليها القوانين الاجتماعية العامة.

كما أن الكاتب الشركسي المعروف (تيمبوت كيراشييف) الذي يلم بالثقافة الشركسية بشكل جيد جدا يقول: (... وسريعا كالسهم انطلق من اوساط الرجال شاب متناسق القوام داعيا للرقص معه الفتاة واسمها (نفيسة) وكانت الهرمونيكا (الأكورديون) تعزف ألحان الرقص الشركسي المعروفة، وضجت اكثر أصوات التصفيق وآلات النقر الخشبية، وعلى ما يبدو فقد كان الشاب (أنزور) راقصا مشهورا، فأخذت تعلو من اوساط شباب (الجوك) أصوات محببة، وتأجج كل شيء بشكل ملحوظ، وكانت (نفيسة) تتبع راقصها حول حلبة (الجوك) بكل سلاسة، ولكن وبصورة مفاجئة وبدا وكأن قلبها قد تحول عن الشاب فابتعدت الراقصة نحو وسط الحلقة شامخة برأسها نحو الأعلى بكل كبرياء، ولم تلق إليه حتى نظرة، أما (أنزور) الشاب الذي ابتعدت عنه حبيبته فقد قام دون أن يرحم ساقيه بالاندفاع نحوها مباغتا إياها، ولكنها لم تعره أي اهتمام، وتابعت تحليقها حول الحلبة بكل كبرياء فما كان من الراقص (انزور) الذي ابدى استياءه وغيرته من هذه الفتاة العنيدة إلا انه ابتعد عنها راسما (عدة حلقات في وسط الجوك)، ثم انطلق طائرا نحوها مرة ثانية وكأنه يقول لها: انظري ايتها المتعالية أي شاب انا متابعا الرقص واثقا من نفسه، فاردا ذراعيه حول الفتاة وكأنه يحميها.

وكان قلب الشاب (انزور) يخفق من الحب، وكان وبلا كلل يدور راقصا حولها مندفعا كذئب هائج، ولكن قلب الفتاة لم يرق حيث كانت مهتمة برقصتها فقط وغير مبالية وتابعت بكل عناد طيرانها كحمامة، فاردة ذراعيها كأجنحة طائرة حتى اصبح الموقف وكأنهما باتا (غريبين) وتجمد الدم في عروقهما نتيجة خلافهما الصامت يتابعان الرقص منفصلين عن بعضهما بعض.

لكن (نفيسة) التي كانت تريد ان تختبر مشاعر العاشق (انزور) الذي يراقصها، اندفعت فجأة نحوه بكل دلال وترحاب وما كان من (انزور) ألا ان تدفقت الدماء من جديد في أرجاء جسمه حتى أبدع في الرقص الرجولي فأثبت لنفسيته المتمردة بأنه (يحبها) ... وهكذا تنتهي الرقصة بابتسامة رومانسية ونظرة اعجاب من (نفيسة) .. [٢٣].

واما اهم آداب الرقص التي تفرضها العادات المتعلقة بالرقص فيمكن تلخيصها على النحو التالي:

- يدخل الشاب إلى حلبة الرقص أولا، ثم تتبعه الفتاة التي لها دور في الرقص، وجرت العادة ألا ترفض أية فتاة الرقص مع أي شاب طالما دورها في الرقص، وقد يحدث أحيانا أن

تعطي الفتاة صاحبة الدور، دورها لفتاة أخرى إن لم ترغب في الرقص من الشاب المتواجد على الحلبة او ان الشاب هي (بسلوخ) لإحدى الفتيات في الحلبة.

- من آداب الرقص ان لا يترك الشاب الحلبة او التوقف عن الرقص ما دامت الفتاة في حلبة الرقص وإن حصل ذلك يحق للفتاة التي تركت في حلبة الرقص مقاضاة الشاب الذي فعل ذلك امام (مجلس التحامدات) أي مجلس الحكماء من الكبار والحكم عليه بإقامة حفلة ترضية لها ولصديقاتها أو إهدائها هدية ثمينة إلخ.
- الأصل في الرقص ان تكون مواجهة ولا يجوز ان يعطى (الشاب أو الشابة) الظهر للآخر عند الرقص في الحلبة إلا اذا كانت طبيعة الرقصة تتطلب ذلك.
- لا يجوز للشاب ترك حلبة الرقص او التوقف عن الرقص طالما الفتاة في الحلبة، كما لا يجوز خروجه من الحلبة قبل الفتاة، وان حدث يحق للفتاة مقاضاة الشاب على فعلته التي تعتبر اهانة للفتاة وعدم احترام لها.
- لا يجوز لعازف الاوكرديون او اية آلة موسيقية التوقف عن العزف خلال قيام الشاب والفتاة بالرقص وان حدث عليهما مقاضاة العازف.

المجموعات السادسة: وهي العادات والتقاليد المتعلقة بالضيافة عند الشراكسة (الحَشة والبسم)

الضيافة لدى الشراكسة قديمة جدا وتعود إلى العصور الأولى من نشأتهم، وتطورت مع مرور الزمن وتغيرت بعض قواعدها واصولها، ولإلقاء الضوء على مدى تمييز الشراكسة بهذه العادة لا بد من استعراض اقوال بعض الرحالة والكتاب الأجانب نقتبس منها. [٢٠]

- قال الكاتب المعروف "جورجيو انتربانو" في القرن الرابع عشر "من عادات الشراكسة.. كرم الضيافة، واستقبال أي انسان بمنتهى الحفاوة".
- اما "جوفاني لوكا" فيؤكد على كرم الضيافة عند الشراكسة بقوله "ليس في العالم كله من هو اكثر منهم لطفا وسعادة عند استقبالهم للغرباء".
- و"ستاليست" ذكر قبل مائتي عام: (إن من أهم عادات الشراكسة هو كرم الضيافة).
- اما (شورا نوغوموقه) فقد قال في أوائل القرن التاسع عشر "إن كرم الضيافة الذي اشتهر به الشراكسة تاريخيا سيبقى في الأذهان وعلى الرغم من كل النوائب والتبدلات السياسية التي حاقت بهم فإن هذه الصفة الخيرة لم تضعف إلى الآن".
- كما قال (غاردانوف): "إن حق الإنسان الغريب تماما، في أن يكون ضيفا في أي منزل، والتزام صاحب المنزل في أن يقدم له كل ما يريحه وكل ما في إمكانياته، تلك هي الميزة الأساسية في عادة كرم الضيافة لدى أديغا".
- فأما (خان جيري) من تشركيسيا فإنه يؤكد بأن عابر السبيل المتعب والمنهك عطشا وجوعا يجد ملجأ مضيافا له أينما اتجه في بلاد الشراكسة، وسيقابله صاحب المنزل بكل بشاشة من دون ان يعرفه ابدا، ودون ان يسأله من هو ومن أين أتى ولماذا قدم؟
- وكذلك فإن الكاتب الروسي (ن. ديروفن) يؤكد في كتابه (الشراكسة) الصادر في كراسندار عام ١٩٢٧ "بأن كرم الضيافة منتشر جدا وبشكل واسع لدى الشراكسة ويكون واحدا من اهم الصفات الخيرة لدى هذا الشعب، لقد كان الضيف عند الشراكسة شبه مقدس خاصة لدى صاحب المنزل الذي عليه ان يستضيفه ويحميه من أي ازعاج، وكان مستعدا للتضحية بحياته من أجل ضيفه حتى وإن تبين له أن ذلك الضيف كان قد ارتكب إثما او حتى مطلوبا بثأر له"، ثم يتابع قائلا: "... إن أي شركسي مسافر يتوقف أين يشاء متى داهمه الليل وإن كان يفضل أن يتوقف عند من يعرفهم إضافة إلى أن يكونوا من الذين بإمكانهم استقبال الضيوف دون أن يسبب لهم ذلك أي إرهاق أو صعوبة. ويستطرد قائلا: وبمجرد أن يسمع صاحب المنزل بوصول ضيف إلى قرب

منزله يهرع إليه ويمسك بركاب فرسه وهو ينزل عن صهوة جواده ولا يوجد بنظر أي شركسي ما يمكن ان يعتبر مهينا لصاحب المنزل ما دام يقدم للضيف مهما كان الفرق بينهما كبيرا في الطبقة الاجتماعية، وبمجرد أن ينزل الضيف عن حصانه، يقوم صاحب الدار بأخذ سلاحه منه مدخلا إياه إلى مقر الضيافة، ويقوده إلى مكانه الذي فرش بالسجاد والوسائد، وهو في أكثر الأماكن احتراما وهي زاوية الغرفة (الأبعد عن الباب)، ويقوم قبل إجلاسه بأخذ ما تبقى من سلاحه ويعلقه على الجدار او يأخذه إلى داخل المنزل.

- وأما (نيومان) فإنه يخبرنا (نقلا عن أرخانجيلو لامبيرتي) الذي ساح في غرب القفقاس في القرن التاسع عشر "ليس هناك في كل هذا العالم... شعب، يرحب بالغريب أفضل من هؤلاء فهم يخدمون الضيف بأنفسهم ثلاثة أيام كما يخدمه أولادهم وبناتهم حاسري الرأس يغسلون (أقدامه) بينما تغسل نساؤهم ثيابه.

لا شك بأن كرم الضيافة هي عادة اجتماعية مرتبطة بدرجة أو بأخرى بأنها من الخصائص القومية الشركسية، ويتعامل الشراكسة مع هذه العادة بوصفها من أرقى العادات الأنسانية، وبقيت هذه العادة القديمة على حالتها الأولى دون أن يطرأ عليها تغيرات جوهرية رغم ما أصاب الأمة الشركسية من المصائب والمحن في مختلف الأزمان والعصور، إذ لا يزالون يعتبرون كل مسافر يحل ضيفا في أي بيت يستحق كل عناية وتقدير، ويجب على المضيف أن يستقبل ضيفه بكل حفاوة ويعامله بما يستحق من الإكرام، ويقدم إليه أحسن وأفضل ما عنده من طعام وشراب، وإذا رحل عنه وجب عليه ان يرافقه ويحميه من كل اعتداء طارئ.

وفيما يلي أهم القواعد والنظم التي تضبط العلاقة بين الضيف ومضيفه وكذلك أهم الواجبات والحقوق لكل من الضيف (حاشة) والمضيف (البسم).

- من حق الضيف اختيار مضيفه في أول زيارة له، وكل عائلة ملزمة بالقيام بواجب الضيافة إن وقع اختيار الزائر عليها، وكانت القاعدة إن كان الضيف (شركسيا) ضرورة اختيار (هاتشئيش) (مضافة) لعائلة من نفس طبقته الاجتماعية.

- المضيف مسؤول أمام كل الناس عن سلامة ضيفه، ومن لم يدفع عن ضيفه ضررا ما حتى ولو كان مجرد إزعاج، تجري محاكمته ومعاقبته لأنه يتوجب على المضيف حسب العادات التضحية بروحه دفاعا عن ضيفه.

- لا يسمح للضيف دخول بيت مضيفه، بل كان يستقبل في (المضافة) حيث يجد العناية اللازمة، كما يحصل على الحماية اللازمة.

- وحالما يقدم الضيف نفسه مهما كان مستواه وحتى ولو كان مجرما أو عدوا للعائلة أو عبدا على المضيف قبوله وتكريمه وحمايته.

وروت (رايا مامكيغ) **في كتابها لمحات عن العادات الشركسية** رواية تؤكد مدى التزام الشراكسة بآداب وقواعد الضيافة مهما كانت صفة الضيف أو الزائر، وملخصها على النحو التالي:

بينما كان رب عائلة في أحد الأيام يمارس بعض الأعمال في ساحة داره، دخل شاب غريب هارب يبحث عن ملجأ، فأخفاه رب الدار في بيته، وبعد قليل وصل بعض شبان القرية ممتطين خيولهم وسألوا الرجل: هل رأيت شابا هاربا؟ إننا نبحث عنه لنقتله فقد (اغتال ابنك) فأجابهم الرجل بأنه لم ير أحدا، وهكذا ابتعدوا لمواصلة البحث، أما الرجل فقد أكرم الشاب دون أن يبدو عليه انه يعرف بما حدث، ودون ان يلحظ الشاب منه أي شيء. وبعد أن هدأت غضبة فرسان القرية جهز الرجل لضيفه الشاب جوادا وزادا وقاده ليلا على موضع آمن خارج القرية وتركه ينصرف، وهكذا فقد حمى قاتل ابنه التزاما منه بتقاليد الضيافة الشركسية، وان كان فعل عكس ذلك فإنه يتعرض لمحاكمة صارمة.

- يعامل الضيف بأجل احترام وتقدير، ويجلس في مكان الصدارة الذي لا يشاركه فيه أحد، وقد كتب (بيل) عن تقليد إعطاء الضيف مكان الصدارة دون ان يعرف مكانة هذه العادة في التقاليد بقوله:

لقد قامت صداقة عميقة بيني وبين ذلك الشاب النبيل ومع ذلك لم أفلح في جعله يجلس في المضافة إلى جانبي، وحتى في غياب الآخرين إلى هذا الحد اعتادوا احترام الغريب الاجنبي (الضيف).

- ويسمح للجيران بدعوة الضيف بعد إعلام مضيفه وأخذ موافقته على ذلك. وبالمقابل لا يحق للضيف قضاء الليل عند شخص آخر أو قبول دعوته بدون إذن المضيف الذي هو في ضيافته وهكذا فإن حرية الضيف محدودة ضمن قواعد واصول الــ (بيسيم) أي المضيف. وكذلك سلوكه تنظمه تلك العلاقة، والمثل القائل (الضيف أسير مضيفه) يمكن ان نسمعه اينما كان.
- إن القواعد التي تحكم صلة الضيف بمضيفه تمتد آثارها إلى المستقبل فعلى الضيف إن عاد يوما ما إلى زيارة القرية نفسها عليه أن ينزل عند نفس المضيف السابق (ولا يجوز تبديل المضيف) وكل سلوك مخالف لذلك يعد إخلالا بأصول (بيسيم حاتشئة) وخروجا على العرف الاجتماعي.
- وإذا حدث رغم ذلك ان اختار الضيف مضيفا آخر، فيجب على المضيف الجديد تقديم (كفارة) وذلك بإقامة حفلة، حيث تكون تكاليف الحفلة هي الغرامة المفروضة عليه، ولا ينجو المضيف بحد ذاته من التغريم، ولكن تغريم الضيف يختلف من حالة لأخرى حسبما يقرر مجلس المسنين (تحاماتة) الذين يكون المضيف القديم قد دعاهم للاجتماع، وفي الكثير من القرى الشركسية ما زالت هذه الإجراءات محترمة كوسيلة لضمان عدم انتهاك العادات المتعلقة بالضيافة.
- إذا دخل أحد ما المضافة (هاتشئيش) أو (غرفة الضيوف في هذه الأيام) فعلى جميع الموجودين القيام بما فيهم (التحاماته) وهو كبير القوم ولو كان الداخل أصغر سناً.
- إن الداخل للمضافة لا يجلس حتى يطلب الضيف (أو أحد الكبار) منه الجلوس، وإن دخل كبير في السن أخلى له الصغير مكانه للجلوس وكذلك فإن تم تقديم شراب للموجودين اثناء تكلم أحدهم، فلا يبدأ أحد بالشرب حتى ينتهي المتحدث من كلامه.
- لا يسمح للأصغر سنا بالشرب اثناء وجود (التحاماته) وإذا تناول التحاماته شرابا ما، فعلى الأصغر سنا الوقوف له.
- إذا أراد أحد ما مغادرة غرفة المضافة فعليه ألا يدير ظهره أثناء الخروج للضيف أو للتحاماته، بل يرجع إلى الوراء حتى الباب ثم يغادر.
- إذا أراد أحد مغادرة المضافة فعليه استئذان الضيف، وإن لم يكن هناك ضيف فعليه استئذان الأكبر سنا بين الموجودين والذي يقوم مقام (التحاماته).
- مدة الضيافة حسب الأعراف الشركسية قديما هي ثلاثة أيام، أما إذا طال مكوث الضيف أكثر من ذلك فإن دوره كضيف ينتهي ويعامل كأحد أفراد العائلة، وهذا ما أكدته (ماريا) بقولها: إن الضيف يجب ان يبقى ضيفاً من يومين إلى ثلاثة وعليه بعد ذلك ان يشارك في أعمال مضيفه، ومن المعتاد عليه اليوم في القرى الشركسية مشاركة الضيف في أعمال مضيفيه بعد ثلاثة أيام من قدومه.
- لا يجوز مبادرة الضيف فور وصوله بسؤاله من أين جاء ومتى يذهب، ولكن طريقة تعليقه القامشة (السوط) على الجدار تدل على ما إذا كان سيتابع السفر بعد مكوث قصير أو أنه ينوي البقاء طويلا: (فإن علق سوطه من آخره بحيث يتدلى بكامله للأسفل، فإن هذا يدل على أنه لن يطيل المكوث، أما إن علقه من منتصفه فإن هذا يدل على أنه ينوي قضاء وقت أطول).

- إن إجابة الضيف عن السؤال المألوف للمضيف المتعلق بعشيرته والفرع الذي ينحدر منه تدل ما إذا كان الضيف شركسيا أم لا، كما تعطى فكرة عن الطبقة التي ينتمي إليها إن كان شركسيا.
- يجتمع بالضيف عشية وصوله للمضافة برجال القرية للترحيب به ويسهر معه الرجال المعادلين له في السن لفترة أطول، بينما يغادر الآخرون بعد الترحيب به، أما إذا كان الضيف ذا مكانة اجتماعية (تحاماته)، فإن جميع رجال القرية أو المنطقة يأتون في نفس المساء وعلى أبعد تقدير في صباح اليوم التالي للترحيب به.
- ليس للضيف حقوق فقط، بل عليه واجبات ايضا إذ يتوقع الجالسون ان يسمعوا منه ما جد من أخبار وأمور في المناطق التي جاء منها أو مر بها، ويتطور الأمر إلى حوار يشارك فيه الجميع، وحسب العادة قد يتطور الأمر إلى سرد قصص والحديث عن البطولات التي قدمها المقاتلون في الماضي.
- من حق الضيف ليلة وصوله أن يقرر متى يود النوم للاستراحة من عناء السفر، واعتبارا من الليلة الثانية قد تمتد السهرات إلى ساعات متأخرة من الليل.
- إذا كان المضيف ميسورا فلا بد ان يهدي ضيفه يوم رحيله فرسا أو سيفا او ما شابه ذلك من أنواع الهدايا ويعتبرون ذلك من متطلبات الضيافة الحقيقية.

بالإضافة إلى ما تقدم من واجبات الضيافة قديما، فإن بعض كتاب الشراكسة في المهجر لخصوا واجبات أخرى للضيافة نذكر منها:

- الضيف شخص مقدس لا يساء إليه وتأتي معه السعادة والخير ومن الامثال التي تقال بهذا الصدد: "يأتي الخير مع قدوم الضيف".
- عادة اكرام الضيف تعم وتشمل جميع الشراكسة. ويثبت هذا المثل القائل "افقر الشراكسة مضياف كأغناهم".
- من واجب الفقير اكرام الضيف بما لديه ويطعم جياده ويجد لها المأوى والراحة ولا عيب من أن يأخذ من جاره ما يحتاج ضيفه ان لم يجد لديه ما يكفي لواجبات الضيافة، ويعتبر ضيف احد من أهل القرية ضيفاً على القرية بأكملها.
- يُسأل الضيف اولا عن صحته ثم عن الاخبار التي يعرفها.
- يتحاشى الشراكسة سؤال الضيف عن خاصياته أو سبب ضيافته أو أي شيء من المحتمل احراجه بها. ويمنع خلال الثلاث أيام الاولى السؤال عن من يكون وإلى أين ذاهب أو من أين آت.
- وبعد انتهاء ثلاثة ايام، وتقديم كل ما يجب تقديمه للضيف من مراسيم وواجبات الضيافة يستطيع المضيف ان يسأل ما يشغل ضيفه وبما يستطيع مساعدته به ويعتبر أن من واجبات المضيف المقدسة السعي لتلبية مطلب الضيف الذي جاء من أجله.
- واجب كل شركسي دعوة أي شخص يرى أنه من المحتمل ان يكون بحاجة إلى مأوى ومأكل. واي غريب يدخل قرية يسمع من كل فرد فيها الكلمة المعروفة (تفضل) وهو يدعوك بكل صدق لاستضافتك.
- لا فرق في الضيف كبيرا كان أم صغيرا، غنيا ام فقيرا، رجلا أم امرأة، عدواً او صديقاً. والأمثلة التالية تدل على ذلك:

١) لا يوجد ضيف شاب.

٢) لا يوجد ضيف زائد.

٣) لئن جاءك عدوك ضيفا فهو صديق.

- واكثر الضيوف تكريما أكثرهم بعدا عن وطنهم، ويتضح هذا من قولهم "اغلى من الضيف هو الضيف الغريب".
- وهذا يفسر الحفاوة التي كان يلقاها الرحالة في بلاد الشراكسة، مما حدا بالرحالة أن يكتبوا عنها كثيراً.
- تكون أبواب المضافة مفتوحة ليل نهار ويستطيع أي عابر أن يدخل ويتصرف داخلها كما يشاء دون السؤال او الاستئذان من صاحب البيت، والضيف القادم ليلا يدخل هذا البيت دون ان يلاحظه أحد من أصحابه، لذا كانت العادة دائما عند الشراكسة ان يقوم رب البيت بتفقد مضافته قبل الذهاب إلى الفراش كل ليلة، وفي بعض الأحيان كان يعرف بوجود الضيف بواسطة مربط الخيل الملحق بالمضافة.
- كان من الواجب الاحتفاظ بمؤونة دائمة لأي ضيف من الممكن حضوره في أي لحظة، وتوجد أمثلة بهذا الصدد:
- قد يأتيك ضيف، فتموّن، ولا تقل قد طال انتظاره فتأكل مؤنته.

المضافة (الحاشيش) عند الشراكسة

إن الاهتمام الخاص براحة الضيوف والعناية بهم قد اقتضى ان يتواجد لدى الشراكسة مكان خاص في كل منزل يدعى (المضافة وهاتشئيش) حيث كانت تبنى في أكثر الأماكن ملاءمة في الحوش، أي بعيدا عن (الدار) واقرب إلى باب الحوش، ويوجد بالقرب منها عادة مربط للخيول حتى يبقى الضيف مطمئنا على جواده، وكانت المضافة أكثر الأماكن تجهيزاً وراحة في المنزل، وكان يتواجد فيها مناضد (طاولات) الطعام ثلاثية القوائم وتسمى بالشركسية (آنة)، وسريرا ومجموعة من الأغطية إضافة إلى السجاد والحصر، كما تعلق على الجدران بعض الأسلحة والأدوات الموسيقية.

وجرت العادة ان تبنى "المضافة" على مستوى القرية على اطراف بيوت القرية وليس وسطها وبين البيوت، والحكمة من ذلك هو عدم تقييد حرية تحرك النساء داخل القرية لممارسة أعمالهن اليومية ولعدم اضطرارهن للتوقف من السير إلى ان يمر الضيف أو القادمين للمضافة من الرجال حسب العادات الشركسية، ويروي لنا (باتري اوزبك) في كتابه (أساطير النارتيين) القصة التالية:

لقد (سافر مرة فلاح شركسي مع ابنته بالباص إلى المدينة وعند الوصول غادر كلاهما السيارة واتخذا طريقهما لزيارة أقارب لهما وسار الوالد في المقدمة والفتاة حسب الأصول خلفه، وكان الوالد يحادثها أثناء الطريق في مختلف الأمور ودون ان يلتفت إلى ابنته، وعند وصوله دار اقاربه التفت خلفه، فلم يجد أثرا لابنته، وحاول ان يجد تفسيرا لاختفاء ابنته، وبعد ان طال انتظاره دون ان تأتي الفتاة عاد إلى محطة الباصات ليجدها "واقفة هناك دون حراك" إذ كان عليها حسب التقاليد الشركسية ان تفسح الطريق للرجال المارين وما أكثرهم في المحطة) [٢١].

أهمية المضافة ودورها الثقافي والاجتماعي والتربوي:

تعود أهمية المضافات (المجالس) إلى كونها تلعب دوراً على المستوى الثقافي والاجتماعي والسياسي، كما أنها تستخدم كملتقى لمختلف شرائح وطبقات مجتمع القرية او المدينة ولها دور تربوي بارز تحل محل المدرسة في تثقيف وتربية جيل الشباب من الأبناء والاحفاد. ولعبت المضافات عبر العصور ادوار كبيرة في المجتمعات الشركسية قديما وحديثاً نذكر منها:

١) المحافظة على التراث الشركسي وديمومته، واستمراريته ونقله من جيل إلى جيل من خلال سرد القصص والأساطير عامة، وأساطير النارتيين خاصة، وكذلك من إلقاء الأشعار القومية والشعبية وأشعار الرثاء والحزن (الفيزة).

٢) كان يتم في جلسات المضافة (هاتشئيش) سرد القصص والحكايات القديمة المعروفة، وإن كان الضيف نفسه مغنيا متجولا فإنه يتحف الحضور بما عنده، فتحفظ القصائد مباشرة عن ناظمها، ويتم تداولها وتصبح من الأدب الشعبي، وبالتالي فإن هذه المجالس كانت أمكنة لتعلم التاريخ والآداب والفنون، لذلك فليس من العجب ان تبقى تواريخ وتفاصيل احداث جرت قديما وعلى مر الزمان محفوظة في أذهان الناس بسبب تناقلها من جيل إلى جيل في مثل هذه المجالس.

٣) المحافظة على التقاليد ونقلها من جيل إلى جيل مع الإضافة أو الحذف حسب متطلبات كل عصر أو زمان.

٤) قيام المضافات عبر العصور مقام المدرسة من حيث نقل المعارف وتربية الأجيال من خلال الأنشطة الثقافية التي كانت تمارس في المضافات.

٥) قيام المضافات (المجالس) بوظيفة المنتدى الثقافي حيث كان يتم فيها مناقشة الأحداث اليومية، وكذلك متابعة الأحداث الجارية في المناطق الأخرى، كما كان يتم فيها معالجة المشاكل الاقتصادية والسياسية والاجتماعية، بالإضافة إلى تبادل المعلومات والخبرات، خاصة مع الضيوف الأجانب الزائرين للقرية.

المجموعة السابعة: وهي العادات والمراسم المتعلقة بآداب المائدة والولائم

يقول المثل الشركسي في "الاعتدال في الأكل والشراب والكلام دليل على حسن التربية" والشراكسة شديدي الاهتمام بالآداب والمراسم المتعلقة بموائد الطعام عامة والولائم التي يحضرها ضيوف كبار السن خاصة...

ومن أهم المراسم والقواعد المرتبطة بعادات تنظيم موائد الطعام خاصة وموائد الولائم في حضور ضيوف وكبار السن خاصة هي:

*** المراسم المرتبطة بتنظيم الجلوس على الموائد.**

١- تقسم موائد الطعام الشركسية إلى قسمين غير متساويين، حيث يخصص القسم الأول لكبار السن وللضيوف والقسم الآخر فيخصص للمدعويين الاصغر سنا وللحاضرين من أهل المضيف، كما يتم ترتيب الجلوس بحسب السن والمكانة والمركز الاجتماعي.

٢- يجلس (التحمادة) والاكبر سنا من الضيوف على المائدة أولا، ثم الاصغر سنا.

٣- يكون مكان جلوس (التحمادة) في وسط المائدة وعلى يمينه الضيف الأكبر سنا، وبجانبه الضيوف الآخرون وأما المضيف فيجلس في الجهة المقابلة للتحمادة والضيف.

٤- يقف ابناء المضيف من الشباب حول المائدة ويبعد قليلا عنها للمساعدة في توزيع الطعام وتقسيم اللحمة وغيرها من انواع المساعدة التي تتطلبها واجبات الضيافة، أما الفتيات من بنات المضيف او قريباته من الفتيات فيقمن بإحضار الطعام أولاً بأول (حيث من العادات الشركسية عدم احضار جميع اصناف الطعام التي المائدة دفعة واحدة) والهدف هو تقديم طعام ساخن وطازج.

*** المراسم المتعلقة بدور (التحمادة) على الموائد:**

(التحمادة) هو الشخص الأكبر سنا والأكثر خبرة والقادر على التعامل مع مختلف طبائع الموجودين، ويمتلك طلاقة اللسان بلغة قومه، مُلما بالإتيكيت الشركسي وآداب الموائد ويعرف كيف يدير الجلسة وأحاديثها بكل لباقة.

وعلى عاتق التحمادة كانت تقع مهمة ليست بالبسيطة، ألا وهي إدارة وتنظيم سير توزيع الطعام على أفضل وجه، وكان عليه أن يأخذ بالاعتبار عادات وتقاليد الضيوف من القوميات الأخرى.

إضافة إلى ذلك على (التحمادة) أن يمتلك عددا آخر من الصفات الضرورية اللازمة لهذه المهمة، منها أن يعرف العادات المحلية بشكل جيد بحيث لا تصدر عنه أي اساءة او إزعاج لأي من ضيوف مائدة الطعام، وأن يعرف ماهية (الخواخة) أي رفع (النخب) التي يتوجب عليه ان يعرفها، وليس بإمكان (التحمادة) ان يغادر مائدة الطعام، ومن ثم يعود إليها إلا للضرورة القصوى، وعموما فإن أهم واجباته كان عدم الإسراف في تقديم الشراب، والاهتمام الجيد بالضيوف، وتقديم الاحترام الذي تمليه العادات، ولا يجوز لأي من الجالسين ان يرفع نخبا بلا إذن (التحمادة)، حيث أن من مظاهر الاحترام التي تفرضها آداب مائدة الطعام تتطلب الوقوف في أثناء رفع (الانخاب) على شرف الأكبر سنا او الضيوف، أما مضمون الانخاب وتسلسلها فكان يحددها اعمار الموجودين، والمكانة الاجتماعية، ومدى قرابتهم من صاحب الدار، وغير ذلك.

إن الاتيكيت الشركسي على مائدة الطعام يعبر عن مظاهر مدهشة ودقيقة من العلاقات المتبادلة قد لا تكون ملحوظة من قبل الغرباء، واحيانا غير مفهومة ابدا بالنسبة إليهم، وخاصة عدم السماح للشباب الذين يقومون على خدمة المائدة بالجلوس مع الآخرين حتى بعد انتهاء الأعمال الموكلة إليهم، وبالرغم من طلب المضيف قائلا: "ليذهبوا فيرتاحوا او ليجلسوا معنا" هذا ما يقوله الضيوف غالبا إلا ان المضيف لا يقبل ذلك، حيث إن الهدف من تواجد الشباب حول المائدة هو اكسابهم العديد من العادات والاعراف ويتعلمون آداب المائدة من الكبار، ويوسعون معارفهم بسماعهم أحاديث الأكبر سنا وخبراتهم وقصصهم وأغانيهم وطريقة مزاحهم.

مراسم توزيع الطعام على المدعويين الجالسين على المائدة

من أكثر المراسم والعادات المرتبطة بآداب الموائد الشركسية هي المراسم المتعلقة بتوزيع الطعام وتقسيمها وتقديمها للتحمادة والضيوف.. ومن هذه المراسم هي:

* يوضع امام اكثر الضيوف مكانة او التحمادة، لحم الكتف ثم يتم توزيع باقي أجزاء الذبيحة بحسب سن المدعويين، وقد اعتبر لحم الكتف التالي بالأهمية والقيمة المعنوية بعد (الجزء الايمن من رأس الذبيحة)، ومن ثم يأتي دور لحم عظام الحوض، ثم لحم الصدر فيليه لحم الفخذ، ومن ثم لحم الضلوع وعظام الظهر.

أما القطع الأقل شأنا من الذبيحة فتوضع امام الأصغر سنا على المائدة، مثل الرقبة، وفقرات الصدر، ثم لحم ما قبل الكتف، ويليه عظام الكتف، وبعدها عظام الساق، ويقوم على خدمة مائدة الطعام اثنان من الشباب يدعيان مقدمي الطعام والشراب، وعلى عاتقهما يقع الاهتمام بكل الأمور على طاولة الطعام، وفي أثناء تنظيف المائدة من امام الضيوف والانتباه إلى من يجب ابدال طعامه، وأي صنف من الطعام قد حان دوره وكذلك الشراب، وعلى الشباب الذين يقومون بالخدمة مهمة المراقبة الدقيقة لإشارات وإيماءات (وجه التحمادة وتعابير وجهه) إضافة للضيف، وإدراك ما الذي يجب عمله أولاً بأول.

ولذلك لم يكن أي شاب يصلح لمهمة كهذه، وكانوا يمرنون الفتية ويعلمونهم الدقة والانتباه لحركات الكبار، والسرعة في الأداء والحركة، وكان وجود مثل هؤلاء الشباب حول المائدة كفيلا ان يكون كل شيء خلال المأدبة ضمن الحدود، فلا يتم الإفراط في الشراب أو غيره، حيث ان ذلك لم يكن محبذا.

وقبيل الانتهاء من الطعام يتم عادة جلب نصف رأس الذبيحة الايمن، وهي عادة من رأس الخراف او الماعز الذي تم نحرها على شرف الضيف، وهناك العديد من التساؤلات المتعلقة بهذه العادة مثل متى يجب ان يقدم رأس الخروف أو الجدي؟ وأي نصف رأس يجب تقديمه؟ أمام من يجب وضعه؟ كيف يجب ان يقدم؟ من الذي يجب عليه تقسيمه وتوزيعه؟ وكم جزءاً يجب تقسيمه

ولمن تقدم الاجزاء؟ وكيف يجب ان تعامل هذه الأجزاء من قبل الضيوف؟ ماذا يجب ان نفعله بقسم الرأس الآخر؟

للاجابة عن مثل هذه التساؤلات يمكن ذكر اهم المراسم المتعلقة بتقديم وتوزيع الطعام عامة ورأس الخروف خاصة وعلى النحو التالي:

* يقوم بتقديم رأس الخروف الأيمن الأكبر سنا من الضيوف، ولكنه على الغالب يعتذر ويطلب من صاحب الدار ان يقوم بذلك، وتتم القسمة على الشكل التالي:

يقص (أذن) الخروف بواسطة سكين حادة وتقدم لأصغر الجالسين، أو إلى احد الشباب الذين يقومون بتقديم الطعام، ثم يفصل الجزء الخلفي من الرأس وحتى العينين ويقدمه إلى أكبر الضيوف سنا، ثم يأخذ الجزء الامامي من الرأس حتى الانف فيعطيه من يليه في المجلس، ويترك لنفسه الجزء الأوسط من نصف رأس الخروف والذي يحوي العين.

أي ان نصف رأس الخروف يقسم إلى أربعة اجزاء فقط، ولكل منها معنى ومغزى، ويتم استعمال السكين لقطع الأذن أما باقي الأجزاء فيتم فصلها باليدين.

* يرافق تقديم كل قطعة بكلمات ترحيب وثناء ومديح للشخص الذي تقدم إليه، وكان على الذين ينالون ميزة الحصول على إحدى هذه القطع الوقوف ومد اليدين ضامين كفيهما إلى بعضهما، ثم يجلس بعد ان يأخذ الجزء المخصص له.

* لالقاء الضوء على أهمية الجانب الايمن لرأس الخاروف تحدثنا الكاتبة (مامخيغ) نقلا عن (ب. خ بفاجتكوف) حادثة جرت مع أحد (البلقار) وهم من اصل تركي ويعيشون مع الشراكسة في جمهورية (كباردينا بلقاريا) في الوطن الام بقولها "عندما حل أحد "البلقار" ضيفا لدى عائلة شركسية، لفت انتباهه أن جزء رأس الخروف الذي وضع امامه كان الجزء الايسر، فما كان منه إلا ان قال مبديا انزعاجه "أنا لست من اليسار، لست قليل الاحترام، لقد اتيتكم وأنا على اليمين، محترما اجلبوا لي الجزء الايمن من رأس الخروف، فما كان من صاحب البيت، السيء الحظ، الذي كان قد تصرف بالجزء الايمن من رأس الخروف إلا ان ذبح خروفا آخر، وكان على الضيوف المرافقين كافة الانتظار حتى تم طهوه، وتقديم الجزء الايمن من رأس الخروف للضيف البلقاري".[٢٤]

فهذه الحادثة تدل على مدى أهمية الجزء الايمن من الرأس وعلى مدى التقيد بهذا التقليد الذي يمارس منذ عهد اجداد الشراكسة [٢٤].

المجموعة الثامنة: وهي بعض العادات والتقاليد المرتبطة بالعلاقات والمناسبات الاجتماعية عند الشراكسة

يمارس الشراكسة منذ عصر الاجداد حتى يومنا الحاضر عشرات العادات والتقاليد التي تنظم العلاقات الاجتماعية نذكر منها:

(١) العادات المتعلقة بالتهاني والتبريك او التعزية او المواساة... الخ

ربما كان افضل من كتب عن مثل هذه العادات هو الكاتب الشركسي (بغاجنكوف) في مقالة له بعنوان: (المرجعية الفكرية لتعابير التمني في اللغة الشركسية)[٢٧] وتوصل فيها "بأنه يوجد في اتيكيت التخاطب كم كبير من الصيغ التقليدية المخصصة للتعبير عن التمني والشكر والامتنان او التحيات، أو التعبير عن التعاطف والمباركة بحدث سعيد، ولقاء استلام هدية، او ابداء اهتمام خاص وتقدير مميز واحترام زائد وغير ذلك كما وجدت في اتيكيت اللغة الشركسية صيغٌ تقليدية للتعبير عن كل احداث الحياة السعيدة منها والحزينة. ويقال مثلا لقاء الشكر على الطعام: (ليضاعف الله لكم طعامكم) (ليضاعف الله لكم مخزون الطعام) وعندما يقدم ماء الشرب على المائدة لأحد الضيوف يقال لمن قدمه (لتكن محبوبا مثل هذا الماء)، أو (اطال الله عمرك)، أو (لتعش طويلا)، وعندما يشتري احد ما ماشية او طيورا يباركون له قائلين: (ليتكاثر ويتضاعف ما اشتريته)، وعند المرور بقرب من

يقوم بجمع محصوله الزراعي يقولون: (لتأكله بالعافية)، وعندما يقتضي الأمر مواساة شخص ما تكون حالته المرضية في وضع سيىء جدا: (نتمنى لك الخير وتمام العافية). وعند دخول العروس منزل الزوجية كانوا يتمنون لكل اسرة العريس بقولهم (لتجلب قدمها السعادة إلى داركم). أما لأهل العروس فيقال لهم: "ليكن الاثر او الذكرى الذي تركته ابنتكم ذكرى سعيدة" وهذا القول محاولة لتخفيف وطأة الوداع على الأهل.

وفي حالات الوفاة اعتاد الشراكسة ان يقولوا لأهل المتوفى عبارة تعني: "أن لا يحل عليكم مصيبة أكبر تنسيكم هذه المصيبة".

وعندما يكون المتوفى شابا كانوا يقولون: (ليضف الباقي من عمره إلى حياتكم أو "البقية بحياتكم") اما اذا كان المتوفى شيخا كبيرا في العمر فكانوا يقولون في العزاء (ليغفر له الله ذنوبه) "الله يغفر له ويجعله من اهل الجنة".

وعندما يولد للاسرة طفل جديد كانوا يتمنون له بقوة البنية وصحة الجسم، اما في حال الانتقال إلى سكن جديد فكانوا يباركون له بالقول: (ليمنحك الله السكينة والهدوء في بيتك الجديد) أو (ليمنحك الله الصحة في بيتك الجديد).

ويلاحظ بالطبع ان الشراكسة يتمنون السعادة والنجاح للآخر عند أي حدث مهما كان صغيرا في الحياة.

والشراكسة منذ عصر الاجداد كانوا يهتمون بالعادات المرتبطة بالتهاني في كل موقف او حدث من احداث الحياة، وانهم كانوا يستخدمون صيغة الجمع في التعبير عن التهاني أو المواساة مثل: تقبلوا تهنئتنا، تقبلوا منا، تقبلوا باسم الاسرة. كما كانوا يرفضون التهاني او المواساة عبارة الرجاء من الله، او التوسل إلى الله. لتحقيق السعادة او الصحة او النجاح. بقولهم: ليزودك الله سعادة.. او بارك الله لك تحملك.. او نسأل الله العلي القدير أن يكون مأواه الجنة، في حالة التعزية.. الخ.

(٢) العادات المرتبطة بإلقاء السلام والتحية

تقول (مامخيغ) تتضمن اللغة الشركسية العديد من الكلمات والجمل التعبيرية المستعملة في القاء التحية والتي تختلف بحسب الحالات والاوقات. ونحن نعتقد ان هذا التعدد يعتبر مظهرا من مظاهر تطور اللغة نفسها والثقافة الاجتماعية.

اشكال وصيغ التحية وتنقسم إلى فئتين هما:

الأولى: بحسب اوقات بإلقاء التحية او السلام مثل:

ليكن صباحك سعيدا – (صباح الخير) – نهارا سعيدا – مساء الخير.

والثانية: حسب طبيعة العمل

فلكل نوع عمل او مهنة تحية خاصة بها من حراثة وحصاد وجني المحصول، فمثلا يقال: ليكن حصادك مباركا او غلالا مباركاً، ومن التعابير المستحبة في القاء التحية منذ القدم تعبيران تقليديان هما: كيف الحال... وكيفك.. بالإضافة إلى تعابير مثل: ما الاخبار وما هو الجديد لديكم.. فالجواب يكون حسب مقتضيات الامور مثل: اخبار حسنة.. او اخبار غير سارة.. او لا توجد اية اخبار..الخ.

وليس من عادة الشراكسة الاطالة في القاء التحية وتحويلها إلى قصة.. او طرح مشاكل. وانما يجب ان تكون التحية قصيرة وخاطفة

كما جرت العادة ان يستخدم كلمة (السلام) ... وكلمة (مرحبة) بين الاصدقاء والمقربين والمتعادلين في الوضع الاجتماعي والسن.

وعند القاء التحية المسائية أو ليلا قبيل النوم يتمنى الناس بعضهم لبعض (نتمنى لك ليلة طيبة)، وغالبا ما تستعمل تعابير مثل (ليكن صباحك سعيدا) – (لتكن ليلتك هادئة ولطيفة)، أما الاهل فإنهم يخاطبون اطفالهم: (لتكن أحلامكم سعيدة) – وللمغادرين في سفر ما يقولون (نتمنى لك طريقاً أو سفراً سعيدا) أو (ليكن الله معك لأجل قضاء اوقات طيبة). وغالبا ما يجيب المغادر (ليرض الله عنك) أو (ليسمع الله منك) أو (اتمنى لك العافية) أو (ليهدنا الله إلى الخير) وهي هنا بما يقابل تعبير (إلى اللقاء) في اللغات الاخرى [٢٨].

(٣) العادات المرتبطة بآداب التعارف:

جرت العادة ان يقوم (الصديق المشترك) بمبادرة التعارف بين اثنين او اكثر من الاشخاص، معرفا كلا منهم باسمه واسم والده واسم عائلته، وإذا ما دعت الضرورة يذكر الحالة الاجتماعية، ويتم تسلسل التعريف بحسب كبر السن والحالة الاجتماعية وبحسب وجود نسوة بين الحضور.

اما الشكل واللهجة المطلوبة في مديح المعرفين في أثناء تقديمهم فتتعلق بكل حالة على حدة، وبحسب الهدف من التعارف فمثلا عند زيارة مجموعة من أقرباء العائلة بعد زواج الابن او الابنة فعلى الشخص المكلف بمهمة التعريف ذكر اسم العائلة أولاً ثم اسم الاب والكنية وصلة القرابة بالعائلة، وفي هذه الحالة ليس من المناسب ذكر الحالة الاجتماعية.

أما إذا حصل لقاء على طاولة غداء او مائدة مع أشخاص ليسوا من الأقارب وإنما من الغرباء الذين يمثلون مرجعيات مختلفة، وكان من بينهم اشخاص لا يعرفون بعضهم، فمن اللازم في هذه الحالة ذكر الحالة الاجتماعية والمركز الوظيفي بعد ذكر اسم العائلة أولاً ثم الاسم واسم الأب. وأحيانا وبحسب ما يراه صاحب الدار القائم بالتعريف يمكن اضافة بعض صفات الإطراء والمديح دون ذكر مستوى قرابته.

(٤) العادات المرتبطة بآداب المصافحة واللقاء وتضم اكثر من عادة فرعية منها:

*** عادة مصافحة المعارف والاقرباء:**

عند لقاء المعارف وتعبيرا عن تعاطف كل منهما مع الآخر فيتصافحان وقد أمسك كل منهما يد الآخر بكلتا يديه مع الاحتفاظ بها لفترة أطول، مع ذكر بعض التعابير المتعارف عليها في الاتيكيت (أحييك) (كيف الحال)، (السلام)، (كيف تعيش) (كيف الصحة).

*** عادة مصافحة الغرباء:**

فتتم بالمصافحة باليد اليمنى فقط، مع الإشارة إلى عدم الشد بعنف على اليد وانما الشد باعتدال، لأن عدم الشد نهائيا يعتبر ايضا إشارة غير مرغوب فيها، وينطبق الشيء نفسه على العناق لدى إظهار مشاعر الحفاوة عند اللقاء.

*** عادة لقاء الاقارب والأهل:**

جرت العادة عند الشراكسة ان يتم اللقاء (بالعناق) ثلاث مرات مع وضع الرأس على كتف الايمن الآخر ووضع اليد اليمنى خلف ظهر المحتفى به.. وليس من عادات الشراكسة التقبيل للرجال او النساء. وكذلك فإن مصافحة المرأة لا تتم إلا اذا هي بادرت بمد يدها للسلام.

(٥) آداب التخاطب والتحدث مع الآخرين

ربما كان من أجمل عادات التخاطب ان لا يذكر الاسم الاول فقط للشخص المتخاطب بدون اسم العائلة مثال ذلك: اذا كان أحدهم اسمه "عمر" مثلا من عائلة "ينال" فيجب ان ينادى بـــ (ينالوقه عمر) أي ابن ينال. و "قة" معناها (ابن) وقد اصطلحوا على ذلك للدلالة على أصولهم وانسابهم. وبما أن الشراكسة يعرفون عائلاتهم حق المعرفة، ويعرفون فروعها المختلفة فلا تفوتهم معرفة المنشأ بمجرد ذكر لقب العائلة وهذه ميزة يحافظون عليها ليومنا هذا. أما العائلات النبيلة التي منهم "البشي" و "الورق" فلا حاجة لأفرادها الحاملين لألقاب (التشريف) ان يذكروها مع أسمائهم لأنهم يعرفون بمجرد ذكر اسمائهم متصلة بعائلاتهم فقط، فمثلاً: إذا ذكر اسم (زانحواتوقه باسلان) يعلم في الحال

ان "باسلان" هذا أمير ابن أمير، وكذلك ليس من عادات التخاطب المناداة بصوت عالٍ ومن مكان بعيد.. وانما من الواجب التخاطب من على قرب وبصوت معتدل.

ومن آداب التخاطب ايضا

- الأكبر سنا هو الذي يبدأ بالحديث اولا.
- يقف الاصغر سنا عند مخاطبة التحمادة او الاكبر سنا له (ان كان جالسا).
- تتم المخاطبة بدون رفع الاصوات.
- من آداب المخاطبة والمحادثة ان لا تستخدم (الإشارات) بتحريك الايدي خاصة مع الاكبر سنا.

(٦) العادات المرتبطة بمكانة واحترام الجهة اليمنى لدى الشراكسة

منذ القدم اعتبر الشراكسة "المكان الايمن" أكثر احتراما وقدرا من المكان (الجهة) الايسر فمثلا يتم تحديد مكان الأكبر سنا وقدرا في الجهة اليمنى دائما، ويجلس الضيف على يمين صاحب الدار الأكبر في السن أو (من ينوب مكانه من كبار السن في العشيرة) وعندما يسير شخصان في الطريق فإن الأكبر سنا يلزم الجانب الايمن ويسير الأصغر عن يساره متأخرا قليلا عنه. أما التقدم عنه فهو تعبير عن انعدام الاحترام للكبير سناً.

(٧) عادة تناول الاشياء واستلامها من الكبار سنا باليد اليمنى

إن استلام او تسليم أي شيء للأكبر سنا او مكانة يجب ان يتم باليد اليمنى ومد اليد اليسرى للأكبر دليل عدم احترام وسوء تربية.

(٨) عادة دخول المنزل بالقدم اليمنى

كان دخول المنزل يتم بالقدم اليمنى، اعتقاداً منهم أنه يجلب السعادة، أما إذا خطا أحدهم ودخل إلى دار بقدمه اليسرى، فهذا دليل شؤم موجه لأصحاب البيت والمقيمين فيه. ولذلك كانت العادة دخول العروس إلى دار الزوجية بالقدم اليمنى اولا.

وكذلك فإن دخول الضيف بقدمه اليمنى هي إشارة إلى أنه يحمل خيرا إلى منزل مضيفه.

(٩) عادة تقديم النصف الايمن من رأس الخروف

وفي ولائم الاعياد والمناسبات، يضعون أمام اكبر الجميع سنا (التحمادة) الجانب الايمن من رأس الذبيحة (خروف – ماعز) أما الجانب الايسر من الرأس فلا يوضع على المائدة بل يرمى خارج الدار. (كما سبق ذكره).

(١٠) عادة التفاؤل الشراكسة بكل حدث يبدأ او يتم باليمين

كانوا يعتقدون أنه إذا حك المرء كفه الأيمن فهذا فأل بأنه سيستلم هدية او نقودا، أما اذا حكته كفه اليسرى فإنه سيفقد شيئا ما او يتضرر. وإذا حكه الجانب الايمن من وجهه او غمزت عينه اليمنى فعليه ان يتوقع امرا حسنا، أما اذا حصل العكس فيتوقع شراً، وعندما تطن الاذن اليمنى يتوقع الانباء السعيدة، أما إذا طنت الاذن اليسرى فيتوقع انباء سيئة ومزعجة.

(١١) عادة تربية الاطفال على استخدام اليد والقدم اليمنى

كانوا يعلمون الاطفال ان يضعوا أقدامهم في احذيتهم بدءا من اليمنى فاليسرى، ونزع الحذاء يكون بدءا من اليسرى، وإذا ما لاحظ الشراكسة أن الطفل يستعمل يده اليسرى أكثر من اليمنى، قاموا بتوبيخه عدة مرات، فإذا ما تبين ان التنبيه عديم الفائدة، كانوا يضربونه ضربا خفيفا على اليد اليسرى إذا ما مدها لتناول شيء ما، فإذا ما اعيتهم الحيلة في ذلك، كانوا يلجأون إلى جرح أحد

أصابع اليد اليسرى جرحا خفيفا، ثم يضمدونها ويربطونها إلى كفه بشكل جيد إلى أن يعتاد الطفل استعمال يده اليمنى، وبهذا كانوا يدربونه على استعمال اليد اليمنى في الأمور الصعبة الحياتية عامة.

(١٢) المرجعية الدينية لتفضيل اليمنى على اليسرى عند الشراكسة

يؤكد (مامخيغ) بأن المفهوم الرمزي لدى الشراكسة المتعلق بالجهة اليمنى له مرجعيته الدينية، فالشراكسة يؤمنون أنه وبحسب القرآن والعقيدة الإسلامية يتواجد لدى كل إنسان ملاك على كتفه الايمن يقوم بتسجيل اعماله الصالحة كلها، وعلى كتفه الأيسر ملاك يسجل الاعمال السيئة كلها، حيث سيتم موازنتها يوم القيامة فمن رجحت كفة ميزان حسناته ذهب إلى الجنة والعكس يذهب إلى النار وكذلك فإن الموازنة بين الحسنات في الجهة اليمنى والسيئات في الجهة اليسرى، الموجودة في الديانات السماوية الثلاث الاسلامية والمسيحية واليهودية وغيرها من الديانات القديمة الاخرى، ترتبط مع أصل الأفكار الانسانية حول بدء الخليقة، وحول الصراع الأبدي بين الخير والشر، وحول وجود عالمين روحي ومادي.

اما المفهوم الرمزي التشاؤمي للجهة اليسرى لدى الشراكسة فإنها تتمثل في الاستخدامات التالية:

- الفارس الذي يحمل نبأ سيئا مثل نبأ وفاة، كان يسرع منطلقا بالقدم اليسرى وكانوا يخبرون الفارس الذي يحمل نبأ سيئا يهمز حصانه بيده اليسرى ويمسك المقود اللجام باليمنى، بينما في الاحوال العادية يكون العكس، وحامل النبأ السيّئ كان ينزل من على صهوة جواده بوضع قدمه اليسرى على الأرض اولا.

ومن العادات التي كانت متبعة بعد العودة من دفن (الموتى) إلى منزل الأهل أن يقوم من يرغب في قول شيء لأهل المتوفى أن يرفع يده اليسرى ممسكا شحمة الأذن اليسرى ويقول (أحسن الله عزاءكم)، وأما رفع اليد اليمنى مقام اليد اليسرى فهو غير محبب لأن رفع اليمنى للدلالة على الفرح والسرور.

المجموعة التاسعة: وهي عادات ومراسم المآتم لدى الشراكسة (الحداغة)

مارس قدماء الشراكسة واجدادهم مجموعة من الطقوس والعادات في حالات الوفاة منذ عهد الفكر الديني الوثني قبل الآلاف السنين، منها:

- تفريغ احشاء الميت وعرضه لمدة اسبوع بكامل ملابسه على الناس.
- جلوس زوجة المتوفى (الكبرى) عند رأسه بدون بكاء كما يقف بجواره اثنان من اقربائه من كبار السن بجواره فيما تقوم فتاة بعملية (كش) الذباب من على وجهه بمنديل من الحرير.
- دفن الميت بكامل ملابسه وزينته وقسما من ممتلكاته الثمينة.
- ربط الحصان على القبر، وتركه يدور حوله ثلاث مرات ثم قطع أذنه اليمنى ورميها داخل القبر.
- عرض ملابس المتوفى وأسلحته وجواده بكامل تجهيزاته قبل دفنه بعدة أيام.
- ذبح الذبائح وإقامة الولائم للميت، وتسمى (حده اوس).
- تقديم العاب استعراضية على الخيول بعد الدفن واطلاق السهام في الهواء.

واما العادات التي كانت تتم في الفترة التي كان الشراكسة فيها مسيحيين هو وضع مقص مفتوح (على شكل صليب) على بطن الميت اعتقادا منهم بأن ذلك يساعد على عدم انتفاخ الجثة، وظلت هذه العادة مستخدمة حتى بعد اعتناقهم الإسلام.

وأما العادات والمراسم التي كانت تمارس بعد دخولهم الإسلام في حال حدوث وفاة يمكن تلخيصها على النحو التالي:

- جرت العادة أن تقام صلاة الجنازة في المقبرة وليس في المسجد.
- يعود جميع من شاركوا في الجنازة إلى بيت المتوفى والوقوف في صف أو نصف دائرة ويقومون بالدعاء للمتوفى بشكل جماعي وهي المراسم التي تسمى بالشركسية (دوة) أي الدعاء الجماعي.
- من العادات المتعارف عليها عدم جواز القيام بأية زيارة للاقارب او الاصدقاء بعد المشاركة بالجنازة، واعتبارها نذر شؤوم لأهل الشخص الذي تمت زيارته.
- قيام أهل المتوفى وأصدقاؤهم من الجنسين بتلاوة القرآن في العزاء ويتم فيها ختم القرآن.
- مدة العزاء عند الشراكسة أسبوع كامل، كما أن العزاء يكون مفتوحا صباحا ومساءً.
- من العادات التي يلتزم بها الشراكسة هو الدعاء للميت وقراءة الفاتحة عند دخول شخص أو مجموعة من الأشخاص لبيت العزاء، حيث يقف الأكبر سنا من المعزين بقوله: (آمين) وهو يعني أن يقف جميع من في العزاء ورفع الأيدي والدعاء للمتوفي ثم قراءة الفاتحة، وأحيانا يكون الدعاء علنا حيث يقوم الجميع بقول (آمين) بعد كل دعاء.
- لا يجوز لأهل المتوفى مغادرة بيت العزاء خلال فترة العزاء والذهاب لأي مكان لتناول الطعام وإنما يقوم الأقرباء والأصدقاء المقربين والجيران بإحضار الطعام إلى بيت العزاء يوميا.
- تقدم خلال فترات الصباح او المساء (اللقم) للموجودين في بيت العزاء وهي اكلة شركسية مصنوعة من (العجين المحلى) مقطع بشكل قطع مستطيلة صغيرة ويتم قليها بالزيت.
- يفتح بيت العزاء ايام الاثنين والخميس من كل اسبوع لمدة اربعين يوما لاستقبال النساء المعزيات اما عزاء الرجال فهي سبعة ايام فقط.
- تتم دعوى الاهل من النساء والرجال في اليوم الاربعين من تاريخ الوفاة لقراءة القرآن وعمل ختمة للقرآن ويقدم خلالهم طعام الغداء.

المجموعة العاشرة: وهي العادات المرتبطة (بالخواخة) عامة "رفع الانخاب"

يقول (جموخة) بأن الانخاب (الخواخوة) بدأت كتعبير عن تعويذات (سحرية) والتوسل لإطلاق القوى الخفية، أو لاسترضاء الآلهة. وكانت صناعة الطقوس المعقدة تسبق وتترافق مع المناسبات والفعاليات الاجتماعية. كما كان قوم (النارتيين) يرفعون الانخاب في مناسبات عديدة منها أنخاب للقمر، والحراثة، وتوالد القطيع، والموسم الزراعي الوفير، والحياة الزوجية. الخ كما كانت العادة أن ترفع الأنخاب تضرعا إلى إله الغابات (فر– تحه) قبل الخروج للصيد [١].

وكذلك فإن (يخول) يقول في مقال له بعنوان (الخواخوة – الأدعية الشركسية، نشأتها، وتطورها) بأن الانسان كان يضطر قديما لاعطاء تفسيرات للعديد من الظواهر الطبيعية ولكثير من الأمور التي تعترضه في حياته.

فمثلا كان يعتقد بأن المرض يأتي من الأرواح الشريرة، فيعمد إلى طرد هذه الأرواح بالنفخ على المريض مع ترديد بعض الادعية.



صور تمثل اسلوب رفع الانخاب (الخواخة) عند الأمة الشركسية في الوطن الأم

كما يجدون في الرقص فوائد جسمانية ونفسية يقومون بالرقص في كثير من المناسبات، مرددين بعض الأدعية، وكذلك إذا سمع أحدهم صوت الرعد كان يقوم بترديد بعض الادعية التي يتقي بها شراً.

بالبحث في تاريخ (الخواخوة) منذ عصر الأجداد وجد بأنه يتكون من نوعين من (الأنخاب) **فالأول**، الأنخاب التي تلقى في الولائم ويخاطب فيها أحد الآلهة التي كان يعبدها الجراكسة. **والثاني**، يعتقد بأنه أكثر قدما، ويتألف من مجموعة من الأنخاب هي أقرب إلى الرغبات أكثر منها توسلات للآلهة فعلى سبيل المثال:

إذا انحبس المطر كانت هناك أدعية معروفة يتم التقرب بها من (إله المطر) وانطبق هذا على الشراكسة عندما كانوا متأثرين بالمعتقدات المجوسية (الوثنية) حيث كانوا يعتقدون أن لكل شيء (إلها) يتحكم فيه، فكان للمطر عندهم إلها، وللريح والرعد والجمال والغلال آلهة، حتى بلغ عددها بالمئات إن لم يكن بالآلاف، وكانوا يتقربون إلى هذه الآلهة بالأدعية المتعلقة بكل منها.

*** أنواع الخوخوة:**

نشأت "الخواخوة" واصبحت من طقوس المناسبات المختلفة مثل مناسبات الاعراس حيث كانت هناك "خواخوة" تتعلق بالعريس وأخرى تتعلق بالعروس. و"خواخوة" خاصة بالطفل في يوم وضعه في (الجوشه) السرير، وأخرى في يوم تعليمه المشي، وخواخوه عند تجهيز سكة المحراث، وعند الخروج إلى العمل، وعند الخروج إلى العمل، وعند دخول البيت الجديد، وعلى مآدب الأكل والشراب وعند ولادة قمر جديد.

حيث كانت العادة أن يقدم نخب "ولادة القمر الجديد" بقولهم:

القمر الجديد الذي طلع ... لينشر نوره علينا

ليته يكون لطيفا معنا ... ليته يكون صحيحا معافى

ويأتينا بالجو المفيد ... والحظ السعيد في أوله.

ليته يبقينا سالمين وصالحين! ... نتمنى ونصلي

لأن تفتح الحرب والقتال ... الطريق إلى السلام والانسجام [٣٢]

ومع مرور الزمن تطورت عادة (الخواخوة) وبما يتناسب مع تطور وتغيير الحياة الاجتماعية والعقيدة الدينية، فمثلا لم يعد هناك مجال لتوجيه الدعاء إلى الآلهة المتعددة بعد انتشار الأديان السماوية التي تحرم الاعتقاد بتعدد الالهة.

كما أن تغير مظاهر الحياة الاجتماعية الشركسية ألغى الكثير من المناسبات التي مر ذكرها، وأصبح تداول "الخواخوة" مقتصرا وبشكل مبسّط على المآدب والمآتم والأعراس واستقبال الضيوف وتوديعهم.

وفي العصور اللاحقة أصبحت (الخواخوة) وسيلة تربوية، إرشادية مهمة، تشكل شخصية الفرد وتعطيه الثقة بالنفس وتنمي فيه ملكة الخطابة وتساعد على روح الود والمحبة بين أفراد المجتمع.

ولم يكن بين الشراكسة من كبار السن، من لا يتقنها بدرجات متفاوتة والشخص الذي يقول (الخواخوة) كان في الغالب، من كبار السن ممن لديهم تجربة كبيرة في حياتهم ويتميزون بقوة لغتهم وفصاحتهم وغزارة الألفاظ والمعاني التي يحفظونها.

والخواخوة القوية المشهورة كانت تنتقل بالتواتر من داخل المحيط القريب ثم البعيد ويتم ترديدها في المناسبات ذات الصلة بنفس المناسبة.

وقد وصلنا الكثير منها، بعد ان تم توثيقها في الوطن الأم في قفقاسيا.

كما أن هناك "خواخوات" مشهورة ارتبطت بأسماء واضعيها وذلك لقوتها وشهرتها ونذكر من أصحاب (الخواخوات) المشهورة في أوائل القرن العشرين: لا شي اغتوقوي، بيتشميرزي باشا، فيلشيفوي سيجاجي، وجميعهم كانوا فنانين وموسيقيين وشعراء أيضا.[٣٢]

وتشير الوقائع بأن ما من شركسي من كبار السن في بلاد المهجر لم يكن يملك القدرة في قول (الخواخوة) بكلمات ملائمة لجميع المناسبات الاجتماعية، خاصة وان عادة (الخواخوة) كانت جزءا من التراث الشعبي الشركسي في بلاد المهجر التي يتواجد فيها الشراكسة في قرى ومدن وتجمعات ذات اغلبية شركسية في كل من تركيا والأردن وسوريا وفلسطين وفي بعض مناطق الولايات المتحدة الامريكية مثل ولاية نيوجرسي، وأناهايم في كالفورنيا، وفي المانيا خاصة في مدينة ميونخ.

*** طقوس رفع الانخاب (الخواخوة) على الموائد:** [٢٥]

يطبق الشراكسة حتى يومنا الحاضر الطقوس والمراسم المتعلقة بعادة (الخواخوة) ورفع الانخاب بالمناسبات الاجتماعية والولائم.. وتتلخص بالطقوس والمراسم التالية:

- يبدأ (بالخواخوة) ورفع النخب (التحمادة) او الاكبر سنا على المائدة ويكون (شرب النخب) على شرف اكبر الضيوف سنا في حال وجود ضيوف أو على شرف المضيف.
- يبقى (التحمادة) جالسا في مكانه ومعه اكبر الضيوف سنا ويتكلم وهو جالس بينما يقف جميع الجالسين على المائدة إلى ان ينهي (التحمادة الخواخوة).
- لا يجوز لأي شخص على المائدة تناول الطعام او الشراب خلال عملية الخواخوة كما لا يجوز بأي حديث جانبي على المائدة.
- يبدأ تناول الطعام بعد انتهاء طقوس (الخواخوة) بدعوة من التحمادة او الاكبر سنا.
- بعد فترة من انتهاء (الخواخوة) الأول يطلب اكبر الضيوف سنا من (التحمادة) السماح له (برفع نخب) ردا على (الخواخوة) الأول ويرفعها وهو جالس ان كان كبير سن كما يبقى (التحمادة) جالسا في مكانه بينما يبقى الآخرون وقوفا خلال عملية (الخواخوة).
- هكذا يتم تبادل رفع الانخاب من قبل الضيوف والمضيف وبحسب ترتيب السن أو المكانة ويكون المضيف آخر من يقوم بعملية (الخواخوة) إلا أن مراسمها تنتهي برفع نخب التحمادة، ويباشر الضيوف الذين ينهضون عن المائدة بإبداء تحياتهم الطيبة لصاحب الدار قائلاً (ليكثر الله من خيراتك وليتضاعف لديك الخبز والملح) فيجيب صاحب البيت (هنيئا لكم ما أكلتم وشربتم).[٢٦].
- في حال ما تطلب الأمر ان يجري خلال رفع الانخاب طرق الاقداح، فإن الأصغر سنا يبقي كأسه أدنى مستوى من كأس الاكبر سنا.

المجموعة الأخيرة: وهي عادات اجتماعية متفرقة:

* من العادات الاجتماعية المتعارف عليها بأنه لم يكن الانسان الشركسي يهدي سلاحه أو (قلبقه) (طاقيته) كما كان حريصا كل الحرص ان يضعه في مكان مناسب، والويل ان قام باسقاط قلبق شخص ما على الأرض أو أحد رماه على الأرض.. لأنه يمثل رمزاً لشرف الرجل الشركسي.

* لم تكن تسمح العادات الشركسية ان يسكن او يقيم الصهر في بيت اهل الزوجة مهما كانت الظروف والاسباب.

* جرت العادة ان لا يستعمل الشراكسة أية القاب عند التخاطب حتى إن التابعين (البشل) كانوا يخاطبون مرؤوسيهم بأسمائهم المباشرة، مع عدم مخالفة التقاليد باحترام الكبار في السن والمكانة..

* من العادات الشركسية ان لا يتباهى الشخص ببطولاته او انجازاته عامة وامام والده خاصة.

والكاتب الشركسي (ت. م كيراشييف) يقدم لنا في روايته (الفارس الوحيد) وصفا لإحدى المواقف التي تعبر عن مدى تمسك الشراكسة بهذه العادة قائلاً:

"... وصلت إلى مسامع الأب الأنباء عن الأعمال البطولية التي قام بها ابنه عندما كان الوطن يتعرض للخطر، ولا شك ان تلك الانباء كانت سارة جدا بالنسبة للاب، ولكنه لم يبد في تصرفاته الظاهرة للعيان أي مظهر من مظاهر السرور والاعجاب، ومع ان الابن كان في ريعان الشباب، فقد تفهم ذلك تماما وتصرف بشكل مناسب، وادرك انه من غير اللائق بالنسبة للرجل الشركسي التباهي امام والده بأعماله البطولية، ولكن وفي إحدى المرات وبعد انتصاره على الجميع من في مبارياته الرياضية، لم يتمالك نفسه وروى كيف هزمهم في مختلف أنواع الرياضات، وفورا وجه إليه والده ملاحظة قائلا يا بني: "**إن من يتفاخر بالبطولات الصغيرة لن يحقق الكبيرة منها ابدا**".

عادات (الشابشة) وهي الحفلات التي تقام للشاب الذي يجرح في الحرب أو الذي يصاب بكسر في احد اعضاء جسمه.

وفيها يقوم الشباب من الجنسين بزيارة المصاب في بيته وتنظيم حفل هادئ بهدف (الترفيه عنه) وتخفيف آلام الإصابه ومن أهم مراسم (الشابشة) هو تنظيم ألعاب خفيفة يشارك فيها الشباب من الجنسين، ومن هذه الالعاب لعبة "أوباواة" حيث تقوم إحدى الفتيات بصنع (قرص دائري من الخبز أو الكعك) القاسي وفي منتصفه (تفاحة) أو أي فاكهة أخرى دائرية الشكل ويعلق (القرص) في سقف البيت بحبل... وتبدأ اللعبة بوقوف اثنين من الشباب متقابلين وبينهما القرص المتدلي من السقف (واليدين مشبكتين وراء ظهريهما)، ويتم أرجحة القرص مثل تأرجح (بندول الساعة)، وعلى كل من الشابين قضم قطعة من القرص في كل حركة... والشاب الذي يصل إلى (التفاحة) يفوز باللعبة، وتنتهي اللعبة في وسط من المرح والسرور والابتهاج.

العادات والتقاليد والطقوس التي (نسخت) او تغيرت مع تغيير المعتقدات الدينية والنظم الاجتماعية... الخ.

يجد الدارس للعادات الشركسية وتقاليدها واعرافها وطقوسها التي كان يمارسها قدماء الشراكسة واجدادهم منذ الاف السنين حدوث (نسخ) او تغير أو تعديل او إضافة أو الغاء، ومن أهم العادات التي نسخت بالكامل أو تغيرت مع مرور الزمان هي:

١) نسخ عادة قتل المسنين

يقول (مخوص) يولد الإنسان طفلا صغيرا ويربى ويهدهد حتى يكبر، فإذا أصبح مسنا اعادوه إلى المهد وكالطفل هدهدوه، واعتنوا به وإن لم يمت أخذوه إلى جبل وتركوه، وحده هناك.

ومن القصص التي وردت في اساطير النارتيين، بأنه حدث في إحدى المرات أن حمل النارتي (بادينقو) والده على ظهره، وذهب به إلى الجبل ليرميه حسب العادة القديمة، وزلت قدمه أثناء الصعود، فوقع فضحك والده، ولم يفهم (بادينقو)، كيف يضحك ابوه بدلا من ان يحزن، فسأله ما الذي اضحكك، فأجاب الوالد: يا بني، قبل سنوات طوال، وبينما كنت احمل والدي، في نفس هذا المكان، زلت قدمي في نفس هذا الطريق، فضحك والدي، ولم افهم ذلك في حينه، والان فهمت، لماذا ضحك، وإنني اعرف الآن، ان ابنك ايضا، سيحملك إلى هنا ويقتلك، لذلك اضحك!! [٢٩] ونسخت هذه العادة بعد تلك الحادثة.

٢) نسخ عادة قيام قاتل الزوج بزواج امرأة (عدوه) حتى ولو كان متزوجا.

٣) **الغاء من عادات نساء الجراكسة قديماً هو قيامهن بتصغير اقدامهن** بوضعها منذ الصغر في احذية ضيقة ليعقن نموها ولتصبح شكلها صغيرة وجميلة، كما كن يلبسن مشدات في الوسط ليصبحن نحيلات الخصور ممشوقات الجسم.

٤) **الغاء عادة الخياطة حول صدور الفتيات**

كانت العادة أن يخاط حول صدور الفتيات غلاف من الجلد قبل تجاوزهن السابعة من عمرهن كي يمنعن نمو الصدر ويكسبّن الجسم قواما ممشوقا. وعندما تتزوج الفتاة كان على الزوج ليلة الزفاف ان يقطع خيوط الغلاف الجلدي المخاط حول صدرها (بالقامة) دون ان يؤذي صدرها او يحز في الغلاف نفسه، فإذا ما اخطأ اثناء ذلك واصاب جسمها او الغلاف الجلدي بجرح او خدش اعتبر ذلك عارا عظيما. وبعد ازالة الغلاف كان يبدأ صدر المرأة بالنمو السريع، ويتضخم ثدياها بسرعة فائقة حتى يكتمل نموهما وهذه العادة القديمة بقيت متبعة حتى تهجير الشراكسة عام ١٨٦٤.

٥) **نسخ عادة الثأر من جميع افراد عائلة القاتل**

كانت العادة عند حدوث قتل او اغتيال متعمد وغدراً بأن تقوم عائلة المغدور بالانتقام من كل فرد من ذوي عائلة وعشيرة القاتل صغيراً وكبيراً، أي أن اولاد القتيل كانوا يثأرون له واحدا واحداً دون تميز.

واذا اراد القاتل الخلاص من الانتقام من قبل اقارب القتيل كان عليه ان يأخذ بنفسه او بواسطة احد اصدقائه ولدا ذكرا من بيت المقتول أو عائلته ويتخذه (قان) اي (ربيبا) وأن يعنى بتربيته كأحد اولاده او احسن منه، ثم يكسوه بأحسن ما عنده من الملابس ويهديه خير ما يملكه من الخيل والاسلحة، ثم يرده إلى بيت ابيه بكل حفاوة واكرام وبمراسم خاصة وفي هذه الحالة كان يعتبر هذا الغلام (المربي) مقابل دم ابيه القتيل.

٦) **نسخ العادات المرتبطة (بالخطف) بالاكراه او القوة**

تغيرت العادات المتعلقة (بالكمين) للخاطفين وقتل الحصان، او قتل المهاجمين (في بعض الحالات) إلى عادة وضع عوائق على الطريق الذي يسلكه الخاطف واصدقاؤه وطلب فدية ان تمكنوا من اللحاق بهم... الخ.

وأما (الكواسة) بالطرق السلمية والشرعية ما زالت مطبقة حتى يومنا الحاضر في الوطن الأم وفي بلاد المهجر بشكل قليل جداً.

٧) **نسخ جميع الطقوس والعادات الوثنية** التي كانت تطبق في حالة حدوث وفاة بعد اعتناقهم الديانة المسيحية ومن بعدها الدين الاسلامي الحنيف ولم يعد من تلك العادات الوثنية اية عادة اطلاقا باستثناء (حدة اوس) وهي اقامة الولائم بعد الدفن مع بعض التعديلات عليها، فالولائم تقام في الوقت الحاضر بعد (الاربعين) يوما من الوفاة، اما عادة التمثيل بإطعام الميت من قبل الاهل فقد نسخت واستبدل بها إطعام الفقراء والمساكين.

٨) **نسخ عادة قيام الزوجة بزيارة قبر الزوج مدة اربعين يوما** والجلوس على القبر عدة ساعات يوميا، وكانت تسمى عادة (الجلوس على القبر) بل العكس، فإن العادة وحسب الشريعة الاسلامية بأن الزوجة تبقى في المنزل ولا تخرج اطلاقا إلا في حالات المرض او الضرورة القصوى حتى انتهاء مدة (العدة) وهي ثلاثة اشهر.

٩) **نسخ عادة (الديور) وهي العادة التي ادخلها الشيوخ (المولا)** الاتراك إلى بلاد الشراكسة في الوطن الام وكانت هذه العادة متمثلة بمفهوم (شراء ذنوب وخطايا الشخص المتوفى) من قبل الحاضرين في الجنازة.. حيث كان يطلب (المولا) من أهل المتوفى وضع مبلغ من المال داخل (صرة) والقيام بتمرير هذه الصرة من شخص إلى شخص آخر من الاشخاص العائدين من الجنازة الذين كان يصطفون في ساحة منزل المتوفى.. وكانت مراسم (الديور) تتمثل بتمرير (الصرة) التي تحتوي على نقود من يد (المولا) أولا إلى الشخص الذين يقف على يمينه قائلا

(هل تقبل شراء ذنوب وخطايا المتوفى) فيجيب الشخص المتلقي للصرة (نعم قبلت ذلك) ... وهذا يمرر (الصرة) بدوره للشخص الذي يليه... وهكذا إلى ان تعود الصرة (للمولا) او الشيخ فتصبح الصرة بما فيها من اموال من حق (المولا) أو (الشيخ).

١٠) **نسخ عادة انتقال الزوج إلى بيت الزوجة** وكذلك توريث اهل الزوجة بعد انتهاء سلطة الام وانتقال السلطة لدى قدماء الشراكسة إلى الاباء.

١١) **الغاء العادات المرتبطة بالطبقية بعد انتهاء عهد سيطرة الامراء** (البشي) والنبلاء (الاوزدن) والرؤساء (التحمادات) خاصة ما يتعلق منها بالاتباع (البشل) والخدم (ونه – ؤت) وكذلك عادات منع التزاوج بين انسال الامراء والنبلاء والامراء وبين الفئات الاخرى من طبقات الشعب.

حاضر ومستقبل العادات والتقاليد والاعراف (الخابزة) الشركسية في الوطن الام وفي بلاد المهجر

ان من اكثر القضايا القومية التي تشغل بال المفكرين والمهتمين بالدراسات القومية الشركسية والتراث القومي داخل الوطن الام وخارجه في بلاد الشتات هو حاضر ومستقبل العادات القومية الشركسية (الخابزة) التي يعود تاريخ بعضها إلى آلاف السنين، والبعض الآخر إلى اكثر من ثلاثمائة سنة ومن اكثر الباحثين والباحثات الشراكسة الذين يبدون تخوفا كبيرا على حاضر ومستقبل العادات الشركسية (أديغا – خابزة) هي الكاتبة الشركسية (رايا مامخيغ) التي قدمت دراسة في كتابها (لمحات عن العادات والتقاليد الشركسية) ونقتبس منها الفقرات التالية:

"أما فيما يخصنا نحن (الأديغا) فقد آن الوقت من زمن للتوقف والتمعن: هل نحن اليوم فعلا شراكسة مقارنة (بالاديغاخابزة) والتقاليد الشركسية، نحن الذين ساد الزي الوطني الخاص بنا منطقة شمال القفقاس كلها، بما في ذلك جورجيا ولدى قوزاق نهر تيرك وكوبان ؟!

وتقول أيضا: "يجب ان نملك الشجاعة للاعتراف: كلا للاسف لقد فقدنا الكثير ولا زلنا نفقده مع الزمن، ولهذا أسبابه طبعا منها ما هو موضوعي ومنها الذاتي، ولكن السبب الاساسي يعود إلينا، وإلى التربية البيتية والأسرة الشركسية".

وتستطرد (مامخيغ) قائلة:

"...الناموس الشركسي هو فخرنا القومي والذي لا يعرفه إلا القليلون في أيامنا هذه: أي مواصفات اخلاقية يفترض وجودها لدى الشباب والفتيات؟ وما حدود السلوك المرسومة لكل نواحي الحياة والنشاط الاجتماعي والإنساني؟ "

"إلا أن الصفات القومية والشخصية الوطنية تختفي رويدا رويدا عند افتقاد اللغة القومية، وتختفي معها الثقافة الوطنية والتاريخ ايضا.

فما الذي سيمحو آثامنا؟

"بعد ثورة أكتوبر اعجبنا كلنا بـــ "الاتحاد الابدي للجمهوريات الحرة"، و"الاخ الأكبر العظيم والصداقة الأممية"، ولم يتعمق الكثيرون منا في مغزى الكلمات (قومية في الشكل واشتراكية في المحتوى)".

"وبغرض تربية الأجيال الشابة، بذلت أجهزة الراديو والتلفزة الروسية المركزية، جهودها وأصبحنا نمارس عادة التخاطب باللغة الروسية وبالأغاني والحكايا والثقافة الروسية، والأدب والتاريخ الروسي، حتى إننا في وقت ما كدنا ننسى اننا شراكسة، ونخجل إن تذكرنا ذلك.

وقالت أيضا: وحين استيقظنا في (البيروسترويكا) وجدنا انفسنا، **اننا لم نصبح روسا بعد ولكننا لم نعد اديغا، وأي أديغا نحن؟** إذا كان شبابنا وخاصة في المدن لا يكتبون ولا يقرؤون ولا يؤلفون بلغتهم الأم؟ ويمكنهم التعرف على مؤلفات الكتاب الشراكسة والشعراء والنقاد فقط من خلال اللغة الروسية (بعد الترجمة)، حتى تاريخ الشعب الشركسي لا يصل إليهم باللغة الروسية.

ثم تساءلت قائلة: "من الواضح ضمن هذه الظروف في أي حال هو مستوى معرفتهم بالأديغا خابزة والناموس الشركسي".

ومما يدعو للحزن والشفقة والسخرية ان نرى العديد من الشباب المثقف (إلى حد ما) يتحدثون مفاخرين بالصفات القومية (للأديغا) التي تذكرها مؤلفات الكتاب الأوربيين دون أن يخجله أنه هو نفسه لا يمتلك هذه الصفات. وللأسف فإن العديد من كبار السن ابتعدوا ايضا عن الاهتمام بتربية الشباب وحتى بالنسبة للمقربين منهم متماشين مع واقع الحال.. (إن الزمن الحاضر هكذا ومن غير الواقعي أن تخالف هذا الواقع).

نعم. إن الزمن الحالي صعب، وأصبح الناس اكثر جلافة ومادية وأنانية، أما الرومانسية وحب الجمال فقد اندحرا امام أفضلية المصلحة الشخصية وحب الذات، ويضيع اثر الصداقة الحقيقية والإخلاص للواجب، وما كان شائعا كونه مفخرة سكان القفقاس (احترام كبار السن) مهدد بالانقراض.

من المعروف ان كل أمة لها فكرها القومي الخاص وهو في أساس صفاتها القومية، وهذا ما يجب أخذه بالاعتبار عند تربية الاجيال الناشئة، وإذا لم نغذ في الشباب الناشئ فكره الوطني والقومي الخاص فمن الممكن ان يتربى طبيعيا بأفكار قومية أخرى، وسيعيش غريباً بتفكيره، ومفتقدا لقوميته، وليس علينا ان نذهب بعيدا لنحصل على مثال عما يحدث لشبابنا اليوم فحياتنا اليومية وسلوك شبابنا خير دليل على ما نقول.

فليس من النادر ان تسمع في أيامنا هذه احكاما مثل: "... من له الحق في ايامنا هذه، أيام العهد الديمقراطي ان يلزمنا بتدريس اطفالنا بلغة الاديغا؟!" اليست هذه إشارة الخطر؟ خاصة عندما تصدر من رئيس مجموعة تدريسية تمارس منذ زمن تعليم وتربية الاجيال الناشئة لبلدة كاملة؟! إن منافساتنا بخصوص مواضيع ممارسة العادات قد أماطت اللثام عن الكثير من الضياع وخير دليل على ذلك هو ما قالته إحدى شابات في القبرطاي قبل إقدامها على الزواج: "**سوف ابدأ حياتي الزوجية بأن أوقف زوجي عند حده قبل كل شي**" ويمكن التكهن ايضا أنها اخذت بالحسبان اهل زوجها وحددت لهم مكانتهم...

نعم لقد وصلنا إلى هذا الحد من تجاهل العادات الشركسية متجاهلين الاسس الوطنية، وبالنتيجة وعوضا عن تكون مجموعة متصادقة من مختلف القوميات تكونت أجيال من الناس (مسلوخة) من مميزاتها القومية.

وتختتم (مامخيغ) مخاوفها من اندثار واختفاء العادات والتقاليد الشركسية بقولها:

"واليوم عندما تؤثر المسألة المعاشية على طريقة تفكير الناس بشكل رهيب، وتقضي على تصوراتهم السابقة عن الحدود الاخلاقية، نرى أنه من الضروري العودة بشكل خاص إلى أفضل ما في عاداتنا القومية وتقاليدنا، وأن ندعوها لتساعدنا في تربية اجيالنا القادمة".

كما تقول: طبعا يجب التعامل مع هذا الموضوع بشكل موضوعي، والأخذ بالاعتبار الخصائص الزمنية والمتطلبات المعاشية والاخلاقية لمجتمعنا الحالي.

ونحن ندرك أن ليس كل ما تحويه العادات الشركسية يمكن الأخذ به حالياً ونطبقها في حياتنا الحاضرة، بل نوافق على هذه، وندع ذاك بحسب الواقع، وإنما المهم هو دراسة هذه العادات بعمق وتحليلها بشكل موضوعي ومبدع، وتحديد الغاية الاخلاقية من كل منها، والمتماشية مع التراث الفكري الانساني.[٣٠]

وكذلك فإن (ينال إيبار) يقول في كتابه (لمحات عن عادات الابخاز): (إن المحافظة على العادات لا تتم عن طريق تعليبها كما هو الحال بالنسبة للأصنام المقدسة، وإنما فقط من خلال الحياة اليومية وسلوك الناس، إن التقاليد تعيش وتؤثر باستمرارها فقط في المجتمعات الإنسانية، وإذا توقفنا عن الأخذ بهذه التقاليد ولو لجيل واحد فقط، فقدت للأبد بدون أي امل بإعادة بعثها في المستقبل).[٣١]

*** العوامل الداخلية والخارجية التي لها علاقة على درجة تطبيق العادات والتقاليد وعلى مستوى الحفاظ على التراث القومي الشركسي**

يستنتج الدارس عن كل ما كتب حول حاضر ومستقبل (الاديغا خابزة) في الوطن الام وفي دول الشتات في المهجر عامة وفي الدول العربية وتركيا خاصة. بأن العادات والتقاليد القومية الشركسية مطبقة في الوطن الام، وفي بلاد المهجر، إلا ان تطبيقها يختلف باختلاف العوامل التالية:

العامل الأول: مكان السكن والإقامة الدائمة:

سكان القرى والمدن الصغيرة ذات الاغلبية الشركسية ما زالوا يطبقون العادات الشركسية بشكل جيد ويحافظون على التقاليد القديمة دون تبديل او تغيير، اما سكان المدن الكبيرة فإنهم اصبحوا اقل التزاما بالعادات والتقاليد.. وان هذه العادات تأثرت بعادات وتقاليد المجتمعات غير الشركسية الذين يعيشون في الوطن الأم إلا أن الشراكسة الذين يعيشون في المدن الكبيرة في بلاد المهجر هم اكثر تأثرا منهم في الوطن الام.

العامل الثاني: العمر

الشراكسة الاكبر سنا اكثر تمسكا بالعادات والتقاليد الشركسية القومية من الاصغر سنا في كل من الوطن الام وفي بلاد المهجر.

العامل الثالث: نوع التجمعات الشركسية وطبيعتها في الوطن الأم وبلاد المهجر

تشير الدراسات بأن الشراكسة الذين يعيشون في مجتمعات شبه مغلقة داخل المدن الكبيرة ذات الاغلبية غير الشركسية في الوطن الام او في بلاد المهجر اكثر حفاظا على العادات والتقاليد من الشراكسة الذين يعيشون في المجتمعات المحلية غير الشركسية. وحكمهم هو نفس حكم الذين يعيشون في القرى او المدن الشركسية.. فكل ما كانت البيئة الشركسية هي الغالبة في أي مجتمع، كان التمسك بالعادات أفضل كما هو الحال لدى الشراكسة الذين يعيشون في كل من ولايتي نيوجرس في باترسون واناهايم في كالفورنيا، وكذلك بالنسبة لشراكسة دمشق الذين كانوا يعيشون في حي المهاجرين، وشراكسة الاردن الذين كانوا يعيشون في كل من مناطق الشابسوغ وجبل عمان القديم والمهاجرين، فإن محافظتهم على العادات كانت اكثر بكثير من الذين عاشوا في اماكن متفرقة في المدن الاردنية.

العامل الرابع: وهو عامل الزمن من حيث قرب وبعد وقت الهجرة من الوطن الام

من الواضح جدا بأن عامل المدة التي مرت على هجرة الشراكسة من الوطن الام وعلى مدة تواجدهم في بلاد المهجر، له اثر كبير على القدرة في المحافظة أو التمسك بالعادات والتقاليد الشركسية مثلما حدث مع شراكسة مصر في عهد ملوك الشراكسة الذين انتقلوا بطريقة وأخرى من الوطن الام إلى الديار المصرية ابتداء من القرنين الثاني الثالث عشر بعد الميلاد الذين تشتتوا ايضا (بعد مذبحة القلعة في عام (١٨١١م) في كل من السودان وليبيا، وسوريا والعراق. حيث لم يعد للعادات والتقاليد الشركسية بين هذه الفئة من شراكسة الشتات وجود، وإن كان جيل الاحفاد يتذكرون بعض العادات التي كان يمارسها الاجداد، وأنهم معتزون بانتمائهم للأمة الشركسية، وكذلك الأمر بالنسبة لأحفاد الشراكسة الذين هجروا وطردوا من الوطن الام قبل انتهاء حرب الإبادة والدمار الروسية او بعد انتهائها مباشرة فإن هؤلاء الاحفاد أقل تمسكا بالعادات والتقاليد من أحفاد الشراكسة الذين هاجروا في مراحل زمنية لاحقة، أي ان عامل الزمن يؤثر تأثيرا سلبيا على درجة التمسك بالعادات والتقاليد في حال غياب او في حال عدم توفر العوامل الأخرى سابقة الذكر.

العامل الخامس: درجة تقبل الانظمة السياسية للشراكسة في بلاد المهجر

نستنتج من الخبرات التي مرت بها الشعوب والمجتمعات الشركسية في بلاد المهجر بأن الانظمة السياسية المطبقة في تلك البلاد كانت لها ادوار سلبية وأخرى ايجابية كبيرة على درجة ممارسة الشراكسة لعاداتهم وتقاليدهم وتراثهم القومي... والأمثلة (السلبية) على ذلك كثيرة نذكر منها ما يلي:

المثال الاول: تمسك الشراكسة في تركيا في عهد العثمانيين كان أكثر بكثير من تمسكهم فيها في عهد (كمال اتاتورك) الذي حارب القومية الشركسية واصدر الانظمة والقوانين التي تحرم على الشراكسة التحدث بلغتهم وممارسة عاداتهم والاحتفاظ بتراثهم القومي حتى وصل الامر من التطرف بأن اصدر قانونا يحرم استخدام اسماء العائلات الشركسية وتغييرها إلى اسماء تركية.

المثال الثاني: كان تمسك الشراكسة في سوريا في عهد العثمانيين أكثر بكثير من الفترات اللاحقة التي تم فيها الغاء المدارس الشركسية وجريدة (مارجَ)، وتغيير اسماء مؤسسات المجتمع الشركسي من جمعيات خيرية تعاونية قومية شركسية إلى جمعيات المقاصد الخيرية وحذف (اسم الشركسية منها).

المثال الثالث: ظل الشراكسة في الديار المصرية حتى انتهاء حكم دولة الشراكسة فيها وبدأ حكم العثمانيين فيها وكذلك تاريخ بدء حكم (الالبانيين) في عهد محمد علي الكبير اصبح ممارسة العادات الشركسية وتقاليدها من المحرمات بحكم مقاومة العثمانيين أولا ، وتخلص محمد علي الكبير من المصريين من اصول شركسية ثانيا، حيث تم القضاء التام على هذه العادات وتلك التقاليد ولم يعد لها وجود في تاريخ مصر المعاصر.

وأما الأمثلة الايجابية على علاقة التمسك بالعادات والتقاليد بالانظمة السياسية والايدولوجيات في بلاد المهجر فهي ايضا كثيرة تذكر منها:

المثال الاول: استمر تمسك الشراكسة في الاردن بالعادات والتقاليد لفترات اطول من غيرها من المجتمعات في الدول العربية الأخرى بفضل دعم وتشجيع نظام الحكم الهاشمي في الأردن، وأن هذا الدعم ساهم كثيرا في الحفاظ على التقاليد وفي المحافظة على الفلكلور القومي الشركسي مثل (الرقص) حتى اصبح هذا الفلكلور جزءاً من فلكلور الشعب الأردني، وكذلك بقاء تماسك المجتمعات الشركسية وتطور مؤسساتها الشركسية وتزايد اعدادها، وتزايد اعداد المؤسسات التعليمية التي تهتم بتدريس اللغة الشركسية وتعليم الفلكلور الشركسي عامة والرقص الشركسي خاصة، ويوجد في الأردن اليوم ثلاث فرق فلكلورية على مستوى فني عال جدا، كل ذلك بفضل وتشجيع السلطات الأردنية عامة والشعبية خاصة، وبفضل دعم الاسرة الهاشمية الحاكمة في الأردن ابتداء في عهد الملك عبدالله المؤسس لامارة شرق الاردن في عام ١٩٢١ ومروراً بعهدي الملك طلال بن عبدالله، والملك حسين بن طلال في الفترة من ١٩٥٢ – ١٩٩٩ وحاليا في عهد الملك عبدالله الثاني الذي سار على درب الاباء والاجداد في دعم وتشجيع شراكسة الأردن على التمسك بعاداتهم وممارسة فلكلورهم والحفاظ على هويتهم القومية الشركسية.

المثال الثاني: ان الشراكسة في الدول التي تتعامل مع الشراكسة في بلادها (كأقليات إثنية)، مثل الولايات المتحدة الامريكية، واسرائيل، والدول الاوروبية عامة، وفي المانيا وهولندا وبلجيكا وفرنسا خاصة... اكثر قدرة على التمسك بعاداتهم وتقاليدهم ولديهم الحرية الكاملة للاحتفاظ بهويتهم القومية، من خلال منظمات ومؤسسات المجتمع المدني فيها إلا ان قلة اعداد الشراكسة في هذه البلاد، وصغر حجم المجتمعات الشركسية فيها تؤثر تأثيرا سلبيا على استمرار تطبيق وممارسة العادات والتقاليد الشركسية فيها.

مراجع ومصادر الفصل الرابع

١) آبه – زاو، مصدر سابق، ص:٢١٠.

٢) نغموقة، مصدر سابق، ص:١٨٠.

٣) خوانقوه نادية حربي، خالدون، قازانوقة جباغي، مجلة نارت، العدد (٥٥) السنة (٢٤)، ١٩٩٥.

٤) دغوظ، فؤاد يجي، محاضرة حول الاديغة خابزة في الجمعية الشركسية في عمان ١٩٨٩/٧/٨ ص: ١-٩.

٥) مامخيغ، رايا عادل، لمحة عن العادات الشركسية، نشر باللغة الروسية في نالتشك في جمهورية كباردنيا بلقاريا، عام ١٩٩٣: وترجمه إلى اللغة العربية، نزيه جلاحج، دمشق عام ٢٠٠٥، ص: ٧٤، ٧٥، ٧٧، ٧٨.

٦) بيرغ، ايفان فيدروفيتش (رحالة روسي) حياة الشراكسة في شمال القفقاس (١٨٣٠-١٨٤٠).

٧) بل، جيم (رحالة انجليزي) كتب عن عادات الشراكسة وحياتهم الاجتماعية بعد أن تجول في بلاد القبرطاي وتشيركسيا أعوام ١٩٣٧-١٨٣٩.

٨) س. ب بويكو، الخداع في القفقاس، ونقلت عنه (مامخيغ) في كتابها لمحات عن العادات الشركسية، مصدر سابق.

٩) دي مونبير، فردريك، جغرافي وعالم طبيعة ومختص في الاثار، عاش في الاوساط الشركسية عام ١٨٣٣ وكتب عن حياة الشراكسة وعاداتهم وتقاليدهم في شيء من التفصيل.

١٠)انتريانو، جورجيو، تاريخ الزيخ (أجداد الشراكسة) عام ١٨٣٢.

١١)يخول، عاطف سعيد طاس، مقالة بعنوان سنة حلوة .... يا جميلة (من التراث الشركسي) دراسة منشورة في مجلة الاخاء، الصادرة عن فرع جميعة وادي السير.

١٢)جنكات، محمد خير، دراسة حول النظام التربوي مجلة الواحة عدد (١٣) السنة الثانية لعام ١٩٧٦ ص: ٨-٩.

١٣)برزج، نهاد، تهجير الشراكسة، منشور باللغة التركية ترجمة عصام حتك، عمان ١٩٨٧، ص: ٨٧-٨٨.

١٤)مامخيغ، رايا، مصدر سابق، ص: ٨٩.

١٥)المصدر نفسه، ص: ٩٠.

١٦)شركس، مصطفى، التربية الشركسية، مصدر سابق، ص: ٩.

١٧)باولي ، جون، كتاب احتلال القفقاس، ونقلت عنه رايا مامخيغ في كتابها لمحات عن العادات الشركسية.

١٨)مامخيغ، رايا، مصدر سابق، ص: ٩٠.

١٩)المراجع الخاصة بالعادات المتعلقة بالزواج.

٢٠)مامخيغ، رايا، مصدر سابق، ص١٣١-١٣٥.

٢١)اوزبك، باتريك، مصدر سابق، ص: ٧٥.

٢٢)المصدر نفسه، ص: ٧٣.

٢٣)ل. غ. باغايتسييفا، العلاقات بين الشباب والفتيات في المجتمعات الشركسية، ص: ٩٦-٩٨.

٢٤)مامخيغ، رايا، مصدر سابق، ص: ١٤٢-١٤٣.

٢٥)ن. دوبروفين، الشراكسة، كورسندار عام ١٩٢٧.

٢٦)مامخيغ، رايا، مصدر سابق، ص: ١٤٣.

٢٧)ب. خ، بغاجنكوف، المرجعية الفكرية لتعابير التمني في اللغة الشركسية المنشور باللغة الشركسية في الاديغية.

٢٨)مامخيغ، رايا، مصدر سابق، ص: ١٢١- ١٢٢- ١٢٤.

٢٩)مخوص، ارسلان، مصدر سابق.

٣٠)مامخيغ، ريا، مصدر سابق، ص: ١٩-٢١.

٣١)ايبار، ينال، لمحات عن عادات الابخاز، ص: ٢٠.

٣٢)جموخة، امجد، مصدر سابق، ص: ١٩٧ – ١٩٨.

٣٣)يخول، عاطف الحاج طاس، مجلة الاخاء، الجمعية الخيرية الشركسية، فرع وادي السير، الأردن، العدد (١٢٢) اصدار شهر حزيران ٢٠٠٥، ص: ١٤.

٣٤)مامخيغ، رايا، مصدر سابق، ص: ٣١-٣٣. (نقلا عن كتابات جيم بل، الرحالة الانجليزي الذي تجول في بلاد القبرطاي وتشركيسيا في الاعوام ١٩٣٧-١٩٣٩، مصدر سابق.

الفصل الخامس

الخصائص والصفات القومية المميزة للانسان الشركسي منذ فجر التاريخ وحتى العصر الحديث

يؤكد علماء الانثروبولوجيا عامة والمختصون منهم بعلم دراسة الاجناس خاصة، بأن الرجل الشركسي كان يتصف بصفات قومية محددة ويمتلك خصائص نفسية وعقلية واخلاقيــة واجتماعيــة ومدنية ميزته عن غيره من الرجال في عصره، وان العشرات من علماء التاريخ واختصاص دراسة الاقوام، وكذلك العشرات من الادباء والشعراء والمؤرخين والرحالة تحدثوا دون تحفظ عن الــصفات والخصائص والمزايا والخصال الحميدة التي كان يتحلى بها ((الرجل الشركسي)) منذ القدم مما جعل الشراكسة قوماً يتميزون برجولة رجاله ورزانة وجمال نسائه.

أولا: أهم الصفات (القومية) التي تميز شخصية ((الرجل الشركسي – الاديغا – له)).

الصفة الاولى: الشجاعة والرجولة والمروءة:

ان من أهم الصفات القومية التي تميز شخصية الرجل الشركسي هي الــشجاعة – ونــستدل على ذلك من اقوال وكتابات العشرات من علماء الاجناس والمختصين في دراسة الشعوب القوميــة، كما هو مبين في الاقتباسات التالية:

كتب العالم المجري المختص بدراسة ثقافة الشعوب "جان شارل دي بس" عام ١٨٢٩ فــي أثناء جولاته.

"على الرغم من ان الشراكسة شعب كبير، شجاع ومقدام وصامد، إلا أن الاوروبيين يعرفون القليل عنهم، لذلك لن يكون من قبيل الإطالة إضافة بعض الملاحظات عن صفات هذا الشعب وهذا ما سأفعله، واستطرد قائلا:

"... لقد ذكر اسلافي من الكتّاب والرحالة أن كلمة شركسي مأخوذة من مقطعين في اللغــة التترية نصفها يعني ((طريق)) ونصفها الآخر يعني ((قاطعا)) ولكنهم لم يفكروا بأخذ معنى الكلمــة من الصفات الحقيقية لهذا الشعب ويقول مستدركا:

"ويجب الانتباه إلى ان معنى مقطعي الكلمة باللغة الفارسية هو (ذات شخصية ورجولة فائقة او محارب شرس) ومن هنا نستنتج ان ((الفُرس)) هم من أعطوا التسمية الحالية للشراكسة، وأنا آمل ان علماء دراسة ثقافات الشعوب سوف يجدون الأصل العلمي واللغوي العادل المتناسب مع نظرتهم للموضوع" (١).

ثم يتابع قائلا:

وأما القس الايطالي (جوفاني لوكا) قاد مهمة تبشيرية إلى القرم في القرن الثــامن عــشر ونقتبس هنا مقاطع من كتابه:

"... وفي تلك الغابات كان واحد من الاديغا يجبر عشرين تتريا على الفرار من أمامه.. إنهم يحترمون الكبار كثيرا... أهم شراب لدى هذا الشعب هو الماء المغلي مع العسل والمضاف إليه دقيق (البروسا) حيث يترك لفترة عشرة أيام لتخمر(٢) **وكذلك فإن ((مــارتن برونوفــسكي)) الدبلوماســي البولوني يتحدث في كتابه ((منطقة بيتيغورسك وسكانها)) الصادر في كيلين عــام ١٥٩٥ باللغــة اللاتينية والذي صدرت منه عدة طبعات وترجم إلى عدد من اللغــات، عــن القبرطــاي وصــفات الشراكسة كالشجاعة والبراعة العسكرية والكرم والنبالة.** (٣)

وأما "دورتيلي" فإنه يبرز المزايا القتالية للشراكسة بقوله: "... إنهم /يقصد التتــار/ يهــابون الذهاب إلى تشركيسيا حيث يتواجد هناك شعب مقاتل للغاية" كما يقول:

"... إن الشراكسة يفخرون بأصولهم ودمائهم النبيلة، ويكن لهم الاتراك احتراما بالغا ويدعونهم (تشيركيسي سباغا) اي الفرسان الشراكسة النبلاء.[٤]

واما "جورج انتريانو" من جنوا في ايطاليا كتب حول اصول الشراكسة في عام ١٥٠٢، ونقتبس منها الفقرات التي تتحدث عن شجاعة الشراكسة وشهامتهم ورجولتهم فيقول:

"وحين ينامون في فراشهم يتوسدون دروعهم المصنوعة من الحلقات الحديدية المتصلة ويضعون باقي اسلحتهم على جوانبهم لكي تكون في متناول يدهم اذا قاموا من نومهم فجأة، وفراشهم مصنوع من الجلد المملوء بالقش.

"... واما مساكنهم فمصنوعة من الخشب والقصب اذ من العار عندهم ان يحيط سيد او امير بيته بسور عال، او حائط مرتفع، او يبني لنفسه بيتا من الحجر، لأنهم يعتبرون ذلك دليلا على جُبنه وضعفه، وانه عاجز عن حماية نفسه، ولا تجد في طول البلاد الشركسية وعرضها سورا أو حصنا، فيسكنون تلك البيوت الخشبية البسيطة".

"... وأما القلاع والحصون القديمة الباقية في بلادهم فلا يستعملها إلا بعض الفلاحين لايواء الحيوانات أو حفظ الغلة فيها وغير ذلك، والنبلاء منهم يخجلون من الاختباء فيها، وهؤلاء يصنعون السهام بأيديهم وهم على ظهور خيلهم ويتقنون صناعتها كل الاتقان حتى انه يمكن القول بأنه لا مثيل لها في أقطار المجاورة لبلادهم".

ويقول أيضا:

"... وانهم يحلقون شعر صدورهم كلما ارادوا خوض معركة لأنهم يعتبرون من العار ان يجد العدو شعرا على صدورهم، وفي الحرب يقذفون على بيوت اعدائهم المصنوعة من الخشب والقش مصنوعة من الخشب.

ويختتم كلامه بقوله:

"ومما لا شك فيه ان مقدرتهم الحربية عظيمة حتى ان فئة قليلة منهم تكفي لقهر جيش من التتر، لأنهم أمهر منهم بكثير في الأمور الحربية، ويساعدهم على ذلك جودة أسلحتهم الدفاعية، فهي الخوذة الحديدية للرأس التي هي على النمط ((البونتي)) أي البحر الاسود، ولها حزام عنقي يربطها بالفك الاسفل وتشبه الخوذ التي تراها بالتماثيل القديمة[٥].

وتقول (واميخغ) بأنه كان من الصفات المتعلقة بالشجاعة، هو كتم مشاعر الألم، وقالت بأن أحد الشباب كان مصابا بجرح قاتل كان يبذل اقصى جهده وقواه لكي لا يصدر أنينا بحضور والده، مع أن كل من شاهده كان يدرك ان قواه على حافة الانهيار، ولكنه يبدي تماسكه ورباطة جأشه امام والده ويتكلم بكل هدوء، وأما الأب الذي تفهم وضع ابنه فقد سارع في الخروج. كما تقول (واميخغ) بأن التاريخ نقل لنا جمالية ورجولة وشهامة الرجال الشراكسة وإخلاصهم لوطنهم وقلقهم المستمر حول مصير شعبهم، وإن هذه الصفات القومية للرجل الشركسي قد انتشرت بعيدا وأثارت اهتماما كبيرا لدى الاوساط التقدمية في أوروبا.

وقال الحسن بن عبدالله العباسي في كتابه "آثار الاول في ترتيب الدول" عند ذكره لأجناس البشر (والوفاء والحنو في الجركس والألفة ايضا)، كما قال العلامة "جودت باشا" جبت ارضهم طولا وعرضا فوجدتها نظيفة طاهرة من جميع الادران ووجدتهم قوما عقلاء قابلين للحضارة والمدنية وذوي شجاعة وجسارة صادقين في أقوالهم ثابتين فيها لا يتكلمون بالكذب أصلا، ولا يحلفون ايمانا كاذبة.

وكان من علامة شجاعة الرجل عند الشراكسة القدماء أن يحلق شعر صدره حتى لا يكون حاجزا بينه وبين سلاح خصمه، ومن يتركه يعد جبانا يخاف الموت كما كان المقاتلون الشجعان يُكافأون بجعل مكانهم في الصفوف الامامية للجيش ليكونوا الدرع الواقي لباقي المقاتلين. كما كان من العار أن يظهر المقاتل الشركسي جبنا أو خوفا او فر من ساحة المعركة، حيث كان من نصيبه

الاحتقار والازدراء كما كانوا يلبسونه ((قبعة قذرة ويركبونه جوادا أجرب)) ويعرضونه أمام الجماهير، وهم يلاحقونه بالتصفيق والتشهير والاستهزاء كما كان تفرض عليه غرامة بقيمة (ثورين) على الأقل.

الصفة الثانية: صفة اللباقة في التعامل مع الكبار والجنس الآخر:

يقول العالم المجري (جان شارل) "... إذا ما صادف فارس شركسي امرأة راجلة في طريقه فإنه يترجل ويعرض عليها جواده، وإذا رفضت فإنه يبقى ماشيا إلى جوارها حتى تصل إلى منزلها".

ويقول "انترينانو" "الشراكسة لبقون مؤدبون للغاية في تعاملهم، وعندما يتحدث أحدهم إلى من هو أكبر منه لقبا فإنه يحمل قبعته بيده، وان هذه اللباقة لم تكن لباقة آنية وانما هي من الصفات المتأصلة في المواقف التي تتطلب ذلك".

الصفة الثالثة: الصفات الجسمية التي يتميز بها الرجل الشركسي

كتب الداعية السياسي الانكليزي "جيم بل" الذي مثل أكثر اوساط البرجوازية الانكليزية عدائية للشراكسة، والذي سره الاستيلاء على شواطئ البحر الاسود في أعوام ١٨٣٧-١٨٣٩ بما فيها تشركيسيا:

"... لقد أدهشني عدد الأشخاص ذوي الطلعة الجميلة في عداد المجتمعين، وفي تقاطيع وجهوهم الرائعة وقاماتهم المديدة، والصدور العريضة، والأكتاف المتينة مع خصور نحيلة، وأقدام متوسطة الحجم، كل ذلك يضاف إلى العيون المشبعة بالحيوية بشكل مدهش.." واستطرد قائلا: "... في أثناء وجودك هناك يمكنك القول بكل ثقة إن هؤلاء الرجال هم خير عطاء قدمته هذه الأرض..."(٦)

كما اعترف الدبلوماسي الرحالة ((ابري – دي – لاموتر)) الذي تجول في بلاد الشراكسة في القرن الثامن عشر بأنه تعلم من الشراكسة طريقة التطعيم ضد مرض الجدري وقال: "... لقد لاحظت ان جميع الشراكسة جميلو الوجوه ولا يحمل أي منهم بقايا مرض الجدري، ولقد قررت ان أوجه سؤالا: ألا يوجد سر ما في حماية أنفسهم من البشاعة التي يخلفها هذا المرض عدو الجمال لدى غيرهم من الشعوب؟ وقد اجابوني بثقة أن التطعيم يعطي من يحتاج إليه" ولذا قررت ان اشاهد هذه العملية بنفسي إن امكن وسألت في كل القرى التي زرتها عن الحالات التي عولجت بهذه الطريقة حتى وجدت حالة لطفلة في الرابعة اجريت لها هذه العملية، وبعدها طلبت منهم تعليمي سر ذلك".(٧)

ويتابع في الوصف قائلا: "إن سكان السواحل من الشراكسة طوال القامة، ذوو اجسام متناسقة وانيقة، وهم يحرصون دائما على الحفاظ على هذا الجمال بشد خصورهم بالقشط الجلدية، ومشيتهم خفيفة ورشيقة، برؤوس متطاولة وعيون داكنة، أما انوفهم فهي دقيقة، وجميلة، وعظام الفك طويلة وحسنة المظهر..". "... ومن أكبر الاساءات في المجتمع الشركسي الزواج غير المتكافئ اجتماعيا".

وأما الجغرافي العربي المسعودي يقول: "إن لهذا الشعب اخلاقا حميدة، ولا يوجد اي شعب آخر من الشعوب التي تقطن في هذه الأرجاء أو في الأقاليم الأخرى من عنده من الكمال الجسماني والكمال الاخلاقي واللون الصافي..! مثل هذا الشعب اطلاقا، ولا يوجد اي مكان آخر في العالم مثل هؤلاء الناس في رشاقة أجسامهم وتناسق اضلاعهم ونحافة خصورهم وتناسب اضلاعهم.." وهو يريد ان يقرر حقيقة انتربولوجية عرفت في العصر الحديث وهي أن الشراكسة هم من اصل العرق الأبيض المعروف بالعرق القفقاسي. (٨)

وأما ((انترينانو)) الرحالة والجغرافي الايطالي وعالم دراسة تاريخ الشعوب "إن هؤلاء الزيخ ((التسمية القديمة للشراكسة)) جميلو الطلعة بغالبيتهم وممشوقو القوام، وقد تصادف في القاهرة اناسا متميزون بضخامة اجسادهم من المماليك والأمراء وهم بغالبيتهم كما يقال من هذه القبائل، ويمكن ذكر الشيء نفسه عن نسائهم اللواتي يعتبرن في تلك البلاد اكثر الناس إكراما للضيف حتى بالنسبة للغرباء".(٩)

كما قال (آتيك): "بأن الاقوام القليلة العدد، والمتثبتة في غابات وجبال القفقاس قد حافظت على لغاتها واشكالها الجسدية وصفاتها القومية بشكل سليم، وانه من الصعب جدا العثور على جماعات مختلفة من الناس محتفظة بمقومات بقائها على رقعة صغيرة مثل القفقاس، في أي مكان في العالم خارج القفقاس، فإن القفقاس، في الواقع نسيج وحده".

وقال "**ابو الثناء محمود الأمشاطي**" المتوفى سنة ٨٩٩هـ في كتابه "القول السديد": (انهم أصحاب قدود وقوة وشدة، وبأس وعصبية، دأبهم المغالبة، وفيهم غلظة وجبروت وكبر وخيلاء، لا يرون لأحد عليهم فضلا، ويزعمون أنهم مستحقو كل شيء من المكرمات ولا يستحق ذلك أحد غيرهم ولهم شجاعة، وقوة على الحرب، ولهم الصدمة الأولى لا يقاومهم فيها أحد.. وصالحهم صالح لا نظير له وطالحهم طالح لا مثيل له، وألوانهم مختلفة، فالأبيض المشرب بحمرة يكون ذكيا فهما عاقلا ذا رأي وحكمة، والأشقر لا نظير له في الشرور والخلاف وقليل الخير والمعروف أما الاسمر فيكون شجاعا كبير الهمة مقداما..."[١٠]

ويقول فريد وجدي نقلا عن ابن خلدون والبدري: "الجركس جيل من الناس يسكنون حوالي جبال القوقاس، وهم معدودون أكمل بني آدم خلقة، وأحسنهم وجوها، واشجعهم قلبا، وأشدهم للشدائد مقاومة" ثم ذكر بعض أحوالهم التاريخية والجغرافية في نحو صفحتين.

وقال البستاني في دائرة المعارف الاسلامية (١٠-٤٤٠) هم طوال القامات، عراض المنكبين، نحاف الجسوم، صغار اليدين والرجلين، حداد النظر لهم هيبة وبأس، وسائمة وخيول، وأسلحة مشهورة، وقد قال فيهم بعض واصفيهم: هم أعلى الناس همة وأشجعهم وأجملهم" [١١].

وربط الشراكسة كمال الجسم وجماله بجمال الاخلاق ورزانة الادب، وقالوا "ان جمال الجسد هبة من الله وان ما يجعل الانسان جميلا هو سلوكه النبيل واخلاقه الحميدة.

الصفة الرابعة: الاعتزاز بالنفس:

الشراكسة شديدو الاعتزاز بالنفس، وكان يصعب عليهم التسامح إذا ما لحقتهم إهانة أو مُست كرامتهم ومن عاداتهم سرعة الانتقام لكرامتهم بكل الوسائل الممكنة مهما كانت الظروف كما انهم يتصفون بالتواضع وعدم المغالاة في سلوكهم، حتى اصبحت من الصفات المتأصلة في شخصية الشراكسة عامة والامراء خاصة كما كانوا يعاشرون بقية طبقات الشعب ويعاملونهم على قدم المساواة ويأخذونهم باللين واللطف، دون ان يظهروا في حديثهم أو معاملتهم أي نوع من الكبرياء أو عجرفة أو غطرسة، لذلك كان الشعب يحبهم إلى درجة التقديس.

وكان الامير مهما كبر شأنه وكثر ماله يسكن بيتا لا يختلف كثيرا عن بيوت عامة الشعب والنبلاء، وكذلك طعامه لا يختلف عن طعام غيره، ويكتفي في أكثر الاحيان بقطعة من اللحم المسلوق مع قرص من عجينة الدخن (باستا Pasta) وشراب (البوزا Busa) المحلى بالعسل. [١٢]

وكان بعض الامراء يحصل على ما يكفيه من الأموال والحاجيات الضرورية لمعيشتهم من اتباعهم دون مقابل، وبالمقابل فإن الأمير لم يكن يبخل على التابعين له بشيء، فإذا رأى احد التابعين مثلا عند سيده كسوة جميلة أو سلاحا جيدا فله أن يطلبه لنفسه، وكان الأمير لا يرد طلبه أو يبخل عليه.

كما انهم كانوا يتحلون بصفة عدم المغالاة في لبسهم او التباهي في غناهم حتى لا يجرحون مشاعر الذين لا يستطيعون مجاراتهم، وكان اكثر الامراء لا يُحلّون سلاحهم أو تزيين خيولهم بالذهب والفضة، مراعاة لشعور الناس، وأما المسكن، فلكل بيته الخاص، ولا يزيد الغني على الفقير إلا بغرف الضيافة. أما المأكل فقلما تجد شيئا عند الغني ليس عند الفقير منه.

الصفة الخامسة: حب العمل والنشاط الدائم:

لا شك ان نظام التربية الشركسية ساعد على غرس صفات حميدة وجعلت منهم أمة تحب العمل والنشاط حتى اصبح معروفا منذ اقدم العصور ذلك المثل المضروب فيهم وهو:

(الآنت * الذي لا يعرف الكلل ولا الملل)

فكان رجال الشراكسة يهملون مظاهرهم الخارجية ولا يعتنون بهندامهم وكثيرا ما يأتي احدهم إلى (الاندية والمجالس) دون ان يغير ملابس العمل التي يعلوها غبار المهنة التي يعمل بها، وما كان يلام في المجتمعات من يحضرها دون استعداد سابق أو تأنق زائد. كما كان يحترمون الرجل العامل النشط اما الرجل الكسول او الاتكالي فكان ينتقده عامة الناس والفتيات خاصة (١٣).

الصفة السادسة: الاخلاق الحميدة والادب الجم:

كتب ((انتريانو)) عن المستوى الاخلاقي للشراكسة قائلاً: "ان لديهم اعتقادا بأنه لا يجوز اعتبار أي انسان عريقا إذا ما وجدت مسموعات عن قيامه بعمل شائن في وقت ما، حتى لو كان لدى هذا الانسان سلالة عريقة ومن نسل القيصر نفسه".

أولت القبائل الشركسية اهتماما خاصا للشكل الظاهري المتعلق بالهيئة والجسم الممشوق والتناسق، وقد اعتبر الشحم الزائد المتراكم في الجسم دليلا على ان صاحبه من العامة وليس دليل ارستقراطية، وبالمفهوم الشركسي فإن الصحة البدنية لا تساوي شيئا بغير الصحة المعنوية ((الأخلاق والأدب)) وإن الجمال الجسدي هبة من الله ولا يجب استخدامه واستغلاله في العلاقات الاجتماعية وما يجعل الانسان جميلا هو سلوكه واخلاقياته قبل كل شيء. والانسان الحقيقي فقط هو الجدير بحمل هذا التصور، وكانت العادة ان يحترم الذي يعيش من عرق جبينه ويعمل باستمرار ولا يعيش عالة على أهله وعشيرته.

الصفة السابعة: الاخلاص والوفاء والانتماء

لقد أحاطت ((الأديغا نيميس)) بكل العادات المتعلقة بالحياة وبنشاط الرجل الشركسي، وبحسب هذه التقاليد فإن الرجل الشركسي يجب أن يكون مخلصا ووفيا لقومه، وأن يكون وطنيا حقا وجاهزا لخدمة قومه بصدق واخلاص، كما يجب عليه ان يمتلك الرجولة والعزم والثبات المعنوي والبداهة والحس الذاتي والاخلاص للواجب والمسؤولية، وان يكون مستعدا دائما للتضحية في سبيل الله والقوم والوطن.

الصفة الثامنة: البر بالوالدين:

الرجل ابن والديه، وبهذا الخصوص تقيم صفاته الانسانية من خلال حالة والديه المادية والمعنوية ومن مدى اهتمامه بهما ومدى انتباهه إلى حاجتهما وعنايته بهما، ومراقبة وضعهما الصحي ومتطلباتهما اليومية وهي من معايير الحكم عليه ان كان بارا لوالديه، وهو بذلك يعطي مثالا حيا عما يجب ان تكون عليه علاقاته مع الاهل من اب وام وزوجة وابناء وهكذا تنتقل من جيل إلى جيل فكرة احترام الكبار في العائلة والاهتمام بهم ورعايتهم.

الصفة التاسعة: الحفاظ على العهد

لقد كان من اهم ما أكدت عليه أل (الأديغانيمس) توافق كلام وأفعال الرجل، وكان اعطاء الوعد وعدم تنفيذه غير مقبول بأي شكل من الاشكال في المجتمعات الشركسية قديما وحديثا، وكانوا يرفضون التعامل مع مثل ذلك الشخص لا يقبلونه فيهم وينظرون إليه بأنه شخص لا يمكن الاعتماد عليه في اللحظات الحرجة، ولهذا فإن من أهم معيار التقييم وفق ((الاتيكيت)) الشركسي "بأن الرجل الشركسي الحقيقي هو الشخص القادر على الوفاء بعهوده في كل زمان ومكان وتحت اية ظرف او حالة".

الصفة العاشرة: متانة الصداقة وقدسية التآخي:

إن قواعد "الأديغا نيميس" تؤكد على متانة علاقات الصداقة بين الرجال في المجتمعات الشركسية، حيث تتصف هذه العلاقات بأنها الأكثر متانة وعمقا واخلاصا، وإذا لم يكن بالإمكان

* "الآنت" اسم اطلق على اجداد الشراكسة في العصور القديمة.

الوثوق بصداقة رجل ما فإنه يكون غير محترم اجتماعيا، والصديق المعتمد (وفق معايير تلك الايام) أقرب الناس إليك، وبمثابة أخيك وإن لم يكن بالدم فبالروح، وانك تتقاسم معه الأفراح والاتراح وصعوبات الحياة ومسراتها والصديق يصارح صديقه بالحقيقة مهما كانت مؤلمة، ويحاول دائما أن يتفهم ويدرك وضع ومزاج الصديق ويغفر له تصرفاته وفاء للصداقة وان الرجل يكون مستعدا للتضحية حتى بحياته، وان إنقاذ حياة صديق له يعتبر شرفا كبيرا ومثل هذه الصداقات كانت تمتد إلى عائلات الصديقين وخاصة أبناءهم وإذا ما توفي أحد الصديقين، فإن من بقي حيا منهما يأخذ على عاتقه وحتى نهاية عمره الاهتمام بعائلة صديقه المتوفى وخاصة رعاية وتنشئة أطفاله.

فتقول "مامخيغ" بأن الصداقة في القفقاس تسمى "كوناك" وهو من مرتبة الاخ، ويقدمون كل ما لديهم فداء هذا الصديق حتى الحياة نفسها(١٧).

كما أكد مؤرخون ورحالة زاروا بلاد الشراكسة بأن عادة "قسم الاخوة" ادت إلى تعاضد وتكاتف الشراكسة في كل المراحل الزمنية، وهو القسم الذين يتم بعد ان يتقدم من بين صفوف الجماعة التي تتسم بالاخوة رجل ينعقد الرأي على احترامه، بينما تتقدم سيدة من بين الجماعة الاخرى وتعرض على الرجل صدرها ويختتم هذا الحفل بالقسم على القرآن.

الصفة الحادية عشرة: الحفاظ على حرمة الجيرة وحق الجوار

من المعايير الحقيقية "للاديغا خابزة" هو مدى المحافظة على حق الجوار واعتبار الجار قبل الدار ومن الأمثلة التي تدل على أهمية الجار المثل الشركسي القائل: "إن جارك القريب أفضل من قريبك البعيد" وكذلك "من يعيش بجوارك يمت لك بالقربى أكثر من أهلك البعيدين" فإنك تجد جارك عندما تحتاجه وتقاسمه أحزانك وافراحك في الحياة وربما كان المثل الشركسي القائل "**حافظ على جارك مثل محافظتك على قميصك الداخلي الابيض" هو أكبر دليل على مدى اهتمام الشراكسة بالجار.**

الصفة الثانية عشرة: الصراحة في القول:

الرجل الشركسي صريح في كلامه لا يعرف المهادنة أو المسايرة في المواقف التي تتطلب ذلك، كما أنه لا يعرف الكذب ويقول ما يعتقده صحيحا ولو ادى ذلك إلى أسوأ المواقف. كما أن صراحة الرجل الشركسي صراحة مبدأية وليست انتقائية، فهو صريح في كلامه أمام أكبر المسؤولين مثل ما هو صريح امام اقرانه وزملائه.. إلا أنه يجاهر بصراحته بأدب وبدون استفزاز.. وسكان المجتمعات المعاصرة في بلاد المهجر، يعرفون هذه الصفة في الرجل الشركسي ويتقبلونه بصدر رحب بقولهم ((انها صراحة الشركسي)).

الصفة الثالثة عشرة: النزاهة والاستقامة:

ففي أساطيرنا وروايتنا القديمة بأن الشراكسة منذ القدم كانوا لا يعرفون للغش والخداع معنى ان من عاداتهم المتأصلة كانت صفة النزاهة في معاملاتهم بدون غش وخداع وعكس ذلك فهو عار يلاحقه مدى الحياة.

الصفة الرابعة عشرة: الطاعة واحترام الكبار والنساء

الطاعة اولا، ثم احترام الكبار والنساء ثانيا، هما من الصفات المميزة لشخصية الانسان الشركسي... وخير دليل على ذلك ما كتبه الجنرال الروسي (ايفان فيدروفيتش بيرغ) الذي رصد خلال عشر سنوات من حياته (١٨٣٠-١٨٤٠) المجتمع الشركسي.

"... إن الإطاعة العمياء للأهل، واحترام الكبير للطاعنين في السن معمول بهما لدى هذا الشعب بمنتهى الدقة، إن الابن لا يبيح لنفسه الجلوس بحضرة والده، او ان يجلس الابن الاصغر بحضور الاخ الأكبر سنا، وهم لا يتكلمون مع الاكبر سنا بحضور الغرباء، كما ان صغار السن المتواجدين بحضرة من هم أكبر سنا لا يتكلمون بصوت عال ابدا، ولا يبتسمون، وعليهم فقط الرد عندما يطرح عليهم اي سؤال، وتفرض العادات على الاصغر الوقوف عند ظهور كبار السن رجالا

ام نساء حتى لو كان القادم اقل منزلة اجتماعية، ويمكن الجلوس فقط بعد أن يتوجه الشخص الذي وقف احتراما له: بقوله ((تيس)) اي اجلس، وكذلك لا يمكن هنا ابدا تجاهل هذه التقاليد، وهم متعصبون جدا للحفاظ على هذه العادات الصعبة... [١٤].

الصفة الخامسة عشرة: حب التعاون والتطوع لمساعدة الآخرين

ومن العادات المتأصلة في نفوس رجال الجراكسة سنة التعاون فهم يتعاونون ماديا ومعنويا واجتماعيا. وبذلك تقل الفروق بين طبقاتهم.

ومن مظاهر التعاون الجميلة عندهم هو تطوع الشباب والرجال في عملية تسمى (شَـَـهَ – حَاخُ) لإنجاز عمل لأحدهم لا يستطيع إنجازه في اسابيع مثل بناء بيت أو حرث أرض، أو حصاد زرع، أو درس بيدر، أو جلب ما يحتاج إليه من حطب. وقد يكون غير قادر على القيام بهذا العمل، لأنه ينقصه بعض مستلزماته من آلة وما شابه ذلك. ففي مثل هذه الحالات، صاحب العمل، في مكان العمل حفلة غداء، تشترك في تحضيرها واعدادها قبل يوم العمل الجارات، وهكذا يقومون بالعمل دون ان يشعروا بتعب أو ملل، وعند الانتهاء منه يعودون إلى بيوتهم على أنغام موسيقاهم الجركسية، وأغانيهم الحماسية، ورقصاتهم الرياضية، ويتمنون من صميم قلوبهم أن يدوم العمل الجدي على هذا الشكل المبهج المفرح، وأن لا ينقطع أبدا وبذلك ينجز صاحب العمل عمله، وما خسر إلا قليلا، لأن الأكل قد شاركت بتحضيره جارات زوجة صاحب البيت، فكل واحدة منهن تبرعت بأكلة من عندها.

الصفة السادسة عشرة: اجارة المستجير او (المستنجد):

من عادات الرجل الشركسي ان يحمي من لجأ إليه طالبا الحماية ولو كان ذلك عدوا له، ومن الاحداث التي تروى في التاريخ الشركسي، بأن احد الاشخاص التجأ إلى بيت أحد النبلاء بعد ان قتل شخصا آخر، فأكرمه وحماه وحافظ عليه علما بأن النبيل كان يعلم بأن الشخص الذي قتله المستجير هو "ابنه".. وبالرغم من ذلك لم يمسه بأذى طوال بقائه في بيته.

الصفة السابعة عشرة: الكرم والنبل

تحدث اكثر من رحالة وعالم اجتماع عن صفات كرم القفقاسيين عامة والنبل عند الشراكسة خاصة فيقول (انتريانو): ((عموما يوجد لديهم عادات كرم وسعادة كبيرة باستقبال الضيوف، ويسمي صاحب البيت ضيفه "كوناك" إلى الصديق الأخ، وعندما يغادر الضيف يصاحب المضيف "الكوناك" الغريب، ويقوم بحراسته في طريقه، وإن اقتضى الامر يقدم المضيف حياته ثمنا لذلك كما لو كان أقرب الناس إليه)). [١٦]

اما ((بيل جيم)) فيؤكد على أن كرم الضيافة صفة متأصلة في الرجل الشركسي ويذكر لنا ما شاهده بنفسه من ضيفه الشركسي قائلا:

".. لقد نسيت أن أذكر الشرف الرائع الذي منحني إياه مضيفي مساء البارحة، فبعد الصلاة ((وبحضور عدد من الشهود بمن فيهم مترجمي)) قام صاحب الدار شخصيا بالتضحية بعجل صغير من أجل توطيد الصداقة الاخوية بيننا، وقال لي عليك ان تعتبر نفسك الآن فردا من أفراد العائلة التي على كل منا احترامها وحمايتها".

ويصف "بيل" كرم منزل آخر كان يحل فيه ضيفا بقوله:

"... لقد استقبلني الأخ الأكبر لمضيفي بمنتهى الحفاوة القلبية وخاطبني باحترام كبير ولباقة مميزة وقال لي:

"سوف نعتبر أن لدينا أخاً منذ الأزل"، وقد قبلت منه هذا القول مع بعض التحوير المعنوي، ثم طلب مني ان نتبادل ملابسنا كي أصبح اكثر شبها بالشراكسة، وهكذا قام بحشر اكتافه العريضة ذات العضلات في معطفي الانيق، بينما سعدت أنا كثيرا لشعوري بالارتياح الكبير وأنا ارتدي ملابسه الواسعة علي والمصنوعة من الجوخ الغامق، وكانت موشاة بالذهب والفضة عند الاكمام وخيطت على صدرها جيوب صغيرة للرصاص". [١٥]

واما عن الكرم المقرون بالنبل لدى الشراكسة فيقول ((انتريانو)) "انهم يقدرون النبالة عاليا، وهم يهدون الغير كل ما يملكون ما عدا الحصان والسلاح والجزمة فهذه لا يجوز إهداؤها ابدا، ففي هذه الملكية يكمن الحرص كله، وهم يتنازلون في الكثير من الاحيان عن كل ممتلكاتهم مقابل حصان اعجبهم، وليس لديهم ما هو اغلى من حصان جيد". ولا يرضى اشرافهم ان تربي الخدم الجياد الاصيلة، وإذ ما حصل ان ولد لأحد تابعيهم مهر ما يقومون بأخذه بمجرد أن يكبر مقدمين له ثورا بدلا عنه، وهذا ما يفيد الخدم وليس الحصان".

كما أكد ((انتريانو)) على عادة الكرم الشركسي بقوله ((... انها من عادات الشراكسة، كرم الضيافة واستقبال أي غريب بمنتهى الحفاوة)).

والشراكسة من شدة تمسكهم بعادات الكرم والعطاء بسخاء، فإن الدارس للمجتمعات الشركسية عامة وفي العهود الاقطاعية خاصة يجد بأنهم كثيرا ما كانوا يهبون ما لديهم من متاع ومقتنيات بسخاء ما عدا أسلحتهم وخيلهم كما كانوا يبالغون في اهداء ملابسهم الخاصة، ولذلك كان النبلاء، وحتى الامراء منهم يرتدون ملابس "اردأ" من ملابس غيرهم من الاتباع. ويعتبرون رفض طلبهم عارا عظيما وبخلا لا مثيل له وجرت العادة أن يهدوا سائر ملابسهم الجديدة لأول سائل ويأخذون منه ملابسه القديمة التي يرتديها، وفي أكثر الاحيان يستبدلون الملابس (رثة) بالقمصان الحريرية الحمراء الزاهية بالرغم من حبهم الشديد ورغبتهم في الاحتفاظ بها إلا أنهم يخشون ان يقال عنهم بخلاء.

ويقول ((جيوفاني لوكا)) حول مدى تأصل صفة الكرم والسخاء والعطاء الشركسي للآخرين، سواء كان ضيفا غريبا او ضيفا محليا بقوله: "لا يوجد في العالم شعب أكثر لطفا وأكثر سرورا وترحيبا بالغرباء من هذا الشعب".

الصفة الثامنة عشرة: المحافظة على الشرف والكرامة:

إن رمز الحياة لدى الشراكسة ((أفردا وشعبا)) هو الشرف. وأن الهدف المهم لديهم هو حماية هذا الشرف. وان الوقوع في "الأسر" لدى الاعداء كان يعتبر أكبر اهانة وأن الموت لديهم أفضل من العيش بدون شرف، ومن هذا المنطلق فإن وصمة العار لا تزول عن صاحبها حتى بعد موته.

وكان من المفاخر التي يتغنى بها الشراكسة منذ القدم هي حماية العرض والمحافظة على الشرف وصيانة الكرامة، وبلغوا في ذلك شأنا عظيما لم ينافسهم فيه الكثيرون، ولهم في ذلك أقوال مأثورة منها: ((الأرواح رخيصة في سبيل الكرامة)).

لذلك فكل شركسي كان يضحي بروحه فداء لشرفه ولا يتحمل الاحتقار قطعا، وكل من يتهاون في حفظ الشرف او صيانة الكرامة كان يطرد من القبيلة وتنزع منه الالقاب التشريفية ان كان حاملا لاحداها، كما كان الشعراء ينظمون في حقه الاغاني المشينة وتتغنى بها فتيات القبيلة أعواما وسنين وتصب عليه اللعنات ويصبح اسمه محاطاً بالسخرية والازدراء.

ثانيا: الصفات السلبية في شخصية الرجل الشركسي:

ربما كان أول من حاول الكتابة في وصف الصفات والخصائص السلبية لشخصية الانسان الشركسي هو احد الكتاب من أصل شركسي في الأردن وهو "محمد خير عيسى" في مقالة له تحت عنوان ((جولة في اعماق الانسان الشركسي)) وهي المقالة التي تعبر عن وجهة نظر فردية تكونت لديه من خبراته الشخصية المحدودة وملاحظاته الخاصة وليس بالضرورة أن تكون صحيحة حيث كتب قائلا:

"سأحاول بجهد المقل أن أطرح الموضوع بالشكل الذي يتراءى لي متأكدا بأنني لن اوفي الموضوع حقه كما انني آمل ان يكون هذا بداية لحوار شامل يتحقق من خلاله التعرف الاكمل على هذا المجال؟

"... ولا بد لي قبل ان أبدأ حديثي ان اؤكد بأنني لن أكون نغمة اخرى في فرقة الصدح والتزمير بحمد الجنس الشركسي الذي ساد سنوات طويلة كما ان ألواني لن تكون مضيئة ودافئة بقدر ما ستكون قاتمة وباردة، وذلك ليس لأنني أود هذا، بل لأن الحقيقة هي التي تفرض نفسها...".

"... لأنني لا أؤمن بأسطورة تفوق عرق على آخر ((والعرق الشركسي)) كان ولا يزال كأي عرق آخر فيه من جوانب القوة، بقدر ما فيه من الجوانب الضعيفة، وقد يحدث لأي عرق أن يكتشف جوانب قوته فيعززها ويستفيد منها فتصبح له بين الامم سطوة وسلطان، كما يمكن لعرق آخر ان يهمل هذه الجوانب فيفسح لجوانب الضعف ان تلعب دورها عن طريق المؤسسات التربوية وبعض العادات التي لا تتفق مع الاسلوب التربوي العلمي الصحيح، فتصاب الأمة بالكثير من الاورام الاجتماعية التي تنعكس بدورها على حياة كل فرد من أفراد هذه الامة.

ويتابع (عيسى) تحليله قائلا:

"الانسان الشركسي صلب الخَلق والخُلق، محارب محترف يعيش على الرعي والغزو وتكاد وسائل المعيشة الاخرى كالزراعة والصناعة لا تأخذ أي نصيب من حياته، وهو متهور اكثر من كونه شجاعا، عنيد إلى حد ركوب الرأس، يسترخص حياته في سبيل اتفه الاسباب احيانا، وهو عاطفي اكثر منه، ليست له استراتيجيه او تكتيك في المعارك، يدخل القتال دون ان يملك سوى حماسته وسلاحه، انه امي يحفظ الاشعار او يقولها احيانا وهي في اغلبها "مراثي" وهو مع ذلك صاحب نخوة وعزة نفس، وعاداته وتقاليده تقوم مقام القانون في الدول وكانت تؤدى دورها بفعالية في تلك الظروف القاسية حيث كانت انعكاساتها.

"... وبصرف النظر عن بعض العادات التي كانت ولا تزال مثالا في الحكمة والجمال فإن العادات التي كانت تحدد الاساليب التربوية والعلاقات بين الكبار والصغار قد اضرت بالفرد اكثر مما افادته. وتعدى الامر مجال احترام الصغير للكبير إلى درجة تلاشي شخصية وقيمة الاول في سبيل الثاني، والحقيقة ان الشيء الذي ساد: **هو دكتاتورية الكبار امام الصغار ودكتاتورية القوي امام الضعيف.** والكلمة الاولى والاخيرة للاب أو القوى او الزعيم ولقد كان الفرد في ذاك الوقت شيئا لا كائنا، انسانا بلا رأي بلا هوية وماذا ادى هذا الاسلوب؟؟ لقد ادى إلى انطواء الانسان الشركسي وتشرنقه كما ادى إلى تراجع للحرية الفردية وحرية التعبير عن الرأي واخراج قطاع الشباب من ساحة العمل الاجتماعي والحياتي الذي هو القطاع التي تعول عليه اية امه في بناء صرحها.

"أما المرأة فلا حاجة لي ان اتطرق إلى الدور الذي تلعبه ابدا فهي لم يتعد دورها انجاب الاطفال وهي وان كانت تخرج إلى الحقول احيانا فإنها كانت تفعل ما تفعل لأنه اريد لها ذلك وليس لأنها أرادت هي ذلك، انها كانت انسانة من الدرجة الثانية".

ويتابع عيسى قائلا:

"انه مما يؤسف له فعلا أن الشركسي دخل القرن العشرين بعقلية قبلية عشائرية. دخل القرن العشرين وهو لا يزال راكبا صهوة جواده وبنفسية الرجل الذي اصبح القتال لديه غاية بدل الوسيلة، وبنفسية الرجل الذي يعذب لصوت السلاح ويتشوق لرؤية الدم دخل القرن العشرين وهو لا يعرف القراءة او الكتابة ولكن لا يمكن ان نضع اللوم كله عليه، فهو ربما لم يكن له مناص من هذا الأمر، لقد قدر له ان يصرف حياته في القتال فقط. لم يستطع ان يجد وقتا لالتقاط انفاسه ليتفرغ إلى العلم والعمل، ومرة اخرى اقول ان افتقاده للعلم كان شر كارثة عليه.

ثم تحدث عن الانسان الشركسي بعد الهجرة قائلا: "وهكذا فإننا نجد ان الشركسي قد عاش نوعين من الغربة. غربة عن الوطن وغربة عن المحيط، ونتيجة لكل ذلك فإن الاطار الذي احاط بالصورة الشركسية هنا كان اطارا من التحدي والرفض، تحدى البيئة، تحدى المجتمع الآخر، تحدى القبائل الشركسية الاخرى وبالتالي رفضه لها كلها، وكل ذلك ادى إلى تكريس وتعميق صورة الانسان الشركسي العدواني الانطوائي.

اما اذا سلطنا الاضواء على القواعد التربوية المتمثلة في العادات والتقاليد فإنها في سني الهجرة الاولى لم تتغير ايضا وظلت تؤدى دورها بنفس الفاعلية والقوة، وذلك لأن المجتمع الشركسي ظل مغلقا – كما قلنا – وعلى هذا فإن حكم الكبار لم تخف وطأته وظلت كل السموم التربوية التي مر ذكرها تفعل فعلها في افساد الانسان الشركسي. وسارت عجلة الزمان، وبدأ غبار المعارك يهدأ شيئا فشيئا واصبحت العداوات تتخذ اشكالا اكثر لينا وذلك نتيجة انبعاث السلطة الحكومية في الساحة. كما ان الزراعة بدأت تشكل القاسم المشترك الأعظم في حياة الأفراد وافتتحت المدارس ودارت عجلة التقدم بسرعة وإن كان حظ الفرد الشركسي منها ضئيلا، لقد كان الأب يفتقر إلى الأيدي العاملة ولم يكن التعليم قد أصبح مهما بالنسبة له بعد، وهكذا فقد ظل الإنسان الشركسي في الأغلب موظفا في خدمة الذين أصابهم قدر من العلم، وكانوا قلة معظمهم لم يستقر على مقاعد الدراسة سنوات تزيد على أصابع اليد الواحدة ومرة أخرى ظل الإنسان الشركسي أميّا.

ويتابع ((عيسى)) تحليله قائلا: "اما الإنسان الحديث، إنسان هذا الجيل فقد ترك الزراعة ودخل المدارس وأبصر كمية اكبر من نور العلم وانفتح على العالم والمجتمع وربما امتلأت جيوبه، ولكن يا للأسف لم يصمد كفرد ولا كمجتمع، لقد كان انسانا هشا انسانا لا يملك قوة ذاتية، واذا اضيف ذلك إلى كونه اقلية فإنه كان لا بد ان يفقد هويته وهذا ما حدث بالفعل لم يعد يمتلك من مقومات وجوده كأنسان شركسي أي شيء وإن ظل شيء فهو القليل جدا، لقد كانت التيارات الخارجية قوية جدا وكانت مناعته ضعيفة جدا".

ثم قال: "ومرة أخرى غياب العلم كسلاح عن ساحة المعركة من ايام ما قبل الهجرة هو الذي ادى إلى هذه الكارثة، فلو دخل العلم البيت الشركسي القديم لتغيرت كثيراً من العادات التربوية ((السيئة)) التي ظلت تفبرك لنا الانسان الشركسي صاحب الطموح الميت الكسول، المتهور الانطوائي الذي يعوّض عن نقصه بالثرثرة ومهاجمة الآخرين، صاحب الانتصارات الوهمية والتعلق بقيم ساذجة".

واختتم عيسى مقاله الذي بث فيه أفكاره السوداوية بقوله:

"والان هل انتهى الانسان والمجتمع الشركسي؟؟

أليس هناك أي شعاع من الضوء في حياة هذا المجتمع؟؟

إن الجواب على هذين السؤالين فيه إطالة وفيه خروج عن الموضوع وربما يتسنى الحديث عنهما في وقت آخر.

إنني لا أتفق مع الكاتب ((عيسى)) في كثير من شطحاته ونظرته التشاؤمية التي لا تعتمد على البحث العلمي بقدر ما يعتمد على ملاحظاته وخبراته الشخصية المحلية.

ونظرا لحساسية الخوض في دراسة الصفات السلبية لشخصية الانسان الشركسي الذي عاش في عصر غير عصرنا، وفي مجتمع غير مجتمعنا المعاصر.. مجتمع لا يوجد لدينا عنه المعلومات والدراسات الكافية حتى نستنتج منها الاسباب والعوامل التي ادت بالامة الشركسية إلى تبني نظام تربوي صارم وحياة اجتماعية شبه مغلقة، ولذلك كان لا بد من الرجوع إلى ما كتب عن الشخصية الشركسية، والبحث في اقوال الرحالة، والمؤرخين، وعلماء الاجناس حتى نكوّن فكرة عن البيئات الداخلية والخارجية التي ساهمت في تكوين بعض السمات السلبية؛ توصلت لبعض المعلومات والبيانات التي تؤكد بأن الانسان الشركسي يتصف ببعض الصفات السلبية بقدر اقل بكثير عن الصفات الايجابية التي تميز فيها شخصية الرجل الشركسي كما أشرنا إليها في الفقرات السابقة:

وفيما يلي خلاصة لأهم هذه الصفات السلبية التي توصلت إليها:

الصفة السلبية الاولى: انغلاق الانسان الشركسي وشدة تمسكه بآرائه:

ربما كانت الصفات السلبية الواضحة في شخصية الانسان الشركسي عامة والرجال منهم خاصة هي الانغلاق على نفسه وعلى مجتمعه وعدم الانفتاح عبر العصور على المجتمعات والامم الخارجية ومع الامم والشعوب التي استوطنت بلاده.

وكذلك فإن الشركسي شديد الاعتداد بنفسه والتمسك بآرائه وليس من السهل التخلي على آرائه وافكاره التي يؤمن بها؛ أي أنه شخص ليس من السهل عليه التكيف السريع مع الثقافات الاخرى.

الصفة السلبية الثانية هي: حدة الطباع والسمة العصبية للانسان الشركسي:

ربما كانت البيئة المناخية التي كان يعيش بها الشركسي والأحداث الاجتماعية والحروب التي مر بها كانت اسبابا قوية ليصبح الشركسي صاحب مزاج وطبع حاد، كما ان التقاليد التي تمنع الفتية والشباب الاصغر سنا من التعبير عن آرائهم وافكارهم امام الكبار في كل من البيت والمجالس الاجتماعية قد ساهمت بطريقة غير مباشرة في تكوين شخصية تتسم بالعصبية وعدم قدرة البعض التعبير عن نفسه إن اتيحت له الفرصة بدون تشنج.

الصفة السلبية الثالثة: الخجل والحياء الزائد:

ربما كان من الصفات التي تصل إلى درجة صفة سلبية هو شعور بعض الشراكسة بالخجل والحياء في المواقف الاجتماعية المختلفة خاصة في حضور النساء... ولا شك بأن هذه الصفة السلبية قد نشأت وتكونت نتيجة العادات التي لا تسمح للصغار والشباب من التحدث او التعبير عن انفسهم في مجتمع الكبار حيث تفرض العادات ان لا يتحدث الاصغر سنا بحضور ووجود الاكبر سنا إلا اذا طلب منه ذلك، ونادرا ما يطلب منه ذلك. كما ان هذه العادة كانت تطبق داخل الاسرة الواحدة فالاب أو الاخ الاكبر هو الذي يشارك في الحديث عند التزاور او حدوث مناسبة اجتماعية او عائلية.

الصفة السلبية الرابعة هي: الفردية والميل للانعزال:

الانسان الشركسي في غالبه فردي النزعة، ونسبة منهم يميلون لحياة العزلة وغير منفتحين اجتماعيا وربما كان منشأ هذه الصفة السلبية هو النظام التربوي الذي كان مطبقا منذ عهد الاجداد وهو النظام الذي يبعد الاطفال منذ الصغر عن مجتمع الكبار من اباء واجداد كما كان يتم تربية ابناء الامراء والنبلاء من قبل "الاتالق" وابناء عامة الشعب من قبل الامهات والاخوة الاكبر، فالنظام التربوي القومي لدى الشراكسة له فوائد كبيرة جدا في اكساب الابناء صفات ايجابية كثيرة جدا، إلا انه هو السبب في إكساب الصفة الفردية والميل للانعزال. ولذلك نجده كفرد يبدع ويتفوق في عمله إلا انه غالبا ما يفشل في العمل ضمن فريق او عمل جماعي.

الصفة السلبية الخامسة هي الجدية الزائدة في التعامل مع الآخرين:

ربما كانت هذه الصفة من الصفات الواضحة في المجتمعات الشركسية قديما وحديثا، فالشراكسة جديون اكثر من اللازم في المواقف والاحداث التي لا تتطلب ذلك كما انهم قليلو المزاح والهزار مع الاصدقاء المقربين، وهذه الصفة تحول دون توسيع نطاق الصداقة فنجد صداقة الانسان الشركسي قليلة إلا أن صداقتهم تكون ابدية ولها قدسية لدى الشراكسة، والمثل القائل "ربما كان لك أخ لم تلده امك" هو المثل الذي ينطبق على صداقة الشراكسة.

سادسا: صفات سلبية ثانوية اخرى منها:

الانسان الشركسي تكون طموحاته محدودة في مختلف مجالات الحياة مثل: الدراسة والعمل وينتج عن هذه الصفة صفة ثانوية مرافقة لها وهو ان الانسان الشركسي لا يحب المنافسة وإن تفوق الآخرين عليه لا يثيره كثيرا؛ لذلك نجد الشباب الشركسي، وبالرغم من تمتعهم بالذكاء فإن المتفوقين منهم في الدراسة العلمية مثلا قليلون. كما أن الذين يصلون إلى مراكز وظيفية عليا قليلون ايضا بالرغم من اخلاصهم في العمل وتفانيهم في اداء واجبهم الوظيفي.

ثالثا: الادوار الرئيسية للرجل في المجتمع الشركسي:

يجد الدارس لتاريخ الامة الشركسية بأن (الرجل الشركسي) كانت له ادوار إيجابية في تسعة مجالات منذ عصر الاجداد والاباء وحتى القرن التاسع عشر في الوطن الام، هي على النحو التالي:

الدور الأول: تكوين أسرة والحفاظ على شرف العائلة وكرامتها وتأمين حاجياتها من مأكل وملبس ومأوى وأثاث وادوات منزلية.

الدور الثاني: بناء الاقتصاد الوطني للامة الشركسية من خلال مشاركته في الفلاحة والزراعة وتربية الحيوانات والطيور وفي الاعمال التجارية والاعمال الصناعية، خاصة في الحرف والصناعات اليدوية والصناعات الاولية.

الدور الثالث: الدفاع عن الارض والعرض وحماية الوطن من الغزاة والمعتدين، وربما كان هذا الدور دورا اساسيا للانسان الشركسي منذ تعرض بلاد الاجداد للاعتداء ابتداء من القرن السابع قبل الميلاد وحتى القرن العشرين بعد الميلاد، حيث لم يكن لدى الشراكسة جيش نظامي محترف ومتفرغ، وانما كان كل انسان شركسي بالغ يعتبر مجنداً للدفاع عن الوطن في أي وقت يتعرض فيه لخطر الاحتلال، وكان لكل شركسي دور محدد في فترات الحروب، وان هذا الدور كان يختلف بحسب الطبقة او الفئة التي كان ينتمي إليها المواطن الشركسي، فالامراء والنبلاء والاحرار هم القادة والمقاتلون الاساسيون، وكان الفلاحون والتابعون يساعدونهم على تقديم الخدمات "اللوجستيكية". كما كانوا يقومون بأعمال الحراسة وغيرها من الأعمال العسكرية.

الدور الرابع: المشاركة في الاجتماعات الشعبية والمجالس القومية التي كانت تعقد بشكل دوري لتسيير الامور الحياتية للمجتمع الشركسي اولا، ولاتخاذ القرارات الوطنية والقومية المصيرية مثل اعلان الحرب او اعلان التعبئة لصد هجوم وتعيين القادة العسكريين في حالات السلم ثانياً، وكانت هذه المجالس بمثابة برلمانات شعبية يتم فيها إقرار السياسة الداخلية والخارجية للأمة الشركسية.

الدور الخامس: حضور مجالس (المضافات) وهي المجالس التي كانت تلقى فيها القصائد الشعرية الشعبية والرثائية وتسرد فيها القصص والاساطير، ويتم فيها الاستماع لأخبار المجتمع وتتناقل فيها الاخبار مع الشعوب والاقوام الاخرى، كما كانت هذه المجالس بمثابة مدارس مفتوحة لتعليم الكبار والصغار بأسلوب غير مباشر فهي بمثابة السجل التاريخي الذي حافظ على استمرارية الثقافة القومية وعلى العادات والتقاليد والأعراف القومية الشركسية في زمن لم يكن فيه كتابة ولا وسائل لتسجيل الأحداث والوقائع والتراث.

الدور السادس: المساهمة في الحفاظ على التراث القومي والثقافة القومية الشركسية والعمل على نقلها من جيل إلى آخر في زمن لم تكن اللغة الشركسية لغة كتابة، وفي عصر لم تكن فيه أية وسيلة من وسائل التوثيق، فاعتمد اجداد الشراكسة والاباء على ((حفظ)) الاحداث والوقائع التاريخية في الذاكرة ونقلها من جيل إلى جيل، والمحافظة على التراث القومي والثقافة الوطنية بنقلها للاجيال، جيلا بعد جيل.

وبفضل هذه المساهمة الجماعية للانسان الشركسي ادى إلى بناء تراث شعبي ثقافي وفلكلور قومي يندر ان يعز نظيره لدى أي شعب من الشعوب والقوميات القديمة، حتى وصلت بعض أنواع الفلكلور القومي الشركسي إلى مستوى العالمية.

الدور السابع: الحفاظ على العادات والتقاليد والأعراف الشركسية ونقلها من جيل إلى جيل وعلى مدى أكثر من سبعة آلاف سنة، وكذلك مراجعة وتنقيح وتعديل ونسخ بعض العادات التي لم تعد تتناسب مع المعتقدات والفكر الديني الذي كان يؤمن به أجداد الشراكسة وآباؤهم من وثنية ومجوسية ومسيحية، واخيرا الاسلامية، وكان الدور البارز للانسان الشركسي من أجداد وآباء وابناء هي المحافظة على الجيد من العادات والعمل على نقلها من جيل إلى جيل بالرغم من انها لم تكن مدونة، كما أنها لم تكتب خلال الفترة الممتدة من القرن الرابع قبل الميلاد وحتى منتصف القرن التاسع عشر الميلادي.

الدور الثامن: المساهمة في الحفاظ على ((الادب القومي الشركسي)) والعمل على تطويره على مر العصور. حيث لعب الالاف من أدباء الامة الشركسية على مر العصور في تكوين التراث الادبي القومي الشركسي، والذي كان له طابع خاص مميز، يمكن تمييزه عن غيره من ادبيات الشعوب والقوميات القوقازية وان لم يرق إلى المستوى العالمي، إلا أنه أدب له طابع مميز يتكون من الفروع الادبية التالية:

- أدب أساطير النارتيين.
- أدب فقه اللغة.
- أدب المسرح والتمثيل.
- أدب الشعر والنثر، والقصائد العاطفية، وقصائد الرثاء.
- أدب التراث الشعبي والأمثال والحكم.

كما كان لبعض الفلاسفة والحكماء الشراكسة دور اولي في بناء علم الفلك عند الشراكسة القدامى، وظهر بعض الحكماء الذين وصلوا إلى درجة الفلاسفة مثل الحكيم الشركسي ((قازانوقة جباغي)) والذي يعتبر ابو الحكمة الشركسية ويشبهونه بالفيلسوف الصيني (كونفوشيوس) في وعده الناس إلى التحلي بالأخلاق وإلى وضع مفاهيم أساسية تحدد اسلوب تعامل الناس مع بعضهم البعض وكذلك وضع قواعد للعادات والتقاليد تصل إلى مستوى التشريع القانوني. وهو صاحب ((قانون الاضداد)) كما بحث في سر الشمس والقمر وفي مفهوم الباطن والظاهر كما درس دوافع الخوف والقلق وفي ظاهرتي الشر والخير وفي السعادة والشقاء..الخ.

الدور التاسع والاخير هو مجال التربية والتعليم، لم يكن الرجل الشركسي كأب له دور مباشر في تربية أطفاله وابنائه، وإنما ترك هذا الدور للمرأة (الام) في مرحلة الطفولة المبكرة ثم اسند دور التربية والتدريب ((للاتالق)) بالنسبة لأبناء الامراء والنبلاء، أما تربية عامة الناس فكانت الأسرة تقوم بها بطريقة التقليد والمحاكاة، أما دور الرجل الشركسي في ((التربية)) فكان يتم في المجالس وفي المضافات كما كان له دور في تدريب الابناء على مهارات المهن، وتعليمه الحرف اليدوية المناسبة.

رابعا: الصفات (القومية) المميزة لشخصية المرأة الشركسية:

* شخصية المرأة الشركسية من وجهة نظر العلماء والمؤرخين والرحالة.

لم يكن (الرجل) الشركسي الوحيد الذي أشاد علماء الاجناس والرحالة والمؤرخون المختصون بالأقوام القديمة بصفاته القومية وخصائصه النفسية والاجتماعية والاخلاقية والجسمية، وإنما أيضا تغنّوا بأخلاق المرأة الشركسية وبجمالها وحيويتها وإخلاصها وتفانيها واعتدادها بنفسها واعتزازها بأنوثتها.

وكان الفيلسوف الالماني المشهور والمختص بعلم دراسة الشعوب يوغان غوتفيلد غيردر من اوائل الذين كتبوا عن المرأة الشركسية، قائلاً: "... اما الشركسيات فالكل يعرف جمالهن ويقر لهن بجمال الحواجب السوداء الحريرية الدقيقة، وعيونهن السوداء التي تشع كالنار، وجباههن الناصعة الملساء، ووجوههن المدورة ذات الشفاه الناعمة... إنه لمن قبيل السعادة أن اوروبا ليست بعيدة عن هذا الجمال الاخاذ. إن الكثيرين من سكان اوروبا قد عاشوا في وقت من الاوقات بين مناطق البحر الاسود وبحر قزوين او عبروا من هناك، وعلى أية حال فإن الاوروبيين ليسوا بعيدين عن هؤلاء السكان.." .

كما وصفهن رحالة الماني آخر بقوله: "ان الناظر للفتاة الشركسية يجد روعة أجسادهن والليونة الفائقة لخصورهن.. كل الفتيات كن جميلات وبعضهن كن فائقات الجمال. أيديهن كانت رائعة الجمال ايضا. أما البريق الذي في أعينهن الواسعة المكحلة على الطريقة الشرقية فلا تستطيع ريشة أي رسام التعبير عنه. لقد رأيت الشركسيات عن قرب للمرة الاولى، واعترف أني وجدت فيهن كل ما قرأته وسمعته. أما شعورهن فكانت مقسمة إلى ثلاث ضفائر واحدة إلى الخلف واثنتان إلى

الامام، تصلان إلى الخصر المزين بأحزمة موشاة بالفضة، وأخيرا يلبسن في أقدامهن أحذية ذات الوان مختلفة".

ويستطرد قائلا: "وكن يتمخترن في المعاطف الثمينة، وعليهن أحزمة مصنوعة من خيوط من شعر الماعز والغنم المذهب، إضافة إلى الاحذية الجميلة المطرزة... ومن مظاهر الجمال كانت القامة الفارعة المشدودة، والرقبة الطويلة الجميلة، إضافة إلى الخصر النحيل والاقدام والكفوف الصغيرة مع أصابع رقيقة واظافر طويلة، بياض في البشرة مع بعض الاحمرار الوردي، والجبين العالي والحواجب الضيقة والعيون البراقة الجميلة فاتحة اللون او لوزية غامقة مع أهداب كثيفة، اما الاسنان فصغيرة بيضاء ناصعة في فم ضيق.. وكان على الفتيات والنسوة ان يمشين بمنتهى الرشاقة والخفة والاناقة". (١٨)

واما الرحالة (دوبرو) فقال: "كانت الفتيات الشركسيات يتحدثن بكل تواضع واعتزاز، ولم يكن لجمالهن ما يشبهه منذ القدم وجوه في منتهى كمال التقاطيع، قامات ممشوقة، اياد واقدام صغيرة. لقد كانت حركاتهن ممتلئة بعزة النفس والثقة... إن كل من اتيح له ان يرى النساء الشركسيات سيقر بأنه يوجد بينهن من ذوات الجمال الذي لا يستطيع الناظر إليه إلا ان يبقى اسير هذا الانبهار" (١٩)

وتقول (مامخيغ) كان اهم متطلبات الجمال الانثوي لدى الشركسيات "الشعر الكثيف الطويل الاسود او الكستنائي، حيث كان يجدل في ضفيرتين تمتدان على طول الظهر وتصلان احيانا إلى الركب، ويلاحظ ان ترك الشعر طليقا منسابا بدون ضفائر لم يكن مقبولا بل بالعكس كان مرفوضا، كما كان من قواعد الاتيكيت الشركسي بأن يكون الشعر طليقا، كذلك كان قص شعر الفتيات بمثابة اهانة لها ويعرض صاحبته للسخرية والانتقاد".

ويقول ((رستم)) ان المرأة الجركسية من احسن نساء العالم جمالا وكمالا، ولها في ذلك شهرة عالمية، وهي سيدة بيت من الطراز الاول، وموضع الاحترام عندهم مع تمتعها بحرية واسعة. وهي غير محجبة ولا تشترك في اعمال الحقل، وتستقبل الضيف في غياب رب البيت محافظة على الكرم وآداب اللياقة المقدسة عند الجراكسة ومن أمثالهم "إن بيتا لا سيدة فيه كحقل لا زرع فيه" وللسيدات المكان الاول في الاجتماعات وأكثر ما يغشين الحفلات وهن آنسات قبل الزواج، وان رجال الجنسيات الاخرى خصوصا كبار رجال الدول من قياصرة وسلاطين وامراء ورؤساء ووزراء ورجال العلم والمال تبحث بمختلف الطرق للتشرف بالنسب الجركسي عن طريق الزواج إذ يرون في ذلك رفع مكانتهم بين طبقاتهم، وتحسين نسلهم، وتهذيب نفوسهم وتنظيم حياتهم (٢٠).

وكذلك الكاتب الروسي كيراشييف، فيقول: "لم يتمن الشراكسة أكثر من أن يستطيعوا إلباس بناتهم أجمل الثياب، وقد اعتبروا أن الملابس الجميلة تفرض على الفتاة السلوك الحسن والمعتبر، وكان ذوقهم في مجال الملابس رفيعا، فلا توجد إضافات لا معنى لها، او الوان فاقعة قبيحة المنظر، لقد كانت رهافة الحس الجمالي موسومة في كل أزيائهم". واستطرد قائلا:

"اذن السلوك الجيد والمعتبر هو ما حدده الناموس الشركسي للنساء والفتيات، هو الاساس الذي يحدد طريقة حياتهن في مختلف المجالات، وعلى الأغلب فإن طريقة سلوكهن قد حددتها أهميتهن الاجتماعية في الحياة، إن يكن جميلات لكي يسررن الناظر ويسترعين الثناء والاحترام".(٢١)

وكذلك فقد كتب الجنرال بيرغ، حول جمال الشركسيات بقوله: "لا تتمتع الفتيات الشركسيات فقط بشهرة الجمال الخلاب الموروث عن اسلافهن، بل ان لديهن ميزة هامة تنبع من المعطيات الروحية لهذا الشعب، ونحن نتكلم هنا عن الاحترام والتقدير الفائق الذي يكنه الشراكسة للمرأة الشركسية نستدل عليها من الحقيقة التاريخية التالية التي تؤكد بأنه إذا ما قامت امرأة ما سافرة الشعر باقتحام قتال دائر بين فارسين متقاتلين يتوقف القتال فورا، وينهى سفك الدماء، خاصة اذا كانت المرأة متقدمة في السن أو من أسرة مشهورة" كما تؤكد الوقائع التاريخية بأنه:

"يكفي لأي مطارد ان يأوي إلى امرأة حتى يصبح من المحرم المساس به"، وكذلك لا يمكن إيقاع أية عقوبة او انتقام وخاصة القتل بوجود امرأة، علما بأنه من المتعارف عليه في اوساط الجنسين انه من العار اللجوء لحماية الجنس اللطيف، ولذلك لا يلجأ إليها إلا في حالات نادرة(٢٢).

واما الشاعر الروسي ميخائيل ليرمنتوف الذي عاش فترة من حياته منفيا بين الشراكسة، سبق له أن دون ملاحظاته عنهن في رائعته ((بطل من هذا الزمان)) حيث تحدث عن الفتاة الشركسية وأصالتها كما في الخيول. إنك لا تعرف الشركسيات، شتان بينهن وبين "الجورجيات" إن لهن قواعد خاصة في السلوك وقد نشأن على تربية اخرى" وهو حين يتحدث عن عفة الفتاة الشركسية "بيلا" التي احبها وأحبته قالت له وهي تحتضر "إنها تأسف على أنها ليست مسيحية ذلك لأن روحها وروح "بتشورين" لن يلتقيا في العالم الآخر وان امرأة اخرى ستكون خليلته في الجنة، وعندما اقترح عليها ان تكون مسيحية، قالت: لا بل أموت على ديني الذي ولدت عليه".[٢٣]

نستنتج مما تقدم بأن أهم الصفات التي تتحلى بها المرأة الشركسية بشكل عام يمكن ايجازها كما يلي:

* الاخلاص: المرأة الشركسية تخلص لبيتها وزوجها وتتفانى في تربية اولادها وفي خدمة زوجها وعائلتها.
* الطاعة: تتصف المرأة الشركسية بالطاعة دون ضعف وبالقناعة بنصيبها في الحياة الزوجية دون شكوى او تذمر.
* الحيوية والنشاط: تتمتع المرأة الشركسية بنشاط وحيوية دائمة، ولا تكل او تمل في القيام بواجباتها المنزلية وبتقديم العون للاهل وللجارات.
* الوفاء: هي سمة من سمات المرأة الشركسية الايجابية، وكذلك حفظ الجميل لمن يحسن إليها ويحترمها.
* الصبر: من مميزات المرأة الشركسية في كل المواقف الصعبة والحرجة هو قدرتها على الصبر وأنها لا تتذمر او تشكو لاحد من أهلها وعائلتها او حتى لأقرب صديقاتها.
* كتومة ومحافظة على اسرار الزوجية ونادرا ما تبوح بها حتى لأهلها.
* تتمتع بحرية شخصية في التخطيط لمستقبل حياتها عامة وفي اختيار شريك حياتها دون تدخل من الاهل، وإن تدخلوا فلها الحق بحكم عادة الكواسة ان تقرر الاقتران بمن تحب وترغب وتوكيل من تشاء لعقد قرانها حتى وان عارض الاهل في ذلك
* الاعتداد والثقة بالنفس، دون كبرياء، من السمات المميزة للمرأة الشركسية دون كبرياء.
* الاعتزاز بأنوثتها وجمالها دون غرور او تعجرف.
* الحياء والادب الجم وهي صفة ميزتها عن كثير من نساء قوميات اخرى، فضلاً عن تواضعها في كل المواقف حتى وإن كانت من اسرة غنية او فقيرة.

إلا ان الباحثين في شخصية المرأة الشركسية وصفاتها وادوارها يؤكدون وجود بعض السمات السلبية.

خامسا: الصفات السلبية في شخصية المرأة الشركسية: *

تقتضي الامانة العلمية في بحثنا حول الصفات والخصائص القومية المميزة في شخصية المرأة الشركسية ان تتحدث عن الصفات السلبية في شخصيتها والتي يمكن ايجازها على النحو التالي:

* المغالاة في التفاني الزائد لزوجها واولادها واسرتها، وهذه الصفة وان كانت ايجابية في حد ذاتها إلا ان المغالاة فيها تكون على حساب صحتها وحياتها الاجتماعية الخاصة، وهو الامر الذي يؤدي بالمرأة الشركسية لظهورها وكأنها اكبر من سنها كما انها تهرم قبل سن الشيخوخة.

* تؤكد الدراسات الحديثة عن المرأة الشركسية المعاصرة عامة بأنها تخلصت من كثير من هذه الصفات السلبية وبين نساء شراكسة الشتات في دول المهجر خاصة.

* ذوبان شخصيتها وانصهارها كليا بشخصية الزوج واهله، ويصبح اخلاصها لأهل الزوج بلا حدود وهي صفة وان كانت تبدو وكأنها سلبية في ظاهرها إلا انها ايجابية في باطنها وربما كان من الاسباب الرئيسية لانخفاض نسبة الطلاق في المجتمعات الشركسية القديمة هو الاخلاص لأسرتها حتى وإن وجدت خلافات زوجية.

* محدودية علاقات المرأة الشركسية خارج بيتها وأهلها، إذ يقتصر دورها كما رأينا سابقا في حفظ بيتها واسرتها، ولم يكن لها دور يذكر خارج البيت بحكم العادات والتقاليد.

* محدودية المشاركة في اتخاذ القرارات القومية والوطنية، وعدم مشاركتها في الاجتماعات والمجالس القومية بحكم النظام الاجتماعي الطبقي الذي كان سائدا في المجتمعات الشركسية في العصور القديمة والوسطى والمدنية.

سادسا: ادوار المرأة في المجتمع الشركسي:

لا شك بأن العادات والتقاليد كانت تحد ادوار المرأة الشركسية في كل من البيت والمجتمع منذ القدم كما ان هذه العادات كانت تفصل فصلا واضحا ادوار الرجال عن ادوار المرأة، فلكل واحد منهما ادواره التي لا تتداخل مع بعضها البعض وكان من اهم ادوار المرأة بحكم العادات الشركسية هي:

الدور الاول: تفرغ المرأة لشؤون بيتها تفرغا كاملا وقيامها بالمسؤوليات التالية:

* تربية الاطفال ومتابعة كل ما يحتاج البيت ومن الجنسين في سن الطفولة.

* متابعة تربية وتدريب البنات على الاعمال والافعال التي تخصها كأنثى.

* متابعة شؤون اعداد وطهي الطعام، فالمرأة الشركسية طاهية جيدة لجميع انواع واصناف المأكولات القومية الشركسية.

* العناية بنظافة وترتيب البيت بالغسل والكوي والحياكة واشغال الصوف فالنساء الشركسيات هن المسؤولات عن شؤون البيت من مأكل وملبس وتحرص الواحدة منهن كل الحرص على ان يكون بيتها انيقا في متاعه ونظافته، كما عرف عنها بأنها مغرمة بتنسيق بيتها وتجميله من الداخل والخارج مهما كان بناء البيت متواضعا.

* اشغال الخياطة والتطريز، وكان يندر ان لا يوجد بيت شركسي بدون ماكنة خياطة خاصة بها، فالمرأة الشركسية كانت تقوم بحياكة ملابس زوجها واولادها، كما انها كانت تحيك ملابسها الشخصية اليومية.

* اشغال الصوف، فالمرأة الشركسية مشهورة بمهاراتها في اشغال الصوف منذ عصر الاجداد.

الدور الثاني: صناعة الأغذية من اللحوم ومشتقات الالبان وحفظها

ففي العصور التي لم يكن يوجد فيها ثلاجات ووسائل حفظ المواد الغذائية مبردة.. كانت المرأة الشركسية تصنع العديد من أنواع الغذاء، وقد ابتكرت طرقاً عديدة لحفظها مثل حفظ الجبنة المدخنة، والجبنة المحفوظة في الماء المالح، وكذلك صناعة جميع انواع المربى "التطلي" بالاضافة إلى عمل البرغل والفريكة وانواع مختلفة من مشتقات العجين الناشف وهو ما يشبه انواع المعكرونة.

الدور الثالث: المشاركة في الحفاظ على الفلكلور والتراث القومي الشركسي:

شاركت المرأة في الحفاظ على الموسيقا، وفن التطريز واعمال الزخرفة حيث كان للمرأة الشركسية دور فاعل في الحفاظ على الفلكلور عامة والموسيقا خاصة حين لم يكن ((النوتة)) معروفة كما كان لها دور في الحفاظ على فلكلور ((الرقص)).

يتضح مما تقدم بأن دور المرأة الشركسية كان مقتصراً على الاعمال والاشغال الخاصة بشؤون البيت والاسرة، وفي الحفاظ على فلكلور والتراث القومي وليس لها أي مهام خارجها كما هو

الحال مع نساء قوميات قوقازية او اسيوية اخرى مثل نساء الاكراد والاتراك والأعاجم والروس حيث كانت نساؤهم يعملن في داخل البيت وفي الحقل كما كانت تعمل في الاعمال الخارجية الشاقة.

الدور الرابع: بالإضافة للادوار الرئيسية للمرأة الشركسية بحكم العادات والتقاليد فإن بعض الوقائع والاحداث التاريخية تسجل بأنها قامت بأدوار استثنائية خاصة في الأيام واللحظات الحرجة في حروب الابادة والدمار التي تعرض لها الشراكسة ومن هذه الادوار:

* حملت السلاح وشاركت المقاتل الشركسي في السنوات الاخيرة من حرب الابادة والدمار الروسي وقاومت المعتدين.

* قامت بدور الحماية والدفاع عن بيتها واطفالها ضد الغزاة الروس والقوزاق خاصة عندما كان الرجال يقاتلون على الجبهات.

* قامت بدور اخفاء الخيول والمواشي في مناطق آمنة قبل وقوع الغزوات والهجمات على القرى الامنة.

* ساهمت المرأة الشركسية في تأمين حاجيات اسرتها في فترات انشغال الرجال في القتال، علما بأن العادات الشركسية لا تسمح بعملها خارج المنزل مثل العناية بالحظائر واخراج الحيوانات للرعي... الخ.

(٧) سجل تاريخ الامة الشركسية ظهور نساء بطلات ايضا مثل المصارعة الشركسية (لاشنيكاي Lahinkai) التي صرعت بطل ابطال قوم خانات القرم المدعو (قيسين Kaissyn) .

وتتلخص قصة هذه المصارعة الشركسية التي حدثت في القرن الثالث عشر الميلادي في الرواية التالية: عندما اقترب جيوش الخان (كيتاي خان Kitai Chan) الذي فتح كثيرا من البلاد المجاورة من حدود بلاد "الاديغة" وانتشر خبر انتصاراته وقدومه والطرق التي سلكها، قام زعماء "الاديغة" بجمع جيوشهم واستعدوا للقتال وصد غارة التتر. إلا أن الخان غيّر خطته وعدل عن الحرب وارسل رسله إلى زعماء "الاديغة" ليقولوا لهم بأنه لا يهدف من قدومهم إلى بلادهم محاربتهم، بل الشوق إلى معرفتهم عن قرب ورؤيتهم وجها لوجه وانه لا يريد ان يكون عدوا بل صديقا لما سمعوا عن شجاعتهم الفائقة وقوة جيشهم العظيم.

وقال ايضا "لكي اجرب قوتكم انتخبت بطلا من عندي وهو (قيسين Kaissyn) وهو احسن مصارع في جيشي وأشدهم قوة، فإذا اردتم انتم ايضا ان تنتخبوا من بين صفوفكم من ترون فيه الكفاءة والمقدرة لمنازلة بطلنا، فسوف تتم المبارزة بينهما فإذا تغلب بطلنا على بطلكم وجب عليكم ان تعتبروا انفسكم مهزومين ولا يحق لكم الامتناع عن دفع "الجزية". واذا كان النصر حليف بطلكم فسنكون نحن المهزومين وانا مستعد لدفع ما يجب علينا دفعه وسوف نقبل بكل خدمة تكلفوننا اياها.

فقبل قادة الاديغة بهذه الشروط واختاروا امرأة من عامة الشعب وهي (لاشنقاي – Lashinkai) والبسوها ملابس الرجال لإخفاء معالم جنسها.

فبدأت المنازلة ودامت اكثر من ساعة وكان الفوز للمرأة الشركسية فاكفهر وجه ((الخان)) وتغيرت ملامحه، وكظم غيظه، واعترف بأنه هزم وهنأ الاديغة بفوز بطلهم.

ومن باب المفاخرة كشف قادة الشراكسة بأن البطل الذي هزم بطلهم هي ((امرأة)) عادية من عامة الشعب، وطلبوا إليه ان ينتخب من جيشه بطلا آخر اذا أراد أن يختبر قوة رجال الاديغة.

فرفض "الخان" الطلب واكتفى بما حدث وقال: "إن امرأة عادية من عامة شعبكم تغلبت على أقوى أبطالنا الذين كنا نعتمد عليهم، فسأبر بوعدي وانفذ شروطي التي وضعتها بنفسي قبل بدء المنازلة وفوق ذلك كله فإنني اهدي اميركم سبعة من رجالي ثم انصرف ورجع فورا إلى بلاده".

وأنشد احد الشعراء في هذه المناسبة قائلا "كان قيسين فارسا مغوارا ومحاربا رابط الجأش تخشاه الجموع، لكن ساعد المرأة ((لاشنقاي)) كسر عزمه وسلبه شهرته، لقد أطعمت وسقيت جوادك سدى يا ((قيسين))! وقد جهزت عدتك واصلحت قوسك وصقلته حتى بدا لامعا وملأت كنانتك بالسهام

اللامعة، وجعلت درعك ساطعا تبهر بضيائها الابصار، ولكن سبق السيف العذل اذ المرأة الشركسية ((لاشنقاي)) القت ارضا مبارز "الخان" الوقح، نعم لقد خر صريعا بضربة من يـــد امـــرأة عاديـــة، انظروا اليوم فخارنا، أما كفانا شرفا رجوع (الآديكة) مثقلين بالهدايا والغنائم كأنهـــا اربـــاح تـــاجر كبير[٢٤].

وقيل ان مسرح هذه المبارزة التي جرت بين "الاديغة" و"كيتاي خان" كان بالقرب من نهـــر (شكم Shagem) أي فوق حصن شكم الحالي في بلاد القبرطاي، ويسمى ذلك الموقـــع حتـــى اليـــوم (لاشنسكايا Lashinskaya).

مصادر ومراجع الفصل الخامس

١) دي، جان شارل، عالم مجري، ثقافة الشعوب القفقاسية، ١٨٢٩، ص:٢٧.
٢) لوكا، جوفاني، قس ايطالي من المذهب الدومنيكي، كان في مهمة تبشرية في بلاد الشراكسة ((الاديغا)) في القرن الثامن عشر الميلادي، وكتب عن حياة الاديغا عامة وعن شجاعتهم خاصة. ص٢٦.
٣) برونوفسكي، مارتن، في كتابه عن منطقة بيتغورسك وسكانها، عام ١٥٩٥.
٤) دورتيلي، رحالة ايطالي كتب عن الشراكسة في "تشيركسيا" في القرن السادس عشر.
٥) انتريانو، جورج، عالم جغرافي ايطالي من جنوا، كتب عن احوال الشراكسة (الجراكسة) ونشره عام ١٥٠٢.
٦) بيل، جيم، داعية سياسية انجليزي الجنسية، زار بلاد تشركسيا عامي ١٨٣٧- ١٨٣٩، وكتب عن حياة الشراكسة فيها.
٧) لاموتر، بري – دين، دبلوماسي رحالة تجول في بلاد الشراكسة في القرن الثامن عشر وكتب عن احوالهم الاجتماعية والسياسية.
٨) المسعودي، مؤرخ عربي زار بلاد الشراكسة التي سماه بلاد الكشك.
٩) انتريانو، جورج، رحالة جغرافي من ايطاليا، كتب عن حياة "الزيخ" في منتصف القرن السادس عشر ونشر كتابه عام ١٥٠٢.
١٠)أبو الثناء الامشاطي، ابو الثناء محمود، المتوفي عام ٨٩٩هـ. دائرة المعارف الاسلامية (جـ٣ – ٨١)
١١)وجدي، فريد، دائرة المعارف الاسلامية، (جـ١٠-٤٤٠).
١٢)انتريانو، جورج، مصدر سابق، ص: ٢٣.
١٣)بيل نجم، مصدر سابق، ص: ٣٢-٣٣.
١٤)بيرغ، ايفان فبدروفيتش، مصدر سابق، ص: ٨٠.
١٥)بيل، جم، مصدر سابق، ص: ٣٠-٣٣.
١٦)انترباتو، جورج مصدر سابق، عام ١٥٠٢، ص: ١٢ – ١٥.
١٧) مامخيغ، رايا، لمحات عن العادات والتقاليد الشركسية "الأديغا خابزة".
١٨)غيردر، يوغان غوتفيلد، عالم مختص بدراسة الشعوب، كتب عن الشعب الشركسي في القرن السابع عشر الميلادي.
١٩)م. دوبرو، رحالة، تجول في بلاد "القبرطاي" وكتب عن حياتهم الاجتماعية.
٢٠)رستم، رشدي، دائرة المعارف الاسلامية (٨-٨٢).
٢١)كيراشيف، م. ت، كاتب روسي، زار بلاد الاديغة اكثر من مرة وكتب عن العادات والتقاليد والناموس الشركسي.
٢٢)بيرغ، مصدر سابق، ص: ٨٥.
٢٣)ليمونتوف، ميخائيل، بطل من هذا الزمان، ونقل عنه محمد عبد الحميد الحمد في كتابه تاريخ الشركس وآل انزور دمشق عام ٢٠٠٢، ص: ٥٥.
٢٤)نغموقة، مصدر سابق، ص٦٤-٦٥.

المجلد الأول

الجزء الثالث

الحضارات القديمة للأمة الشركسية منذ فجر التاريخ

فهرس فصول الجزء الثالث

حضارات الأمة الشركسية القديمة

الفصل الأول

مراحل تشكل الحضارات القديمة في منطقتي القوقاز

في الفترة ما بين ٤٠٠٠ – ٨٠٠ قبل الميلاد

يعتقد علماء (الأنثوغرافيين) المختصين بوصف الأقوام القديمة وعلماء (الأنثروبولوجيين) المختصين بدراسة الإنسان (فيزلوجيا وحضاريا) بأن القوميات القديمة عامة والشركسية منها بشكل خاص قد تشكلت في هذه المرحلة، وأن حضارات قفقاسيا الشمالية بدأت تتشكل ما بين (٤٠٠٠-٢٠٠٠) ق.م وبالأخص الحضارات التالية:

الحضارة الأولى: حضارة مايكوب في العصر البرونزي المبكر:

أطلق هذا الاسم نسبة الى مدينة (مايكوب) الواقعة على نهر (بلايا) أحد روافد نهر (الكوبان) حيث عثر على (كورغان مايكوب) الشهير، وهي عبارة عن تلة ترابية ارتفاعها (١١) متراً تحتها بناء قبري وهذا (الكورغان) لا يمثل حضارة مايكوب فقط وإنما تمثل حضارة الجزء الشمالي الغربي والأوسط من القفقاس الشمالي والتي تعتبر موطن لكل من القبائل الشركسية الثلاثة (الأديغة، والأبوخ والأبخاز).

ازدهرت هذه الحضارة في عصر البرونز المبكر (٤٠٠٠-٢٠٠٠)ق.م وهي تشمل كل المنطقة الواقعة إلى الشرق من سواحل البحر الأسود وبحر آزوف بما فيها الكولخيد وجزء النصف الغربي لما وراء القفقاس إلى خط يجتاز جبال (بيتاغورسك) وحتى مجرى نهر (الترك) في القفقاس الأوسط.

ويقول مكتشف (كورغان) مايكواب بأنه يؤرخ المرحلة المبكرة من الحضارة (المايكوابية) وامتدت هذه الحضارة من شبه جزيرة تامان وحتى (الشيشان أنقوش) لذا فإنها تعتبر حضارة تمثل منطقة الشمال الغربي للقفقاس الشمالي في عصر البرونز كما يؤكد (تورتشيانينوف) بأن مقبرة مايكواب يعود تاريخها إلى الألف الثالثة ق.م. [(٦)]

كما كانت هذه الحضارة منتشرة في مناطق نالتشك في مناطق القبردي الشركسية، وهي تبدو مدافن مبنية بحجارة ضخمة مستطيلة الشكل مشغولة ومنحوتة بشكل متقن والمعتقد بأنها هي تمثل عصر التحول إلى أسلوب الدفن (الدولميني)، وكما عثر على كميات كبيرة من الحلي الذهبية والفضية ومصنوعات حجرية وعظمية وأوان فخارية كما وجدت آثار المساكن والمواقد فيها. [(٧)]

وتميزت حضارة مايكوب بما يلي:

١- تطور في صناعة التعدين باستخدام مختلف أنواع المعادن منها الفضة والذهب والقصدير والنحاس والبرونز.

٢- وضع في عهد هذه الحضارة أول خارطة جغرافية في العالم مكتوب عليها بأسلوب الكتابة الصورية المقطعية القفقاسية وهي الخارطة التي رسمت على (الإناء الفضي الأول) وتم حفر شكل جبال مؤلفة من ثلاث سلاسل جبلية متتالية بارتفاعات مختلفة، ويظهر على جسم الإناء موقع (نهرين) ويظهر عليهما اتجاه سير الماء ويصب النهران في بحيرة أو في بحر تظهر الأمواج على سطحها * كما يظهر على سطح الإناء وعلى جسمه صور (حيوانات ونباتات بشكل متسلسل) والكتابة كانت (باللغة الآشووية) وهو الاسم الذي يطلقه (الأبخاز) على أنفسهم حتى اليوم . علماً أن هذه الكتابة المقطعية بقيت مفهومه وبنفس الدرجة لدى كل

* يؤكد علماء الآثار بأن صورة الجبال تمثل جبال القفقاس، والنهرين يمثلان نهري (الدجلة والفرات) في العراق مما يدل على وجود علاقة بين الحضارة المايكوبية والحضارة السومرية في العراق.

اللغات في مجموعة (أديغة، أوبخ، أبخاز) وقد قرأ النص المكتوب على الانائين على النحو التالي: [٨]

الإناء الأول: ١) الخارطة ٢) بلد الموقع (الآشووي) ٣) اسم صانعة (غياتش بن حيا)

الإناء الثاني: ١) ملك (سادز الأسد) من عائلة أتشبه ٢) توجد هنا روح الملك الملعون سارق الروح. [٩]

٣- ظهور الكتابة الآشولية (الآشووية) وهي لغة استخدمها قدماء الأيغة، والأوبيخ، والأبخاز) وهي اللغة التي كانت مستخدمة في الفترة من (١٣٠٠-٢٠٠٠) ق.م.

الحضارة الثانية: هي حضارة (كورا أراكس):

تكونت هذه الحضارة في النصف الشرقي للقفقاس الشمالي في عصر البرونز المبكر (٤٠٠٠-٢٠٠٠) ق.م وأكدت المعطيات الأثرية أن هذه الحضارة بدأت منذ عصر البرونز المبكر أيضا (٤٠٠٠) ق.م. وانتشرت بدءاً من المناطق الجبلية وما قبل الجبلي في الشيشان وكامل الداغستان وشواطئ بحر قزوين وحوضي نهري (كورا وأراكس) وفي الاناضول الشرقي. وتميزت هذه الحضارة في فن العمارة وبناء المساكن حيث تم بناء البيوت بشكل صفوف فوق بعضها على المنحدرات الجبلية وكان البيت مقسوماً إلى قسمين، وشكله دائري بقطر (٥-٦)م، وفيه (جرار) فخارية وحفر مطمورة في الأرض للتخزين كما استخدمت قوالب الآجر في البناء وطليت بالطين من الداخل والخارج.

كما اشتهرت بصناعات معدنية متطورة جداً حيث كان انسان هذه الحضارة على دراية بخصائص الخلائط المعدنية، واستعملوها بمهارة فائقة وخاصة البرونز وصنعوا منها (الفؤوس والشفرات والسكاكين وحلي وأواني). كما أتقنوا صناعة الفخار بشيها في أفران عالية الحرارة مع زخرفتها بالألوان.

كما تميزت هذه الحضارة بأسلوب زراعة المصاطب (التراس) وهو نوع خاص من الزراعة في الجبال، وقد زرعت الأرض بأنواع من القمح (القاسي والطري) كما استخدموا (نظام تهجين) في المزروعات كما اشتهرت قرية (غيلارسك) في الداغستان بزراعة نباتات النسيج، كما ظهرت البيادر (الدراسة باستخدام الحيوان) وقد أدى ذلك إلى زيادة الإنتاج وظهور مستودعات الحبوب على شكل حفر عميقة في الأرض وكان الطحن يتم على (مهارس) حجرية. أما في مجال تربية الحيوانات فكانت تربية الماشية التي تعتمد على الانتقال بها في فصل الصيف إلى المراعي الجبلية العالية بعيداً عن مناطق السكن الأساسية، وقد كان هذا سبباً في ظهور المساكن (الصيفية) كما استعملت الثيران والعربات في عمليات الجر والنقل.

وبالنسبة للمعتقدات الدينية فقد كان بناة هذه الحضارة يقدسون (الام) من خلال عبادة (آلهة العطاء والخصب) كما عبدوا (الشمس) وتم انتقال رئاسة الأسرة من (المرأة إلى الرجل) وتؤكد المكتشفات الأثرية في منطقة الداغستان بأنه تم استخدام المدفن الجماعي خارج القرى، كما خصصت مدافن منفصلة لرؤساء القبائل والعائلات الغنية والحاكمة، كما وجد تماثيل نسائية لآلهة الخصب والعطاء في (كورغان) مدينة دربند الدغستانية.

الحضارة الثالثة: هي حضارة (الكاتاكومب) وظهرت في عصر البرونز الأوسط(١٠٠٠-٢٥٠٠) [١١]

وتنقسم هذه الحضارة إلى حضارتين، هما حضارة القفقاس الشمالي الغربي، وحضارة الدولمن، وفيما يلي تحليل موجز لكل من هاتين الحضارتين:

*** حضارة القفقاس الشمالي الغربي:**

انتشرت هذه الحضارة على معظم مناطق القفقاس الشمالي الغربي حتى بداية الجبال الداغستانية شرقاً ومن الجنوب إلى منطقة ما وراء القفقاس ووصلت شمالاً إلى منطقة السهوب، حيث كانت هناك منطقة واسعة اختلطت فيها قبائل القفقاس الشمالي مع سكان السهوب حضارياً وديموغرافيا. والمكتشفات الأثرية في هذه الفترة متنوعة منها (الكورغانات) في السهول والمناطق ما قبل الجبلية (ومدافن ضخمة) تحتوي على قبور بشكل صناديق حجرية، وقد استخدم الحجر بشكل واسع في بناء القبور، كما وجد فيها الأواني السيراميكية المتقنة وفؤوس حربية معكوفة صنعت من حجر أخضر سميت (بالفؤوس القبردينية)، وأزرار ضخمة مشغولة من صخور أشد قساوة من سابقتها، وأوان طينية بشكل دائري.. إلخ.

وامتدت حدود هذه الحضارة إلى (حوض الكوبان حتى ستافروبول ومناطق كباردينيا بلقاريا وأوسيتيا الشمالية والشيشان)، أي كل القفقاس الشمالي جغرافياً ما عدا منطقة الداغستان.

اعتمد سكان هذه الحضارة على تربية الماشية خاصة (التيوس) الصغيرة منها والضخمة من الماعز والضأن، بالإضافة إلى تربية الخيول التي كانت تستخدم للترحال والتنقل.

وفي مجال الزراعة فقد كان القمح والشعير من المزروعات الأساسية خلال هذه الحضارة، كما أن صناعة التعدين كانت متقدمة خاصة الصناعات النحاسية. وكانت (السلطة الأبوية) هي السائدة في مجتمعات هذه الحضارة، كما أن التمايز الطبقي كان أخف من حضارة الكوبان.

*** الحضارة الدولمينية:** (١٢)

انبثقت هذه الحضارة عن حضارة ققفاسيا الشمالية والتي تميزت بالأمور التالية:

١- تم استخدام الحصان في ظل هذه الحضارة وبالتحديد خلال عام (٢٥٠٠ق.م) للتنقل.

٢- انتشر اعتقاد عند الناس في هذه الحضارة بوجود الحياة الثانية في (الآخرة) فقد وجد في إحدى المقابر جميع أنواع الأواني التي كان يستخدمها الانسان في الأكل وكذلك أنواع من أدوات العمل.

٣- الايمان بوجود علاقات حميمة مع الحضارات القفقاسية الأخرى مثل حضارات (الكاتاكومب) وحضارة (كورا أراكس).

٤- ظهور الطبقية في هذه الحضارة، حيث ظهرت طبقة من الارستقراطيين واصطدمت مع القبائل التي كان يرأسها الارستقراطيون مع قبائل أخرى، كما أدت تلك الصدامات إلى أسر بعض السكان وتحويلهم إلى عبيد.. ونستدل على ذلك من تخصيص حجرات كبيرة في المدافن لرؤساء القبائل وأخرى صغيرة دفن فيها العبيد الذين قتلوا مع أسيادهم.

٥- العثور على قبور مؤلفة من قطع حجرية ضخمة محفورة كلياً من الصخر حيث تم اكتشاف اكثر من (٢٢٠٠) قبراً من هذا النواع ويلاحظ انتشار هذا النمط من القبور على جزء محدود من ساحل البحر الأسود بين شبه جزيرة تامان وحتى الشاطئ الآديغي – الأبخازي.

٦- بالنسبة للصناعة التعدينية فقد عثر على بقايا (مشغل لصب المعادن) وكان من انتاجه، الفؤوس والخناجر والحليات والأزرار ذات الشكل الدائري والأطواق. وانتشر أسلوب جديد في طلاء سطح الآنية بطين سائل تم زخرفتها بشكل (كشاكش وأكاليل مثلثية الشكل).

٧- السلطة السائدة في هذه الحضارة كانت سلطة الأسرة الابوية.

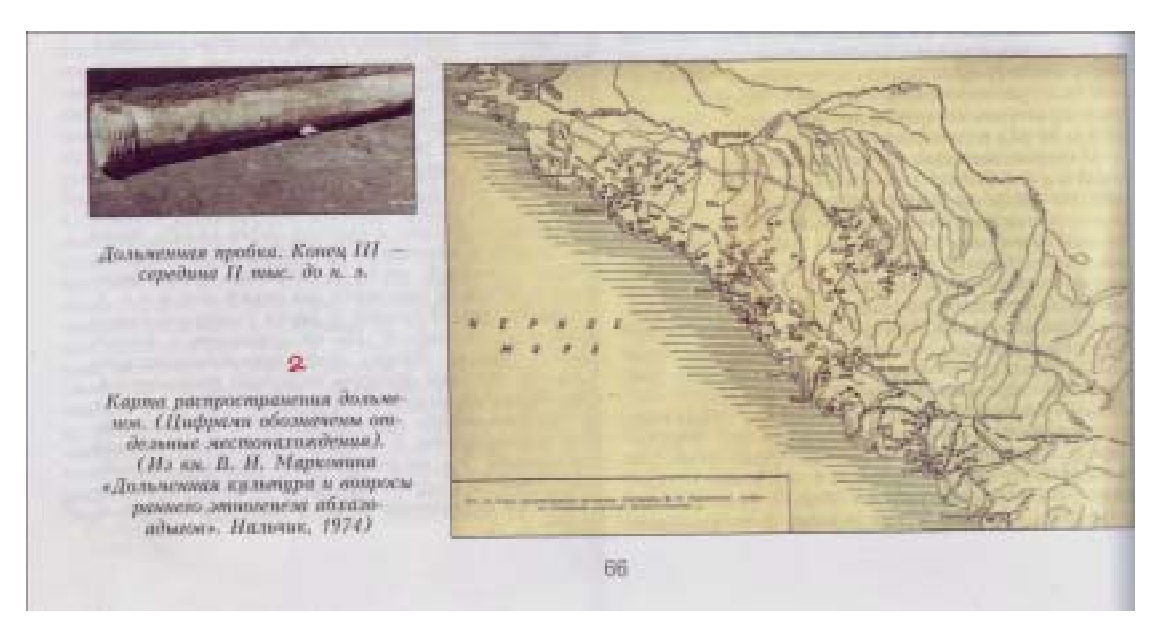
٨- وجود المدافن الجماعية في هذه الحضارة فقد بلغ في أحد القبور (٥٠) جثة والاعتقادات الدينية ظلت كما هي في السابق. ويظهر التداخل الكبير بين هذه الحضارة المحلية وحضارة

القفقاس الشمالي الغربي حيث تطورت هذه الحضارة بالنسبة للنصف الثاني من الألف الثانية (١٠٠٠-١٥٠٠) إلى حضارة سميت بالحضارة (الكاياكنتية الخورتشيفية) والتطور الحاصل كان في مجال الدفن فقط فأصبح دفناً إفرادياً أو زوجياً وفي صناديق حجرية.

٩- وفي مجال تربية الماشية ظهر نوع جديد وهو تربية (قطعان الخيول) واستخدامها للركوب وجر العربات. وبقيت الصناعة المعدنية على تطورها مقابل تراجع أصحاب الصناعة الفخارية، وتكونت الأسرة الصغيرة مع بقاء الارتباط العشائري قويا.

١٠- انتشرت في هذه الفترة الرسوم على الصخور والرسم بالألوان والحفر على الصخر، وشكلت الرموز الشمسية مكانة كبيرة ودخل رمز الشمس في رسومات الحيوانات تضمنت مناظر لحيوانات منزلية وبرية ورسومات الخيول والفرسان وتماثيل نسائية موضوعة فوق القبور ودخلت أساليب النحت الصخري في المقابر وأقدمها ما عثر عليه في منطقة (نالتشك) عاصمة جمهورية القبرطاي حالياً.

١١- ساد في هذه الفترة نظام الفروق الطبقية. ويلاحظ بأن الدولمينات كانت مجهزة بفتحات دائرية لإدخال الميت فيها واحتوت كل واحدة منها على عدد يتراوح بين (١-٣) من الجثث، وضعوا (بشكل مطوي) مع وضع الغرة الحمراء بشكل كثيف على الجثث وكانت هذه المقابر لزعماء القبائل، كما ظهرت مدفونات جماعية في وضعية الجلوس تعود لفترة ازدهار الحضارة الدولمينية في النصف الأول من الألف الثاني ق.م، وظهر البناء الدولميني عند قبائل شمال القفقاس على شاطئ البحر الأسود وهي قبائل (الأديغة والأبخاز).



خارطة

تبين المناطق التي وجدت فيها الدولمينات في قفقاس الغربية

الحضارة الرابعة: حضارة القفقاس الشمالي:

وظهرت هذه الحضارة في العصر البرونزي المتأخر (٨٠٠-١٠٠٠) سنة ق. م وتميزت بالزراعة وتربية الماشية وهما أساس الحياة الاقتصادية للسكان في هذه الحضارة حيث ظهرت

الزراعة المنتظمة مثل زراعة (القمح الطري والقمح القاسي إلخ..) وكان الحصاد يتم بمناجل برونزية حديدية.

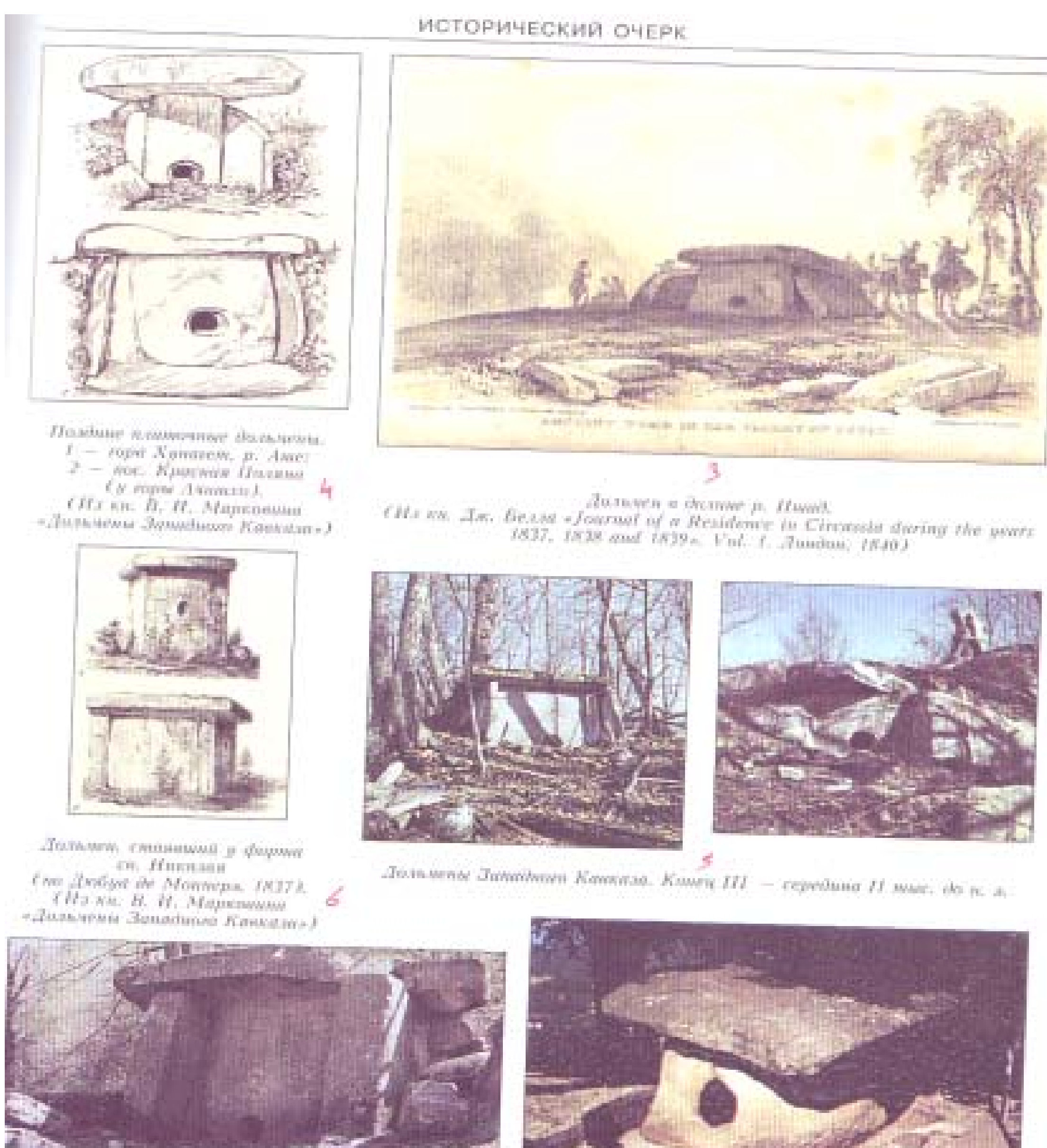
كما تطورت صناعة التعدين في هذا العصر، فالأدوات البرونزية عكست مهارة عالية ومعرفة عميقة لعملية الطرق والسكب وكافة العمليات الأخرى، وصنعت قوالب الصب للانتاج (بالجملة) والصب المعقد على مراحل، واعتبرت هذه المعرفة العميقة بتكنولوجيا معادن (البرونز والنحاس) واحدة من أهم الإشارات على الاكتشاف المبكر للحديد؛ إضافة إلى الخبث الحديدي المنتشر بكثافة في طبقات الألف الثاني وحتى الألف الأول، وقد وجد البرونز المخلوط بالحديد في مدافن نهاية الألف الأول في كل من (أوسيتيا والشيشان وأنقوش) والذي اعتبر دليلاً إضافياً على المعرفة المبكرة للحديد.

الحضارة الخامسة: الحضارة الكابانية:

وهي إحدى الحضارات التي ظهرت في العصر البرونزي المتأخر أيضاً، وسميت كذلك استناداً إلى مدافن (كابان) المكتشفة في (أوسيتيا) حيث عكست حياة الاستقرار في المواقع المرتفعة المحصنة بشكل طبيعي، وتم بناء المساكن في هذه الحضارة من (الحجر والخشب المغطى بالطين) وهي مقسومة إلى قسمين الأول للسكن والثاني للعمل، كما وجدت فيها بقايا شغل (بالعظام والحجر والفخار والمعدن) والدفن كان يتم في (صندوق حجري) ووضع الميت بشكل مطوي على الجانب الأيمن أو الأيسر مع وضع اليدين قرب الصدر وأمام الوجه، كما دفنت الأواني الفخارية والبرونزية والمواد الغذائية مع الميت، كما كان يدفن أحياناً مع الميت (حصانة) بلوازمه كاملاً، وأدوات حربية مختلفة، كما وجد في القبور النسائية أواني فخارية وإبر خياطة وأدوات نسائية وحلي وأسلحة مما يدل بأن أصحاب هذه الحضارة كانوا يعتقدون بوجود حياة ثانية بعد الموت.

نماذج

من الدولمينات التي وجدت في حوض نهر تشاد ومنطقة فورت سانت نيكولاس في القفقاس الغربية



الفصل الثاني

حقائق حول المكتشفات الأثرية في المناطق التي كان يسكنها أجداد الشراكسة في الوطن الأم منذ الألفية الرابعة قبل الميلاد

بالرجوع إلى مؤلفات للمؤرخين (مورجان وارنست) حول المكتشفات الأثرية التاريخية التي وجدت في بلاد القفقاس عامة ومناطق أجداد الشراكسة في شمال القفقاس خاصة، وكذلك بدراسة المحتويات الأثرية في المتحف الأثري الموجود في تفليس (عاصمة جمهورية جورجيا) حالياً والمتحف الأثري في نالتشك (المكتشفة في حوض نهر الكوبان وبالتحديد في منطقة مايكوب) في الفترة ١٨٩٧-١٩٠٩ وكذلك بعد الاطلاع على نص الرسالة التي ارسلت إلى المؤلف الروائي الشهير (الكساندر دوماس) من شخص يدعى (ديستوشف مارلينسكي) حول سد القفقاس العظيم.

وكذلك بمراجعة نتائج الحفريات التي جرت في منطقة (نالتشك) ونتائج التنقيبات التي جرت في حوض نهر الترك ونهر آرغون عام ١٩٣٦ توصلنا إلى حقيقة:

ان بلاد الشراكسة في الوطن الأم في شمال القفقاس عبارة عن متحف للآثار القديمة المصنوعة من الذهب والفضة والبرونز والحديد والخشب، بالإضافة إلى الادوات المصنوعة بإتقان من الحجر المصقول والتسمية التي أطلقها (انفيموف) * على الكوبان في كتابه (ذهب الكوبان القديم) وكذلك التسمية التي أطلقها (سمكوغ) على القفقاس (متحف الاقوام) هي تسميات وتعبيرات صادقة نستدل عليها من الحقائق التي توصلنا إليها في بحثنا وأهمها هي:

الحقيقة الأولى: اكتشف المؤرخ (مورجان) في القفقاس العديد من المقابر العائدة للعصور الحجرية القديمة حيث وجد فيها الكثير من الأدوات البيتية وادوات الزينة، وخاصة في حوضي نهر كوبان ونهر الترك.

كما أكد (مورجان) بأنه اكتشف في القفقاس العديد من المقابر العائدة للادوار الحجرية، وانه وجد فيها كثيراً من الادوات البيتية وأدوات الزينة في حوضي نهر (كوبان) ونهر (ترك) كما اكتشف آثاراً معدنية غنية تثبت أن هذه المنطقة كانت مهداً لبداية استعمال المعادن ويعود تاريخها لألفي عام قبل ميلاد المسيح، وأن صناعة البرونز والحديد قد انتقلت من هناك إلى اوروبا.

كما يذكر (مورجان) أنه أجرى تحقيقات ودراسات على الموميات الحثية المحفوظة في مصر وتبين أن اصحابها من أصل قفقاسي، وأن مظاهر الحثيين وملابسهم تشبه كثيراً ما لدى القفقاسيين إلى يومنا هذا. [١٣]

الحقيقة الثانية: بالرغم من الجهود الروسية الهادفة إلى فرض التعتيم على الحضارات القفقاسية القديمة إلا أن العلماء والباحثين من جمهورية "آديغي" قاموا بأعمال التنقيب، وعثروا على لقيات أثرية، في غاية الاهمية، وأهمها الآثار المكتشفة هي مقبرة كبيرة "تحت أرضية" يعود تاريخ بنائها إلى ثلاثة آلاف سنة قبل الميلاد. **وقدر العلماء أن خمسة عشر ألف عامل، عملوا على مدار عدة عقود لإتمام بناء هذا القبر.** ووصف عالم الاثار الروسي فارماكويسكي هذا (الكورغان) بأنه على ارتفاع التل الترابي فوق حجرة الدفن (١١) متراً وتحته سور حجري، وفي منتصفه حفرة المقبرة، متجهة من الشمال الشرقي إلى الجنوب الغربي بعمق لا يتجاوز ١,٤٢م تحت التراب والقبر مستطيل الشكل بزوايا مستديرة، وجدرانه مقعرة مكسوة بالخشب وتغطي القبر طبقتان من الأخشاب المتعاكسة بينهما تراب بسماكة (١٠سم) والقبر مقسم بداخله إلى قسمين متساويين (جنوبي وشمالي) والشمالي مقسوم بدوره إلى قسمين ايضا ففي الغرفة الجنوبية وضع الميت مضطجعاً في منتصفها بشكل ملتو

* ن. ق انفيموت، مؤلف كتاب (ذهب الكوبان القديم) المنشور في كراسنودار عام ١٩٨٧.

على جانبه الأيمن، ورأسه إلى الجنوب ووجهه إلى الشرق ويداه مرفوعتان بمستوى رأسه والهيكل العظمي مصبوغ بدهان أحمر غامق.

وفي الجزأين الشماليين دفنت امرأتان لهما نفس الوضعية السابقة، والهيكل العظمي للرجل مغطى بالحلي الذهبية عددها (٦٨ شكل أسد و ٣٨ خاتماً ذهبياً وعشرة ورود ذات خمس وريقات) بالإضافة إلى أشكال الخرز بحجوم مختلفة مصنوعة من الفيروز والذهب وتحت الجمجمة شريطتان ذهبيتان وخمس خواتم ذهبية وأربع حلقات أذن ناعمة وأربع عصي مصنوعة من أنابيب ذهبية وفضية مجوفة (وفي أسفل كل عصا أشكال ثيران ذهبية على العصي) وفي الجزء الأعلى من كل عصاة يوجد شريط خيطت عليه أشكال أسود وثيران من صفائح ذهبية، ووجدت مجموعة من الأزرار والحلق تجسد مناظر جبلية ووحوش وأربع قطع فضية بأشكال ضخمة للثيران من الذهب والفضة ووعاء حجري بغطاء من الذهب وفؤوس من البرونز وسكاكين ونهايات سهمية من حجر الكريمن (الصوان) كما وجد عند الحائط الشرقي في الغرفة الرئيسية (آنيتان ذهبيتان و ١٤ آنية فضية). [٧]

وفي الاعوام ١٨٩٨-١٩٠٩ واصل علماء الاثار عملهم في (مايكوب) وحولها فوجدوا مدافن للقدماء حيث وجدوا انها تحتوي على ما كان يملكه الميت من أشياء عزيزة عليه، حتى الطعام والشراب، ووجد في بعضها الهياكل العظمية لرجل وامرأة، وفي اخرى بقايا عربات فهم منها أنها كانت تقاد بستة أزواج من الخيل، كما وجدت بينها مصنوعات فضية وذهبية ونحاسية وتماثيل حجرية.

ومن بين الآثار التي وجدت في (مايكوب) ايضا قطعتان ذهبيتان جلبت الاهتمام والتدقيق ودارت حولها ابحاث كثيرة، كما وجد بينها حجر مسنن وقطع تزينية للاحزمة وقاما (خنجر مستقيم) اشبه بورقة شجرة الدفنة، استرعت الانتباه الزائد لأن القطع التزينية للأحزمة والخنجر المسنن (والقاما) لا تزال مستعملة عند الجراكسة إلى اليوم الحاضر.

ومن أهم مكتشفات منطقة (كوبان) أيضاً كما جاء في كتاب تاريخ العالم – المجلد الثاني هي:

- صورة عن اللوحة الذهبية الرمزية المكتشفة في مايكوب، مع مزهريتين من الفضة عليها رسوم بديعة تعود إلى أكثر من (٢٥٠٠) ق. م.
- صورة لهيكل عربة مصنوعة من الأغصان المتشابكة المطلية بالطين عثر عليها في مقبرة (اولسكي) بالقفقاس.
- مجسمات لمجموعات معدنية بديعة وجدت في مايكوب يرجع تاريخها إلى ٣٠٠٠سنة ق. م وفيها ثلاثة ثيران ذهبية وفضية تخترقها قضبان والمعتقد أنها كانت تستعمل لأغراض دينية، وفيها إكليلان من الذهب مطعمان بخيوط ذهبية جميلة وفيها نماذج معدنية لصناعات نفيسة ودقيقة سميت بالفن الاسكودي والصحيح بأنه الفن القفقاسي الحقيقي، لأن الاسكود كانوا بدواً رحلاً متوحشين لا يعقل أن يكون لهم فنون بهذا المستوى. [١٤]
- مقابر عديدة مليئة بالهياكل العظمية للنساء والخيل والبقر والغنم وبقايا العربات تقاد بستة ازواج من الجياد كما وجد فيها الكثير من الأشياء العائدة للميت كالأسلحة والأدوات والأواني، وآثار من الأطعمة والأشربة في أوان فخارية وحجرية وعدد من الحلي والتماثيل الفضية والحجرية.
- إن أهم المناطق الحثية في عظمتها كانت في حوض نهر (قيزيل ايرماق) في تركيا وفي شمال سورية، فسلاح القاما (السيف المستقيم القصير) الذي اكتشف في الكوبان مثلا، هي تماماً تشبه مثيلاتها مما اكتشف من القاما الذهبية في آثار (الاجاهيوك) في تركيا. وكذلك ما اكتشف في بلاد سومر جنوب العراق – ونجد في وقتنا الحاضر أن الجراكسة والقفقاسيين جميعا يتمنطقون بمثيلاتها وفي الوضعية التي كانت لدى الحثيين الأقدمين. وقد دققها علماء الآثار زمناً وتناقشوا مدلولاتها طويلا، فوجدوا بأن القاما التي تشبه (ورق الدفلى) المصنوع

من الحجر المسنن والحزام الجلدي، تشبهان القاما والحزام المستخدم في اللباس الجركسي القومي حتى يومنا الحاضر[١٥].

- العثور على اسلحة حربية عديدة مثل (السيف والعصي والسهام والدروع) ولم يصادف وجود مثل هذه الأدوات الحربية في المدافن القديمة للشعوب الأخرى في العالم.

يتضح مما ذكر بوضوح أن قدماء الجراكسة كانوا يعتقدون بخلود الروح وبعث الموتى لذلك كانوا يدفنون معه جميع لوازمه وما يحتاج إليه من الدنيا والآخرة – كما هو الحال عند قدماء المصريين وبعض الشعوب الأخرى، وانهم كانوا يقدمون الأضاحي قرابين للميت لكي يخلصوا روحه من العذاب.

وكانت المدافن تبنى بشكل مربع أو مستطيل مدخله من عند الرأس وقد وجدت نقوش تزينية وصلبان ، ولكنها ليست إلا نقوشاً لأنها رسمت قبل الميلاد بمئات السنين.

ويعتقد علماء الآثار بأن عمر الآثار المكتشفة في مايكوب بحوالي [٢٥٠٠] سنة قبل الميلاد، ولكن اللوحة الذهبية التي عثر عليها وفيها رسم السلسلة الجبلية والنهران اللذان يصبان في البحر في مصبين مختلفين كما تحتوي على رسوم بعض الحيوانات، والتي تقرر أنها تمثل سلسلة القفقاس ونهري الفرات والدجلة، تدل على ان هذه الخارطة تعود إلى عهد أقدم من ذلك، لأن دراسات علماء الجيولوجيا، أظهرت أن التقاء مصبي نهر دجلة والفرات حدث بعد عام ٢٥٠٠ ق.م [١٦]

الحقيقة الثالثة: تم الكشف في منطقة الكوبان (جنوب غرب بلدة فلادي قفقاس) على آثار هامة جداً، تدل أنها كانت مركزاً لصناعة البرونز، كما عثر على تزيينات برونزية، وفؤوسٍ حجرية مصقولة وعلاقة [جنكل] جذب اهتماماً كبيراً لخصوصية صناعته.

وان اختلاط الآثار الحجرية بالمعدنية في هذه المنطقة يكشف عن الدور الانتقالي من الحجر المصقول إلى النحاسي، فالبرونزي هذا وعثر على مدافن تحتوي على هياكل عظمية لأشخاص عديدين كما شوهد في بعضها آثار لحرق الموتى.

كما عثر في منطقة المياه الساخنة (بيتاغورسك) على أدوات من السيراميك وآثار تعود للدور النحاسي والبرونزي كما عثر فيها على مدافن الدور الكلاسيكي (دفن الميت بعد طي اطرافه) كما اكتشفت فيها مدافن جماعية (دفن اشخاص عديدين في قبر واحد) كما وجدوا آثاراً تدل على تغسيل الموتى قبل الدفن وعثروا أيضا في هذه المناطق على رسوم للنسر والحصان والكلب والثور والانسان منقوشة على الصخر [١٧].

وتشير الدراسات الأثرية بأن المعادن المستخرجة من الأرض في منطقة الكوبان كانت تفي بالحاجة المحلية، وكانت الواردات الأجنبية قد توقفت، فأخذت المناجم المحلية تنتج للأسواق المحلية، وفيما يختص بصناعة النحاس وأدواتها فيرجع ظهورها إلى سنة (٣٠٠٠) ق. م في الكوبان حسب مكتشفات عام ١٨٩٧ ويعتبر الألف الثاني قبل المسيح عصر غزارة في انتاج الادوات النحاسية في منطقة الكوبان. [٢٠]

الحقيقة الرابعة: يقول الدكتور البروفسور جورجي في مؤلفه [سومر] عند تعرضه لذكر القفقاس: "أن الآثار القفقاسية تمتد بشكل سلسلة متوالية حتى الجزر البريطانية سلسلة غنية متجانسة ومتطورة وطويلة الأمد".

ويضيف إلى ذلك قوله، من المهم أن نتذكر ان الحضارة القفقاسية غير بعيدة عن الحضارة السومرية، فالآثار التي وجدت في مايكوب وغيرها من الأمكنة عثر فيها على آثار ذات قيمة تاريخية عظيمة.

فالآثار القفقاسية، وخاصة القسم الشمالي منها، تتكامل وتتجانس مع الآثار العراقية والمصرية والأناضولية منذ العهد [٣٠٠٠-٣٥٠٠] سنة قبل الميلاد وتترابط معها بروابط قوية.[١٨]

الحقيقة الخامسة: وقد جاء في كتاب (تاريخ القوقاز) تأليف (جوناتوقة) "تبين من المدافن القديمة في القوقاز أنهم كانوا يدفنون مع الموتى مقتنياتهم الثمنية واسلحتهم وغذاء لهم، وقد وجدت آثار الأطعمة في آوان فخارية داخل القبور، كما أنهم كانوا يقيمون الولائم لهم بعد موتهم بجانب قبورهم حسب مراسيم خاصة، ويفهم من ذلك انهم كانوا يعتقدون بخلود الروح.

وظهر أن اسلحتهم كانت قديما هي القاما والسيف والترس والقوس والقلنسوة والسهام الحديدية المدببة والدرع المنسوج من زرد الحديد، حتى الخيل كان لها سرابيل من الزرد.

كما كانوا يستعملون اقراطاً من الحديد، ومن ثم الفضة والذهب يزينون بها آذانهم وشعورهم الطويلة المعقودة من الخلف ويضعون الخاتم في ايديهم وأرجلهم ويتمنطقون بأحزمة جلدية مختلفة العرض محلاة بقطع من الحديد ثم الفضة والذهب.

ومن الثابت أن أجداد الجراكسة اخترعوا إبرة الخياطة بمختلف الأحجام باستخدام العظم والبرونز فالحديد، وكذلك الأمشاط بمختلف الأحجام.

ومن المشاهد في آثارهم القديمة أنهم رسموا النسر والعقاب والتيل [الوعل او الايل] والحصان والخنزير البري والأسد والثور البري غير أن الانسان كان يرسم دائما بدون رأس، ويعتقد المؤرخ مورغان ان عدم رسم الرأس ربما يرجع إلى اعتقاد ديني قديم ولا يعود للاسلام حسب ما ذهب إليه بعض المؤرخين.

ومما يجدر ذكره هنا أن الحثيين كانوا يغتسلون ويتطهرون من الجنابة كما يفعل المسلمون، وان من يدخل المعبد وهو غير طاهر، وخاصة الكاهن يجازى حتى الموت، كما أنهم كانوا يعدون براز الكلب والخنزير نجساً وكما كان يجب تطهير الاناء الذي شرب أو اكل او لعق فيه الكلب او الخنزير.

وقد وجدت في شمال القفقاس عظام بشرية وعظام الخراف والخيل والثيران وبقايا قطع من أطباق الخزف على قبور الموتى، ولعل هذا يدل على أنهم كانوا يضحون بالانسان والحيوان افتداء لأرواح الموتى [١٩].

الحقيقة السادسة: تدل الآثار المكتشفة في القسم الشرقي الأوسط من قفقاسيا الشمالية عامة وفي منطقة نالتشك وهي (عاصمة قبائل القبرطاي من شراكسة الوطن الأم حاليا) فإن هذه المنطقة قديمة جداً قد يعود تاريخها إلى ما قبل اكثر من (٢٠) الف عام قبل الميلاد.

وفيما يلي أهم المكتشفات في هذه المنطقة من بلاد القبرطاي:

- عثر في [بيتغورسك] التي يسميها الجركس [يسي فابه = المياه الحارة] على جمجمة يرجح أنها من فصيلة النياندرتال، كما سبق أن أشرنا إليه.
- عثر في ربوة منخفضة بمنطقة نالتشك على [١٣٠] هيكلا عظميا ملوثا بالأوكر، وهو نوع من التراب الفخاري، وكانت أهم محتويات القبور هي من (اسنان حيوانات وحشية وأنيابها كالخنازير البرية، ومن تمثال حجري لامرأة مع أساور حجرية وخاتم نحاسي وعقد من العقيق).
- عثر في مكان مجاور على أوان ذات قعر رديء التدوير، وأحجار من الصوان المسنن المستعملة في صنع السهام، ولم يكن هناك أي اثر لعظام الحيوانات الأليفة.
- عثر أيضا على آثار مهمة تعود للدور الحجري، واخرى تعود للدور النحاسي والبرونزي.
- كشفت التنقيبات الأثرية التي جرت عام ١٨٣٦م في أحواض نهري [تيرك وآرغون] على آثار تدل على انها كانت مناطق سكن في الدور النحاسي والبرونزي وهذه الآثار تشبه إلى حد كبير ما وجد في منطقة القبرطاي.

• كما وجدت في المقابر على خلاخل (سوار بدون جرس) وحلق للاذان مصنوع من الذهب والفضة وأسورة وخواتم، وفي عهد متأخر ظهرت لديهم المشدات (كورسية) والأحزمة المعدنية [٢٠].

الحقيقة السابعة: يقول (أنفيموف) في كتابه [٢٣] (ذهب الكوبان القديم) في الألف الثالث قبل الميلاد وإلى الجنوب من نهر الكوبان ظهرت حضارة مايكوب وازدهرت فيما بعد وامتدت إلى الشرق حتى الداغستان وإلى الغرب حتى شبه جزيرة تامان وأجزاء من شواطئ البحر الأسود حتى ما يعرف اليوم باسم (تسئه مز) ووصلت مايكوب الذروة في استعمال المعادن في المرحلة الاخيرة من حضارتها. وكان من بين المكتشفات الاثرية في مقابر اثريائهم وأغنيائهم كثير من الأدوات الذهبية والفضية. ووصف (انفيموف) محتويات مقبرة (الكورغان) التي تم اكتشافها عام ١٨٩٧ على النحو التالي:

ففي احدى المقابر الضخمة التي تعود إلى احد قادة القبائل الجبابرة، وأصبحت مشهورة في علم الآثار لما احتوته من كنوز ذهبية وفضية ثمينة يعود تاريخها إلى منتصف الألف الثالث قبل الميلاد.

ومما تم اكتشافه في نفس السنة في منطقة مايكوب هي:

١- وعاء من الفضة عليه نقوش تمثل منظراً طبيعيا
٢- مجسم لعجل مصنوع من الذهب.
٣- مجسمات ذهبية لحيوانات.
٤- ابريق مصنوع من الذهب.
٥- عقود من الذهب والفضة والعقيق الأحمر والفيروز.
٦- تاج من الذهب.

كما تم اكتشاف مقتنيات اثرية أخرى في الكوبان منها:

١- لوحات رسم لها قيمة علمية وفنية كبيرة.
٢- سيوف قصيرة (قامات) ذات أغمدة ذهبية.
٣- فؤوس حربية مزخرفة مصنوعة من الذهب.
٤- مرآة من الفضة عليها نقوش جميلة.
٥- بروش ذهبي على شكل نمر وحيوانات.
٦- زبدية (جاط) عليها صور لطيور وحيوانات.

ومن بين المكتشفات الأثرية التي ذكرها (أنفيموف) خاصة تلك التي وجدت في المناطق التي كان يسكنها (السنديون) وقبائل (المئيوت) من اجداد الشراكسة في المناطق المنخفضة من حوض نهر (الكوبان) وشبه جزيرة (تامان) بمحاذاة شواطئ البحر الأسود وحتى موقع مدينة (أنابا) موقع مدينة قديمة عرفت باسم (الاخوة السبعة Seven Brothers) تقع على سبعة تلال على الضفة اليسرى من نهر الكوبان، وهي تضم اليوم مقابر نبلاء السنديين الذين عاشوا في القرنين الخامس والرابع قبل الميلاد.

وهؤلاء السنديون هم احدى قبائل الميئوت وقد ازدهرت المدينة عندهم في القرن الخامس قبل الميلاد فكانت من أكبر مراكزهم محمية (بجدران عملاقة وأبراج) وكانت هذه المدينة مركزاً اقتصادياً وسياسياً هاماً.

وفي عامي ١٨٧٥-١٨٧٦ تم الكشف عن (سبع مقابر كبيرة) يعود تاريخها إلى القرنين الخامس والرابع قبل الميلاد تضم نبلاء السنديين وجد فيها مجسمات لخيول وسروج وأسلحة وحلي مصنوعة من الذهب وقرون تستعمل كأواني للشرب بالإضافة إلى اواني فضية وبرونزية وزبادي خشبية مرصعة بالذهب.

ونذكر فيما يلي بعض المكتشفات الهامة في تلك المقابر السبعة:

١- خاتم ذهب.
٢- طوق ذهب.
٣- إسوارة ذهب.
٤- عقد من الذهب.
٥- خاتم ذهب منقوش
٦- قرن من الفضة
٧- رؤوس من الذهب لثيران وخرفان وأشخاص.
٨- قرن ذهب ينتهي برأس كلب.
٩- قرن ذهب ينتهي برأس كبش.
١٠- مجسمات لأيل مصنوعة من الذهب.
١١- نقوش لحيوان الدراغون مصنوعة من الذهب.
١٢- نقوش لحيوان وطيور.

الحقيقة الثامنة: مكتشفات منطقة ابخازيا على ساحل البحر الأسود وبالتحديد في قرية (كسراستويا) الكائنة في وادي [آشي] طبقتين من الآثار لدورين تاريخيين مختلفين هما:

الطبقة السفلى: ويعود للدور الحجري واصحابها هم أقوام [الدولمه. ن] وهم الانـاس الـذين كـانوا يدفنون موتاهم تحت الحجارة الضخمة ثم يطمرونها بكومة من التراب، يشبه المدافن المنتـشرة فـي شمال أوروبا والتي يسمونها مدافن [الدولمه. ن] كما يسميها البعض [مذابح الدرويدي] لأنها تدل على أن ضحايا بشرية وحيوانية كانت تدفن مع الميت الغالي، وهـذه العقيـدة الدينيـة تـسمى بالعقيـدة [الدرويدية].

الطبقة العليـا: وتعود للدور الحجري بأزمان طويلة، وفي كلتا الطبقتين وجدت أشياء مصنوعة مـن النحاس والبرونز، وهي تشبه إلى حد كبير ما عثر عليها من (الكوبان).

الحقيقة التاسعة (٢١) : يقول الروائي الشهير (الكسندر دوماس) في المجلد الثالث الذي كتبه عام ١٨٣٣ بأن شخصاً اسمه (ديستوشف) مارلينسكي ارسل إليه رسالة ورد فيها معلومات عن (سد القفقاس العظيم ويسميه بعض المؤرخين بسور الكوبان الكبير) ولخص (دوماس) فحوى الرسالة على النحو التالي:

"إن ما يدعو إلى الاستغراب الشديد أن هذا السد يحوي صفات مما ذكرهـا [دنـون] عـن اهرامات مصر، وهو عدم وجود أي قوس فيه، ومع أني تعقبت جميع السراديب، حتى التي تصل إلى منابع المياه، أو التي تشكل مجاري المياه إلى قلاع السد، فإنني لم اصادف فيها على أي أثر لانحناء كأقواس الأقبية".

"ومع أن أبواب بلدة (دربند) المتممة لهذا السور ذات أقواس، فمن المعروف أنهـا جـددت ورممت في زمن (كيخسرو) ملك ايران وسميت (باب الأبواب).

وهذا دليل على أن هذا السد القفقاسي قديم في بنائه كالأهرامات، لأنه انشئ في وقت لم يصل فيه الفن المعماري لبناء الأقواس والأقبية. انتهى الاقتباس (٢١) وكتب (الكسندر دوماس) مـذكرات عن سياحاته في القفقاس والتي تعرض فيها لوصف ذلك السد بقوله إن "عرض السد يـساعد علـى مرور العربات فوقه، وطوله يمتد من بحر الخزر إلى البحر الأسود لمـسافة تزيـد عـن سـتمائة كيلومترا، وأنه بُني قبل سور الصين العظيم ومعاصر للاهرامات المصرية وأنه بني في الفترة ما بين (٤٥٠-٤٥٤) قبل الميلاد*.

الحقيقة العاشرة: اكتشف في اقليم (قره شاي) وفي هضاب (قازبك) بناء كبير ينسبه بعض المنقبـين إلى شعب [مه ؤت]، وبناء آخر وراء الكوبان يسمى [سينتا] ويظهر أن هذا الاسم يدل على من كـان يسكن هذا الموقع.

---

*ذكر بعض المؤرخين بأن السومرين أنشأوا سور سمي (سور الاله عموروا) في مناطق البادية والصحراء ولم أجد أية معلومات وتفاصيل حول هذا السور.

وتذكر الروايات القديمة أنه كان يوجد على ضفاف نهر المالقا مدينة قديمة تدعى [مالقالـه]، كما كان يوجد بين نهري (شكم وباقسان) بقايا قلاع وحصون ما زالت خنادقها واسوارها ظاهرة للعيان، ونظراً لقدم عهدها لا يستطيعون تعيين زمن بنائها والذين بنوها.

وعلى الضفة اليمنى من نهر [بودقوموق] جبل مرتفع رباعي مستطيل الشكل، والجهة التي تطل على النهر المذكور ذات انحدار شديد يميل بشكل عمودي تقريبا، وبالقرب من الجهة المقابلة جبل ثان أقل ارتفاعاً من الأول يصل بينهما جسر صخري طبيعي كبير، والأول يحيط بقمته المنبسطة من جميع الجهات جدار صخري طبيعي يبدو للناظرين من بعيد كأنه سور حجري اصطناعي، وفي الجهة المطلة على النهر ست درجات عظيمة منحوتة في الصخر تؤدي إلى فتحة في الجبل حيث يبدأ سلم صخري منحوت من الجبل يقود إلى أعلاه، وقد وجد في مواقع مختلفة فيها التماثيل الحجرية والآثار الغنية الأخرى، كما عثر على أكواب وملاعق فضية قديمة وعلى بعض الصلبان الحديدية التي تشبه صلبان الكنائس الروسية.

كما جاء في تلك الروايات عن وجود مدينة اسمها [بوغوسانت] ومعناها [مجتمع الجمع الغفير من الآنت] ويسمى الروس هذا الموقع [يرغوستان].

وأما موقع [نارت سان] فهو عبارة عن عين من الماء الجاري، وهذا الاسم محرف ومختصر من اسم [نارت بسين] بمعنى [نبع النارت] والنارت هم قدماء الجراكسة حسب أساطيرهم، ويقول البعض إن هذا الاسم هو [آنت بسينا] بمعنى [عين الآنت ونبعهم] والأنت هم اجداد الشراكسة حسب بعض المؤرخين [٢١].

الحقيقة الحادية عشرة : يوجد في بلاد الآديغة بقايا بعض (الكنائس القديمة) التي بنيت على الطراز الإغريقي والتي تشبه صلبانها صلبان الكنائس الإغريقية، وتوجد واحدة في المجرى العلوي لنهر الكوبان، واثنتان بين نهري الكوبان والتبردي، وهي مبنية بالحجر والآجر، والأولى من هاتين تسمى [شونه] أنها مختصرة من [شوونه] أي بيت الفرسان فقد عثر فيها على المعالف والمزاود والمناهل من الأجران الحجرية.

والثانية تسمى [خاسه ميفه] أي صخرة الاجتماع أو اجتماع مجلس القضاء، ويوجد فيها بدلا من [مرآة القضاء] صخرة منقوشة عليها حدوة جواد ورجل كلب، وفيها فوهة تتسع لمرور شخص عاري، وفي القصص الشعبية أن هذا المكان كان يستعمل لإمرار (المتهمين) منها فالبريء مهما كان ضخماً وسمينا يمر منها بسهولة، أما المذنب، مهما كان نحيلاً، يعلق بها ولا يستطيع المرور.

ويوجد بين نهري الكوبان وسلنجوق بعض الأبنية من مادة الآجر فوق التلال وتسمى [آديوخ] بلهجة القبرطاي و [آديف] بلهجة الابزاخ ومعناه [الساعد الأبيض]، وحسب الروايات فإن هذه الأبنية كانت تستخدم مساكن للرهبان والقسيسين.

وتوجد ايضاً أبنية حجرية عند نهر [كفار] وعلى ضفاف نهر سلنجوق تسمى [آليات خه ياوونه] بمعنى مساكن الإغريق.

وعند المجرى العلوي لنهر الترك حيث يلتقي به نهر [مالقا] عدد من القلاع والمآذن ويسميها القبرطاي [جولات] ويظهر أنها اختصار لكلمة [جورتيلا آنت] بمعنى معبد الآنت، وفي القصص أنها بنيت من قبل الجركس، وكانوا يلجأون إليها بغية التعبد والتوبة، ولتقديم الضحايا، ولتجديد الصداقة بين شخصين سبق أن اختصما، فإذا اختصم شخصان لسبب ما ثم تصالحا يذهبان إلى (جولات) ومع كل منهما قوس وسهم ويمسك كل منهما أحد طرفي السهم ويعاهد رفيقه على أن لا يخونه ولا يؤذيه ولا ينازعه، ثم يكسران السهم معا، وكانوا يسمون هذه العادة [الذهاب إلى جولات].

الفصل الثالث

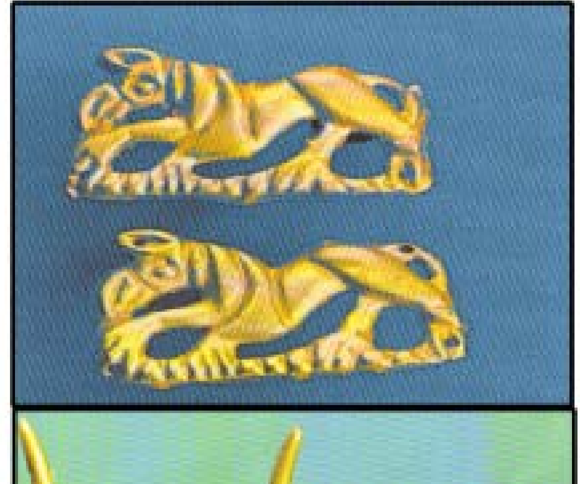
نماذج من المكتشفات الأثرية في مختلف مناطق الوطن الأم

ربما كان من أشهر المكتشفات الأثرية في منطقة مايكوب هي الآنية المصنوعة من الذهب والفضة، وتمثل شكل حيوان (الرايتون) الاسطوري، والذي يشبه الحصان ذو أجنحة، عليها رسومات تمثل الصراع بين الالهة. والجبابرة، وهي بارتفاع ٣٧,٧سم ويعود تاريخها إلى القرن الخامس قبل الميلاد واكتشفت في قرية (ولابه) عام ١٩٨٢، في منطقة مايكوب، وموجودة في متحف الفن الشرقي في موسكو كما هو مبين في القطعة الأثرية التالية:





(١) مجسم لرأس غزال مصنوع من الذهب له قرون من الفضة بحجم ١٢,٢× ١٢,٥ سم يعود تاريخه إلى القرن الخامس قبل الميلاد، وموجود حالياً في متحف الفن الشرقي بموسكو.



(٢) مجسمات الأسود، يعود تاريخها للقرن الرابع قبل الميلاد مصنوعة من الذهب الخالص وموجودة في متحف الفن الشرقي بموسكو.



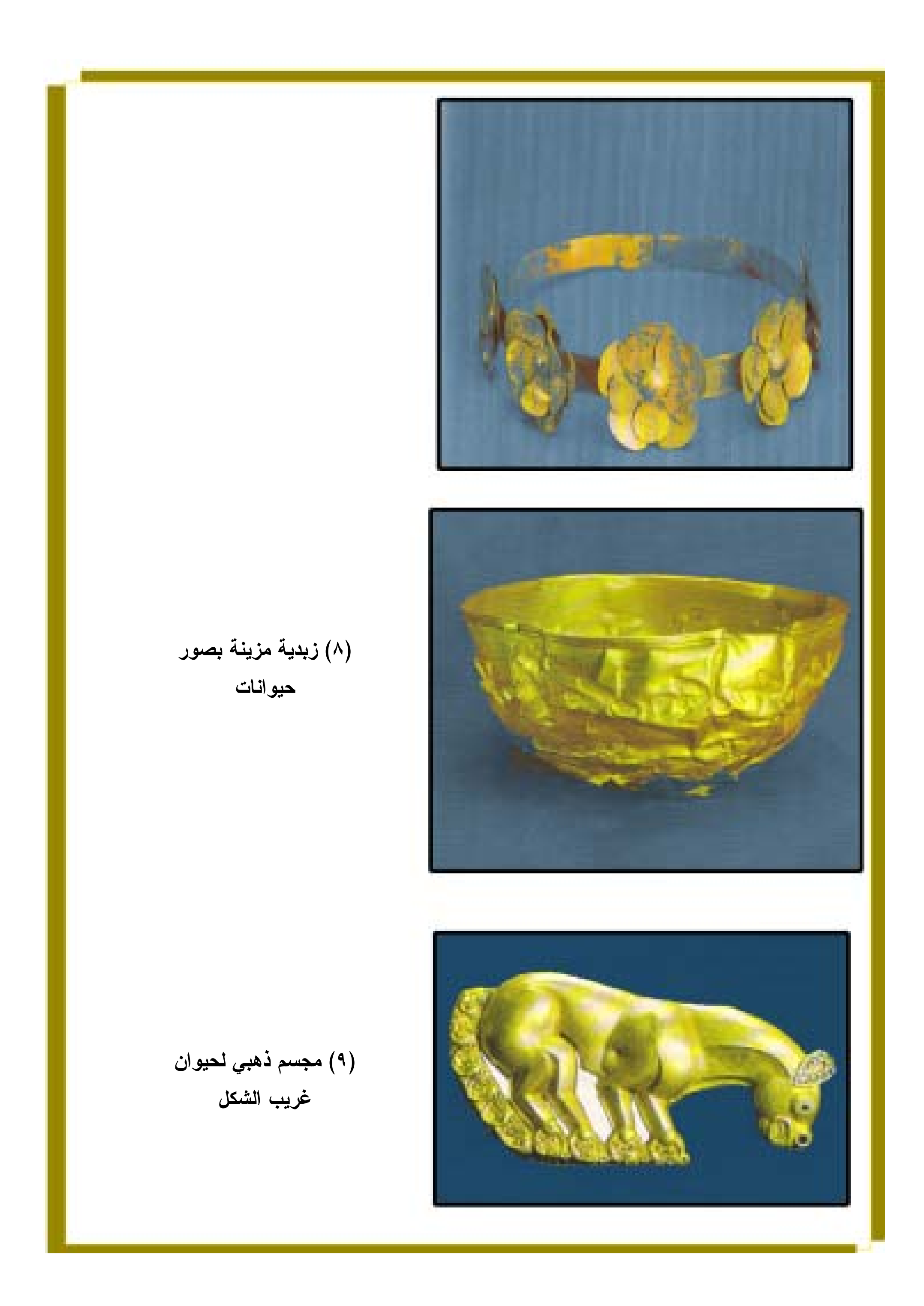
(٣) مجسم عجل مصنوع من الذهب



(٤) مجسمان لحيوان الأسد

(٥) عقود من الذهب والفضة
والعقيق الأحمر والفيروز

(٦) خنجر (قاما شركسية)



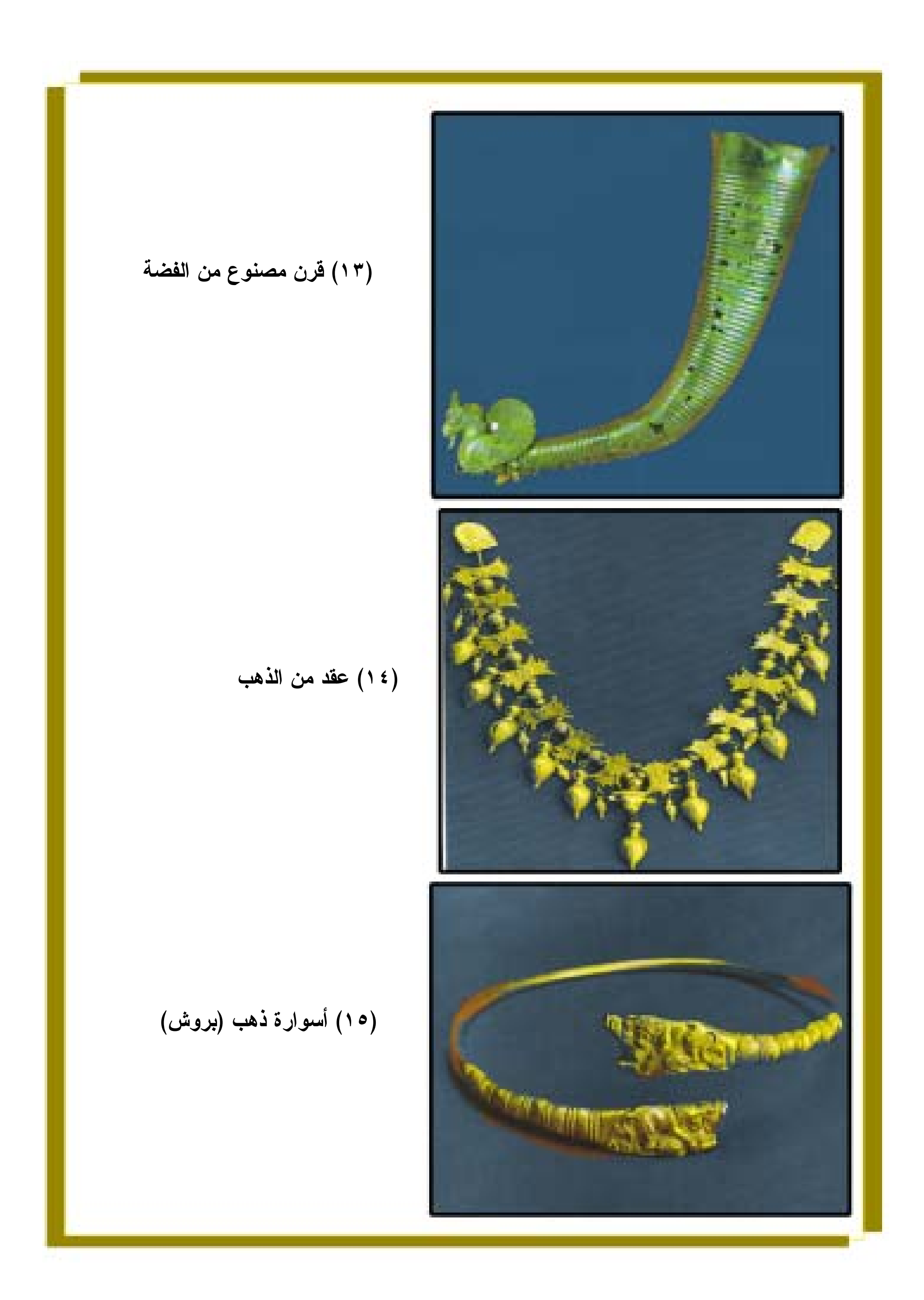
(٨) زبدية مزينة بصور
حيوانات

(٩) مجسم ذهبي لحيوان
غريب الشكل

(١٠) بروش ذهبي على
شكل تمساح

(١١) فأس حربي مصنوع من
الذهب

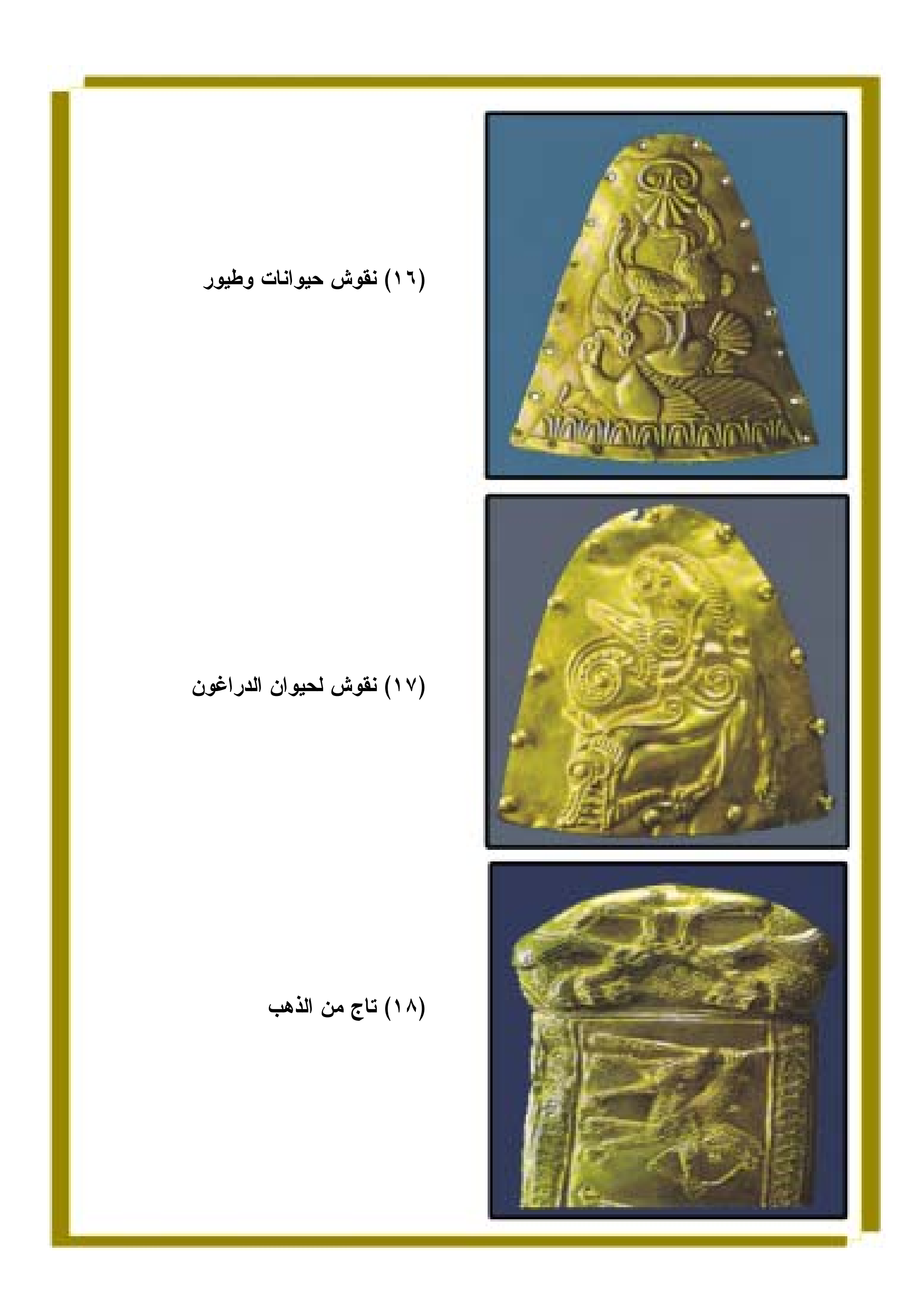
(١٢) طوق مصنوع من الذهب
والاحجار الكريمة



(١٣) قرن مصنوع من الفضة

(١٤) عقد من الذهب

(١٥) أسوارة ذهب (بروش)



(١٦) نقوش حيوانات وطيور

(١٧) نقوش لحيوان الدراغون

(١٨) تاج من الذهب

نماذج

من المكتشفات الأثرية في مناطق القبرطاي عامة وفي نالتشك خاصة ومحفوظة في متحف نالتشك الوطني* كما هو مبين في اللوحات التي تحتوي على عشرات المكتشفات الأثرية تعود إلى العصور الحجرية والمعدنية المختلفة من (حديد وذهب وفضة وبرونز)



اللوحة رقم (١)



اللوحة رقم (٢)



اللوحة رقم (٣)





اللوحة رقم (٤)

* قام بتصويرها المؤلف شخصيا عام (٢٠٠٦)



اللوحة رقم (٥)



اللوحة رقم (٦)



اللوحة رقم (٧)



اللوحة رقم (٨)

نماذج

من المكتشفات الأثرية في مناطق قفقاس الغربية في عهد المأووت، والسرماتين والكيتين في القرون الأربع الأولى في عصر ما قبل الميلاد




ИСТОРИЧЕСКИЙ ОЧЕРК
ИСТОРИЧЕСКИЙ ОЧЕРК
90
91

مصادر ومراجع الفصول الأول والثاني والثالث

١- وول ديورانت، قصة الحضارة – المجلد الأول، والمجلد الثاني ترجمة.

٢- اسماعيل برقوق، قفقاسيا في التاريخ الأستانة ١٩٥٨ (باللغة التركية اللاتينية).

٣- غوسار وصفي – الآثار التاريخية القديمة في القفقاس – مجلة بني قفقاسيا. أيلول ١٩٦٢ (مترجم).

٤- دو موفنيووت – المكتشفات الأثرية في جنوب القفقاس، المجلد الأول ١٨٣٣-١٩٣٤ (باللغة الروسية).

٥- أبه زاو، محمود صادق- موسوعة تاريخ القفقاس والجركس – دمشق ١٩٩٦ (باللغة العربية).

٦- السيرجون أ. هامرتن – تاريخ العالم، عدة مجلدات – ترجمة إدارة الثقافة بوزارة التربية والتعليم المصرية.

٧- الهاشمي، طه باشا، تاريخ الحضارة في الأزمنة الغابرة – بلا تاريخ.

٨- م. مورجان (عالم فرنسي) – تاريخ ومنشأ أمم القفقاس.

٩- م. مورجان (عالم فرنسي) – دراسات أثرية تاريخية في القوقاز.

١٠- شانتر أرنست ، (عالم فرنسي)، مباحث بشرية في القوقاز.

١١- باسماتوف، اسكندر، (مؤرخ روسي)، دراسات أصول المكتشفات الأثرية في القفقاس عامة وفي موقع تريبولي خاصة.

١٢- هيرودوت، (ابو التاريخ) مؤرخ يوناني، تاريخ شعوب القفقاس القرن الخامس، ق. م.

١٣- ج. سترابون، عالم جغرافي إغريقي – بلاد القفقاس في القرن الأول قبل الميلاد.

١٤- الجوهري، يسرى- الإنسان وسلالاته، القاهرة.

١٥- ياور، فرنسيس، حضارات في العصر الحجري القديم، ترجمة د. سلطان محيسن – بيروت.

١٦- سليم، أمجد، تاريخ الشرق الأدنى القديم، بيروت

١٧- بيلارت، جيمس، أقدم الحضارات في الشرق الأدنى، تعريب محمد طلب، القاهرة.

الفصل الرابع

ابعاد التراث الثقافي والأدبي والفلكلور القومي في حضارة الامة الشركسية

أولا: بعد التراث الثقافي والأدبي في حضارة الامة الشركسية التراكمية

الدارس لتاريخ التراث الثقافي الشعبي للأمة الشركسية، يجد بأنه حافل وغني جدا، تعود أصوله إلى عصر أجداد الشراكسة في فجر التاريخ، وأن أول ذكر لأساطير النارتيين كان في الالف الاول قبل الميلاد.

وقسم (بالاس) التراث الثقافي الشعبي للشراكسة إلى ستة انواع او فروع ثقافية وهي:

- الأناشيد.
- الالغاز والمجازات.
- الحكايات والقصص.
- القصائد الشعبية.
- الامثال.
- اللغة الدارجة (للعوام) [١]

وقسم الاديب (ر. أديغة R. Adighe) الأدب الشركسي القديم إلى خمسة فروع وهي:

١- الأساطير وملاحم النارتيين.
٢- الشعر والغناء والاناشيد.
٣- المسرح والتمثيل.
٤- الحكايات والقصص.
٥- الامثال والحكم. [٢]

ويؤكد الباحثون في الأدب الشركسي بأنه ظل تراثا (شفويا-Oral) حتى اواسط القرن التاسع عشر، وبالتحديد حتى الاربعينيات من ذلك القرن حيث بدأ احياء الكتابة باللغة الشركسية بعد توقف دام اكثر من ١٥٠٠سنة.

وفيما يلي دراسة تحليلية لكل فرع من فروع التراث والادب الشركسي حسب تقسيم الاديب (اديغة) وعلى النحو التالي:

الفرع الاول للادب الشركسي هي ملاحم واساطير النارتيين في الادب الشركسي.

يقول الدكتور (شروخ) [٣] في مقال له حول "**الشراكس وابناء القوقاز وملاحمهم الاسطورية**" بأن الملحمة فن ادبي يتجسد في سرد قصص، او قصائد خيالية غير مألوفة لحكايات وأحداث، تتضمن الأوصاف والشخصيات والحوارات والخطب والنصائح، وتتميز بقوة ايحائية كبيرة، يخرج سامعها او قارئها من عالمه إلى عالم خيالي، وأما شخصياتها فتكون من ابطال تُضخم مآثرهم وتحولهم إلى رموز ممثله لفكرة أو مواقف قومية، وهم قدماء ساذجون مخلصون لجنسهم وحضارتهم، متفوقون على اعدائهم. ومن اكثر القصص الأسطورية والملاحم القديمة في العالم تمثلت بالأساطير التالية: **الالياذة، والاوديسة الاغريقية، والالياذة اللاتينية، وانشودة رولان الفرنسية، وانشودة النيبلجن الالمانية، والمهزلة الالهية الايطالية، والرامايانا والمهاباراتا الهنديتان، والشاهنامه الفارسية، وملاحم النارتيين الشركسية الاسطورية.** وقد عُني بالاسطورية لكونها تتحدث عن قصص أسطورية خرافية صاغها الانسان الاول حسبما أوحى له خياله الضعيف. ويلاحظ في ملاحم (النارت) ما يفسر علاقة الانسان بالكائنات، فهي مصدر افكار الاولين، ومشتقة من تقاليدهم واحاديثهم وحكاياتهم القديمة التي تشكل بعض الفولكلور الوطني وكان اول توثيق لأساطير النارتيين في عام ١٨٤٦ من قبل (خان جري) بعنوان: (اساطير الشركس) نشرها في مجلة القفقاس عام ١٨٦٤ واستفاد المؤرخ (نوغموشورا) من بعض نصوصها واعاد نشرها في كتابه (تاريخ الشركس)

وكان قد صدر في تفليس كتاب، عام ١٨٦١، **يحوي مقطعين من اناشيد سوسروقة النارتية**، وبعد ذلك وبفضل جهود الدكتور (أوسلار) الخبير في الشؤون القوقازية، تسارعت الدراسات في ملاحم (النارتيين) التي رعتها مجلة (غوازة) (واديغة ماق)، وكلتاهما شركسيتان صدرتا في تركيا (مارج) الشركسية التي كانت تصدر بالقنيطرة السورية خلال الفترة (١٩٢٧-١٩٣١).

كما قام العالم الفرنسي (جورج دوميزيل) بدعم الاعمال التي اهتمت بأساطير النارتيين والملاحم الشركسية عام ١٩٤٠ وصدر أول كتاب للاساطير في (مايكوب) بإشراف (كراشه تيمبوت) بعنوان: (الاغاني الشركسية القديمة)، كما صدر كتاب: (الموروث والاغاني الشركسية)، وفي عام ١٩٤٥ صدر في (نالتشيك) كتاب اساطير النارتيين، وتلاها صدور الكتاب الثاني بنفس العنوان ثم صدر في عام ١٩٤٨ الكتاب الثالث بعنوان: (اسطورة سوسروقة النارتي)، للشاعر (شوجن تسوك آدم) ثم صدر كتاب رابع بعنوان (النارتيون) عام ١٩٥١ والكتاب الخامس (اديغة أورا أوتا) في جزأين خلال الاعوام (١٩٦٣، ١٩٧٠) ثم قام الاكاديمي (حادة غالة اسكر) بعد عمل اكاديمي استمر عشرين سنة بإصدار: **(موسوعة النارتيين)** في سبعة أجزاء ونشرت في (مايكوب) عاصمة جمهورية الاديغة في الفترة من (١٩٦٨ إلى ١٩٧١)، وكان سبق له أن أشرف على إصدار كتاب (نارت ملحمة البطولة والجذور) في كراسنودار عام ١٩٦٧ باللغة الروسية كما قام (حميد قارموقة) عام ١٩٧٤ بنشر دراسة قيمة حول ملاحم النارتيين ضمنها كتابه بعنوان (الكاتب والعصر) وفي نفس العام صدر في موسكو بإشراف كل من **اكاديمية العلوم السوفيتية غوركي للآداب، ومعهد ابحاث العلوم الاقتصادية والتاريخ الشركسي في كل من نالتشك ومايكوب كتاب (نارت) موثقا باللغتين الشركسية والروسية**.. كما صدر ايضا في نالتشك عام ١٩٧٩ كتاب الفلكلور الشركسي باللغتين الشركسية والروسية بإشراف (آدم غوت) وآخرين كما صدر عامي ١٩٨٠ -١٩٨١ على التوالي الجزآين الاول والثاني من كتاب (الاغاني واللازمات الشركسية القديمة) التي كانت تتردد نصوصها في ملاحم النارتيين منذ القدم [٤].

ومن الذين اشتغلوا في العصور السوفياتية بجمع وتصنيف قصص (النارت) كل من: **كوبا شعبان وابراهيم تسي، ود. ا. اشخامات، وتمبوت قراشيف، وبكميرزا نغموقة، ور. ميركيكي، وبشيتوكو** [٥].

هذا ما تم نشره عن الملاحم والاساطير النارتيين في الوطن الام، اما أدباء شراكسة المهجر فكانت لهم ايضا مساهمات جادة ومنهم: شراكسة سورية والمملكة الأردنية الهاشمية، وفي عمان أصدر الاديب الشركسي كوبا شعبان * عام (١٩٥٤) كتابه: الاغاني الشركسية القديمة، ونقل الدكتور زهدي سطاس بعض هذه الملاحم إلى العربية في دمشق، وتمت اذاعتها من الاذاعة الاردنية في عمان في برنامج اسمه (من الفن الشركسي) بإشراف سامي السعيد كما قدم (ناظم قردن) نصوصا أخرى ضمها كتابه (نارت سوسروقة) نشرته الجمعية الخيرية الشركسية في عمان ١٩٨٠ . وكان قد سبق ان قام (ممدوح قوموق) بنشر عدد من اساطير النارت، قبل اصداره كتاب (ملاحم نارت الشركسية) بدمشق عام ١٩٨٤. كما كان للدكتور صلاح الدين شروخ دور في التعريف بهذه الملاحم وغيرها من عناصر الثقافة الشركسية في اطروحته للدكتوراه التي قدمها لجامعة القديس يوسف في بيروت، عام ١٩٨٢ ونشرتها مجلة الجيل الفرنسية في عقد الثمانينيات من القرن الماضي وهي مجلة شهرية تصدر في فرنسا عن مؤسسة الجيل والصحافة [٣].

نستنتج مما سبق بأن ملاحم النارت الشركسية الاسطورية تعتبر المحددات الأساسية للسلوك الشركسي عموما.

وفيما يلي تحليل لبعض المواضيع التي تناولتها القصص والحكايات والأغاني الواردة في اساطير وملاحم النارتيين:-

* كوبا شعبان، من أدباء شراكسة الوطن الام الذين استطاعوا الهروب من الاتحاد السوفيتي، خلال الحرب العالمية الثانية، واستقر في الأردن حتى عام ١٩٥٧ ثم هاجر إلى فرنسا اولا، ومنها إلى الولايات المتحدة الامريكية وتوفي هناك عام ١٩٧٤.

- **قصص وأغاني تمجد الشجاعة والبطولة والمقاومة والأعمال النبيلة والتحفيز** على التمسك بالأرض والوطن وأن (النارتيين) هم الحماة الشجعان لأرض الوطن.
- **قصص وحكايات حول الفضيلة وعمل الخير وازدراء الأعمال الدنيئة أو غير الاخلاقية**، وكذلك قصص حول مساعدة الضعفاء والدفاع عن المظلومين.
- **قصص وأغاني تمجد بطولة سوسروقة Sorquwe** في محاولته استخراج الحديد وتصنيعه، وكذلك قصة اله حرفة الحدادة الشراكسة واسمه (تلبش) Tlepsh وهي قصة من اشهر قصص أساطير قوم (نارت).
- **قصص الراقصين والمغنين والموسيقيين، المحترفين**، وهي من القصص التي عالجتها الاساطير والتي تدل بأن قصص (نارت) لم تهتم فقط بالأعمال البطولية وبالشجاعة وبالفضائل.. الخ، وإنما كانت تهتم بكل مقومات الحياة للإنسان الشركسي في تلك العصور، وهي قصص كانت تعكس حقيقة حياة الشراكسة قديما.
- **مكانة المرأة** في قصص (النارتيين) فهي الأم الشفوقة المحبة، ومعلمة الأبطال المستعدين للقيام بالأعمال المجيدة من اجل بلدهم، وهي الصديقة الحكيمة المخلصة لزوجها، والتي كثيرا ما تساعده في معرفة أسرار الطبيعة، وحيل الأعداء الماكرة وكيفية التغلب عليها، حيث ان (النارتيين) كانوا يلتمسون النصيحة من امهم (ستاني Stanei) التي كانت دائما تساعدهم على الخروج من أعقد المآزق.

ومن القصص المشهورة هي أسطورة مليشيخ Meleshipkh الحكيمة الواسعة الحيلة والذكية، وتتضمن أنشودة تتغنى بحكمة ووفاء امرأة وقورة تصمد بحبها العظيم أمام كل الصعاب.

كما تحتل (دخاناغوا) مكانة خاصة بين نساء قوم (نارت). تسكن على المرتفعات الثلجية العسيرة المنال. وحاول (تسعة وتسعون) فارسا ان يمتلكوها لكنهم هلكوا جميعا دون ذلك، لأن كل واحد منهم كان يسعى للحصول عليها باستخدام القوة.

وقصص قوم (نارت) لم تخلُ من حكايات الفلاحة والزراعة وجني الثمار، كما انها تحدثت عن أهمية فلاحة الأرض والتمسك بها.

والنارتيون لم يكونوا محاربين شجعان ومزارعين مهرة فقط، بل انهم كانوا راقصين ومغنين وموسيقيين حاذقين. وفي اجتماعات النارتيين كانت تنظم دائما مسابقات في الجري ورمي الحجارة والسهام والمصارعة، كما كانوا يكافئون امهر المغنين والموسيقيين بكأس ذهبي. [٤]

الفرع الثاني للأدب الشركسي هو: الشعر والغناء والاناشيد

ربما كان افضل من كتب حول الأغنية الشركسية هو (كوبا شعبان) وكذلك (ر . اديغية) كما قسم (بالاس) نقلا عن (اديغية) "الاغاني الشركسية إلى: **اغاني بطولية وتاريخية، وطقوسية وغرامية وجنائزية، وكذلك أغاني للحراثة والحصاد، والزواج، والرقص**، وكانت تلقى في الاحتفالات العائلية والعامة بمرافقة الاوركسترات الوترية واللأوكورديون والآلات الموسيقية الشركسية الاخرى.

كما قال "كوبا" بأن النارتيين هم الابطال الخرافيون للقصيدة الوطنية القديمة المشتركة بين جميع شعوب منطقة شمال القفقاس. وظهرت اساطير النارت أول ما ظهرت مكتوبة باللغة (القبردينية والاديغية) في الاربعينيات من القرن التاسع عشر. وكان المؤلف شورانوغموقة، وفي نفس الوقت تقريبا نشر عالم الاجناس البشرية (سلطان خان جري) اساطير شركسية وخرافات من اغاني النارت.

كما تحوي اغاني "النارتيين" على قصص حول سوسروقة وبادي نوكو، واشاميزا تاريز، تلبسن واوزروس، وعذراء او فتاة ميليشبخ Melechpikh، وفتاة داغانافو.[٥] ولا شك بأن اغاني النارتيين هي انعكاس للطابع القومي ليس للشركس فقط، بل لجميع سكان شمال القفقاس.

وقد كتب بالاس نقلاً العالم الالماني ف. بودنشتدت F.Bodenstedt عن الشعر الشركسي قائلا:

"بالنسبة للشركس، فإن الشعر يعتبر في الوقت نفسه مستودع كل الحكمة الشعبية، وحافزا للأعمال النبيلة والفيصل او الحكم الاعظم على الأرض، ويجسد الشعر الشركسي الرغبة لعمل الخير ويمنعهم من اقتراف الاعمال الدنيئة، وبالتالي فإنه يلعب نفس الدور الذي كان يلعبه الشعر في حياة اليونان القدماء والعرب [٦].

وتدور (اغاني النارت) حول مواضيع وصراعات ملموسة وهامة وحيوية مثل الحب العميق الذي يكتبه الشركسي لأرض وطنه، وتضحية ابطال الاغنية وشجاعتهم في حرب الاشرار، ومساعدتهم للضعفاء ودفاعهم عن المظلومين، وقوة احتمالهم اثناء الحروب، وسرعة بديهتهم في الازمات، وحزمهم، وشجاعتهم في المعركة. فالنارت Nart هم الحماة الشجعان لأرض الوطن. وما على العدو الا ان يقترب من بلاد النارت ليراهم جميعا يسرعون في ميدان القتال شيبا وشبابا.

وتتبوأ قصة (تلبش) Tlepsh مكانا عظيما في اغاني النارت. وتلبش هو راعي صنعته او حرفة الحدادة، وصانع اولى ادوات الحدادين وهي المطرقة والملقط والسندان والمنجل.

ومن القصص الممتعة في اغاني النارتيين اسطورة ميليشبخ Meleshipkh الحكيمة الواسعة الحيلة والذكية، وقصة ميليشيخ انشودة تتغنى بحكمة ووفاء امرأة وقوة حبها العظيم المخلص الذي يصمد امام كل التجارب.

ونستطيع ان نتتبع قصصا فردية في الاناشيد التاريخية حول كفاح الشراكسة خلال حروب الابادة والدمار. وتشمل الاغاني التاريخية (كوخفاس وعيد اميرقان) حيث تنشد الاشعار لمدائح البطولة التي يظهرها هذان المحاربان في سبيل حرية الوطن واستقلاله وقصة (محمد بن حاتقو) وهو احد ابطال الشابسوغ الذي حرر شعبه من اعداء وطنهم. وقصيدة عن ابن (فيقوتيف Fegotiv)، ومدائح الحروب الاهلية بين امراء الشركس والفلاحين، وقصيدة عن (حنيفة) البطلة الشهيرة التي شاركت في الحرب ضد غزاة شركاسيا، وانشودة عن هجوم معاد مفاجئ على القبردانيين في القرن التاسع عشر.

كما تعكس الاغاني او الاناشيد الطقوسية ايضا العقائد الشركسية التي وجدت قبل المسيحية والاسلام ومن الامثلة التي يمكن ايرادها الانشودتان المشهورتان عن (الرعد Shybleored) وسعادتكم او يا صاحب السعادة (سيوزجين Ziushan). **وتذكرنا القصيدة الاولى** طقوس عبادة الاله (شبلة) عند قدماء الشراكسة والتي كانت تؤدى خلال رقصة مستديرة تدعى Wdj وكانت تحتوي الكثير من المراسم التي كان يقوم بها الراقصون حول المكان الذي ضربته الصاعقة. **أما القصيدة الثانية** فترتبط بمرض الجدري والطقوس الاسترضائية التي كان الشعب يمارسها لوقاية نفسه من مرض الجدري[٧].

نماذج من الاشعار والقصائد والأغاني الشركسية

- قصيدة تصف بطولة أمراء الشراكسة في المعركة التي جرت بين الشراكسة (الأديغة) وقبائل (التوغورت) الهمجية اجداد (شعب القالموق) التي سميت (بملحمة التوغورت) حيث جرت المعارك في موقع اسمه باللغة التترية اليوم (قاج طاو) ومعناه (الفرار إلى الجبال). ومنذ ذلك العهد اعتاد الناس ان يذكر بعضهم لبعض اثناء الخصام **(ليتك تذهب إلى ذلك المكان الذي ذبحونا فيه).**[٨]

وربما كان من أكثر الاشعار والقصائد الرثائية التي قيلت في الادب الشركسي القديم هي القصيدة التي تصف المعارك التي دارت في موقع (قاج طاو) مع قبائل التوغورت وتضمنت الابيات التالية:

- إن الدماء تجري كالسيول في (قاج طاو) وأبطالنا.
- الذين لا يعرفون الخوف قد ضاق بهم المكان ومنعهم من الانتشار.

- وأما فرساننا البواسل فقد ضاقوا ذرعا بالوادي الضيق.
- وصفوف أمرائنا قد خلت من البطل الهمام (قدير شوقه)
- الذي كان أشجع الابطال، وقد قضى نحبه في قاج طاو.
- وكذلك (تابسورقه) الشاب عندما دمر الجسر.
- هوى في الهوة السحيقة حيث لاقى حتفه.
- لقد كان (الشامخال) نفسه يشتهي المساعدات القيمة.
- التي كانت أشهى غنيمة عنده وهي مبعثرة على الأرض.
- وأما محاربونا الذين نجوا من الهلاك فقد جاؤوا.
- إلى الامير (قازي) ابن (بشى يابشوقة) بالخبر الحزين.
- وحينئذ اسرع هذا على جواده للحاق بإخوانه كالبرق.
- وكادت سيور السرج تتقطع من سرعة الجري.
- وهذا الحصان الذي لا مثيل له يرعى في الجبال مع الذئاب والأسود.
- وهذا الأمير القوي، بالنسبة إليه ليس إلا لهوا ولعبا.
- ان يفصل الرؤوس عن أكتاف الاعداء العريضة.
- وأن ضربته هي سواء كانت من يده اليمنى أو اليسرى.
- ورماحه لا محالة قاتلة، إذا لم تتكسر عيدانها من شدة الطحن.
- ولكنه لم يرجع من ساحة الوغى وعود رمحه سالم.
- وحصان (قدير ميرزو) يكافح السيول الجارفة.

وراكبه (بوغديدار قوغوتيليقو) قد تحطم في يده الكثير من الرماح
وولدا (آيدارو) يقاتلان كالأبطال على ظهر جواديهما الأحمرين
وكل منهما يحمي أخاه، ولكنهما قضيا نحبهما في (قاج طاو)

- و(آشه ابن تختابي) قد أطلق وهو يستدير إلى الخلف.
  سهما من قوسه أردى به اثنين من حاملي الرايات.
  وبقيت دروعهما الذهبية مبعثرة بين الاجام والأدغال.
- إن قوس (مارشان قول ابن شوكنوقه) ليعجز عن شد وتره
  اثنان من الرجال، ولكنه يردي بسهم يطلقه منه ثلاثة رجال.
- وأما (برد بن خانزو) فقد حاز شهرة واسعة بأنه
  اذا طارد الاعداء على جواده الاشهب ألقى الرعب في قلوبهم.
  وأنه يمد إخوانه في ساحة الوغى بالعزم والإقدام.
- وليس (آرده شاوه ابن شيشرو) من الذين

يبالون بالراحة والرقاد، بل هو الذي يحرس الجيوش في الليالي ساهرا وسهمه إذا انطلق يفتك بالعدو داويا كمطرقة من حديد. [٨]

واما القصيدة الثانية فإنها تكشف صراع (المُلاً) الدائمة ومواعظهم الخاطئة وتخويف الشراكسة ودفعهم إلى هجرة بلادهم ونصها:

- لقد قاتل القياصرة الروس ضدنا لأخذ القفقاس.
- وكان زمن الهجرة مأساويا.
- فقد نهش عميقا في قلوبنا.
- اكثر من مائة مليون كان الروس.

وكنا لا نزيد عن حفنة اليد.

- وكان بيننا خونة.

بسبب جشعهم إلى الذهب. باعونا للعدو.

- وإلى ذلك فإن المولا (الأئمة) غير المتعلمين تصرفوا وكأنهم مسلمون أتقياء فعلوا وكأنهم انبياء.

بل وعظوا بشكل خاطئ.

وعندما نصحوا بالهجرة.

أساؤوا...

لقد قالوا: عندما يأتي الروس سوف تحملون توابيتكم بأنفسكم.

وهكذا زرع المولا في انفسنا الخوف والفزع.

- أمواج البحر الاسود ضربت جوانب السفينة

الاسماك أحاطت بأمواتنا.

والأسلحة الروسية هددتنا

واستقبلتنا البلاد الاسلامية [٩].

والقصيدة الثالثة تصف بطولة إمرأة اسمها (لاشينقاي) التي رشحت لمصارعة قوي مشهور من شعب (خان كيتاي) اسمه (قيسين) وخلاصة قصة هذه الواقعة تتضمن ما يلي:

"قدم الخان (كيتاي خان) الذي نهب كثيرا من البلاد الأخرى إلى القفقاس الشمالي بجيش كبير، فأسرع (الآديغة) للتنادي وجمع الجيوش من جميع القبائل، ولما التقى الجمعان ارسل قادة (كيتاي خان) رُسلا إلى (الجراكسة) يبلغهم فيها انه لم يأت للحرب والغزو بل جاء مسالما للتعارف والصداقة لما سمعه عن بسالة وفضائل الجركس، وجرت اتصالات ودية، وعرض (الخان) ان يبارز احد الابطال الشراكسة مصارعه المشهور (قيسين) للتسلية والترفيه.

واختار الجراكسة للمبارزة إمرأة اسمها (لاشينقاي)، قيل ان حموها رشحها لهذا الصراع لأنه رآها يوما تلقي بعجل عمره سنة من فوق جدار حائط الحظيرة حينما ضايقها.

وألبسوا (لاشينقاي) ملابس الرجال، وتصارع الخصمان ساعة وتغلبت (لاشينقاي) على (قيسين) فصرعته. وتبين لهذا المصارع بأن الذي صرعه هي (إمرأة) فشاهدها بعد الصراع في ملابس النساء، وعرضوا عليه مصارعة رجلٍ جركسي آخر، ولكن (الخان) أجاب وبروح رياضية سمحه: **إذا كانت إمرأة من عامة شعبكم قد تغلبت على أقوى أبطالنا، فليس هناك من حاجة لتجربة أخرى مع رجالكم. وانسحب جيش (الخان) بدون حرب، ونظم احد الشعراء بهذه المناسبة قصيدة غنائية جاء فيها:**

كان قيسين فارسا مغوارا ومحاربا رابط الجأش.
تخشاه الجموع، ولكن ساعد المرأة (لاشينقاي) كسر عزمه وأضاع شهرته.
لقد أطعمت وسقيت جوادك سدى يا قيسين.
وقد جهزت عدتك واصلحت قوسك وصقلته حتى بدا لامعا.
وملأت كنانتك بالسهام اللامعة وجعلت درعك براقا.
يبهر ضياؤه الأبصار، ولكن خاب أملك ومناك.
فإن المرأة (لاشنقاي) ألقت ارضا مبارز الخان المغرور.
نعم لقد خر صريعا بضربة من يد امرأة عادية.
انظروا اليوم فخارنا، اما كفانا رجوع (الآديكة)
مثقلين بالهدايا.. كأنها أرباح تاجر؟؟

ويقال ان مسرح هذه المبارزة كان بالقرب من نهر (شكم) احد روافد نهر (باقسان) فوق حصن (شكم) الحالي ويسمى هذا الموقع اليوم (لاشنسكايا). [١٠]

وأما القصيدة الرابعة فإنها قصيدة غنائية حزينة تكشف دور الخونة من بعض الشراكسة في معاركهم ضد الروس كما تصف مواقف الغالبية من الشراكسة الذين رفضوا الهجرة، وفضلوا الموت على الهجرة ويتضح ذلك من قصيدة "مبكاة" وجاء فيها:

عندما تسمع هذه المبكاة
فلتتوقف جميع الأحاديث.
ولنصغ جميعا إلى مبكاة تشردنا.
ولنحفظ معانيه العميقة في قلوبنا.
مع اننا خسرنا المعركة.
فنحن لن نحاول ابدا ان نخسر إنسانيتنا.
فمن ساعد الأعداء على الانتصار علينا.
هم منا، ممن يعيشون بين ظهرانينا.
فمن أمثالنا (جذع الشجرة القوية لا يفلقها إلا خشبة مثلها)
فالذين ضيعونا، هم إخوتنا.
فلو هجرنا وطننا، فلن نستطيع نسيانه أبدا
ولو بقينا فيه...
فلن نستطيع تحمل ما يفعله جيش الاعداء بنا امام اعيننا.
فمن الآن نهجر الوطن دون ان تفارقنا أحلامنا بالعودة.
نهجر الوطن مرغمين، متلفتين إليه.
عسانا يوما نعود إليه.
أما شبابنا الذين ابحروا مهاجرين.
فدموعهم تتساقط على فراق الوطن بكثافة مياه المحيط.

وكثير منهم قذفوا بأنفسهم في مياه البحر الاسود.

معرضين حياتهم لخطر الامواج والاعاصير.

بعد ان عدلوا عن فكرة هجرة الوطن.

وقد تسابقوا في الدخول إلى غابة "تحجاغ"

وعادوا إلى القوقاز معلنين حرب الهجرة هناك.

والقصيدة الخامسة فإنها قصيدة هجائية لموقف نبيلين اثنين من نبلاء الشركس حلاً ضيفين على مضافة فتاة اسمها (حنيفة) في زمن كانت المعارك تدور في نفس المدينة التي توجد فيها المضافة، وحاولت الفتاة لفت نظر ضيفيها إلى ذلك، فصارت تخرج من الغرفة وتدخل إليها وهي تردد (إن صوت المدافع مسموع) ولكن بدون فائدة. فقد تصرف النبيلان وكأنهما لم يسمعا صوت القصف ولم يفهما كلام الفتاة. عندها أنشدت "حنيفة" القصيدة التالية:

- إن صوت المدافع هو اليوم أعلى منه بالأمس.
- ويخرج الضيفان كل مرة للتنصت على الصوت.
- ثم يعودان قائلين: إننا لا نسمع شيئا.
- آه – فلتأخذني أمي على الفور بعيدا.
- فأنتما (كالثيران) التي لا تريد ان تتحرك من مكانها.
- كالجثتين انتما في (المضافة)
- إن دفن جثة ليس عملا قليلا.
- وأنا لدي جثتين لنبيلين في وقت واحد.
- أحدهما هو (ديديخو) الذي لوحته الشمس.
- والآخر هو ذو الشعر الاحمر (كوازي ميرتزي).
- لو وضعت أمامهما مائدة طعام لأكلا كل شيء.
- حتى قطعة الذيل الشحمية يلتهمانها [١١].

الفرع الثالث من الادب الشركسي ويبحث في القصص والحكايات الخرافية [١٢]

يقسم الباحثون في الادب الشركسي القصص والحكايات الشركسية إلى المجموعات التالية:

- حكايات عن الحيوانات.
- حكايات خرافية.
- حكايات هادفة ذات مغزى

ولا تزال الحكايات عن الحيوانات تحمل آثار العصر البدائي عندما كان الانسان يعتقد ان الحيوانات مثلها مثل الانسان تفكر، وتناقش، وتتكلم وتحيا نفس الحياة كالانسان.

ولعل (قصة الارنب والثعلب والذئب) امثلة مناسبة عن حكايات الشركس عن الحيوانات وقد كتب عنها مكسيم جوركي ما يلي:

من القصص الممتعة جدا عند الشراكسة حكايات عن "الارنب والثعلب والذئب".

وتدور القصص باللهجة (الاديغية) حول الصراع بين الخير والشر وغيرها من الموضوعات ذات المغزى، واهمها "تاريخ قانوغ وشيوجن" و "حاتقوا وابنه جانفليس" و "ترام الصغير" و "ابن الخان العجوز والتسنين" و "الكلمات الثلاث" و "قصة عن عقيش" و "اولاد الاغنياء" و "تلكسفوشيف" و "المرأة الشريرة او السيئة" و "حماقة الفارس" وكذلك "الصياد وعفريت الغابة" و "المارد والحداد" و "القنفذ والدب".

ومن قصص الاطفال يمكن ان نورد قصة Tivyzhry Kvumre وقصة Nyoevy Kvumre رواهما الاديب امير كيكي.

ومن الحكايات التي تتضمن الغازا واجوبة يمكن ان نذكر (ترام الصغير) ويشيشيفقو Little Tran & Pscescescru و (خطبة الفتاة) و (الفتاة والعريس) و (راشميزا وأمه).

الفرع الرابع: الادب الشركسي الذي يدور حول الاحاجي والالغاز الشركسية

تعبر الامثال الشركسية عن مواقف الناس واخلاقهم وعاداتهم وشخصياتهم. وتتميز الامثال بطابعها الشعري وفي معظم الحالات تكون مقفاة وتكون الفكرة في الامثال واضحة ويعبر عنها بأسلوب مباشر دون تورية او رموز (وسيتم دراستها بالتفصيل في الفصل القادم).

وأما الاحاجي او الالغاز هي الاكثر جاذبية والاغنى من ناحية اللغة ولا تزال تحمل آثار العصر الاسطوري. وفي بعضها تقارن قوى الطبيعة وخواطرها بكائنات غير حية، وفي البعض الآخر بالحيوانات، وفي نوع ثالث تعطى النجوم والظواهر الطبيعية الاخرى شخصية البشر وصورتهم مثلا: في السموات توجد نماذج ذهبية "نجوم" البحر مغطى بسجادة "الجليد" ترقد عصى ذهبية فوق سقفنا "اشعة الشمس".

مصادر ومراجع الفصل الرابع – اولا

١- بالاس. ب. س: (مستشار الدولة في الامبراطورية الروسية القيصيرية، مؤلف كتاب **رحلات إلى الاقاليم الجنوبية الشركسية من الامبراطورية الروسية عامي ١٧٩٣-١٧٩٤**، تجميع واعداد وصفي ميرزا باشا، ترجمة واخراج فهمي شماص: ١٠٣-١٠٥.

٢- اديغية، R. Adighe – **الادب الشركسي** القديم ص: ١٠٥.

٣- شروخ، صلاح الدين، **الشركسي وابناء القوقاز، وملاحمهم الاسطورية**، مجلة الاخاء، اصدار الجمعية الخيرية الشركسية في وادي السير – الاردن العدد (٩٧) ص: ٢٢-٢٥ (والمقالة نقلا عن مجلة (الجيل) الشهرية التي تصدر في فرنسا عن مؤسسة الجيل والصحافة).

٤- قموق، ممدوح، **مختارات من ملاحم نارت الشركسية – ستناي وسوسورقة**، دمشق ١٩٨٤/٨/١١. ص: ٥-٧.

٥- بالاس، نقلا عن (د. أديغية – R. Adighe) مصدر سابق، ص: ١٠٣-١٠٤.

٦- بالاس. المصدر نفسه، ص: ١٠٤.

٧- بالاس. المصدر نفسه، ص: ١٠٦.

٨- نغموقة، شورا بكمرزة، مصدر سابق، ص: ٩١-٩٢.

٩- برزج، نهاد، **تهجير الشراكسة ١٩٦٨**، مصدر سابق، ص: ٢٧.

١٠- آبه زاو، مصدر سابق، ص:

١١- ازوبك، باتريك، مصدر سابق، ص: ٦٣.

١٢- بالاس، مصدر سابق، ص: ١٠٧-١٠٨.

١٣- ازوبك، باتريك، مصدر سابق، ص: ٦٣.

١٤- بالاس، مصدر سابق، ص: ١١١-١١٧.

١٥- باكير، عصام، **من نجوم الادب الشركسي، نجوما شورا**، مجلة نارت، الجمعية الخيرية الشركسية، عمان، العدد (٥٤) لعام ١٩٩٤، ص: ٢-٣.

١٦- وردم محمد علي، **أثر الاديب الكبير المرحوم شعبان كوبه في الحفاظ على التراث الشركسي في الأردن**، الاسبوع الثقافي الشركسي في المملكة الأردنية الهاشمية في الفترة ١-٧ تموز ١٩٩١.

١٧- لستان، شحلاخوة، **الادب الشركسي السوفيتي**، نشر باللغة الشركسية في كراستودار عام ١٩٦٦، ترجمة رزوي بولاد، مجلة الاخاء الشركسية.

١٨- مجلة الواحة الشركسية، عمان العدد (٢) السنة الاولى لعام ١٩٧٤ ص: ١٧.

١٩- لستان شحلاخوة، مصدر سابق، ترجمة روزي بولاد، مجلة الاخاء العدد (٣١) السنة السادسة عام ١٩٧٤، ص: ١٠-١١.

٢٠- مجلة نارت، الجمعية الخيرية الشركسية، عمان، العدد (٥٢) للسنة (٢٨) اصدار عام ١٩٩٣، ص:

٢١- مجلة البروز، مصدر سابق العدد (١٤)، ص: ١٩.

٢٢- مجلة الواحة الشركسية، عمان، العدد (١٥) لعام ١٩٧٦، ص:١٢.

٢٣- خفاجي، محمد عبد المنعم، مواكب الحرية في مصر الاسلامية، ص:٣١٩.

٢٤- موسى، عمر باشا، تاريخ الادب في العصر المملوكي، ص: ١٧.

ثانيا: بعد الفلكلور القومي في حضارة الامة الشركسية

يؤكد علماء الاجتماع بأن الفلكلور القومي هو مرآة الأمم الراقية والمتحضرة، وأن الحكم على مدى تقدم الشعوب يعتمد على مدى تقدمها في الموسيقى، والغناء، والرقص الشعبي، بالإضافة إلى تقدمها في الثقافة والتراث الشعبي المتوارث جيلا بعد جيل.

كما أكد علماء اجتماع اخرين، ان الحكم على اخلاق أية أمة وشخصيتها ومدى تمتعها بالحياة، يكون من خلال أمور كثيرة، من اهمها: أغانيها وموسيقاها القومية وما إلى ذلك من النواحي الفلكلورية الاخرى، فموسيقاها واغانيها هي مرآتها نرى فيها حقيقة القوم مجسمة بما هم عليه من اخلاق وفن وذوق عالية.

والأمة الشركسية، ربما كانت من أقدم الأمم التي أولت اهتمامها لمختلف الفنون الفلكلورية والتراث الشعبي. والرحالة الذين تجولوا في بلاد الشراكسة (الاديغة) في القرون الثلاثة الاخيرة، **أكدوا بأن الشراكسة بمجموعهم شعب شاعري، واسع الخيال، ذو روح متوقدة ويتقنون الغناء والقاء القصائد القومية اثناء الرقص وفي الاحتفالات العامة، تعبر عن الشجاعة والأفعال السامية، وتذم الجبن والاخلاق السيئة.** [١] كما أكدوا على تميز الشعوب (الشركسية) عامة في موسيقاهم ورقصاتهم حيث أصبحت فرق الفلكلور الشركسي في عهد الاتحاد السوفياتي (سابقا) وروسيا الاتحادية حاليا، من أكثر الفرق الفلكلورية شهرة في العالم،[٢] كما أصبح هذا الفلكلور من أكثر أنواع الفلكلور الشعبي تقدما في الوطن الأم، وفي بلاد المهجر عامة، وفي المجتمعات الشركسية في البلاد العربية خاصة.

والباحث في الفنون والفلكلور القومي الشركسي يجد بأنها قديمة قدم الشعوب الشركسية، وأنها تطورت عبر العصور مع المحافظة على أصالتها وطابعها القوقازي الشركسي، ونالت شهرة كبيرة في العديد من دول المهجر بشكل عام وفي كل من الأردن وسوريا وتركيا بشكل خاص.

كما نجد بأن العناصر الرئيسية للفلكلور الشركسي على أربعة انواع وهي:

* الموسيقى   * الغناء
* الرقص   * اللباس القومي

وفيما يلي دراسة لكل نوع من انواع الفلكلور القومي الشركسي:

النوع الاول: الموسيقى وما يرافقها من عزف وتأليف وتلحين:

*** نشأة الموسيقى الشركسية:**

تعتبر الموسيقى المكون الاساسي للفلكلور القومي لدى الأمة الشركسية، ويؤكد (شعبان كوبه) * بأن الموسيقى الشركسية قديمة جدا، وانها ظهرت منذ ايام الاجداد في عصور ما قبل الميلاد، وكانت تعزف في المناسبات الدينية وتقربا للالهة، كما كانت تعزف مصاحبة للأغاني التاريخية والاجتماعية والعاطفية مثلما كانت تعزف مع اناشيد الحرب تمجيدا للابطال.

وتطورت الموسيقى الشركسية على مر الزمان، واصبحت حسب قول (كوبه) "لو صادف ان مررت بإحدى القرى الشركسية في يوم من ايام الشتاء، أو لو دعيت إلى حفلة عرس راقصة، او صدف ان جالست شيوخ قرية في المضافة، او استضافتك فتاة شركسية في منزلها (حسب العادات والتقاليد الشركسية) فإنه لا بد ان تتطرق إلى مسامعك، بشكل أو بآخر، أنغام موسيقية شجية آتية من

---

* شعبان كوبه، مؤسس المعهد الفلكلوري الوطني في مدينة مايكوب في جمهورية الاديغي، وهو أول مدير له ويعود له الفضل في احياء الفلكلور الشركسي في الوطن الام بجمع الاغاني والموسيقى الشركسية القديمة وإعادة تلحينها، وإخراجها إخراجا حديثا.

هنا وهناك، فبعض هذه الانغام يبثها في الفضاء (مزمار) عاشق، وبعضها الآخر يصدر عن (ربابة) ذات انغام ناعمة، وثالثة ما يصدر عن (الاكورديون) الشجي الذي يرافق آلة الايقاع الخشبية [١].

تميزت الموسيقى الشركسية دائما بغنى نغماتها، وجمال الحانها الراقصة، التي تعزفها فرقة جماعية عادة، وأما عزف الاوكورديون المنفرد فهو استحداث جديد نسبيا في المجتمعات الشركسية المعاصرة. فالإيقاع الموسيقي يتماشى مع الكلمات المغناة، وبصورة عامة، كانت الموسيقى الراقصة تعزف بوتيرة ٢/٢ أو ٨/٦ درجات.

*** تطور الموسيقى الشركسية:**

بدأ جمع الموسيقى والأغاني الشركسية القديمة في القرن التاسع عشر. غير ان العمل المنظم في هذا الخصوص، بدأ فقط في عهد الحكم الشيوعي، عندما تم نشر العديد من المجموعات الغنائية. كما صدرت كتب عديدة عن تاريخ الموسيقى الشركسية والتي حافظ عليها مجموعة من المطربين والشعراء ومؤلفي الاغاني في الثلاثينات من القرن العشرين، وهي الفترة الزمنية التي جُمع وحُفظ فيها كثيرٌ من الأنغام الموسيقية والأغاني التي كانت تغنى في ذكرى أحداث ومناسبات يعود تاريخها إلى القرن الرابع الميلادي.

كما ظلت الآلات الموسيقية الشركسية التقليدية شائعة الاستخدام حتى النصف الثاني من القرن التاسع عشر، ثم بدأت تحل محلها آلات أخرى، كانت تستخدم من قبل شعوب أخرى، مثل الاكورديون والبلالايكة الروسية (Balalika) والغيتار ذي الاوتار السبعة والماندولين، واختفت العديد من الألحان المقترنة بالآلات القديمة. وتأسست مدارس للموسيقى الشعبية والآلات التقليدية الشركسية باستخدام الالات التقليدية القديمة منذ نهاية الثمانينات من القرن العشرين.

نماذج وأنواع من الآلات الموسيقية التي كانت شائعة الاستخدام لدى الأمة الشركسية منذ القدم:

القيثار الشركسي (Violin) واسمة بالشركسية (Pshine): [٣]

وكانت الآلة الموسيقية الرئيسة للمطربين حتى أواسط القرن التاسع عشر. كما استخدمت في المضافات الخاصة بالأمراء وطبقة النبلاء، وكان عازفو الغيتار من أبناء العامة والطبقات الاجتماعية الدنيا، وكانت القيثارة تصنع من الخشب بشكل مستطيل مع تثبيت وترين اثنين مصنوعين من شعر الحصان. كما كان يحفر بعض الثقوب في الجزء الأعلى من اللوح لتخرج أصواتا مميزة، وفي النصف الثاني من القرن التاسع عشر، استخدم الغيتار مع الاكورديون الذي أصبح منذ ذلك الوقت الآلة الموسيقية الرئيسة في الوطن الأم، ومن العادات التي اقترنت بالأكورديون، أنه إذا اتقنت فتاة ما العزف عليه، اقيم على شرفها حفلة مسائية تسمى (Pshineyefe) ويقدم لها أصدقاؤها آلة (اكورديون) هدية تقديرا واعجابا بفنها.

*** القيثار المصنوع من وتر ذنب الحصان:**

واسمه بالشركسية (Shiche-p shine شيكا بشنا) وكانت تمسك عاموديا مع سند مؤخرته على ركبة العازف وهو في وضع الانحناء لأسفل.

- **Ah-peshine ومعناه القيثار اليدوي او اصبع القيثار (آه – بشينا)**

وهي آلة مكونة من لوح خشبي مشدود عليه وترين اثنين، وهي الآلة الموسيقية التي كانت تعزف عليها الطبقات الارستقراطية العليا.

- **Pshine diqwaqua (بشينا – ديقواقة)**

وهي آلة شبيهة بالقيثارة، وذات أربعة وعشرين وترا مصنوعة من شعر الحصان المجدول، وكانت تستعمل من قبل أبناء الطبقات العليا.

- **Qamil – القاميل:**

وهي آلة شبيهة بالفلوت (الناي) فيها ثلاثة أو أربعة ثقوب، وعادة ما كانت تزين بالفضة، والطلاء المذهب، وكان الموسيقيون يعزفون عليه في بيوت المضافة الخاصة بالامراء والنبلاء، وفي المهرجانات وحفلات الرقص.

- **Bezchamiy Naqire**

أي (الناقيرة و البزشامي) وهما من أنواع الالات الشعبية، والأخير كان استعماله محصورا بالرعاة.

- **Siriyne السيرين أو (السيرنا) (Sirne)**

وهي آلة نفخ موسيقية تسمى (السيرينابشنا) وكانت تستخدم من قبل المغنين والموسيقيين الذين يشاركون في الحفلات الجماعية.

- **Berebana البيربانا أو الطبل / الدف.**

وهو عبارة عن طبل كان يستخدم للايقاع واثارة حماس الراقصين.

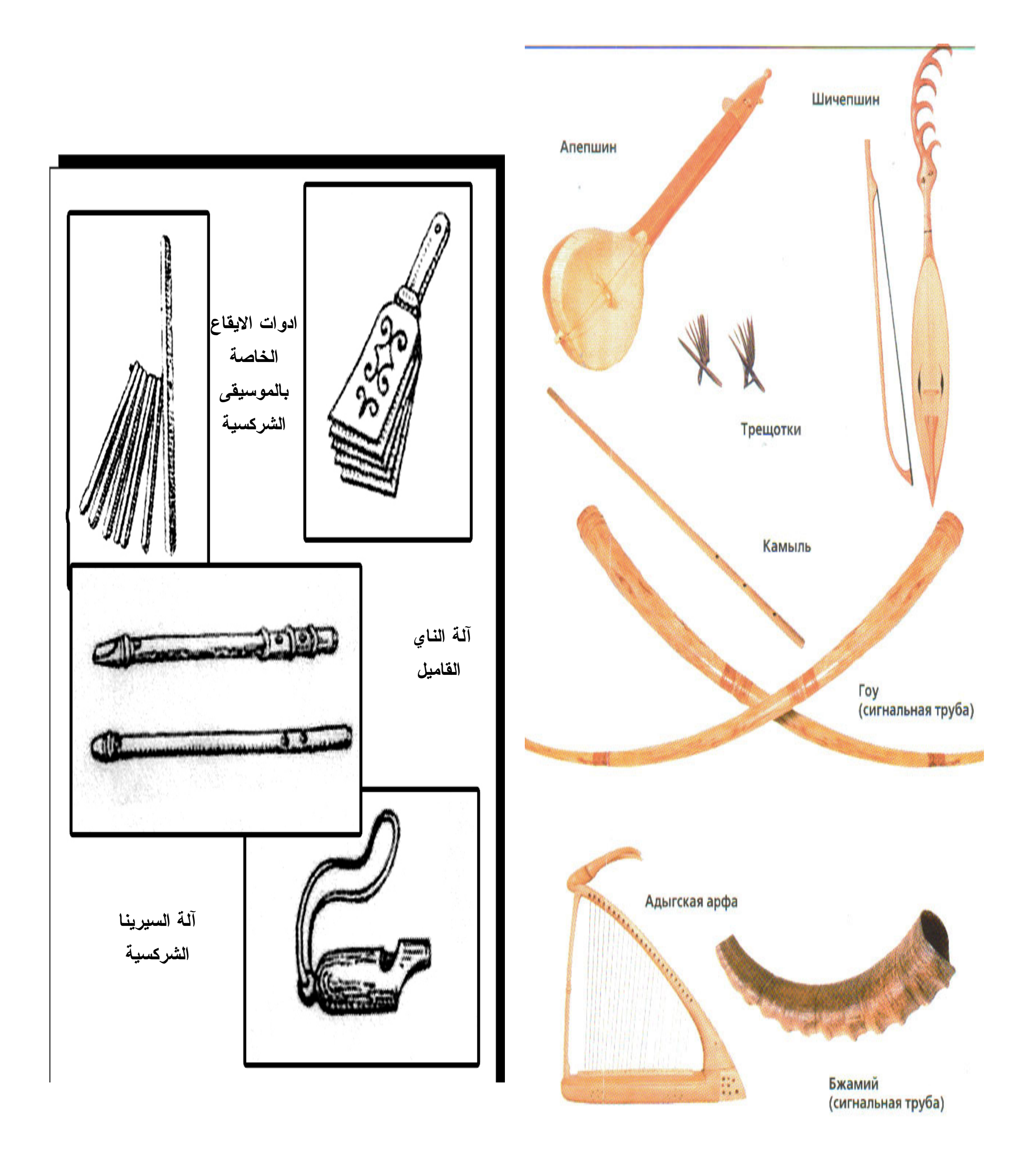
- **Pxetsich البخيتسيج:**

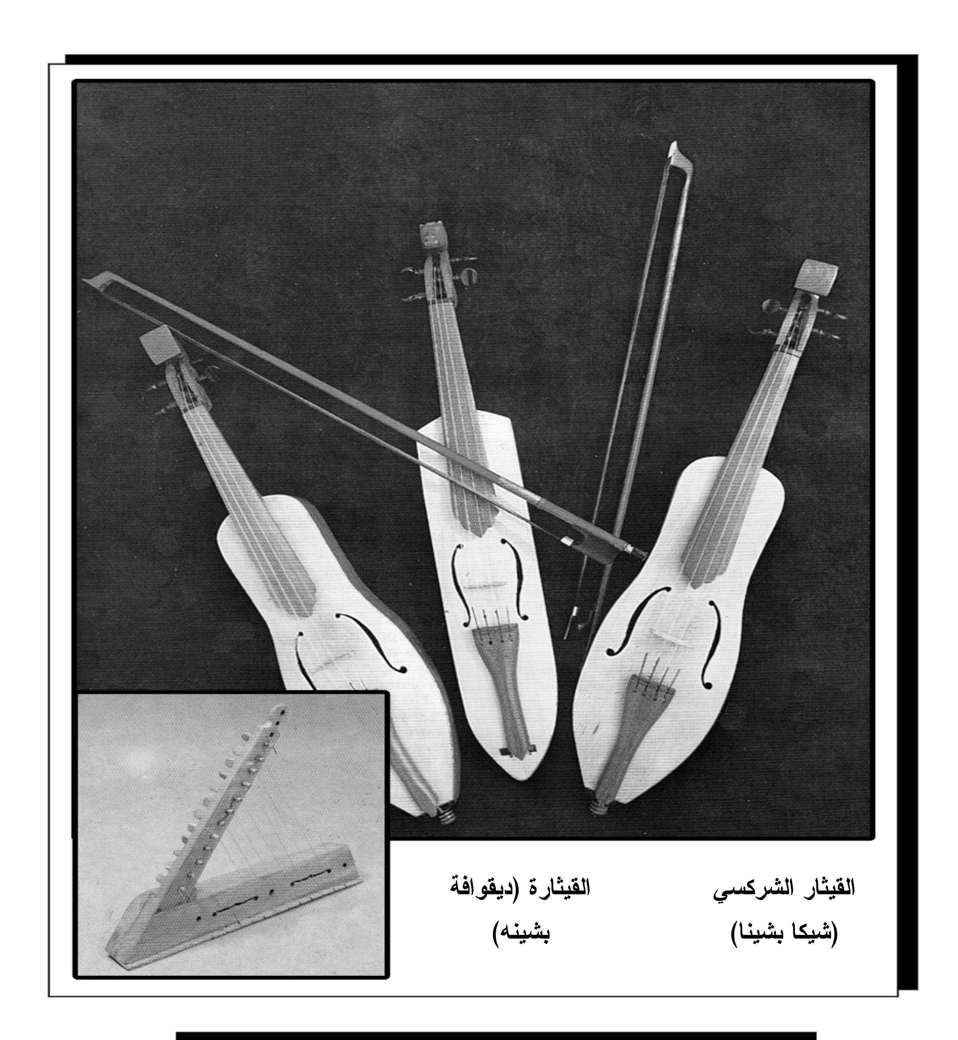
وهي آلة نقر موسيقية، وكانت تستعمل مصاحبة للعزف الموسيقي والرقص، وتتكون من أربعة أو ستة ألواح خشبية صغيرة مربوطة ببعضها في أحد الطرفين بخيط. وعرض هذه الألواح يساوي مرة ونصف تقريبا لطوله البالغ (١٨) سنتيمترا. وتُزين هذه الآلة بالفضة والنكل والطلاء المذهب. وكانت تستعمل من قبل المغني نفسه، أو أحد المغنين كآلة نقر.

- **Tambourine (تامبورينا)**

وهي آلة نقر كانت تستخدم ايضا من قبل المغنين والموسيقيين [٣].

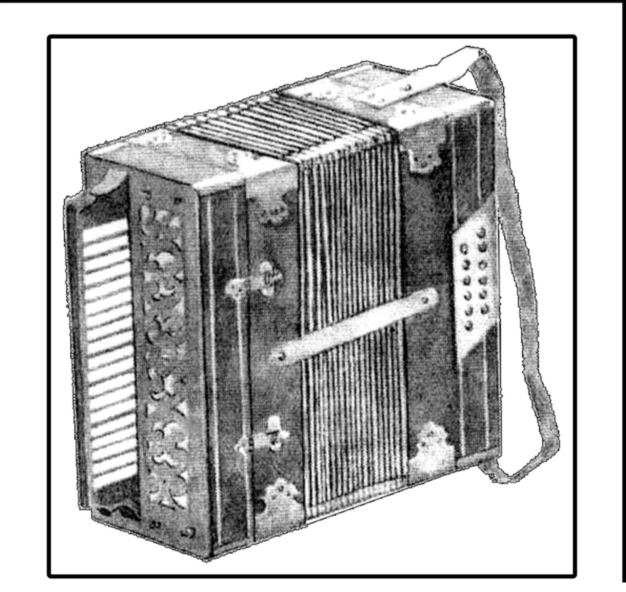
مجموعة من الالات الموسيقية الشركسية القديمة منها والحديثة





القيثار الشركسي
(شيكا بشينا)

القيثارة (ديقوافة
بشينه)



آلة الاكورديون

النوع الثاني من الفلكلور الشركسي هو الرقص القومي الشركسي

كانت بداية الرقص عند الشراكسة عبارة عن نوع من الحركات التي كانت تمارس كجزء من الطقوس الدينية، كما كانت جزءاً من الحركات التي كان يؤديها المصلون تقربا من الآلهة منذ عهد قوم النارتيين في الألفية الثالثة ما قبل الميلاد، كما كانت حلقات الرقص جزءاً لا يتجزأ من برامج المهرجانات والمسابقات السنوية التي كان يقيمها اجداد الشراكسة، احتفالا بانتهاء موسم الحصاد وجني المزروعات وغيرها من الاحتفالات الاجتماعية التي كانت تقام على مدار السنة.

وعلى مر الزمان وبحكم التطورات التي حدثت في حياة الشعوب القديمة، وفي معتقداتهم الدينية وأحوالهم المعيشية، تغيرت طبيعة الرقص وانواعها، كما تغيرت المناسبات التي تقام فيها حلقات الرقص حتى أصبح الرقص الشركسي جزءاً من الفلكلور القومي وفنا من فنون التراث الشعبي الشركسي.

أنواع الرقص القديم في الوطن الأم:

اشتهرت الأمة الشركسية بخمسة أنواع رئيسية من الرقص الفلكلوري وهي:

"**الويج**" وهي رقصة قديمة مرت في تحولات بارزة ولها كثير من الحركات والاشكال ومن ضمنها "ويج – خيسب (Wij Xesb) ويج – بيخو (pixw–Wij) ويج – خواواو (x'uew–Wij) ويؤديها اليوم أزواج من الراقصين (مجموعات من اثنين) وفيها يتقدم كل شاب إلى فتاة محددة للاستئذان منها مشاركته في الرقص وهي رقصة ثنائية إلا أن الحلبة يمكن ان يتواجد فيها عشرات (الثنائيات) من الشباب والشابات، وتكون حركات هذه الرقصة حركات توافقية وهادئة، ويقوم كل من الشاب والشابة بنفس الحركات التوافقية (بالقدمين) واليدين كما انها تتضمن تشكيلات مختلفة من الحركات، منها حركات للأمام وأخرى للخلف وثالثة للجانبين، وتقدم هذه الرقصة في ختام حفلات الرقص عامة وفي حفلات الاعراس خاصة. وهذه الرقصة هي الرقصة الوحيدة التي يقوم فيها الشاب بمسك يد الفتاة طول فترة الرقص، بينما في الرقصات الاخرى تكون كل من الفتاة والشاب بعيدين عن بعضهما طوال فترة الرقص.

*** رقصة زافاكو Zefakwe وزيفتلات Aiahtlat**

وهي رقصة قديمة جدا، وكانت تمارس في المناسبات الدينية، أما اليوم فإن (الزافاكو) هي الرقصة التي تبدأ فيها حفلات الاعراس وغيرها من الحفلات الاجتماعية التي يتخللها الرقص الشركسي، ويمكن وصف هذه الرقصة على النحو التالي:

* **عدد المشاركين في الرقص:** يشارك راقصين اثنين (شاب وشابة) فقط وفي الحفلات الاستعراضية يشارك فيها اعداد كبيرة من الشباب والشابات قد يصل عددهم إلى (عشرة ازواج) او اكثر.
* **بداية الرقصة:** يتقدم الشاب الذي عليه الدور في الرقص إلى حلبة الرقص، ثم تخرج الفتاة التي لها الدور في الرقص، وتقف مقابل الشاب على مسافة (٣-٤) امتار.
* **حركات الرقص:** يبدأ كل من الشاب والشابة في تقديم القدم اليمنى إلى الأمام في توقيت واحد، ثم يستمر تحريك القدمين بالتتابع (للامام وللخلف) بخمس مرات او حركات، ويشترط ان يكون تحريك القدمين لكل من الشاب والفتاة في توقيت واحد، اما بالنسبة لحركة اليدين فإن حركاتهما تختلف لكل من الشاب والشابة، حيث تكون حركات يدي الشاب (تبادلية) مع ثني احداها امام الصدر والاخرى توضع خلف الظهر، ثم يتم تبادل وضعهما..وهكذا الى ان تنتهي الرقصة.

واما بالنسبة لحركة يدي الفتاة فإنها تكون حركات خفيفة للجانب وأعلى قليلا في حركات متوازنة ورشيقة.

* **القافا Qafe** وهي رقصة بطيئة، فيها نوع من الوقار في حركاتها وبدرجة كبيرة من ضبط النفس، وتعتبر رقصة خاصة بالامراء وكبار السن، وتبنت شعوب قوقازية عديدة هذه الرقصة ومارسها في حفلاتهم مثل شعب البلقار والاستين.

* **رقصة** "**إسلامي (Islamey) او بسلني (Bisleney)** وهي رقصة حيوية نشيطة، ويعتقد بأنها حديثة أو جرى اقتباسها من شكل من اشكال الرقص القديم. ويمكن أداؤها بانفراد، أو في مجموعات من الراقصين، أو كأزواج، ووزن لحنها شبيه بوزن لحن "قافا" ٨/٦ بالنسبة للرقصة القديمة و ٤/٢ بالنسبة للجديدة. وباقتباس لحنها القديم، وضع الموسيقار الروسي ميلي اليكسييفتش بالاكيريف (١٨٣٧-١٩١٠) مقطوعته المسمى (إسلامي أورينتال فانتازيا) للعزف على البيانو، والتي أتمها خلال خمسة أسابيع وعرضها بتاريخ ١٣ أيلول ١٨٦٩. ويعود اعجاب (بالاكيريف) بموسيقا شمال القفقاس إلى عام ١٨٦٣ عندما زار القفقاس لأول مرة. فأحب الموسيقى الشركسية، وألف عددا من المقطوعات الموسيقية عن الأغاني القباردينية الشركسية.

وضع (بالاكيريف) مقطوعته (اسلامي)، التي ما تزال تعرض حتى اليوم، على ثلاث سرعات. الأولى، فيها (الإثارة والسرعة)، حيث استعمل الإيقاع المتكرر في الرقص على الطريقة الشركسية. والقسم الأوسط فيه (التعبير المعتدل) أما القسم الاخير وفيه (التعبير البطيء).

* **الحشت Hashet**

هي رقصة هادئة في حركاتها ويواجه فيها كل من الشاب والشابة مع الاختلاف في طبيعة حركات القدمين. كما أنها رقصة يمارسها كبار السن أكثر من ممارستها من قبل الشباب من الجنسين.

* **رقصة شيشن Sheshen**

وتسمى في بلاد المهجر في الدول العربية برقصة "الفرسان" وهي رقصة عنيفة جدا ويؤديها الرجال (فقط). أما الفتيات فتكون حركاتهن سريعة جدا مع حركات توافقية بين حركات القدمين واليدين ويمكن وصف حركات الشباب على النحو التالي:

حركات القدمين

تكون حركات سريعة جدا بخطوات متتابعة للامام أو للخلف، مع القيام بحركات قدمين سريعة وتبادلية مع وضع اليدين في الوسط، ثم يقوم الراقص بحركات على رؤوس أصابع القدمين، كما يقوم بعض الراقصين البارعين بالرقص على الركبتين مع عمل حركات أمامية وخلفية ودائرية، ثم يقوم بالقفز في الهواء بحركات أشبه إلى حركات لاعبي الحركات الأرضية في الجمباز.

حركات اليدين: لا توجد قاعدة محددة لحركات اليدين إلا أن الراقص يقوم بتحريك اليدين (جانبا) أو (اماما وخلفا) أو يضعهما في (الوسط) أو تشبيكهما خلف الظهر وغيرها من الحركات التوافقية التي تتناسب مع حركات القدمين والرجلين[١٤].

آداب الرقص الشركسي وقواعدها في الحفلات والمناسبات الاجتماعية:

يمارس الشراكسة الرقص وفق تقاليد وقواعد دقيقة وصارمة في كل من الوطن الأم وفي بلاد المهجر، نذكر منها القواعد التالية:

١- يسمح لجميع ابناء الشراكسة من نفس القرية او من أية قرية أخرى حضور حفلات الرقص ولا يجوز الاعتراض على حضورهم.

٢- لا يسمح بحضور حفلات الرقص الشباب من (الاعراق) غير الشركسية، باستثناء من كان (مخولا) أي أن والدته شركسية الأصل فيسمح له الحضور (أحيانا).

٣- يشارك في حفلات الرقص كل من الفتيات والشباب أو كبار السن من الرجال، ولا يسمح للمرأة الشركسية المتزوجة المشاركة بالرقص في الحفلات العامة وإن كان يسمح لها

الحضور ومشاهدة الرقص من موقع خارج الحلبة ومن خلف صفوف الفتيات المشاركات بالحفلة.

٤- في حال حضور كبار السن من الآباء أو الاجداد فيكون لهم أولوية (الرقص) كما أن ابناء الحاضرين ينسحبون من حلبة الرقص احتراما لآبائهم أو اجدادهم وحتى لإخوانهم الأكبر سنا.

٥- تبدأ وتنتهي حفلات الرقص من قبل أحد اكبر الحاضرين سنا أو من قبل عريف الحفلة ويسمى (حاتياقوة).

٦- يدخل الشاب إلى حلبة الرقص أولا، ثم تتبعه الفتاة التي عليها الدور في الرقص، وجرت العادة ألا ترفض أية فتاة الرقص مع أي شاب، إلا أنه يحدث احيانا ان تعطي الفتاة صاحبة الدور، دورها لفتاة أخرى، إن لم ترغب في الرقص مع الشاب المتواجد على الحلبة.

٧- من آداب الرقص، أن لا يترك الشاب الحلبة او التوقف عن الرقص ما دامت الفتاة في حلبة الرقص، وإن حصل ذلك يحق للفتاة مقاضاته أمام (مجلس التحمادات) أي مجلس الحكماء، والحكم عليه بإقامة حفلة ترضية لها ولصديقاتها أو إهدائها هدية ثمنية.

٨- الأصل في الرقص ان تكون (مواجهة) ولا يجوز ان يعطي (الشاب أو الشابة) ظهره للآخر عند الرقص في الحلبة، إلا إذا كانت الرقصة تتطلب ذلك (مثل رقصة الفرسان).

٩- يعتبر من الكبائر عند الشراكسة (لمس) الفتاة بأي جزء من جسم الشاب (بالكتف باليد او الجسم أو الرجل) وإن حدث ذلك بدون (قصد) يحق للفتاة مقاضاة الشاب لعدم قدرته السيطرة على حركاته خلال الرقص، أما اذا شعرت بأنه يقصد ذلك فيحق لها التوقف عن الرقص فورا ومغادرة الحلبة، كما يحق لها مقاضاته أمام (مجلس التحمادات) أي مجلس الحكماء من كبار السن من الشراكسة.

١٠- تحدد مواقع لوقوف كل من الشباب والفتيات حول حلبة الرقص ولا يسمح للشباب بالوقوف مع الفتيات او العكس، وعادة تقف الفتيات على يمين حلبة الرقص.

١١- من واجب كل شاب يقف في الصف الأمامي في حلبة الرقص، القيام (بالتصفيق) المرافق للموسيقى، وأما الفتيات فإنه غير مطلوب منهن القيام بذلك إلا في حالة مشاركة احد كبار السن أو احد الوجهاء في الرقص.

*** نشأة الاغاني الشركسية:**

يقول خان كري – Khan-Girey بأن ملحمة نارت (Nart Epos) التي ضمت أقدم الأغاني لقوم (نارت) اجداد الشراكسة، وهي الاغاني التي تتحدث عن حكايات فيها عبر للقيم والرجولة مثل: **الحقيقة والصدق والأمانة والوطنية والشجاعة والكفاح ضد القمع والاضطهاد الذي تعرض له أجداد الشراكسة**، واتخذت الاغاني شكل الأغنيات القصصية والأشعار والقصائد الغنائية وقد صاغ الشعراء والمطربون القدماء حكايات قوم (نارت) وأساطيرهم في صيغ تشبه الاغاني، ولكي يحببوا المستمعين بها كانت الاغاني قصيرة وتؤدى بالصوت، أو بالكمان الشركسي، وأما الايقاع، فكان سريعا وأشبه بالموسيقى الراقصة، وظل على حاله دون تغيير في الوقت الذي تطورت فيه الموسيقى الشركسية. هذا بالإضافة إلى تنوع الوتيرة في (درجة السرعة) حسب التنوع في الموضوع الرئيس للأغنية، واشبه ما يكون بالموسيقى الراقصة الخفيفة المرحة والمفعمة بالحيوية، ولم تكن الأنغام الحزينة كثيرة العرض في البداية [١٧].

نستنتج من دراسة اساطير (قوم نارت) وحكاياتهم الشعبية وكذلك الأغاني الشعبية القديمة بأنها تضمنت اغاني قصصية وأشعاراً وقصائد غنائية وأن أهم موضوعاتها كانت على النحو التالي:

١- **اغاني النارتيين:** وهم الأبطال الخرافيون للقصيدة الوطنية القديمة، وتدور موضوعات هذه الأغاني حول الوطن والبطولة والصراع من أجل البقاء ونشر الخير.

٢- **الاغاني التاريخية:** ونستطيع ان نتتبع قصصا فردية في الاناشيد التاريخية من تاريخ بلاد الشراكسة وكفاحها اثناء عصور حرب القفقاس. وتشمل الاغاني التاريخية "كوفخاس و اميرقان" واغنية "محمد بن حاتقو" و"ابن فيغوتيف" واغنية "حنيفة" التي تمجد البطلة الشهيدة، وانشودة عن هجوم معاد مفاجئ على شعب القبردي في القرن التاسع عشر واغنية "الامير محمد آش اتاظيقو" الفارس الحقيقي والشاعر في الوقت ذاته، ومعبود قومه الذي يعتبره مثالا للبطولة الشركسية، والذي ألهم موته المهيب أغنية يغنيها الشعب بعشق وحماس، وقد ذكر "شورا بكمرزا نوغمو" في كتابه "موجز عن تاريخ الاديغة" العديد من الاغاني التي تمجد ابطالا شاركوا في الحروب وهناك اغنية تمجد "اسماعيل بك حاتوخشوقة" الامير الشركسي الذي قتل فتألم الشعب لمقتله.

٣- **الاغاني والاناشيد الدينية:** وهي الاغاني التي تعكس بقايا العقائد الوثنية الشركسية التي وجدت قبل المسيحية والاسلام. ومن الامثلة التي يمكن ذكرها هنا الانشودتان المشهورتان عن **(الرعد، وسعادتكم او يا صاحب السعادة). تذكرنا القصيدة الاولى** بالصواعق وعبادتها في الماضي البعيد، وكانت تؤدى خلال رقصة مستديرة تدعى (ووج) تحتوي الكثير من الحركات التي كان الراقصون يؤدونها خلالها حول المكان الذي ضربته الصاعقة.

٤- **اغاني الابتهال والاسترضاء:** فهي أغاني ترتبط بمرض الجدري والطقوس الاسترضائية التي كان الشاب من هذا المرض يمارسها شعرا ملحميا إن لم تكن تملك شكلا فنيا محددا. ولكنها كانت تكتسب معنى دينيا كبيرا، ورغم الضعف الفني فيها إلا أنها كانت تمتاز بقوة دينية بالغة.

٥- **الاغاني البطولية والشجاعة:** كان الدارس لتاريخ الاغنية الشركسية في العصور الوسطى، وفي المراحل التي تعرضت فيها أجداد الشراكسة لغزوات وحروب واعتداءات من قبل جيوش مختلف الأمم والشعوب وعلى مدار اكثر من عشرين قرنا، يجد بأن الكتاب الذي وضعه س. ن. رياوزوف (S. N Ryawozov) حول الاغاني القباردينية الشركسية [١٨] من اكثر الموضوعات التي تضمنتها تلك الاغاني في العصور التي كان اجداد الشراكسة فيها وثنيين.

حيث يقول (رياوزوف) بأن: الشعراء والمغنين الشراكسة كتبوا أنواعا عديدة من الأغاني، وكانت الأغنيات البطولية والملحمية تغنى على شرف تكريم الأبطال الذين سجلوا مآثر عظيمة، وقد توجه هذا النوع من الاغنيات لتمجيد المحاربين الابطال من الشباب، كما كان الشعراء يكتبون بعد كل معركة كبيرة قصيدة او اغنية. وتعتبر أغنية "انديميرتان" البطل المدافع عن الفقراء، أغنية كلاسيكية. وهي الاغنية التي ألهمت (شايبلر) لأن يؤلف ملحمة "انديميرمان" في تكريمه عام ١٩٣٩ وقد استندت الأغاني البطولية إلى شعر وأنغام جميلة، كما كان بناؤها قريبا جدا من (الاغنية الشعرية) والحكايات القصصية الشعرية الغنائية. [١٨]

٦- **أغاني المدح والثناء:** كما اقترنت الأغاني البطولية تماما بأغاني المدح، التي كانت تنظم لتخليد مآثر الحرب كما كان اولاد وأقارب المحاربين الكبار، أو اصدقاؤهم، يكلفون الشعراء المغنين بنظم قصائد لتمجيد بطولة المحاربين الذين قضوا في ساحات القتال.

*** أنواع الاغاني والاناشيد الشركسية:**

النوع الاول: اناشيد واغاني الطقوس الدينية وكانت تضم:

التراتيل والترانيم المقدسة التي كانت تقام في فترة ما قبل المرحلة المسيحية، وخلال الاحتفالات في عصر الوثنية، وكانت التراتيل الدينية تؤدى عند الصلاة بصوت واحد مع الكوراس. (وفي العهدين المسيحي والإسلامي، ابقت التراتيل القديمة على حالها)، لكن مواضيعها تغيرت لتناسب المعتقدين الجديدين.

ومن امثلة الاناشيد والاغاني التي كانت تعكس الطقوس الدينية الوثنية انشودتان هما:

الانشودة الاولى فكانت عن (الرعد... والصواعق) وكيف ان الشراكسة كانوا يعبدون (اله البرق) (شله – و ه) حيث تصف القصيدة كيف يؤدي الشباب رقصة (الوج. Wdj) حول المكان الذي ضربته الصاعقة.

أما القصيدة الثانية واسمها (Ziushan) ومعناها (من يأخذ مرضي) حيث تصف هذه القصيدة الطقوس التي كان يمارسها الشراكسة استرضاء للآلهة وطلب الوقاية من مرض (الجدري).

النوع الثاني: اناشيد واغاني الحروب:

وهي الاناشيد والأغاني التي كانت تعبر عن بطولة المحاربين من أمراء ونبلاء، منها اغاني البطولة التي قام بها محاربون مثل (كوخفاس) و (انديمرقان) حيث نظمت اشعار المديح للبطولة التي أظهرها هذين المحاربين في سبيل حرية الوطن واستقلاله وكذلك قصة (محمد بن حاتقوه) وهو احد ابطال الشابسوغ الذي حرر شعبه من اعداء الوطن.

هذا بالإضافة إلى الاغاني التاريخية ذات الاهتمام الخاص بالحروب الطبقية مثل: حرب الامراء والنبلاء التي تروي قصصا عن الحروب التي دارت بين الامراء والتابعين تروي أغنية "ليلة غزو كاباردانية" قصة من تاريخ كاباردينا تعود إلى القرن السابع عشر الميلادي. كما ويلاحظ بأن الاغاني الشركسية تضاءلت عند الشراكسة (الاديغة) بعد اعتناقهم الدين الاسلامي لتعارضها مع تعاليم الدين الاسلامي [٢٢].

النوع الثالث: اناشيد واغاني الرثاء (غبزة – Ghaebza)

وكانت تضم اغاني المراثي الحزينة التي كانت تغنى في ذكرى القتلى الذين قضوا دفاعا عن الوطن، ومن اشهر المراثي الغنائية تلك التي تم تأليفها إبان الحروب التي دارت ضد الغزاة، من الغوط، والهون، والقالموق والتتار... الخ.

النوع الرابع: اناشيد واغاني مواسم الحصاد:

وكانت تضم اغاني واناشيد تقال في موسم الحصاد وبعد جمع المحاصيل الزراعية في الصيف.

النوع الخامس: اغاني جرحى الحرب والمصابين بجروح او كسور.

من العادات التي كانت متبعة عند الشراكسة منذ القدم (وحتى يومنا الحاضر) هو زيارة الجرحى او المصابين بكسور في بيوتهم والسهر عندهم حتى ساعات متأخرة من الليل بهدف تسليتهم والتخفيف عن الامهم وتسمى هذه العادة "شابشة".

وتنوعت الأغاني التي كانت تنظم عن الجرحى عن غيرها من الاغاني ومن أشكال هذا التنوع، ضرورة وجود قائد للكوراس، وهو أمر لم يكن موجودا كما كانت تقدم هذه الأغنيات بصورة عامة، بصوت عال وبطريقة متصلة ونغمات مميزة، علاوة على هدف امتاع المرضى فإنها كانت تهدف لابقائهم يقظين طوال الوقت. اعتقادا منهم (قديما) بأن الأرواح الشريرة مختبئة في الجوار، وجاهزة للسيطرة على روح المريض عندما ينام.

النوع السادس: الأغاني العاطفية، وكانت تضم:

أغاني الحب التي كان تؤديها وتنشدها النساء عادة، وكان إنشادها محصورا داخل العائلة. اما الرؤية الرومانسية لعاشق محروم يقف تحت نافذة فتاة (قشن)، فلم يكن لها وجود في الأوضاع القفقاسية الصارمة في الماضي ويشتمل بعض هذه الأغاني الشاعرية على: الأغنية التي أبكت الأمير (أديغو) وأغنية "سيراس" (Cirace) بمعنى (انا) [٢٢].

النوع السابع: أغاني مراسم الزواج والولادة والمناسبات الأخرى:

انقسمت أغاني حفلات الزواج إلى اغاني احتفالية، مثل **(وريدادا)**، التي كانت تغنى لدى عودة العروس إلى بيتها، وأغاني خفيفة تغنى في المهرجانات الراقصة.

واغنية (وريدادا) هي أغنية عامة كانت تؤدى في العديد من المناسبات، بما فيها مواسم الحصاد ولعله آخر استخدام (قديما) لشخصيته. دادا كان للتعبير عن زعيم العشيرة، ورب الاسرة الذي رحلت روحه إلى (حدريخة) أي يوم الأخرة، ولا شك أن هذه الشخصية قد ظهر استخدامها في الاغاني منذ عصر النظام الأبوي. وأصبح استعمال "دادا" فيما بعد ليقوم مقام الجد، وهي مفاهيم حصرية ضاعت في متاهات التاريخ، ولكنه مصطلح ما زال يستخدم للتعبير عن كبير العائلة، **كما تضمنت أغاني الزواج الأخرى: أغنية عودة العريس إلى بيته، واغنية عودة المرأة إلى ديارها.**

واما تروبينسكوي (Troubetzkoy) فيقول بأن: الشراكسة بمجموعهم شعب شاعري واسع الخيال ذو روح متوقدة وحس عميق لمحاسن الطبيعة والقصائد المغناة اثناء الرقص وفي الاحتفالات تتغنى بروعة الشجاعة، والافعال السامية، وتذم الجبن والاخلاق السيئة، والشعر ايضا يعني لهم "مستودع كل الحكمة الشعبية"، وها هو ذا المغني العجوز في رواية دوي الرعد يعطي ابنه خليفته سر المهنة قائلا له: إن كنت ترغب ألا يتحول صوتك إلى عواء ذئب لا تغن ابدا للسفاحين وللثأر واراقة الدماء.

كما يفرق بين القصائد القديمة التي يكون محتواها غالبا الأمور السياسية والمثل العليا، واغاني الأفراد وقصائد الهجاء وأغاني جماعية ذات محتوى لماح ساخر كما يشير إلى نوعية المواد المتضمنة في الشعر بقوله:

"**إن الأغاني الشعبية الشركسية ذات محتوى غنيّ متعدد الجوانب فهي بطولية وتاريخية وطقوسية وغرامية وغنائية و جنائزية. كما توجد اغان للحراثة والحصاد و الزواج والرقص وغير ذلك. وتؤدى كلها في الاحتفالات العائلية والعامة بمرافقة الاوركسترات الوترية والاكورديون والالات الموسيقية الاخرى.**

كما يقول: ولا ننسى اغاني العمل فهناك اغان الحصادين واغان للرعاة والدارسين والبيادر والصيادين واغان للإله وأغان للمرض؛ اذ من عادة الشراكسة ان يساعدوا المريض على إبعاد الالم والموت بأن يجتمع في بيته الشبان والفتيات ليغنوا ويرقصوا او يحكوا النوادر، اما الجرحى فلا يدعونهم ينامون اول ليلة من اصابتهم ويقفون حولهم طوال الليل. وهناك اغاني الجرح يغنيها الرجل حين يصاب بجرح مميت. وهناك الاغاني التي تغنى بالوطن وعزته وعنفوانه وللمائدة ايضا اغانيها[٢٥].

الأغاني والاناشيد القومية الشركسية في عهد استعمار الامبراطورية القيصرية الروسية:

تم جمع العديد من الأغنيات القديمة على أيدي الباحثين والعلماء الجراكسة. وصدرت كتب الموسيقى والأغاني الشعبية أول ما صدرت في عام ١٨٨٧ على يد الملحن الروسي (Sergei Tanev سيرجي تانييف) الذي نشر أول كتاب عن الاغاني الشركسية ضمنه عشرين مجموعة من الاغاني القبردينية الشركسية القديمة[٢١].

وفي عام ١٩١٣ قام (بيشميرزا باشا) مؤسس الشعر (الكابارديني) الحديث وهو كاتب أغنية موهوب وبارع بتأليف اغنية وطنية تمجد الانتفاضة القابردينية، التي قامت عام ١٩١٣ ضد الحكم

القيصري، واسمها (Dzeliqwe) واستعمل فيها أسلوب الأغاني البطولية التقليدية، لتوصيل أفكاره للجماهير مثل أغنية (غازي مراد) [٢٨].

أقسام الأغنية الشركسية

إن الدارس لأقسام الاغنية الشركسية يجد بأنها كانت تتقسم منذ عصر الاجداد إلى اربعة اقسام رئيسية وهي:

١) (ورد) أي الغناء على اختلاف انواعه والمغنين هم (وردؤه) رجالا ونساء

٢) (وساكئوة) أي الشعر المتضمن المدح والهجاء، والمنشدين هم (وساكئوه جئة).

٣) (غيبزة) أي الغناء الرثائي والمغنين هم من الجنسين.

٤) (جه كواكؤه) Jegwakwe وبالانجليزية (Ashogs) وبالعربية الفرق الغنائية الجوالة، وهم مغنون محترفون صنعتهم امتاع الجماهير بأغانيهم المرحة والشعبية.

وفيما يلي دراسة لكل قسم من اقسام الاغاني الشركسية منذ القدم:

قسم المؤرخ الشركسي (جونا توقة) الاغنية الشركسية إلى قسمين رئيسين هما:

(١) **(ورد) وهي الأغاني التي توصف فيها الحياة القومية والوقائع الحربية** والحب والخيال والنكات وبعض النوادر المسلية المضحكة وتحتوي ايضا على تفاصيل الوقائع الحربية القديمة التي يعود تاريخها إلى زمن الحيثيين كواقعة (نارينا) التي تعيد الذكريات المحزنة المؤلمة.

وتعتبر هذه الأغاني من الوثائق التاريخية التي يحفظها الشيوخ عن ظهر قلب لما فيها من التفصيلات عن أعمال أجدادهم وهي في الحقيقة توثيق للتاريخ القديم للحروب ومواقعها وسجل الذين جبنوا وأظهروا عجزا وتقصيرا كما أنها توثيق للأعمال البطولية للمقاتلين البواسل الذين انضموا دفاعا عن الوطن الأم.

(٢) **(غيبزة) وهي عبارة عن مرثيات لشهداء الحروب** أو الذين قضوا نحبهم في سبيل الأوطان ولا يسع سامعيها إلا التأثر العميق بها للأخذ بالثأر.

كما تبحث ايضا في نتائج هذه الوقائع وما وصلت إليه في النهاية وقد استفاد من هذه الاغاني المؤرخ (نوغموقة) وترجم بعضها إلى الروسية وأدرجها في مؤلفه، الأمر الذي جعل لكتابه قيمة خاصة.

وتؤلف هذه الأغاني من قبل اختصاصيين يدعون (جه – كواكوة) أي الشعراء. وهذه الأغاني تقال إما نثرا أو نظما وتعتبر من الادبيات التي تحتل موقعا هاما، إذ تحوي تاريخا مجيدا وبطولات خارقة لأجداد الشراكسة.

ويقول (نوغموقة) أن الاغاني تضاءلت عند الشراكسة بعد الإسلام اتباعا لما فيه من النهي عنها.[٢٠]

والأديب الروسي (تروبتسكوي) يقول في دراسة له صدرت عام ١٩٢٥ بأن القصائد الشعرية والأغاني الشركسية تنقسم إلى أربعة أنواع:

الاول: القصائد القديمة (محتواها غالبا في الأمور السامية والمثل العليا).

الثاني: أغاني الأفراد.

الثالث: قصائد الهجاء.

الرابع: أغاني جماعية (كورال)

كما يشير إلى الموضوعات التي يتناولها الشعراء من وصف بطولات أو رثاء أو هجاء أو... [٢٥].

(٣) المغنون المتجولون "وردؤه"

يقول (لابينسكي – ١٨٦٢): بأن المغنين الشراكسة كانوا موهوبين ولهم احترام كبير عند الشعب، وكانوا يظهرون كل فعل جيد أو سيّىء أو جبان، وكل تضحية أو انانية وكل كرم أو بخل، وكل جمال أو حب، كما كانوا يتغنون بحكمة القدماء وبطولاتهم وقصصهم البطولية، إضافة إلى مشاركتهم في المعارك، لبث روح الحماس والشجاعة في نفوس الجنود، كما ان وجودهم في ساحات المعارك كان يساهم مساهمة كبيرة في رفع معنويات المحاربين، ووجودهم بين الجنود كان يشكل عامل ردع وقمع لكل من كان يفكر بالهروب من ساحة المعركة خوفا من هجائهم بعد الانتهاء من المعارك والعودة لقراهم.[٢٦]

(٤) وساكئو وهم المغنون المتجولون:

يميز (غواشخوراي) من قرية (يلمي) التركية الشركسية يميز بين الشعراء الذين يطلق عليهم باللغة الشركسية (وساكئوه) وبين المغنيين المتجولين (وردؤه). فالشعراء (وساكئوه) في العادة هم (رجالٌ أم نساء) كانوا يمارسون نشاطهم الغنائي في مكان إقامتهم فقط، ويلقون قصائدهم في المضافة ال (هاتشئيش) أو ساحة القرية، وأحيانا كانوا ينتقلون إلى القرى المجاورة لإنشاد أشعارهم. أما المغنون المتجولون (وردؤه) فقد كانوا يتمتعون بشهرة داخل وخارج مناطقهم وكانوا يتنقلون من مضافة إلى أخرى ويغنون في الأفراح والأعياد. وكانوا يمثلون ضمير مجتمعهم، مما جعل الآخرين يخشونهم ويحسبون لهم ألف حساب.[٣٠]

وأما (جموخة) فقدم لنا دراسة متكاملة حول القسم الرابع من أقسام الأغنية الشركسية وهي الأغاني التي يؤلفها وينشدها المغنون المتجولون المحترفون الذين يسمون باللغة الشركسية (جه-كواكؤه) (Jegwakwe) بقوله:

"عند الكلام عن الاغنية والشعر الشركسي، من المستحيل عدم التطرق إلى مؤلفيها ومنشديها. ففي الأيام الغابرة، ظهرت فئة محترفة من المطربين والمغنين (فرادى ومجتمعين) ولم يتلقوا أي تعليم أو تدريب من نوع خاص، بل اعتمدوا على مواهبهم الموروثة، وأبدعوا في فن الشعر والأغنية، وتجولوا أفرادا وجماعات في جميع أنحاء البلاد الشركسية، فأنشدوا الأغاني، وألقوا الأشعار البطولية في المهرجانات، وفي حضور الطبقات العليا، وعلى مسامع مجالسها التي استقبلتهم مضافاتها الخاصة جدا. (الهاتشئيش).

وتخصص أعضاء هذه الفئة من الفنانين بأغاني تمجد ذكرى أحداث الحروب الدموية وأعمال ومآثر وطنية عظيمة حدثت في القتال. وكتبوا سيرا ذاتية لرجال مشهورين، وأنشدوا أغنيات قديمة. كما شاركوا في حملات عسكرية، وأطلقوا صيحات الحرب التي كانت تُثير من العزائم، وتحث على الشجاعة والثبات في ساحة المعركة.

وكان الأسلوب المتبع في نشر الأغاني الشعبية، هو الطلب من شاعر شعبي تأليف اغنية، ثم يدعى المغنون من المناطق المجاورة للاستماع إليها مرات عديدة إلى ان يحفظها المغنون عن ظهر قلب، ثم يعودون إلى قراهم، ويعرضونها على لجنة تحكيم من المختصين في الاغاني الشعبية الشركسية لإقرارها أو عدم إقرارها كأغنية شعبية.

ويؤكد (جموخة) ظهور مغنين محترفين ومبدعين في عهود مختلفة، فيتبناهم عدد من الامراء الشراكسة ويصبحون تابعين لهم، يغنون في مجالس الضيافة الخاصة بهم، ويغدق الامراء عليهم المال والهدايا ويتبوأون مكانة اجتماعية مرموقة في إمارة الأمراء، إذ أصبحوا تابعين لهم.

النوع الرابع من الفلكلور الشركسي– اديغة فاشة Adiga Fascha أو اديغة شيغيين Adiga Shegin أي اللباس القومي الشركسي.

يقول احد الرحالة الذين زاروا بلاد الشراكسة في القرن التاسع عشر "تأملوا إلى الزي الاديغي المسمى "أديغة شيغين" Adiga Shegin، فهو وحده، يساوي ثروة كبيرة، إضافة إلى جمال منظره ودقة صنعه، وصلاحيته للاستعمال في شتى الظروف والأحوال والمناسبات الحربية منها او الاجتماعية، كما انه يناسب العمل في الحقل او البيت ويتكون من لباس الرأس المكون من (القلبق) الاسطواني الشكل المصنوع من جلد الماشية، والغطاء الثاني (باشلق) المصنوع من القماش الاملس أو الخشن، والقميص ذو القبة الدائرية المحكمة الإغلاق – دون طيات – ويصنع إما من القماش الخشن للبس في الشتاء، أو من الحرير للبس في الصيف. والازرار التي تصنع من قطع صغيرة من الخشب او المعدن الذي يغطى بجلد الحمل .

أما السترة المخصرة (جانه) التي طورها (الاديغة) قبل الامم الاخرى ذات الاكمام الطويلة بغرض استعمالها كقفازات في الايام الباردة، وذلك قبل انتشار القفازات المعروفة حديثا، وكذلك ابتكار مخازن (الخراطيش) المخاطة على شكل جيوب اسطوانية الشكل على جانبي الصدر، وقبل اختراع (الخراطيش) والاسلحة النارية كان الشراكسة يستخدمون هذه الفتحات لتخزين (اعشاب طبية) متنوعة لمداواة جروح المحاربين في المعارك.

وأما (البنطال، والحذاء عالي الساق) فيشبهان ما كان مستخدما في اوروبا، وقبل التوصل لصناعة الجوارب اعتاد (الاديغة) على لبس حذاء او خف خفيف مصنوع من الصوف المغزول أو القماش، وعندما يعود الرجل، او المحارب الى بيته، يخلع الحذاء الخاص بركوب الخيل حتى لا تنتقل الاوساخ العالقة به إلى داخل البيت، ويتنقل داخل منزله منتعلا الخف الخفيف المسماه **(فاقه).**

وتابع وصفه للباس النساء بقوله:

"وملابس النساء جميلة جدا، مطرزة بخيوط من الفضة والذهب، ومكونة من القلنسوة (البأة) كلباس للرأس، والصدرية التي تشبه (الدرع) في شكلها ومصنوعة من القماش الاسود في العادة، وتلبس فوقها فستان طويل مفتوح من الأمام (ويقصد به الكاب) يغطي القدمين، مع اكمام عريضة وطويلة جدا فيلامس الأرض تقريبا.[٣٢]

اما الرحالة المجري (جان شارل) الذي زار بلاد الشركس عام ١٨٢٩، ربما كان افضل من وصف اللباس القومي الشركسي للرجال بقوله: ".. إن ملابس الشراكسة الحالية والتي سادت على لباس شعوب القفقاس، خفيفة وانيقة وتتناسب جدا مع امتطاء الخيول وخوض المعارك، فهم يرتدون قمصانا من الكتان او التافتا البيضاء او الصفراء او الحمراء، وتزرر هذه القمصان من الامام، وتدعى لديهم (يانا أو جانا) ويرتدون فوق القمصان سترة من الحرير من أولوان مختلفة وتدعى (كابتال) ومن ثم معاطف (سيروتوك) طويلة تصل إلى أعلى الركبة تسمى (تسية) وتثبت عند الخصر بأحزمة ومثبتات من المعادن الثمينة، وعلى صدر المعطف ومن كلا الجانبين توجد ثمانية اماكن لوضع الطلقات.." ثم يتابع وصفه المفصل لكل من البناطيل والاحذية والقبعات ثم يضيف قائلا:

"... والآن ومنذ سنوات عدة يقف على حراسة أبواب القيصر (نيقولاي) اللواء الشركسي الذي يصل تعداده إلى خمس مائة محارب، يقومون بدور الحرس الامبراطوري، وكل من شاهدهم يقول بأن زيهم العسكري رائع للغاية ويجلب انتباه الكل في العاصمة، وبالفعل فإن للشراكسة شكلهم العسكري المميز وخاصة وهم معتلون صهوات جيادهم، فهم يمتطون ظهور الجياد منذ الطفولة حاملين اسلحتهم، وقد يمضون احيانا يوما كاملا على ظهور الخيل، واسلحتهم من النوع الممتاز وغالية الثمن جدا ويحتفظون بها دائما نظيفة براقة، كما يعتنون بخيولهم طوال الوقت ويضعون عليها سروجا انيقة جدا شبيهة بالسروج المجرية". [٣١].

أما (جوناتوقة) المؤرخ الشركسي فقد قال عام ١٨٤٤ بأن: "اللباس الجركسي في مجموعه يصلح لأن يكون لباس الرجل بكل معاني الكلمة، وأن أنسب الأزياء للرجل الكامل في الحياة العامة

وفي الوقت نفسه هو الزي الجميل المناسب للفارس الخيال، وهو الآن الزي القومي لعموم سكان القوقاز، واتخذته السلطات الروسية القيصرية زياً رسمياً لجميع فيالق (القوزاق) بعد ادخال تعديلات طفيفة عليه. كما يلبسه كثيرون من امراء الامبراطورية الروسية القيصرية.

وأما الفيلسوف الالماني (يوغان غوتنيلد غيرور) فقد وصف ملابس الفتاه الشركسية بقوله:

"أما ملابسهن فكانت تزيد من جمالهن. حيث كن يلبسن اثوابا زرقاء سماوية، تغلق عند الصدر بأزرار فضية، وفوقها تنورة عريضة مفتوحة من الأمام، وسراويل ملونة واسعة، وايديهن مغطاة بأكمام قمصانهن الطويلة المصنوعة من الحرير الأحمر أو الاصفر والمفتوحة حتى المرفق.

الاثواب والسراويل والقمصان كلها مطرزة بخيوط الفضة. وعلى رؤوسهن قبعات صغيرة".[٣٢]

وفي دراسة للعلامة (مورجان) حول العلاقة بين قدماء الشراكسة والحثيين التي نشرها في القرن الاول للميلاد، يؤكد فيها على وجود تشابه كبير بين ازياء وملابس قدماء الشراكسة من الرجال وأزياء الحثيين الذين حكموا شعوب القفقاس في عصور ما قبل التاريخ، وان التشابه كبير في كل من (القلبق) وهو لباس الرأس للرجال وكذلك (التسيه Tsieh) وهو المصنوع من اللباد، واما (القاما) وهو السلاح الشخصي الذي لا يفارق الرجل الشركسي يشبه ايضا (القامه) الحثية [٣٣] ونستنتج مما تقدم بأن الحيثين اخذوا عن الشراكسة الاجزاء الرئيسية المكونة لزيهم الخاص. ودليلنا على ذلك هو ان ظهور الملابس القومية لدى شعوب الامة الشركسية اقدم بكثير من زمن قدوم الحثيين إلى بلاد القفقاس والاستيطان فيها وحكم شعوبها.

*** مكونات الزي القومي الشركسي:**

بالبحث عن تفاصيل الزي القومي الشركسي (قديما وحديثا) وجدنا بأنه يتكون من نوعين من الزي فالأول منه هو: الزي القومي الخاص بالذكور (اطفالا وشبابا ورجالا)، والثاني هو الزي الخاص بالنساء (اطفالا وفتيات ونساء).

أولا: مكونات اللباس القومي الشركسي الرسمي الخاص بالرجال

يتكون الزي القومي الخاص بالرجال من ثمانية قطع من اللباس بالإضافة إلى أربعة قطع من توابع ومستلزمات تكمل الزي القومي، وهي على النحو التالي:

١) (البأة) (Pa'a) وهو اللباس الخاص بالرأس عند الشراكسة ويسمى بالعربية (القلبق) أو (القلنسوة) مصنوع من جاعد (فرو) الخرفان ويكون على عدة أحجام وأشكال.

٢) (الباشلق – Bashliq) وهو عبارة عن وشاح مصنوع من الصوف الابيض ويوضع فوق (القلبق).

٣) (قبتال qapeta) وهو رداء يشبه المعطف الخفيف، مفتوح من الأمام متوسط الطول، يلامس الركبتين، ويوجد على الصدر من كل جهة سبعة جيوب اسطوانية الشكل لها (فتحات) يسمى (حزر Hazer) في كل منها (انبوب) مغطى من أعلاه بقطعة فضية، وكانت مخصصة لخزن (ملح البارود) خلال الحروب والادوية قبل مرحلة اختراع البارود، و(القبتال) يكون اسود اللون أو ابيض، واحيانا أحمر اللون أو أزرقه.

٤) (شاكوا. Shakwa) تشبه العباءة الطويلة مصنوع من الصوف، بدون أكمام، ويغطي الفارس من عنقه ويتدلى على ظهر الحصان من الخلف لوقاية كل من الفارس والحصان من البرد أو المطر.

٥) قميص (جانا – Gana) ذات رقبة عالية يغلق بأزرار من الامام بـــ (عرواة) قماشية، أبيض اللون أو أحمر ومصنوع من الكتان أو أي نوع قماش مناسب.

٦) (بربخ) (Bereb'x) وهو الحزام الجلدي، رفيع وذو شراشيب جلدية مُزخرفة بصفائح من الفضة.

٧) (غون – جك) (ghwen – cheg) وهو عبارة عن (سروال طويل) مصنوع من القماش الاسود ذا ارجل ضيقة من الاسفل، وسراويل الخيالة تكون منتفخة للخارج من مستوى الركبتين، ومخاط عليها من الداخل قطعة جلدية لحماية البنطلون من أثر الاحتكاك بجسم الحصان او بالسرج.

٨) (فاقة – Vaqeh) الحذاء الطويل (الجزمة) وهو يصنع من الجلد ويكون احيانا قابلاً للفتح من الجانب لسهولة اللبس، ويغلق برباط جلدي، ويمكن ان يكون (الساقان) منفصلين عن الحذاء نفسه، وفي هذه الحالة يرتدي الرجل الحذاء العادي ذا الرقبة المرتفعة.

لوازم وتوابع الزي القومي الشركسي للرجال من أدوات وأسلحة شخصية وتتكون من الأدوات والمستلزمات التالية:

١) (القامة) (أو الخنجر الشركسي) فهو أكبر من الخنجر وأصغر من السيف العربي، وله مقبض مصنوع من المعدن المطعم بصفائح فضية. أما النسل فهو مصنوع من المعدن حاد من الجانبين وذو رأس مدبب.

٢) (قامشة quasheh) وهو من مستلزمات الفارس الشركسي ومعناه (الكرباج او السوط) ويتكون من قطعتين متصلتين ببعضهما برباط جلدي من الوسط، فالقسم العلوي مصنوع من مادة صلبة (خيزران مثلا) مغطى بطبقة جلدية وله مقبض. أما القسم السفلي فهو أقل سماكة من القسم العلوي مصنوع من مادة مرنة مثل الجلد، وثبت في نهايته قطعة جلد رقيقة منبسطة حتى لا يؤذي جلد الحصان عند ضربه من قبل الفارس.

٣) (الكراخوة Carakhwa) وهو سلاح شخصي كان يحمله قدماء الشراكسة بشكل دائم، ويعتبر حمله من مقومات الرجولة ومن مستلزمات الدفاع عن النفس، يشبه الطبنجة أو (البندقية القصيرة) فهي أكبر من المسدس وأصغر من البندقية العادية، مقبضها مغطى برقائق من الفضة كما ان فوهتها تكون مزخرفة بالفضة ايضا.

٤) (سَ شخوة schxwe) وهو السيف الشركسي ويشبه السيوف المعروفة حاليا مع الاختلاف في الطول، فهو متوسط الطول كما ان غلافه الخارجي (البيت) مغطى برقائق من الفضة، ونصله مقوس قليلا ومدبب الرأس وحاد جدا من طرف واحد وليس من طرفين.

٥) (وانه – Waneh) وهو سرج الحصان ويصنع من الجلد، يثبت عليها مخدات قطنية على شكل نصف دائرة عددها (٤) مخدات بحيث يساعد ركوب الفارس مدة طويلة دون ان يتعب، كما كان طول (الركاب) يسمح بالوقوف عليه مما يسمح للفارس حرية الحركة لجميع الاتجاهات بدون اعاقة.

٦) (وبا – Wepa) ويتكون من الرسن واللجام، واللجام يصنع بأسلوب يسمح بحركتين او شدتين (تشبه فرامل السيارة المكون من حركتين) فالاولى خفيفة والثانية قوية يوقف الحصان فورا.

ثانيا: الزي اليومي العادي للرجل الشركسي او الفتى او الشاب ويتكون من القطع التالية:

(البآة) أي القلبق، (والجانا) أي القميص (والقبتال) أي المعطف الخفيف (والبربخ) أي الحزام والبنطلون أي (غون – جك) و(الفافة) أي الجزمة (طويل الساق) وقصيرها (والقاما) أي الخنجر، و(الكراوخة) أي المسدس، أما (الباشليق والشاكوه) فكان يلبسهما عند السفر على الخيل وخاصة أيام فصل الشتاء.

ثالثا: مكونات الملابس الشركسية الخاصة بالقتال وتتكون من القطع التالية:

١) الدرع الواقي المصنوع من زردات معدنية على شكل (شبك) يلبسه المقاتل الشركسي لوقاية صدره خلال المعارك.

٢) الخوذة المعدنية، وتصنع من زردات معدنية أو على شكل خوذة معدنية (صلب).

رابعا: اللباس القومي الخاص بالمرأة الشركسية وتوابعه

إن الدارس للازياء القومية للمرأة لدى الشعوب والقوميات القديمة في العالم عامة وفي مناطق القفقاس خاصة، يجد أن الزي القومي للمرأة الشركسية من أجمل الأزياء لدى الشعوب والقوميات الأخرى، وأن هذا الزي ما زال من أجمل الازياء القومية المعاصرة بالرغم من مرور الآف السنين على ابتكارها من قبل شعوب الأمة الشركسية.

وقدم لنا أحد المختصين من القبرطاي في جمهورية كباردينا – بلقاريا وصف الزي الخاص بالمرأة الشركسية قائلا:

"كان زي الفتاة الشركسية الرسمي غنيا بالزركشات الموشاة بخيوط مستمدة من الذهب والفضة تعطي الزي الرونق والبهاء" ويصف زي المرأة الشركسية قائلاً بأنه **الرداء الخارجي**، يتشكل من قطعتين، تمتد حتى خصر الفتاة، ويكون ملاصقا لجسم الفتاة تماما، أما الاكمام فكانت ضيقة ومستقيمة وطويلة حتى الرسغ.

واما القطعة السفلية، فكانت بثنيات او بدون ثنيات وفقا لطبيعة القماش. وكانت الاطراف موشاة بخيوط ذهبية وفضية بينما كان رداء **المتزوجات** خاليا من الخيوط الذهبية واقتصرت على الأزرار والأحزمة الفضية.

وبالنسبة للصدرية الظاهرة تحت الثوب الخارجي، فقد كانت تشتمل على اربعة عشر زوجا من المرابط او الازرار (تشوء) وتلبس بشكل يتناسب مع الخيوط والزركشات ذهبية كانت ام فضية.

واما اللباس الذي كان يستعمل في المناسبات والاعياد، لا سيما في حفلات الزواج من قبل الفتيات والسيدات الشابات، فقد كان يطلق عليه اسم (تساي Tesey) ويخاط بحيث تكون الاطراف متباعدة تدريجيا من الاعلى إلى الاسفل وعكس ذلك عند الصدر وعند التقاء طرفي الرداء في منطقة الحزام تخاط الازرار التي لا يزيد عددها عن ثلاثة.

(والتساي) يصنع من الحرير او المخمل. كما أن الجزء السفلي يتكون من سبع قطع حيث تشكل كل واحدة منها شكل اسفين، وكانت الاجزاء الامامية والخلفية تتكون من قطع مخاطة ببعضها البعض، وأما الجانبان فيتكونان من اجزاء مفتوحة من كل جانب، واما الاكمام فكانت رقيقة من اعلى الكوع، عليها قطع من القماش المزركشة بالمطرزات الذهبية. وكان (التساي) يزين (مقطع) ذهبية وفضية كبيرة الحجم.

وأما الاطراف، فكانت تزين بالاشرطة المقصبة، بالخيوط الذهبية أو الفضية. وكان (التساي) في بعض الاحيان يزين بالاشرطة المقصبة بالخيوط المذهبة فقط، وكانت الفتاة ترتدي تحت التساي، قميصا حريريا ملونا محاكا على طريقة التساي، ويمتد القميص الى ٣٠ سم تحت الحزام. وكان يشد بأزرار او مرابط ذهبية او فضية عند الصدر، وتظهر من تحت التساي، وكان القميص يحاك من الحرير او المخمل بزخارف بديعة والوان زاهية مع بطانة رقيقة. والحزام الفضي او الذهبي الذي

كان يستعمل فوق التساي اختلف شكله عند النساء عنه عند الفتيات بعرض مربطه، فكان عند النساء اعرض.

كما كانت الاحزمة اكثر اناقة ولها خشاخيش صغيرة على مربط الاحزمة وقد زين بالاحجار الكريمة وبالمذهبات.

اما "الانشوغ" فكان يحاك بخيوط من الذهب، ويزخرف بأشرطة مذهبة وقطع من القماش المزركش[٣٢]. كما هو مبين في الصورة المرفقة.

واما الكاتب (جموخة) فكان اكثر تفصيلا في وصفه للزي النسائي الشركسي بقوله: "كانت ملابس النساء أكثر زخرفة من ملابس الرجال. فالمعطف الخارجي، سواء أكان طويلا أم قصيرا كان مصنوعاً من مختلف أنواع الأقمشة، والصدر مزرر باثني عشر زوجا من (الابزيمات) المزينة بالفضة والطلاء الذهبي، وكان الجزء العلوي من الثوب دون بطانة من الداخل، ويسمى "تساي" (Tesey) وكان لهذا الثوب كمين مخمليين متدليين، مطرزين بخيوط مذهبة وفضية.

والقميص (الصدرية) الحريري أو القطني الخفيف، يكون بكمين طويلين وعريضين، يطولان حتى يصلا الأرض تقريبا، ويغطيان القدمين أيضا، وما يعطي الانطباع بأن النساء الشركسيات ينزلقن على الأرض عندما يرقصن. وكانت النساء والفتيات يرتدين بناطيل عريضة مصنوعة من أقمشة مقلمة، وكانت بنات الطبقات الراقية يرتدين معاطف من مختلف أنواع الفراء، مغطاة بأنسجة مقصبة او مطرزة، أو انسجة قطنية أو فضية، وموشحة بخطوط فرائية بعرض تسعة سنتيمترات تقريبا. أما عامة الشركسيات والفقيرات من النساء، فكن يرتدين معاطف مصنوعة من جلود الأغنام.

وكانت تلبس الحزام الشركسي (الجلدي) الأحمر، أو بأي حزام من الجلد، مزين بدبابيس ذهبية أو فضية، وبخيوط وشراريب من فضة.

وكان المشبك (الابزيم) مصنوعا من ذهب او فضة أو نحاس، حسب المرتبة الاجتماعية. فنساء الطبقات العليا ميسورات الحال، كن يرتدين (حلية) فنية كبيرة متدلية مصنوعة من الذهب أو الحجر الكريم.

وأما القلنسوات النسائية فكانت مصنوعة من القماش العريض، ونادرا ما كانت من المخمل، لكنها لم تكن أبدا من الفراء، وكانت تزين بزركشة رفيعة من الفضة أو الذهب في أعلاها، وبآخر عريضة في الإسفل، ومطرزة بدرزات من الساتان. ويغطي القلنسوة خمار أبيض شفاف. وفي غالب الاحيان، كانت تزخرف بأزرار من الفضة الخالصة، وذات بريق ولمعان في طرفها، وكان لبعض القلنسوات شراشيب صغيرة تتدلى من الطرف العلوي. تسمى "شهينشوق"، وهي مختلفة عن قلنسوة الفتيات اللواتي كن يضعن غطاء على الرأس، ويكون في العادة وشاحا من الحرير، مع بقاء الوجه سافرا. أما النساء الأكبر سنا، فكن يغطين شعورهن بشالات بيضاء مصنوعة من القطن.

وكانت النساء يلبسن أحذية ذات أكعاب عالية، ونعل سميك، وجلد ناعم، وكانت أحذية بنات الاثرياء مزينة بشكل بارز بالذهب والفضة، كما ان الصبايا والفتيات من بنات النبلاء والاسر الغنية يرتدين أحذية خشبية (بحة فاقه – Pxevaqe) بمختلف اشكال الزركشة ويصل ارتفاع الكعب إلى حوالي سبعة سنتيمترات، كما كن يلبسن في مراحل لاحقة (قفازات طويلة مصنوعة من القماش او الصوف).

وجرت العادة عند سن البلوغ، مطالبة الفتيات بارتداء صداريات قصيرة ضيقة دون أكمام، مصنوعة من الجلد (الاحمر) او الجلد الاعتيادي، أو من القماش، ترتدينها تحت القميص الفضفاض. (وهذا ما يذكرنا بالمشدات والصداريات الاوروبية) وكانت هذه الصدارية تشد بإحكام بشريط حريري، وتغطي الصدر حتى حزام الخصر. وإضافة إلى تدعيم الجسم، فإن الصدارية تعمل على الحد من نمو الثديين، وتظل الفتاة محتفظة بهذه المشدات حتى ليلة عرسها، حيث يقوم العريس بنزعها

(بالقاما). ولم ترتد الشابات الملابس الأكثر تواضعا إلا بعد الزواج، عندما يبدأن تغطية الرأس بقماش من الكتان الابيض، الذي يزم تحت الذقن. [٣٣]

نستنتج مما تقدم من اوصاف للزي القومي للمرأة الشركسية بأنه يتكون من (تسعة) قطع، وهي على النحو التالي:

١- (البآة) وهو لباس الرأس الخاص بزي المرأة الشركسية مصنوعة من القماش المخمل المطرز بخيوط فضية أو ذهبية ولها عدة احجام وأشكال فمنها المرتفع قليلا ومنها المنخفض.
واما العرائس والفتيات فكن يلبس على رؤوسهن قبعات وعلى حافتها شرشوبة من الفراء الثمين، والعروس كانت تحتفظ بالقبعة حتى الولادة الاولى وعمها (والد زوجها) هو الشخص الذي كان يحق له ان يرفعها عن رأسها وعليه ان يجزل العطاء لوليدها ويقدم إليه خير ما عنده من الماشية والخيل وغيرها حسب العادات والاعراف الشركسية.
وتستعيض العرائس عن القبعة بمنديل من الحرير، والنساء المتقدمات في السن كن يغطين رؤوسهن بمنديل ابيض مصنوع من القطن أو الحرير.

٢- (آلا – ش – Ala – sha) يشبه الاشارب او المنديل الذي ترتديه النساء المسلمات ومصنوع من أي نوع من القماش الشفاف الخفيف أو من الحرير ذي اللون الأبيض ويوضع فوق (البآة) او غطاء الرأس ويتدلى إلى الخلف وإلى مستوى اسفل الركبتين كما يغطي الكتفين.

٣- (جانا) وهي الصدرية القصيرة وتصل إلى مستوى خصر المرأة ومصنوعة من القماش الاسود السميك نسبيا وتغلق من الامام بقطع قماشية عرضية مطرزة بالذهب أو الفضة، ولها رقبة عالية مغلقة بالكامل وليس لها أكمام (وتشبه شكلا درع المحاربين القدامى) ويمكن ان يكون لونها غير الاسود، وإن كان الأسود هو اللون الرسمي لزي المرأة الشركسية.

٤- (بيربخ) (Berebx) وهو عبارة عن (زنار) حزام ذا تصميم خاص مصنوع من رقائق المعدن المرصع بالفضة أو الذهب عريض الشكل عند التشبيك من الامام وأكثر عرضا في الاجزاء الاخرى من الزنار.

٥- (تساي اوتسي Tesey) ويشبه (الكاب) او الجلابية النسائية الطويلة (التي تغطي الكعبين، اسود اللون، مصنوع من القماش المخمل أو القماش القطني السميك مطرز طوليا بخيوط فضية ابتداء من مستوى (الخصر) وحتى اسفل (الكاب) وبمعدل من (٣-٤) خيوط طولية من الامام. مغلق من مستوى (الزنار) وحتى نهايتها بمشابك نحاسية (ازرار) أو (Zeb) سحاب، وأما الجزء العلوي الامامي فوق الحزام فيكون مفتوحا، لإبراز جمال الصدرية المطرزة بخيوط الذهب أو الفضة.

٦- الصدرية، وهي عبارة عن مشد مصنوع من الجلد أو القماش ويغطى منطقة صدر الفتاة غير المتزوجة وكانت الصدرية تشد بأحكام بشريط من الحرير، والهدف من لبسها هو ايقاف نمو الثديين على اعتبار ان جمال الفتاة بتناسق جسدها وعدم بروز الثديين وتستخدمها حتى ليلة الزفاف وعلى العريس نزعها برأس (القاما) دون خدش صدرها.

٧- (غون – جك) وهو السروال (البناطيل) المصنوعة من القماش المخططة (مقلمة) في العادة تكون لها ثنية من أسفل عند مستوى (الكاحل).

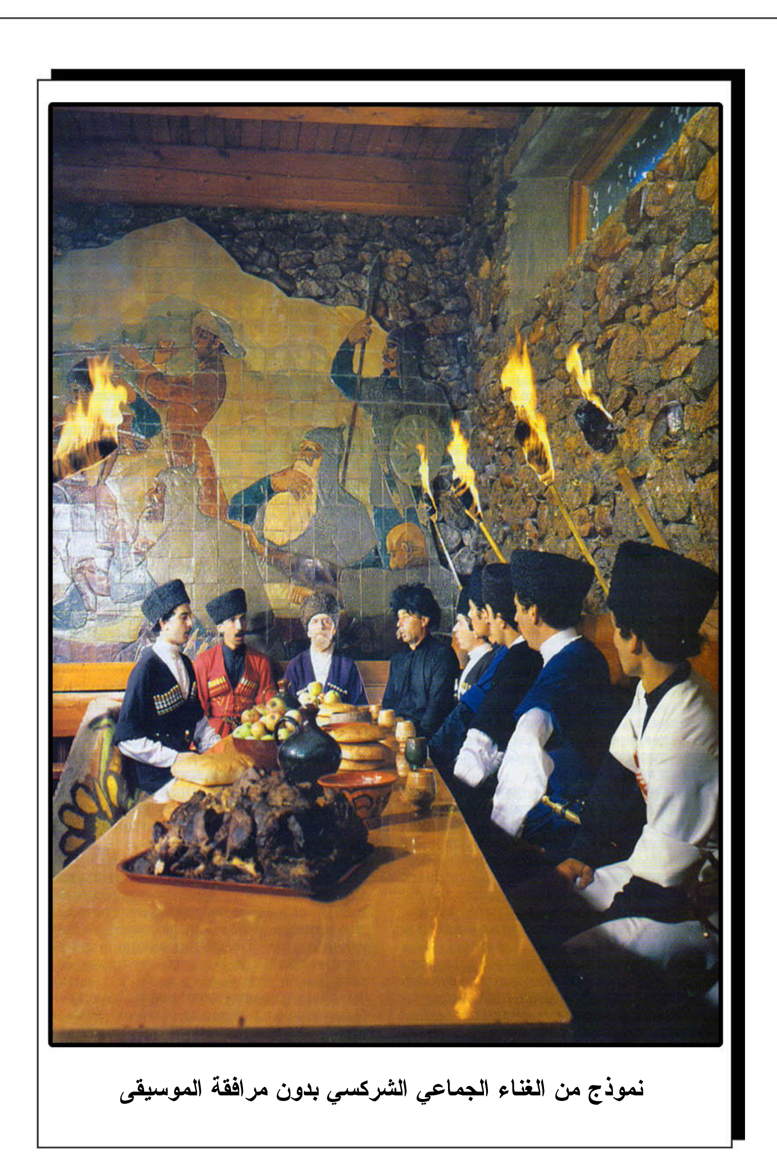
٨- (الفاقه – Vaqa) وهو الحذاء النسائي ويصنع على عدة أشكال وأنواع وألوان يكون نعله من الاسفل جلداً ومن القماش المطرز أو المخمل، كما ان الحذاء يختلف ما بين حذاء برقبة او بدونها، وفي عهد الاقطاعيين بدأت الفتيات الارستقراطيات لبس احذية مصنوعة من الخشب المزركش ذات كعب عالٍ يصل إلى (٧ سم).

٩- الحقيبة اليدوية النسائية، وتصنع من القماش المخمل مطرز عليها خيط من الذهب أو الفضة ذات زخرفة جميلة، وهي مخروطية الشكل، ضيقة من الاعلى وعريضة في القاعدة. قابلة للانطواء طوليا، ولها مقبض قماشي من أعلى.

نماذج من صور المغنيين الشراكسة في الوطن الأم القدامى (فردي وجماعي)



نموذج للغناء الفردي والجماعي الشركسي مع الموسيقى



نموذج من الغناء الجماعي الشركسي بدون مرافقة الموسيقى

نماذج من الصور تمثل فرق الموسيقى الشركسية في الوطن الأم



فرقة موسيقية شركسية من الوطن الأم باستخدام جميع الالات الموسيقية الشركسية القديمة والحديثة



فرقة غنائية / موسيقية للأطفال الشراكسة



فرقة موسيقية شركسية باستخدام اكثر من (طبل)



عازف وعازفة شركسية على آلة القيثار – شكابشينه



عازف على الناي، وآلة القيثار الشركسي

نماذج من الرقص الشركسي القديم والمعاصر في الوطن الأم



رقصة السيوف



رقصة أخرى



الرقص "ليزغينكا" وهي رقصة قوقازية / شركسية قديمة



حركة القفز في الهواء نوع من أنواع الحركات المطلوبة للرقص الشركسي السريع



رقصة جماعية من الشباب والشابات مع حمل احد الراقصين عاليا على الاكتاف

نماذج من الملابس الشركسية القديمة للرجال والنساء



نموذج لحياكة (تفصيل) اللباس (القومي) للمرأة الشركسية منذ القدم



نموذج آخر من لباس المرأة الشركسية



نموذج لحياكة لباس القومي للرجل الشركسي منذ القدم



نموذج آخر للباس القومي للرجال مع (الشاكو)

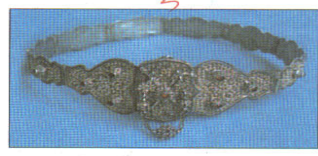
نماذج من ملحقات اللباس القومي الشركسي للنساء

ТРАДИЦИОННАЯ КУЛЬТУРА



Нагрудник — «БгъэIуль» к женскому национальному костюму. Сел. Хамидие (КБР)





Женские пояса

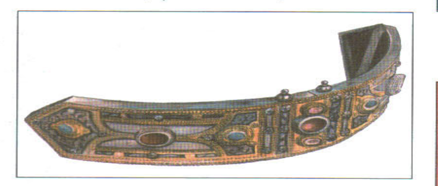


Женские пояса, девичьи пояса, женский головной убор



Женский пояс

Женские пояса. Рисунки Н. Ф. Луниной. (Архив КБИГИ)





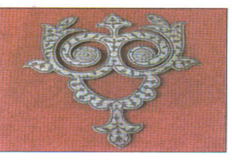
Традиционный нагрудник



Женский башмак (ходули). Сделан в 1871 г. Рисунок Н. Ф. Луниной. (Архив КБИГИ)



Специальная женская обувь — ходули. Дерево, латунь



Элемент серебряной нашивки



صورتان تمثلان لباس القومي الشركسي مع (الشاكو)







زيد وحمزة نارت مامسر (باتسج) من الجيل الرابع لشراكسة الأردن في اللباس القومي الشركسي

مراجع ومصادر

١) كوبه، شعبان، **الفلكلور الشركسي في الاديغي**، مجلة الاخاء، الجمعية الخيرية الشركسية/ وادي السير الاردن، العدد (١٢) السنة (٢) حزيران ١٩٧١، ص: ٢.

2) Adighe. R, Cherkess cultural life, in Caucasian Review, Munchich, No. 2, 1456. pp. 85-104.

3) Jaimoukha, Amjad. The Circassians (a hand book), Cunzon press, England. 2001, pp. 238-239.

4) Abrahmou. M. Arseni, Three Songs: song of the staknanovites, 2. Hamid, 3 Cradle Song 1936-1939.

5) Keshokov., Alim, Songs of. Thekolkho2, Horse herd, the mother. Street Star. 1955.

٦) جموخة، أمجد، مصدر سابق، ص: ٢٣٤-٢٣٥.

٧) مجلة الواحة، الجمعية الخيرية الشركسية / عمان العدد (٢٩) شهر ايار ١٩٧٧، ص: ١٥.

٨) مجلة البروز، الجمعية الخيرية الشركسية – دمشق العدد (١١) ص٣١.

٩) جموخة، أمجد، مصدر سابق ص: ٢٣٣ – ٢٣٤.

١٠)يزبك، باتريك، مصدر سابق ص: ٤٧-٤٨.

١١)مامسر، محمد خير، نقلا عن معمر شركسي من شراكسة الاردن – عام ١٩٥٢.

١٢)جموخة، أمجد، مصدر سابق، ص: ٢٣٩- ٢٤٠.

١٣)شامي، جانسيت برقوق، الرقص الشركسي، مجلة الواحة، الجمعية الخيرية الشركسية، عمان، ترجمة محمد خير قبرطاي العدد (٤) عام ١٩٨٤، ص٢٨-٣٠.

١٤)جموخة، أمجد، مصدر سابق، ص: ٢٤١-٢٤٢.

١٥)حفتزة، محمد، **مونيكا شامرزا راقصة البالية العالمية**، ترجمة محمد خير خواج، مجلة الواحة، الجمعية الخيرية الشركسية – عمان، العدد (٢٧) شهر اذار ١٩٧٧، ص: ١٤-١٦.

١٦)مجلة الواحة، **الشركسي الذي يزين سيرك باريس**، الجمعية الخيرية الشركسية، عمان العدد ٢١ شهر نيسان ١٩٧٧، ص: ١٨.

١٧)جموخة، أمجد، مصدر سابق، ص: ٢٣٧.

18) Raywozov, S. N, Kabrdinian Songe.

19) Giny, Khan, Circassian Musican Song in Carly part of the 19th Century, 1987, pp. 110.

٢٠)نغموقة، شورا، مصدر سابق، ص: ٢٣٠.

21) Taneyev, Sergei. Musicbook of kubadian and Balkar Songs. 1987.

٢٢)جموخة، أمجد، مصدر سابق، ص: ٢٢٤-٢٢٨.

23) Kandanov. H, Songs, Nalchik. Elbrus press – 1987.

٢٤)جونا توقة، عزت، مصدر سابق، ص٢٢٩-٢٣٠.

٢٥)تراوبنسكوي، – Trabontzkoy – مصدر سابق ١٩٢٥.

٢٦)لابينسكي . ت .Lapinski, T – مكانة المغنين المتجولوين (وردؤة) في المجتمعات الشركسية عام ١٨٦٢.

٢٧)اوزيك، باتريك، **أساطير النارتيين والتاريخ الحديث للشراكسة**، مصدر سابق، ص: ٨١.

٢٨)جموخة، مصدر سابق، ص: ٢٢٦- ٢٢٩ – ٢٣٠.

٢٩)شارل، جان، **العالم المجري المختص بدراسة ثقافة الشعوب الذي تجول في بلاد الشراكسة** وعاش معهم فترة من الزمن ابتداء من عام ١٨٢٩.

٣٠)جوناتوقه مت عزت، **تاريخ القوقاز**، ص: ٩٧-٩٨.

٣١)شارل، جان، ونقل عنه (جوناتوقة) في **كتابه تاريخ القوقاز** ص: ٦٢-٦٦.

٣٢)مجلة الواحة، الجمعية الخيرية الشركسية، عمان، **من التراث الشعبي الشركسي، زي المرأة الشركسية**، العدد (٢٦) شباط عام ١٩٧٧ ص: ١٢-١٣.

٣٣)جموخة، أمجد، مصدر سابق، ص: ١٩٥-١٩٦.

٣٤)سمكوغ، برزج، **الشركس في فجر التاريخ** – مصدر سابق، ص: ١٩٥.

٣٥)تسوخونه، حسن، إيرينا حسن تسوخونه، **القاموس الشركسي الروسي، الانجليزي، التركي نالتشك** عام ١٩٩٨، ص١٨٨ – ١٨٩.

الفصل الخامس

ابعاد الثقافة القومية الشركسية للفروسية والرياضة في حضارة الامة الشركسية

أولا: بعد الثقافة القومية للفروسية في حضارة الامة الشركسية التراكمية

ان الدارس لتاريخ اجداد الشراكسة يجد بأن اهتمامهم بتربية الخيول، يعود إلى عصور فجر التاريخ، وأن الأساطير الشركسية تتحدث عن الخيل بشكل دائم، ولعل أشهر تلك الخيول هي (حصان نارت سوسرقة) التي تقول الأسطورة بأنه من سلالة (الخيول المجنحة) والتي رافقته عندما سرق النار من الآلهة.

لم يتجرأ أحد أن يهمل دور الخيل والفروسية عند الشراكسة في أدبهم، فجميع الروايات والكتب التاريخية التي كتبت عن الشركس أشادت بالفروسية عندهم، وتعلقهم بالخيل.

وتقول إحدى الروايات القديمة بأن الجد قال لحفيده وهو يعلمه ركوب الخيل:-

"لا تخف يا بني أوقف رجفة قدميك، إذا فهم الجواد أنك خائف لن يبقيك فوقه وابن (القبرداي) الذي لا يستطيع ان يبقى فوق الجواد لا ينفع لشيء، شد على قدميك، التصق برقبة صاحبك، قل كلاما لطيفا، لا تظن انها لا تفهم، الجياد تفهم كل ما تقوله بلغتنا، لأن الخيل تتحدث بالشركسية هيا.. هيا.. أحسنت.. أولادنا يتعلمون ركوب الخيل قبل تعلم المشي، شعبنا آت من نسل الخيل". (١)

كما تؤكد الدراسات بأن الخيل بالنسبة للشركس لم تكن مجرد وسيلة تسلية ورياضة ولا الرفيق المخلص عبر التاريخ فقط، وحسب ولا هي مجرد مصدر فخر واعتزاز لهم وحسب، بل إنها جزء من روح الامة الشركسية (٢).

ويقول ر. ف. ايركيرت (١٨٨٧) يرجع اهتمام الشراكسة بالخيول إلى عصور قديمة جدا، حيث كان الحصان الرفيق الصبور والوفي والامين والحامي بالنسبة للفارس الشركسي، وهو فخره الاكبر، وصديقه الأفضل، ويقدم له كل شيء حتى آخر انفاسه، ويهرب به ساعة الخطر فيمنحه الفارس الحب والعناية اللذين يستشعرها الحصان مما يجعله يقدم كل منفعة يطلبها منه فارسه" (٣).

ومن اساطير النارتيين بأنهم كانوا (يحلمون) بامتلاك خيل (عجيب) يتصف بقدرات عقلية وجسدية خرافية كالقدرة على الطيران والكلام، واختلقوا خيولا مثل (تخوجية) وهو الحصان والصديق المخلص، والمستشار للنارت (سوسروقة) وحصان (دلدل) لـ (بتراز) و (بسيغوالا) لـ (أشاماز) و (جميدة) لـ (شاويه) وغيرهم. أما (جامانشريك) لـ (أندمركان) فقد يكون حيث كان حصانا حقيقيا، ونلاحظ أنه كان يتميز بصفات الحصان القتالي الرائع، ويقال أنه كان من الجيل الاول لفصيلة حصان (شولوخ) المشهورة. وكان الكثيرون من الأبطال الشراكسة يمتلكون خيلا من فصيلة (شولوخ) غير ان (جامانشريك) ذاع صيته اكثر من غيره، وتقول الاسطورة أيضا إن (اندمركان) ربما ما كان قد مات (عند وقوعه في فخ العدو) لو كان راكبا حصانه (جاما نشريك) المخلص جدا له. (١).

كما تشير الروايات الشركسية القديمة بأن الاحتفالات الشركسية تضمنت ألعاباً ومسابقات (سانه خوافا، تحشخوه غوحيج، فاكوه يحيج، حغوليغو، جكواكو خاسا وغيرها) إلى جانب العديد من الالعاب والمسابقات الرياضية التقليدية أشهرها شورا بسرة أي (الفارس والراجل) وشيغاجه أي (سباق الخيل) وشيغاجيغو أي (العاب الفروسية) وشيقغافة أي (رقص الخيل) ونيشان أي (إصابة الهدف) وقويبلج تشاريشا أي (ربط الجبن المدخن بالعارضة) وزبان أي (مصارعة) الخ. أما جوائز الفرسان التي كان يتنافس عليها فهي المشغولات اليدوية من صنع أمهر الفتيات (كحبال حريرية مجدولة، وقرابات المسدسات) مصنوعة من (السختيان) واكياس تبغ مطرزة بخيوط ذهبية والقلانيس والمناديل وغيرها من الجوائز الرمزية.

وما زال الشراكسة يحبون الخيل، وهم يفرقون بين نوعين: **فرس الركوب (خاقوا)، والخيول العادية أي خيول الجر والحمل (شي)**. وهناك تقليد قديم معروف بين الشركس يقضي بتربية حصان الركوب في قبو تحت الارض لا تنفذ إليه اشعة الشمس ولا الضوء، وحسب ذلك التقليد فإن مثل هذا الحصان لن يصبح حصان ركوب فقط بل افضل حصان يمكن التفكير فيه على الاطلاق. إن التفريق بين حصان الركوب وخيل الجر والحمل ليس تفريقا نظريا فقط، بل يتعدى ذلك إلى الجانب العملي، فمن المعروف مثلا حتى بين الشراكسة في العالم حتى اليوم بأن ال (خاقوا) (حصان الركوب) يجب عدم امتطائه في الفترة ما بين الربيع وآخر الصيف، ويقولون أيضا بأن امتطاء تلك الخيول مقصور على فترة الشتاء حيث انها تتغذى في الشتاء على العلف الجاف. وعندما يبدأ ال (خاقوا) يرعى العشب الاخضر يتوقفون عن ركوبه لأن من معتقداتهم بأن ركوب الخيل (الخاقو) خلال فصل الربيع يؤثر على قدرتها وتميزها في المستقبل [٤].

وربما كان (يخول) من الباحثين المختصين في التراث الشركسي من شراكسة الأردن اكثر الباحثين دقة في وصفه للتراث المتراكم عند الشراكسة عن الخيل بقوله: "**كانوا يحبون الخيل ويحسبونها من مكملات حياتهم**" كما هو مبين في الصورة المرفقة.

كما عدد لنا المظاهر التي تدل على مدى اهتمام الشراكسة بالخيول أهمها:

- النظر للحصان الجيد كاللباس الجيد، والصديق المخلص والحصان الجيد قرة عين الفارس التي تعكس شخصيته.
- اهتم معظم الشراكسة بالخيول وعايروا كل من لا يستطيع تربية وتدريب حصانه.
- حرص الشراكسة منذ عصر الاجداد على تربية الحصان الجيد والعمل على الاكثار منه للحفاظ على نسله.

اهتم الشراكسة منذ القدم مثلهم الشعوب الأخرى التي تهتم بتربية الخيول بكل ما يتعلق بنسل الخيول ودورة حياتها، والتكوين التشريحي للحصان القوي والحصان الضعيف وغيرها من القضايا العلمية الاساسية التي تتعلق بتربية الخيول.

ومن الجدير ذكره بأن الباحث العالمي المشهور **(أيلوني هارتي ادوراس)** بحث في مثل القضايا التي كان الشراكسة من عصر الاجداد يهتمون بها ويحاولون وضع الحلول لانتاج نسل قوي للخيول الاصلية، ووضع العالم (ادوارس) نتائج ابحاثه في كتابه "الاحصنة" وترجمة ساوزتيون، ونشرته مكتبة مدبولي في القاهرة عام ٢٠٠٦.

*** أهم طرق تربية وترويض الخيول:**

كان للشراكسة طريقتهم الخاصة في تربية وترويض الخيول وكان اهم هذه الطرق تتمثل في الاعتبارات التالية:

- السماح للمهر بالرضاعة لمدة حول كامل، وفي عمر السنتين يتم فصل الذكور عن الاناث.
- في عمر اربع سنوات يتم اختيار الخيول الذكور التي سيتم اعدادها (كفحول) وفصلها عن باقي الخيول، واستخدامها للاكثار وتحسين نسل الخيل.
- اعداد خيول الركوب بعد (خصيها) والبدء بترويضها على التحمل والركض لمسافات طويلة، وقطع الانهار والمياه العميقة، والركض في الأراضي الوعرة والغابات والأراضي المحروثة. وكانوا لا يركبون الخيول حتى يصبح عمرها سبع سنوات. كما كانوا لا يحبذون ركوب الاناث من الخيل [٥].

منشأ الخيول وأنواعها عند الشراكسة:

بالنسبة لمنشأ الخيول وانواعها، يؤكد البرفسور (فرانز هانز) بأن منشأ الخيل في البداية لم يكن في وسط آسيا كما كان يُعتقد، وإنما كان منشأها في المنطقة التي تضم حضارات شمال القفقاس، وحضارة ما بين النهرين.

كما اكتشف (هانز) ما يقرب (٢٨) نوعاً (فصيلة) للخيول، يعود تاريخها للفترة ما بين (٢٠٠٠-٣٠٠٠) ق. م. وشُبهت هذه الخيول بأنها تنتمي إلى نوع (بريفالسكي) وعلى الارجح أنها كانت في ذلك الوقت حيوانات صيد يؤكل لحمها، وفي العصر البرونزي ما بين (٦٠٠-١٠٠٠ق. م) بدأ امتطاء الخيل واستعماله كوسيلة للتنقل في قفقاسيا.

وأكد (هانز) بأن عربات الخيل الحربية ظهرت قبل الميلاد بألفي سنة وانتقلت بعدها بأربع مئة سنة إلى مصر وبابل. [٦]

وأما حول أسماء الخيول الشركسية (القوقازية) واسمائها فإن (يخول) يذكر لنا اثنين وعشرين نوعا من الخيول الشركسية، كما يجدد لنا عشرة أسماء لخيول شركسية قوقازية اكتسبت شهرة عالمية:

وفيما يلي أهم أنواع الخيول واسمائها كما وردت في التراث الشركسي:

النوع الأول: أبقو:

وهو قوي، كثير التحمل، سريع، وكان يستعمل للركوب للمسافات البعيدة، وقد ورد ذكره في قصيدة الشاعر الشركسي الشهير (توتج تسه كؤ) الذي يصف فيها طبقة (البشه) وعساكرهم من (الورق) بالقول: (لا عمل لهم سوى قطع الطرق) وكذلك: (لست بحاجة إلا إلى أبقو).

النوع الثاني: ألاشا:

وهو حصان قوي، كان يستعمل للجر والركوب ايضا. ومن الامثال الشركسية التي ورد فيها: (الا أشا يسرع اذا ضربته بعكس الحمار).

النوع الثالث: ألب:

وهو نوع من الخيول ورد ذكره كثيرا في الاساطير والحكايات التراثية الشركسية، ويوصف بالقوة والتحمل، وتحكي الاساطير أنه كان يقفز عن الانهار، والجبال وفي بعض الاساطير يذكر أنه كان حصاناً مجنحاً (مجنح)؟؟

النوع الرابع: برول:

وهو قصير الرقبة، قوي جدا، ورد ذكره في كثير من الأساطير والحكايات ويقال في الامثال الشركسية: (قوة البرول تعادل قوة سبعة جياد).

النوع الخامس: دول – دول:

وقد ورد ذكره في كثير من الاساطير، ويمتاز بالقوة والذكاء والسرعة، وجاء في قصيدة النارت (بترز) بيت يقول: (ما إن هم بمناولة سيفه، حتى اقترب "الدول دول" الذكي من الفارس).

النوع السادس: يملتش:

وهو غير أليف لم يستعمل قط للركوب أو الجر، ولم يروض وجاء في قصيدة الأديب الشركسي (مشباش اسحق) بقوله: انتصب ال (يملتش) على رجليه الخلفيتين وسقط الرجل مثل كيس محشو.

النوع السابع: ييساني:

وهو عال، ذو قوائم طويلة، جميل المظهر، يمشي على أطراف حوافره، وكان يستعمل للركوب في الحروب، وجاء اسمه في الأشعار الفلوكلورية: منها (أخرجت الييساني الذي لم تقلم حوافره بعد، من الحظيرة).

النوع الثامن: بشّه غوالا:

أبيض اللون، ضارب إلى الصفرة قليلا، وكان الشراكسة يتطيرون من امتطائه وجاء ذكره في الاغاني الفلوكلورية مثل: "وصل ممتطيا ال (بكئه – بشه غوالا).

النوع التاسع: فارا:

هو من أكثر الخيول الشركسية شهرة في التراث الشركسي، ورد ذكره في كثير من الاساطير والحكايات، وكان يستعمل للركوب وجاء ذكره في الامثال الشركسية: بقولهم "حتى من لم تلدها (الفارا)، ليست سوى فرس هزيلة".

النوع العاشر: تشه مد:

من الخيول التي ورد ذكرها كثيرا في الاساطير النارتية الشركسية، وهي من الخيول التي تتحمل كثيرا، وإن كان مظهرها لا يوحي بفعاليتها.

النوع الحادي عشر: كاكئوه أو وخاكوّه:

وهو حصان، ضخم، جميل المظهر، من سلالة معروفة، يستعمل للاكثار وتحسين النسل، وجاء في الامثال الشركسية: "الخيول الجيدة هي التي من نسل ال (كاكئوه) الجيدة.

النوع الثاني عشر: شه قاره:

وهو مائل للسواد، وكان الشراكسة يحبذون استعماله للركوب، وورد ذكره في قصيدة للشاعر (برنقوه مراد) "جوادان من نوع (شه قاره) يعض الواحد منهما الآخر، ويقضمان اللجام".

النوع الثالث عشر: شه تخوه:

وهو حصان ابيض، مائل للصفرة، ولم يكن الشراكسة يحبذون ركوبه، وذكر في التراث في معرض وصف جيش من جيوش القوزاق. "كانت معظم خيول الجيش من ال (شه تخوه) المقصوصة أعرافها وأذيالها".

النوع الرابع عشر: شوشه:

كان يستعمل في الحروب، وفي الأسفار الطويلة، فهو كثير التحمل، ولم يكن يستعمل لجر العربات مطلقا. ويرد اسمه في معظم القصص والأساطير الشركسية، وهو لا ينفرد بلون محدد او نوع محدد من الخيول، ويدل اسمه عليه، فهو مكون من مقطعين (شو) اي فارس، (شه) اي جواد، ويعني الجواد الذي له منزلة مميزة عند الفارس، وما يبين انه مميز، اقترانه بالفارس والفقرة التراثية التالية تبين اهمية مثل هذا النوع من الجياد عند الشراكسة:

"**لقد قتلت ابني الوحيد الذي كنت اعتبره بمثابة (شوشه) فعليك ان تفتديه بـ (شوشه) (أي انه يساويه بابنه)!!**

النوع الخامس عشر: شه عدي:

هذا النوع لا يصلح للمسافات الطويلة فهو نحيل الجسم، ومنظره جميل، ويتميز بقوته في المسافات القصيرة، ولكنه يتعب بسرعة.

وجاء في قصيدة للشاعر والكاتب (مشباش اسحق) بقوله: "**فقدوا السيطرة على خيولهم (الشه غدي) فأخذت تتدافع بصدورها**".

النوع السادس عشر: شجي:

لونه احمر مائل إلى الصفرة، وذنبه وعرفه اسودان، وقد ورد ذكره في الأساطير النارتية والحكايات التراثية مثل: "**تكون اول من يصل ال (شجي) الجميل يا نارت (أبشاس)**".

النوع السابع عشر: مزش: ومعناه خيول الغابة:

يطلق على الخيول البرية غير الاليفة، ويكون عادة أصغر حجما من الخيول الاليفة.

النوع الثامن عشر: شوح/ شه

وهو يطلق على الخيول المخصصة لجر العربات.

النوع التاسع عشر: قغاتشه شه أو قفاجه – بشه

ويطلق على الحصان او الفرس المعد للسباقات، وجاء ذكره في التراث الشركسي:

"**يمتطي الحصان الاسود الطويل، وإذا ارخى له العنان، يبدو وكأنه سيطير في الهواء**".

النوع العشرون: شه كئه:

وهو مهر، حديث الولادة، وقد ورد في الامثال الشركسية بمعنى:

"**يجهز سرجا للمهر، وهو ما يزال في بطن امه!!**"

النوع الحادي والعشرون: قونان شه:

ويطلق على المهر من عمر سنتين إلى ثلاث سنوات، وجاء في الاغاني الفلكلورية: بمعنى "فرسي في المقدمة (وقوناني) في المؤخرة".

النوع الثاني والعشرون: حلة زيشه شه:

حصان قوي جدا وكان يستعمل لجر الاحمال الثقيلة، وباستطاعة الواحد منها، جر (٥٠ بودا)* ، أي انه يجر حوالي ٨٠٠كغم.

وفيما يلي نماذج من صور لألوان بعض أنواع الخيول الشركسية في القفقاس التي اشتهرت عبر العصور.

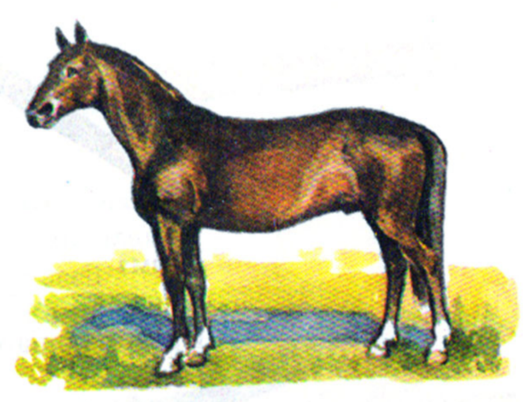
الأسماء المشهورة للخيول عند الشراكسة

عرف الشراكسة بالإضافة إلى الأنواع سابقة الذكر خيولاً بأسماء عديدة، وان أكثر الخيول شهرة كانت تسمى أحد الاسماء التالية: **أتشت، بتش قان، جن جفّ، يغن، قونديت، ترام، ونش، جمان شارق، شاوه تلخو، شجرقو، شيراشت، بتسه غوبل، شيبكو، تخوبل، قب فه.** (٧)

تقسيم الخيول الشركسية بحسب ألوانها:

قسم الشراكسة الخيول إلى ثمانية أنواع بحسب الألوان المبينة في الصور المرفقة.

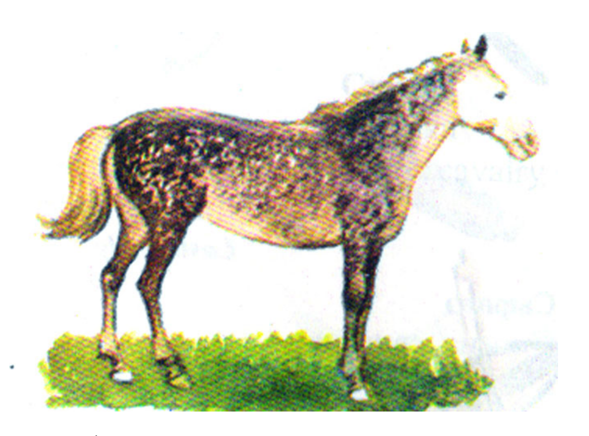
* البودا وحدة كيل قديمة تعادل (١٦) كغم (٥٠بودا × ١٦كغم) = ٨٠٠ كغم.



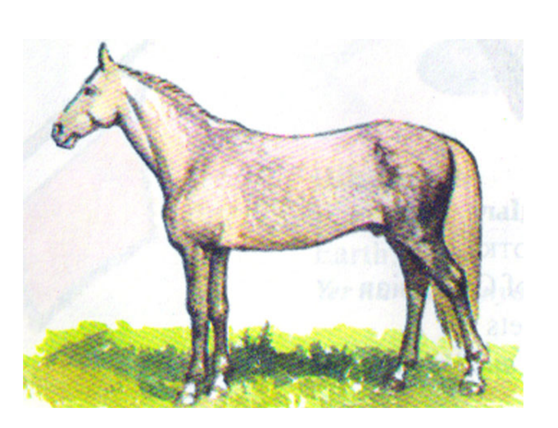
نموذج للحصان ذي اللون الكستنائي الغامق



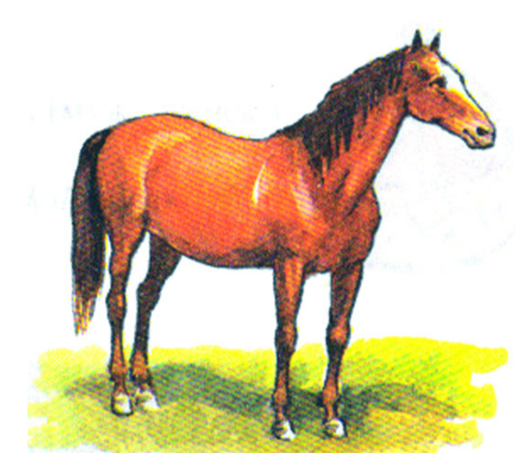
نموذج للحصان السكني اللون



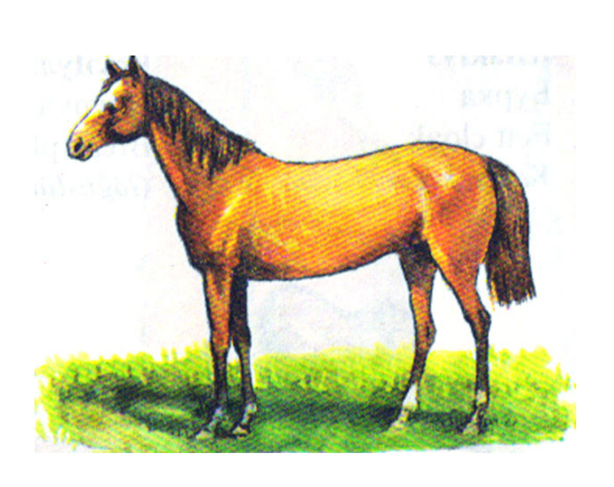
نموذج للحصان ذي اللون الأبيض في رأسه



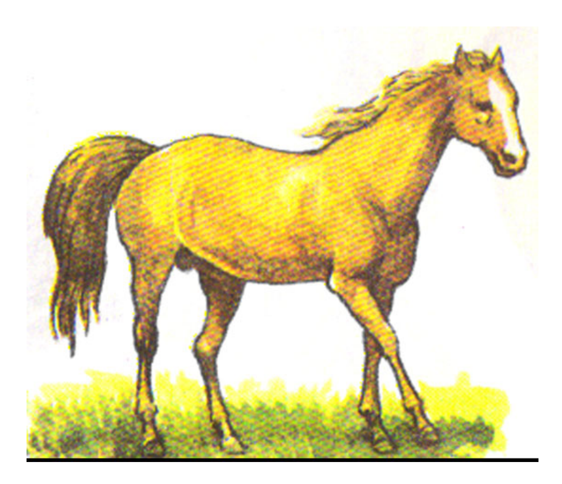
نموذج للحصان ذي اللون الرماد

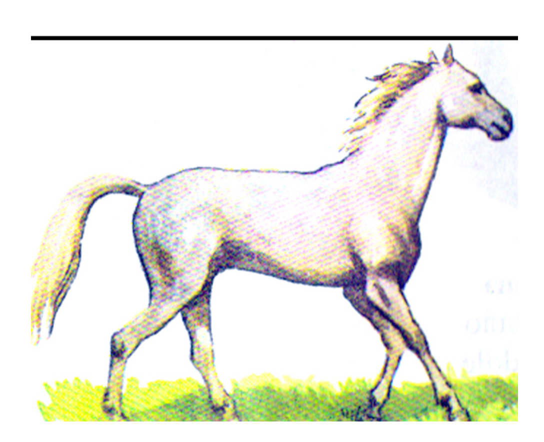


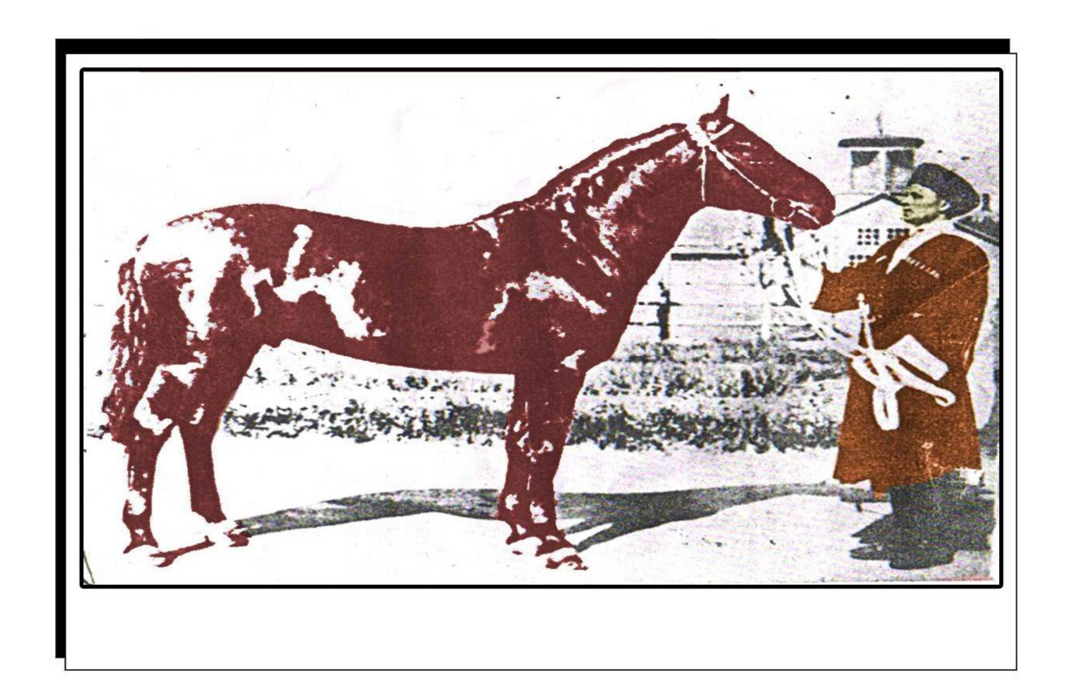
نموذج للحصان ذي اللون الأحمر



نموذج للحصان ذي اللون الكستنائي الخفيف


نموذج للحصان ذي اللون الأحمر الخفيف


نموذج للحصان ذي اللون السكني الفاتح


حصان كباردا ذو الشهرة العالمية

مجالات استخدام الخيل منذ عصر الاجداد

الفروسية عند الشراكسة قديمة قدم قوم (النارتيين) الذين عاشوا في عصور ما قبل فجر التاريخ وفي الازمنة ما قبل الميلاد.

واهتم الشراكسة منذ عهد الاجداد بتربية الخيول لاستخدامها في اكثر من مجال ولأكثر من غاية، ومن أهم مجالات استخدام الخيل لدى الشراكسة كان على النحو التالي:

* **التنقل والترحال والسفر.**
* **الجر والتحميل والنقل.**
* **الصيد ومطاردة الفرائس والرعي.**
* **القتال والاعمال الحربية.**
* **العاب الفروسية ومسابقاتها.**
* **المناسبات الاجتماعية.**
* **السباق والمنافسات.**
* **العروض بعد تدريبها وترويضها.**
* **التجارة والاستثمار.**

وفيما يلي تحليل مجالات كل استخدام من الاستخدامات الثمانية سابقة الذكر وهي:

*** استخدام الخيول للركوب في التنقل والترحال والسفر**

يقول (هانز) بدأ امتطاء الخيل في ققفاسيا منذ العصر البرونزي وفي الفترة ما بين ٦٠٠-١٠٠٠ ق. م حيث استخدم الخيل في الانتقال من القرى إلى المراعي وإلى اماكن الزراعة، كما استخدم في تنقلاته من قرية لأخرى وفي ترحاله واسفاره البعيدة حيث كانت الخيول هي الوسيلة الرئيسية في التنقلات منذ عصر الاجداد[٩].

وكان أثر الخيول التي استخدمها الشراكسة للركوب هي:

- حصان الفارا، وهو من الخيول المشهورة في التراث الشركسي.
- حصان القاره، ورد ذكره في قصائد شعرية مشهورة.
- حصان (الأشا) ورد ذكره في الامثال الشركسية بمعنى "الاشا، يسرع اذا ضربته، بعكس الحمار".

*** استخدام الخيول للجر والنقل والتحميل:**

كان اول استخدام للخيول في جر العربات الحربية من قبل (الحثيين) في الالفية الثانية قبل الميلاد، والشراكسة اخذوا عنهم هذا النوع من الاستخدام.

ومن الخيول التي استخدمت للجر والنقل كانت من نوع:

- (شوج – شه) أو شكوشه وهو مخصص لجر العربات.
- حَله – زشه – شه وهو مخصص لجر الاشياء الثقيلة تصل إلى ٨٠٠ كغم تقريبا.

*** استخدام الخيول في الاعمال الحربية والقتال:**

ومن اهم الخيول التي استخدمها الشراكسة للاعمال القتالية هي:

- حصان (بيساني) وهو ذو قوائم عالية، وجاء ذكره في الاشعار الفلكلورية بمعنى "اخرجت البيساني الذي لم تقلم حوافره بعد من الحظيرة".
- حصان (ابقو) الذي كان يستخدمه عساكر الامراء (البشه) من الشراكسة في حروبهم وفي غزواتهم التي تحتاج قطع الطرق لمسافات بعيدة.
- حصان (شه تخوه) وكان يستخدمه القوزاق في معظم جيوشهم بعد قص أعرافه وذيله.

*** استخدام الخيول في الصيد والمطاردة والرعي:**

لقد كان الشراكسة يدربون الخيول لاستخدامها في رحلات الصيد الطويلة عامة، وفي الصيد في السهول أو على المرتفعات الجبلية خاصة، كما استخدموا في مطاردة الحيوانات البرية مثل الغزلان، والابل، والارانب، بالإضافة إلى صيد الحيوانات المفترسة ذات الفراء الثمين مثل الدبب والنمور .. الخ، هذا بالإضافة لاستخدامها في رعي قطعان الخيول والبقر والماشية على اختلاف أنواعها.

*** استخدام الخيول في ألعاب الفروسية ومسابقاتها:**

إن الدارس لتاريخ استخدام أجداد الشراكسة للخيول، يجد بأنه تطور من استخدامها للتنقل والنقل والصيد والاستخدامات العسكرية والقتالية في زمن الحروب، لاسخدامها في زمن السلم في ألعابهم ومسابقاتهم ومنافساتهم، وكذلك فإن الدارس لألعاب الفروسية لدى الشراكسة التي نشأت في عصر الاجداد قبل اكثر من الفي سنة، يجد بأنها تنوعت وتعددت.

ويقول في ذلك (جموخة): "المنافسات بين الفرسان الشراكسة كانت بين الأبطال، يعرضون فيها مهاراتهم في ركوب الخيل. حيث كانوا يمتطون خيولهم بجميع الأشكال والمواضع، العامودية منها والتعلق بجانب الحصان، كما كانوا يقومون بمناورات وعرض مهارات وحركات خطرة يلتقطون فيها السياط من على الأرض، ويصيبون البيض الملقى على الأرض والحصان بأقصى سرعة له، وكان هناك نوع خاص من مهارات ركوب الخيل، يسمى "شورا – كسير" (وتعني حرفيا: الامتطاء والترجل)، حيث يقفز فيه الفارس، وهو بأقصى سرعة، عن ظهر حصانه، ويعود إلى وضعه الاعتيادي [١٠].

واما الرحالة (جيم بل) فيصف لنا مهارة الشراكسة في فنون ألعاب الفروسية بقوله:

"... وفي الطريق خرج لاستقبالنا احد الزعماء مرتديا درعا من الزرد، وكان مظهره عسكريا تماما، وسبقه مرافقوه للقائنا والحفاوة بنا، ثم ما لبث ان انضم إلينا شاب كنت قد لاحظته سابقا، حيث كان مميزا عن الآخرين ببنيته القوية وحيويته، فقام هذا الشاب باستعراض مهارته امامنا من فن قيادة الخيول، وشهر السلاح في كافة حالات الركوب، ورفع (مغلاق) غطاء السلاح واطلاق النار على قبعة ملقاة على الأرض، والقفز من والى ظهر الحصان، وفي نفس الوقت تجهيز السلاح والتصويب على هدف في الأمام أو خطف السيف من غمده والحصان في اقصى سرعة له.. الخ[١١].

وفيما يلي أهم ألعاب الفروسية عند الشراكسة

يقول (جوناتوقة): "كانوا مولعين بركوب الخيل وتربيتها، ولم يكن أحد منهم يعجز عن الركوب والقفز عن ظهر حصانه او اختطاف خاتم أو قطع النقود عن الارض في حالة الجري السريع، كما انهم كانوا يظهرون مهارة فائقة في تسديد المرمى وإصابة الاهداف بالاقواس ورمي الرماح الطويلة من على ظهر الخيول.

وفي الاعياد القومية كان الشبان يقيمون حفلات سباق الخيل كما كانوا مولعين بألعاب والفروسية وهم على ظهور الخيل.

وكان من اكثر أحب الالعاب إليهم:

اللعبة التي يشترك فيها الخيالة والمشاة وهي لعبة يصطفون فيها ويشكلون دائرة وهم مسلحون بالعصي الطويلة والسياط، ويحاول الخيالة المهاجمة لاختراق حلقتهم والوصول داخل دائرتها.

كما يصف لنا (فيل) لعبة من العاب الفروسية الجماعية كان يمارسها الشراكسة في وقت السلم بقوله: "بعد الطعام بدأ الرقص من جديد، وكان الطعام قد جدد قوى الموجودين على ما يبدو، وأخذ الرقص طابعا أكثر مهارة وحماسة مما كان عليه قبل الغداء، واندمجت الفتيات بالرجال،

وشارك الجميع بالرقص، مشكلين صفا طويلا، ممسكين بأيدي بعضهم البعض، وهم يقومون بالحركات الراقصة، ويغنون بانسجام مع الموسيقى. وقاموا بحركات معقدة بالغة الصعوبة، **وبدأت لعبة جديدة. فقد قام بعض الرجال بامتطاء الخيول، غير بعيدين عنا وركضوا بخيولهم باتجاه صف الراقصين، يريدون اختراقه ولكن الراقصين دافعوا عن صفهم، وكان الأكثرية مسلحين بهروات واجهوا بها الفرسان المهاجمين بضربات على رؤوس الخيل. وهكذا أعاقوا اختراق الصف، وترافق هذا مع ضجة تفوق الوصف، وازدادت الضجة اكثر مع اطلاق النار الكثيف الذي كان متوقفا في فترة الغداء، فقفزت الخيول على قوائمها الخلفية، ثم عاود الفرسان هجومهم بغضب غير عادي، وفي النهاية اختلطت ضجتهم بالصياح والاضطراب العام**[١٢].

وبالبحث عن اهم العاب الفروسية التي مارسها الشراكسة منذ عصر الاجداد حتى القرن العشرين نجد بأنها تتلخص في الالعاب التالية:

*** لعبة صراع الخيول:**

وكانت مباريات صراع الخيول تقام لإظهار القوة الكامنة لدى الفرسان أولا ولقوة الجياد المطهّمة ثانيا. فقد التقى متنافسان وجها لوجه، وحاول كل منهما إزاحة الآخر عن مكانه عن طريق الدّفع بصدر حصانه.

*** لعبة الرجوع للاصل:**

وفيها يقوم فارس وشخص آخر مترجل محاولة طرح الواحد منهما للآخر على الأرض. ومن الخيول التي كانت تستخدم في مثل هذه الرياضة هو نوع اسمه (شه غدي) ورد في قصيدة للشاعر (مشباش) بقوله: "فقدوا السيطرة على خيولهم (الشه غدي) فأخذت تتدافع بصدورها".

*** مسابقة قطع الأنهار العميقة من على ظهر الحصان:**

ظلت هذه المسابقات تمارس حتى أواسط القرن التاسع عشر، وتسمى **مسابقة قطع الأنهار**، وهي من رياضات الفروسية الصيفية، وكان من قواعد هذه المسابقة حفظ الملابس والخنجر والمسدس في كيس من الجلد محكم الإغلاق، ويثبت على ظهر المتنافس. وتبدأ المسابقة بقفز المتسابقين إلى النهر العميق وهم على ظهر الحصان، ويكون الفائز من يصل للضفة الاخرى من النهر اولا.

وفي عام ١٨٣٨، جرت مسابقة كبيرة في "قلعة باخسان"، شارك فيها مائة وستة وأربعون متسابقا، من ضمنهم سبعة من القوزاق، وفاز في ذلك السباق للبالغين (نورس قانقويش) ابن الأربعين سنة[١٣].

*** لعبة الجنود المشاة والفرسان.**

كانت هذه اللعبة الحربية شائعة جدا عند الشراكسة في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، وفيها تقف مجموعة من جنود المشاة، يحملون هراوات وسياطا طويلة في دائرة، بينما تقوم مجموعة الفرسان بمحاولة اختراق هذه الدائرة، وفتح ثغرة فيها، وهي لعبة تتطلب الشجاعة والتكنيك الفني. وعلى الرغم من اندفاع الخيول بقوة فلم تقع إصابات خطيرة. وعادة ما كانت ترافق هذه اللعبة شعائر احتفالية اخرى مثل الغناء والاناشيد الحماسية، كما تبدأ بعد انتهاء مجموعة من رقصات الجماعية مثل (الويج) [١٤].



Т. Горшельт. Джигитовка
Иллюстрации из кн. «Живописная Россия. Т. 9. Кавказ».
(СПб. – М., 1883)

لعبة من العاب الفروسية الجماعية القديمة

*** الالعاب الاستعراضية:**

اشتهر الشراكسة منذ عصر الاجداد وحتى عصرنا الحاضر بألعاب الفروسية (البهلوانية) الاستعراضية ومن هذه الالعاب:

*** تشكيل اهرامات فوق ظهور الخيول:**

وفيها يسير من (٥-٦) فرسان ممتطين الخيل بجوار بعضهم البعض. ثم يقوم (٥-٦) فرسان آخرين مترجلين بالقفز على ظهر الخيل والصعود إلى اكتاف الخيالة، ثم يقوم ثلاثة فرسان آخرين بالقفز إلى إكتاف المجموعة الاولى من الفرسان، ومن ثم يتبعهم فارسان بالقفز والتسلق للوصول إلى اكتاف الخيالة الثلاثة السابقين لهما، وأخيرا يقفز الفارس الأخير ويتسلق المجموعات السابقة حتى يصل إلى أكتاف آخر فارسين، ويقف فوقهما، ويرفع العلم الشركسي. وكان يتم تنفيذ وتتم مثل هذه الحركات، والخيول تجري في سرعة متوسطة.

*** لعبة إصابة الهدف من أوضاع مختلفة :**

في هذه اللعبة، يبدأ الفارس بالجري على قدميه والقفز إلى ظهر الحصان وهو في حالة جري القصوى، وفي نفس الوقت يقوم بتعمير سلاحه والتسديد نحو (بيضة) موضوعة على الأرض، وفي الحركة الثانية يقوم بالهبوط إلى الأرض والحصان في أقصى سرعة له، ثم القفز ثانية إلى السرج والتسديد على هدف ثانٍ أمامه.

وفي الحركة الأخيرة يقوم بالانزلاق من أسفل الحصان (دون أن يلامس أرجل الحصان) والعودة لظهر الحصان من الجهة الاخرى، والتسديد على هدف ثالث، وهكذا، تتم كل هذه الحركات والحصان في أقصى سرعته.

*** العاب المناسبات الاجتماعية:**

استخدمت الخيول في المناسبات الاجتماعية عامة وفي الأعراس خاصة، حيث كان يتجمع العشرات من الفرسان أمام منزل العروس في يوم (الونيشة) وهو اليوم الاخير لاحتفالات الزواج والتنافس في خطف (الدبأة) من إحدى الفتيات والانطلاق بها خارج المنزل بأقصى سرعة، بينما على الفرسان الآخرين اللحاق به ومحاولة اختطاف (الدبأة) والفارس الذي يفوز (بالدبأة) يعود إلى مكان العرس ويهديها (للقشن) أي الخطيبة، اثباتا لبطولته وتفوقه على اقرانه وما زالت هذه العادة مطبقة في القرى في الوطن الأم كما أنها كانت مطبقة في بلاد المهجر حتى السنوات الأخيرة، خاصة في مجتمع التجمعات القروية الشركسية في كل من تركيا والأردن وسوريا.

*** مسابقات الخيول:**

كان استخدام الخيول الشركسية في مسابقات الخيول هو من أشيع الاستخدامات، حيث إن الخيول الشركسية عامة والقبردينية خاصة مشهورة في مقدرتها على تحمل الجري لمسافات الطويلة، كما انها متميزة في سباقات التحمل.

والزائر لنادي الفروسية في جمهورية كباردينيا – بلقاريا – يشاهد عشرات بل مئات الكؤوس والميداليات التي فازت بها الخيول الشركسية (القبردينية) في مسابقات روسية وأوروبية واولمبية، وهناك قول شركسي مشهور خلاصته بأن كل زائر لجمهورية (كابردينا بلقريا) يعتبر وكأنه لم يزرها إذا لم يمر (بمالقا) ليلقي نظرة على جيادها والميداليات والكؤوس التي حصلت عليها، وهي معلقة في نادي الفروسية هناك.

وكذلك فإن أغنية شركسية قديمة تقول:

"بالذهب يمكن ان يتزوج المرء اربع نساء.

لكن (الحصان) الجواد لا ثمن له.

فهو يسابق الريح في السهوب."

ومن اشهر انواع الخيول المخصصة بالسباقات القصيرة لدى الشراكسة في الوطن الأم هـو حصان (شاغوي) لسباقات المسافات المتوسطة وحصان من نوع (قغاشة شـة) لمسافات الطويلة وحصان آخر نوع (شه مد)، وكذلك حصان (الألب) الذي ورد ذكره في أساطير النارتيين حيث كان يقفز عن الأنهار والجبال.

*** الاستخدام الأخير للخيول هي ألعاب التدريب والترويض للخيول:**

جرت العادة أن لا يعتبر الفارس الشركسي فارسا ما لم يتعلم جواده بعـض الاصـطلاحات التي بها ينام او يستيقظ او يسير بخفة وحذر، وكذلك كان الفرسان يعلّمون الجواد أن لا يجفل مـن صوت اطلاق النار، وأن يحرس صاحبه اذا نام وان يوقظه إذا أحس بحركة، وأن ينقض علـى أي انسان أو حيوان يهاجم صاحبه، وأن يحمل صاحبه إلى مسافات بعيدة اذا جـرح، كمـا ان بعـض الخيول تقوم بنقل صاحبه المصاب او المجروح إلى مكان أمين، ويدل اهله عليه، كما كانوا يعلمون الحصان الرقص على أنغام الموسيقى والوقوف على الارجل الخلفية [١٥].

ومن الخيول التي كانت تستخدم في التدريب والترويض نـوع اسـمه (دول– دول) وهـو حصان ذكي جدا ويمتاز بالقوة والسرعة، وورد اسمه في قصيدة من قصائد (النارتيين) ومطلعهـا: "**ما إن قام الفارس من تناول سيفه حتى اقترب منه حصانه (الدول) الذكي**".

وفي العصر الحديث، فإن الفارس الشركسي المشهور جامبوت بشوكوف الذي حصل على أعظم لقب دولي في الفروسية وهو في عمر (٥٣) سنة بفضل حـصانه (كبـاردا) ذي الـشهرة العالمية. كما فازت الخيول الشركسية في الاولمبياد الثاني والعشرين بالميدالية الذهبية [١٦].

والاستخدام الأخير للخيول الشركسية هو استخدام استثماري تجاري:

يقول المؤرخ اليوناني (سترابون) بأن ارمينيا عامة وشعوب قفقاسيا الشمالية خاصة، كانـت تصدر أكثر من عشرين ألف رأس جواد إلى شاه إيران سنوياً [١٧].

نستنتج من قول سترابون بأن الشعوب القفقاسية عامة والشعب الشركسي خاصـة مارسـت تجارة الخيول منذ القرن الأول ما قبل الميلاد، وأن الخيول الشركسية عامة كانت تجد سوقاً رائجـة وإقبالاً شديداً على شرائها.

وفي العصر الحديث وصلت شهرة الحصان الشركسي إلى مختلف انحاء العالم، حيث قامت مجموعة من رجال الاعمال سويديين وهولنديين وايطاليين وفرنسيين وامريكان ويابنيين، بـشراء مجموعة من الخيول الشركسية عن طريق مزاد علني أقيم في قرية (مالقا) من قـرى جمهوريـة كباردينيا – (بلقاريا) ((الشركسية)) وصلت قيمتها إلى ثلاثة ملايين دولار، وكان نـصف مليـون منها ثمنا للجواد المسمى (ايزكوك) والذي اطلق عليه بعد الشراء اسم (قبردينا) لما لهذا الاسم من شهرة في عالم الخيول [٨].

مراجع ومصادر الفصل الخامس/ اولا

١- سمكوغ، برزج، مصدر سابق، ص: ١٨٩.

٢- مجلة الواحة، الجمعية الخيرية الشركسية، عمان، العدد (٤٦) السنة (١٧) شهر آب/ ١٩٨٩، ص. ٣٣-٣٤.

٣- ايركيرت، ف، **الخيول عند الشراكسة**، عام ١٨٨٧، ص: ١٠٨.

٤- اوزبك، باتريك، **اساطير النارتيين**، مصدر سابق، ص: ١٠٠.

٥- يخول، عاطف حاج طاس، **من التراث الشركسي – الخيول عند الشراكسة**، مجلة الاخاء، اصدار فرع الجمعية الخيرية الشركسية في وادي السير، الاردن. العدد (١١٧) اصدار شهر اذار ٢٠٠١، ص: ٣-٥.

٦- هانز، فرانز، **منشأ الخيول**، مترجم إلى اللغة العربية، مجلة الواحة، مصدر سابق، ص: ١٨.

٧- يخول، عاطف، مصدر سابق، ص: ٥.

٨- مجلة الواحة، مصدر سابق، العدد (٤٦) إصدار شهر آذار عام ١٩٨٩، ص٣٤.

٩- هانز، فرانز، مصدر سابق، ص: ١٨.

١٠- جموخة، أمجد، مصدر سابق، ص:٢٠٠.

١١- جيم، بل، رحالة انجليزي زار بلاد الشراكسة عام ١٨٣٩، وكتب عن عاداتهم وتقاليدهم.

١٢- فيل، فون، **السنة الاخيرة لحروب الشراكسة من اجل الاستقلال**، جريدة المعالم الروس عام ١٨٦٥، ترجمة فاخر ديمف، نشر جمعية الدراسات في مقاطعة الاديغية عام ١٩٢٧، ص: ٣٣.

١٣- جموخة، أمجد، مصدر سابق، ص: ٢٠٠-٢٠٠١،

١٤- الحمد، محمد عبد الحميد، **تاريخ الشراكس وآل انزور**، دمشق، عام ٢٠٠٥، ص:٧٧.

١٥- مجلة الاخاء، فرع الجمعية الخيرية الشركسية، وادي السير، الاردن، العدد (١) لسنة ١٩٦٩، ص: ١٠.

١٦- غيرغوف، حسن، **الشراكسة ابطال اوروبا والعالم والالعاب الاولمبية**، اصدار الاكاديمية الشركسية الدولية للعلوم، نالتشيك، ١٩٩٨. ص: ٧.

١٧- سترابون، مؤرخ يوناني قديم، مصدر سابق.

ثانيا: بُعد الثقافة الرياضية في حضارة الامة الشركسية التراكمية

يقول (حسن غيرغوف) مؤلف كتاب "الشراكسة ابطال اوروبا والعالم والالعاب الاولمبية الدولية" [١].

"كان الاهتمام بالرياضة يشكل أحد جوانب الحياة في المجتمع الشركسي على مر العصور، (وإن لم توجد مثل هذه الكلمة في اللغة الشركسية)، وتجسد حب الشراكسة للرياضة في قصص النارتيين بصورة خيالية، حيث كان النارتيون يجتمعون كل عام في (خاسا) أي المجلس، ويقيمون ألعابا عنيفة باستخدام العجلة الفولاذية (جانشارخ) حيث كانوا يطلقونها من أعلى قمة جبل (حرماغورا) وكان احد العمالقة يتلقاها في اسفل القمة ليعيدها إلى الأعلى بضربة رجل او كف او جبيين. كما أحب النارتيون السباقات لمسافات طويلة والعاب المنازلة، والقتال الذي كان الهدف منه (غرز الخصم في الأرض) حتى عنقه، كما بلغت مهارتهم في الرقص درجة مذهلة، حتى استطاع البعض منهم الرقص على لوح خشبي محمول على أيدي فرسان يركبون خيولاً متحركة بسرعة، كما هو



صورة تمثل رقص اثنين من الشراكسة فوق لوحة خشبية محمولة على اكتاف عدد من الخيالة

مبين في الصورة المرفقة أو (الرقص على حافة الطاولة القوقازية المستديرة) دون أن يهزها أو يقلب الصحن من فوقها. كما كان نارت بادينوقا حسب ما جاء في الأساطير يغرز سيفه في الأرض وطرفه الحاد إلى الأعلى ويرقص على هذا الطرف الحاد وسجلت الحكايات الشعبية التي أصبحت الآن تراثية نماذج ملموسة للثقافة الرياضية التي كانت لدى أجداد الشراكسة منذ فجر التاريخ.

وفي عصور ما بعد عصر النارتيين وبعد ظهور نظام الامارة التي كان يحكمها (بشى) تقول بعض الروايات الأسطورية مثل اسطورة "كوالا سوزريخا" وملخصها أن: "الأمراء الشراكسة كانوا يمتلكون أبطالا لهم قوة خارقة منهم (شوجي شوغينوقا) والذي كان يملك بطلين هما (حسين ذو القدم العريضة) (وشوغين الطويل). أما الامير (خاتوكشوقا خاتوكشوكوف) فلم يكن لديه مثلهما، فبحث طويلا ولم يجد أحدا، وحزن كثيرا لذلك، لكن الحظ قد حالفه فوجد شخصا خارق القوة واسمه (كالي ابن سوزريخا) الذي أظهر قوته الخارقة عندما وجد بالقرب من جبل (فيشحافيتش) عربة محملة بالحبوب، ولم تستطع الثيران جرها إلى الاعلى، فجاء (سوزريخا) وفك الثيران وسحب العربة بنفسه إلى اعلى الجبل.كما تُروى قصة أخرى مسجلة في المدونات التاريخية الروسية لأحد المؤرخين الروس المشهورين بعنوان: "**رواية جيش ايغور**"، وملخصها أن: "مباراة في المصارعة جرت بين البطل" الكسوسوغي رِدادا من (الاديغية) مع امير بلاد تموتاراكان واسمه (مستيسلاف) في عام ١٢٠٢ وعندما اوشك (رِدادا) العملاق التغلب على الامير الروسي قام الاخير بطعن العملاق النبيل بالسكين خلافا للقوانين والتقاليد المتبعة في لعبة المصارعة في ذلك الوقت [٢].

وكذلك فإن من الروايات التاريخية القديمة التي ذكرت في اكثر من مدونة تاريخية شركسية بأن مباراة في المصارعة جرت بين البطلة الشركسية (لاشنقاي) والبطل التتري الذي لا يقهر.. وخلاصة الرويات هو:

"عندما اقترب خان التتر – كيتان خان – من بلاد (الاديغة) وانتشر خبر انتصاراته تنادى السكان إلى حمل السلاح والاستعداد للقتال لصد المغيرين من جيوش (خان التتر) إلا ان قائد التتار غير رأيه وأرسل رسلا إلى الاديغة يخبرهم بأن ليس الغرض من قدومي إلى بلادكم محاربتكم والاستيلاء على بلادكم بل الشوق إلى معرفتكم عن قرب رؤيتكم وجها لوجه وإني لا أريد أن أكون

عدوكم بل صديقكم لما سمعته عن شجاعتكم الفائقة وقوة جيشكم العظيم وفروسيتكم المنقطعة النظير وما تستحقون عليه من المديح والثناء.

ولكي أجرب قوتكم انتخبت بطلا من عندي وهو أحسن مصارع في الجيش وأشدهم قوة فإذا أردتم أن تنتخبوا من بين صفوفكم من ترون فيه الكفاءة والمقدرة لمنازلة بطلنا فسوف تبدأ المبارزة على الشرط الآتي:

اذا تغلب بطلنا على بطلكم وجب عليكم ان تعتبروا انفسكم مغلوبين ولا يحق لكم الامتناع عن دفع الجزية، واذا كان النصر حليف بطلكم فسنكون نحن المغلوبين، فندفع كل ما يجب علينا دفعه، وسوف نقبل بكل خدمة تلزموننا بها ونخدمكم كسادة لنا.

وقبل الاديغة بهذه الشروط واختاروا بطلة اسمها "لاشنقاي" لمنازلة بطل التتر. فلما اجتمعت الجموع وازدحمت جماهير النظارة من الفريقين بدأت المصارعة ودامت اكثر من ساعة، ولكن الدائرة دارت على بطل الخان "واسمه (قيسين) وكان الفوز للبطلة "لاشنقاي"، وحينئذ اكفهر وجه "الخان" وتغيرت ملامحه إلا أنه كظم غيظه، واعترف بأنه غُلب على أمره وهنأ الاديغة بفوز بطلهم.

وعندها فتح (الاديغة) باب المزاح وكشفوا سر بطلهم وأنه لم يكن سوى (امرأة) تلبس ملابس الرجال.

طلب الاديغة من الخان أن ينتخب من جيشه الذي يعتز به بطلا آخر إذا أراد أن يختبر قوة رجال الأديغة. فرفض (الخان) واكتفى بما حدث، وقال: إن امرأة عادية تغلبت على اقوى أبطالنا الذين كنا نعتمد عليهم، سأوفي بوعدي وأنفذ الشروط التي وضعتها بنفسي قبل البدء بالمصارعة، ثم انصرف الخان مع جيشه ورجع إلى بلاده فورا.

وتشير الرواية إلى أنّ هذه المنازلة جرت في القرن الثالث عشر الميلادي بالقرب من نهر "شكم" والموقع معروف حتى الآن باسم "لاشنسكايا" [٣].

*** أنواع الرياضات القومية الشركسية:**

يقول (غيرغوف) بأن الشراكسة لا يملكون (مع الأسف) أية معلومات حول إنجازات الشراكسة الرياضية في الماضي، إذ إن غياب الكتابة حال دون توثيقها وتسجيلها في التاريخ منذ القدم، بالإضافة إلى غياب تنظيم بطولات ودورات في الرياضات الشركسية القديمة على المستوى القومي، فبقيت شأنا محليا خاصا، ويبدو أن الاحتفالات الشعبية فقط هي التي كان لها بعض من التنظيم.

لذا، ولإعطاء القارئ فكرة ما عن هذا الموضوع علينا أن نذكر بعض أنواع الرياضات القومية الشركسية وإن كنا لن نستطيع شمل كل جوانبها وخصائصها الإقليمية، فالرياضة الشركسية لا تزال غير مدروسة إلى الآن حتى في الإطار الاثنوغرافي. (حسب قول غيرغوف). [٤]

إلا أننا وبالبحث في المراجع والمصادر التاريخية المختلفة وجدنا بعض المعلومات عن العديد من الرياضات والألعاب التي كان يمارسها الشراكسة منذ عصر الاجداد وحتى تاريخ احتلال روسيا القيصرية لبلاد الشراكسة في شمال القفقاس، ومن هذه الرياضات والألعاب ما يلي: [١]

النوع الاول: الرياضات والالعاب الشعبية التقليدية القديمة لدى شراكسة الوطن الام:

مارس الشراكسة اطفالاً وشباباً وكباراً منذ عصر الاجداد، العديد من الالعاب الشعبية خلال اوقات فراغهم وفي المناسبات الاجتماعية لتحقيق اكثر من هدف منها: **تنمية اللياقة البدنية واكتساب المهارات البدنية، وكذلك تنمية القدرة على التحمل والقوة الجسمية، بالإضافة إلى توفير فرص للترفيه الهادف وقضاء أوقات الفراغ في جو من المرح والسرور.**

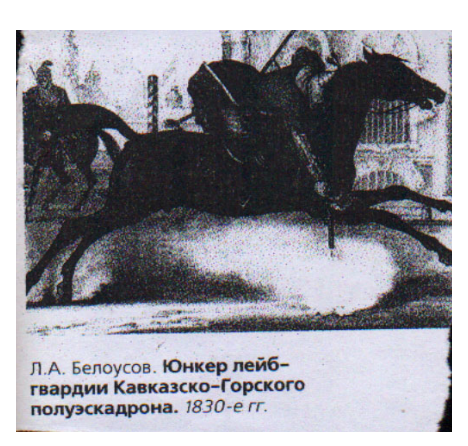
وفيما يلي أهم تلك الرياضات التقليدية عند الشراكسة:

١) ألعاب الفروسية

عرفت المجتمعات الشركسية منذ القدم بأنها مجتمعات (الفروسية)، وأن الفروسية أصبحت رمزا من رموز التراث القومي الشركسي (كما سبقت الاشارة إليها في الفصل السابق)، بلغت الفروسية لدى الشراكسة مستوىً عالياً حتى أصبح فنا مستقلا له طقوسه وقواعده وتقاليده، وكان الفتيان من الطبقة النبيلة يتعلمونه منذ نعومة أظفارهم على أيدي مربيهم (أتاليق)، وللحصول على لقب الفارس، كما كان الفتى يخضع لامتحان عملي قاس، إذ كان يرسل في رحلة طويلة تسمى (زيكوا)، ومن ينجح في هذا الاختبار الصارم يتمتع برعاية (زيكوتحا) أي إله الخيل.

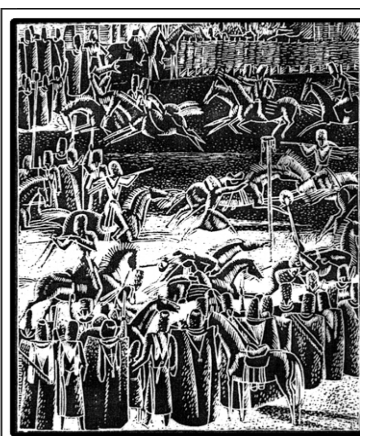
وفيما يلي أهم رياضات وألعاب الفروسية التقليدية لدى الشراكسة:

- لعبة إيقاف الفرس من حالة الجري فجأة وعمل حفرة في الأرض بطول وعمق محددين، وإن نجح، رحب به المتفرجون بصيحة فرح وإن فشل ضحكوا منه.
- **رياضة القفز العالي بالحصان من فوق سور، والقفز الطويل من فوق الوادي**، وكذلك القفز من الجرف الساقط إلى الأسفل.
- **رياضة القتال بين الفارسين**، حيث كان على أحدهما أن يسقط الآخر من ظهر الحصان أو يسحبه من فوق السرج.
- **رياضة اصابة هدف على الأرض والحصان في اقصى سرعة له.**



اصابة هدف أرضي والحصان في أقصى سرعة له

- **رياضات استعراضية**، وفيها يقوم الفارس من وضع الجري بالقفز من على جانبي الحصان يمينا، وشمالا ممسكا بالسرج ويصعد إليه مجددا.
- **رياضة التقاط الأشياء المعلقة عاليا على عامود**، كخاتم أو كيس تبغ، الخ، أثناء جري الحصان بسرعة معتدلة.
- **رياضة الرماية** من فوق ظهر الحصان أثناء الجري، لإصابة (البيض) أو أي هدف على الأرض وكانت من أكثر الألعاب منتشرة بين شراكسة الوطن الأم وفي بلاد المهجر حتى أواسط القرن العشرين.
- **رياضة الرمي اطلاق السهم او البندقية على** وهي الرياضة التي يصفها (خان جيري) بقوله: "في مكان آخر يُكشف لنا مشهد عجيب، حيث نُصب عامود طويل معلق في اعلاه لوح دائري صغير، والفرسان الماهرون المسلحون بالأقواس يجرون واحداً بعد الآخر والفرس الذي في الخلف تتبع التي أمامها على خط مستقيم، لأن الفارس الخلفي لم يعد يتحكم باللجام لأن رجله اليسرى بقيت في السرج، وجذعه يقع أسفل عرف الفرس، ومن هذا الوضع (الصعب) يجري الفارس بجانب العامود بسرعة فائقة، ويطلق السهم في اللوح الدائري الذي يقع أرضا بشكل مثير الدهشة لدى المتفرجين..". وهي رياضة كانت تمارس في حفلات تأبين الموتى والشهداء لدى الشراكسة.



رياضة الرماية على لوح دائري

- **رياضة (شه قاوج) أي رياضة (ترقيص) الحصان**، وهي التي تشهد بوجود ثقافة فروسية رفيعة المستوى لدى (الشراكسة)، حيث كان يجلس عازف آلة الاكورديون (بشينه) على طرف ساحة أرض مستوية واسعة يحيطها الجمهور، ويبدأ بعزف لحن "شيغاوج"، ومن يرغب من الفرسان بالتنافس يخرج على ظهر حصانه إلى وسط الدائرة، ويعرض مهاراته بترقيص الحصان الرقصة التقليدية المعروفة باسم رقصة (و ج).

٢) رياضات عسكرية:

كان الهدف من ممارسة الرياضات العسكرية منذ عهد الأجداد للأمة الشركسية هي تربية جيل قوي من المقاتلين قادرين على حماية أراضيهم، وتأمين العيش لعائلتهم وإعداد الفارس (شو حزير) ومعناه الفارس الجاهز أو الكامل. كما يؤكد (خان جيري) بأن الهدف والأهم من التدريبات الرياضية العسكرية، هي تنمية مهارات خاصة في استعمال السلاح، وقيادة الفرس حتى يصبح الفارس قادراً على تعبئة البارودة، وإطلاق النار من على ظهر الفرس التي تجري بأقصى سرعة، والفارس الجيد هو الذي كان يستطيع ان يخرج البندقية (الطبنجة) من (غلافها) ويطلق النار في غمضة عين.

كما يقول (غيرغوف) بأن الشباب من الشراكسة من كافة الطبقات الاجتماعية مارسوا نشاطات جسدية، ليس فقط بحثا عن التميز والتفوق على الاخرين، بل لأن الخطر العسكري والحروب الظالمة اجبرت النبلاء والفلاحين على حد سواء اللجوء لاستخدام مختلف انواع السلاح من الرمح او السيف او القوس او حتى البندقية مما خلق لديهم قوة جسدية ومهارة بدنية افادتهم حتى في العمل والحياة اليومية.

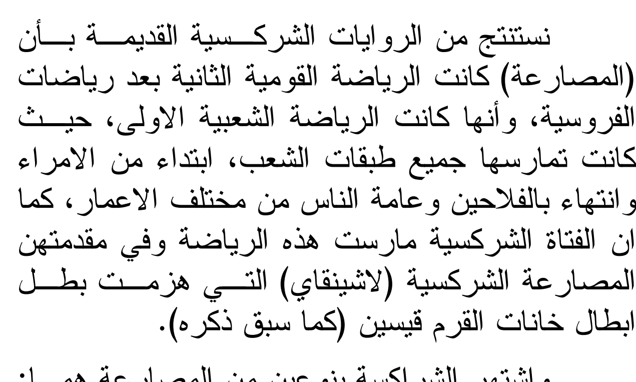
كما يقول (غيرغوف) بأن الخيالة الشراكسة ربما كانوا هم الافضل في العالم، وجاءت هذه السمعة العالمية نتيجة للتدريب الشاق للفارس والخيل حتى اصبحا مثل (جسد واحد)، وهكذا تم تكوين الرجل الشركسي (المثالي) الذي له "عنق ضخم كعنق الثور، وعيون حادة كعيون الصقر، ويدان قويتان كأسنان الذئب، وكتفان عريضان وخصر نحيف" كما قال ايضا: (خان جيري): "يعتاد الشراكسة على تحمل صعاب لا تصدق فلا يهمهم الجوع او البرد او الحر او التعب او العطش".

في عام ١٧٢١ كتب (والي آستراخان) في رسالته إلى القيصر بطرس الاول عن شجاعة الشراكسة بقوله: "ما يرضيني هو شيء واحد، أنهم مقاتلون لم تشهد هذه المناطق أمثالهم حيث إن (مائتي) شركسي يساوون (ألفا) من التتار أو القالموق، ولا أحد يستطيع ان يقاومهم بل الجميع يفرون من أمامهم.." كما قال: إن هذه القوة الهائلة لم تعتمد على الرجولة وحدها فقط، إنما يتمتع هؤلاء المقاتلون بلياقة بدنية عالية".

كما أكد (غيرغوف) بأن أهداف الرياضات العسكرية القديمة تضمنت وبالاضافة إلى الاهداف العسكرية والعملية اهدافاً اخلاقية ايضا إذ منحت الشباب فرصة للتعارف بينهم وتكوين صداقات والتسلية بأنشطة إيجابية لا سلبية، فكانت العادة أن شعر أحدهم بالملل أو أصبح لديه فراغ ان يبادر إلى ممارسة الالعاب والتمارين الرياضية وليس إلى تناول الكحول أو ممارسات اجتماعية خاطئة أخرى.(٤)

ومن أهم الرياضات العسكرية التي مارسها اجداد الشراكسة:

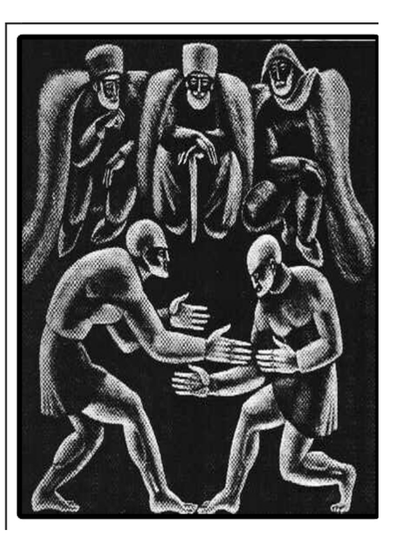
رياضة (شوربليس) وهي لعبة عسكرية، حيث تبدأ مجموعة من الشباب بتقديم رقصٍ شعبي داخل دائرة بمنع الفارس الذي يحاول اختراق المجموعة كي يدخل بينها لخطف فتاة، وحملها إلى خارج الدائرة، ويحاول الحضور منع الفارس من دخول الدائرة بضربه بالعصا ومحاولة إسقاطه من على ظهر الحصان، بينما يبذل الفارس جهده لتفريق الحضور والوصول إلى حلبة الرقص. وفي حال فوز الفارس يقوم (تحمادة) أي كبير الحاضرين بتسليمه جائزة وهي عبارة عن (قرن مملوء بنبيذ أبيض في عهد ما قبل الاسلام) أو مملوء "باخسمة" وهو (مشروب شركسي الصنع مصنوع من الحبوب والعسل). فقد جاء ذكر هذه اللعبة حتى في اساطير النارتيين.



٣- رياضة المصارعة

نستنتج من الروايات الشركسية القديمة بأن (المصارعة) كانت الرياضة القومية الثانية بعد رياضات الفروسية، وأنها كانت الرياضة الشعبية الاولى، حيث كانت تمارسها جميع طبقات الشعب، ابتداء من الامراء وانتهاء بالفلاحين وعامة الناس من مختلف الاعمار، كما ان الفتاة الشركسية مارست هذه الرياضة وفي مقدمتهن المصارعة الشركسية (لاشينقاي) التي هزمت بطل ابطال خانات القرم قيسين (كما سبق ذكره).

واشتهر الشراكسة بنوعين من المصارعة هما: **بغيريبانه** أي (صراع الصدر) **وأبشريبانه** (صراع المعصم).



لوحة فنية تبين لعبة تراثية في المصارعة عند أجداد الشراكسة

ففي مصارعة (بغيريبانه) كان الخصمان يقفان وجها لوجه ثم يتشابكان بالذراعين حيث تقع الذراع اليمنى فوق الذراع اليسرى واليد اليسرى تقع تحت اليد اليمنى للخصم، وسيتم تشبيكهما خلف ظهر الخصم. وكان ممنوعا أن يمسك أحد جذع الآخر بيديه الاثنتين. وللمتصارعين حق في أن يتفقا على استخدام الاساليب التالية: **لكامبشاوا، وبقودادز، ولاقوزشاك، وزفاغاشه، وحاطخاسا، ودزين، وفي بعض الاحيان بغشاغوالحا.**

كان للمصارع الحق ان يرمي خصمه على ظهره ارضا بالقوة أو بواسطة الحركات المذكورة، وإذا وقع المصارعان أرضا على الجوانب او وجهيهما إلى الاسفل اعتبرت النتيجة متساوية، وكان القتال ينتهي بفوز احدهما أو تعادلهما.

كما كان لهذه الرياضة طريقتان الأولى: (بغيريبختشا زبانين) وفيها (يمسك الخصمان بحزام بعضهما البعض ويحاول كل منهما إسقاط الاخر بالقوة أو باستخدام الحركات سابقة الذكر) والطريقة الثانية هي (تشاتشا زبانين) وفيها يمسك الخصمان بأطراف قميصي بعضهما البعض ويحاول كل منهما إسقاط الآخر.

النوع الثاني هو (أبشريبانه) وفيها يتم تماسك الخصمين باليدين، ويحاول كل منهما إسقاط الاخر بقوة اليدين أو بواسطة الحركات الرياضية المقررة في هذا النوع من المصارعة.

ويصف (غيرغوف) شعبية المصارعة بقوله: "على عكس الفروسية كانت المصارعة في متناول الجيمع بغض النظر عن العمر والوضع الاجتماعي، وكان الفتيان يزاولونها بشكل دائم ويتجمع حولهم آباؤهم وكبار السن" [٥].

وكان من المنافسات الشعبية الشائعة في مصارعة الفتيان والاحداث الصغار كما جاء تفاصيلها في الروايات الشركسية القديمة هي الرواية التالية والتي ذكرها (غيرغوف) في كتابه "الشراكسة الابطال".

"كان كبير شلة (الاحداث) يعلنان نفسيهما (كتحماده)، وتنقسم الشلة إلى فريقين بواسطة القرعة، حيث يقوم كل فريق باختيار اسماء سرية لهما، فمثلا يأخذ أحدهما اسم (آفه) ومعناها (زرد) والآخر فوتش (بارودة) فإذا اختار أحدهما (آفه) ذهب (فوتش) إلى الفريق (الآخر). وكان الفريق الاصغر سنا يبدأ اللعبة. والفائز بالمبارزة الاولى عليه أن يواجه اللاعب التالي من الفريق المنافس، وهكذا كان على جميع اعضاء الفريقين منازلة بعضهم البعض. وفي النهاية كان يقوم رئيس كل مجموعة بمنازلة الرئيس الآخر، فإن خسر اعتبر فريقه خاسرا، وتنتهي المنافسات بركوب الفائز على ظهر خصومهم الخاسرين ليوصلوهم إلى مكان محدد مسبقا[٥].

٤- رياضة تسلق الجبال:

لم تكن رياضة تسلق الجبال من الرياضات القديمة التي مارسها النارتيون أو قدماء الشراكسة في العصور القديمة، وانما ظهرت هذه الرياضة بعد ان قام مواطن شركسي اسمه (كيلار خاشيروف) من اصل (قبردي) من سكان قرية (كوتشمازوكينا) (مدينة باخسان حاليا) الذي تمكن من تسلق قمة (البروز) دون تدريب مسبق ومن المحاولة الاولى، وكان أول من تسلق إلى هذه القمة، وحدث ذلك في ١٠ تموز من عام ١٩٢٩ (الساعة الحادية عشرة صباحا)، وتم ذلك عندما قام قائد الجبهة القوقازية الجنرال (غ.أ. إمانويل) بتنظيم رحلة التسلق بمشاركة علماء بينهم جيوفيزيائي، وجيولوجي وفيزيائي، وعالما للحيوانات والنباتات، ورسام، بالإضافة إلى عدد من سكان القبردي والبلقار والقوزاق وتوقف غالبية المتسلقين عند ارتفاع ٤٢٧٠ مترا فعادوا خطاهم بعد ان شعروا بتعب شديد، بينما استمر كل من: **الفيزيائي أ. لينتس والقبردي كيلار خاشيروف والقوزاق ليسينكوف** في التسلق قدما، لكن رفيقي (خاشيروف) عادا من على ارتفاع ٥٣٥٠ مترا واكمل (هو تسلقه) وحده، وشاهد الجنرال (إمانويل) الذي كان يراقب العملية بالمنظار وصول "خاشيروف" قمة الجبل الشرقية لجبل (البروز).

وتقديرا لهذا الانجاز البشري العظيم وبتوصية من أكاديمية العلوم الروسية تم وضع نصب تذكاري تخليدا لإنجاز (كيلار خاشيروف) الشركسي. وبعدها أصبحت رياضة التسلق رياضة شائعة عامة، وتسلق جبل (البروز) خاصة، كما أصبحت من الرياضات الجماعية، غير أن اسم (كيلار) سيبقى مكتوبا بأحرف ذهبية كونه الأول، ولم يكن التسلق إلى قمة (البروز) بالنسبة ل "خاشيروف" انتصارا لقدراته الجسدية فحسب بل وتذليلا للخوف من (الآلهة) إذ كان يعتبر (اوشحامافاة) من قبل موطنا للآلهة حسب المعتقدات الدينية الشركسية القديمة.

٥- رياضة رفع الاثقال والرمي:

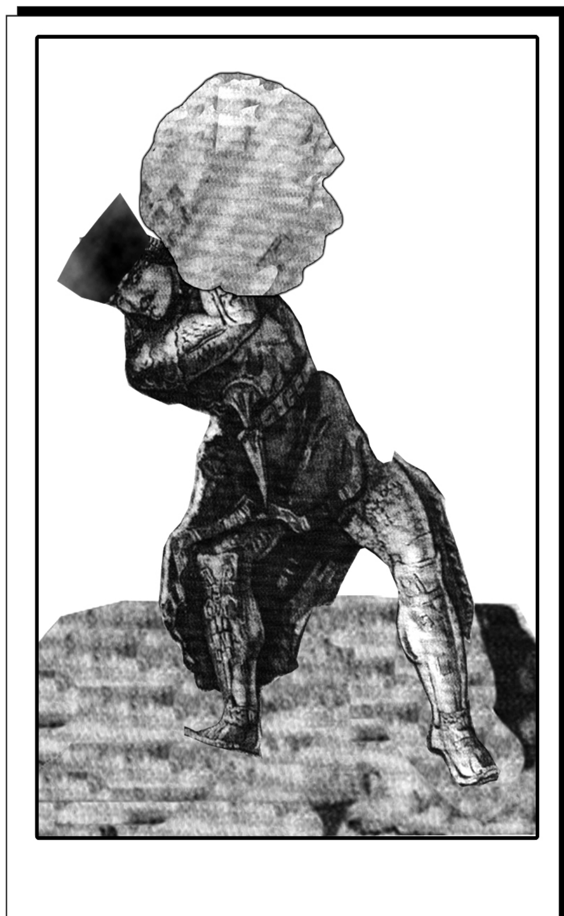
كانت رياضة رفع (الاثقال) من الرياضات المنتشرة في السابق واسمها بالشركسية (حلة آت) وهي الرياضة التي تمثلت برفع شخص، أو حجر او اشياء ثقيلة أخرى. كما كانت رياضة (رمي الحجارة) من الألعاب المفضلة لدى الفتيان والصبيان الشراكسة، حيث كان المشارك فيها يرفع حجرا ثقيلا على كفه الايمن ويضعه على كتفه ويرميه بكامل قوته إلى الوراء. كذلك كانوا يتنافسون على رمي الاحجار المتوسطة للامام باليد اليمنى. أما الاحجار الصغيرة فكانوا يستخدمونها في لعبة إصابة الهدف وكذلك رياضة رفع الحجارة الكبييرة كما هو مبين في الصورة.

٦- رياضة الوثب العالي:

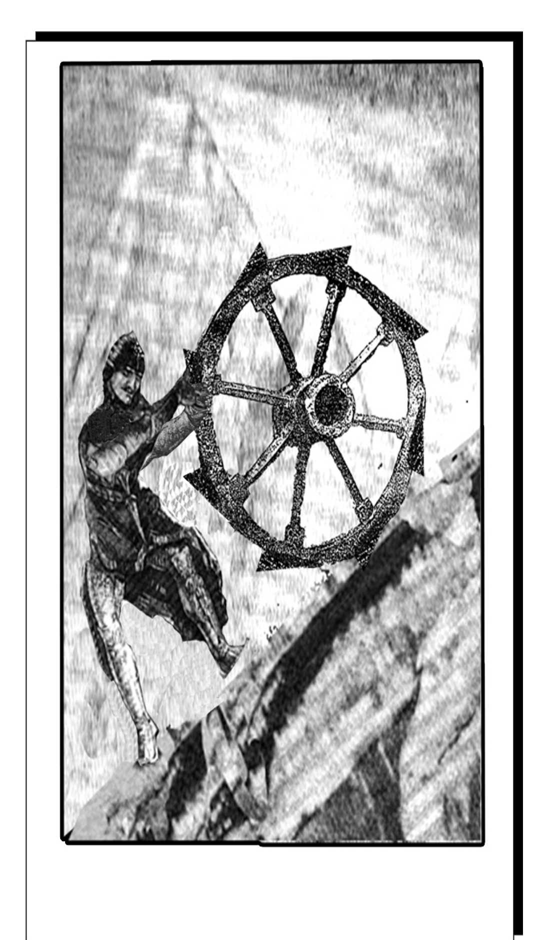
من الرياضات التي كان يمارسها فتيان وشباب قدماء الشراكسة هي رياضة الوثب العالي أو القفز العالي باستخدام (عصا) وهي رياضة تشبه القفز بالزانة الحديثة.

٧- رياضة دفع الدولاب (العجل) الضخم:

كانت تمارس هذه اللعبة منذ عهد قوم (النارتيين) وهي لعبة كان يستخدم فيها (عجلة) دولاب ضخم عليه (شفرات قاطعة) وحادة.



صورة تمثل حمل الحجر أو الثقل



صورة تمثل رياضة دفع الدولاب (العجل)
الضخم ذي الشفرات الحادة لأعلى الجبل

وتتم اللعبة بمنع دحرجة الدولاب للأسفل من قمة الجبل بالوقوف أمامه ودفعه بيديه المغطيتين بقفاز معدني، لتلافي خطورة الشفرات التي تغطي الدولاب ومحاولة دفعه للوراء واعادته لمكانه في قمة الجبل كما هو مبين في الصورة المرفقة.

٨- لعبة خلع جذوع الاشجار:

وهي لعبة كان يشارك فيها الرجال الذين يتمتعون بقوة كبيرة، وكان من شروط اللعبة الوقوف امام جذع الشجرة ومسكه بيديه الاثنتين ثم يبدأ بشد ورفع الجذع للأعلى (دون محاولة خلخلته او تطويحه للامام او الخلف) ويفوز من يتمكن من خلعه في زمن أقل من الاخرين.

٩- رياضة الصيد:

مارس اجداد الشراكسة الصيد في العصور القديمة بهدف تأمين حاجاتهم الغذائية من لحوم الحيوانات والطيور، وفي المراحل اللاحقة وبعد ان بدأ باستئناس الحيوانات والطيور والقيام بتربيتها استمر احفاد وابناء الشراكسة بالصيد، وتحول من الصيد لتأمين الغذاء إلى الصيد كهواية رياضية اولا وبهدف اقتصادي ثانيا، حيث كان الشراكسة يقومون بصيد انواع مختلفة من الحيوانات خاصة الحيوانات التي يستفاد من جلودها وفرائها وقرونها في تصنيع الالبسة مثل فراء السيدات، وجلودها وفي صناعة الاحذية وشنط السيدات، وقرونها في صناعة الامشاط وبعض انواع الزينة، بالإضافة لاستخدام لحومها للغذاء خاصة لحوم الارانب والغزلان ومختلف انواع الطيور، ومن اكثر انواع الحيوانات التي كان يصطادها الشراكسة في مختلف العصور هي الغزلان والارانب والطيور على اختلاف انواعها، بالإضافة إلى الحيوانات ذات الفراء الثمين مثل الدبب والنمور والذئاب.

وفي مراحل لاحقة استخدم الصيادون الشراكسة (الأقنعة) كوسيله لتمويه وخداع الحيوانات والطيور حيث كانوا يستخدمون (اقنعة) لتغطية الرأس والوجه بأقنعة تشبه شكلا من اشكال وجوه الحيوانات او الطيور المراد اصيطادها، الأمر الذي كان يساعدهم في الاقتراب من (الفريسة) إلى أقرب مسافة ممكنة دون أن تنتبه الحيوانات او الطيور إليه. كما هو مبين في اللوحتين التاليتين:

١٠- ألعاب الثلج والجليد:

لا شك بأن طبيعة البلاد القفقاسية التي تضم جبالاً شاهقة تكسوها الثلوج والجليد على مدار السنة كان لها دور في ظهور ألعاب يمارسها الاطفال والكبار من الجنسين منها:

- ألعاب بناء القلاع بالثلج.
- ألعاب القتال بكرات الثلج ويشارك فيها الكبار والصغار كما تشارك النساء مع الرجال من جميع الطبقات الاجتماعية بما فيهم الامراء والنبلاء.. الخ.
- العاب التزلج على الجليد باستخدام نوع من الزلاجات المصنوعة من الخشب والمصفحة من اسفلها بصفيح من (التنك) الرقيق.

ثانيا: ألعاب الاطفال التقليدية لدى قدماء الشراكسة:

بالبحث عن الالعاب التي مارسها ابناء واحفاد الاجداد منذ العصور الغابرة وحتى العصور الحديثة وجدنا بأن اكثر الالعاب ممارسة كانت:

١- لعبة (التشين) او البلبل:

وكان يستخدم في هذه اللعبة البلبل (التشين) المصنوع من عظمة فخد الخاروف او اية عظمة سميكة، وتملأ بالرصاص ويكون مخروطي الشكل ومدبب من الاسفل، ويتدرج بالاتساع لأعلى حتى يصبح شكله مثل (الانجاصة) ويتم لف الخيط حول (البلبل) ابتداء من الاسفل، وتبدأ اللعبة برمي (البلبل) على الأرض مع سحب الحبل الملفوف بقوة حتى يبدأ (البلبل) بالدوران عند ملامسته للأرض

ويفوز اللاعب الذي يستمر بلبله بالدروان لأطول فترة، وفي العصور الحديثة اصبح يصنع البلبل من الخشب أو يصب من مادة الرصاص.

٢- لعبة تسلق السارية او (العامود) :

وهي من الالعاب التي كان الاطفال يحبونها كثيرا، ويتم فيها تثبيت عامود خشبي او معدني دائري الشكل بطول من (٣-٤) امتار مدهون بالشحم الحيواني، حتى يصبح سطحه منزلقا يصعب الشد عليه، والطفل الذي يستطيع الوصول لأعلى السارية يحصل على الجائزة المثبتة بأعلاها (وكان بعض الاطفال يغشون برش ملح او رماد على الكفين حتى يستطيعوا المسك والشد بقوة على العامود المدهون بالشحم).

٣- لعبة التوافق والدقة

وهي لعبة تشبه لعبة (الباي) الحديثة، وفيها تستخدم اللوازم التالية: القاعدة الخشبية، وهي مستطيلة الشكل مائلة ومتوازية من جانبيها، وقطعة خشبية بطول (١٠-١٥) سم وبعرض من (٢-٣) سم، وعصا بطول (٨٠-٩٠)سم وتبدأ اللعبة بوضع (الباي) او قطعة الخشب على القاعدة بشكل مائل، ويقوم اللاعب بضرب القطعة على طرفها العلوي، وفي لحظة ارتفاعها في الهواء يقوم بضربها ثانية بأقصى قوة وهي في الهواء لتنطلق لأبعد مسافة ممكنة، وتشبه هذه الضربة (ضربة عصا البيسبول بالكرة) ويفوز اللاعب الذي يرسل (قطعة الخشبة) لأبعد مسافة ممكنة، وهي لعبة تحتاج إلى توافق ومهارة ودقة.

٤- الألعاب الذهنية (العقلية)

لم يقتصر اهتمام اجداد الشراكسة بممارسة الألعاب الشعبية والرياضات البدنية، وإنما امتد اهتمامهم إلى ممارسة العديد من الألعاب التي تحتاج إلى تفكير، وهي الألعاب التي سميت بالألعاب (الذهنية) نختار منها **لعبة تشبه الشطرنج** وهي لعبة شعبية ظل الشراكسة يمارسونها حتى السنوات الأولى من القرن التاسع عشر.

واللعبة الثانية، هي لعبة (الداما) وكانت لعبة شعبية والمعتقد بأن الشراكسة اقتبسوا هذه اللعبة من الاتراك العثمانيين.

وأما اللعبة الذهنية الثالثة فهي لعبة الألغاز، وكانت من الألعاب شائعة في المجتمعات الشركسية القديمة، وفيها كان يتم طرح لغز على شخص أو مجموعة من الأشخاص، والذي يستطيع حل هذا اللغز، اعتبر (فائزا)، وإن لم يتمكن من ذلك اعتبر (خاسرا) وتوقع عليه عقوبة يفرضها طارح اللغز.

واللعبة الذهنية الرابعة هي لعبة (القانديس) وفيها يتم (فسخ) عظمة ترقوة الدجاج بين شخصين. بعد أن يتم اتفاق المتنافسين على شرط أو جائزة، وتبدأ اللعبة بأن يتم شد ترقوة الدجاجة بالأصبع الصغير من قبل المتنافسين حتى تتكسر، والشخص الذي يعطى أي غرض للشخص الآخر في أي وقت حتى ولو بعد سنة، عليه أن يقول كلمة السر وهي كلمة (خمتو) (بمعنى غير محسوبة) وانه لا زال يتذكر اللعبة، وان لم يقل ذلك، فللشخص الآخر أن يقول فورا كلمة "قاندس"، وبذلك يكون قد كسب. وقد تستمر اللعبة لذات الشرط، وظلت هذه اللعبة منتشرة بين الشباب والفتيات في مجتمعات الشراكسة في بلاد المهجر إلى ما قبل عشرين سنة تقريبا.

ثالثا: العاب شعبية تمارس حتى عصرنا الحاضر، كما هو مبين في الاشكال المرفقة:



مصادر ومراجع الفصل الخامس/ ثانيا

١. غيرغوف، حسن، **الشراكسة ابطال اوروبا والعالم والالعاب الاولمبية**، نشر باللغة الروسية بإشراف الاكاديمية الشركسية الدولية للعلوم في نالتشيك عام ١٩٩٨، ص: ٢٤١-٢٥٩.

٢. المصدر نفسه، ص: ٢٤٣.

٣. قاخون، عمران، مجلة الاخاء، وادي السير، العدد (١)، لسنة ١٩٦٩، ص: ١٠.

٤. غيرغوف، المصدر نفسه، ص: ٢٤١.

٥. المصدر نفسه، ص: ٢٤٤.

٦. المصدر نفسه، ص: ٢٤٣.

٧. المصدر نفسه، ص: ٢٥٣ – ٢٥٤.

٨. (نغموقة) شورا بكمرزا، تاريخ الجركس، مصدر سابق.

٩. غيرغوف، حسن، مصدر سابق، ص: ٢٢ – ٢٣٠.

١٠. مامسر، محمد خير، **الموسوعة التاريخية لتطور الحركات الرياضية في الحضارات القديمة والحديثة**، عمان (٢٠٠٠ ص: ١١٣).

١١. غيرغوف، حسن، مصدر سابق، ص: ١٠، ١٦، ٢٢، ٦٤، ٧٢، ١٨٢، ٢٠٠.

١٢. المصدر نفسه، ص ٢٣– ٢٨.

المجلد الأول

الجزء الخامس

وقائع وأحداث حروب الأمة الشركسية

في الوطن الأم

منذ فجر التاريخ وحتى العصر الحديث

فهرس فصول الجزء الخامس

الفصل الأول

حروب الامة الشركسية ما بين القرن السابع قبل الميلاد وحتى القرن السادس بعد الميلاد

تشير الوقائع التاريخية بأن ثلاثة شعوب من الشعوب القديمة اعتدت على الامة الشركسية في هذه الفترة وهي شعوب: السكيت (السكيف). القوط. الهون.

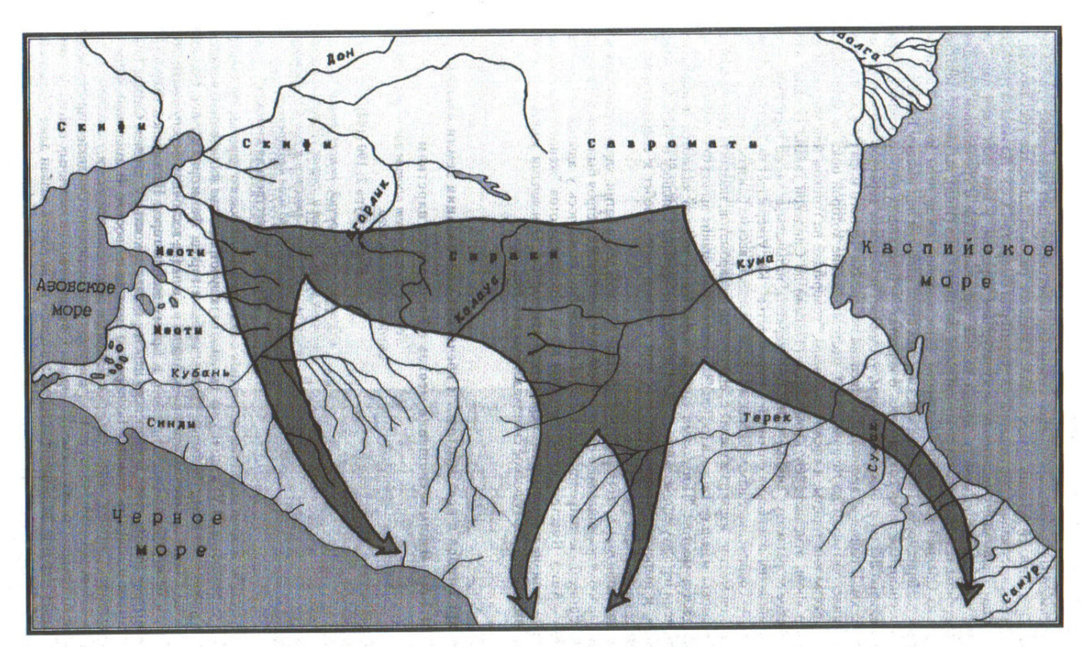
- **وقائع وأحداث اعتداءات قبائل السكيت (السكيف)**

تعرض أجداد الأمة الشركسية لأول اعتداء خارجي من قبل قبائل (السكيت) الذين قدموا من آسيا، واستمرت حروبهم ضد أجداد الشراكسة وشعب الكميريين وهم من اقدم الشعوب التي استوطنت في بلاد القفقاس منذ الالف الرابع ما قبل الميلاد (١).

وبالرجوع إلى ما كتبه (هيرودوت) وجدنا بأن قوات (السكيت) المؤلفة من قبائل (همجية) قد اعتدت على شعوب الأمم المستوطنة في جنوب القفقاس، وهي القبائل التي عرفت باسم (الايكوذية) البدوية الذين كانوا يتخذون من العربات بيوتا لهم، ويقضون معظم وقتهم على ظهور الخيل وهم الذين قال عنهم (هيردوت) "**إنهم قوم كانوا يتعثرون في مشيتهم ولا يتقنونها عندما يترجلون عن ظهور خيولهم، كما قال بأنهم قوم يتكونون من قبائل متوحشة عملهم الرئيسي هو القتال وان رجولة الشاب (السكيتي) لا تكتمل إلا بقتل عدو واحد على الاقل ومن عاداتهم الوحشية جمع وحفظ رؤوس الاعداء تذكارا للنصر وسلخ جلود رؤوس الاعداء واستخدامها كلفائف على رؤوس محاربيهم كما كانوا يصنعون من الجلود المنزوعة من أيدي الاعداء الاموات (كنانات) للسهام**" (٢).

وكان من النتائج الوخيمة لاعتداءاتهم الوحشية من قوات السكيتين على أجداد الشراكسة والكيمرين:

- القضاء على الامبراطورية الكميرية وزوال الاتحاد الذي كان يتكون منهم ومن قبائل (المئوت) وعددها (٢٥) قبيلة حتى اضطر الاحياء من الشراكسة للنزوح عن أماكن سكنهم واللجوء إلى الغابات والجبال العالية هربا من بطش ووحشية المعتدين السكتيين.
- تناقص أعداد اجداد الشراكسة بعد الاعتداءات التي تعرضوا لها من السكيتين المتعطشين لسفك الدماء.
- حرق ونهب مدن شركسية كثيرة واضطرار الشراكسة لاتخاذ الغابات والكهوف في اعالي الجبال سكنا للاحياء منهم.
- اجبار الشبان الشراكسة الذين هم في سن القتال للانضمام إلى صفوف المقاتلين (السكيتين) واشراكهم في غزواتهم وحملاتهم العسكرية الوحشية(٣).



Расселение племен на Северном Кавказе вVII в. до н.э.
Стрелками указано направление походов скифов (по Е.И. Крупнову).

توزيع القبائل في شمال القفقاس في القرن السابع قبل الميلاد. الأسهم تشير إلى اتجاهات حملات السكيف (حسب ي. إ. كروبنوف)

- **وقائع وأحداث اعتداءات قبائل (الهون / الهان)**

تعرض أجداد الشراكسة عامة وقبائل السيند والزنك والكركيت الشركسية خاصة، إلى اعتداءات وحشية من قبائل (الهون) او (الهان) وهي القبائل المنحدرة عن كتلة (الهون) الغربيين الذين كان موطنهم الأصلي في (تركستان الغربية الحالية) وهم من اصول مغولية.

ويؤكد المؤرخون من القدامى بأن (الهون) عرفوا بأكثر من اسم لدى بعض الشعوب القديمة مثل:

- البيزنطيون واطلقوا عليهم اسم (هفتاليت)
- الايرانيون وسماهم (هلياتليت)
- الصينيون وكانوا ينادونهم باسم (هنتا) أو (باتا)
- الاتراك العثمانيون وسماهم بـــ (آق. هون) ومعناه (الهون البيض) كما اطلقوا عليهم ايضا اسم (خون)
- وسماهم الشراكسة بقبائل (كون) او (الجون).

وفي عام (٢٠٠) قبل الميلاد اجتازت قبائل (الهون) نهر الفولغا إلى شمال القفقاس واصطدموا اولا مع قوم السارماتين وهم من أجداد الشراكسة، وفي عام (٣٠٠م) هاجموا قبائل (اللان) وهم اجداد (الاستين) وواصلوا زحفهم نحو بلاد (الاديغة) واشتبكوا مع قبائل الامة الشركسية من (الاديغة) في معارك عنيفة عديدة، إلا أن التاريخ المدون لم يذكر لنا تفاصيل هذه المعارك، وإن تحدثت الروايات الشعبية والقصص القومية الشركسية القديمة في شيء من التفصيل عن بعض هذه المعارك، نقتبس منها القصة التالية:

"عندما توجه جيوش (الهون) إلى بلاد الجراكسة أوقعهم في اضطراب، وتداعوا إلى اجتماع عام عقد على (الارجح) في منطقة (مزدوك) واثناء الاجتماع انسل إلى المجلس نسر يحمل (بمنقاره طفلا ملفوفا بالخرق) وحط بالطفل في حضن امرأة مسنة، فتحير الناس من هذا الحادث الغريب، وفسروه بأنه بشارة سعيدة، وأن قدوم هذا الطفل سيكون خيرا لهم وجالبا للحظ السعيد، وراح الطفل ينمو بسرعة غريبة وبعد زمن قليل اصبح لا يسع في سريره، ثم قطع رباط السرير المجدول حوله، ونما الطفل وتكاملت رجولته بسرعة فنصبوه قائدا لهم. وانضوى جميع الشراكسة تحت هذه القيادة الالهية وقرروا محاربة (الهون) ولكن الجراكس هزموا بادئ الامر وانسحبوا حتى موقع (كونيتيه ي) ثم جمعوا صفوفهم وجددوا المقاومة، والظاهر ان الطرفين ظلا متقابلين في قتال ضار مدة طويلة في ذلك الموقع، وفي هذه الاثناء حدث زلزال كبير، وتشققت الاراضي، فأحدثت فيها شقوقا واسعة تقذف بالنيران واللهب وبروائح كريهة جدا، واعتبر (الهون) هذا نذير شؤم لهم فانسحبوا من البلاد، وبذلك نجت ققفاسيا من مجازرهم وتدميرهم".

وربما كان لهذه الاسطورة شيء من الحقيقة من حيث القتال، إذ يوجد حاليا موقع اسمه ((كونتيه)) بجوار مدينة ((بتغورسك)) ويقع على الطريق المؤدي إلى مصايف (هاساووت) في مدخل أحد الوديان، ويفهم من هذا أن الجراكسة استخدموا الجبال في دفاعهم عن بلادهم.

وكلمة (كون) أو (هون) يطلقونه حتى اليوم على (هون القازان) ومنطقة (كونيته. ي) وهو المكان الذي كان ينزل فيه (الهون). كما يطلق الشراكسة على هذا المكان حتى وقتنا الحاضر (خنادق الهون) كما تشاهد في مدخل وادي (كونيته. ي) صخرة عظيمة قد نحتت ونقشت عليها علامات (دامغة) للعديد من الاسر الشركسية، ويقال أنها علامات الاسر التي اشتركت في تلك الحروب، او التي ابدت فيها البطولات والتضحيات، كما ان البعض الآخر يعتقد أن هذه العلامات قد نقشت هناك فيما بعد ولا تزال هذه العلامات موجودة حتى يومنا هذا على صخور (كونيته. ي) [٣].

ولا شك بأن اعتداءات قبائل الهون أحدثت رد فعل عنيف لدى المجتمعات الشركسية القديمة التي تصف وحشية تلك الاعتداءات، رواية شيوخ الشراكسة بقولهم: "ان المكان الذي مروا به (والمقصود هم الهون) لا ينبت فيه شيء لمائة عام" [٤].

كما تشير الروايات الشركسية القديمة أن (آتيلا) ملك الهون كان اسمه بلغة ذلك العصر (ايدل) وقد ورد ذكره في إحدى الاغاني القديمة باسم (فلاكة الله) وهو الاسم الذي أعطته (الاتراك) لقبائل الهون وجاء ايضا في إحدى القصائد الشركسية بعض الأبيات حول ذلك منها:

لم ينسنا الله فقد شملنا برحمته   واعاد إلينا جبالنا ووديانا

بعد ان ابتعد ورحل عنا (فلاكة الله)

ومنذ ذلك الوقت يسمي الجراكسة جبل (شاد) باسم (أواشحة ماف) ومعناه الجبل المبارك.

ومن الواضح بأن أجداد الشراكسة في ذلك العصر كانوا يخشون بطش ملك الهون (اتيلا) ويحسبون له الف حساب، ويتقربون منه لدفع اذاه وبطشه، ونستدل على ذلك بنصوص بعض القصائد من كلمات المديح والتبجيل، نقتبس منها الأبيات التالية:

- **ان نخبة شبابنا وفرساننا تسعى إليك أيها القانص الكبير.**
- **إن لم تمتلىء عيونك بعددهم، فنحن الباقين طوع بنانك.**
- **ومن الأعالي والروابي تنحدر الفرسان كالشهب المتساقطة.**
- **وتتزاحم جموعهم حول (آتيلا) الملك العظيم.**
- **وأما ضرباتهم التي ينزلونها فلها صدى الصواعق.**

وبعد موت (اتيلا) ضعف شأن (الهون) وهزموا في غزوتهم لروما الشرقية، وانحلت قواتهم في عام ٤٥٤م فاستوطنت بعض قبائلهم في حوض نهر الدانوب، كما وأن قبيلة أخرى من (الهون) عاشت عند مصب نهو الدون وقبيلة ثالثة واسمها (سابو) تعرضت للغزو والنهب من قبل قبائل الاوار في عام ٥٥٠م فرحلت عن بلاد القفقاس واختفت آثارها (٥).

- **وقائع وأحداث حروب قبائل القوط (القوت)**

بالرجوع إلى ما كتبه المؤرخ القوطي (جورنا ندس) الذي عاصر حكم القوط في القفقاس، نستنتج بأنهم جاءوا من الشمال، حيث كانوا يقطنون في بلاد اسكندنافيا حتى القرن الرابع الميلادي كما نستنتج بأنهم ينقسمون إلى مجموعتين هما: قبائل مجموعة القسم الشرقي، وقبائل مجموعة القسم الغربي وهي التي استوطنت في حوض (الدون) وساحل بحر (ازوف) في قفقاسيا الشمالية حقبة طويلة من الزمن.

ويشير المؤرخ القوطي (جورناندي) بأن قبائل القوط سبق لها أن غزت بلاد الشراكسة وبالأخص منطقة قبائل (الاديغة) المجاورة لهم في حوض نهر الدون في منتصف القرن الرابع الميلادي، وأن العديد من أجداد الشراكسة (الانتيين) قد انخرطوا في جيش (القوط) والمشاركة معهم في حروبهم اللاحقة وقتل اولاد الامير (داو Dao) الثمانية منهم الاخ الاكبر (باقسان) وعبر المقاتلون الشراكسة عن وحشية هذا القتل الجماعي لاولاد (داو) بضربهم على صدورهم تعبيرا عن حزنهم العميق، كما قامت نساء مجتمع (الاديغة) بنزع شعورهن من رؤوسهن وانشدن قائلات:

* قتل اولاد (داو) الثمانية

* نعم اولاد (داو) الثمانية.

كما انشدت شقيقتهم الوحيدة حزنا على اشقائها قائلة:

- إن بطولة (باقسان) وهمته اوقدتا نار الحمية في قلوب الانت.
- يا بطل يا (باقسان) ابن (داو) وان كانت الروح قد فارقت لا تدع (القوت) يمسون كرامتك.
- واذا ارادوا اخضاعك، لا ترض بسلطتهم .

واستطردت قائلة:

- كان الشعب كله يدعوك بالمقدس الطاهر.
- وكان القوم يستمدون منك العزم والاطمئنان.

وكلفت شقيقتهم النحاتين اليونانيين بعمل نصب تذكاري للأخ الأكبر (باقسان).

وواصلت قوات القوط زحفها نحو ساحل البحر الأسود حتى وصلت نهر الدانوب وقضت على دولة البسفور (اليونانية) والتي كان يتحد معها بعض قبائل أجداد الشراكسة (٦).

وفي منتصف القرن الخامس الميلادي وفي حدود عام (٤٤٦)م واصلت قبائل (القوط) زحفها نحو بلاد الشراكسة ودمروا أعداداً كبيرة من قراهم حتى اضطروا للالتجاء إلى الجبال العالية.




صور ترمز للاسلوب الذي استخدمه أجداد الشراكسة في القتال في عصور ما قبل التاريخ عند التحامهم مع الاعداء في ساحة المعركة

وكان من الآثار والنتائج التي احدثتها اعتداءات قبائل القوط على شعوب القفقاس عامة وشعب الاديغة خاصة الآثار السلبية التالية:

١- القضاء على (مملكة) امبراطورية البسفور اليونانية والتي كان يستخدمها العديد من قبائل اجداد الشراكسة، وبالتالي القضاء على الفترة الذهبية للتجارة القفقاسية في ذلك العصر.

٢- توقف أعمال الزراعة لعدم تمكن الأهالي من فلاحة أراضيهم في السهول لوجود قبائل (القوط) فيها [٧].

٣- قتل (٨٠) اميرا ونبيلا وقائدا من خيرة قادة (الاديغة) الذين كانوا في مقدمة المقاتلين الذين تصدّوا لغزوات قبائل (القوط) [٨].

وأنشدت شقيقتهم بعد إقامة النصب التذكاري لـــ (باقسان) قائلة:

- وما الأمل اذا كان الصخر الاصم آخر ما تبقى من سلوانا.
- ولكونه شبيها بك ويجرح قلبي كل ما وقع نظري عليه.
- ان شعب (الانت) لن ينساك ولن يخلع ثوب الحداد.

والتمثال ما زال قائماً حتى اليوم، وكتب عليه الاسم وتاريخ اقامة النصب التذكاري في القرن الرابع الميلادي.

وأطلق شعب (الاديغة) تقديرا لبطولة (باقسان) وإخوانه السبعة اسم (باقسان) على النهر الذي كان يسمى بنهر (ألتود – Altud) [٩].

الفصل الثاني

الشعوب والدول التي اعتدت على الأمة الشركسية في الفترة الممتدة ما بين القرن السادس الميلادي وحتى القرن الخامس عشر الميلادي

تشير الوقائع التاريخية بأن خمسة من الشعوب المبينة أدناه اعتدت على الأمـــة الشركـــسية خلال هذه الفترة وهي:

- الاوار بقيادة الخان (بايقان).
- دولة الخزر.
- التورغوت أجداد شعوب القالموق.
- المغول، بقيادة جنكيز خان.
- التتار، بقيادة تيمورلنك.

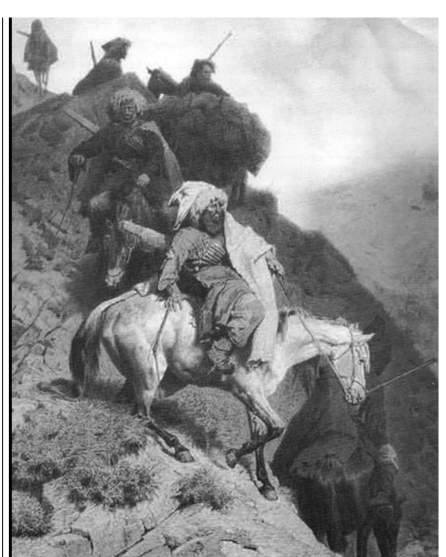
وفيما يلي تحليل لوقائع وأحداث حروب واعتداءات كل دولة من الدول سابقة الذكر.

- **وقائع واحداث حروب ضد الادار**

اجتازت جيوش (الأوار) المغولية الأصل نهر الفولغا بقيادة الخان (بايقان) عام (٥٦٥) الميلادي وقضي على بقايا قبائل (الهون) في بلاد القفقاس وضمهم إلى قبائله، وانخرطوا في قواته وتكونت وحدة (مغولية، تركية) باسم (الاوار). وحكموا بلاد الشراكسة مدة (٣٠٣) سنوات وامتدت من عام (٥٦٥م) وحتى عام (٨٠٣)م واستطاع خاناتهم (امراؤهم) خلال هذه الفترة من الاستيلاء على المناطق التي كانت خاضعة للامبراطورية الاغريقية على ساحل البحر الاسود، ودمروا كثيرا من المدن والقرى القوقازية، وواصلوا زحفهم نحو بلاد (الآنت) الشركسية القاطنين في منطقة قبائل (القبرطاي) وقبل بدء الهجوم أوفدوا إلى زعماء القبرطاي رسلا يطلبون منهم تقديم الطاعة لهم، وكان رد الامير وبتشجيع من بعض زعماء القرم بالرفض التام، بل تعاملوا مع الرسل بعلياء وكبرياء، وردوا طلبهم بجفاء، وأجابوه بكلمات جارحة، فألح رسل (الخان) في طلبهم وهددوهم بقوة سيدهم، حتى احتدم الجدال، وقال لهم الامير "**سنحاربكم وسنقاتلكم حتى لا يبقى من (الاديغة) شخصٌ واحد قادر على حمل السيف**" **وقاموا بقتل رسل الخان الذين دفعوا حياتهم ثمنا لوقاحتهم.**

وكان من نتائج هذا الموقف الشجاع من الامير ((لاورستان)) وزعماء ((الاديغة)) ان قام الاوار بقيادة قائدهم (بايقان) بهجوم كبير على مناطق القبرطاي نتج عنه تخريب البلاد وإحراق القرى وإتلاف الزرع والإمعان في تقتيل السكان وتشريدهم واضطروا معها الفرار ((عزلا)) إلى الجبال والكهوف والغابات الكثيفة هربا من وحشيتهم وانقاذاً لأنفسهم من الهلاك والفناء.

إن الخوف الذي ادخله ظلم (الاوار) وطغيانهم في قلوب الناس كان يفوق حد الوصف حتى انهم اصبحوا لا يجسرون على البقاء في مكان واحد اكثر من يومين متوالين خشية ان يصلهم الاعداء او يباغتوهم غفلة (١٠).



صورة تمثل المواقع الوعرة التي كان يقاتل فيها المقاتلون أجداد الشراكسة في العصور الأولى ما بعد الميلاد

وقتل الامير (لاورستان) في هذه المعركة وتعرضت قواته لخسائر فادحة، وانسحب مع قبيلة (كميركوي) التي كانت تشكل القوة الرئيسية في جيشه إلا أن قوات الاوار الظافرين طاردت فلول جيش (الكيمركوي) المنسحبة، وفي مضيق (الحصان الابيض) تلاقوا بقوات (ينالقوة) القادمة للنجدة وقابلوا الاوار فانهزم الامير (ينال) إلا أنه اعاد تجميع قواته وقوات (الكيمركوي) وقام بهجوم معاكس فكان الانتصار على (الأوار) فانسحبوا إلى الشمال وتخلصت بلاد الجراكسة من بلائهم وهمجيتهم إلى الأبد.

ولا تزال ذكريات تلك الفاجعة في ذكريات القفقاسين تحمل المرارة والأسى حتى يومنا الحاضر، ففي الوادي الذي تغلب فيه (الأوار) بقيادة (بايقان) على قوات (لاوريستان) الشركسية طريق يحمل اسم (حدريخه غوك) حتى اليوم ومعناه (طريق الآخرة).

كما ان وحشية جيش (بايقان) وهمجيته تركت أثرا كبيرا في نفوس (الاديغة) استمر حتى اليوم لدى الشراكسة في الوطن الام.. واعتادوا ان يضربوا مثلا كلما رأوا حصانا جميلا ابيض اللون بقولهم (مثل حصان بايقان) وسموا رجماً من الحجارة البيضاء بالقرب من قلاع (آنابا) (حصان بايقان الابيض).*

وتشير بعض الروايات الشركسية إلى أنّ جيش (لاورستان) فقد ما لا يقل عن ثلثي قواته. اما الثلث الذي عاد سالما، فكان محملاً بالغنائم والأموال والعتاد منها أعداد كبيرة من الخوذ الحديدية للتدليل على عدد قتلى جيش الاوار.

وبعد انتهاء المعركة الأولى التي خسر فيها الامير (لاورستان) ثلثي مقاتليه قال أحد شعرائهم قصيدة الرثاء التالية:

يا معيننا ومنقذنا (الياس)* ذا القوة والكرم.
ارسل البلاء من فوق السحب واقهر جواد (بايقان).
بيدك الطاهرة التي تفوق بياضا ثلوج جبالنا الابدية.
لقد فقدنا كل شيء في هذا اليوم الذي كان شره مستطيرا.
الجزع يعصر القلوب وضوضاء المعارك الدامية تطرد النياما.
ويل للشيوخ والاطفال، فهم حيارى لا مرشد لهم.
تراهم باحثين عن كمين بعيدا عن أوطانهم التي التهمتها النيران.
والذي يزيد بؤسهم بؤسا الشك والريبة وخذلان الآمال.
يسعون في ديار الغربة عادمي السكينة والاطمئنان.
ودموعهم تنهمر من مآقيهم سيلان الآنهر من منحدر الجبال. (١١)

كما أنشد شاعر آخر بعد انتصار الجيوش الشركسية المشتركة بقيادة الامير (ينالوفة) أنشد (٣٢) بيتا نقتبس منها الابيات التالية:

* ذكر نغموقة في كتابه تاريخ الاديكة بأن الامير لاورستان استطاع الهروب ولم يقتل ص:٥٥-٥٦.
* هو النبي الياس حيث كانت قبائل القبرطاي ومعظم قبائل (الاديغة) القاطنين على شواطئ البحر الاسود يعتنقون الديانة المسيحية عند وقوع معارك (الاوار والاديغة).

لقد رأينا حصن (غورتات) المنيع فريسة النيران كأنما نار الصواعق قد طوقته من كل صوب.

وكانت الحجارة المسودة من الدخان تنهال من أعاليه كأنها شهب متساقطة في الليل البهيم.

وبطلنا (الجوقة) الذي لا يعرف الخوف ما كان ليجزع من هول النيران، بل وثب فيها وثبة الأسود فاختفى.

وأما (حاتوظوقوه) فلم يسبقه احد في يوم الرهان.

و(شيراتلوقوة Sheratluko) القوي هزم الجمع وانتقم لإخوانه شر انتقام وبينما يهاجم الاعداء ببسالة كان يرى روح ابيه محلقا في الفضاء ليرى الصالحات من اعمال ولده الذي كافح الاعداء بلا معين.

واما (حاشو Chashow) الشاب فقد تحفز مرارا ليثب نحوه ويكون معينا له لو لم يمنعه عن ذلك الشيوخ الذي رق قلبهم على والدتهم العجوز الاميرة (شاميخا Shamicha) التي قبعت في دارها وهي تذرف الدمع من هول الاسى والجزع.

غير انه وثب إلى الميدان رغم الموانع وأذاق الأعداء شر العذاب. أما تراه قد افرغ آخر سهم من كناناته الثلاث؟!

ان فرساننا الذين دمروا حصن (دربند) قد توجت رؤوسهم بالخوذ، إلا ان خوذة (قبش كوكو Kipsh Gugow) فاقتها خفة وجمالا.

و(اسلام Islam) يمطر الاعداء بوابل من السهام من قوس جده الكريم.

والشجاع (موقوج يظنوقو باديو) يتخبط بدمه في ظل راية (الخان) التي كان نجلها. اذ رماه سيف العدو وخر صريعا.

وبطلنا (جاتم دوكر) الذي رده الاعداء رجع ثانية إلى ساحة الوغى ليخوض المعارك الدامية.

وكان (شاو باكر) العملاق يريق الدماء على جوانبه ويهزم جموع الأعداء شر انهزام [١١].

تتفق الرواية الشركسية مع ما كتبه المؤرخ الروسي (كرامزين) الذي استقى معلوماته عن حروب (الاوار – وشعب الأنت) ومن المؤرخين الاغريق القدماء وان الاختلاف بين الرواية وما كتبه المؤرخون هو في اسم (لاورستان) حيث ورد في (كتاب كرامزين) تحت اسم (لاوريتاس Lauritac). كما ورد اسم بايقان في الرواية الشركسية وعند كرامزين باسم (بايان – Bayan) وكذلك خلط بين شعب الاسلاو الصقيلي وبين شعب (الانت) الذين هم اجداد الشراكسة [١٢].

- **وقائع واحداث وحروب القرن العاشر الميلادي:**

تمثلت اعتداءات القرن العاشر على شعوب الامة الشركسية بالاعتداءات الهمجية التي قام بها قادة دولة (الخزر).

وقبل البحث في وقائع واحداث تلك الاعتداءات لا بد لنا من اعطاء فكرة موجزة عن دولة الخزر من حيث نشأتها، وتكوينها وأهم مدنها وتحالفاتها.

يقول المؤرخون العرب والفرس عن دولة الخزر بأنها هي الدولة التي تشكلت بين نهري (الفولغا والدون) في شمال القفقاس، وأنهم ينتسبون في الأصل إلى عرق شمالي اوروبي وانهم ينتمون لشعوب (المجر او الترك) وانهم عرفوا بأكثر من اسم مثل (قوزار) و (هوزار) و (خزان)، ويقول المؤرخ العربي (ابن فصلان) بأن (الخزر) خليط من أناس بيض البشرة وسودها كما أن (أثير)، و (شمود الدمشقي) يرجعان اصل (الخزر) إلى الكرج والأرمن.

واما ملك الخزر (ياسف) الذي كان يدين بالديانة اليهودية يقول بأن الخزر من ابناء (يافث) وانهم من نسل الابن السابع (توغورما) واسمه (كسار) إلا ان الآثار المكتشفة في (كابادو) تدل بأن (الخزر) هم بقايا الحثيين الذين عاشوا في بلاد القفقاس، كما وجدت شواهد أثرية بأنهم انتقلوا في القرن الثالث أو الرابع الميلادي إلى الاقسام الشرقية من بلاد القفقاس، وذلك في فترة قبل بدء غزوات قبائل (الهون) واستيلاء العرب على جنوب القفقاس، ثم انتقلوا إلى شمال القفقاس وأنشأوا فيه اربعة بلدان وهي:

- **بلدة بلانجر** وتقع في جنوب الداغستان.
- **بلدة سليندر**، ويسميها العرب (سمندر) بالقرب من بلدة (قيزليار) الحالية عند مصب نهر (الترك) في بحر (الخزر) شمالي الداغستان، وسكانها من المسلمين و (اليهود الموسويين) والطبقة الحاكمة للمملكة هم من الخزر.
- **بلدة اتيل** وموقعها على الشاطئ الايسر لمصب نهو الفولغا الذي كان يسمى آنذاك نهر (اتيل)،[١٣] وكانت تشغل مركزا تجاريا هاما في ذلك الوقت.

وتوسع الخزر غربا وانشأوا دولتهم في جزيرة القرم على البحر الاسود، كما انشأوا عاصمة جديدة لهم على بحر الازوف، وسميت ببلدة (سرقالة) واستمر حكم الخزر في بلاد القفقاس حتى عام ٩٨٠م.

- **وقائع وأحداث وحروب بين دولة الخزر وشعوب قفقاسيا الشمالية:**

تمثلت علاقات الخزر مع شعوب القفقاس عامة والشعوب الشركسية خاصة بنوعين من العلاقات هما:

الاولى: علاقات تجارية خاصة وأنهم توسعوا في تجاراتهم وانتشروا داخل القفقاس وخارجه في عهد الملك (بولان) الذي اعتنق الديانة (اليهودية الموسوية).

والثانية: تمثلت بالصداقة التي نشأت بين شعب الخزر والشراكسة، ثم تحولت إلى تحالف في فترة من الفترات التي كان فيها الشراكسة في حالة إعادة تنظيم صفوفهم بعد الدمار الذي خلفته جيوش الأوار.. إلا أن هذا التحالف لم يدم طويلا بعد أن حاول قادة ((الخزر)) بسط نفوذهم على بلاد الشراكسة، وجرت معارك دامية بين ((الاديكة)) الشراكسة وبين الخزر عام (٩٥٧م) في شمال نهر الكوبان [١٤]. وصفها (برقوق) بقوله: بدأت المعركة الأولى عندما خرج الامير "بشي بزروقة بولاتوقه" مع الأمير "الجوقة قان شاو" لصد غارة الخزر على "تاماتركان" وقد سار الامير "الجوقة" في الطليعة فاصطدم فجأة بجيش العدو الذي أحاط بقوته القليلة فاشتبك في قتال ضار مع العدو، ووقع أسيرا، وحين أدركت قوة (بزروقة) المعركة أحاطت (الخزر) وحدثت معركة شديدة وانسحب الخزر مغلوبين إلى عاصمتهم الصيفية (سرقله) ومعهم الأمير (الجوقة) أسيرا، ونظمت أحد شعراء الشراكسة على إثر أسر الامير (الجوقة) قصيدة نقتبس منها الابيات التالية:

كم من الايام مضت وعين (الجوقة) اليمنى تحرس البحار
لقد توالت الايام وهو في انتظار قدوم السفن الجسيمة.
ومضت السنون وهو ينتظر قطع الفضة ليبتاع حريته ثانيا.
لقد اقسموا له بذلك امام الله، وهذا شيء عظيم.
وهكذا يغضب (الجوقة) الذي آثار الحرب، وهو أسير في (سرقلة).
لكن مقتك وغضبك قد ذهبا سدى يا (الجوقة).
إذ المحاربون الذين شتتوا الاعداء، حينما لم يجدوك.
لم يروا بدا من تركك حيث كنت، فارتدوا إلى ديارهم
مثقلين بالأسلاب والغنائم التي تركها الاعداء الهاربون.
وحلفوا لك الايمان امام الله.. وهذا شيء عظيم.
مالك تغضب يا (الجوقة)؟.. أما أنت الذي جلب إلى نفسه.
الويل والخراب؟! فانتظر الرحمة اذن من بني قومك في (سرقله).
حلفوا لك الايمان مرارا امام الله .. وهذا شيء عظيم.
ولكن الايمان ذهبت أدراج الرياح.. و(الجوقة) البطل.
يقضي أيام شبابه في ديار الغربة عبدا أسيرا [١٥].

المعركة الثانية: وبدأت بعد أن اتفق امراء الشراكسة على غزو عاصمة الخزر (سرقلة) أو (ايسكاله Askala)، فاحتلوها بالقوة، واطلقوا سراح (الامير الجوقة) كما استولى (الجيش المشترك) على سواحل بحر (ازوف) وسيطروا على إمارة "تمتارقان- Tamtarkan " وعادوا للبلاد منتصرين، واستقبلهم شعب "الاديغة" استقبال الابطال العظام، وساعدت الاموال والغنائم التي جلبوها معهم من بلاد الخزر على تخفيف وطأة القحط والمجاعة التي حلت ببلاد الشراكسة بعد الغزوات والاعتداءات الهمجية السابقة عامة مثل اعتداءات الهون وخان الاوار وغيرها.

أما المعركة الثالثة، فكانت في عهد الامير "ايدار Idar" حفيد الامير (ينال) الكبير. حيث تشير الوقائع التاريخية إلى أنه عندما بلغ هذا الامير الشاب سن الرجولة، كان أول ما فكر فيه هو غزو البلاد المجاورة واخضاعها، وزحف بجيش مكوّن من جميع قبائل (الاديغة) إلى مملكة الخزر القائمة على سواحل بحر آزوف. فهزموا الخزر، ورجعوا من حملتهم بكثير من الغنائم والاسلاب، وقيل إن جده "يلجروقة Eldjeruko" أمير قبائل "البظة دوغ" والعملاق المشهور بقوته البدنية (رردديا Rededia) كانا يرافقانه في أسفاره وغزواته.

وقيل عن (رردديا) بأنه كان عملاقا وقويا ولم يتمكن أحد من شعب الاديكة من منازلته، وقد خلد اسمه في الأغنية المعروفة التي مطلعها:

رردديا، رردديا أسعد السعداء!.

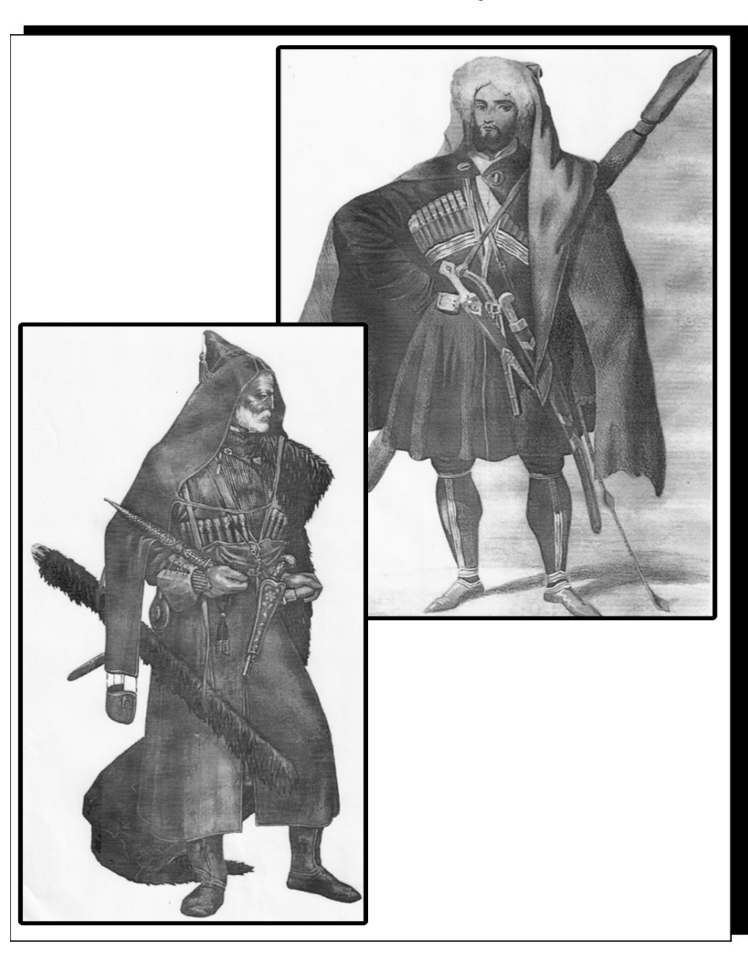
وليومنا هذا يذكر اسمه في اغاني الاعراس ومواسم الحصاد وأوقات جمع الغلة وغيرها من المناسبات والحفلات في المجتمعات الشركسية العديدة [١٦].

- **وقائع واحداث حروب القرن الثالث عشر الميلادي**

بدأت حروب هذا القرن بالاعتداءات التي نفذتها جيوش "التورغوت Turghut " وهم اجداد القالمون الحاليون، حيث فاجأت هذه الجيوش القبائل الشركسية التي كانت بقيادة الامير (بشى والامير قديرشوقة) من القبرطاي، فأعد لهم الامراء من ذوي الخبرة والحنكة الخطط المناسبة لمواجهة العدو مجهول العدد والعدة، حيث تضمنت تلك الخطط الاستراتيجيات التالية:

١- إرسال الفٍ من نخبة المقاتلين بقيادة ثلاثة من الامراء الشباب لاستكشاف حركات العدو وعدد مقاتليهم وقوتهم وأهدافهم الحقيقية وأدت هذه الفرقة الاستكشافية مهامها على اكمل وجه.

٢- استنادا للمعلومات التي حصلت عليها الفرقة الاستكشافية قام القادة العسكريون من الامراء بجمع قطعان الخيل والبقر وغيرها من الماشية التي كانوا يملكونها، وارسالها إلى مواقع جبلية محصنة بعيدة عن ساحة المعركة.



صور (رمزية) تمثل أميرين من أمراء أجداد الشراكسة الذين قادوا المعارك ضد دولة الخزر

٣- وفي اليوم الثامن من بدء الاستعداد للمعركة تقدم المقاتلون الشراكسة إلى ملتقى نهري "المالقا والترك" وفي اللحظة التي بدأت قوات العدو في اجتياز النهر تصدى لهم بعض قوات القبرطاي التي كانت في الجبهة الامامية.. فاكتشف القادة "الامراء" بأن الموقع غير مناسب من الناحية العسكرية وأن العدو مسيطر تماما على الموقع من جميع نواحيه، فأصدروا أوامر للقوات الشركسية بالتراجع واستدراج العدو إلى سفوح الجبال، كما قرروا التحصن على ضفاف نهر (بسي غونامي) ويسمى الان نهر "لزكن". واستكمالا للخطة العسكرية وحتى يتمكنوا من الدفاع عن البلاد قرروا ارسال نصف القوات العسكرية إلى ضفاف نهر ((باقسان)).

٤- تتقهقر القوات الشركسية للخلف اكثر فأكثر بعد ما تأكد لهم بأن عدد قوات العدو اكثر بكثير من القوات الشركسية.. فاجتاز قوات التورغوت ((مالقا)) من عدة مواقع وبدأو بحرق القرى المهجورة ونهب ما تبقى فيها من مخلفات وامتعة وقتل الكلاب والقطط والطيور لأكلها وشرب دمائها بنوع من التلذذ والشراهة [١٧].

٥- حاولت القوات الشركسية التصدي لهم ومنعهم من التقدم، إلا أنهم خسروا المعركة الأولى امام العدو كثير العدد والعدة، فانسحبوا والتجأوا إلى المواقع الجبلية فلحق بهم العدو بعد أن تحصن الشراكسة في موقع حصين فاشتبك الفريقان للمرة الثانية في معركة دامية استمرت بضعة ايام دون حسم المعركة لصالح احد الفريقين، وقتل فيها عدد كبير من امراء القبرطاي منهم الامير (بشي باتوقة وخوتشوقة وبوتت، وكلمات) .

وأنشد الشعراء بعد انتصار قوات القبرطاي المدعومة من القبائل الشركسية الاخرى أبياتا تصف بطولة الشراكسة في هذه المعركة نقتبس منها الابيات التالية:

إن الدماء تجري كالسيول في "قاج طاو" وابطالنا الذين لا يعرفون الخوف قد ضاق بهم المكان ومنعهم من الانتشار، وأما فرساننا البواسل فقد ضاقوا ذرعا بالوادي الضيق.

وصفوف أمرائنا قد خلت من البطل الهمام (قدير شوقه) الذي كان أشجع الابطال، وقد قضى نحبه في "قاج طاو".

وكذلك (تابسوروقه) الشاب عندما دمر الجسر هوى في الهوة السحيقة حيث لاقى حتفه.

لقد كان (الشامخال) نفسه يشتهي المساعدات القيمة التي كانت أشهى غنيمة عنده وهي مبعثرة على الأرض، وأما محاربونا الذين نجوا من الهلاك فقد جاءوا إلى الامير ((قازي)) ابن ((بشى يابشوقة))بالخبر الحزين وحينئذ اسرع هذا على جواده للحاق بأخوانه كالبرق، وكادت حبال السرج تتقطع من سرعة الجري، وهذا الحصان الذي لا مثيل له يرعى في الجبال مع الذئاب والاسود وهذا الامير القوي، بالنسبة إليه ليس إلا لهوا ولعبا ان يفصل الرؤوس عن اكتاف الاعداء العريضة، وان ضربته هي هي سواء كانت من يده اليمنى أو اليسرى ورماحه لا محالة قاتله، إذا لم تتكسر عيدانها من شدة الطحن ولكنه لم يرجع من ساحة الوغى وعود رمحه سالم [١٨].

- **احداث ووقائع واعتداءات المغول الوحشية على بلاد الشراكسة.**

تجددت المعارك ضد الشراكسة "الاديغة" عام ١٢٢٢م، حيث ارسل (جنكيز خان) جيشا مؤلفا من (٢٠) الفا من خيرة المحاربين بقيادة قائدين مشهورين هما:

(جبه) و (سوبوتاي تورغوت) إلى بلاد الداغستان أولاً واشتبكوا معهم في معركة (دربند) في الداغستان ولاقت القوات المغولية مقاومة عنيفة جدا، إلا انهم واصلوا طريقهم نحو الشمال حتى وصلوا نهر الترك، واشتبكوا مع القبائل القوقازية المؤلفة من لاق أو (اللزكي) والآلان (آستين) والجاجان ومن التحق بهم من الداغستانيين وكذلك قبيلة القبجاق الكبيرة، ودارت معارك عنيفة بينهم قرب نهر الترك، وبادر امراء القبرطاي من عشائر الشراكسة (الاديغة) الشرقيين بزعامة الامير (ليشي يوقة) (ويشي قادر شاوقة) إلى ارسال مجموعة من الفرسان الشركس بقيادة الامراء ((قدير شوقه وتابسا روقة وجلاخستان)) إلى الخطوط الامامية في منطقة (دربند) الداغستانية لإعاقة تقدم جيش المغول إلى حين وصول المقاتلين من الشراكسة الغربيين من منطقة (الكوبان) والمؤلفة من قبائل الشابسوغ والابزاخ وغيرها. والتقى الجيشان في منطقة ((مزدوك)) وبالتحديد في موقع سمي باللغة التتارية اليوم (قاج طاو) ومعناه (الفرار من الجبال).

ثم عاودوا الهجوم على القوات الشركسية بعد اتفاق قادة المغول (سراً) مع قادة (القبجاق) مستغلين مشاعر (الاخوة التركية المغولية) أولا مقابل منحهم قسماً كبيراً من غنائم الحرب ومسلوباتها ثانيا. وكذلك استغلال بوادر الترهل والتراخي اللذين ظهرا بين صفوف الجيوش القوقازية عامة وجيش الاستين خاصة.

وحدثت معارك شرسة بين الجيوش المغولية وقادة القبجاق وبين الجيوش القوقازية وجيش الشراكسة (الاديغة).

ولم يتمكن الشراكسة القبرطاي من الصمود في المعركة فترة طويلة خاصة وان ثلاثة من اكبر قادتهم كانوا قد قتلوا وهم (يشي يوقه، وقادر شوقة، وكلمات) بالإضافة إلى جرح اميرين آخرين، فاضطروا للتقهقر، إلى ان وصل الامير (شوة لوخ) من شراكسة الغربيين من قبائل الشابسوغ والابزاخ على رأس جيش كبير وقام بإعادة تنظيم قوات القبرطاي المتقهقرة وبدأ هجوم معاكس في لحظة كان فيها المغول في استرخاء من نشوة الانتظار ظنا من قادتهم بأن الشراكسة لن تقوم لهم قائمة، فهبّت القوات الشركسية بهجوم صاعق وعنيف على مواقع المغول، اضطر معه جيش العدو المغول للانسحاب من ساحة المعركة ومغادرة بلاد القفقاس كما تمكنوا من استعادة الغنائم التي سبق ان استولى عليها قادة القبجاق الذين خانوا حلفاءهم الشراكسة بتقديم الدعم لجيش المغول [١٩].

وفي عام ١٢٢٧ وبعد موت جنكيز خان قام ابنه الذي تولى قيادة المغول واسمه (اوجادي خان) بالتوجه نحو غرب روسيا على رأس جيش كبير واحتل روسيا بعد أن أحرق موسكو والعديد من المدن الروسية وأنشأ عام ١٢٣٨ دولة باسم ((دولة الجيش الذهبي)) وعاصمتها ((سازي)).

وفي عام (١٢٧٧)م عاد المغول بقيادة ((منغوخان)) ومعه بعض امراء الروس لمهاجمة بلاد القبرطاي في القسم الشرقي من القفقاس، وحاول الشراكسة إيقافهم، إلا انهم استطاعوا التقدم واحتلال منطقة حوض نهر الترك وبسط سلطاتهم عليها اضطرت معها عشائر ((الاديغة)) للانسحاب إلى الجبال الغربية، وانشأ المغول خلال هذه الفترة مستعمرات لهم على سواحل البحر الاسود وحوض نهر الترك واختلطوا بالقبائل القفقاسية الاصلية وتوطدت بينهم العلاقات إلى حد قيام تحالف بينهم ومحاربة (تيمورلنك) التتري وفي عام (١٣٩٦) تعرض فيها الشراكسة إلى خسائر فادحة وانتصر فيه التتار بقيادة (تيمورلنك) كما هزموا جيوش المغول وقضوا على دولة الجيش الذهبي في موقع اسمه (تترتوب).

ونظمت قصائد الرثاء لوصف الخسائر الفادحة التي تعرض لها الشراكسة (الاديغة) من مجازر في هذا الموقع المسمى (تترتوب)، كما ان الشراكسة يقولون حتى يومنا الحاضر ((من غير الممكن أن لا تسيل الدموع عند المرور من توب)).

وفي عام ١٣٩٨م ثارت القبائل الشركسية عامة وشراكسة القبرطاي خاصة وهاجمت قوات (تيمورلنك) التترية ودارت معها معارك دامية انتصر فيها الشراكسة، وأسروا اعدادا كبيرة من قوات (تيمورلنك) الذين بقوا على قيد الحياة والتجأ عدد آخر منهم إلى بلاد القرم.

وبذلك استطاع الجركس وخاصة قبائل القسم الاوسط من العودة إلى السهول الخصبة التي كانوا قد نزحوا عنها إلى الجبال، وزال عنهم الكابوس الرهيب المزدوج هما: **كابوس المغول وكابوس التتار**، واستردوا وطنهم واعادوا بناءه من جديد.

مراجع ومصادر الفصل الأول والثاني

(١) سمكوغ، برزج، مصدر سابق، ص٢٤١.

(٢) آبه زاو، نقلا عن هيردوت، مصدر سابق، ص: ٢٠٨-٢١٥.

(٣) آبه زاو، مصدر سابق، ص٢٣٢-٢٣٣.

(٤) برزج، نهاد، مصدر سابق، ص: ٣٤.

(٥) نغموقة، شورا بكمرزه، مصدر سابق، ص: ٥٣-٥٤.

(٦) جورناندس (مؤرخ غوطي) عاش في القرن السادس الميلادي وهو اول من كتب حول تاريخ (الغوط) وحروبهم في القفقاس، وقام المؤرخ الشركسي (نغموقة) بترجمة وقائع واحداث حروب (القوط) في القفقاس الشمالية ص:١١.

(٧) برزج، نهاد، تهجير الشراكسة، مصدر سابق، ص: ٢٤.

(٨) نغموقة، شورا بكمرزة: مصدر سابق، ص: ٤٩-٥٢.

(٩) نغموقة، شورا بكمرزة: المصدر نفسه ص: ٥٥-٥٦.

(١٠) ابه زاو، مصدر سابق ص: ٢٣٥-٢٣٦.

(١١) المصدر نفسه، ص: ٥٧-٥٩.

(١٢) كرامزيين، المملكة الروسية، منشورة باللغة الروسية ص: ١٤ – الجزء الاول ونقلها للغة العربية شوكت المفتي عند ترجمته كتاب نغموقة (موجز في تاريخ (الجركس) عام ١٩٥٣، ص: ٥٩-٦٠.

(١٣) برقوق، اسماعيل، قفقاسيا في التاريخ المنشور في الاستانة عام ١٩٥٨ ونقل ترجمته محمد جمال آبه زاو في كتابه موسوعة تاريخ القفقاس والشركس ص: ٢٣٩-٢٤٢.

(١٤) نغموقة، مصدر سابق، ص: ٧٣-٧٤.

(١٥) المصدر نفسه، ص: ٧٨-٧٩.

(١٦) المصدر نفسه، ص٨٨-٩٠.

(١٧) المصدر نفسه، ص: ٩١-٩٢.

(١٨) برقوق، مصدر سابق ص: ١٧٠-١٧١.

(١٩) المصدر نفسه، ص: ١٨٠.

الفصل الثالث

حروب الأمة الشركسية في القرون السادس والسابع والثامن عشر الميلادي

تعود بدايات الاطماع الروسية في الاستيلاء على بلاد القفقاس عامة وبلاد الشركس خاصة إلى عقد العشرينات من القرن الثالث عشر، وبالتحديد منذ ان شارك الروس مع دولة الجيش الذهبي في انشاء مستعمرات لها في سهول (القفقاس) وسواحل بحر الخزر، وحوض نهر الترك ابتداء من عام ١٢٢٧م وهي المستعمرات التي انشأها (منغوخان) وكان لها آثار كبيرة على مستقبل القفقاس ومقدرات الشعوب القفقاسية. حيث ان الروس (السلاف) لم يكونوا قبل هذا التاريخ يعرفون شيئا عن القفقاس، إلا أنه وبعد الوصول إليها خلال مشاركتهم مع الجيوش المغولية اتيحت لهم فرصة التعرف على ثرواتها واهميتها الجغرافية والاقتصادية وأوضاعها الاجتماعية، كما تعرفوا على مواقعها وطرقاتها وتفتحت أطماعهم على خيراتها وترسخت في اذهانهم فكرة الاستيلاء عليها [١]

- **عقد اتفاقية التعاون بين امراء القبرطاي وقياصرة الروس بحثاً عن حليف لهم**

تأخر التنفيذ الفعلي لمخطط الروس للاستيلاء على القفقاس (ارضا بلا شعب) حتى عام ١٥٥٧م وهو العام الذي بدأ فيه القبرطاي في البحث عن حليف لهم ضد (خانات القرم) **حيث قرر زعيم منطقة قبرطاي الكبرى (ايدار تميروقة) تشكيل وفد برئاسة قانوقة يقوه ووجههم إلى موسكو لعرض رغبة الامير تمروقة في عقد اتفاقية تعاون مع الروس وفي نفس العام وافق القيصر ايفان (الرهيب) على عقد اتفاقية تعاون مشترك مع القبرطاي وفق الشروط التالية:**

١- تقديم اولاد الامير (تيمروقة ايدار) للقيصر كرهائن لضمان حق تنفيذ الاتفاقية وعدم الغدر به.

٢- تنصير الرهائن من اولاد الامير وتعميدهم تحت اسماء روسية (مسيحية).

٣- تزويج الاميرة (كوشينه) ابنة الامير تيمروقة بعد اعتناقها المسيحية وتعميدها تحت اسم (ماريا) واصبحت الزوجة الثانية للقيصر (ايفان) اعتبارا من تاريخ ١٥٦١/٨/٢١.

٤- دعم الشراكسة من القبرطاي الجيش القيصري اذا دعت الضرورة لذلك.

وبرر الامير تيمروقة عقد هذه الاتفاقية بقوله:

"بلادنا جميلة وأراضينا خصبة وغنية في ظاهرها وباطنها، وجيراننا أكثر منا عددا وعدة، وكانوا يطمعون بالاستيلاء على أرضنا الحبيبة، مما دفعنا لطلب المعونة من الآخرين، حرصا منا لحماية القفقاس الغالية، حيث إن الشراكسة قد تعلموا بعد تجارب كثيرة، من علاقاتهم مع الروس، او مع خان القرم، أو مع الاتراك ووصلوا إلى قناعة تامة بأن لا أمانة لطامع أو مستعمر".

نقض الاتفاقية:

وتضاربت الاراء حول هذه الاتفاقية.. فهل كان الأمير تيمروقة على صواب عندما بادر في طلب عقد هذه الاتفاقية مع الروس؟ وكان من المشككين بالجدوى السياسية لهذه الاتفاقية الاكاديمية (تيخا ميروف)؟ الذي تساءل: "هل هذا الاتفاق هو لصالح امراء الشراكسة وهل عقده كان لضمان وتقوية مكانتهم"، كما كتب العالم (اوله بسخاف) بأن "شراكسة القبرطاي لم يقوموا بدورهم والتقيد بهذه الاتفاقية، وانهم شككوا بجدواها، وأن أمانيهم وأحلامهم كانت العيش أحرارا دون تدخل الآخرين بشؤون حياتهم" [٢].



الأمير تيمروقة ايدار وابنته كوشينه التي تزوجها القيصر ايفان الرهيب عام ١٥٦١وسميت بالأميرة ماريا

واما (ن. ف غرابوفسكي) نشر مقالة حول انضمام امراء (كابارد) القبرطاي إلى روسيا بقوله:

"... يجب الملاحظة أنه في الاوقات الحرجة وعندما لم تكن روسيا تملك القوة الكافية للدفاع عن نفسها، وقف القبرطاي إلى جانبها بمحض ارادتهم، وقدموا المساعدة للروس تحت تأثير مصداقية مشاعرهم دون ان يطلبوا لقاء ذلك أي مكافأة، وحتى انهم لم يستفيدوا في تلك الازمات من المساعدات العسكرية الروسية، وعندما أصبحت الدولة الروسية على أبواب الانهيار حافظ أمراء القبرطاي على اخلاصهم، وارسلوا موفديهم إلى موسكو للقاء القيصر والاعلان عن استعدادهم لدعمه". [٣].

وبعد فترة وجيزة على عقد الاتفاقية تعاون ١٥٥٧/ اصبح شقيق الاميرة (ماريا) الذي تنصر واصبح اسمه (ميخائل تمروقوف جركسكوي) مستشارا خاصا للقيصر، إلا انه اتهم بقتل زوجة القيصر الاولى واعدمه اتباع القيصر ايفان الرهيب.

- **مأساة الاميرة ماريا (كوشينه)**

وجدت الاميرة الشركسية التي نشأت في جبال القفقاس، وتربت وفق العادات والتقاليد الشركسية نفسها **في وسط فاسد مليء بالدعارة والسكر والحياة الاباحية التي كانت تقام يوميا،** وأصبحت كزهرة قطعت قبل اوانها، ولم يتح لها ان تتفتح، وبدأت بالانكماش والسعال فلم تصمد أمام تلك الحياة الفاسدة اكثر من ثماني سنوات حتى ماتت قهراً في عام ١٥٦٩ [٤].

- **أول تغلغل لجيوش السلطات الروسية القيصرية في بلاد القبرطاي:**

في عام ١٥٦٥ ارسل القيصر إيفان الامير ايوان داتشكوف على رأس جيش إلى بلاد القبرطاي لمساعدة اميرها (تمروقة) في حروب ضد تتار القرم، وبدأ تنفيذ اولى سياسته الاستعمارية بحجة حماية الامير (تمروقة) للتغلغل في بلاد الشراكسة والتي تمثلت بالسياسات التالية:

١- نشر المسيحية بين شراكسة القبرطاي.

٢- انشاء مدينة روسية على ضفاف نهر الترك بالرغم من معارضة الشراكسة (القبرطاي) وعلى إثرها توترت العلاقات بين الطرفين وتحولت لمصادمات مسلحة عنيفة بين الشراكسة وقوات القيصر الروسي.

وفي عام ١٥٧٠ تم اخلاء هذه المدينة، ومن غير المعروف ان تم ذلك بطلب من السلطان التركي أم لأسباب مجهولة اخرى.." وفي عام ١٥٨٨ وخلال عهد القيصر فيدور ايفانوفيتش تم انعاش تلك البلدة من جديد.

وفي عام ١٥٧٨ اقام الروس أول قلعة لهم في القفقاس على ضفاف نهر (سونج) والقلعة الثانية على ضفاف نهر (ترك) عام ١٥٨٨. (٦)

وفي عام ١٥٧٠ هاجم خان القرم (دولت كراي) بلاد الشابسوغ اولا ودمر قراها وسلب ونهب اهلها، ثم هاجم بلاد القبرطاي وانسحب منها بعد معارك عنيفة، وكانت تلك المعارك اول اعتداء يتعرض لها شراكسة القبرطاي بعد توقيع الاتفاقية مع (ايفان الرهيب) **إلا ان القوات الروسية لم تتحرك لمساندة قوات القبرطاي تنفيذاً للاتفاقية الموقعة بينهما بحجة ان الروس كانوا مهددين ايضا من هجمات التتار واعتداءاتهم.** (٥)

بدء الاعمال العسكرية الروسية في بلاد القفقاس:

بدأ قياصرة الروس في تنفيذ مخططهم للاستيلاء على بلاد القفقاس بالقوة العسكرية بعد ان اصبح لهم موطئ قدم بعد تشييد قلعتين عسكريتين على ضفاف نهري الترك وسونج. حيث امر القيصر الهجوم على بلاد الداغستان عامي ١٦٠٤-١٦٠٥ ، إلا ان الداغستان والشيشان قاموا بدفاع قوي مشترك أدى إلى ايقاع خسائر في الأرواح لأكثر من (٧٠٠٠) قتيل روسي، وهزموا في هذه المعارك مما اضطرهم إلى الاعتصام داخل القلعة التي بنوها على (نهر ترك) وفي نفس الفترة قام الروس ايضا بمهاجمة شعب الاديغة في (الكوبان) إلا انهم فشلوا في هجومهم واجبروا على التوقف عند موقع شعب مدينة (ستافروبول) حاليا.

وفي عام ١٦١٣ اراد الروس تحصين مواقعهم في بلاد القبرطاي فقاموا بتحصين القلعة التي بنوها على نهر (الترك)، وجعلوها مركزا اداريا وعسكريا لهم، وفي عام ١٦١٥ اعترف بعض شراكسة القبرطاي بزعامة الامير (سنجالي) على منطقة قبرطاي الكبرى(٦).

- **اعلان امراء القبرطاي الطاعة والولاء للقيصر رومانوف**

وفي عام ١٦١٤ وبعد احراز الروس النصر النهائي على البولونيين وطردهم من بلادهم نودي (بميخائيل فيدروفيتش رومانوف) قيصرا على البلاد الروسية وأرسل كل من امراء القبارطاي (شولوخ، قازي شبتوقا، موردار، قودنيت مرزا قاسبولات، نارت شو مرزا بوسولكا، وأولاد آتيك وغيرهم) كتاب تهنئة بمناسبة جلوسه على العرش. واعلنوا طاعتهم مجددا للقيصر (وادوا يمين الولاء) بحضور رسوله (بطرس سماغين)، أحد أكابر (البويار) الذي كان قد اوفد خصيصا إلى بلاد الجركس ليتقبل عرض طاعتهم ويمين ولائهم الذي ادوه على (المصحف)، وكان نص يمين الولاء كما يلي:

"أنا الموقع ادناه (اسمه) (احلف يمين الولاء للقيصر العظيم) وأمير الامراء "ميخائيل فيدوروفيتش" حاكم البلاد الروسية جميعا وأضمن له السلام بنفسي واتعهد بأن أقوم بكل ما علي من واجب الطاعة والولاء التام، وعلى اخواني وأقاربي وعلى جميع سكان القبارطا من جميع الطبقات ، وليس لنا غرض سوى الخدمة والطاعة للحاكم العظيم وامير الامراء "ميخائيل فيودوروفيتش" طول أيامنا وحياتنا بكل صدق وأمانة، ولا هدف لنا إلا عمل ما يأمر به ويشير إليه وسوف نبقى إن شاء الله تحت طاعته.

واذا أمرنا بمقاتلة الأعداء أو من عصى أمره أكون أنا (الاسم) واخوتي وأولادي وجميع اتباعي رهن اشارته، ولن أتأخر لحظة واحدة عن تنفيذ اوامره، كما نتعهد بأن نقوم بواجبنا بكل دقة وامانة دون اهمال أو خيانة وعن طيب خاطر وبكل سرعة ممكنة. ونتعهد ايضا بأن لا نعاشر إلا الامراء الذين يخدمون سيدنا القيصر حق الخدمة والذين لا يعصون أمره ولا يسيئون إليه، ولا يتعدون على البلاد الخاضعة له، ولا يشتغلون بأعمال النهب والسلب وسرقة المواشي، ولا يأسرون الحائز لتابعيته. وسوف لا نعترف بالملوك ولا نجالس أهالي (أزوف) ولا الخائن لبلاده، ولا نريد ان نرافق احدا منهم إلى موسكو أو إلى غيرها من المدن الخاضعة للقيصر، ولا إلى المدن الواقعة على ضفاف نهر الدون، ولا إلى بلاد اوكرانيا ولا (موردا)، وسوف لا أصحبهم بأحد يرشدهم إلى تلك البلاد والمدن المذكورة، أو يدلهم على أي تابع من اتباع القيصر العظيم وأمير الامراء "ميخائيل فيودوروفيتش" الذي تخضع له جميع البلاد الروسية.. وها أنا أتعهد بأن لا أرشدهم ولا أدلهم أو أصحبهم بأحد يرشدهم. وأتعهد بأن لا اشترك بأية مؤامرة وأن لا أخونه... وهلم جرا...

وتضمنت وثيقة الولاء في فقرتها الأخيرة النص التالي:

"أقسم اليمين بتحقيق وتنفيذ كل ما جاء في هذه الوثيقة للقيصر العظيم وأمير الامراء "ميخائيل فيودروفيتش" الحاكم على جميع البلاد الروسية.

ولم يكتفِ الامراء بإرسال وثيقة الولاء للقيصر، بل قاموا بإرسال وفد رسمي ليعبروا عن ولائهم وخالص طاعتهم للقيصر مؤلف من: الامراء (قانبولات سونجا لاي قانفيليش، وشوجنوقة مرزا بوسلوق) كما قدموا رهائن تأكيدا لضمان ولائهم تضم أفرادا من أسر الأمراء التالية: (دنكرنك آلاشوقا، وقازي موساوى، وسلطان علي جانبولات، وشولوخ، واسلام بك موسى). [٧].

وفي عام ١٦٤٥ وبعد تسلم القيصر الجديد (ميخالوفيتش) سدة حكم روسيا، جدد بعض امراء القبرطاي ولاءهم واعلنوا تأييدهم للقيصر الجديد واقسموا اليمين لأن يكونوا في خدمته كما كانوا في خدمة سلفه القيصر السابق.

وتكرر اداء قسم اليمين لكل قيصر جديد كان يتسلم الحكم في موسكو حرصا على امراء شراكسة القبرطاي تنفيذ شرط من شروط اتفاقية التعاون التي وقعت مع ايفان الرهيب منذ عام ١٥٥٧م.

ثانيا: وقائع وأحداث حروب الأمة الشركسية في القرن الثامن عشر ضد الغزاة خانات القرم

بدأت احداث هذا القرن بمعارك عنيفة مع جيوش خانات القرم وأهمها:

- **معارك العقد الأول من القرن الثامن عشر**

* **معارك عام ١٧٠٥** وانتصر فيها شراكسة القبرطاي بدون اية مساندة من السلطات الروسية بالرغم من الاتفاقيات الموقعة بينهما.

* **وفي عام ١٧٠٧** هُزم قوزاق التيرك على يد خان القرم وبعد ذلك بخمسة اعوام اقنع القائد البري / البحري الروسي الشهير (أبراكسين) القيصر بطرس على دفع روبل لكل رجل شركسي، وقلد كل مجموعة أو فوج منهم صولجان الشرف، والذي ما زال احفادهم يحتفظون به حتى اليوم مع تذكارات نصر مختلفة، بما في ذلك راية القيصر الكسي ميخالوفيتش (Alexei Mikhailovitch)

* **في عام ١٧٠٨** عاود قوات خانات القرم هجومها على بلاد القبرطاي، ورُدوا على اعقابهم مهزومين .. وبدون أية مساعدة من الروس ايضا. [٨]

* **وفي يوم ٢٦ آب عام ١٧١١**، غزا اراكسين، حاكم استراخان، بلاد الشراكسة بجيش روسي قوامه ٣٠,٠٠٠ جندي، فنهب القرى وخرّب الأرض بمحاذاة نهر الكوبان، قتل ٤٣,٢٤٧ شركسيا، ساق أمامه ٣٩,٢٠٠ جواداً، ١٩٠,٠٠٠ رأس ماشية و ٢٢٧,٠٠٠ رأس غنم. لم تكن الغاية من الحملة مجرد الربح المادي، بل كانت مقدمة لحرب الاكتساح الرهيبة التي تنوي روسيا الشروع بها.

*** وقائع واحداث وحروب العقد الثاني من القرن الثامن عشر:**

يعتبر يوم ١٧٢٢/٧/٢٧ هي البداية الفعلية لحرب الابادة والدمار التي شنتها سلطات روسيا القيصرية على شعوب القفقاس عامة والامة الشركسية خاصة، وفي هذا اليوم قام بطرس الاكبر بحملة حربية على القفقاس بعد أن كان قد سبق وأرسل حملتين، أبيدتا إبادة تامة، وكان الجيش البري مؤلفا من الجنود الخيالة الذين سبق لهم ان حاربوا في السويد، إضافة إلى دعم القوزاق والتتار والقالموق والاسطول البحري الذي وصل إلى نقطة الانزال يوم ١٧٢٢/٧/٢٧ .

كما وجه القيصر بطرس الاكبر حملة أخرى ضد مدينة (خيوه)، بقيادة الامير (بيقوفتش شيركاسكي) من عائلة بيقوفتش من الاديغية أصلاً، الذي سبق أن التحق بالبلاط الروسي إبان حكم القيصر ايفان الرهيب، وقد مُزقت القوة شر تمزيق وقُتل جميع افرادها البالغ عددهم سبعة الاف جندي تقريبا بمن فيهم قائدهم الشركسي الأصل، وقام مقاتلو القبرطاي **بحشي جثة الامير بيقوفتش بالقش وعلقت على باب المدينة ليكون مصير هذا الامير القفقاسي المرتد عبرة لاولئك الذين يفكرون في خيانة شعوبهم واوطانهم.** ويقول المؤرخون لهذه المعركة بأن السلطات الروسية خرجت من وقائعها بحقيقتين:

الاولى: ضرورة اقناع دول اوروبا عامة، لتقديم الدعم للدولة الروسية ومساعدتها في التصدي للقوى الاسلامية المؤلفة من شعوب (القفقاس الشرقي وتركيا العثمانية، وإيران الفارسية والامم المسلمة في شرق بحر قزوين), وهكذا قامت دول اوروبا اعتبارا من هذا التاريخ، بفتح ابواب مصانعها الحربية أمام البعثات الروسية، لتغرف منها ما تشاء.



صور رمزية تمثل مجموعة من أمراء الشراكسة الذين قاتلوا القوات الروسية القيصرية التي اعلنت حرب ابادة ودمار الأمة الشركسية في القرن الثامن عشر الميلادي

والثانية: قناعة الروس بأن بلاد القفقاس اكثر منعة من ان يتمكن جيش واحد من احتلال اراضيها مهما بلغت قوة هذا الجيش، وهي القناعة التي تكونت بعد ان هُزمت روسيا القوية شر هزيمة على يد عصبة صغيرة من محاربي القوات القوقازية عامة والشراكسة الشجعان خاصة. وأغرقت اثنتا عشرة سفينة من سفن الاسطول الروسي، كما تعطلت ثلاثون أخرى ولم يتمكن الجيش الروسي الوصول إلى ابعد من (دربند)، مع العلم بأن حاكم هذه المدينة (الضعيف)، قام بفتح ابوابها المنيعة طوعا، ولم يتم احتلالها بالوسائل الحربية (٩).

وفي عام ١٧٢٩م عادت قوات (خانات القرم) بالهجوم على امارة القبرطاي الشركسية بقوات كبيرة من ثلاث مناطق، إلا ان المقاتلين القبرطاي استطاعوا بحنكتهم الانتصار عليهم وعودتهم لبلادهم بعد أن كبدوا خانات القرم خسائر كبيرة في الارواح والعتاد.

وقائع واحداث وحروب العقد الثالث الميلادي من القرن الثامن عشر

بعد وفاة القيصر بطرس الأكبر، ضعفت سيطرة روسيا على المناطق القفقاسية واضطرت اخيرا للانسحاب واخلائها في عام ١٧٣٥م.

وفي يوم ١-٩-١٧٣٩م اعترف الروس والعثمانيون بموجب (معاهدة بلغراد) باستقلال مناطق قبرطاي الكبرى، وقبرطاي الصغرى، ومنطقة مزدوك، ومع ذلك ظلت المراسلات بين الطرفين (الروسية والعثمانية) تتم تحت اسم الحاكم الوريث لمنطقة بلاد الشركس والقبرطاي.

احداث ووقائع وحروب ووقائع العقد الرابع من القرن الثامن عشر

كانت روسيا تراعي تطبيق (معاهدة بلغراد) لكنها لم تتخلَ عن أطماعها في بلاد القبرطاي، واستغلت السلطات الروسية تهديدات شاه ايران بغزو بلاد القبرطاي عام ١٧٤٠ في التقرب من امراء القبرطاي من جديد ومحاولة اقناعهم بأن روسيا ستقف إلى جانبهم في حال قيام السلطات الايرانية بغزو بلادهم، ولتحقيق هذا التقارب أوفدت روسيا في عام ١٧٤٢ قيصر جورجيا (باكاز باختاغوفيتش) إلى القبرطاي، حيث كانت له علاقات قربى مع بعض امراء القبرطاي. ونجحت مساعيه حيث ارسل القبرطاي احد كبار شخصياتهم واسمه (محمد صادق يوسف) لحضور احتفالات تنصيب الامبراطورة (اليزابيث بيتروفا) عام ١٧٤٢، كما تم منح الهبة المخصصة سابقا لبلاد القبرطاي بقيمة عشرة الاف روبل بأمر من مجلس الشيوخ الروسي الصادر يوم ٩/ شباط من نفس العام.

احداث العقد الخامس من القرن الثامن عشر الميلادي:

توفي في عام (١٧٥٠) الأمير ينال حاكم القبرطاي الصغرى، تاركا وراءه ثلاثة ابناء ولما كانت العادة في مثل هذه الحالة، أن يكون للابن الاكبر الاولوية في تولي حكم الامارة شرط ان يحصل على غالبية أصوات الاعضاء في "المجلس الشعبي" المكون من الامراء الآخرين في الإمارة ومن النبلاء والقضاة وممثلي العائلات الكبيرة. ولما كان الشعب يكره هذا الابن الأكبر، رفض ممثلوه في المجلس، ترشيحه ليكون خليفة لوالده. وتأزمت الامور وانقسم الشعب إلى ثلاثة أحزاب، كل حزب يناصر اميرا، وفي النهاية، تم الاتفاق على تقسيم الامارة بين الامراء الثلاثة، حيث اعطيت مقاطعة (مزدوك) للابن الاكبر، الامير "كورغوقة، قانجوقين". إلا أن الأمير لم يكن راضيا عما حصل عليه، وذهب إلى التتار يحرضهم على أخويه، وماطله التتار إلى ان انفق أمواله كلها ثم اخبروه بأن لا قدرة لهم على محاربة أمراء قباردا، وعندها استدار إلى الروس وألقى بنفسه في أحضانهم، وترددوا في قبوله بينهم، إلا أنهم ساعدوه على الانفصال عن قبيلته والاستيطان على ضفاف نهر الترك وفي الموقع الموجود فيه اليوم مدينة (مزدوك) واعتنق الديانة المسيحية، وتبرع بمساحات كبيرة من الاراضي لانشاء حصن (قلعة) عليها.

*** وقائع واحداث وحروب العقد السادس من القرن الثامن عشر**

وفي عام ١٧٦٣ ذهب الامير (كوغرقة) إلى بطرس برغ، وعُمد للمرة الثانية، وفي عام ١٧٦٤ انضم ما يقرب (٢٠٠) شخص إلى قلعة (مزدوك) واعتنقوا الديانة المسيحية واصبحت هذه القلعة مأوى للفارين والمعارضين من بلاد القفقاس عامة وبلاد الشراكسة خاصة، فاحتج أهل القبرطاي لدى الحكومة الروسية وطلبوا ازالة الحصن من جهة، كما طالبوا تعويضا عن أتباعهم الذين هربوا والتجأوا إلى تلك القلعة.

و**في حزيران من عام ١٧٦٥م** شن الحزب المعارض للوجود الروسي في مزدوك من بعض أمراء الاقطاع الشراكسة) سلسلة من الهجمات ضد المواقع الروسية في القاطع الشمالي ودارت معارك طاحنة، سميت باليائسة، لأنها كانت تستمر حتى الفناء... فناء هذا الطرف أو ذاك. وأبيدت وحدات روسية حتى آخر رجل فيها، ووسع القبرطاي مجال عملياتهم نحو الشرق، وهاجموا موقع (كزليار) عاصمة الروس في الجنوب ومركز قيادة ما يسمى بـــ جيش القفقاس. وبعد ان اجتاحوا ودمروا التحصينات والمخافر ونقاط الحراسة الخارجية فيها، لاحقوا الجنود الروس والمليشيات القوزاقية الى داخل المدينة. ودارت معركة طاحنة فر الروس بعدها إلى داخل القلعة، وتحصنوا فيها، وحاصر القبرطاي القلعة، لكنهم لم يتمكنوا من اقتحامها لأنهم كانوا يفتقدون إلى أدوات التدمير، كالمدافع وملح البارود اللازمة لفتح ثغرات في أسوار القلعة محاولة حكومة الباب العالي في استانبول ان تجير انتصارات القبرطاي لصالحها، فأعلنت الحرب على الروس في الثامن عشر من تشرين الثاني سنة ١٧٦٨م ورد عليهم الروس بفتح جبهة جديدة في المناطق الواقعة على ضفاف نهر الدانوب، لمنع الاتراك من تركيز قواتهم في جبهة القفقاس. كما أرسلوا حملة بقيادة (تود ليبين) وهو مرتزق ألماني، (التحق في خدمة الجيش الروسي وسبق أن أحرز شهرة كبيرة عام ١٧٦٠م باستيلائه على جورجيا وأرمينيا) إلا أن حملته اخفقت إخفاقا تاما. وتراجعت القوات الروسية إلى خط المستعمرات الشمالية.

وكذلك فإن (الجنرال فون ميدم) مرتزق ألماني آخر ومتحد مع قائد تتار القالموق "أوباش" هاجما معا إدارة قباردا الصغرى وإمارات كوبان. وحدثت مجزرة بشرية لم يشهد التاريخ لها مثيلا، قتل فيها الالاف من المدنيين وخصوصا الأطفال، حيث كانت أول حملة تستهدف الاطفال تحديدا، وذكر الكونت "بوتوشي" في كتابه الذي روي فيه عن هذه المجزرة بقوله: "بأن الناس في القفقاس دأبوا منذ ذلك الوقت على تخويف وتهديد أطفالهم لإسكاتهم بقولهم: صه.. الجنرال الاصم آت". (يبدو أن فون ميدم كان أصما في إحدى أذنيه).

وأراد الروس ان يظهروا أمام القفقاسيين عامة وامام العالم خاصة بمظهر الأبرياء، من دم أطفال (الاديغة) المسفوح، فاتهموا حلفاءهم بهذه المجزرة التي لم يشهد التاريخ مثيلاً لها، وأعلنوا عن سخطهم على (تتار القالموق)، وأخذوا يسيئون إليهم بشتى الطرق، مما حدا (بالقالموق) إلى طي خيامهم، والعودة في هجرة جماعية، إلى بلادهم الاصلية الواقعة على حدود الصين الشمالية، وقلة قليلة منهم لم يهاجروا حيث توجهوا إلى بلاد الشراكسة وعبروا نهر ترك، واستوطنوا في السهول الواسعة، الممتدة فيما بين بلاد التشاشان وقباردا الصغرى، وقرروا التحالف "مع الاديغة" وبدأوا يقاتلون الروس، جنبا إلى جنب مع أهل القفقاس.

وفي الفترة ما بين ١٧٦٥-١٧٧٩ وعلى اثر الهدنة التي تلت حرب (مزدوك) التي جرت بين الروس والقبرطاي كون الروس كوكبة الفرسان التابعة لفوج (قباردى) تعدادهما (٦٠٠) فارس من الامراء والنبلاء ومن المحاربين القبرطاي القدامى بينهم (١٢) اميرا ونبيلا.

كما ساهمت (قباردا الصغرى) في هذه الكوكبة بضعف هذا العدد، وأنيط بهذا الفوج حسب الأوامر الصادرة إلى المشير الكونت "يوتيو مكين" المهام التالية (١) تأمين خطوط المواصلات (٢) الحفاظ على الأمن (٣) التصدي للتتار القاطنين أو الجوالين في السهوب الشمالية، ومنعهم من ارتكاب أعمال السلب والنهب، وقد نجحت هذه القوات في تنفيذ المهمات الملقاة على عاتقها، بل زادت على ذلك بأن تصدت لهجوم قام به الأتراك، قرب "أنابا" وهزمته.

وعندما طلب من قادة هذه الكوكبة الاشتراك مع القوات الروسية في حرب ضد قومهم الشراكسة رفضوا وتركوا العمل فيها وعادوا إلى بيوتهم في القبرطاي.

وفي عام ١٧٦٧ قامت شعوب الشراكسة في الكوبان بتشكيل اتحاد مع اهل القرم من النوغاي والتتر... ودعوا أهل القرم للهجرة والالتجاء إلى بلاد (الكوبان الشركسية) وتشكيل قوة عسكرية مشتركة للقيام بهجوم على جيوش القيصر الروسي، إلا أن الخطة لم تنجح، واكتشفها القادة الروس وقامت السلطات الروسية بنفي العديد من الزعماء المشتركين بهذا الاتحاد، من التتر وغيرهم إلى (أورنبورغ).

في عام ١٧٦٩ صدر الأمر إلى الجنرال (فون ميدم) بأن يتولى أمور بلاد القبارطي، وأن يعاملهم بالعنف والقوة إذا اقتضى الأمر، حيث أجبروا على الخضوع للروس من جديد، واعلان ولائهم لهم بصورة رسمية، واستردوا مقابل ذلك حقوقهم وامتيازاتهم التي أعطيت لهم سابقا، على أن يقوموا بتقديم الرهائن التي يقدمها عادة أهل القبارطاي الكبرى للسلطات الروسية ضمانا لتنفيذ تعهدهم بالولاء لها.

أما أهل قباردا الصغرى فقد أعفوا من تقديم الرهائن لأنهم أثبتوا فيما مضى إخلاصهم وولاءهم للروس بسلوكهم الحسن، وعدم قيامهم أو اشتراكهم في الإخلال بالأمن والنظم الروسية.



قائد الحرس الامبراطوري في عهد القيصر نقولا الثاني الجنرال يدج حغندوقة المعروف عند الروس بالجنرال قسطنطين حغندوقف مع بعض رجاله

ومهما يكن الامر فإن الجنرال (فون ميدم)، كان شديدا بحفظ الأمن، وكان يُصدر من حين إلى آخر من الاوامر ما يكفل ذلك، ومنها الأمر الذي يتعلق بالراغبين بالسفر إلى البلاد الروسية، حيث كان يترتب على كل (قوقازي) يرغب الدخول إلى الأراضي الروسية أو المهاجرة إليها بقصد الاستيطان او حتى بقصد اعتناق الديانة المسيحية، أن يستحصل على شهادة تثبت أنه لم يسبق له ان اقترف جرما أو خيانة في بلاده.

وفي ابريل من عام ١٧٦٩ قام الجنرال (أوباش) أحد قواد القالموق، بإعداد جيش كبير قوامه (عشرين الف) مقاتل وهاجم بلاد القبارطاي، وأحرز عليهم انتصارا كبيرا.

واستفاد الجنرال (فون ميدم) من هذه الانتصارات التي كانت ذات أهمية بالغة بالنسبة اليه، والتي أدت إلى إضعاف القبارطاي عسكرياً، كما قام بالاشتراك مع (أوباش) المذكور واجتيازه نهر الكوبان وخوضه عدة معارك دامية ضد أهل (الكوبان) من شعوب الأديغة، كما أنه عاقب في طريقه اليهم (التتار) الذين كانوا يقيمون على ضفة (الكوبان) بقيادة (سلطان آوول)، لأنهم برغم خضوعهم لسلطان روسيا سنة ١٧٣٦، شقوا عصا الطاعة وفروا سنة ١٧٤٢ إلى ما وراء الكوبان.

ومن جهة أخرى قام المأجور (راتاليف) على رأس جيش لا يستهان به بمهاجمة القبارطاي، والتغلب عليهم، حتى اضطروا إلى الاعتراف بحكم روسيا عليهم، كما حارب جماعة من الأبازا تدعى (آلتي كسك) والتغلب عليهم أيضا، وأجبارهم على الخضوع لحكم الروس ايضا.

إن الأحوال العامة في هذه الآونة كانت بعيدة كل البعد عن الهدوء والاستقرار لكون بلاد الشراكسة عرضة للمداخلات من الخارج. وكان يراد بهذه التدخلات والتأثيرات الخارجية حمل شعوب الشراكسة سواء أكان في القبارطاي أو الاديغة في الكوبان، للانضمام مع احد الفريقين المتنافسين، (التركي والروسي)، والقيام بثورة ضد الحكومة الروسية. وقد تمكن المدعو الكابتن (هاكه بوش) بدسائسه ومداخلاته من استصدار فرمان من السلطان العثماني يحرض فيه شعب القبارطاي على شق عصا الطاعة والقيام بثورة على الدولة الروسية، وانقسم الشعب الشركسي إلى حزبين، حزب بقي برئاسة الامير (آتازوقه) وبقي مواليا للروس ومحافظا على تعهداته السابقة، وحزب آخر أخذ يناصر شعوب (الكوبان) الجركسية من الاديغية تحت قيادة أربعة من الامراء. إلا ان هذين الحزبين اضطرا اخيرا إلى الاتحاد وموالاة روسيا.

وبالرغم من ذلك كله، لم يوفق الجنرال "فون مديم" إكمال مهمته والقيام بكل ما كان ينوي إنجازه في البلاد القفقاسية، إذ إنه بعد مدة وجيزة تسلم امرا بلزوم حضوره امام محكمة عسكرية تشكلت بصورة خاصة لمحاكمته، على ان يسلم زمام الامور للجنرال (فون ياكوبي) الذي تعين قائدا وحاكما عاما في استراخان. [١٢]

- **سياسة انشاء حصون وقلاع جديدة:**

بعد استلام الجنرال (فون ياكوبي) زمام الأمور أخذ على عاتقه إجراء بعض التغيرات والتبديلات العسكرية، واهتم كثيرا في تقوية الحدود الجنوبية، أي الحدود الواقعة بين القوقاز وجنوبي روسيا، فقرر انشاء (١٢) حصنا جديدا وهي:

١- حصن (يكاترينوغراد) على الضفة اليسرى من نهر المالقا، في موقع يبعد من مصبه اثني عشر ميلا وعلى بعد خمسة وثلاثين ميلا من حصن مزدوك.

٢- حصن (باولوفسكاليا) على بعد خمسة وأربعين ميلا عن الحصن المذكور في الجهة الجنوبية من نهر القورا.

٣- (ماريسكايا) على ضفاف نهر زالوكا على بعد اثني عشر ميلا من حصن باولوفسكايا.

٤- حصن (جيورجيفسكايا) على الضفة اليسرى من نهر البودو كوموق على بعد ١٥ ميلا من الحصن السابق.

٥- حصن (اندريفسكايا) في الجهة الشمالية من نهر دونغوزلي على بعد ٣٥ ميلا من حصن جيورجيفسكايا.

٦- حصن (الكساندروف) على الضفة اليسرى من نهر دونغوزلي على بعد خمسة عشر ميلا عن طريق الحصن الاخير.

٧- حصن (ستاوروبول) على الضفة اليسرى من نهر اتشيله على مسافة ٣٥ ميلا من الحصن الأخير.

٨- حصن بين الحصنين الأخيرين باسم (سفرنايا) على الضفة اليسرى من نهر كالاوس) على بعد ١٥ ميلا من الكساندروف.

٩- حصن (موسكوفسكايا) بعيدا عن (ستاوروبول) بمقدار ثلاثين ميلا لتأمين المواصلات بين منطقة (الدون) والنقاط الهامة من الحدود الجنوبية.

١٠- حصن (دونسكايا) على ضفاف نهر (تاشلة) للغاية نفسها. ثم أقام نقطتين مستحكمتين عند نهاية الجبال المكسوة بالأحراج الكثيفة والمسماة (شبكار اغاج)، لربط منطقة الكوبان بمنطقة الترك، وتأمين المواصلات بينهما، ونقطة ثالثة على الضفة اليسرى من نهر الكوبان بمنطقة الترك البعيد عن (ستاوروبول) وعلى بعد تسعين ميلا منه. وعلى بعد ٧٥ ميلا من النقطة الاخيرة اقام مستحكمة باسم (مريا مسكايا) وكذلك أقام على بعد ٧٥ ميلا ايضا من الرافد الشمالي لنهر الكوبان منطقة رابعة باسم (كوبلسكايا)، كما أقام نقطة خامسة على نهر (ايا) على بعد ٨٠ ميلا من بحر آزوف باسم نقطة (ايسكايا).

١١- ولتأمين مناطق الكوبان العليا جرى إنشاء حصن (قسطانطينوغورسك) على نهر (بودكومكا) على بعد ٨٠ ميلا من حصن (جيورجيفيسك).

١٢- وفي الختام كانت هذه السلسلة من الحصون المتوالية تنتهي بحصن (أوست بنسكايا) في موقع عند تلاقي نهر (اللابا) بنهر (الكوبان)، وبذلك أصبحت المنطقة كلها محصنة حتى حدود جزيرة طامان [١٣].

وقائع واحداث وحروب العقد السابع من القرن الثامن الميلادي

طالب شعب القبرطاي من الامبراطورة كاترينا الثانية بهدم (حصن مزدوك) في عام ١٧٧١ واضطر امراء شعب القبرطاي لارسال وفد إلى سان بطرسبرج مكون من اثنين من المسؤولين الشراكسة من القبرطاي وأعربا عن مشاعرهما الخاصة بالطاعة والوفاء التام للامبراطورة (كاترينا الثانية) باسم كافة شعب القبرطاي، وقدما في ذات الوقت مطالبهما الخاصة حول ضرورة هدم حصن موزدوك وعودة الهاربين إلى بلادهم، كما طالبا بعدم منع أو عرقلة حرية استملاك القبرطاي لأراضيهم.

وبعد أن اطلعت الامبراطورة (كاترينا) على طلب ممثلي القبرطاي (كورغو تاتارخانوف وجان خوت سيداكوف) كان ردها بخصوص هدم حصن موزدوك (بأنها لن توافق أبدا على هدمه) إلا أنها وافقت على إرسال رسالة إلى امراء القبرطاي تتضمن الموافقة على انهاء مسألة (حصن مزدوك) بإبرام اتفاقية بين الروس وامراء القبرطاي عام ١٧٧١ حيث تضمنت هذه الرسالة الموافقة على:

١- رفض قبول أي (ملتجئ) إذا كان من طبقة اجتماعية وضيعة.

٢- دفع خمسين روبلا فضيا عن كل ملتجئ مسيحي من القبارطاي.

٣- دفع (٢٥) روبلا عن كل شخص ملتجئ من القوموق.

٤- ان لا يقبل فارا من القبارطاي اذا كان من طبقة الازدون (النبلاء)، إلا اذا رضي بالتنازل عن أملاكه الخاصة.

٥- وقف دخول الاوزدن من القبرطاي إلى القطاعات الروسية وكل من يخرج منهم يفقد ممتلكاته لصالح شعب القبرطاي.

٦- اعادة كل من يهرب من العبيد إلى مُلاكهم باستثناء من هم من أصل جورجي، حيث تقوم الدولة الروسية بالتعويض عنهم بقيمة (خمسين روبلا) عن كل منهم.

وفي النهاية، تشير الرسالة إلى العطف الخاص الذي أبدته الامبراطورة تجاه شعب القبرطاي، وتعرب عن املها بأن يقابل القبرطاي هذا بالشكر والامتنان، وأن لا يبدر عن أمرائهم مستقبلا أي تصرف من شأنه أن يثير سخط الأمبراطورة". وأن كل الكرم الذي وعدت به رسالة الأمبراطورة سيتحقق فقط في حالة استمرار إخلاص القبرطاي للدولة الروسية، وتصرفهم بكل هدوء وتواضع، وإذا ما بدر أي شيء خلاف ذلك، فإن الامبراطورة ستقوم بالمعاقبة القاسية بغض النظر عن الخدمات التاريخية التي قدمها القبرطاي للدولة الروسية.

ويُفهم من كلمات الامبراطورة في رسالتها بأن تعاطفها مع شعب القبرطاي يُعد (بمثابة الدين) لكل أجيال شعب القبرطاي مستقبلا، كما أعطت اهتماما خاصا لموضوع إقامة علاقات سلمية بين روسيا والقبرطاي وعلى مضاعفة إخلاصهم وتدعيم تبعيتهم للدولة الروسية، مع كل ما يترتب على ذلك من واجبات الخضوع والخدمة.

ومن الواضح بأن (نيكيتا ايفانوفيتش بانين) الذي شغل في تلك الأيام مهام إدارة الأمور الخارجية لروسيا هو الذي كتب رسالة الامبراطورة الموجهة للقبرطاي، وهي الرسالة التي أبدت فيها الامبراطورة الكرم و (الرحمة) تجاه شعب القبرطاي. ولفت انتباههم إلى أن كل المطالب الأساسية التي عرضوها قد لبيت، ونصح أن يظلوا أوفياء للدولة الروسية.

وفي الوقت نفسه قامت بإرسال تعليمات إلى قائد القوات الروسية المدعو (فون ميديم) وطلب منه التعامل مع القبرطاي (بحذر وحزم) وأن يحاول إبقاء الفُرقة بين صفوف القبرطاي، وتقوية المشاعر بوجود فئتين متعاديتين من أمراء الشراكسة.

ويقول كوداشيف حول رد فعل القبرطاي:

((إن رسالة الامبراطورة لعام ١٧٧١ قوبلت بتحفظ من شعب القبرطاي ولم يقتنع بالوعود التي وردت فيها، وكان رد فعل الامير الشركسي (كاسيا اتاوجوكين) بقوله: (سنكون تحت الوصاية الروسية إذن، كما حصل مع القالموق الذين تشرذموا واضطروا إلى العودة إلى بلادهم، وسيلاقي القبرطاي المصير نفسه وسنضطر إلى الالتجاء إلى الجبال).

لقد كان هذا (الأمير) يرى ما يكمن تحت الماء، وكانت بداية النهاية فعلا وإن (كاباردیا) هي التفاحة التي أثارت شهية جيرانها الطامعين الاقوياء.

- **سياسة توطين قبائل النغوي في غرب القفقاس وبناء المستعمرات في بلاد الشراكسة:**

وفي العام الذي ارسلت فيه الامبراطورة كاترينا رسالتها سابقة الذكر قامت حكومة القيصر بتوطين حوالي (٤٠٠٠٠) نسمة من قبائل النوغواي، في غرب القفقاس لاستخدامهم في حربهم ضد الشركس، كما قررت الحكومة الروسية ايلاء اهمية خاصة لموضوع تقوية ممتلكاتها الجديدة في القفقاس، **وقامت ببناء خط كامل من المستعمرات السكانية الروسية ما بين نهر الدون وحتى مزدوك وعلى امتداد اكثر من خمسمائة فرسخ عرف (بالخط القفقاسي)* وخصصتها لاستيطان بقايا جيش (قوزاق الفولقا) واستقبل شعب القبرطاي هذه الانباء بابتهاج وظنوا أنهم سيحصلون على الحماية بوصول (القوزاق)، ولكن سريعا ما تبين العكس، حيث أصبحت هذه المستعمرات بمثابة (الحصون) لم تعمل فقط على إضعاف امكانية استثمار الشراكسة لاراضيهم، بل حرمتهم ايضا من التواصل مع الشراكسة في مناطق (كوبان وتيرك) من (الاديغية) وباقي جيرانهم من شعوب القفقاس. وانحصرت بذلك حدود (كاباردیا) ما بين نهر (مالقا) في كاباردیا الكبرى وحتى نهر (تيرك) في كاباردیا**

* تشبه هذه المستعمرات والحصون التي انشأتها السلطات الروسية في بلاد الشراكسة في القفقاس تلك المستعمرات والجدار العازل الذي انشأته الحكومة الاسرائيلية في فلسطين المحتلة.

الصغرى. اما بالنسبة للضفاف اليسرى لهذه الأنهار، فقد حرم شعب القبرطاي من أراضيهم فيها، ومُنعوا من ممارسة الرعي هناك. كما أصبح الدخول إلى الحصون الروسية محظورا على المواطنين القبرطاي.

كما حُظر على سكان (كابارديا) الكبرى الاختلاط بأهالي شراكسة الكوبان، ومنع سكان (كاباردیا) الصغرى من التعايش مع (الشاشان) كما حُرم على سكان (كاباردیا الكبرى أو الصغرى) تقديم الحماية والمساعدة من طرف لطرف حتى في حال حصول هجوم معادٍ على أي منهما، وعلى روسيا فقط تقع مسؤولية تقديم الحماية في مثل هذه الحالات وغيرها من الأحوال الطارئة.

- **معاهدة ادرنة:**

وفي عام ١٧٧٢ * انتهت الحرب التي كانت قائمة بين العثمانيين والروس.. بعقد معاهدة (كوجوك قاينارجة) المعروفة باسم معاهدة (أدرنة).

وبموجب هذه المعاهدة تنازلت الدولة العثمانية لروسيا عن بلاد كباردينا الصغرى والكبرى، وعندما تلي نص هذه المعاهدة على مجلس امراء القبارطاي اثناء عقدهم اجتماعا شعبيا عاما لهم عارضها بعض الأمراء منهم الامير (حامرزا اسلانبك) بقوله: "إنه ليس بإمكانه الاعتراف بسلطان روسيا ما لم يصادق خان القرم بصورة رسمية على هذه المعاهدة وبالرغم من أن تنازل الدولة العثمانية عن بلاد القبارطاي لم يكن سوى تنازل اسمي، لأن الدولة العثمانية لم تكن تمتلك هذه البلاد يوما ما بصورة فعلية وحقيقية. كما أن خان القرم (دولت كراي) بذل كل المساعي الجدية (سرا وجهارا) ليحرض القبارطاي على شق عصا الطاعة والانتفاضة على روسيا وانفصالهم عنها. ومن جملة المساعي التي بذلها هو إرساله أمين سره المدعو (قاسبولات) إلى بلاد الشركس ليطمئنهم بأنهم ما زالوا خاضعين لخان القرم.

أما الشراكسة فقد رجحوا أهون الشرين وهو الاعتراف بسلطة (خان القرم) مؤقتا لاعتقادهم أنها ستكون سلطة اسمية واخف وطأة من النير الروسي الذي سوف يصعب التخلص منه واسترداد حريتهم منه. وفي الوقت نفسه كان الجنرال (فون ميدم) يبدي استياءه وتذمره إلى سلطات الدولة الروسية لعدم وجود جيش كاف تحت إمرته لارغام القبارطاي على الخضوع فعلا لسلطة الدولة الروسية.

وطلب الشراكسة الثائرين بواسطة رسلهم إلى حاكم الكوبان التركي (سر عسكر) ارسال المساعدة إليهم، إلا أن الحاكم المذكور رفض طلبهم، بحجة أن أمراءهم لم يعرضوا طاعتهم وولاءهم له.

وفي هذه الفترة أحكم الروس سيطرتهم على قباردا الصغرى، وأخذوا أطفال الأمراء كرهائن حتى يضمنوا ولاء هؤلاء الامراء للسلطات الروسية. وفي السنة الثالثة من توقيع المعاهدة المذكورة احتل الجنرال الأصم (فون ميديم) مدينة دربند عاصمة الداغستان، واطلق (كلابه المسعورة) لتنهش لحم سكان هذه المدينة، تماما كما فعل من قبل في إمارات قباردا والكوبان. ولما وصلت اخبار المذبحة إلى مسامع القيصرة كاترينا، خشيت من عواقب افعال هذا الجنرال المجرم؛ فاستدعته إلى بطرس بيرغ واعفته من الخدمة، اما الجنرال فون نفسه فقد ادعى أنه ارتكب ما ارتكب من الافعال الشنيعة بناء على اوامر صريحة من القيصرة كاترينا.

فكان رد سكان (دربند) اداء القسم للانتقام من الروس شر انتقام، وبعد مدة قصيرة من الزمن استولى الثوار الشراكسة على سفينة روسية كانت تبحر في بحر قزوين، وقتلوا كل من كان على ظهرها ثم أغرقوها في البحر كما أبيدت قوة روسية في معركة جرت في الجبال المطلة على مدينة (دربند)، مما اضطر بقية القوات الروسية إلى الفرار من المدينة [١٥].

* تشير بعض الوثائق بأن المعاهدة ابرمت عام ١٧٧٤ وليس عام ١٧٧٢.

وفي عام ١٧٧٨ قرر امراء القبرطاي القيام بحملة عسكرية للاستيلاء على حصن (باولوفسكايا) بجيش يبلغ عدده ثلاثة الاف مقاتل، حتى اضطر الروس ارسال الجنرال (باكوبي) نفسه إلى تلك المنطقة على رأس جيش كبير، ولما رأى القبارطاي قدوم الجيش الروسي الكبير تحت امرة الجنرال المذكور، اضطروا إلى تأجيل فكرتهم والعدول عن الاستيلاء على الحصن المذكور، هذا من ناحية ومن ناحية أخرى قام (السر عسكر) حاكم شعوب الكوبان (قازي كراي سلطان) التركي الأصل بالتودد للروس وطلب رضاهم، حتى انه قدم طلبا في سنة ١٧٧٨م لقيصر الروس يطلب فيه بأن يدخله ضمن رعيته واتباعه، وقدم فعلا للحكومة بعض الخدمات التجسسية، وكان حفيده (منكلي كراي) يخدم في الجيش الروسي برتبة (جنرال) كما قدم أحد أتباعه وهو الملازم (تاغانو) للحكومة الروسية معلومات عن تحركات بعض السفن التركية المعادية للروس التي تحمل الجنود والذخائر، وانها تنوي التوجه بعد مدة إلى القرم لإفراغ حمولتها.

وفي عام ١٧٧٩ علم الشراكسة في غرب القفقاس بأن الروس يقومون بالإعداد للقيام بحملة كبيرة ضدهم، ولم يقف الشراكسة مكتوفي الايدي، بل كانوا يراقبون حركات أعدائهم بكل انتباه، ويعدون العدة لمقابلتهم بالمثل، وبدلا من ترك العدو ليقوم بهجومه المتوقع، قرروا استباقهم بالهجوم، حيث وجهوا عام ١٧٧٩ أولى غاراتهم على خط الروس الحربي الواقع على امتداد نهر الكوبان في الغرب، وهو الخط الذي يضم حصون قوية مثل: الكساندروفسكي، ماريفسكي ونوفوتروسك، تحت قيادة الجنرال (سوفاروف)، فهاجموه بقيادة كل من (ميسوستوقه، وقانشا وقوه)، بجيش يقدر تعداده بأربعة عشر الف مقاتل من الفرسان الشراكسة الغربيين.

وأسفرت هذه الحملة عن احتلال حصني (الكساندروفسكي وماريفسكي) في مدة وجيزة، إلا أن وصول الجنرال (ياكوبي) الذي كان قائدا عاما لجبهة حوض نهر الترك، على رأس جيش روسي كبير في اللحظة الأخيرة أجبر قادة الشراكسة على إخلاء الحصنين المذكورين.

وهذه المعركة، وإن لم تكن قد حققت استرداد الجزء المحتل من القوقاز، إلا أنها اثبتت للروس أن معاهدة (قاينارجه) التي عقدت بين الروس والعثمانيين، والتي بموجبها تخلى العثمانيون عن القوقاز للروس، لم تكن إلا حبرا على ورق، ولم يكن لها اية قيمة عملية، فأثرت نتائج هذه المعركة على المعنوية الروسية تأثيرا سيئا لدرجة أن تحضيرات الروس الحربية واستعداداتهم الهائلة لم تعد فاعلة.[١٩]

أحداث ووقائع الحروب في العقد الثامن من القرن الثامن عشر الميلادي:

بعد أن فقدت تركيا بلاد خانات القرم، بدأت مضاعفة اهتمامها بشمال غرب القفقاس عام ١٧٨٢، وبدأت الحكومة العثمانية ببناء (قلاع) على ساحل البحر الأسود في القفقاس، وكانت إحدى هذه القلاع هي قلعة (أنابه) التي شيدت في عام ١٧٨١ بمساعدة المهندسين الفرنسيين، وسماها الاتراك (مفتاح الشواطئ الآسيوية للبحر الاسود)، ومنذ ذلك الوقت أصبحت قلعة (أنابه) رمزا للوجود التركي في شمال القفقاس، من هنا قام باشاوات (انابه) بتحريض القوقازين بالهجوم على المحطات الروسية والخطوط العسكرية للجيش الروسي، وأصبحت (أنابه) مركزا تجاريا كبيرا بين شراكسة الاديغة والتجار الاتراك، ومركزا للدعاية الاسلامية بغية نشر الإسلام بين سكان شمال القفقاس.



صور (رمزية) لمجموعة من قادة الشراكسة العسكريين الذي قاتلوا القوات الروسية في منطقة الكوبان في الأديغي أواخر القرن الثامن عشر الميلادي.

وبالرغم من أنّ منطقة الكوبان حسب الاتفاقات الدولية كانت معروفة بأنها تتبع للدولة العثمانية، إلا أن سكان شمال غرب القفقاس كانوا يعدون أنفسهم مستقلين تماما سياسيا، وكانوا يعترفون فقط بأن السلطان هورفر ديني، وقد كتب الامير "حاجيموق" ان دخول الاسلام مع وجود تأثير تركي لم يجعل من بلاد الشركس مقاطعة تركية، فقد اعتبر الشراكسة السلطان رئيسهم الديني ولم يعترفوا بسلطته السياسية ولم يسمحوا له بالتدخل في شؤونهم الداخلية، وكانوا بذلك شعبا حرا مستقلا.

وهكذا فإن اعتماد شراكسة الكوبان على تركيا كان اعتمادا اسميا فقط، وكانت الدوائر الحاكمة في كل من (استانبول) و (بطرسبرغ) تفهم هذا الأمر جيدا، ولذلك فإن نجاح زيادة التأثير السياسي من قبل تركيا او روسيا بين الشراكسة كان يعتمد على توجه السياسة الخارجية لشراكسة الكوبان.

و**في عام ١٧٨٢م وبعد أن احتل الروس دولة القرم**، وأصبحت القرم منذ ذلك التاريخ جزءا من املاك الامبراطورية الروسية، هرب سكانه إلى تركيا وإلى بلاد القفقاس المجاورة. واستقبلتهم شعوب (الاديغية) في بلادها برحابة صدر، وفي نفس العام كانت القوات الشركسية (الاديغية) قد نجحت في دحر شعب (النوغاي)، وطردهم بعيدا عن حدودهم الشمالية، وأصبح (النوغاي) وحيدين ومعزولين في السهوب الشمالية الممتدة حتى حوض نهر الدون، وهلك كثير منهم بسبب الحروب والمجاعة والامراض والاوبئة، كما أن من بقي منهم احياء ثاروا ضد أسيادهم الروس، وبعد معارك ضارية، أصبح شعب (النوغاي) في وضع ميؤوس منه تماما. وعندها، ارسلوا رسلهم إلى شراكسة الاديغة أعداء الامس، يطلبون منهم العون والإغاثة، وأرسلوا النجدات العسكرية لهم حيث رحل بقية (النوغاي) إلى بلاد القرم ليملأوا الفراغ الذي حصل بعد رحيل سكان القرم إلى بلدان أخرى.

وتشير الوثائق، بأن الاديغة استقبل انباء سقوط دولة القرم بشيء من الارتياح، وفي الوقت نفسه بشيء من التوجس، وشعروا بالارتياح لأنهم تخلصوا من شر الحملات الشرسة التي كانت تنفذ من قبل جيوشهم [١٨]. كما ارتاحوا إلى ثورة شعب النوغاي على الروس وانتهاء تحالفهم معهم.

وفي عام (١٧٨٧م) ارسل الروس ثلاثة ارتال عسكرية منفصلة عبر نهر الكوبان بقيادة الجنرال المرتزق (تيكلي) واشتبكت بالقوات الشركسية في معارك ضارية استمرت اربعين يوما، دون أن يلوح في الأفق ما يشير إلى إحراز نصر نهائي من قبل طرف على الآخر، وقد تكبد الطرفان المتحاربان خسائر فادحة في الأرواح، حيث خاضت القوات (الأديغية) المعارك في قتال يائس (حتى الفناء)، وبينما كانت القوات (الاديغية) منهمكة في الدفاع عن إمارات الكوبان، اندفع (تيكيلي) على رأس جيش ضخم، قوامه (حسب المصادر الروسية) ثمانية آلاف جندي وضابط، مع عدد من بطاريات المدفعية الثقيلة، نحو قلعة (أنابا)، على شاطئ البحر الاسود، وطارده القائد الشيشاني الشيخ منصور (اوشرما) واشتبك معه في سهل "آبين" وخسر الروس في هذه المعركة ثلاثة آلاف جندي وضابط وانسحب (تيكيلي) مع بقية جيشه إلى الجبال القريبة من (أنابا)، وفي حركة يائسة عاد وهاجم (أنابا) على أمل احتلالها للتغطية على خسائره في المعركة السابقة، لكن محاولته باءت بالفشل بعد أن خسر المزيد من قواته، وانسحبت القوات الروسية في فوضى عارمة وسقط المزيد من الجنود قتلى أثناء الانسحاب المهين، وتم إقصاء الجنرال المرتزق (تيكلي) من مركزه كعقاب له على فشله وانهزامه.

وفي عام (١٧٨٩م) حاول جنرال روسي آخر هو "بيبيكوف" أن ينجز ما عجز عنه الجنرال المرتزق تيكيلي، وهاجمه (الاديغة) في طريق الذهاب والإياب، ومن الثمانية الاف جندي وضابط روسي، عاد ألف وخمسمائة فقط، نصفهم كان مصاباً بجروح خطيرة لا أمل في شفائهم منها. ومع أن الروس اخفوا خسائرهم الفادحة (كعادتهم دائما) إلا أن رسالة الامبراطورة (كاترينا) الموجهة إلى القائد العام للقوات الروسية في القفقاس، فضحت أكاذيبهم حيث تضمنت رسالتها الفقرة التالية: "استنتج في تقرير لهم أن قليلين جدا هم الذين عادوا معك.." مما يدل على فداحة خسائر الروس في هذه المعارك.

وقائع وأحداث الحروب في العقد التاسع من القرن الثامن عشر الميلادي

وفي ١٧٩١/٦/٢١م عين الروس الجنرال (كونت غوردوفيتش) قائدا للقوات الروسية في الكوبان، وركّز هذا الجنرال على (أنابا) باعتبارها عاصمة المقاومة في شمال القفقاس ضد المحتلين القياصرة، وبدأت المعركة بعد أن أرسلت تعزيزات كثيرة من السلاح والجنود، وتمكنت القوات الروسية من دخولها، واحتلال قطاع منها في ٢٢ حزيران ١٧٩١، وبدأت حرب الشوارع في (أنابا)، وفاوض الأتراك الروس بعد دفاع أسبوعين، وقبلوا الاستسلام إلا أن (الامام منصور) ومتطوعيه من الشركس رفضوا الاستسلام، وقاوموا الروس بعد دخولهم مدينة أنابا، بينما وقفت القوات التركية موقف المتفرج، وخلال هذه المعارك سقط (الامام منصور) جريحا فأُسر، وأرسل إلى عاصمة روسيا (آنذاك) بيترسبورغ، كأسير حرب، وكان من نتائج احتلال (انابا)، وتحكم الروس على مضيق (كرج) ومصب نهر (الكوبان) حيث قاموا بإكمال خطهم المحصن على امتداد النهر حتى البحر، كما تم إسكان القوزاق الذين جلبوهم جبرا، في وادي نهر الكوبان بجوار شراكسة الاديغة.

وفي ١٧٩٢/٦/٣٠ صدر مرسوم من الامبراطورة كاثرينا الثانية، أعطت بموجبه مساحات واسعة من الأراضي في شمال غرب الكوبان الشراكسة في شبه جزيرة "تامان" حتى مصب نهر "الابا" لقوزاق البحر الأسود حتى أصبح عددهم في منطقة البحر الأسود حوالي مائة الف قوزاقي بعد أن كان عددهم لا يتجاوز (٢٥) ألفاً[١٩].

مراجع ومصادر الفصل الثالث

١) برقوق، مصدر سابق، ص:٢٦٤.
٢) تيخاميروف / باحث أكاديمي روسي درس بنود الإتفاقية بين القيصر إيفان والقبرطاي، ونقلها عنه (مخوص ارسلان) في كتابه تاريخ حرب القفقاس ونتائجها ص: ٢٦.
٣) ف. ف غرابوفسكي: انضمام كاباردا (القبرطاي) إلى روسيا ص: ٢٠.
٤) اوزبك، باتريك، مصدر سابق، ص: ١٦.
٥) المفتي، شوكت، مصدر سابق، ص: ٢٩-٣٠.
٦) المصدر نفسه ص: ٣٢.
٧) المصدر نفسه ص: ٣٣-٣٤.
٨) حراتوقه، سمير، مصدر سابق، ص: ٣٥.
٩) المصدر نفسه، ص: ٣٦.
١٠) المفتي، شوكت، ص: ٣٩-٤٠.
١١) حراتوقة، سمير، مصدر سابق، ص٤٠-٤١.
١٢) المفتي، شوكت، مصدر سابق، ص: ٤٢-٤٣.
١٣) المصدر نفسه، ص: ٤٩-٥٠.
١٤) ارسلان، مخوص، مصدر سابق – ص: ٣٧.
١٥) حراتوقة، سمير، ص: ٤٢.
١٦) المصدر نفسه: ص ٤٣.
١٧) المصدر نفسه: ص ٢٥.
١٨) المصدر نفسه: ص ٤٣.
١٩) مخوص، أرسلان، مصدر سابق ص: ٧.

الفصل الرابع

حروب الدمار والإبادة التي ارتكبتها سلطات الروسية القيصرية ضد الامة الشركسية في القرن التاسع عشر الميلادي

في المرحلة الممتدة من ١٨٠٠ إلى ١٨٦٤ ارتكبت خلالها جيوش قياصرة الروس جرائم الحرب والاعمال الوحشية في حق بعض شعوب القفقاس مثل (الشيشان والداغستان والاستين) عامة والشعب الشركسي ممثلا (بقبائله الثمانية عشرة) خاصة، كما ادرك قادة الامبراطورية الروسية القيصرية السياسيون منهم والعسكريون في هذه المرحلة بأن روسيا العظمى بجيوشها الجرارة، وحصونها وقلاعها ومستعمراتها المحصنة، ومعسكراتها المزدحمة بمئات الالوف من الجنود والميليشيات، ومستودعاتها المليئة بأشد الاسلحة فتكا وتدميرا، قد عجزت في المعارك الحربية التي دارت في القرن الماضي، في التصدي لمقاتلين لا تتجاوز أعدادهم بضعة آلاف من المسلحين بأسلحة شخصية متواضعة، مثل السيوف والخناجر (القامة) والبنادق قديمة الصنع.. مقاتلين لا يوجد لديهم قلاع او حصون تحميهم، ولا مدفعية تمهد لهجوم، ولا آليات ومركبات تنقلهم من وإلى المعارك، وكل ما كان لديهم هو الخيول المدربة، تدريبا جيدا ومقاتلون مؤمنون بعدالة قضيتهم وبحقهم في الدفاع عن وطنهم، وطن الاجداد منذ الالفية الثامنة قبل الميلاد، حيث تنبه القادة الروس إلى حقيقة مؤكدة الا وهي بأن المواجهات العسكرية في ميادين القتال لن تحقق نصرا نهائيا، ولن تمكنهم من الاستيلاء على (الارض بدون سكان) كما سبق ان خططوا لها.

وبدأ القادة السياسيون منهم والعسكريون استكمال السياسات والخطط التي سبق بدء تطبيقها مع نهاية المرحلة السابقة، وهي السياسات التي ركزت على استخدام اساليب الحرق والتدمير والاتلاف والتهجير القسري، والخداع وبث الاكاذيب وخلق الدسائس والفتن، وفرض الضرائب الباهظة، وقلع الاشجار المثمرة، واستغلال الدين واستخدام الاسرى في اعمال السخرة والاتجار بالنساء المخطوفات بعد اغتصابهن، واستقطاب بعض الأمراء واستقوائهم على الفلاحين والفقراء بالإضافة إلى تخريب اقتصاد بلاد الشراكسة وتجارتهم والقضاء على كل مظهر من مظاهر المدنية، وكذلك تجويع عامة الشعب بإتلاف مخازنهم وحرق واتلاف مزروعاتهم، وحصار المدنيين من اطفال وشيوخ ونساء ومنع أبسط وسائل الحياة عنهم وكذلك منع الأدوية الضرورية عنهم، مما أدى لانتشار الأوبئة والأمراض **وغيرها من الوسائل والأساليب الهمجية والتدميرية والوحشية التي استخدموها جنبا إلى جنب مع تنفيذ حوالي (١٤١) معركة كبيرة ضد الشراكسة بالإضافة إلى مئات الغارات الليلية والنهارية على الاهالي العزل والمصلين، كما هو مبين في الجدول التالي:**

السنوات	عدد المعارك الكبرى	ملاحظات
١٨٠٠-١٨١٠	١٠ معارك	يضاف إلى هذه المعارك مئات الغارات والغزوات على أهداف مدنية ودينية مثل المساجد وكذلك حرق المزارع والحقول وقطعان المواشي.
١٨١١-١٨٢٠	٣ معارك	
١٨٢١-١٨٣٠	٥ معارك	
١٨٣١-١٨٤٠	١٥ معركة	
١٨٤١-١٨٥٠	(١٠٠) معركة منها (٨٨) معركة في الاعوام ما بين ١٨٤١ – ١٨٤٦	
١٨٥٠-١٨٦٠	(١٢) معركة	
١٨٦١-١٨٦٤	(٨) معارك منها (٤) معارك ضمن حرب القرم.	

- تفاصيل المعارك العنيفة والمواجهات الدامية التي حدثت بين المقاتلين الشراكسة قليلة العدد والعدة وجيوش القياصرة كثيرة العدد والعتاد
- **وقائع وأحداث حروب العقد الأول من القرن التاسع عشر الميلادي:**

في مطلع عام ١٨٠٠ كثفت القوات الشركسية مقاومتها للهجمات والاعتداءات القوقازية / الروسية إلا أن شدة وقسوة الهجمات الروسية أدت إلى تدمير قرية الامير (بوجووقة) واستشهد (٢٠٠) مقاتل من المقاتلين الشراكسة وجرح حوالي (٣٠٠)، واسر المئات من أهالي هذه القرية الشركسية الآمنة. كالاستيلاء على (١٠٠٠) رأس من مختلف أنواع المواشي والخيل [١].

وفي عام ١٨٠١ انشأت القوات القوزاقية مدينة (بكاترينودار) كما بنوا حوالي (٤٤٢) قرية اطلق عليها (محطات) وربطت هذه المحطات بعشرات القلاع والحصون التي انشأتها السلطات الروسية في بلاد الشراكسة في مناطق حوض نهري الترك والكوبان وساحل البحر الأسود والتي **أطلق عليها خط القفقاس العظيم وطوله حوالي ١٥٠٠كم** [٢].

وفي عام ١٨٠٤ بدأ الصراع المسلح الواسع في بلاد القبرطاي بانتفاضة مسلحة واسعة اشترك فيها بجانب القبرطاي شراكسة الكوبان وشعوب القفقاس المجاورة، مثل: الآستين والشيشان والانقوش والبلقار والقرشاي، وطالب الثوار بتدمير القلاع العسكرية المنشأة على أراضي القبرطاي في "كيلافوسك" والتي كانت تمنع اتصال القبرطاي بشراكسة الكوبان.

وفي ٩ ايار منه وقعت عدة معارك على الشاطئ الأيمن لنهر (باقسان)، حيث هاجم (١٥٠٠) فارس من القبرطاي القوات الروسية بشكل مفاجئ، وكانت تتألف من ثماني كتائب من المشاة وأربعة افواج و (٥٤) مدفعا، إلا أن وصول تعزيزات روسية في الوقت المناسب اضطر القبرطاي إلى الانسحاب إلى أعالي نهري (تشيقيم) و (شالوشكا) وحاولوا إيهام القادة الروس بأن الشراكسة يرغبون إبعاد وترحيل عائلاتهم إلى الجبال، وفي نفس الوقت طلبوا المساعدة من القبائل المجاورة مثل البلقار والاوستين والقرشاي حيث قرروا معاودة الهجوم على الوحدات الروسية المعادية. ووقعت المعركة الحاسمة في يوم ١٤ ايار منه في منطقة نهري (تشيقيم) و (شالوشكا) بين قوات القبرطاي وبدعم من القوقازيين البالغ عددهم (١٣) الف مقاتل، وبين القوات الروسية بعد أن وضعت (١٢) قرية قبرطائية في وضعيات دفاعية بحفر الخنادق في شوارعها، ووضع العربات المملوءة بالحجارة على الطرق الجبلية وامام البيوت، كما وضعت جذوع الشجر على المنحدرات المجاورة، بينما تمركز الرماة بالبنادق والاقواس على الجبال، وعلى الخط الأمامي وقف الفرسان والمشاة من عامة الناس، واستمرت المعركة طوال النهار ولم يستطع القبرطاي من الصمود أمام المدفعية الروسية، وتكبدت قواتهم خسائر كبيرة في الارواح، وانسحبت إلى أعالي نهري (تشيقيم) و (شالوشكا) وقامت القوات القيصرية بتدمير وإحراق القرى الاثنتي عشرة.

في ١٩ ايار منه قدم إلى معسكر القوات القيصرية في المنطقة بعض أمراء ونبلاء ووجهاء القبرطاي طالبين السلام، فيما واصل الأمير (ورسلام بك) بالإغارة على تحصينات خط القفقاس بعد أن التجأ إلى شراكسة منطقة الكوبان. كما قام الأستين بقطع المواصلات الروسية المؤدية إلى (جورجيا) وإغلاق الطريق العسكري الجورجي، كل ذلك رفع الروح المعنوية والقتالية لدى القبرطاي مما دفعهم للقيام بهجوم مضاد حيث حدثت المعركة الكبيرة الثانية يوم ٢٠ ايلول عام ١٨٠٤ عند نهر (مالكا)، حيث قامت قوات مكوّنة من سبعة آلاف مقاتل قبرطاي بقيادة كل اغنياء القبرطاي وهم "جامبولاط ميسوستة"، و"عادل لفيري"، و"شوماخ كرساي"، و"دوفتوق، وأتاجوق نافروز"، و"عثمان غيري"، وغيرهم من الأمراء بمقاومة القوات الروسية مقاومة كبيرة، إلا أنهم خسروا المعركة وتركوا على أرضها (٤٠٠) قتيل من المقاتلين الشراكسة و (٤٠) نبيلا، واثنين من الأمراء بينما كانت خسائر الروس (١٠٠) قتيل فقط[٣].

واصلت القوات الروسية باحتلال أراضي القبرطاي حتى ربيع عام ١٨٠٥، تم خلالها إحراق وتدمير العديد من القرى، وإحاطة بلاد القبرطاي بحلقة من المخافر ونقاط الحراسة، كما تم

منع القبرطاي من المتجارة والاتصال مع السكان الروس على خط القفقاس، مما أدى إلى موت الكثير منهم لعدم توفر الغذاء عامة والخبز خاصة.

ونتيجة للخسائر الكبيرة التي لحقت بالقبرطاي في الأرواح والممتلكات، أجبرتهم على الاستسلام، كما اضطر قادة القتال وفلاحيهم للنزوح إلى مناطق شراكسة ما وراء الكوبان، أما الامراء والنبلاء الباقون فأقسموا يمين الولاء للقيصر.

وفي الفترة ما بعد عام ١٨٠٦ تدهورت الأوضاع السياسية في منطقة الكوبان بسبب (الحرب الروسية/التركية)، حيث شنت القوات التركية هجوما كبيرا، على أمل أن يلقى دعما من شعوب القفقاس، وطالبتهم السلطات التركية بالقتال إلى جانبهم لسحق الروس الكفار، إلا أن شعب (الاديغة) لم يوافق على المشاركة بالحرب إلى جانب الأتراك.

وقام الروس بإعادة احتلال (أنابة) في عام ١٨٠٧ إلا أنهم اضطروا للانسحاب منها، ثم قاموا ثانية في ١٨٠٩/٦/١٥ بإنزال قوة كبيرة حتى استطاعت (انابة) مرة ثانية مما سمح للروس ولأول مرة إمكانية الدخول في عمق أراضي (الاديغة) للقيام (حسب قول احد القادة الروس) **بإدخال الموت والخراب إلى مناطق الاديغة**، واعتبر قادة الروس أن مثل هذا العقاب درساً (للاديغة)، كما ارسل إليهم رسولا يطلب منهم ايقاف الاعمال القتالية، وإعلان خضوعهم الطوعي للسلطة الروسية، وفي حال رفضهم ذلك، **فإن صوت الرعد سيدّوي في بلادهم جالبا معه الخراب والدمار**.

واصلت القوات الروسية حربها ضد شعب القبرطاي في شهر نيسان عام ١٨١٠ وتم خلالها تدمير (٢٠٠) قرية، واحراق (٩٠٨٥) منزلاً و (١١٠) مسجداً وحرق (١٠٣٠) بقرة، ومصادرة (٥١٥٥٥) بقرة و (٥١٥) حصاناً ونهب ما يقدر بـــ (١٠٤) طن من العسل الاحمر و (٩٥) طن من العسل العادي و (١٤٢٠) عربة حنطة و (٢٨٠) بندقية و (٥٣) رمحاً و (١٤٥) سيفاً كما تم سرقة (٢٩٠٠) روبل فضة من بيوت القبرطاي. (٤)

- **وقائع واحداث حروب العقد الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي**

في عام ١٨١١ ارسل زعماء القبرطاي عريضة إلى الامبراطور اسكندر الاول طالبوا فيها الامبراطور الاصغاء إلى مطالبهم مذكرين بإخلاصهم منذ عهد ايفان الرهيب، مع الثناء الذي حظوا به من قبل الامبراطورة كترينا الثانية في عام ١٧٧١، كما اعربوا عن قلقهم بخصوص ما يجري في بلادهم في السنوات الاخيرة بقولهم: ".. منذ ان جرى فصل مناطقنا عن مركز القيادة وغادرها **ممثلو وزارة الخارجية، وضعت هذه المناطق بإمرة الحاكم العسكري المحلي الذي كان يجهل وضعنا والتحولات الطارئة عندنا وحالة شعبنا، ولم يستطع أن يدرك الميزات التي اعطيت لنا من القيصر، كما كان يفسر ما يريد على طريقته الخاصة ويضع تعليمات جديدة، ونظرا لأن شعبنا لم يستوعب ما يحدث، فقد حدثت الكثير من المشاكل والبلبلات والتجاوزات، مما يجري، لهذا نقول: إن القلق الرئيسي في حياة القبرطاي في ظل السلطة الروسية الجديدة ناتج عن تواجد القطعات الروسية التي كانت تجهل دقائق حياة المجتمع الشركسي وعاداتم وتقاليدهم**".

وأشار حكام القبرطاي إلى الحاكم الرئيسي (ماكاروف) بأن من دواعي عدم رضاهم عن السلطة الروسية في المنطقة، هو تغاضي حكامهم عمدا عن العادات التاريخية للشعب باصدارهم تعليمات تعارض غالبا تقاليد القبرطاي، كما تحدثوا عن القلاع الروسية... وعن الأراضي...".

جاء الرد إلى حكام القبرطاي في رسالة رفيعة المستوى، وموقعة من قبل الامبراطور الكسندر الاول شخصيا في ٢٠ يناير (ك٢) ١٨١٢، نصت على ما يلي: "ومن قبيل اهتمامنا الخاص بالقبرطاي وبتوجيه منا، وتحت قيادتنا **مباشرة "وحدة حرس خيالة خاصة" من أبناء عائلات الأمراء والملاك والأحرار الشراكسة من القبرطاي من حوالي مائة فارس يتم تسليحها وفق عادات القبرطاي ويجري كل(٣-٥)سنوات تبديل أفرادها بآخرين من شباب القبرطاي وبحسب اختيارهم..**".





صورة رمزية لجموعة من قادة الشراكسة الذين صدوا هجمات القوات الروسية الغازية لبلاد القبرطاي في العقد الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي

"أن يكون المقاتلون الشراكسة في الوحدة العسكرية مستقبلا، اسوة بأسلافهم وجدودهم، وقدوة لمن سيليهم، وأن يكونوا حريصين على تزكية أنفسهم أمام حضرتنا بأفضل صورة، برجولتهم واخلاصهم ووفائهم لعظمتنا، وجديرين بما وهبته جلالتنا من الاهتمام والعناية بهم.." (٥).

انتهت الحرب الروسية التركية في عام ١٨١٢ بتوقيع معاهدة (بوخارست) واعادت روسيا بموجبها (أنابه) و (سوجوق قلعة) إلى تركيا كما عادت مناطق الأديغة في ما وراء الكوبان إلى الفلك السياسي التركي، وعادت الحدود الفاصلة بين تركيا وروسيا إلى مجرى نهر الكوبان.

وبالرغم من توقيع هذه المعاهدة فإن القوات الروسية لم توقف هجماتها المدمرة على بلاد الشراكسة، تحت ذريعة قيام بعض الهجمات (الفردية والشخصية) على القوات الروسية المرابطة في أراضيهم، حيث قامت القوات الروسية بهجمات دموية على فلاحي (الاديغة) مما دفع هؤلاء إلى حمل السلاح والمقاومة بشراسة ضد القوات الروسية.

وفي الفترة ما بين ١٨١٢-١٨١٦ قام قائد القوات الروسية في البحر الاسود الجنرال "فلاسوف" باجتياح الكثير من القرى الشركسية في الكوبان سواء ما كانت تسمى منها بالقرى المسالمة أو غير المسالمة. (٦)

وفي ١٨١٨/١/٢٠م أرسل حكام القبرطاي وفدا إلى البلاط القيصري الروسي مؤلف من الامير (الحاج بزروقوه والسيد حامرزا زاكوشوك بيك والسيد شولوخ آخلوا والاوزدن تيمروقة قازانشف والسيد كتاغ قوده نيتو والسيد ميسوست آنزور)، للتأكيد على تنفيذ المطالب السابقة، والتصديق على الامتيازات التي منحتها إياهم الامبراطورة (كاترينا الثانية) أبان عهدها. فأكرم القيصر (اسكندر) وفادة الوفد ودعا أعضاؤه إلى عدة ولائم حضرها بنفسه لاقتناعه بصداقتهم، ووافق على إرجاع بلادهم الواقعة في مناطق ما وراء نهر المالقا. وأمر بزيادة الاهتمام بكتيبة الفرسان التي تشكلت كحرس خاص للامبراطور، وخصص لنفقاتها مقدار كافٍ من المال، وأعطى شعب القبرطاي

الكثير من الامتيازات بموجب مرسوم قيصري وقعه بنفسه، وسلمه إلى الامراء والاوزدن اعضاء الوفد.

وفي عام ١٨١٩ أرسل الأتراك إلى مناطق (أديغة) الكوبان عملاءهم لإثارة الشراكسة واقناعهم بالهجوم على القوات الروسية مما ادى إلى نشوب معارك وصدامات جديدة عديدة أدت إلى استشهاد أعداد كبيرة منهم [٧].

- **وقائع وأحداث حروب العقد الثالث من القرن التاسع عشر**

في عام ١٨٢١ حاولت القوات الروسية المؤلفة من كتيبة مشاة قوامها ألف مقاتل بحماية خمسة مدافع للاستيلاء على ما عند القبرطاي من ثروة حيوانية من أبقار وأنعام وخيول التي لم يتمكن الشراكسة من إخفائها بسبب شدة برودة فصل الشتاء؛ كما قامت هذه القوات بإغلاق كل مخارج الجبال ومداخلها لمحاصرة القبرطاي ومنعهم من الاتصال بالقبائل الشركسية الأخرى.

في عام ١٨٢٢ اباد الجنرال (فلاسوف) سكان (١٧) قرية شركسية كبيرة و (١١٩) قرية صغيرة أخرى، واستولى على ما تحتويها من مؤن، ومصادرة ما يزيد عن (١٠٠٠) رأس من الماشية، كما قتل المئات وأسر عدداً كبيراً من المواطنين الشراكسة من غير المقاتلين، وفي ١٨٢٤/٥/٣ قام بهجوم مفاجئ على إحدى قرى (الاديغة) واهلها نائمون بأمان، ولم يتركوا فيها حجرا على حجر، كما لحق بقريتين مجاورتين نفس المصير في تلك الليلة، ولا يعرف أحد كم مات من السكان في هذه الغارة إلا أن الوثائق تشير بأن شوارع القرى كانت مليئة بالجثث، وأخذ القوزاق معهم (٢٥٠) أسيرا وأكثر من ألف رأس من الماشية.

وفي عام ١٨٢٥ قامت القوات الروسية في مناطق الاديغة بالكوبان بتدمير عدد كبير من قراهم، وقتل سكانها بالمئات، إما بالنيران أو بحراب القوزاق المتوحشين، **وكثيرا ما وقعت النساء والأطفال الهاربين من الموت بالنار في الأسر، وفي كثير من الحالات كانت النساء يفضلن الموت على الاسر فيلقين بأنفسهن في الوديان السحيقة أو في تيارات الانهار الهائجة**، بالإضافة إلى ذلك قامت تلك القوات في منطقتي الابزاخ والبجدوغ بنهب الممتلكات الثمينة للسكان، وسرقة آلاف رؤوس الماشية، كما تشير الوثائق بأن اعتداءات الجنرال "فلاسوف" عبر الكوبان بموافقة (القائد العام لجيش القفقاس الجنرال يرمولوف) الذي كان يقول وهو يصف غارة قامت بها قوة من الشابسيغ والابزاخ على مستوطنة روسية أن **(قوة السلاح هي الوسيلة الوحيدة لإخضاع الجبليين).**

في ربيع عام ١٨٢٢ قام "يرمولوف" بهجوم واسع بجبهات عريضة على شعب القبرطاي، واستمر الهجوم حتى عام ١٨٢٥، وتشير الوثائق بأنه قام بتدمير وتشتيت كامل قرى القبرطاي تقريبا، واضطر العديد من شعب القبرطاي إلى الهرب إلى مناطق أديغة في الكوبان لمتابعة القتال ضد جيوش القياصرة من أجل الحرية والاستقلال.

في عام ١٨٢٦ أعلن عدد كبير من الشراكسة أنهم يرغبون بالعيش بسلام مع الروس، شريطة أن لا يقوم الروس بأية اعمال معادية ضدهم.

وفي المقابل فإن السلطات التركية بدأت باتخاذ اجراءات عملية لزيادة نفوذها في بلاد (شركسيا)* محاولة جعلها حصنها الوحيد والأخير في قفقاسيا، وكانت أول خطوة لتحقيق ذلك، هي تعيين (والي) جديد في (أنابة) اسمه "حسن باشا" ويحمل رتبة (سر عسكر)، ووصل الوالي الجديد من (طرابزون) إلى (أنابه) واعطي صلاحيات واسعة كما بدأ الوالي الجديد اعماله بالتقرب من زعماء الشراكسة، وخلال مدة قصيرة تم استقطاب كل القبائل الشركسية، ووافقوا على التقيد بالقوانين التركية وتحكيم المحاكم الشرعية، وأرسل رجال الدين الاتراك إلى القرى الشركسية لنشر الدين الاسلامي،

---

* كان يطلق على جميع المناطق التي يقطنها الشراكسة من القبرطاي، والبلسيني، وشراكسة قبائل الاديغية في ما وراء الكوبان وغيرها حوالي (١٢) قبيلة اسم (بلاد تشركسيا).

كما فرض ضريبة مقدارها (عشر) المحاصيل الزراعية لصالح بيت المال التركي في آنابة وأصبحوا يتبعون له مباشرة وحرص "حسن باشا" على توطيد علاقاته بالشراكسة بشكل شخصي بزواجه من فتاة شركسية بعد وقت قليل من وصوله إلى (أنابه) وهي ابنة أحد أكبر أغنياء وزعماء الشراكسة واسمه "دولت مورزي نوغاي" الذي كان يعيش على بعد (٤٠) فرسخا من القلعة.

إن سبب النجاح الكبير "لحسن باشا" في استمالة زعماء الشراكسة إلى صف تركيا العثمانية مع عدم نجاح سابقيه، يعود إلى معاملته لهم بود وصداقة كبيرين، وعدم قيامه بأية أعمال ظلم أو تعسف ضدهم.

إلا أن بعض الشراكسة عارضوا السياسة التركية الجديدة، ففي شهر آب من عام ١٨٢٦ وفي الاجتماع العام الذي عقده الشابسيغ والناتخواج رفضوا البيعة للسلطان التركي، ودفع الضرائب لدعم حامية (أنابه) وردوا على الوالي قائلين انهم (دخلوا الاسلام راغبين ولا يريدون الخضوع لأي اجنبي ولا يقبلون أن يقال إنهم وافقوا على احتلال اراضيهم من قبل الأتراك).

وفي شهر ايار من عام ١٨٢٧ قامت هذه المجموعة بقطع الطرق البرية الموصلة إلى قلعة (أنابة) ومنعوا إخوانهم الشراكسة من دفع العشر إلى والي (أنابه).

وفي تشرين الاول من عام ١٨٢٧ دعا قادة الابزاخ إلى اجتماع كبير آخر حيث اعلن المجتمعون رفضهم للتبعية التركية ودفع الضرائب لهم.

وفي عام ١٨٢٨ أخذت حكومة "نيقولا الاول" بعين الاعتبار الاوضاع العسكرية والسياسية في القفقاس على ضوء الحرب مع ايران، ولم تكن ترغب في هذا الوقت تعقيد علاقاتها مع تركيا، وتعمدت القيادة القفقاسية بالامتناع عن أي عمل يعارض الاتفاقات والمعاهدات بين تركيا وروسيا، وأصدر تعليماته للقادة العسكريين الروس قائلا: طالما أن شعب ما وراء الكوبان يخضع للسلطة السياسية التركية، **وطالما أن نهر الكوبان هو الحد بين بلاد الامبراطورتين فليس لروسيا حق في التدخل في شؤون الباب العالي.**

وفي محاولة لاستمالة فلاحي الاديغة من شراكسة ما وراء الكوبان وعدهم "حسن باشا" بتحريرهم من تبعيتهم للأمراء والنبلاء، فأقسم هؤلاء الفلاحون قسماً بالولاء للسلطان التركي إلا أن هذا الاجراء من قبل سلطات (أنابه) أثار أمراء ونبلاء الأديغة الموالين لتركيا، وبدأوا يعدون العدة لتحسين علاقاتهم مع روسيا، وحاولت روسيا خداع الأمراء الشراكسة بإعطائهم وعداً لوضع قوات تحت تصرفهم لإخضاع الفلاحين الموالين للسلطات التركية.

وفي العام نفسه حاول إقطاعيو (الاديغة) الذين كانوا يتذبذبون في علاقاتهم بين تركيا وروسيا، استيضاح موقف الحكومة الروسية تجاههم كمحايدين، وباعتبارهم فئة لم يشاركوا في الحروب ضدهم، وأرسل بعض الامراء والنبلاء إلى القائد الروسي "ايمانويل" رسلا لمعرفة ما سيتم من إجراءات ضدهم باعتبارهم لم يرضخوا للسلطة الروسية، إلا أنهم لم يرفعوا السلاح ضدها، وكان الجواب على طلبهم أن أرسل تعليمات سرية إلى "ايمانويل" زعيم القوزاق "بيسكروفني" الاعتراف بشعب (الأديغة) ما وراء الكوبان أن لا يخافوا من الروس، اذا لم يقاتلوا مع الاتراك، لأن الحرب (بين الروس والاتراك) لا تخص (الاديغة)، وأما الشراكسة الذين حاربوا مع الاتراك فسيعتبرون أعداء لروسيا.

وخلال الحرب الروسية التركية في عامي ١٨٢٨-١٨٢٩ عادت منطقة الكوبان لتصبح مسرحا للأعمال القتالية، حيث حصلت معارك في منطقة (أنابه)، وقاتلت وحدات من الأديغة إلى جانب الأتراك بقيادة الأمراء "بشيقوى، سايتوغ، نودوق، تيمريوق" ، وكان امير الناتخواج "صفر بك" الذي كان مستشارا لباشا (أنابه)، وبعد سقوط (أنابه) في أيدي الروس في ١٨٢٨/٦/٢٣ تراجعت وحدات الشركس إلى مواقعها في منطقة الكوبان استعداداً للمعارك القادمة.

وخلال الحرب الروسية التركية حاول الجانبان بكل الامكانات، كسب ولاء فلاحي (الاديغة) إلى جانبه، وفي بداية الحرب خاطب قائد قوات خط الكوبان والبحر الأسود الجنرال (ايمانويل)

"الاديغة قائلا: **إنني أعلن لكل اتباع الامراء الذين يقاتلون معنا ضد الاتراك، وأنني سأكون حاميا لهم اذا وصلت القوات الروسية إلى خط القفقاس، أما امراؤكم فستتم ملاحقتهم والقضاء عليهم بدون رحمة**". بهذه الطريقة دق الروس اسفينا في تفاهم لدى كبار الاديغة الموالين للاتراك، وكان لهذه السياسة أثر كبير أدى إلى إعلان بعض زعماء الشراكسة ولاءهم للروس(٨).

- **وقائع واحداث حروب العقد الرابع من القرن التاسع عشر الميلادي:**

وفي عام ١٨٣١ استولت الجيوش الروسية على حصن (غلنجيك)، لمنع الاتصال بين النتخواج والشابسيغ، وفي العام نفسه بدأوا بفتح طريق حربي من (غلنجيك) حتى (أوليفسك) بإمرة الجنرال (وليام نوفر) وفي تلك السنة ايضا أنشأوا العديد من القلاع والحصون في بلاد الشركس.

وبتاريخ ١٨٣٣/٥/٢٠ وضع الجنرال (ويليامينوف) خطة جديدة للتعامل مع القوقازيين عامة والشراكسة خاصة من اجل تحقيق الاهداف التالية:

١- إقامة مزيد من التحصينات في أكثر الأماكن أهمية من الناحية الطبوغرافية باعتبارها الوسيلة الاساسية والمضمونة لاحتلال الجبال واخضاع القاطنين فيها.

٢- مصادرة المزيد من الأراضي الشركسية وإسكان القوزاق في محطات تبنى على هذه الأراضي كوسيلة إخضاع (للجبليين) بسرعة .

٣- مواصلة تخريب مزارع وحقول الشراكسة لمدة خمس سنوات متتالية مما يجعل نزع سلاحهم اسهل مستقبلا.

٤- البدء باحتلال ومصادرة اراضي جديدة لإقامة محطات للقوزاق عليها، وكذلك إقامة تحصينات جديدة في اماكن مناسبة وهي أكثر الوسائل فائدة لإخضاع الشراكسة بأسرع وقت ممكن.

وفي عام ١٨٣٤ قامت القوات الروسية بالإغارة على مدينتي (بيتسوندا وكاغرى) الواقعتين على البحر الاسود واحتلالهما. وفي الشمال هاجموا موقع (آبين) الهام الواقع على نهر الكوبان بقوة تقدر بأربعة عشر الف مقاتل، واحتلوا بعد ذلك موقع (تسه – مزَ) بالقوات التي جاءت عن طريق البحر. بهدف احتلال سواحل البحر الاسود والسيطرة عليها لقطع المواصلات البحرية. إلا أن قوات الأبخاز بالاشتراك مع القوات التي قدمها زعيم قبيلة الاوبيخ (الحاج برزج) قامت بمحاصرة المدينتين اللتين احتلهما الروس، إلا أن وصول قوات الكُرج والقوزاق لمساعدة الروس المحاصرين فيهما أجبرهم على التخلي عن الحصار.

وفي الجنوب، قام الشراكسة بالهجوم من البر على موقع (تسه مزَ) لمحاصرة قوات الروس فيها، كما وقفوا في وجه الجيوش القادمة من الشرق نحو موقع (آبين) في الشمال ومنعوهم من احتلاله. وبذلك منعوا اتصال جيوش الروس المتقدمة من الشرق والجنوب وحموا الجزء الشمالي الغربي من القوقاز من الوقوع في قبضة الروس. **ويعود الفضل في قيادة وتنظيم هذه المعارك لزعيم جيوش الشابسوغ (الحاج غوزيك) المشهور الذي أحرز لقب (اسد غربي القفقاس).**

وبالرغم من انه لم يكن تحت امرته سوى ١٧٠٠ فارس فقد تمكن بمهارته العسكرية الفائقة من الصمود أمام جيش روسيا البالغ عدده اربعة عشر الف جندي، وقيل أن فرسانه افنوا من الروس ما يقارب (ستة آلاف جندي) ورغم كل هذه التضحية والمقاومة العنيدة، فقد تمكن الروس من احتلال (آبين)، ولكنهم عجزوا عن تنفيذ خطتهم الاساسية الرامية للوصل بين منطقتي (آبين وتسه مزَ).

وفي سنة ١٨٣٧ قام الروس بجيش قوامه ستة آلاف جندي من جهة الشرق بالوصول إلى (آبين) وقابلهم الحاج (غوزبك) على رأس جيش كبير من الفرسان الشراكسة، وتمكن من إبادة قسم كبير من الجيش الروسي، والقسم المتبقي منه تمكن من الفرار والنجاة، وقد استرد الحاج (غوز بك) في هذه المعركة ممتلكات الشراكسة التي كان الروس قد اغتصبوها سابقاً.

وفي سنة ١٨٣٨ تمكن الروس من احتلال (شابسوقة) الواقع جنوب (طوابسة)، ومقابل ذلك قام الشراكسة في منطقة (آنابا) بتدمير المستعمرة الروسية، وأسر خمسمئة جندي من حاميتها.

ЧЕРКЕСИЯ И РОССИЯ
ГЕРОИЧЕСКАЯ ГИБЕЛЬ СТРАНЫ АДЫГО



бор черкесского войска. Из книги Дж. Белла «Дневник пребывания в Черкесии в течение 1837, 1838, 1839 гг.». ондон, 1840

صورة تمثل المعارك التي جرت بين الشراكسة وجيوش القياصرة للأعوام ١٩٣٧-١٩٣٩

وفي عام ١٨٣٩ جرت على سواحل البحر الأسود، معارك اتصفت بالشدة والعنف، وكانت تهدف لمنع الروس من إنزال القوات الحربية بحرا، بهجمات عنيفة معاكسة، ولما كانت أسلحة الشراكسة النارية ضعيفة، فقد اعتمدوا على مقدرتهم في استعمال السلاح الابيض، كما اعتمدوا على سرعة الحركة وتحريك الجيوش بصورة خاطفة ومفاجئة، وكسب الوقت والاستفادة من ظلام الليل، وتغيير أساليب القتال حسب طبيعة المعارك ومحاولة خداع العدو وتضليله. وتشير الوقائع التاريخية إلى حدوث ثلاث معارك رئيسية خلال هذه الفترة، وهي على النحو التالي:

المعركة الاولى: وهي معركة (سوبش) حيث حاولت القوات الروسية حماية موقع (آنابة)، ورغم شدة مدفعية العدو الحربية التي كانت تحمي القوات المدافعة عن الموقع هاجمها المقاتلون الشراكسة واستطاعوا منعهم من التوغل برا.

المعركة الثانية: وعرفت باسم حرب (ساش) حيث حشد الروس حوالي ٤٠ الف جندي في منطقة (آنابه) لحماية شبه جزيرة (طامان). ولما كان الشراكسة يخشون توغل هذه القوات شرقا، فقد قرروا احتلال قلعة (ساش) الواقعة بين (تسه مزَ) و (آنابه) لذلك هاجموها ليلا واقتحموها بالسلاح الابيض، ولكنهم لم يتمكنوا من الاحتفاظ بها لخطأ عسكري وقع في تنفيذ الخطة فاستردوها ثانية.

المعركة الثالثة وهي المعركة التي دارت حول موقع (جاماتيا) المحصن الذي يشكل رأس جسر عند مصب نهر (الكوبان) ويسهل ارتباط موقعي (آنابه) و (تسه مزَ) المحتلين من قبل الروس، فقرر

الشراكسة استرداد هذه المواقع الثلاثة. واتخذوا جميع الاحتياطات والتدابير اللازمة، ووجهوا هجومهم إلى موقع (جاماتيا) ولكنهم حينما دخلوا بين موقعي (جاماتيا وانابه)، تعرضوا لنيران المدفعية الشديدة الآتية من هذين الموقعين المتقاربين، فلم يحرزوا أي تقدم يذكر، وكانت خسائرهم كبيرة، إلا انهم تابعوا هجماتهم ولم يتراجعوا إلا امتثالا لأوامر رؤسائهم وقادتهم خوفا على هلاكهم وفنائهم.[٩]

ووصف الاميرال (ياكوف) هذه المعارك بقوله "تقدمنا تسعة فراسخ ونصف الفرسخ دون معارك كبيرة، كان الكشافة يقومون بالاستطلاع امام القوة لكشف واحتلال المواقع التي أقيمت على الطريق، وكان الشراكسة يزحفون كالثعابين ويهجمون على رماتنا بالسيوف، ولكنهم كانوا يهزمون خلال نصف ساعة، ويخرجون من الغابة بالحراب وتطلق عليهم مدفعيتنا طلقاتها، كما كنا نتقدم فوق جثثهم الدامية، وكنا نرى القتلى في كل مكان، وكانت الجبال تُدّوي بأصوات إطلاق النار واصوات المعارك، وكانت كل الشعاب مليئة بالدخان وألسنة النيران التي أشعلها المقاتلون الشراكسة في الاعشاب، وكانت جهنم فعلا على الأرض، قضينا الليلة عند نقطة التقاء نهر (ابين) مع نهر (اتاكفاف)".

واستطرد قائلا "كان اليومان الماضيان صعبين إلا أن الفجر كان يقول إن ما مضى كان نزهة بالمقارنة مع ما ينتظرنا، وكانت آثار اقدام (الخيل) التي غالبا ما تقطع مجاري القتال تضيع في الغابة، وكانت الصخور الضخمة التي تنمو عليها الاشواك وتنحدر منها المياه ليست فقط مانعا للحرب بل كانت مصائد لنا كما كان جانب اليمين واليسار مليئة بالرجال الشراكسة الجاهزين للموت لمنع الروس من التقدم، وكنا نتقدم ببطء ونحن نكسب كل خطوة بالقتال وبسلاح متماثل لأن مدفعيتنا لم تكن لتفيد في هذه الاوضاع، وكان دفاع (الاديغة والاوبيخ) على ساحل البحر الأسود قويا لدرجة أن القيادة الروسية اقتنعت بأن (الشراكسة ينوون الدفاع عن أرضهم بأرواحهم)، وهكذا ففي أثناء انتقال القوة الروسية من (غيلينجيك) إلى (بشاده) لم يتوقف إطلاق النار من قبل الشراكسة الذين كانوا ينصبون الكمائن المسبقة بمجموعات صغيرة وفي يوم ١٨٣٩/٧/٦ كتب الاميرال (ياكوف) إلى الامير (مينشيكو) يقول: "بأن الشراكسة وكما في السابق يظهرون فجأة أمام كل الحصون ولمدة قصيرة ويهاجمون بشراسة، ففي حصن (ميخانيلوفسكي) قتلوا ضابطا بالسيف وجرحوا اربعة جنود، وفي حصن (تينغينسكي) جرحوا قائدا عسكريا وثلاثة جنود وفي حصن (ويليا مينوفسكي) جرحوا خمسة أشخاص، وكان كل ذلك يتم قرب الحصن، وفي ساعة الصباح وعند موعد تحية العلم، وفي (سوباشي) القريب من إحدى الغابات قُتل وجرح حوالي (٥٠) شخصا، وبشكل عام فإن الشراكسة يحاربون هناك بشجاعة فائقة، واعتقد بأن هزيمة الجنرال "سيمبارسكي" في العام الماضي على يد المقاتلين الشراكسة قرب (سوتشي) قد رفع من معنوياتهم وزاد من شجاعتهم".

وفي مكان آخر يقول القائد نفسه: "انه رغم قلة سلاح الشراكسة فإنهم لن يستسلموا بالرغم من أنه ليس لديهم أي أمل" [١٠]

- **وقائع واحداث العقد الخامس من القرن التاسع عشر**

اتصفت حروب ومعارك هذا العقد بتعددها وطولها، وشدتها، وتكللت معظمها بالنجاح والتفوق والانتصار على الاعداء الروس دون أي دعم او مساعدة من الانجليز او الاتراك او الفرنسيين، بل إن الحلفاء حجبوا عن الشراكسة كل المساعدات التي كان من المقرر تقديمها لهم.

وتشير الوثائق إلى وقوع (٨٨) معركة شرسة بين القوات روسية والمدعوين من القوزاق وبين اتحاد قبائل الاديغة من شراكسة ما وراء الكوبان خلال الفترة ما بين ١٨٤٠-١٨٤٦.

وفيما يلي أهم الحروب والمعارك التي وقعت خلال هذا العقد:

*** معارك شهري شباط واذار عام ١٨٤٠**

مع نهاية عقد الثلاثينات وبانتهاء اقامة خط التحصينات الساحلي كانت شعوب الاديغة وغيرها من القوقازيين قد أصبحوا عمليا مقطوعين عن العالم الخارجي، مما أثر كثيرا على أوضاع

الناس البسطاء، هذا بالإضافة إلى حدوث الجفاف وقدوم الشتاء القاسي لعام ١٨٤٠ فانتشرت المجاعة بشكل مرعب بين سكان مناطق ما وراء الكوبان، الأمر الذي أدى إلى التمرد ظهور حركة تحرر جماعي، أشعلت شاطئ البحر الأسود بنيران انتفاضة عارمة شاملة، خلال شهري شباط وآذار حيث قام المقاتلون الشراكسة باقتحام القلاع والحصون التالية:

"لازيروفسكويه – غولوفينسكويه – ويليامينسكويه – ميخائيلوفسكويه" الواقعة على ساحل البحر الاسود، وحارب مع الاديغة شعب الاوبيخ بقيادة "جان برزج" ذي السلطة الكبيرة، ليس فقط بين الاوبيخ ولكن في كل غربي القفقاس، وكان على رأس (١٥٠٠٠) مقاتل شركسي وتكللت هجماتهم بالنجاح وبأقل الخسائر البشرية.

*** معارك شهر نيسان / ١٨٤٠م**

في يوم ١٨٤٠/٤/١٢م وعندما استلم وزير الحرب الروسي القيصري الامير "تشيرنيشف" أخبار سقوط خط القلاع الساحلي، وبخ قائد الخط الجنرال "رايفسكي". كما امر قائد فيلق القفقاس بالتوجه بسرعة لمناطق (الاديغة والابيخ) وإحراق مراعيهم ومزارعهم ومستودعاتهم، وقد تم احراق (١٣) قرية شابسيغ مع تدمير كل الكروم والبساتين في وادي نهر (بسه فابة).

*** معارك صيف عام (١٨٤٠) م**

قامت القوات الروسية بعمليات انزال بحري بمعاونة اسطول البحر الاسود، وأعيد احتلال كافة القلاع الساحلية التي كانت قد سقطت بأيدي المقاتلين الشراكسة، إلا أن الروس لم يتمكنوا من القضاء على مقاومة شراكسة ساحل البحر الاسود، حيث بدأ الاوبيخ والابزاخ والشابسيغ والناتخواج محادثات جادة، بغرض تنظيم هجوم مضاد جديد على خط التحصينات الساحلي الروسي التي اعيد احتلالها، وفي الاجتماع الجماهيري الحاشد الذي عقد على ضفة نهر (بشيحة) تم اتخاذ القرار التالي: "**لا يجوز لأحد منا ان يذهب إلى الكفار وكذلك ممنوعة منعا باتا بناء علاقات الصداقة مع الكفار وكذلك فإن أي طلبات او اقتراحات من قبلهم يجب رفضها باستمرار، وعند محاولة القوات الروسية الدخول إلى المنطقة، فعلى كل واحد منا حمل السلاح والذهاب إلى حيث الخطر لمواجهة الاعداء ومنعهم من الدخول**".

كما وقعت في صيف عام ١٨٤١ أربع معارك عنيفة ضد القوات الروسية القيصرية تحت شعار (الحرية او الموت) وفيما يلي وصف ملخص لكل معركة من هذه المعارك الأربعة:

*** معركة يكاترينودار/ قالشخوه:**

حشد الروس في هذه المعركة ما لا يقل عن عشرة آلاف جندي واستعملوا لأول مرة سلاحاً جديداً، وكان هذا السلاح ذا تأثير شديد على محاربي الشراكسة، لأنه لم يسبق أن رأوا مثله من قبل، ولكن سرعان ما اعتادوا عليه وعملوا على تجنب أضراره بتبديل خططهم الحربية تبعا للظروف التي تفرضها طبيعة استخدام هذا السلاح الجديد.

*** معركة شابسين:**

حاول قادة الروس إخراج قواتهم من هذه القاعدة الحصينة، إلا أنهم فوجئوا بمقاومة شديدة من القوات الشركسية التي انقضت عليهم من الخلف ومن الجانبين ، وكبدتهم خسائر جسيمة، حيث خسر فيها الروس ما لا يقل عن الف قتيل واضطروا إلى التراجع والاحتماء بالقلاع.

*** معركة حافطسي كلنجك:**

وفيها حاول قادة الروس أيضا الخروج من هذه القاعدة الساحلية والتقدم برا، ولكنهم اصطدموا بخط دفاع الشراكسة، ولم يتمكنوا من إحراز أي تقدم فانسحبوا خائبين.

*** معركة بشات:**

دفع قادة الروس من هذه القاعدة الحربية ما لا يقل عن ١٨,٠٠٠ جندي، وحاولوا التقدم في وادي (بشات) واخترقوا خط الدفاع الشركسي، ورغم ذلك لم يبلغوا هدفهم الحقيقي وهو التوغل برا في الأراضي الشركسية فارتدوا خائبين، بفضل القيادة الحكيمة التي مكنت المقاتلين الشركس، بقيادة (شروخ يقوه وجانبولات، حاوقه منصور) وغيرهما من الزعماء، والصمود امام قوات الروس الكبيرة، واشترك في هذه المعارك الاحداث والفتيان الشراكسة الذين لم يبلغوا السادسة عشرة من اعمارهم واستشهد البعض منهم. واشارت بعض الوثائق بأن أحد قائدة هذه المعارك وهو الزعيم الكبير (حاوقه منصور) الذي كان يتقدم **المقاتلين، قال لهم:** "**طالما سيوفنا بأيدينا، لن نفكر في الاستسلام أبدا..**" (١٢)

وكتب العقيد "يوريف" في تشرين الثاني ١٨٤١ قائلا: "ومع ان القبرطاي الحاليون ليس أقوياء كثيرا، لم يعودوا خطرين علينا بقواهم الذاتية، إلا ان اقرباءهم من امراء ونبلاء القبائل الاخرى القفقاسية، واحتراما لمنبتهم وأصلهم، فإن لهم تأثيرا كبيرا على باقي شعوب القوقازيين، ولذلك فإن المحافظة على الهدوء في بلاد القبرطاي هام جدا في المرحلة الحالية، بحيث ان اقل خطأ من القيادة الروسية في مناطق القبرطاي يمكن أن يؤدي إلى انتفاضة هذا الشعب ضدنا مما سيشكلون خطورة على الطريق الحربي الجورجي العسكري". (١٣)

وفي شهر نيسان من عام ١٨٤١ قامت قوة مؤلفة من (١٥٠٠٠) مقاتل شركسي ومعهم سبعة مدافع من العيار الثقيل بمحاصرة قلعة (تينغينسكي) لمدة ستة ايام، ولم يتراجعوا إلا عندما وصلت تعزيزات روسية بعد أن تلقت القوات الروسية ضربة كبيرة وخسائر فادحة بين صفوفها.

وفي شهر تشرين الثاني عام ١٨٤١ تجدد القتال، وخسر الروس حوالي (٦٠٠) مقاتل و (٣٠٠٠) جريح، وكتب الجنرال "ياكوف" قائلا: إن الشراكسة أيضا وقعت بينهم إصابات ولكن ليس بحجم إصاباتنا".

وقاتل الشراكسة بضراوة شديدة ايضا على الشاطيء الايسر لنهر الكوبان خاصة في المناطق الجبلية، شارك فيها قوات الشراكسة الجنود الروس الذين فروا من قسوة معاملة القادة الروس، كما شارك فيها قوات عدد غير قليل من الجنود البولونيين الذين جندهم الروس في فيلق القفقاس المستقل لمحاربة الشراكسة فهربوا منه، ومن الجدير بالذكر بأن الجنود الروس والبولونيين الذين انضموا إلى الشراكسة لم يقوموا فقط بالقتال إلى جانبهم، بل نقلوا إلى الشراكسة علومهم العسكرية وخطط وتكتيك المعارك، وحسب شهادة عدد من الشهود فإنهم علموا الشراكسة ايضا أسرار صناعة البارود وأساليب اطلاق المدافع، مما ساعدهم على الصمود امام التفوق الروسي في العدد والعتاد.

- **احداث عام ١٨٤٣**

بعث الامير القبرطاي (محمد ميرزا انزور) برسالة إلى نائب الامام شامل في بلاد الشيشان الشيخ (شعيب) يعلموه فيها بأن القبرطاي حكاما وشعبا جاهزين للقتال ضد القوات الروسية، وذهب بنفسه إلى النائب (شعيب) وطلب منه ارسال وحدة صغيرة إلى بلاد القبرطاي للمساعدة في قتل (١٦) عميلاً شركسياً متعاوناً مع سلطات الروس القياصرة.

- **احداث عام ١٨٤٤**

اتيحت الفرصة للقبرطاي للثورة على الروس مرة أخرى، عندما قدم (الامام شامل) على رأس جيش كبير قوامه اثنا عشر الف مقاتل إلى اراضي القبرطاي وتمكنوا من اجتياح بعض المخافر والمستحكمات القوزاقية المسماة (ستانيتسا)، وساروا نحو الغرب ووجهتهم حوض نهر الكوبان. وفي نفس الوقت خرج عدد كبير من القبارطاي عن طاعة الحكومة الروسية، وانضموا لقوات الامام (شامل) بأمل الخلاص من حكم الروس، ولكنهم لم يستمروا في القتال معهم لعدم توفر التحصينات الطبيعية، ومن جهة اخرى فإن العدد الاكبر من القبرطاي لم يكونوا ميالين إلى جعل بلادهم عرضة لاستيلاء جيوش (الشيشان المتعصبة) على بلادهم وحافظوا على هدوئهم حتى اضطر الامام إلى

الانسحاب والالتجاء إلى بلاد الداغستان مع بعض الشراكسة من القبارطاي خوفا من تعرضهم لانتقام الروس لانضمامهم إلى الامام شامل.

وأما القبائل الجركسية الصغيرة، التي كانت تقطن ضفاف نهر الكوبان واللابا وأوروب قاوموا الروس، وتمكنوا من الصمود أمامهم، إلا أنهم اضطروا للتوقف عن الحرب لضعف حالهم وقلة عددهم، فمنهم من خضع للروس، ومنهم من آثر الهجرة إلى الضفة اليسرى من نهر اللابا، وجاوروا قبيلة (الابزاخ) واندمجوا معهم [١٤].

- **وفي حزيران عام ١٨٤٤:**

بدأت معركة كبيرة حيث قام (٦٠٠٠) مقاتل من الاوبيخ والشابسوغ احتلال حصنين كبيرين وطرد القوات الروسية منهما.

- **وفي عام ١٨٤٦:**

وقعت عدة معارك حربية على خط التحصينات الساحلية [١٦]. وفي نفس العام أي عام (١٨٤٦) قام نائب الامام (شامل) واسمه (سليمان التتري) ببيع نفسه للروس وأعلن رفضه القتال ضدهم.

- **وفي عام ١٨٤٨ :**

وصل (محمد أمين) نائب الشيخ (شامل) وهو النائب الثالث الموفد إلى شراكسة ما وراء الكوبان بهدف نشر المذهب (المريدي) ومكث بينهم اكثر من عشر سنوات، وقام بتقسيم اراضيهم إلى قطاعات، يتألف كل قطاع منها من (١٠٠) بيت أو عزبة، وأسس في كل قطاع (محكمة) وهي عبارة عن (حصن) او قرية جبلية محاطة بالخنادق والسياج، كما انشأ في كل محكمة مساكن للقضاة وللقادة بالإضافة إلى بناء مسجد ومدرسة حربية وسجن ومخزن تجاري واسطبل كما عين لكل مقاطعة إدارة مكونة من ثلاثة قضاة للقيام بمهام إدارية وقضائية.

كما وضع تحت تصرف كل (إدارة) وحدات مسلحة من الخيالة، وجيش مكون من مجموع الوحدات الخيالة، بالاضافة إلى الوحدات الامنية التي كانت تتكون من الفرسان والمحاربين المتطوعين، بمعدل (فارس واحد من كل بيت على الأقل) وكانت هذه الوحدات المقاتلة جاهزة للقتال عند صدور نداء من نائب الشيخ شامل إلى بلاد شراكسة ما وراء الكوبان.

كما شكل النائب في المرحلة الأولى من وصوله إلى بلاد شراكسة ما وراء الكوبان أربعة مناطق في الابزاخ الذين كانوا أوائل من اعترفوا بسلطته، ثم شكل ثلاث مناطق أخرى لدى الشابسوغ واثنتين لدى الناتخواج.. ولم ينجح نائب الإمام محمد أمين من توحيد شعوب شراكسة (الاديغة) في مناطق ما وراء الكوبان لأسباب وتأثيرات داخلية وخارجية [١٧].

- **أحداث عام ١٨٤٦**

أرسل الإمام شامل عام ١٨٤٦م رسالة إلى القبارطاي تحمل التهديد والوعيد وتطالبهم ولآخر مرة للانضمام إلى جيشه لمحاربة الروس، والقيام بثورة عامة لتحرير بلادهم من حكم الروس. وجاء في المقطع الأخير من تلك الرسالة التهديد التالي:

((واذا تماديتم في غيكم وأعرتم آذانا صاغية لوعود أولئك الروس الكفار ذوي الشعر الاحمر، ولم تذعنوا لطلبي هذا، ولم تصدقوا تهديداتي فإني سوف أحقق ما كان ينوي تحقيقه الإمام غازي مولا، وأن جيوشي الجرارة سوف تنقض على بلدانكم الآمنة كالغيوم السوداء التي تقدح شررا وصواعق فتاكة، وسوف ننتزع منكم غصبا ما رفضتم إعطاءه لنا بالحسنى. وان الدم سيسيل

على جوانب طريقي اليكم، وسوف يتبعني في طريقي إليكم الخوف والهلاك، وحيثما يعجز الكلام تبدأ القوة)).

ونفذ الامام تهديده في نفس العام، وهاجم بلاد القبارطاى من حدود بلاد الشيشان، إلا أن الجنرال الروسي (فرتياغ) كان يعلم سلفا ما كان ينويه الامام، فسارع في تعقب تحركاته في بلاد القبارطاى، وحاول قطع طريق الرجعة عليه، وأما الامام فلم يتجاسر على مقابلة جيش الجنرال المذكور، في بلاد سهلة لا جبال فيها ولا أحراج، وآثر الرجوع إلى الجبال خوفا من وقوعه في الأسر.

ورغم فشله في محاولة اجتياح بلاد القبارطاي فقد أحرز الإمام شامل بعمله هذا بعض المكاسب المعنوية ولاقى الاستحسان لدى القوقازيين، كما أن الجنرال (فراتياغ) نجح في تخليص الدولة الروسية من خطر عظيم كان يتهددها من قوات الشيخ شامل واتباعه المريدين.

- **أحداث عام ١٨٤٧ :**

حاول الجنرال (فوردنتسوف) الاستيلاء على موقع (غرغبيل) الذي حصنه الامام شامل بعد هجوم شديد. ولكنه فشل في محاولته هذه كل الفشل، واضطر إلى الانسحاب بعد أن تكبد خسائر فادحة في الأرواح والعتاد، وبعد مدة تمكن من احتلال الموقع الحصين (سالتي)، إلا أن ذلك كلفه خسائر جسيمة، وما لا يقل عن ألفي شخص بين قتيل وجريح. ومع ذلك فقد كانت هذه الموقعة مدار فخر وزهو الجنرال (فورد نتسوف).

- **احداث عام ١٨٤٨ :**

سقطت (غرغبيل) أيضا، بعد حصار دام اثنين وعشرين يوما، حيث تعرضت لهجوم جيش روسي كبير عدده لا يقل عن عشرة آلاف مقاتل، ولكن الروس لم يتمكنوا من إبقائها في أيديهم، واضطروا إلى اخلائها والانسحاب منها، والفرار والتقهقر بأسرع ما يمكن، بسبب الهجمات الشديدة التي قامت بها جيوش شامل والاخطار التي كانت تهددهم من جميع الجهات.

وفي خريف تلك السنة هاجم (شامل) على رأس جيش كبير جدا موقعاً محصناً يقع على نهر (سامور)، في الجهة الجنوبية من بلاد الداغستان وكانت حاميتها البالغ عددها (٥٠٠) محارب، تدافع تحت إمرة قائدها الكولونيل (روث) بكل بسالة، وقد خسرت الحامية نصف رجالها الأشداء، وحينما استبد بهم اليأس نسفوا مخزن البارود الموجود لديهم وقرروا الدفاع حتى الرمق الاخير. كما أن النساء الروسيات الموجودات في الحصن قررن الانتحار قبل وقوعهن اسيرات بأيدي جيوش الموريدية بقيادة الشيخ شامل.

كان كل شيء يسير لصالح الإمام الذي وعد (نوابه) بأنه أول من يتمكن من احتلال الحصن ويرفع رايته على برجه سيعطيه ابنة القائد (روث) الجميلة، إلا أن نجدة كبيرة من القوات الروسية وصلت في آخر لحظة، وتمكنت من فك الحصار وإنقاذ المحاصرين في داخل هذا الحصن [١٥].

*** أحداث ووقائع المعارك العنيفة في العقد السادس من القرن التاسع عشر**

لم يقم الروس منذ عام (١٨٥٠) بأعمال حربية وعدائية ضد الشراكسة بل اكتفوا بإشعال حصونهم وقلاعهم التي انسحبوا إليها، وهذا لم يمنعهم من السعي لعزل بلاد الشركس عن الأتراك وقطع كل صلة بينهما. وكان الروس يتظاهرون في كثير من الأحيان بمظهر المسالمين، وكان بينهم وبين أعدائهم هدنة غير معلنة، حيث كان أشد قادة الروس تحمسا لهذه الفكرة هو الجنرال (ياكوف)، وهو قوقازي المولد وأرمني الجنس، وكان يعمل مع الأتراك في (آنابا) كمترجم، ولما رحل العثمانيون عن هذه البلدة، وحل محلهم الروس، وتحول لخدمتهم ولمع نجمه لمعرفته بأمور القوقاز

وأحوال القبائل الشركسية ولعلاقته الجيدة مع بعض الاسر المتنفذة في قبائل ناتخواج، واتقانه اللغة الشركسية. إلا أنه كان يجهل طبائع الشركس والمتمثلة في كرههم لعامة الروس.

وفي عام ١٨٥١ تم تشكيل وحدة قومية بين القبائل الشركسية الاثنتي عشرة لم يحدث مثلها من قبل، وأدى هذا التضامن لانتشار الدين الاسلامي بسرعة كبيرة وإن لم يرافق هذا الانتشار تثقيف وتوعية دينية، لعدم وجود متسع من الوقت لانشغالهم بالحروب المستمرة ضد القوات الروسية الغازية.

والذي يهمنا في بحثنا عن الوقائع والأحداث التي وقعت خلال سنوات هذا العقد هو الكشف عن بعض الحقائق حول (حرب القرم) (١٨٥٣-١٨٥٦) من حيث أسبابها وأهدافها، ومجرياتها وهي على النحو التالي:

١- كانت أهداف كل دولة من دول التحالف الثلاثي من إعلان الحرب على روسيا في حربها المسمى (بحرب القرم) تختلف باختلاف سياسة كل دولة فيها. وتؤكد الوثائق التركية بأن أسباب حرب القرم لم تكن للأهمية الاستراتيجية لمنطقة القفقاس عامة والمناطق الشركسية خاصة، **وإنما كان السبب الرئيسي هو: صمود الشراكسة وقدرتهم على المقاومة للعدو الروسي أكثر من ثلاثمائة عام، وكذلك لاقتناع قادة الحلفاء بأنهم يستطيعون بمعونة** المقاتلين الشراكسة تحطيم القوات الروسية من أول ضربة.

٢- كانت رغبة الإنجليز والأتراك في دعم الشراكسة ليس حبا في منحهم الاستقلال الوطني الذي تنشده الأمة الشركسية، وإنما لضمان حرية التجارة معهم والحصول على طرق تجارية آمنة للوصول إلى الشرق الأدنى عامة وبلاد الهند خاصة.

٣- ضمان حرية الملاحة في البحر الأسود وإبعاد الأسطول البحري الروسي عن شواطئه لضمان حرية حركة بواخر قوات التحالف.

تلك هي الأهداف الحقيقية لقوات التحالف من إعلان حرب القرم ضد روسيا القيصرية وتحققت هذه الأهداف جميعها باستثناء الهدف المتعلق باستقلال الشراكسة وتكوين دولتهم المستقلة المنشودة وتشير الوثائق التاريخية إلى أن هذا الهدف لم يتحقق لسببين رئيسين هما:

السبب الاول: لم يتفق الحلفاء على رأي واحد، حول هذا الهدف ففرنسا لم يكن لها اهتمام في بلاد ما وراء القفقاس، بينما إنكلترا وتركيا كانتا مهتمتين بمسألة القفقاس وباستقلالها لضمان الاتجار معهما، خاصة وأن الانكليز وخلال حرب القرم وفي ذهنهم إقامة دولة في شمال القفقاس تحت اسم (شركسيا) ووضعها تحت حماية تركيا أو انكلترا، وكان قد تم التفكير في سلخ بلاد ما وراء القفقاس عن روسيا، وتقسيم جورجيا إلى إمارات تحت حماية انكلترا، ويتضح ذلك من المقالة التي نشرت في جريدة (التايمز) البريطانية قبل بدء حرب القرم بوقت قصير حول ضرورة انسحاب القوات الروسية عن مناطق ما بين نهري الكوبان وتيرك.

أما السبب الثاني، فيتعلق بفشل الحلفاء في استخدام سكان القفقاس عامة والشراكسة خاصة ضد روسيا، وجعلهم حلفاء نشيطين، كما حاولت القيادة التركية/الفرنسية الانكليزية المشتركة إقامة علاقات مع قادة حركة التحرر الشركسية أولا، ومع "شامل" ونائبه "محمد أمين" و "صقر بيك" ثانيا. إلا أن هذه المحاولات فشلت جميعها أيضا. ولم تنجح لسببين رئيسين هما: **الأول**، قناعة الشراكسة بعدم جدية الحلفاء في حرب القرم، **والثاني**، عدم ثقتهم بسياسة الحلفاء في ضوء التجارب السابقة والتي تمثلت بالوعود المتكررة بتقديم الدعم العسكري والمالي والبشري للشراكسة في حربهم ضد روسيا القيصرية، ولم يتحقق منها أي وعد.

وفي نهاية عام ١٨٥٣ انتهت الحملة الحربية في منطقة ما وراء القفقاس بكارثة حلت بالخطط الاستراتيجية للقيادة التركية، إذ إن النصرين الباهرين اللذين أحرزهما للروس، - الأول في (أخالتسيخوم) في ١٨٥٣/١١/٢٦ والثاني عند بلدة (باش كاديكلار) في ١٨٥٣/١٢/١ - حطما نهائيا الخطط التركية باحتلال القفقاس بضربة واحدة.

كما تلاشى خطر إنزال قوة تركية على شاطئ ساحل القفقاس، إذ قامت قوة بحرية روسية في ١٨٥٣/١١/٣٠ بقيادة "ناخيموف" بتدمير قوة الإنزال التركية في مرفئها في خليج (سينوب) وهي القوة التركية التي كانت مؤلفة من (١٤) سفينة، وكان من المخطط لها التوجه لاحتلال مدينة (صوخوم) والاتصال مع المقاتلين الشراكسة في الداخل. وهكذا تعقد الوضع الدولي بعد معركة (سينوب)، وهزيمة الجيش التركي في مناطق ما وراء القفقاس، وأصبح خطر نشوب الحرب مع انكلترا وفرنسا ودخول أساطيل الحلفاء إلى البحر الأسود أكثر مع إمكانية دخول إيران الحرب إلى جانب الحلفاء الأمر الذي أدى لاهتمام القيادة الروسية على إبقاء خطوط المواصلات مفتوحة بين روسيا وما وراء القفقاس، وحراسة شاطئ بحر قزوين، والطريق الحربي الجورجي، وشاطئ البحر الأسود، وتعقد الموقف بشكل خاص على شاطئ القفقاس بعد دخول أسطول الحلفاء إلى البحر الاسود، حيث اختبأت السفن الحربية الروسية في عمق خليج (سيباستربل) لتخلف تسليحها أولا، ولقلة عددها مقارنة مع عدد سفن الحلفاء.

وفي شباط عام ١٨٥٤ أمر القيصر انقولا الاول إخلاء وتدمير قلاع وتحصينات خط الدفاع الساحلي على البحر الأسود والتحصن في قلاع (انابة ونوفورسيك وغيلنيجيك وصخوم) وفي العام نفسه (١٨٥٤) تلقت الحكومة الانجليزية موافقة نابليون الثالث للقيام بالهجوم على القوات الروسية في القرم، وفي تموز عام ١٨٥٤ ترأس النائب (محمد امين) وفدا شركسيا مكون من (٧٠) اميرا لزيارة قيادة الحلفاء في (فارنا) للتباحث معهم حول تنظيم الاعمال العسكرية المشتركة ضد روسيا، واستقبل الوفد باحتفال رسمي وأطلقت المدافع عند وصولهم (٢١) طلقة تحية لقدومهم.

وفي ١٨٥٤/٦/٢٧ وبعد يومين من وصول الوفد الشركسي برئاسة النائب، كتب المارشال (سانت آرنو) الانجليزي إلى مدير الحرب الانجليزي، مشككا في امكانية استنفار كافة القبائل الشركسية وإعداد جيش قوامه (٤٠٠٠٠) مقاتل مسلح للمشاركة في القتال في حال إنزال الحلفاء قواتها على شاطئ القفقاس.

إلا أن هذا الاقتراح لم يلقَ قبولا في كل من باريس ولندن.. وفضلوا إرسال القوات للقرم بدلا من إرسالها إلى القفقاس [١٨].

ومع نهاية عام ١٨٥٤ كانت كل من تركيا والشيخ (شامل) قد فشلا في توحيد قبائل الشراكسة واستنفارهم للحرب ضد روسيا، حيث كان القبرطاي وغيرهم من شراكسة القفقاس ينظرون بشك كبير حول جدية حملة الحلفاء ضد روسيا.


صورة القائد الشركسي صفر بك

وذكرت عدة وثائق بأن قادة الشراكسة كانوا مترددين في تقديم المعونة لتركيا لقناعتهم بعدم وجود قوات كافية لديهم لمواجهة القوات الروسية، وبالتالي فإن كل محاولات القائد الشركسي (صفر بك) لإقناع زعماء الشراكسة فشلت تماما.

وفي عام ١٨٥٥ حاول الحلفاء إقناع (الشيخ الشامل) تقديم المساعدة العسكرية في حملتهم ضد الروس، إلا أنه رفض ذلك، لأنه لا يريد أن يصبح لعبة في أيدي الحلفاء، وأدار لهم ظهره ولم يشارك في أية أعمال حربية مع الحلفاء.

وفي آذار ١٨٥٥ نزلت قوة تركية بقيادة (مصطفى باشا) إلى منطقة القفقاس الشمالي الغربي، وطلب هذا القائد من (صفر بك) تنفيذ هجوم من المناطق الشركسية في ما وراء الكوبان، كما أرسل العميل التركي (حاج إسماعيل) إلى القرى الشركسية لإقناعهم بالمشاركة مع القوات التركية في هجومها على الروس، إلا أن زعماء (الاديغة) عامة قابلوا طلب هذا العميل بشيء من السلبية ورفضوا تلبية طلبه.

ونفذت قوات روسيا هجمات متتابعة بمشاركة أكثر من (٤٠٠٠٠) مقاتل روسي شهر تشرين من عام ١٨٥٥ على قلعة (قارص) واحتلوها بعد قتال كبير.. ولم تلق القوات التركية أية مساعدة عسكرية من حلفائه لاستنزاف قوتهم في الدفاع عن (سيباسنوبول)، وبذلك خسرت القوات التركية هذه المعركة وانسحبت من القلعة.

وفي ١٨٥٥/٥/١٢ قام أسطول الحلفاء المؤلف من (٥٠) بارجة و (٢٥) سفينة باحتلال مضيق (كيرتش).

وفي صيف عام ١٨٥٥ حاول (مصطفى باشا) و (صفر بك) تحريض شعب وزعماء شراكسة (الاديغة) من جديد للانضمام إليهم، لشن هجوم معاكس على القوات الروسية، إلا أن جواب زعمائهم كان بأنهم "**لا يرغبون سماع اسم الانجليز والفرنسيين.. وأنهم ينظرون إليهم كأعداء لهم وليس كأصدقاء**".

وكان وجهة نظر الشراكسة ممن رفضوا الانضمام إلى معسكر الحلفاء هو قناعتهم بعدم وجود مبرر لمهاجمة الروس، لأن الروس لم يبادروا بشن أي هجوم على الشراكسة منذ بدء حرب القرم.

ولا شك بأن وقوف الشراكسة على اختلاف قبائلهم على الحياد، وعدم تقديم أية مساعدات عسكرية للحلفاء، ربما كان السبب الرئيسي في تغيير موقف الحلفاء عامة والفرنسيين والأتراك خاصة من صراع الشراكسة مع الروس للحصول على الاستقلال الكامل.

وفي أيلول من عام ١٨٥٥ قام القائد التركي (عمر باشا) بتكوين علاقات وثيقة مع (محمد أمين) وعينه قائدا لكل القوات الشركسية في غرب القفقاس ومنحه لقب (الباشوية) ورقاه إلى رتبة (فريق). كما منح الشيخ (شامل) رتبة مارشال (مشير) في الجيش التركي.. إلا أن (محمد أمين) فشل الوفاء بوعده (لعمر باشا) لحشد (٤٠,٠٠٠) من المقاتلين القوقازين، نصفهم على الأقل من الفرسان الشراكسة، بل إن قادة الأديغة قاوموا محاولات (محمد أمين) مقاومة شديدة، وطلبوا منه ترك الشراكسة لحالهم [١٩].

وفي ١٨٥٥/١١/١٦ استسلمت حامية (قارص) للقوات الروسية، الأمر الذي دفع قادة الحلفاء لوضع خطة جديدة لشن هجوم في عمق القفقاس بهدف استعادة حامية (قارص) أولا، والوصول إلى عمق القفقاس ثانيا، وحسب هذه الخطة الجديدة كان يفترض الانتهاء من احتلال كامل القفقاس في عام ١٨٥٧. كما افترض الإنجليز والأتراك قيام كل الشعوب القفقاسية بانتفاضة ضد الوجود الروسي في بلادهم.

في عام ١٨٥٦ قامت انتفاضة فلاحي (البزدوغ) والتي سميت (بحرب الأمراء والنبلاء الارستقراطيين) وقضي على هذه الانتفاضة بعد أن استنجدوا بالقوات الروسية التي قامت بتدمير قرى الفلاحين بأكملها، إلا أنهم لم يتمكنوا من إخماد الانتفاضة، حيث قام الفلاحون بالاستيلاء على أراضي الأمراء والنبلاء الذين التجأوا للمناطق الروسية.

وفي العام نفسه حاول (محمد أمين) نائب الشيخ (شامل) استغلال الانتفاضة الشعبية في مناطق قبائل البزدوغ وعمل على توحيد شراكسة ما وراء الكوبان (بدعم من الفلاحين) وإعلان الحرب المقدسة ضد روسيا، إلا أن الفلاحين الشراكسة أدركوا مدى صعوبة تطبيق الأنظمة الشرعية وشعروا بثقل النظام الإسلامي الصارم، الذي كان قد وضعه (محمد أمين) وتحولوا عن فكرة التوحد حول لوائه.

وفي خريف عام ١٨٥٦ سقط (سيباستوبول) بيد الإنجليز والفرنسيين، وفجأة وبالرغم من انتصارهم الجزئي قرر الحلفاء إيقاف الحرب والدخول في محادثات سلام مع الروس، واستكمال أعمال المؤتمر التحضيري الذي كان قد بدأ في (اثينا) قبل سقوط (سبياستوبول) واختاروا (باريس) مكانا لعقد هذا المؤتمر. وهو المؤتمر الذي وافق على انعقاده الحلفاء بعد أن تأكدوا من الموافقة

المسبقة للسلطات الروسية على مطالب الحلفاء عامة ومطالب كل من إنجلترا وفرنسا خاصة باستثناء شرط منح تشركسيا استقلالها.

وتوصلنا إلى هذه الحقيقة من دراسة وتحليل وقائع مؤتمر باريس كما جاءت في الوثائق الانجليزية أو الروسية، وهي على النحو التالي:

١- طالب المفوض الانكليزي اللورد "راسل" بمناقشة المسألة الشركسية، كما طالب منع إقامة تحصينات روسية في شركسيا؛ وأعلن ممثل تركيا "علي باشا" رغبته في استقلال داغستان وشركسيا.

٢- لعبت المسألة الشركسية دورا هاما في المحادثات النهائية حول السلام التي بدأت في الخريف بعد سقوط (سيباستوبول) كما تكلم المفاوضون الإنكليز عن موضوع فصل مناطق القفقاس الشمالي وما وراء القفقاس نهائيا عن روسيا.

٣- حاولت انكلترا إعاقة محادثات السلام وحث فرنسا بدعم خططها العسكرية تجاه القفقاس والمستعمرات الروسية الأخرى.

٤- كان البند الخامس على جدول أعمال المؤتمر، والمتعلق باستقلال تشركسيا وهو أهم وأصعب البنود بالنسبة لروسيا، لذلك وقبل افتتاح جلسات المؤتمر الرسمية حاولت الدبلوماسية الروسية معرفة ما تريده انكلترا من (النقطة الخامسة) وقال المندوب الروسي المفوض "برونوف" أن: "الحكومة البريطانية تسعى لتقديم دعمها المعنوي إلى القبائل التي حاولت أثناء الحرب جرها إلى الانتفاضة ولا تريد انكلترا أن تظهر بأنها فور حصول السلام تركت الشراكسة وخانتهم، إلا أن الانطباع لدي هؤلاء أن النقاش حول هذه النقطة سيتقيد بالمحاولات الدبلوماسية التي يحبها ويبرع فيها اللورد "بالمرستون" وهي نقطة سيثيرها فقط لإظهار تصلب الموقف الحكومي الانجليزي في المفاوضات لإقناع البرلمان الانجليزي مستقبلا بأنهم حاولوا جهدهم ".

٥- تأكد افتراض "برونوف" حول القلاع الروسية على ساحل القفقاس بعد لقائه مع رئيس الوفد الانكليزي اللورد "كلاريندون" في ١٨٥٦/١٢/١٨ والذي أعلن فيه أن "انكلترا ترغب في تسهيل تجارتها مع القفقاس، وبالذات مع شركسيا، وكذلك بتدمير – أو بمعنى آخر – عدم إعادة بناء القلاع الروسية على ساحل البحر الاسود، وبذلك يتم تأمين حدود الإمبراطورية العثمانية، أما النوايا الحقيقية للانكليز تجاه المسألة الشركسية، فقد ظهرت مباشرة قبل بدء الاجتماعات الرسمية للمؤتمر، وقد وصف الامير "فاليفسكي" ذلك بقوله إن "انكلترا تشكك في حقوق روسيا على المناطق الواقعة فيما وراء الكوبان، وحسب رأي انكلترا فإنه على روسيا الاعتراف باستقلال وحياد المناطق الواقعة جنوب نهر (الكوبان) أو وضع هذه المناطق تحت السيادة الأسمية للباب العالي التركي.

٦- اتضح أن الحلفاء لم يكن لديهم رأي واحد في عدد من المسائل، ومن بينها (المسألة الشركسية) التي تدعم فرنسا فيها انكلترا فقط بالكلام، وهذا التعارض بين مصالح الحلفاء، استخدمته الدبلوماسية الروسية بنجاح، وكان "بالمرستون" وزير خارجية انجلترا يعرف أن اللعبة غير سهلة، وأن "نابليون الثالث" سيُظهر نفسه في المؤتمر بآراء غير واضحة تجاه حليفته انكلترا، لذلك قرر (بالمرستون) عدم المغالاة في مطالبه، وكان على المندوب الإنجليزي (كلاريندون) السعي للحصول على استقلال المنطقة الواقعة بين البحر الأسود ونهر (الكوبان) وأرمينيا ومن (أنابه) حتى (تشوروك سو) إلا أن "بالمرستون" رأى صعوبة تحقيق هذا المطلب، لذلك طلب من "كلاريندون" أن يصر فقط على (استقلال شركسيا)، بالإضافة لذلك اعتبرت الدبلوماسية الانكليزية، أن قرارات المؤتمر بما يخص غرب القفقاس يمكن أن تدخل في القرارات الخاصة بحياد البحر الأسود، مما لا يسمح لروسيا بحصار الساحل الشركسي، كما أن إدخال حرية الملاحة والتجارة كانتا ضمانة لحرية التجارة في

شركسيا، كما حاولت الحكومة الانكليزية توضيح أن حياد البحر الأسود، وبالتالي منع تواجد الأساطيل الحربية الروسية منها، سيقود إلى منع إقامة القلاع في شركسيا.

٧- قبل بدء أعمال مؤتمر باريس وبتعليمات من الانكليز ارسل "صفر بيك" وهو احد القادة الشراكسة البارزين لحركة التحرر في الكوبان على رأس وفد من شركسيا لاستانبول لطلب قبول (اتحاد شركسيا) مع الامبراطورية العثمانية، ووعد السلطان اتحادهم مع تركيا إذا ادوا القسم بالخضوع له، وقبول من يعينه السلطان رئيسا عليهم، وبأن السفن الانكليزية والفرنسية والتركية ستراقب البحر الأسود، ولن تسمح بأية اعتداءات على الشراكسة.

٨- قامت الحكومة التركية بالتعاون مع السفير الانكليزي في استانبول برفع مذكرة إلى مؤتمر باريس من خلال مندوب تركيا "علي باشا" تنص على **(إعلان استقلال شركسيا وداغستان).**

٩- قبل بدء الاجتماعات الرسمية عقد لقاء بين المندوبين الروسي والانكليزي، تكلم فيها "كلاريندون" حول حل مسائل (ايميريتيا) و (غوريا) و (أبخازيا) و (شركسيا)، وكان المندوبون الروس يعرفون مسبقا موقف فرنسا من هذه المسائل، فرفضوا مناقشة مثل هذه المسائل، وتشير الوثائق بأن محضر هذه الاجتماعات قد حذف منه طلبات المندوب الانجليزي (كلاريندون) حول المسائل المتعلقة باستقلال شعوب قفقاسية عامة وشركسيا خاصة وأن الحذف تم من قبل المندوب الفرنسي وبتعليمات مباشرة من (نابليون الثالث).

١٠- اثار (كلاريندون) في جلسات المؤتمر مسألة الممتلكات الروسية في القفقاس ومصير القلاع على ساحل البحر الأسود القفقاسي، وتصدى له المندوب الروسي ورفض مناقشة هذه المسائل معتمدا على نصوص معاهدة (اندريانوبولوس) ومؤتمر (سانت بطرسبورغ) لعام ١٨٣٤، كما أن فرنسا لم تدعم انكلترا في طلباتها.

١١- لم يكن باستطاعة "بالمرستون" الابتعاد عن حلمه في استقلال قفقاسيا وحسب تعليماته بذل المندوبان الانكليزي والتركي كل قواهما عند كتابة بنود الاتفاق، بأن لا يتم تثبيت طموحات روسيا في شركسيا في الاتفاقية، وذلك بقيام المندوب الانجليزي بمحاولة تغيير نص (المادة الرابعة) من مشروع الاتفاق والخاص بالحدود الجديدة بين روسيا وتركيا.

وهكذا لم تستطيع انكلترا بالطرق الدبلوماسية جعل روسيا تعترف باستقلال شركسيا، وقد ولّد هذا الامر رد فعل عنيف في الأوساط الحاكمة في انكلترا، وكان ذلك واضحا جدا عند مناقشة إقرار اتفاق باريس في مجلس اللوردات في ١٨٥٦/٥/٥ حيث قام الاعضاء بمهاجمة وزارة الخارجية البريطانية لعدم قدرتها على إقرار مبدأ استقلال شركسيا في مؤتمر باريس، باعتبار أن شركسيا هي المحور الرئيسي الوحيد باتجاه الهند وايران وتركيا، واعلن اللورد "مانيرز" أن انكلترا واوروبا لم تعترفا ابدا بحقوق روسيا في شركسيا في أي وقت وأن التنازلات التي قدمها الوفد الانكليزي في محادثات باريس أعطت لروسيا تغطية أوروبية شرعية لاحتلال كل هذه المناطق الهامة.

وطالب بعض المتحدثين في مجلس اللوردات الانجليزي بعدم تصديق (اتفاق باريس) بل إنهم طالبوا بالاستمرار في الحرب حتى تحقيق استقلال شركسيا ووجه اللورد سؤالا إلى "غرينفيل" وزير الخارجية قائلا: "ألا تعتقد أن الحرب يمكن أن تطول وتستمر لأنه لم تتم صياغة قرار للشراكسة حول إقامة شركسيا مستقلة)؟

وعلل وزير الخارجية عدم نجاح الدبلوماسية الانكليزية حول المسألة الشركسية في مؤتمر باريس أمام مجلس اللوردات لأن الانكليز لا يستطيعون الطلب من روسيا التراجع عن معاهدة (إندريانوبولوس) والتي نصت على تنازل تركيا عن شركسيا للروس اولا، ولأن "شامل" لم يظهر في حربه ضد روسيا الارادة في التعامل مع الحلفاء ثانيا، وأنه رفض تقديم المساعدات العسكرية للحلفاء لأنه لا يريد أن يصبح لعبة في أيديهم.

- **وقائع وأحداث حروب السنوات الأخيرة من حرب الإبادة والدمار الروسية للامة الشركسية في الوطن الام.**

ابتداء من عام ١٨٦٠ ركزت القوات الروسية القيصرية هجماتها على شراكسة الغرب في منطقة الكوبان ومناطق ما وراء القفقاس، ومن أهم هذه المعارك تلك التي شنتها ثلاثة جيوش روسية بلغ عدد مقاتلي كل جيش منها حوالي (١٥) الف مقاتل، وتوغلوا في سهول الشابسوغ، وتوجه الأول من هذه الجيوش الثلاثة من قاعدة (اتاكوما) وسار متوجها إلى ضفاف نهر (آبين)، والثاني اجتاز نهر الكوبان عند مصب نهر (ايل)، والثالث تخطى نهر الكوبان فوق نهر (شبش)، وزحف متوغلا في الأراضي والبلاد المجاورة، وبدأت هذه الجيوش بإنشاء الحصون والمستحكمات في الأراضي التي احتلوها كما انشغلوا في تأمين خطوط الاتصالات بين المواقع المحتلة والحصون التي أقيمت عليها.

وفي نفس الوقت امتدت الحرب إلى بلاد الشابسوغ، وأحدثت رد فعل شديد لديهم، فهبوا جميعا للدفاع عن بلادهم وصدوا تقدم العدو بقيادة الزعيم الكبير (علي بي حانتوخو) الذي كانت تساعده نخبة من زعماء وفرسان شعب الشابسوغ، مثل (حاكتوص) و(حاج برام) و(إبراهيم ناتخو) و(أرسلان بي) و(حاكو) و(شرتلي) وغيرهم.

وتمكن هذا الزعيم من إحباط تقدم العدو ومنعه من اكمال بناء الحصون، كما تمكن من قطع المواصلات بين المعسكرات الثلاثة.

وكذلك فإن (الحاج إسماعيل باشا) لم يتوان عن العمل في سبيل مضايقة العدو وعرقلة مساعيه وتحريض الشعب على الكفاح، واستنهاض همته لمواصلة الحرب. وكان يساعده في أعماله (قره باتير ابن صفر باشا) وقد أراد بعد موت أبيه أن يقوم مقامه ويخدم أمته، ولأنه كان قد اعتدى على الروس مرارا فيما سبق، لم يجسر على الظهور أمامهم أو الالتجاء إليهم وتسليم نفسه، لذلك سلك مسلكا معاديا لهم.

وكذلك الزعيم (تو) أفندي، احد زعماء الشابسوغ والذي كان من ذوي المكانة والنفوذ الواسع في البلاد الواقعة على البحر الأسود، قام بالمساهمة بألفي محارب، لمساعدة المحاربين المدافعين عن السهول الأمامية المهددة بالاجتياح. وكان هذا الزعيم من ألد أعداء الروس، حيث سبق له أن وقع في أسرهم وهو عائد من استانبول على ظهر سفينة تركية، فأساءوا معاملته حتى تمكن من النجاة بعد أن افتدى نفسه بالمال.

كما ساهمت قبائل الاوبيخ في حرب الشابسوغ ضد الروس وأرسلوا لهم النجدات بين الحين والآخر.

وفي نهاية شهر اكتوبر من عام ١٨٦٠ ترك الروس مواقعهم الحربية وانسحبوا إلى ما وراء الكوبان دون أن يكملوا إنشاء حصونهم أو إشغالها وتجهيزها بالمعدات الحربية اللازمة، وكل ما قاموا به من أعمال هو تجديد بناء الحصن الواقع عند نهر (آبين)، وفي سبيل ذلك اضطروا إلى التوغل في السهول المجاورة حتى نهر (آبين) المذكور، الأمر الذي أدى إلى ازدياد دفاع السكان الشراكسة واستبسالهم في الذود عن أراضيهم رغم ما كان يكلفهم ذلك من ضحايا بالرجال والأموال، إذ فقدوا أثناء هذه العملية أكثر من (٣٠٠ عزبة) التهمتها نيران الروس، وحُرموا من غلتها السنوية.

وفي شتاء عامي ١٨٦٠ – ١٨٦١ قام الروس بهجمات متعددة من قواعدهم العسكرية في (آتاكوما وآبين)، وتوغلوا في جهات شبس (وشيبسوغور) (وبوغوندور)، ولكنهم هُزموا امام المدافعين من الشابسوغ واضطروا إلى التراجع بعد أن تكبدوا خسائر فادحة جدا، حيث وجدوا أمامهم بلادا اكثرها جبلية ومكسوة بالغابات الكثيفة مما جعل عملياتهم الحربية أصعب بكثير من التي قاموا بها في السهول.

وأما العمليات الحربية في المناطق الساحلية، فقد كانت من أشد العمليات قسوة على سكانها بسبب الحصار البحري الشديد الذي ضربه الاسطول الروسي المؤلف من عشر سفن حربية (وهو

العدد الذي كان مسموحا به للروس بإبقائه في البحر الأسود بموجب معاهدة باريس) هذا بالإضافة إلى عدة سفن شراعية أخرى مسلحة كان يمتلكها الاسطول الروسي في هذا الموقع.

وفي عام ١٨٦١ استعاد جيشان روسيان يبلغ تعداد كل منهما اثني عشر الف جندي، مواقعهما السابقة عند نهري (ايل) و (شبس)، ثم تقدم جيش آخر قوامه ثلاثين ألف جندي مقاتل ما بين (آتاكوما) و(آبين) مؤقتا.

وتقدم بعد ذلك أحد فروع هذا الجيش إلى (دوبا) وتوجه فرع آخر منه إلى (آدربه) بين الغابات الكثيفة مستهدفا في سيره (كلنجك) ووفق هذا الفرع في شق طريقه بين الغابات والوصول إلى (كلنجك)، إلا أن الخسائر التي لحقته من جراء ذلك كانت عظيمة لدرجة أنه عدل عن سلوك الطريق نفسه عند انسحابه إلى قواعده، فسلك طريقا آخر يؤدي من (صوجاق) إلى ناتخواج إلى أن بلغ معسكره الأساسي الذي قام منه في بداية الحملة العسكرية.

وفي صيف عام ١٨٦١ حاول تأمين خطوط مواصلاته بين معسكراته في بلاد الشابسوغ وربط بعضها ببعض بطرق سالكة، إلا أنه أخفق كل الإخفاق وحبطت أعماله لما أبداه الشابسوغ من شجاعة في الدفاع عن وطنهم مما اضطر العدو آخر الأمر إلى التحوّل عن هدفه والعدول عن تنفيذ خطته في بلاد الشابسوغ[٢١].

وفي خريف العام نفسه حدث بين الروس والأبزاخ مناوشات كانت هي مقدمة لمعارك أكبر، وأكثر شدة، وهذا ما حدث فعلا في (نفس العام) حيث اندلعت المعارك في جميع أنحاء بلاد الشراكسة واسفرت عن تدمير قرى وقتل مئات من المقاتلين الشراكسة.

وفي عام ١٨٦٢ قام القادة العسكريون بأمر من القادة السياسيين الروس عرض خيارين اثنين على قادة وزعماء الشراكسة لاختيار احدهما:

الاستسلام وترك البلاد والهجرة إلى تركيا أو الهلاك والإبادة الجماعية إن أرادوا مواصلة القتال.

ولما كان الاستسلام للروس معناه العبودية الابدية، فضلوا الموت على العيش بلا شرف، وأخذوا يعملون على تنفيذه بقيادة رئيسهم الأعلى (قازانوقه اسماعيل بك) الذي كان قد أسس حكومة شعبية، وأخذ يجمع الجيوش حول (طوابسه) حيث التحق بهم بعض الضباط البولونيين وآخرون من الفرنسيين، وبعض الجنود الأتراك الذين أرادوا مناصرة الشراكسة في قتالهم ضد (الكفار) المتوحشين.

- **أحداث ووقائع العام الأخير من حروب الإبادة والدمار التي فرضتها سلطات الامبراطورية الروسية على شعوب القفقاس عامة والشعوب الشركسية في الوطن الام خاصة.**

جاء في الأرشيف الحربي الروسي ما ذكره الجنرال داخوفسكي بأنه في يوم ١٨٦٤/٤/١٩ دخلت القوات الروسية إلى أراضي أوبيخ والأراضي الشركسية وكذلك إلى منطقة فاردانا، وهي أكثر المناطق ازدحاما بالسكان، وقام بإحراق قراها[٢٢].

وفي يوم ١٨٦٤/٥/١١م منيت المقاومة الوطنية الشركسية بهزيمة قاسية في آخر معركة لها، في إقليم (الاديغي)، وتحديدا في وادي (فدز) في موقع (اخجب)، أعلن القيصر الروسي في حفل مهيب في موقع (كراسني بوليانا) بالقرب من آدار على الساحل القفقاسي عن انتهاء الحرب الروسية القفقاسية. [٢٣].

وفي يوم ١٨٦٤/٥/٢١م، قامت قوات الجنرال (يافدا كيموف) بتمشيط الجبال من ناحيتي الغرب والجنوب، بمحاذاة شواطئ البحر الأسود، ابتداء من (ناخاراسيك) حتى (طوابسه)، واحتلت القوات الروسية ناحية (آخشيبسكي) وأعالي نهر (فريمتا) ليتأكدوا من أنه لم يبق أحد من المقاتلين الشراكسة من الذين كانوا يعيشون في تلك المناطق كما أجبرت مقاتلي (الاوبيخ) على إلقاء السلاح وهم آخر قبيلة شركسية في القفقاس الغربي كانت لا تزال تواصل المقاومة، وهكذا انتهت الحرب القفقاسية عسكريا [٢٤].

وفي يوم ١٨٦٤/٦/٢ أرسل شقيق القيصر ونائبه في القفقاس (لغراندوق ميشال) إلى القيصر برقية جاء فيها: "**مولاي، يسعدني أن أتقدم من جلالتكم بتهاني الحارة لما آلت إليه نهائيا مجريات الحرب المظفرة في القفقاس، إذ لم تبق عشيرة واحدة إلا وأخضعت اليوم، وفي حضور القوات الروسية مجتمعة، أقيم قدّاس شكر مهيب للمناسبة**" (٢٥).

وفي يوم ١٨٦٥/١/٩ أرسل الجنرال اولشيفسكي تقريرا للقيصر ذكر فيه بأنه لم يجد على الجانب الشمالي الشرقي للخليج سوى معسكرات للمهجرين، ومقبرة على امتداد (خمسة فراسخ) أي خمسة كيلومترات، وبضع عشرات من الأحياء من الشراكسة الذي كانوا يحاولون الهرب إلى الجبال، ودورياتنا تحاول منعهم من ذلك.(٢٦)

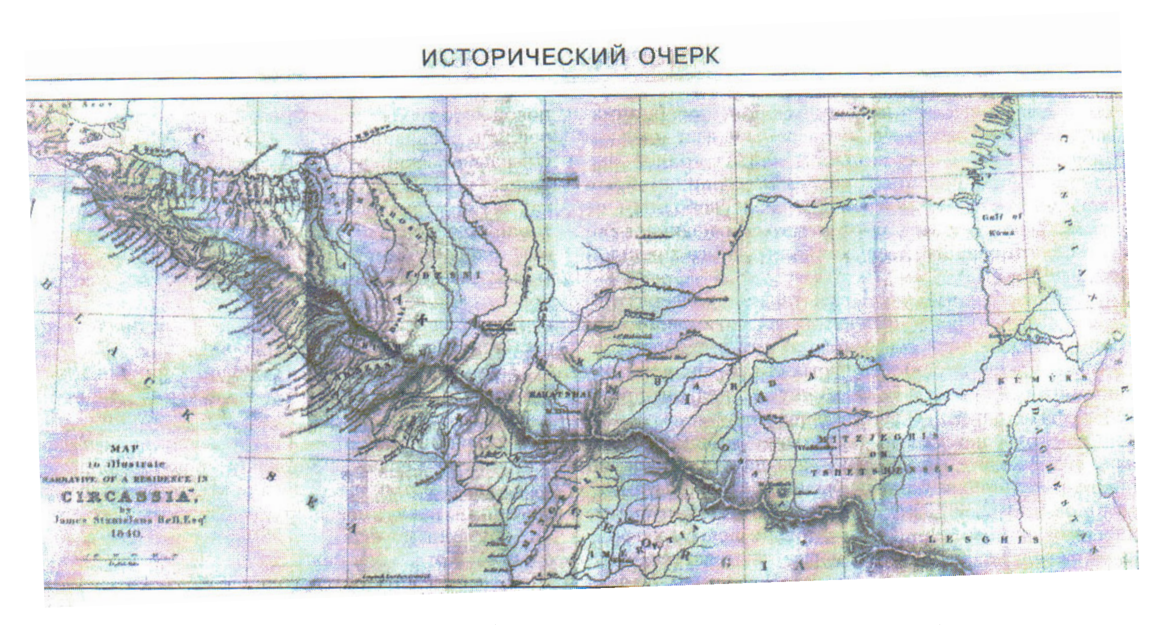
وبذلك، أسدل الستار على حروب الابادة والدمار التي نفذتها سلطات روسيا القيصرية على مدى ثلاثمائة عام تقريبا ضد الشعوب القوقازية عامة والأمة الشركسية خاصة.

والسؤال الذي يطرحه المؤرخون والقادة السياسيون والمفكرون (المستقلون) من الروس والاوروبيين والشراكسة هو: هل كان يمكن للسلطات الروسية القيصرية تحقيق النصر على القوقازيين عامة والشراكسة خاصة لو لم تستخدم أساليب وحشية في حروبهم ووسائل غير انسانية محرم استخدامها دوليا، وكذلك لو لم تلجأ إلى تكتيك سياسي واقتصادي وديني جنبا إلى جنب مع التكتيك العسكري الهمجي.

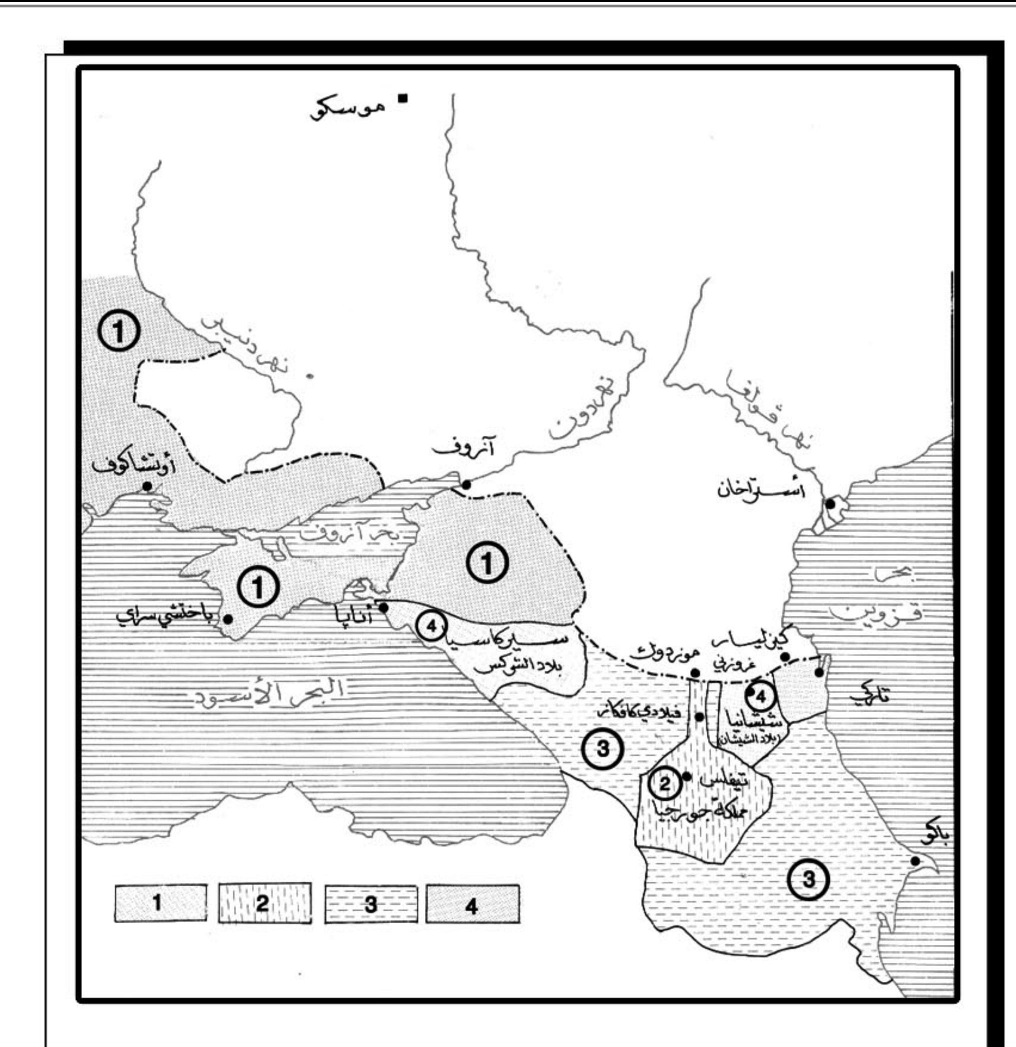
كما يتساءلون عن الأدوار التي لعبتها دول التحالف الثلاثي (تركيا وانجلترا وفرنسا) وغيرها من الدول التي كان لها مواقف تآمرية إبان حرب الإبادة والدمار الروسية كما تساءل بعض الشراكسة المعاصرين في الوطن الأم وفي بلاد الشتات هل اتخذ أمراء وزعماء وقادة وشعوب الأمة الشركسية الذين واجهوا حروب الإبادة على مدار ثلاثمائة عام القرارات الصائبة، وهل كان بإمكانهم اللجوء إلى اساليب وطرق غير التي قاوموا فيها العدو الروسي.

وللاجابة عن هذه التساؤلات كان لا بد لنا من تخصيص الفصول من الخامسة وحتى الثامنة من هذا المجلد لعرض نتائج الدراسات التي قمنا بها للاجابة عن التساؤلات الثلاثة سابقة الذكر.

خارطة تشركسيا في شمال القوقاز في عام ١٨٤٠



خارطة تبين المناطق التي احتلتها جيوش روسيا القيصرية في الاعوام ما بين ١٨٦٠-١٨٦٤



خارطة توضح المناطق التي احتلتها السلطات الروسية القيصرية خلال القرنين الثامن والتاسع عشر ميلادي من أراضي بلاد القفقاس عامة وبلاد الأمة الشركسية خاصة وهي على النحو التالي:

- **المناطق رقم (١) وتم ضمها خلال الفترة ١٧٦٢-١٧٨٣**
- **المناطق رقم (٢) وتم ضمها خلال الفترة ١٧٨٣-١٨٠١**
- **المناطق رقم (٣) وتم ضمها خلال الفترة ١٨٠١-١٨٣٠**
- **المناطق رقم (٤) وتم ضمها خلال الفترة ١٨٣٠-١٨٦٤**

مصادر ومراجع الفصل الرابع

١) المجموعة الأولى من مراجع إبادة الشراكسة ص: ٣٣.
٢) المجموعة الخامسة من المراجع – تاريخ حرب القفقاس ونتائجها من أحداث، ص: ٢٧.
٣) المجموعة الاولى – إبادة الشراكسة ص ٢١-٢٢.
٤) المجموعة نفسها، ص: ٢٣-٢٤.
٥) مامخيغ، رايا عادل بي، لمحات عن العادات الشركسية (الاديغا خابزة) ترجمة نزيه جلاجج دمشق ٢٠٠٦، ص: ٤٣.
٦) المجموعة الاولى، إبادة الشراكسة ص: ٣٧.
٧) المجموعة الرابعة، أباطرة وأبطال ص: ٩٤ – ١٠١.
٨) المجموعة الاولى، إبادة الشراكسة ص: ٣٦-٤٦.
٩) المجموعة الرابعة، أباطرة وأبطال ص١٤٧-١٤٨.
١٠)المجموعة الاولى، المصدر نفسه ص: ٦٧-٦٨.
١١)المجموعة الاولى، المصدر نفسه ص: ٦٧-٦٩.
١٢)المجموعة الرابعة، أباطرة وأبطال ص: ١٥١ – ١٥٢.
١٣)المجموعة الاولى، إبادة الشراكسة ص: ٢٧.
١٤)المجموعة الرابعة، أباطرة وأبطال ص: ١٥٠.
١٥)المجموعة نفسها، ص: ١٢٧-١٢٨.
١٦) المجموعة الأولى ص: (٧٠).
١٧) المصدر نفسه ص: ٧١.
١٨) المصدر نفسه ص: ٧٨-٧٩.
١٩) المصدر نفسه ص: ٨٠-٨٢.
٢٠) المصدر نفسه / وثائق مؤتمر باريس لعام ١٨٥٦ التي استند عليها كل من حسن قاسوم ومحمد علي قاسوم في كتابهما (إبادة الشراكسة).
٢١) المجموعة الرابعة، أبطال وأباطرة ص: ١٩٩-٢٠١.
٢٢) مجلة الاخاء الاردنية (الشركسية) العدد ١١٨ ص: ١٠٢.
٢٣) شفيق اسماعيل .. تواريخ واحداث وشخصيات، الجزء الثاني – المنشور في شباط عام ٢٠٠٣ ص: ٤٥.
٢٤) المصدر نفسه، ص: ٤٨
٢٥) دروب الهجرة، مصدر سابق.
٢٦) شفيق اسماعيل، مصدر سابق، ص: ٥٠.

الفصل الخامس

الاعمال الوحشية والافعال البربرية التي مارستها السلطات الروسية القيصرية في حروبها ضد الامة الشركسية

يؤكد المؤرخون العسكريون والقادة العسكريين والكتاب بأن روسيا القيصرية قد استخدمت في حربها ضد الامة الشركسية اكثر من خمسة عشر نوع من انواع الافعال والاعمال الوحشية اللانسانية، جنبا إلى جنب مع الاعمال العسكرية البربرية، ويتضح ذلك **من الأساليب المباشرة وغير المباشرة التي ساعدت سلطات روسيا القيصرية للاستيلاء على الوطن الام للأمة الشركسية في ققفاسيا الشمالية، حيث توصلنا إلى أنهم استخدموا الوسائل والأساليب والممارسات والأعمال والأفعال المبينة أدناه جنبا إلى جنب مع الأعمال العسكرية البربرية وهي:**

* اتباع سياسة الاستيلاء على الأراضي لاستخدامها في بناء القلاع العسكرية وإنشاء الحصون والمحطات والقرى الاستيطانية القوزاقية.

* اتباع سياسة قتل الاسرى وكبار السن والأطفال والنساء، واللجوء إلى سياسة (الارض المحروقة) من تدمير للقرى الآمنة وإحراق للمنازل بمن فيها من سكان، وإتلاف الممتلكات وهدم المساجد على المصلين العزل.

* اتباع سياسة الاستيلاء على الأراضي الزراعية والمراعي والغابات بهدف القضاء على الثروتين الزراعية والحيوانية.

* اتباع سياسة تجويع السكان وترويع الأطفال والنساء وكبار السن العزل.

* اللجوء لسياسة الدس والايقاع بين الشعوب الشركسية وقوميات قوقازية أخرى تجاورهم بهدف الانتقام من بعضهم البعض.

* استغلال حاجة الشراكسة لتسويق محاصيلهم الزراعية وثرواتهم الحيوانية وصناعاتهم اليدوية.

* اللجوء لسياسة تحريض الفلاحين وعامة الشعب للانتفاضة ضد الأمراء والنبلاء وخلق صراع طبقي داخل مجتمعات القبائل الشركسية المختلفة.

* إغراء واجتذاب عناصر من شباب الأمة الشركسية للخدمة في جيش سلطات روسيا القيصرية.

* محاربة انتشار الدين الاسلامي واللجوء لسياسة التبشير للديانة المسيحية داخل المجتمعات الشركسية.

* نشر الأوبئة والامراض بين السكان والحيوانات والطيور باللجوء للحصار الطويل للقرى، وعدم السماح بحرق الجثث والحيوانات النافقة، مما أدى إلى تلوث بيئي وانتشار الأوبئة الخطيرة.

* استغلال كبار الكتاب والشعراء الروس وغيرهم من الكتاب المرتزقة في تزييف الحقائق والوقائع عن حياة القوقازيين عامة والشراكسة خاصة.

* استخدام أساليب الخداع وإغراء الامراء والحكام والشعوب القوقازية بالوعود الكاذبة.

* استغلال قسوة الطبيعة وسوء الأحوال الجوية في بلاد القفقاس عامة، وقيامهم بشن هجمات مركزة خلال أشهر الشتاء القارس جدا.

وفيما يلي نماذج من الأعمال الوحشية والهجمات العسكرية والبربرية والأفعال الهمجية واللاإنسانية التي ارتكبتها القوات العسكرية بدعم مباشر من سلطات روسيا القيصرية.

ربما كان أفضل وصف لمثل هذه الاعمال البربرية هو العودة إلى شهادات وأقوال الجنرالات الروس عامة، والاطلاع على ما كتبه المؤرخون والرحالة الروس وغير الروس من الأجانب الذين زاروا بلاد القفقاس خلال سنوات حروب الدمار والإبادة التي ارتكبتها روسيا القيصرية ضد الشعوب القفقاسية عامة والامة الشركسية خاصة.

وفيما يلي أهم الاقتباسات من شهادات وكتابات الكّتاب من مختلف الجنسيات:

- **كتبت المورخة الفرنسية كارول جين عام ١٨٩٩ قائلة:**

" إن ما جرى في قفقاسيا من أساليب الإبادة والقتل العام، يجعل القلم يتوقف ألماً عن الكتابة، ويجعل صفحات التاريخ تحمر خجلا وحياء عن الوحشية والبربرية واللاإنسانية والهمجية التي اتبعها جيش قيصر روسيا في قفقاسيا، وأن احتلال روسيا لقفقاسيا لهو أبشع لوحة تمثل الوحشية والبربرية في عصرنا الحاضر، إن روسيا احتاجت إلى (ستين) عاما عسكريا متمثلة بالرعب والوحشية حتى تمكنت من كسر مقاومة القفقاسيين واستطاعت إخضاعهم. (١)

- **وقال أستاذ الحقوق في دائرة القفقاس في الأعوام ١٨٩٦–١٩٢٨ ك. أ بورود:**

"**باعتقادي أن الجبليين الذين يسترخصون أرواحهم، معروفون لدى الجميع بأنهم ذوو عزيمة صادقة، ومدافعون حقيقيون، لقد عجزنا عن تطويعهم خلال نصف قرن من الزمان!**"

واستطرد قائلا: في نهاية حرب ١٨٦٤ أمر الجنرال (يغدبكيموف) بتجميع الشراكسة في شاطيء البحر الأسود. ثم أشار عليهم قائلا، من يرغب في العيش وراء الكوبان فليذهب هناك. قال ذلك وهو يعلم بأنه لن يقدر أحد على اجتياز البحر، وأما الذي لا يرغب فعليه ان يركب إحدى السفن إلى استانبول.

كما اكد (بورود) ولو لم يتم توزيع القوزاق، على الأراضي التي كنا نستولي عليها لما انتهت الحرب ابدا.

كما قال السيد (قوازه روسلان) أيضا من المستبعد جدا أن شعبا آخر غير الشراكسة يمكن أن يتحمل من الصعاب والمشقات والمظالم أكثر مما تحمّل هذا الشعب، وبعدئذ هجمت الدولة الاستعمارية القيصرية على مواقع الشراكسة في الطرف الأيسر من نهر كوبان من عام ١٧٦٣ حتى عام ١٨٦٤ واستمر هذا الهجوم أكثر من مئة عام بقصد الإبادة الجماعية!!!"

- **وأما الشاعر الروسي الكبير ليرمنتوف فقد عبر عن وحشية الجيوش الروسية بقوله:**

تحترق القرى فليست لديها حماية ومثل الحيوان المتوحش يغرز

المنتصر حربته في البيت المتواضع ويقتل الشيوخ والأطفال

والفتيات والأمهات البريئات وَيلعق يده الملوثة بالدم

- **شهادة اللفتننت جنرال ن. رايفسكي: وهي الشهادة التي تفضح** الاعمال الوحشية للجيوش الروسية التي جاءت في تقريره الذي رفعه إلى الكونت (تشير نيشيف) وزير الحربية الروسية في ١٨٤١/٢/٢٨ وقدم استقالته احتجاجا على تلك الأعمال حيث جاء فيه: "**إنني بمفردي، أترفع حتى الآن عن الأعمال الهمجية والوحشية والقسوة التي تمارس في القفقاس، ولذلك أصبح من واجبي أن أغادر هذا المكان، وإن لم نفعله في القفقاس الآن، يعيد إلى الذاكرة ما فعله الأسبان حين استولوا على أمريكا من الجرائم، وأعمال القسوة والإبادة، وإني لا أرى فيما نفعله شيئا من الشجاعة أو البطولة، وابتهل إلى الله، أن لا يرسم استيلاؤنا على القفقاس، خطا دمويا في تاريخ روسيا، مثل الذي تركه الأسبان بأفعالهم من آثار بشعة في تاريخهم**" (٢).

- **وأما (فون فيل) مؤلف كتاب السنة الأخيرة لحروب الشراكسة من أجل الاستقلال الذي قال فيه:** إن احتلال الروس للقفقاس والذي استمرت من عام ١٧٢٢ وحتى عام ١٨٦٤ كان على جثث مئات الآف، وأن هذه الحروب تشكل جرائم قتل جماعية قامت بها جيوش مدربة على القتال في الساحة الاوروبية مثل (حروب نابليون وحروب بولندا وحروب القرم..) كما انها مجهزة بأحدث اسلحة ذلك العصر واستهدفت، إبادة هذه الشعوب كسياسة رسمية، وذلك بإبادة كل أثر حي من (الزرع والضرع) كما وألبسوها في كثير من المراحل رداء الحروب الصليبية بإطلاق الشعارات الدينية، ثم جرت مؤامرات الطرد والتهجير القسري لشعوب بكاملها من أوطانها، وقد كان الشرط الأول الدائم للروس على الأتراك في كل مفاوضاتهم (إبعاد الشركس إلى أبعد مسافة ممكنة عن أوطانهم) [٣].

- **وصف الشاعر الروسي المعروف (بوشكين) الصديق الحميم للجنرال يرمولوف الذي أطلق عليه القوقازيون (الشيطان المسكوبي) للأعمال الوحشية والبربرية التي أمر بارتكابها في حق القوقازيين عامة والشراكسة خاصة، وهو الذي قال متفاخرا:**

"إن صدى اسمي الرهيب يجب أن يكون كفيلا بحفظ حدود بلادنا الشاسعة، ويجب ان تغنينا القوة والمنعة بحيث يغنينا عن الحصون والقلاع المحيطة بها". وقال أيضا: "إن سيفي هو القانون الذي يؤمن به القوقازيون ! وأن الحُلم واللين في نظر الآسيويين هما الضعف، وأنا خال من كل ضعف إنساني وقاس ولا أعرف الرحمة!"..

وكان من عادته أن يمارس تلك العملية المعروفة في تجربة السيوف الجديدة بضرب رقاب الثيران وقطعها بضربة واحدة، وبالرغم من أن (بوشكين) سبق ان تغنى بأعمال (يرمولوف) لإنجازاته العسكرية واعتبره بطلا من أبطال التاريخ بقوله:

إحن رأسك المثقل بالثلوج الابدية يا قوقاز خضوعا!.. لقد انتهى كل شيء، لقد جاء "يرمولوف"!

كما قال عنه الشاعر (بوشكين) الذي قدر له أن يكتب تاريخ حياته: لقد كان مكتوبا في لوح القدر أن يدخل اسمه بلاد القوقاز على أسنة الحراب، وينقش في صخور الجبال الشاهقة!...

وكان (يرمولوف) يعرف واجبه تمام المعرفة، ومحيطا بالأعمال المطلوبة منه، وقد عمل كل شيء ولم يتورع عن أية وسيلة إتمام عمله، وكان يعتبر بلاد القفقاس وكأنها إقليما روسيا، ولم تكن جميع الأمم والاقوام القاطنة فيها منذ آلاف السنين في نظره (سوى اتباع ورعايا وعبيد للقيصر). وما كان عليه إلا أن يطلب منهم الطاعة العمياء فيطيعوه ويخضعون له، ولتنفيذ خططه لم يتورع عن استعمال جميع الوسائل المشروعة وغير المشروعة، وجميع الوسائل كانت لديه مشروعة طالما تخدم أغراضه وتحقق أهدافه. [٤]

إلا أن الشاعر (بوشكين) تراجع عن مديحه للجنرال (يرمولوف) نتيجة تماديه في اعماله البربرية والوحشية ووصفه بقوله:

"كان (يرمولوف) مثالا للقسوة والغلظة، ولا يعرف للطمع حدا وللطموح حدودا وللرحمة معنى، وارتكب أعمالا وحشية حتى حدود الهمجية والبربرية، ومن أعماله الوحشية هو ما أشارت إليها إحدى الوثائق الروسية والتي تؤكد بأن الجنرال (يرمولوف) كان يحرق المزروعات ويقطع الاشجار ويقتل النساء ويجمع الأطفال في حفر ويشعل بهم النار في وسط وشرق القوقاز".

وربما كان (بوشكين) اكثر من عبر عن وحشية القوات الروسية بقوله: (إن ابناء القفقاس الاشاوس قد كافحوا ولكنهم أبيدوا بشكل فظيع) [٥] كما **وصفهم (الجنرال كراندوك) وهو من أصل شيشاني بقوله:** "انقلب الروس وحوشا في جلود إنسانية ولم تكن عملياتهم إخماد ثورة، ولكن كانت عمليات إبادة منظمة، حيث أمن القادة الروس سحقه وأن يموت بدون قبر، وإما ان يهاجر، كان هذا المبدأ الذي يؤمن به الحاكم الروسي العسكري العام للمنطقة".

كما قال: "الحقول المحروقة ودبيب المشردين على الثلوج، تسلل الهاربين إلى الغابات، أقبية التعذيب البربري، التمثيل حتى بالجثث، هدم المساجد، سحل الشيوخ قصف الاكواخ كالهياكل العظيمة الباكية.. كل ذلك كان بعض العمل اليومي للجندي القيصري خلال آخر سبع سنوات ونصف، حتى أعلن قادة الروس نهاية حرب القفقاس عام ١٨٦٤ وصارت منطقة القفقاس في مفهومهم منطقة (روسية) وساد فيها السلم، سلم القبور!!*

- وفي عام ١٩٠٤ كتب الصحفي الروسي (أ. س ليجكوس) (وهو من الصحفيين المعروف عنه بأنه كان صريحا وواضحا في كتاباته وذا مروءة نادرة، كتب واصفا وحشية الجيوش الروسية في حربهم مع القوقازيين عامة والشراكسة خاصة بقوله:

"إن الحروب الدموية التي اقتلعت سكان الجبال من أراضيهم وشرذمتهم وشتتهم في كافة اصقاع العالم، وكادت ان تبيدهم عن بكرة ابيهم بسبب تعنت القياصرة، واستبدادهم واتباع سياسة النهب والسلب للأراضي والاملاك التي استولوا عليها (٦).

كما قال احد المؤرخين لحروب الابادة والدمار الروسية بأن المسؤولين "من ذوي المكانة الذين كانوا يتقلدون المناصب الرفيعة، كقادة الجيش وموظفي الادارة العليا، هم وحدهم المسؤولون امام التاريخ عن أعمالهم، والفظائع التي ارتكبوها في حربهم ضد الشراكسة بمحض ارادتهم، او تشفيا بأعدائهم أو لنزوات شخصية.

وكان على رأسهم الجنرال (زاش) أو زاس الذي كان يلقبونه "اشحاغوانه" أي ذو الرأس المثقوب الذي أمر بإخراج جثة الزعيم الشركسي (بسلاتوقة) من القبر والتمثيل بها، انتقاما من هذا الزعيم الشركسي الذي هزمه مرارا في المعارك التي تقابلا فيها خلال حروب الإبادة.

وكذلك فهو القائد الروسي الذي ارتكب أعمالاً وحشية في هذه الحرب حين أمر (القوزاق) بقطع رأس كل قتيل من الشراكسة، وإرسال هذه الرؤوس إلى أكاديمية العلوم في برلين لدراستها(٦).

وكذلك المظالم التي وقعت في قرية (بابوكوف) على جماعة من (الاباز١) في سنة ١٨٥٨، وخلاصتها ان هذه الجماعة آوت حسب تقاليد الضيافة الشركسية، بعض الضيوف الشراكسة الذين قدموا من مناطق ما وراء الكوبان هربا من بطش الروس فقامت السلطات الروسية بمعاقبة الذين استضافتهم من عائلات الأبازا بالنفي والابعاد إلى مجاهل سيبريا ظلما وعدوانا. ولما لم يمتثلوا لأمر الضابط الروسي الذي أخذ على عاتقه تنفيذ الحكم العسكري الصادر بحقهم فورا، أمر المفرزة التي كانت تحت إمرته بالهجوم عليهم وقتلهم رجالا ونساء مع أطفالهم. (٧)

- **وكتبت جريدة القفقاس عام ١٨٣٤ مقالا ونصه:**

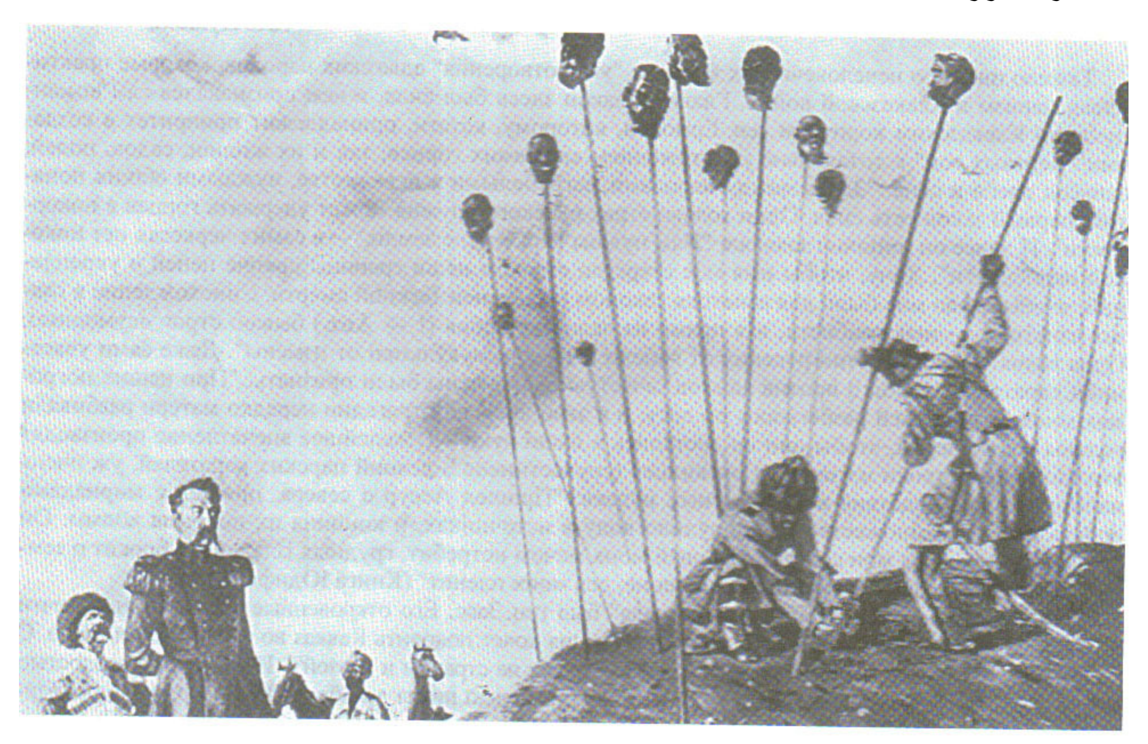
"كان جنرالات الروس يقومون بحملات في الجبال ويطلقون النار على كل شيء ويقتلون السكان بالنار وبالحراب ويأخذون آخرين أسرى ويسرقون الماشية، كما كانوا يعاقبون الناس بتدمير قراهم بأكملها".

- **أوردت الكاتبة الشركسية "مامخيغ" أسماء الجنرالات الذين تميزوا بالقسوة ضد الشراكسة وهم "تسيتسيانوف، بولغاكوف، يرمولوف، كوتساريف، ولياminوف، فلاسوف، زاس" وغيرهم،**

وكان الجنرال "زاس" معروفا لدى الاديغة باسم (الشيطان) وكتب أحد المعارضين الروس عن هذا الجنرال قائلا: "في كلامي مع (زاس) قلت له إنه لا تعجبني مزاجيتك في الحرب، فأجابني بأن روسيا تريد إخضاع القفقاس مهما كان الأمر، وكيف يمكن إخضاع هؤلاء الناس إلا بالرعب والنار، فهنا لا تفيد الأعمال

* وردت هذه الاقوال في مذكرة الجنرال موس كراندوك الذي خدم في بلاد القفقاس مع الجيش الروسي في المراحل الأخيرة من حربهم ضد شراكسة الاديغة في منطقة الكوبان.

الخيرية والجنرال "يرمولوف" نجح بشنق الناس بقسوة وباحتلال وإحراق القرى أكثر من نجاحنا، ولا يزال يذكر اسمه في القرى بهلع ويخوف به الأطفال، ولدعم آراء "زاس" الخاصة بالإرهاب كانت تعلق على قمم التلال رؤوس الشراكسة التي كانت تهتز مع الرياح وكم كان مؤلما مشاهدة هذه المناظر المقززة". [٨]



Курган генерала Засса. На копьях головы черкесов.

صورة تعبر عن مدى وحشية الجنرال (زاس) الذي قام برفع رؤوس الشراكسة الابطال على رؤوس الرياح وغرسها فوق القبر الجماعي للشراكسة الذين استشهدوا في المعارك

- **قارن احد المؤرخين المعاصرين للاحداث الوحشية في البوسنة والهرسك في يوغسلافيا بوحشية الجيوش الروسية في حرب القفقاس، بقوله: "الصرب سلاف الجنوب (يوغسلاف) ليسوا أقل وحشية من أقربائهم الروس سلاف الشمال الشرقي، وإنهم أرومة واحدة، وعرفت مناطق الشركس ويلات الحروب كافة، من إحراق القرى بمن فيها، إلى اكتساح الناس بالسيف والرصاص وهم خروج من الصلاة، إلى الأمعاء تلتصق بالجدران والأغصان، إلى الجماجم تتدحرج على السفوح والصخور، إلى بطون تبقر عن الأجنة، إلى الاعراض المباحة وعمليات سحق لإنسانية الانسان والإذلال حتى ليخجل الذل نفسه!!! [٩].**
- **وربما ما كتبه احد المؤرخين الروس اكثر تعبيراً لسياسة الوحشية المتمثلة بسياسة (الأرض المحروقة) حين قال "إن الفؤوس والبلطات، جلبت انتصارات لروسيا أكثر بكثير، مما جلبت المدافع والحراب" وإنه لقول حق. وليت الأمر توقف عند هذا الحد، فقد اتبعت روسيا، سياسة "الأرض المحروقة" فأهلكت جيوشها الزرع والضرع، ودمرت وأحرقت البيوت والبساتين والجنان، ناشرة الجوع والأمراض والأوبئة بين الناس، ولكن إلى أين سيبلغون؟ هل سيكون بمقدورهم إيقاف مد الحياة؟ أبدا، فالخير في النهاية سوف ينتصر على الشر تلك سنة الله في خلقه، ولا مجال لتغيير سنة الله، مهما تجبر المخلوق وظلم [١٠].**

كان هناك بين الجنرلات الروس من كان يعارض طرق الاحتلال الروسية القاسية كان احد هؤلاء الجنرال "رايفسكي" الذي كان يشغل منصب قائد خط ساحل البحر الاسود، وكان يدعو إلى التعاون السلمي مع الأديغة بواسطة زيادة التجارة وتحسين الأحوال المعيشية لهم. وفي تقريره حول الأوضاع السياسية للساحل الشرقي الذي قدمه في عام ١٨٤٠ إلى وزير الحربية، أوضح "رايفسكي" بعضا من أفكاره التي كانت تتعارض تماما مع الخط السياسي الحكومي في مسألة القفقاس، وعند محاولته توضيح أعماله الموجهة للتقارب مع الأديغة كتب "رايفسكي" بأن منع التجارة مع الاديغة يعيق السلام معهم، ويشجع أعمال العصابات ويقوي من تأثير تركيا عليهم، وهذا يجعل الجبليين يبحثون عن وسائط للاستقلال عن روسيا. وبشكل عام فإن الشراكسة يحاربون هناك بشجاعة فائقة في هذا العام واعتقد ان هزيمة الجنرال "سيمبارسكي" في العام الماضي قرب (سوتشي) زاد في شجاعة الشراكسة".

- **وكان السيد آ. م بيكمان يكتب في مقالاته مستغربا بقوله:**

"كيف حارب القفقاسيون الجبليون طوابير واستعماريي القياصرة الذين كانوا يرتكبون أبشع الجرائم لاتفه الأسباب، وكيف انهم أزالوا من خريطة التاريخ شعوبا كثيرة بالحروب التي جرت في غرب القفقاس".

كان السيد (بيكمان) يتكلم عن كل ذلك، وكان صريحا وصادقا وواضحا وكان معروفا لدى كل الناس، غير أن تلك الاوقات، كانت لا تسمح بالوقوف إلى جانب الحق والعدل فخلال الثورة، ربطوا اسمه مع رجالات الثورة، لكونه فتح أعينهم، وأبان لهم الطريق السوي، ورغبتهم في التغيير الذي حصل آنذاك، ثم ظهرت بعد ذلك ومضات من الأمل والدفء. (٤٨)

- **وتقول (مامخيغ) نقلا عن الوثائق الروسية بأن:**

"الدولة القيصرية اتخذت منذ بدء احتلال القفقاس كل الإجراءات الموجهة لخلق العداوات وتطويع القبائل وتم نتيجة لهذه الممارسات هدم القرى وتدمير الأملاك وسرقتها، وظل الباقون من الشراكسة مطرودين من جبالهم إلى مستنقعات كوبان والهضاب التي حولها، حيث لم يكن لديهم أي مناخ صحي ولا يوجد مردود اقتصادي للأرض".

كما أن أفضل ما في هذه الأراضي قد أعطي للضباط الروس لقاء خدماتهم في حرب القفقاس. (إضافة إلى انعدام المدارس والمستشفيات، وكانت كل محاولة من قبل الأهالي الشراكسة لبناء مؤسساتهم التعليمية الخاصة بهم تحارب بكل قسوة من قبل الدولة الروسية، إضافة إلى إغلاق المدارس المحلية فوراً وطرد المدرسين منها) (٤٩).

- **كتب مؤلف كتاب (لمحات عن تاريخ القفقاس) مبررا تصرفات الحكومة الروسية ومتحدثا عن تضحيات الشراكسة قائلا:**

"... لم يكن بالإمكان التراجع عما بدأناه والتوقف عن احتلال القفقاس بمجرد أن الشراكسة لم يرغبوا بحمايتنا لهم، وكان علينا أن نشطر الشراكسة إلى قسمين لكي نجبر أحدهما على رمي السلاح، ولكن النتيجة أن العشرات من القتلى كانوا ضحية الحرمان وبرد الشتاء القاسي والعواصف، حيث كان الناس يبيتون في الغابات وسفوح الجبال العارية، وكان أكثر السكان معاناة وهلاكا هم الضعفاء من النساء والأطفال، وكنت تلاحظ عندما تم حشد الباقين من الشراكسة على الشواطئ من أجل ترحيلهم، قلة أعداد النساء والأطفال بينهم قياسا لإعداد الرجال، مما يدل بأن هذه الفئة من الشراكسة هم الذين ماتوا من جراء الحروب الروسية البربرية.

واستطرد قائلا: "لقد فر العديد إلى الغابات في اثناء هجماتنا، وفي هذه المأساة الدموية أقدمت العديد من الأمهات على قتل أطفالهن لكي لا يقعوا اسرى في أيدينا".

كما قال: "والآن وبعد أن هدأت الضجة والانفعالات الناتجة عن تلك الحرب اللاهبة، وبعد أن توطدت سلطتنا في القفقاس، نستطيع أن نعترف بهدوء بالبطولة المدهشة والتضحية وإنكار الذات التي تمتع بها عدونا المغلوب الذي دافع بشرف عن وطنه وحريته إلى أن انهارت قواه".

لقد انهكت قوى الشراكسة فعلا، وكان عليهم الاختيار بين الترحيل إلى تركيا، أو الموت مستقلين في أراضيهم، وقد كتب العديد من المؤرخين عن كلتا الحالتين في مؤلفاتهم.

- كما قال (الجنرال يرملوف) "بأن الجنرال (فلاسوف) أمر جنوده بالإغارة على الأراضي الشركسية عام ١٨٢٢ فدمروا وأحرقوا ١٧ قرية شركسية، وفي الأعوام التالية كانوا يتبعون الأسلوب نفسه، وقد أيد صحة ذلك (المؤرخ القوزاقي ب. ب. كورولينكه) كما قال العالم (جزغ أسعد) عن هذا الموضوع، إنه في عام ١٨٢٥ قام بجولة في حدود ما وراء الكوبان، حيث شاهد القرى المحروقة بأم عينيه، وقدر عدد الناس المحروقين بالآلاف، هذا ما عدا المقتولين بحراب جند القوزاق. كما قال: "وكان كثير من النساء والأطفال الجياع يلجأون إلينا، وهم في حالة يرثى لها متمنين الموت "كما كانوا يرمون أنفسهم في النهر ليتخلصوا من الحياة.!"

يمكن القول إن التاريخ لم يذكر حتى الآن أبشع من جرائم القياصرة، حيث جعلوا من حياة الملايين ظلاما أبديا، وطردوهم من أراضيهم، وشتتوهم في كافة أصقاع الدنيا، لكي لا تقوم لهم قائمة!!! (٥١)

- **وربما كانت شهادة "الكونت بوتشي" في كتابه حول مجزرة الأطفال التي ارتكبها كل من (الجنرال فون ميدم) الالماني الاصل والقائد (اوباش) من تتار القالمون أصدق تعبير عن وحشية الروس جاء فيها:**

"إن المجزرة التي ارتكبت في حق اطفال كباردو الصغرى وإمارات الكوبان الشركسية لم يشهد لها مثيل في التاريخ، وكذلك ولأول مرة في التاريخ تقرأ عن حملة عسكرية تستهدف الأطفال بالذات، حتى أصبح اسم الجنرال "ميدم" مصدر تهديد للأطفال الشراكسة وإسكاتهم عندما يبكون أو عندما يقومون بعمل شقاوة بقول الام لهم "اسكت الجنرال (الاصم ميدم آت)"(٥٢).

تلك هي الطرق والوسائل والأساليب الوحشية البربرية التي استخدمها القياصرة منذ نهاية المرحلة الأولى منذ بدأ (حروب الإبادة والدمار) وحتى نهايتها يوم ١٨٦٤/٥/٢١.

ويؤكد المؤرخون بأن الروس بالرغم من شن أكثر من (١٤٣) معركة على القبائل الشركسية البالغ عددها خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر (١٨) قبيلة منها (٨٨) معركة خلال الفترة من (١٨٤١ – ١٨٤٦) وحدها، وبالرغم من مشاركة مقاتلين من أفراد وضباط من أكثر من (٥) قوميات على رأسهم الألمان والقالموق، والأرمن مثل الجنرال (فون كلوجناو) و (فرايتاغ) و (فردر) و (شولمان) و (جرسدوف) و (جرترينجن) وغيرهم.

بالإضافة إلى التتار والقالموق والنغوي والقوزاق والشراكسة (الذين سبق أخذهم رهائن لضمان حسن تنفيذ الاتفاقيات مع الشراكسة) والذين تم تنصيرهم وتعميدهم، ومنحهم أسماء روسية وعلى رأسهم الأمير الشركسي (يكوفيتش جركاستيكي) – صديق القائد الروسي (يرملوف) ورئيس دائرته السياسية، نستنتج بأن الشراكسة من سكان القبرطاي في مناطق الترك بالشرق، والأديغة المكونة من (١٢) قبيلة تقريبا بالغرب بالإضافة لشراكسة البسلني والمخوش وغيرهم من سكان منطقة الكوبان والأبخاز فيما وراء الكوبان على الساحل البحر الأسود، فهؤلاء الشراكسة الأبطال وبدعم من بعض الشعوب القوقازية الأخرى كان يمكن أن يمنعوا القوات الروسية من احتلال بلادهم لولا لم يستخدموا تلك الاساليب الوحشية والأعمال البربرية والأفعال اللانسانية التي جاءت في الأقوال والشهادات والاعترافات التي استمعنا إليها في هذا الفصل.

الفصل السادس

السياسات والاعمال اللاخلاقية وغير القانونية التي استخدمتها سلطات روسيا القيصرية في حروبها ضد الامة الشركسية

لجأت سلطات روسيا القيصرية في حروبها ضد الامة الشركسية إلى سياسات وإجراءات وأعمال غير اخلاقية وغير قانونية يمكن إيجازها على النحو التالي:

أولا: سياسة بناء القلاع العسكرية وإنشاء الحصون وإقامة المحطات والقرى الاستيطانية القوزاقية والروسية.

بدأت فكرة انشاء القلاع منذ ان قرر (سرا) القيصر (أيفان) الرهيب الاستيلاء على القفقاس (ارضا بلا شعب) وكانت النتائج العكسرية هو إنشاء (مدينة تيرك) على ضفاف نهر (تيرك) في عام (١٥٦٠) كما تقرر إنشاء اول قلعة في القفقاس على ضفاف نهر (سونج) عام ١٥٧٨ والقلعة الثانية على ضفاف نهر ترك في نفس العام [١١].

وفي عام ١٧٢٢ وبعد فشل حملتين متتاليتين روسيتين امر بتنفيذهما بطرس الأكبر، غادر القفقاس في عجل بصورة سرية بعد ان رأى الهزيمة قادمة لا محالة لها، ولم تلبث الجيوش الروسية أن لحقت بسيدها، عائدة إلى مراكز انطلاقها، وتطورت فكرة إنشاء وتعزيز ما سمي لاحقا بـــ "خط المستعمرات العظيم" الذي امتد بعد نحو قرن من الزمان، إلى مسافة تزيد على الف وخمسمائة كيلومتر. ويمكن مقارنة الجهود المبذولة في بناء هذا الخط، بالجهود التي بذلت في سبيل إقامة (سور الصين العظيم) والفرق بينهما: هو أن السور بنى لحماية سكان الصين من الاعتداءات والغارات بينما بني خط المستعمرات الروسية ليكون قاعدة لحملات إبادة ضد السكان المدنيين العزل من السلاح في القفقاس [١٢].

وفي عام (١٧٦٠) وبعد أن اصبحت مقاطعة (مزدوك) ومعناه (الغابة الاصم) كما يلفظ ايضا بـــ (مزدوغ) بمعنى الغابة (الجيدة) ملكا للامير الشركسي (كورغوقة كوغولجين) حاكم قباردا الصغرى الأبن الأكبر للأمير اينال الكبير الذي قام بالتبرع بمساحة أرض واسعة لإنشاء (حصن مزدوغ) عليها بعد أن اعتنق الديانة المسيحية، وهو الحصن الذي اعترض على انشائه شعب القبرطاي عامة، كما تسبب بناؤها بحرب استمرت مدة (١٥) سنة وفي الفترة ما بين (١٧٦٥ – ١٧٧٩).

وفي مطلع عقد السابع من القرن الثامن عشر قرر الجنرال (فون كوبي) قائد وحاكم الاستراخان بإنشاء (١٢) حصنا في المنطقة الواقعة بين القوزاق وجنوبي روسيا .

والوحدات العسكرية التي كانت تملأ كل هذه الحصون، والتي كانت تعمل على امتداد هذا الخط الحصين، كانت تتألف من فرقة من المشاة وبعض الطوابير العسكرية من الكرج، وبعض كتائب القوزاق من (الدون) مع ما يتبعها من مدفعية الميدان والحصون، وكان قوام حاميات هذه الحصون المجتمعة لا يقل (عن عشرين الف جندي) يضاف إليهم عند الضرورة بعض الجيوش النظامية والميليشيات من الكرج.

وبالرغم من أن الاجزاء المنخفضة من بلاد (الابزاخ) وسهولها المنبسطة، كانت عرضة لهجمات الروس وحملاتهم المنظمة، فقد تمكنت هذه القبيلة القوية من الاحتفاظ بحريتها لأكثر من ثلاثين سنة كاملة ومن وضع حد لتقدم الروس وتجاوزهم حدودهم.

اما منطقة العمليات العسكرية الروسية في الشمال والشرق فكانت تمتد من (اويست لابنسك) على امتداد نهر الكوبان حتى مصبه في البحر الاسود، وقاعدة اعمالهم الحربية الرئيسية في مدينة (يكاترينوغراد)، وفي الوقت نفسه كانت هذه المدينة مركز القيادة العامة لجيوش القوزاق المسماة (قوزاق جرنومورا).

وأنشأ الروس ايضا على الضفة اليمنى لنهر الكوبان عدة حصون لرد هجمات قبيلة الشابسوغ، ولم ينشئوا في سهول الشابسوغ سوى حصنين كبيرين على ضفاف نهر (آبين)، وهاجمه الجركس في مطلع عام ١٨٤٢ واجتاحوه بعد معركة شديدة، وقتلوا جميع من كان فيه وحاميته عن بكرة أبيهم ولم يبق منهم أحد على قيد الحياة.

وأما الخط الحربي الثالث للروس، فكان يمتد على الساحل الشرقي للبحر الاسود من مصب نهر (بسيب) حتى مصب نهر الكوبان. وبلغ عدد الحصون الكبيرة والصغيرة التي أنشأت على هذه الجبهة ما يزيد عن الخمسة عشر حصنا.

وقد جعلوا مقر القيادة العامة لهذه الجبهة في (صوجاق)، ثم شقوا طريقا بين هذه المدينة ومدينة (آنابا)، وأنشأوا على جانبي هذا الطريق حصنين لحماية وتأمين المواصلات، وهما حصنا (رايفسك ونيوقلايفسك)، وكذلك شقوا طريقا آخر بين موقعي آبين ودوبا.

وأما أهم الحصون التي أنشئت على الخط الحربي الثالث هي:

حصن بيتسوندا، و(كاكرا) و (آدلر)، و (ماماي) و (غولوفينسك) و (لازارف) و (طوابسه)، و (وتو)، و (شه بسوخا)، (وشه بسين) و (بشات)، و (آنابا).

ان الروس لم يكتفوا بإنشاء هذه الحصون فقط، بل عمدوا إلى شق الطرق الواسعة، لربط الحصون المتفرقة في أرجاء البلاد مع بعضها البعض لتأمين حرية الاتصال بينها بأمان.

واما الجيش العامل في هذه (الحصون السبعة عشرة الساحلية)، فكان يتألف من فرقة المشاة المسماة (فرقة البحر الاسود)، وعدد كبير من قوزاق الدون مع ما يلزمهم من المدافع، التي لا يقل عددها عن الاربعمئة مدفع من أحجام مختلفة، مع جيش قوامه عشرين الف مقاتل، عدا جنود وبحارة اسطول البحر الاسود [١٣].

وفي عام (١٨٠١) انشأت القوات القوزاقية محطة كبيرة في (تامان) كما بنت حوالي (٤٤٢) قرية وأطلق عليها محطات القوزاق.

وفي عام (١٨٠٥) أنشأ الروس عددا كبيرا من المخافر ونقاط الحراسة حول بلاد القبرطاي.

في عام (١٨٣٠) أضاف الروس قلاعاً صغيرة في (غيلنيجيك وغاغرا).

وفي عام (١٨٣١)، أقام الجيش الروسي (وبالقرب من قرى الاديغة) (١١) حصنا جديدا.

وفي عام (١٨٣٣) وضع الجنرال ويليامينوش خطة لإنشاء تحصينات جديدة في أكثر الأماكن أهمية في بلاد الشركس، وقال إن الوسيلة الأساسية والمضمونة لاحتلال الجبال واخضاع القاطنين فيها هي اقامة تحصينات في أكثر الأماكن أهمية من الناحية الطبوغرافية.

وفي عام ١٨٣٣/٥/٢٠ أرسل تعليمات لتنفيذ خطة جديدة لقائد الفيلق القفقاس البارون "روزين" تضمنت اتباع السياسات والوسائل التالية:

"١- الوسيلة الأساسية والمضمونة لاحتلال الجبال وإخضاع القاطنين فيها هي اقامة تحصينات في أكثر الأماكن أهمية من الناحية الطبوغرافية.

٢- وسيلة إخضاع (الجبليين) بسرعة هي في أخذ الأراضي منهم وإسكان القوزاق في محطات على هذه الأراضي.

٣- تخريب حقول السكان لمدة خمس سنوات متتالية يجعل نزع سلاحهم أسهل كما يسهل ايضا الاعمال العسكرية اللاحقة.

٤- البدء بتخريب الحقول واحتلال ومصادرة أراضي لإقامة محطات للقوزاق عليها، وكذلك إقامة تحصينات في أماكن مناسبة".

وتطبيقا لهذه الخطة قامت القيادة القيصرية في القفقاس ومنذ بداية الثلاثينات من القرن التاسع عشر بإرسال حملات إلى ما وراء الكوبان بهدف تخريب وهدم قرى الأديغة، وكذلك من أجل بناء سلسلة من التحصينات، وقد تم التركيز على بناء تحصينات ساحلية لتأمين حرية تنظيم حركة السفن الحربية الروسية على طول ساحل شركسيا، وهي أمور كانت السلطات القيصرية تعتبرها أساسية لتطويع القوقازيين.

وفي العام نفسه الذي صدرت فيها التعليمات حسب الخطة المذكورة قامت القوات الروسية بإنشاء حصون (دوفر، آدلر، نافاترويتسكر، نهاربشارا، ميخايلوفسكه، غالافينسكه، نهر طوابسة، تنفينسكر، نافانيسكه، نهر شافه، فورتولازاريفر). كما سبق أن قام الجيش الروسي بتدمير مساكن (الأديغة) الشراكسة قبل البدء بإنشاء هذه الحصون، وفي العام نفسه بدأوا بفتح طريق حربية من غلنجيك حتى اوليفيسك.

وفي عام ١٨٣٤ ولتأمين سلامة الاتصال بين الخط الساحلي ومنطقة الكوبان أقيم على أراضي الناتخواج حصن (ابينسكويه) وحصن (نيكولايفسكويه) وقلعة (رايفسكي). في نفس الوقت أقيمت حصون كثيرة أخرى، وتم ترحيل الشراكسة من حوض نهر (اوروب) إلى وديان نهري (زيليفنتشوك الكبير والصغير) حيث انشأوا فيها (١١) قرية جديدة.

وفي عام (١٨٣٧) وبعد زيارة الامبراطور "نيكولاي الأول" للقفقاس بدأت إقامة الخط المحصن لساحل البحر الأسود، ومع أن إقامة خط (غيلينجيك) المحصن (من حصن اولغيسكي على نهر الكوبان حتى بلدة غيلينجيك) والتي كانت قد بدأت منذ عام ١٨٣٤ إلا أنه تم إيقافه، وأصبح الهم الرئيسي لفيلق القفقاس موجها "لبناء خط الساحل" وتم ذلك بمعرفة الجنرال "ويليامينوف" والجنرال "رايفسكي" والاميرال "لازاريف".

في عام ١٨٤٠ تمت إقامة خط تحصينات ساحل البحر الأسود، وكان يتألف من (١٧) حصنا وقلعة مقامة في المنطقة الشركسية على أراضي الناتخواي والشابسيغ والاوبيخ في مصبات الأنهار الصغيرة التي تصب في البحر الاسود، وبالإضافة لذلك أقيمت (خمس تحصينات) أخرى على ساحل الأبخاز وجرى دعم وتقوية قلعة (انابه). كما تم تقسيم خط تحصينات الساحل إلى ثلاثة أقسام: الأول من الشمال من مصب نهر (الكوبان) حتى حصن (كاباردينسكي) على مصب نهر (دابه)، القسم الثاني: من حصن (غيلينجيك) حتى قلعة (غولوفينكو) على مصب نهر (شاخة)، والقسم الثالث: من حصن (نافاغينسكي) على مصب نهر (سوتشي) حتى نقطة (نيكولاي) على الحدود التركية، وكانت حاميات الحصون مؤلفة من عدة كتائب مستقلة، وذلك قبل أن يتم تشكيل أفواج جمعت في عشرين فرقة مشاة، وكان احتياط المشاة يتألف من فرق مشاة في (نوفوراسيسك) وفوج مشاة في (انايغ) وفي الفترة ما بين أعوام ١٨٦١ و ١٨٦٥ اقيمت في منطقة وراء الكوبان (٧٣) محطة قوزاق جديدة وثماني قرى تم اسكان (١٦) الف عائلة منها، وحتى نهاية الثمانينات من القرن التاسع شعر كان عدد محطات القوزاق أصبح (١٧٦) محطة.

الأهداف الرئيسية من إنشاء الحصون أو القلاع أو المحطات والمستعمرات الروسية:

الأول: هو بناء قلاع وحصون بهدف استخدامها كمراكز ومحطات لحماية الجنود الروس من هجمات المقاتلين الشراكسة، وكذلك استخدامها كمواقع للهروب إلى داخلها عند الانسحاب أو الانهزام.

الثاني: بناء الحصون والقلاع بهدف استخدامها كمعسكرات ثابتة، ومراكز أعمال وقواعد حربية ينطلق منها الروس بحملاتهم وهجماتهم على الشراكسة.

بناء بعض الحصون والمحطات والمستعمرات لتحقيق هدف أو أكثر من الأهداف الفرعية التالية:

(١) دعم الأسطول البحري لتأمين سلامة الاتصال بين الخط الساحلي ومنطقة الكوبان وأقيم على أراضي الناتخواج مثل حصن (ابينسكويه) وحصن (نيكولايفسكويه) في عام ١٨٣٤، وقلعة (رايفسكي) في عام ١٨٣٩ وحصن (غوستاغايفسكي) في عام ١٨٤٢، وحصن (فارينيكوفسكي) على نهر الكوبان.

(٢) تقسيم وتشتيت شعب الأديغة وعزلهم عن بعضهم البعض وذلك بناء (١١) محطة/ قرية جديدة في حوض نهر (أوروب).

وأصبح بذلك قبائل شراكسة المنطقة الغربية معزولين عن بعضهم البعض ويصعب الاتصال مع بعضهم دون المرور من هذه المحطات.

(٣) خلق بؤر استعمارية بين القرى والمدن في مناطق الاديغة الغربيين بهدف إسكان القوزاقين فيها، وهذا ما حدث مثلا حيث تم إسكان أكثر من (٧٥) الف قوزاقي في هذه المحطات والبؤر الاستعمارية.

(٤) إيجاد نقاط ومواقع محصنة آمنة في الطرق المؤدية إلى القفقاس لاستخدامها كمواقع محايدة عند التقدم إلى عمق القفقاس[١١].

ثانيا: سياسة نزع ملكية الاراضي الزراعية والمراعي والغابات والقضاء على الثروتين الزراعية والحيوانية

يقدر الباحثون في تاريخ حروب الإبادة والدمار الروسية بأن المساحات التي استولى عليها الروس من اراضي الشراكسة القبرطاي والاديغة فيما وراء الكوبان تقدر بما لا يقل عن ٩٠% من كامل المساحة والبالغة مساحتها (٢٥٠٠)كم٢.

حيث اتبعت السلطات الروسية الاجراءات التالية بهدف تحقيق سياستها في هذا المجال، وعلى النحو التالي:

انتزاع ملكية الاراضي الزراعية والرعوية حتى لا يتمكن الشراكسة من الحصول على ما يلزم حياتهم ومعيشتهم من المحاصيل الزراعية والثروة الحيوانية، وهذا ما حدث فعلا، حيث لم يبق في السنوات الاخيرة أكثر من ١٠% من الاراضي الصالحة للزراعة أو الرعي في ملكية الشراكسة الفلاحين وغير الفلاحين.

توزيع أحسن وأجود الأراضي الزراعية على كبار المسؤولين الروس من سياسيين وعسكريين.

وفيما يلي نماذج من الوقائع التي تؤكد سياسة الاستيلاء على كل ما يتعلق بالملكية والثروة الزراعية والحيوانية.

(١) نماذج من سياسة إتلاف المحاصيل الزراعية والرعوية

- أمر الجنرال (ويليامينوف) عام ١٨٣٣ قائد الفيلق القفقاسي (البارون رذرين) باتباع سياسة اخذ الاراضي من الشراكسة واسكان القوزاق فيها، كما أمر بتخريب الحقول الزراعية لمدة خمس سنوات متتالية حتى يجعل نزع سلاح الشراكسة أسهل. وهكذا فإن سياسة القادة العسكريين والسياسيين الروس اتجهت نحو تخريب الحقول والاستيلاء ومصادرة الأراضي الزراعية وغير الزراعية [٢٢].
- قال أحد القادة الروس العسكريين بأن (الفؤوس والبلطات حققت إنتصارات لروسيا أكثر بكثير مما جلبت المدافع والحراب وأن سياسة الأرض المحروقة أهلكت (الزرع والضرع)

بإحراق البساتين والجنائن (الحدائق) وهي السياسة التي انتهجتها القوات الروسية بعد أن وجدت نفسها غير قادرة على تحقيق النصر في ميادين القتال وجها لوجه.

(٢) نماذج من سياسة القضاء على الثروة الحيوانية والمخزون الغذائي لدى الشراكسة.

- في عام ١٨٠٢ شنت القوات الروسية هجوما كبيرا على قرية (بوجدوقة) "وقتلوا مئتي شخص وجرحوا ثلاثمائة وأسروا خمسمائة واستولوا على عدد كبير من المواشي منها (١١٥٨) من الخراف و (٢٤٣٢) من الماعز، وقامت قوة قوزاقية ثانية بالهجوم على قرى أخرى، واستولت على (٨٠٠) من الخراف. [٣٤]
- وفي عامي ١٨٠٧ – ١٨٠٨ قامت القوات الروسية بشن هجوم على قبائل الناتخواج والشابسوغ وعندما رفضوا إعلان ولائهم للروس، قاموا بالاستيلاء على مستودعات احتياطي الحنطة (القمح) ونهب أعداد كبيرة من المواشي.
- وفي عام ١٨١٠ تم إحراق (١٠٣٠) بقرة ومصادرة (٥١٥٥) بقرة اخرى و(٥١٥) حصانا، والاستيلاء على (١٠٤) طن من العسل الأحمر و (٩٥) طن من العسل العادي و (١٤٢) عربة حنطة. [٣٤]
- وفي عام ١٨٢٥ قامت القوات الروسية المدعومة من القوزاق بشن هجمات متتالية على قرى الابزاخ والبجدوغ وقامت بنهب الممتلكات الثمينة وسرقة آلاف رؤوس المواشي (٣٤).
- وفي ١٨٤٠/٤/١٢ وعندما استلم وزير الحرب الامير "تشيرنيشف" أخبار تحطم خط القلاع الساحلي على يد المقاتلين الشراكسة وبخ قائد الخط الجنرال رايفسكي وأمر قائد فيلق القفقاس بالتوجه بسرعة بحملة تأديبية لأراضي الاديغة والابيخ، حيث تم إحراق مراعيهم ومحاصيلهم ومستودعاتهم وإحراق (١٣) قرية شابسيغ مع تدمير كل الكروم والبساتين في منطقة وادي (بسه فابة).

(٣) نماذج من سياسة قلع الأشجار المثمرة وغير المثمرة:

لجأت السلطات الروسية في كثير من الأوقات إلى سياسة حرق الأشجار المثمرة وقطع أشجار الغابات، وكانت حجتهم في ذلك هو أن الغابات هي بمثابة حصون حماية للشراكسة، وأن الأحراج بديل للاستحكمات وأنهم لا يستطيعون الصمود أمام مدافع الروس لو خرجوا إلى السهول، لذلك فإن القادة العسكريين لجأوا إلى حرق أو قطع أو إتلاف غابات كثيرة وأن أصدق وصف لهذه السياسة هو ما قاله أحد أمراء القبرطاي حول قطع أشجار (مزدوغ) حيث قال:

"امتطى الامير جواده وقاده بهدوء على الطريق الممهدة التي تشق الغابة. ولاحظ فورا، أن الطريق قد توسعت عما كانت عليه في المرة السابقة، وعلم بأن الروس قاموا بإزالة الأشجار، وهكذا وخلال بضع سنوات اختفت الغابة كلها، حيث كانت غابة (مزدوغ) مسرحا لمعارك ضارية بين أمراء قباردا وجيوش الامبراطورية الروسية، وقد هلكت في هذه المعارك جيوش روسية بأكملها وعبر (الاديغة) ساخرين عن ذلك بقولهم: "لجأ الروس إلى الانتقام من أشجارنا ويريدوننا أن نكون في العراء، كقطيع من الاغنام، لكي يحصدوا أرواحنا بقذائفهم، ألا تبا لهم من أغبياء". [٣٠]

وفي السنوات الاخيرة من (حرب الابادة والدمار) لجأت قبيلة (جان) او (زان) إلى غابة قريبة من موطنهم.. فما كان من القوات الروسية إلا أن أحرقت الغابات بمن التجأ إليها من قبيلة (جان) الشركسية، وأن واحداً منهم لم ينجُ من هذه المحرقة البشعة، فقضوا على الغابة كما قضوا على نسل قبيلة (جان) في تلك المنطقة.

ثالثا : سياسة قتل الأسرى وكبار السن والأطفال والنساء

اتبعت السلطات الروسية سياسة قتل المقاتلين الشراكسة قدر الإمكان، وعدم اللجوء لأسرهم، إلا في الفترات التي كان الروس ينشئون فيها الطرق والقلاع والحصون حيث كان من سياسة القياصرة التعمد في أسر المقاتلين الشراكسة واستخدام الرجال منهم في اعمال السخرة وتشغيلهم في شق الطرق، وفي إنشاء القلاع والحصون وحفر الخنادق وبناء المستعمرات.

وأما الفتيان والاطفال الاسرى فكانوا يرسلونهم للدراسة في المدارس العسكرية بعد (تعميدهم) وتنصيرهم وإعطائهم أسماء روسية مسيحية، كما كان من سياستهم أخذ النساء أسيرات، بالرغم من عدم مشاركتهن في القتال خلافا للقوانين والأعراف والتقاليد العسكرية التي تمنع ذلك، ولم يتوقفوا عن أسر النساء وبيعهن في الاسواق المخصصة لبيع العبيد (بعد اغتصابهن في كثير من الاحيان).

ويتضح ذلك من قول الجنرال (فلاسلوف)

"**كثيرا ما وقعت النساء والاطفال الهاربين من الموت بالنار في الاسر، وفي كثير من الحالات كانت النساء تفضلن الموت على الأسر فيلقين بأنفسهن في الوديان السحيقة أو في تيارات الأنهار الجبلية الهائجة (خوفا من الاغتصاب والبيع) خصوصا في منطقتي الأبزاخ والبجدوغ، ويمكن ذكر الكثير من هذه الحوادث التي قام بها الجنرالات الروس** [١٥]".

ولنقرأ معا كيف يبرر أحد الجنرالات الروس أعمالهم الوحشية ضد شعوب القفقاس بقوله: "**إن القبائل القفقاسية كانت ستفهم اللطف والعطف على أنه ضعف، بينما الحملات التي كانت تدار حسب الخطة القديمة والقائمة على الدمار والابادة مثل (تدمير المحاصيل ونهب القرى، وذبح الرجال، واغتصاب النساء الاسرى حتى يتعلم الناس دروسا يفهمونها جيدا ويعطونها حق قدرها) ؟! وإن رؤية الاطفال القفقاسين الجنود المتوحشين وهم يحرقون بيوتهم ويذبحون جدودهم وإخوته وتعاقب ثلاثين أو أربعين وربما اكثر على اغتصاب أمهاتهم هو درس وعبرة لهم عندما يكبرون مستقبلا. وهل يتصور إنسان دركا أحط من هذا الدرك؟؟** [٣٠]"

بدأت سياسة إبادة اطفال الشراكسة في عام ١٧٦٠ على يد (الجنرال فون ميدم) وهو مرتزق ألماني اتحد مع قائد تتار القالموق "اوباش" وهاجما معا إمارة قباردا الصغرى وإمارات الكوبان، وارتكبا فيهما مجزرة لم يشهد التاريخ لها مثيلا تم خلالها قتل الالاف من المدنيين خصوصا الاطفال ولأول مرة في التاريخ نقرأ عن حملة عسكرية تستهدف الاطفال بالذات، ويذكر الكونت "بوتوشي" في كتابه الذي يروي عن هذه الحقبة، بأن الناس في القفقاس دأبوا منذ ذلك الوقت على تهديد أطفالهم لإسكاتهم بالقول: (صه).. الجنرال الاصم آت! كون ان "فون ميديم" أصم في إحدى أذنيه وارادت السلطات الروسية ان تظهر امام القفقاسيين وامام العالم بمظهر الابرياء، من دم اطفال الاديغة المسفوح، وأعلنوا عن سخطهم على حلفائهم تتار القالموق، واخذوا يسيئون إليهم بشتى الطرق، مما حدا (بالقالموق) إلى طي خيامهم، والرحيل في هجرة جماعية، إلى بلادهم الاصلية، على حدود الصين الشمالية وقلة قليلة منهم، أولئك الذين كانوا يقيمون علاقات طيبة مع القفقاسين – عبروا نهر الترك، واستوطنوا في السهول الواسعة الممتدة فيما بين بلاد التشاشان وقباردا الصغرى، ومنذ ذلك الحين بدأوا يقاتلون الروس جنبا إلى جنب مع أهل القفقاس.

رابعا: سياسة تدمير القرى وحرقها:

كانت سياسة تدمير القرى وحرقها من أولويات السلطات الروسية القيصرية المتعاقبة. ونستدل على هذه السياسة التدميرية من الوقائع والأحداث التالية:

في عام (١٨٠٨) قام الجنرال "ايمانويل" بتدمير ست قرى كما تعرضت قرى الشابسيغ لنفس التدمير، وقد كانت أعمال الجنرال "ايمانويل" نفسه أكثر تخريبا وتدميرا فقد عبر نهر الكوبان، وقام بتخريب كل الشاطئ الايسر له تخريبا كاملا، ودمر (٢١٠) قرية ومستودعات كبيرة جدا من

احتياطي الحنطة ونهب أعدادا هائلة من المواشي، وكتب الجنرال "ايمانويل" إلى "باسكيفيتش" أن حاجة الشراكسة إلى المواشي ستستمر لسنوات طويلة.

وفي معركة ثانية في نفس العام وفي (١٩) ايار منه قامت القوات القيصرية بتدمير وإحراق اثنتي عشرة قرية شركسية، وفي نيسان ١٨١٠ تم تدمير (٢٠٠) قرية، واحراق (٩٠٨٥) منزلا و (١١٠) مساجد والاستيلاء على (٢٨٠) بندقية و (٥٣) رمحاً و (١٤٥) سيفاً وسرقة (٢٩٠٠) روبل فضة.

في عام ١٨٢٢ وحده اباد الجنرال (فلاسلوف) (١٧) قرية كبيرة و (١١٩) قرية صغيرة شركسية بكل ما تحتويها من مؤن، وتمت مصادرة ما يزيد عن (١٠٠٠) رأس من الماشية، وحسب أقوال معاصريه كان "فلاسوف" يعبر نهر الكوبان ويهجم على القرى ويصادر الماشية ويأخذ الاسرى ويحرق كل بيوتها، فمثلا في ١٨٢٤/٥/٣ قام بهجوم مفاجئ على إحدى قرى الاديغة، كانت القرية لا تزال نائمة عندما هاجمها القوزاق من كافة الجهات ولم يتركوا فيها (حجرا على حجر) وقد لحق قريتين مجاورتين لها نفس المصير في تلك الليلة، ولا يعرف أحد كم مات من السكان في هذه الغارة إلا أن شوارع القرى كانت مليئة بالجثث. كما أسر (٢٥٠) أسيرا واستولى على اكثر من الف رأس من الماشية، كما كتب (كورولينكو) عام ١٨٢٥ قائلا: قواتنا قامت بترك منطقة ما وراء الكوبان مدمرة القرى، وفي هذه القرى الملتهبة قتل الشراكسة بالمئات إما بالنيران أو بحراب القوزاق المتوحشين.[١٥] كما قال إن حملات الجنرال "فلاسوف" عبر الكوبان تمت بموافقة القائد العام لجيش القفقاس الجنرال "يرمولوف".

في ربيع عام ١٨٢٢ وبقيادة مباشرة من "يرمولوف" أيضا قامت القوات الروسية بالهجوم وبجبهة عريضة على القبرطاي واستمر الهجوم حتى عام ١٨٢٥ وكما تقول المصادر قام "يرمولوف" بتدمير وتشتيت كامل سكان القبرطاي تقريبا، واضطر كثير منهم للهرب إلى مناطق الكوبان ليقوموا بالقتال معاً من اجل نيل الحرية والاستقلال [١٦].

كما ورد من الأرشيف الحربي الروسي بأن الجنرال (داخوفسكي) قام بإحراق كل شيء بين التلال الساحلية من بلاد الشابسوغ والشاطئ بحيث لم يبق شيء واقفٌ [١٧].

خامسا : سياسة تجويع سكان القرى الشركسية وترويع الأطفال والنساء وكبار السن.

اتبعت القيادة العسكرية الروسية سياسة "الأرض المحروقة" في حربهم فكانت القوات لا تتقدم إلا بعد قصف مدفعي عنيف، يطال كل شيء... الاشجار والحقول والمنازل، وحتى قطعان الماشية. **فضلاً عن سياسة "التجويع"** التي انتهجتها القيادات الروسية، في مراحل لاحقة، إذ تبين للقادة الروس بعد ان تعرفوا على الأوضاع الداخلية للشراكسة، بأن السكان يعانون من قلة الأراضي المتوفرة للزراعة، خصوصا زراعة الحبوب، وأن المخزون الغذائي (الاستراتيجي) لا يكفي السكان لأكثر من بضعة اشهر. وخلصت القيادة الروسية إلى النتيجة التالية: **إذا وجهت الحرب نحو الحقول والمزارع والبساتين، فسيهلك القفقاسيون من الجوع، وستعم الاوبئة والأمراض... وسيموت الناس في النهاية، وتؤول البلاد القفقاسية لنا خالية من سكانها".**

وبدأ تنفيذ هذه السياسة ابتداء من عام ١٨٠٥ حيث تمت محاصرة بلاد القبرطاي، كما تم منعهم من الاتصال مع القوميات الأخرى عامة والروس خاصة. كما قاموا بإتلاف مستودعات التموين واتلاف المزارع والقضاء على الثروة الحيوانية بإحراق المواشي والطيور وكل شيء حي يمكن أن يكون مفيدا للسكان؛ مما أدى إلى موت الكثير من الشراكسة جوعا، إذ لم يكونوا يجدون قطعة من الخبز، لقد لحقت بالقبرطاي خسائر فادحة في الأرواح والممتلكات اجبرتهم على الاستسلام.[١٨]

وفي عام ١٨٤٠ وبعد الانتهاء من إقامة خط التحصينات الساحلي أصبح (الاديغة) وغيرهم من القوقازيين عمليا مقطوعين عن العالم الخارجي، مما جعل أوضاع الناس سيئة جدا، هذا بالاضافة

إلى الجفاف والشتاء القاسي ذلك العام الذي أدى لانتشار المجاعة بشكل مرعب بين سكان فيما وراء الكوبان [١٨].

وفي السنة الأخيرة من حرب الإبادة والدمار وصف (فون فيل) الوضع الذي كان يعيش فيه الشعب الشركسي بقوله:

"وكل يوم كنا نلتقي بمجموعات الناس التي تنزح إلى الأراضي التي لم يحتلها الروس، والأمطار والسيول الأخيرة قضت على عدد كبير منهم. وكنا نجد باستمرار في طريقنا جثث هؤلاء. وكان الجوع منتشرا بشكل كبير، حيث مات الكثيرون دون أن نستطيع مساعدتهم بشيء، إذ كنا شبه جائعين أيضا وزادنا بالكاد يكفينا، وكنا غالبا ما ننام في الغابات والكهوف الصخرية معرضين أنفسنا للخطر بسبب المصاعب الطبيعية، وفي أحيان أخرى كنا ننزل ضيوفا على القرى، ولكننا كنا نهرب من هناك مخافة العدوى التي كانت تقضي على سكان هذه القرى".

واستطرد قائلا: "كان الشراكسة الذين انتهت مؤنهم يذهبون إلى القرى المجاورة بحثا عن طعام دون أن يعلمونا، ولهذا لم نستطيع ان ندربهم على استعمال المدافع" [١٩].

وكذلك فإن القحط الذي حل ببلاد الاوبيخ وبعض القبائل المجاورة ادى إلى تدني إنتاج المحاصيل الزراعية، كما أن حصارهم من قبل القوات القوزاقية المدعومة من القوات الروسية ومنعهم من الحصول من القبائل الشركسية المجاورة بالمؤن الضرورية لحياة الانسان.. **الأمر الذي أدى إلى ظهور مجاعة حقيقية تسببت في موت أعداد كبيرة منهم** [٢٠].

وربما كان من شهود العيان الذين عاشوا الأجواء التي رافقت سياسة الروس تجويع الشعب الشركسي الجنرال البولندي الذي قاد مجموعة من المتطوعين الانجليز والبولنديين والأتراك الذين قدموا إلى بلاد الشراكسة عامي ١٨٦٣-١٨٦٤ حيث قال:

بذلنا طوال ثلاثة أشهر جهدنا للدفاع عن البلاد، وكنا ننتقل بدون توقف من منطقة إلى أخرى لجعل الشراكسة يستعيدون قواهم، نجحنا في بعض المناطق وفشلنا في أخرى، وكان السكان المساكين في معظم المناطق يموتون من الجوع والبرد، ويهجرون قراهم تاركين فيها عددا قليلا من المحاربين [٣١].

سابعا: سياسة نشر الاوبئة والامراض بين السكان والحيوانات في بلاد الشراكسة

وربما كان قدر الشراكسة إبان (حرب الإبادة والدمار) الابتلاء بالاوبئة والأمراض وغيرها من الآفات الطبيعية، وكأن الأعمال العسكرية وغير العسكرية الهمجية التي ارتكبتها الجيوش المدججة بالأسلحة الثقيلة لم تكن لإبادة الشراكسة كافية، حتى ابتليت المجتمعات الشركسية بالأوبئة والأمراض التي فتكت وقتلت من الشراكسة أكثر من الذين قتلوا على أيدي الجيوش الروسية البربرية. ويتضح ذلك مما جاء في الوثيقة الروسية التي نصت على أن : **"الفؤوس، جلبت لروسيا من الانتصارات أكثر مما جلبت الحراب والسيوف" ونقرأ في المدونات التاريخية أيضا أن سلسلة من الأوبئة بدأت تجتاح القفقاس الغربي، اعتبارا من بداية القرن التاسع عشر، أدت إلى فناء ثلثي عدد الشعوب القاطنة في تلك المناطق، وفي "قباردا" مثلا اكبر الإمارات وأكثرها سكانا، لم يتبق منهم سوى أثني عشر ألف (عائلة) فقط..**

*** أنواع الاوبئة والأمراض**

كما تشير الوثائق إلى أن اكثر الأمراض والاوبئة كانت انتشارا بين الشراكسة في فترات حروب الإبادة هي:

الطاعون. الجدري. الحمى التيفودية بالإضافة إلى (يمنة وزا) وهو مرض (مجهول) ويشبه مرض الكوليرا وأطلق عليه الشراكسة اسم (يمنة وز) وكان مرضاً فتاكا وخطيراً جدا، وقد قضى على سكان العديد من القرى الشركسية بأكملها.

أما الاوبئة والامراض الحيوانية وهي تلك الاوبئة التي تفشت بين المواشي والخيول والطيور وأدت إلى نفوق عشرات آلاف منها والقضاء على الثروة الحيوانية للشراكسة إبان حرب الإبادة.

كما ظهر (الجراد) بأعداد كبيرة جدا في عام ١٨٠٨ قضت على المحاصيل الزراعية والمراعي لأكثر من سنة.

*** مراحل انتشار الأوبئة والأمراض بين صفوف الشراكسة وبين حيواناتهم من مواشي وخيول وطيور:**

- في مطلع القرن التاسع عشر ظهر وباء خطير جدا في مناطق شمال القفقاس واستمر حتى عام ١٨٠٨، قضى على معظم سكان المنطقة حتى أن قرى عديدة أصبحت بلا سكان واطلق عليها الاديغة فيما بعد اسم (يمنة وز)، كما أن هذا الوباء أدى إلى هجرة الكثير من الاديغة الذين بقوا على قيد الحياة، وأكبر دليل على ذلك هو أن عدد سكان القبرطاي عام ١٨٢٠ كان أقل من نصف سكانها عام ١٧٤٠ نتيجة الوباء والهجرة والحرب ايضا[٣٤].
- وفي عام ١٨١٠ لم يتمكن الشراكسة القبرطاي من مقاومة هجمات القوات الروسية المتلاحقة بسبب انتشار وباء (الطاعون) بينهم، حيث قضى هذا المرض على الالاف من الشراكسة من مختلف الاعمار.
- وفي الاعوام من ١٨٢٢ – ١٨٢٥ انتقم الجنرالات الروس من الشراكسة الذين قاوموهم سابقا وقمعوا بالسيف والنار كل حركات المقاومة وحرموهم من المأوى ومن المأكل فانتشر بينهم مرض (الطاعون) وغيره من الامراض، **وكتب "يرمولوف" يقول: "كان الطاعون حليفا لنا ضد القبرطاي بحيث قضى على كل سكان قبرطاي الصغرى وساهم في إفراغ قبرطاي الكبرى، وأضعفهم إلى حد أنهم لم يعودوا يستطيعون التجمع في مجموعات كبيرة"، و"لم يبق من القبرطاي إلا خمسهم".** [٣٣]
- وفي عام ١٨٦٣ أي قبيل انتهاء حرب الإبادة والدمار بسنة واحدة انتشر وباء (الجدري) بين السكان النازحين المطرودين من قراهم ومساكنهم، فحصد الوباء ضحاياه على امتداد البلاد الساحلية القريبة من البحر الأسود.

وفي السنة الاخيرة من (حرب الابادة والدمار) وبالتحديد في عام (١٨٦٤) ذكر (فون فيل) الرواية التالية في مذكراته التي نشرها في (كتابه السنة الاخيرة لحروب الشركس) وقال: كنا في أحد الأيام في ضيافة إحدى القرى (الاديغة) وعلمنا بأنه مات ثمانية من سكانها بتأثير "الحمى التيفودية" فغادرناها مفضلين تحمل البرد والجوع على البقاء فيها".

ويقول (ادموند سبنسر) وهو احد الرحالة الانجليز الذين زاروا القفقاس عام ١٨٣٨ "بأن جحافل الروس غير كافية للفتك بهذه الأمة، حيث أخذت الآفات الطبيعية تتوافد على البلاد المنكوبة، فظهر (الجراد) بكثرة في هذه السنة وأتلف المزروعات، وكان في أكثر الأيام يغطي السماء ويحجب نور الشمس. ثم تفشى نوع من الوباء بين الحيوانات وأخذ يفتك بها فتكا لا مثيل له، حتى لم يبق سوى القليل من الماشية والخيل، ثم انتشر مرض يشبه (الكوليرا) مدة طويلة فأفنى منها كثيرا[٣٥].

نستنتج مما تقدم بأن الاوبئة والامراض والافات البشرية منها والزراعية والحيوانية قد فتكت بالانسان الشركسي وبثروته الحيوانية والزراعية غير مرة وفي أكثر من منطقة في الوطن الأم للأمة الشركسية. والسؤال الكبير الذي يطرح نفسه هو؛ هل هذه الأوبئة وتلك الامراض والآفات جاءت بسبب إهمال الشراكسة، وعدم مراعاتهم لشروط النظافة * والحياة الصحية والغذائية.

* عرفت الامة الشركسية منذ فجر التاريخ بحبهم للنظافة الشخصية والبيئية، وأنهم يتمتعون بصحة جسمية متميزة ويعيشون حياة صحية متكاملة، وان جميع الرحالة الذين زاروا القفقاس في عصور ما قبل الميلاد وفي العصر الحديث

الجواب قطعا (لا) فإن انتشار هذه الاوبئة وتلك الامراض كان وراءها الروس، وأن مسؤوليتها المباشرة وغير المباشرة تقع على عاتق السلطات الروسية السياسية منها والعسكرية، لقيامها بأعمال وحشية وبربرية ومنافية للاعراف والتقاليد العسكرية والسياسية أولا، ولتنفيذهم أعمالا محرمة وفق القوانين الدولية ثانيا.

وبالبحث عن الأسباب المباشرة وغير المباشرة لانتشار الاوبئة والامراض تبين لنا وجود أربعة أسباب رئيسية وهي:

السبب الاول: هو الحصار المستمر للقرى الشركسية من قبل القوات الروسية واعوانهم ومنع وصول الامدادات الغذائية والصحية عنهم، مما داى إلى تدهور الصحة العامة في المجتمعات الشركسية.

السبب الثاني: ويتعلق بإحراق المحاصيل الزراعية والقضاء على الثروة الحيوانية بقتل عشرات الالوف من رؤوس المواشي وسرقة الالاف المؤلفة من الاغنام والابقار، بالإضافة إلى حرق أو اتلاف المخزون الغذائي بعد كل معركة او هجوم او غزو للمناطق الشركسية، مما أدى إلى حدوث نقص في المواد الغذائية وتدهور الصحة العامة للأفراد والجماعات، وكذلك حدوث نقص في مناعة الأجسام وضعف مقاومتها للأمراض.

السبب الثالث: ويتمثل في تلوث البيئة في مناطق القتال نتيجة استخدام (ملح البارود) بكثافة وكذلك انتشار الاوبئة نتيجة منع الشراكسة من دفن قتلاهم لأيام وليالي عديدة، وكذلك نتيجة قتل واتلاف الاف من المواشي وترك النافق منها في الزواريب والحقول لفترة طويلة لعدم تمكن الشراكسة من حرقها او دفنها لانشغالهم في الدفاع عن انفسهم ومقاومة الغزوات الروسية القوقازية المتواصلة.

السبب الرابع: قدوم مئات الالاف من القوات الروسية والمرتزقة من مختلف الشعوب والامم والقوميات إلى بلاد الأمة الشركسية أدت إلى انتشار بعض الأوبئة حسبما أكده بعض الدارسين بقوله: "مع قدوم الوافدين الجدد، ازدهرت الأمراض والأوبئة التي لم يألفها القفقاس من قبل. ويموت الناس من الأمراض والأوبئة بأعداد تفوق أعداد الهالكين في المعارك والحروب".

ثامنا: سياسة استغلال قسوة الطبيعة وسوء الأحوال الجوية في بلاد القفقاس إبان الحروب.

لم ينس المخططون الروس للاستيلاء على بلاد القفقاس (ارضا بلا سكان) اللجوء لاستغلال قسوة الطبيعة في بلاد القفقاس أولا، وظروفها الجوية والمناخية الشديدة ثانيا، حيث كانوا يشنون هجماتهم ومعاركهم في فصول الشتاء أكثر منها في الفصول الأخرى، كما كانوا ينفذون غاراتهم على القرى الشركسية الآمنة في ليالي الشتاء الباردة، حيث كانت درجة الحرارة تنخفض إلى (١٥) درجة تحت الصفر في بعض المناطق، كما كان من أهداف تدمير القرى أو إحراقها وهدم البيوت أو إتلاف محتوياتها هو ترك الشراكسة كبارا وصغارا، أطفالا وشيوخا، رجالا ونساء، في العراء بدون أمتعة وملابس شتوية مناسبة، وكذلك إجبارهم على الهرب إلى الجبال العالية والاختباء في الغابات الكثيفة، وقضاء أيام بل اشهر في (الكهوف) و (المُغر) الباردة جدا، كما كان يقضي المقاتلون المكلفون بالاستكشاف الليالي شديدة البرودة على رؤوس الاشجار لمراقبة تحركات الأعداء.

وربما كان أصدق وصف لقسوة الطبيعة وشدة الأحوال الجوية في القفقاس هو الوصف الذي ذكره (فون فيل) في كتابه (السنة الاخيرة لحرب الشراكس) قائلا: "بعد انتهاء مهمتنا بدأ هطول المطر، ولم يعد ممكنا اجتياز الأنهار والأودية. أما الطرق الجبلية الزلقة في الأصل قبل هطول المطر فقد أصبح من المستحيل السير عليها بعد هطوله والحقيقة أن الأمطار التي هطلت بغزارة غير معقولة، والسيل الذي انحدر في عتمة الليل سحب معه الناس والخيل والخيام، حتى وصلت إلى أسماعنا من التل المرتفع الذي نحن عليه أصوات عويل وصراخ وضجة هائلة، كان واضحا منها حدوث حالة من الذهول تسيطر على الذين كانوا في اسفل الجبل الذين داهمتهم السيول.

تغنوا بنظافة المجتمعات الشركسية وبجمال القوام وسلامة الابدان.. وبالتالي فإن الجواب هو (قطعا) بأن الامراض والاوبئة لم تظهر بسبب إهمال الامة الشركسية وعدم مراعاتهم للمستوى الصحي والبيئي في حياتهم العامة.

واستطرد قائلا: "طلع الفجر، ولكن الجو كان سيئا جدا، والطرق مقطوعة، والمطر ما زال يهطل بغزارة. ففي النهار فقط استطعنا ان نرى الصورة المرعبة التي حدثت في الليل بسبب قسوة الطبيعة".

وأضاف قائلا: وكذلك فإن العواصف الثلجية كانت تكتسح المقاتلين الشراكسة المرابطين على الجبال وداخل الغابات. وعلى رؤوس الاشجار بدون ملابس مناسبة وبلا مأوى مناسب، حيث كان يتجمد كل شيء في الإنسان ... وكم من مرة وجدنا من المقاتلين المرابطين في الخطوط الأمامية متجمدين من انخفاض درجات الحرارة لأكثر من (١٥) درجة تحت الصفر".

وتابع وصفه لقسوة الاحوال الجوية بقوله: كان الوضع متوترا حتى أننا لم نستطع عمل شيء، فالبرد قد أصبح شديد الوطأة، وحراسنا يموتون باستمرار من شدة البرد، وحدث مرة أن وجدنا كل الحراس في فترة المناوبة قد ماتوا متجمدين [٤٥].

(٣) سياسة محاربة تسويق المنتوجات الزراعية والحيوانية والصناعية.

استغل الروس حاجة الشراكسة لتسويق محاصيلهم الزراعية وثرواتهم الحيوانية وانتاجهم الصناعي اليدوي استغلالا بشعا حيث كان أول من تنبه إلى ضرورة استغلال حاجة الشراكسة إلى مبادلات تجارية، وتسويق منتوجاتهم الزراعية والحيوانية والصناعية هو الامبراطور (الاسكندر الاول) الذي صادق في تشرين الأول من عام ١٨١٢ على **(قواعد التجارة مع الشراكسة والاباظة)** وكانت هذه القواعد تؤكد رغبة الحكومة الروسية تقريب الشراكسة إلى الروس سلميا عن طريق التجارة، وذكرت هذه القواعد أنه **(بتأسيس هذه التجارة يمكن تدريب الشعوب الجبلية على منافع الحياة الاجتماعية والتعليم، وبالتالي التغلب على وحشيتهم)** وقد حددت الأنظمة الجديدة نقاط التجارة في (كيرتش)، حيث تم إلغاء الحجر الصحي والجمارك، وكذلك نقطة تجارة أخرى في منطقة (بوغاز)، وتم التأكيد على منافع إنشاء العلاقات التجارية مع شعوب ما وراء الكوبان، مثل الشراكسة والاباظة الساكنين على ساحل البحر الأسود[٢٢].

(٤) تشير الوثائق المتعلقة بالعلاقات التجارية بين الشراكسة والروس بأن المسؤولين الروس كانوا يهدفون من تقوية العلاقات التجارية مع الشراكسة عامة ومع القبرطاي خاصة أكثر من هدف وغاية يمكن إيجازها على النحو التالي:

الهدف الأول هو: تحقيق التعاون السلمي مع الشراكسة:

تشير بعض وثائق حرب القفقاس بأنه ظهر بين الجنرالات الروس من كان يعارض طرق الاحتلال الروسية القاسية وأحد هؤلاء هو الجنرال "رايفسكي" الذي كان يشغل منصب قائد خط ساحل البحر الاسود، وكان يدعو إلى التعاون السلمي مع الاديغة بوساطة زيادة التجارة وتحسين الأحوال المعيشية لهم. وفي تقريره حول الأوضاع السياسية للساحل الشرقي الذي قدمه في عام ١٨٤٠ إلى وزير الحربية، اوضح "رايفسكي" بعضا من أفكاره التي كانت تتعارض تماما مع الخط السياسي الحكومي في مسألة القفقاس، وعند محاولته توضيح أعماله الموجهة للتقارب مع الاديغة كتب "رايفسكي" بأن منع التجارة مع الاديغة يعيق السلام معهم، ويشجع اعمال العصابات ويقوي من تأثير تركيا عليهم، وهذا يجعلهم يبحثون عن وسائل للاستقلال عن روسيا [٢٣].

الهدف الثاني هو: استمالة الشراكسة من خلال تنفيذ أعمال تجارية معهم

بالرغم من أن التجارة الروسية الشركسية في الكوبان وعلى ساحل البحر الأسود لم تكن ذات حجم كبير لأسباب داخلية وخارجية، إلا أنه كانت لها نتائج سياسية هامة، حيث إن بعض التجار الشراكسة أصبحوا وبسبب مصالحهم التجارية من ذوي الميول الروسية وكان الممثل التجاري الروسي هو "دوسكاسي" وكانت محطته التجارية الرئيسية عند مصب نهر (بشاد) في املاك الامير الشابسيغ "محمد اندار" وكان السكان المحليون يقابلون السفن التجارية الروسية القادمة إلى (بشاد) بكل ترحاب[٢٤].

الهدف الثالث هو: تحسين مستوى معيشة شعوب وقبائل الشراكسة:

كان من الأهداف المباشرة في مرحلة زمنية محددة، وخاصة عندما شعر القادة العسكريون الروس استحالة القضاء على الشراكسة عسكريا هو اللجوء إلى اكثر من طريقة او سياسة لاستمالة وكسب ود الشراكسة حتى لا تتاح لهم فرصة الانتفاضة عليهم. إلا أن المسؤولين والتجار الروس استغلوا الشراكسة تجارياً وتلاعبوا في علاقاتهم مع الشراكسة، ويتضح ذلك مما كتبه الجنرال (نقولاي) عام١٨٣٨ قائلا: "**وهذا ما حدث فعلا عندما حولت السلطات المدنية والعسكرية الروسية المحلية، التجارة مع الشراكسة إلى صفة (استعمارية استيطانية) إذ كان الموظفون والتجار الروس في الأسواق ونقاط الحدود التجارية يغشون دائما الشراكسة، بسبب المهارات التجارية التي يملكها الروس، ولا توجد لدى الشركس مثل هذه المهارات، وكان الروس يبيعون للشراكسة بضائع ذات جودة رديئة وبأسعار خيالية ويأخذون من الشراكسة بضائع جيدة وبأسعار رخيصة** [٢٥].

الهدف الرابع هو: وقف الإتجار مع دول الحلفاء (تركيا وانجلترا وفرنسا)

شعرت السلطات الروسية القيصرية بأن دول التحالف تحاول التغلل بين سكان القفقاس عامة والشراكسة خاصة تحت مظلة التعاون التجاري، وان أعمال الجاسوسية لهذه الدول تستغل الأعمال التجارية لستار شرعي لأعمالهم التجسسية، بدأت السلطات الروسية تشعر بأهمية تقوية العلاقات التجارية معهم، واهمية ايجاد اسواق في روسيا القيصرية حتى لا تقتصر للاتجار مع دول الحلفاء.

وقبل مرور وقت طويل اكتشف الأمراء الشراكسة والتجار والاقطاعيون بأن السياسة الروسية المتضمنة الانفتاح التجاري ما هي إلا سياسة مؤقتة وأنها تهدف فيما تهدف إلى استغلال الشراكسة تجاريا أولا، وأنها جزء من سياستهم العامة التي تهدف إلى استغلال كل وسيلة أو طريقة من شأنها التأثير على حياة القفقاسيين سلبا.

تاسعا: سياسة تحريض الفلاحين وعامة الشعب للقيام بالثورة على أمرائهم ونبلائهم وكذلك اللجوء إلى سياسة خلق صراع طبقي داخل مجتمعات القبائل الشركسية ذات النظام الطبقي.

استغلت الحكومات الروسية المتعاقبة الصراع الطبقي داخل المجتمعات الشركسية عامة ولدى القبائل التي كانت تتبع النظام الطبقي الإقطاعي خاصة وحاولت استقطاب الأمراء والنبلاء والإقطاعيين باستخدام الوسائل التالية:

* عدم المساس بممتلكات وحقوق الإقطاعيين الموالين للنظام القيصري في شمال القفقاس ومساعدتهم على مصادرة أراضي الأحرار والفلاحين المعادين للروس والسماح بضمها إلى ممتلكات الاقطاعيين.
* تكريم الطبقات الاجتماعية العليا من أمراء ونبلاء وأعيان الشراكسة لمنحهم الأوسمة وتقديم الهدايا لهم بهدف استمالتهم وتحويلهم إلى فئات مسالمة غير معادية للروس.
* معاقبة الاقطاعيين والأمراء والنبلاء المعادين لسياسة الروس بتحريض الفلاحين والعبيد للتحرر من تبعية الاقطاعيين عامة، والأمراء والنبلاء المناوئين للسياسة الروسية خاصة.
* كما كانوا يلجأون إلى الايقاع بين إقطاعيي مجموعة القبائل الموالية للروس مع اقطاعيي مجموعة أخرى معادية لروس [٢٦].

عاشرا: سياسة اغراء واجتذاب عناصر من شباب الامة الشركسية للخدمة في جيش سلطات روسيا القيصرية:

تشير الوثائق الروسية بأن الحكومات الروسية منذ القرن السادس عشر الميلادي تبنت سياسة استقطاب عناصر من الشراكسة للانخراط في الجيش الروسي وفق الاتفاقيات التي كانت تعقد بين

الشراكسة عامة والقبرطاي خاصة، وبين الحكومات الروسية القيصرية المتعاقبة خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر عامة، وبالبحث حول أهم تلك الوسائل التي استخدمها الروس لاستقطاب واغراء مقاتلين من الشراكسة للانخراط في الجيش الروسي توصلنا إلى الحقائق التالية:

الحقيقة الاولى: تشكلت اول قوة عسكرية من الفرسان والمقاتلين الشراكسة في عهد (ايفان الرهيب) من الامراء والنبلاء الذين اخذهم كرهائن لضمان حسن تنفيذ الاتفاقيات مع الشراكسة من القبرطاي وتعمدوا (تنصروا) تحت اسماء روسية.. بالإضافة إلى الافراد من الشراكسة الذين كانوا يدينون بالديانة المسيحية أو الذين ارتدوا عن الاسلام واعتنقوا الدين المسيحي خاصة بعد انشاء مقاطعة (مزدوج).

الحقيقة الثانية: استطاع الروس الاحتفاظ بالاف من الضباط الشراكسة للعمل والخدمة في الجيش الروسي من خلال دفع رواتب مجزية لهم وصلت إلى ألف روبل لحملة رتبة لواء *.

الحقيقة الثالثة: ابتداء من عام ١٨٣٦ اتبعت القوات الروسية سياسة أخذ الاطفال الشراكسة كرهائن او كأسرى وإرسالهم إلى المدارس الروسية العسكرية واعدادهم عسكريا للعمل كضباط في الجيش الروسي.

الحقيقة الرابعة: منح الضباط من اصول شركسية رتباً عالية، وكذلك تعيينهم في مراكز قيادية عليا مثل الجنرال الشركسي الذي اعتنق المسيحية الامير (يكوفيتش جركاسكي) من عائلة (بايقوة او بيوقة) وكان (صديقا) ومساعدا للجنرال (يرمولوف) وكافأه على اخلاصه بمنحه منطقة قبردي الصغرى التي كانت تتألف من ثلاث إمارات وحرم بذلك الامراء الثلاثة الذين كانوا يملكون هذه الامارات من ممتلكاتهم كاملة. (٢٦)

الحقيقة الخامسة: تكريم المقاتلين الشراكسة الذين انضموا للجيش الروسي بضمهم إلى الحرس القيصري الخاص والمكون من الفرسان الشراكسة خاصة في عهد القيصر اسكندر الثاني. كما تم تكريم الجنرال تشيركاسكي بيكوفيتش (الشركسي بايقوه) قبرطاي الاصل، بتعيينه مساعدا لآمر القوات الروسية في القفقاس. كما كان الجنرال كوندوقوف آمر الجيش في منطقة شيشان. (٢٧)

حادي عشر: سياسة الدس والايقاع بين الشعب الشركسي وشعوب وقوميات قوقازية مجاورة لهم بهدف الاقتتال فيما بينهم:

استخدمت السلطات القيصرية منذ عهد (كاترينا الثانية) سياسة الدس والإيقاع بين قبائل الشركسية وبين قوميات قوقازية أخرى، وكذلك الايقاع بين زعماء واتباع قبائل شركسية، مع زعماء واتباع قبائل شركسية اخرى، حيث كانت السلطات الروسية تحقق من خلال استخدام مثل هذه السياسات اكثر من هدف؛ منها:

١) منع حدوث تقارب او اتحاد بين القبائل الشركسية المختلفة من جهة وخلق كراهية وبغض بين بعضهم البعض.

٢) خلق عداوات مع قوميات وشعوب قوقازية أخرى من خلال الايهام بأن من قام بغارة أو هجوم او اعتداء هم من شعب او قومية أخرى فيما الحقيقة ان القوات الروسية او القوزاقية هي التي كانت تقوم بمثل هذه الغارات وتتهم بها قوميات قوقازية أخرى.

وفيما يلي نماذج من سياسة التفرقة والايقاع التي استخدمتها السلطات الروسية خلال حربها ضد القوقازيين عامة والشراكسة خاصة، وربما كان افضل وصف لهذه السياسة ما قاله احد كتاب الشراكسة:

* وردت هذه المعلومات في مذكرات الجنرال موس كوندوقوف الذي خدم في القفقاس مع الجيوش الروسية وهو من أصل شيشاني أو استيني.

"في صيف عام ١٧٧٧م. وصلت إلى اسماع السلطات الروسية العليا، في موسكو وسانت بطرسبيرغ، أنباء مقلقة جدا مفادها: أن أمراء كبادرا جادون في سعيهم لتوحيد الأمم والشعوب القفقاسية، في جبهة واحدة للوقوف ضد روسيا".

وبدأت السلطات الروسية بجهد محموم لإبطال هذه المساعي، وانتشر الاعوان والعيون، في كل الانحاء وبدأوا يطلقون الإشاعات والأقاويل المغرضة ضد أمراء كبادرا وصرفت الأموال لفك ارتباط الشعوب والجماعات الصغيرة بإمارة كبادرا، وأمرت الإمبراطورة "كاترين" بتفعيل سياسة "فرق تسد" إلى أبعد مدى ممكن، وتم تشكيل وحدات ميدانية من الروس ومن المرتزقة، اخذت تشن الغارات المفاجئة تحت جنح الظلام ضد البلدات والقرى الشركسية الآمنة، تذبح وتقتل السكان المدنيين دون رحمة او شفقة، وعند الانتهاء من جرائمها كانت تتعمد ترك آثار مخلفات مادية توهم بأن الفاعلين هم (النوغاي) مثلاً وكأنهم المنفذين لهذه الغارات. ويرد القبرطاي بقسوة، ويهاجمون تجمعات (تتار النوغاي) وغيرهم القاطنين في السهوب الشمالية، وتدور بينهم معارك طاحنة ظنا منهم بأنهم هم المعتدين وليس الروس أو القوزاق.[٢١]

ثاني عشر: سياسة الخداع وتقديم الوعود الكاذبة للامراء والنبلاء الشراكسة:

نستنتج من وقائع واحداث تاريخية عن خداع الروس ومحاولتهم التخلص من الشراكسة الموالين وغير الموالين للروس باختلاق الاكاذيب ومن أمثلة ذلك الوقائع التالية:

حاول بعض الامراء والنبلاء الاستيضاح من الحاكم الروسي "ايمانويل" حول ما سيتم من إجراءات ضد اولئك الذين لم يرضخوا للسلطة الروسية، ولكنهم لم يرفعوا السلاح ضدها. وكان الجواب على ذلك في الكتاب الذي أرسله إلى زعيم القوزاق "بيسكروفني" يخبره فيها بأن يوعز بشكل سري إلى (أديغة ما وراء الكوبان) ان لا يخافوا من الروس إذا لم يقاتلوا مع الاتراك لأن هذه الحروب هي بين الروس والاتراك ولا تخص الاديغة الشراكسة.

وبعد انتهاء الحرب الروسية / التركية قام "ايمانويل" نفسه بهجوم مركز على الشراكسة عامة دون تمييز بين المحايدين وغير محايدين، نتج عنها قتل العديد من الشراكسة وتدمير قرى شركسية عديدة.

وكذلك خاطب قائد القوات خط الكوبان والبحر الاسود الجنرال "ايمانويل" نفسه "الاديغة" بقوله: "**إنني أعلن لكل أتباع الامراء الذين يقاتلون ضد الاتراك معنا أو لا يقومون بأعمال سطو في منطقة القفقاس والبحر الاسود بأنني سأكون حاميا لهم اذا وصلت القوات الروسية إلى خط القفقاس**"، وعلى اثره قام بعض زعماء الاديغة بإعلان ولائهم للروس. وبعد سقوط (أنابه) كانت القيادة الروسية مقتنعة أن شعوب ما وراء الكوبان ستكون مضطرة للاعتراف بالولاء لروسيا وفي اعلان ثان من قبل الجنرال "ايمانويل" طلب من كل (الاديغة) إعلان الولاء دون قيد او شرط لروسيا، وإذا رفضوا ذلك فإنه سيتخذ ضدهم اجراءات قاسية، وعندما رفض بعض نبلاء الناتخواج إعلان ولائهم أرسل قوات كبيرة إلى قرى النبلاء الرافضين، وقامت بتدمير ست قرى منها، كما تعرض عدد كبير من قرى الشابسيغ لنفس المصير. [٤٣]

في ٢ آذار من عام ١٨٤٤ ارسل الامبراطور نيقولاي الاول إلى القبرطاي رسالة اشار فيها إلى الحماس الدائم وإخلاص القبرطاي للعرش وخاطبهم قائلا باسم الرب الرحيم:

"نحن نيقولاي الاول إمبراطور وحاكم عموم روسيا وغيرها.. إلى رعايانا المخلصين من السكان القبرطاي، إن الحماس الدائم والاندفاع، والإخلاص الذي اظهرتموه باستمرار، والاستعداد لحمل السلاح ضد اعدائنا في الجبال لفت نظرنا واهتمامنا الخاص".

"وتقديرا لذلك وببركتنا الكلية نمنح السكان القبرطاي علما فخريا كمؤشر على الرعاية الملكية الخاصة، وعليهم عندما تقتضي الحاجة ان يقدموا المتطوعين لمحاربة الشعوب التي لا تخضع لنا. مع مزيد من مباركتنا لشعب القبرطاي".

إلا أنه كان أول من هاجم منطقة القبرطاي ودمّر قراهم وقتل أطفالهم ونساءهم وكبار السن منهم هي قوات نيقولاي الأول نفسه.

في عام ١٨٤٥ ولي على القفقاس الأمير ميخائيل سيميونوفيش فورنتسوف الذي وعدهم قائلا:

"... إن دينكم وعاداتكم وشريعتكم واراضيكم وكل املاككم التي حصلتم عليها بجهدكم، لن يمس بها أحداً وستكون لكم وحدكم ملكا خالصا، وستبقى الامور بلا أي تبديل". (٤٤)

وبالرغم من هذه الرسائل الرقيقة في الظاهر، وتلك الوعود الموثقة رسميا، تتبخر قبل مرور سنة على تقديمها بتوقيع الامبراطور شخصياً، حيث شنت القوات الروسية عشرات الهجمات على شعب القبرطاي في الاعوام ١٨٤٦ و ١٨٤٧ نتج عنها تدمير كامل للعديد من القرى وقتل المئات من المقاتلين الشراكسة والسيطرة على مقاطعة القبرطاي بأكملها.

ثالث عشر: سياسة محاربة انتشار الدين الاسلامي واللجوء لسياسة التبشير للديانة المسيحية داخل المجتمعات الشركسية المسلمة في الوطن الام:

استخدم الروس شتى الوسائل للضغط على الشراكسة المسلمين عامة، وشيوخهم من رجال الدين خاصة، بقصد التقليل من تأثيرهم على عامة الشعب أو بهدف تقييد حرية ممارسة الشعائر الدينية والضغط عليهم للهجرة أو إعادة تنصيرهم وكانت اكثر الوسائل استخداما لها هي:

١- سحب الصلاحيات القضائية والادارية من رجال الدين المسلمين

في المناطق التي احتلتها روسيا، وبعد تطبيق القوانين والانظمة الروسية، وجد رجال الدين انفسهم بعيدين تماما عن الشؤون المدنية، واصبحت جميع الصلاحيات القضائية والادارية تحت سيطرة السلطات القيصرية، وقد أنقص نظام الحكم الجديد كثيرا من صلاحيات رجال الدين المسلمين، وانخفض دخلهم المادي كثيرا، وضاقت دائرة تأثيرهم على الأمور المدنية، وأدرك رجال الدين أن السلطات القيصرية تحاول عزلهم عن السكان، فخافوا على مصيرهم ومصير الدين الإسلامي، فانقلب القسم الأكبر منهم ضد سلطات القيصرية، وبدأوا بأعمال نشطة ضد النظام القيصري الاستعماري وبدعم من الأمراء والنبلاء المعادين للروس.

٢- وضع قيود على الشراكسة الراغبين في اداء فريضة الحج والعُمرة:

وضعت السلطات القيصرية على الحجاج القفقاسين المتوجهين إلى (مكة المكرمة) و (المدينة المنورة) قيوداً فاشترطت عليهم حمل جوازات سفر روسية، ووضع هذا القيد كان لأكثر من سبب (وحجة).

الاولى منها هو منع الذهاب إلى الأماكن الإسلامية المقدسة لأن الحجاج يصبحون أكثر تعصبا ضد المسيحية وضد روسيا عند عودتهم إلى بلادهم.

والثانية: هو الخوف من نقل الحجاج الامراض والاوبئة إلى القفقاس.

وأما الثالثة: هو الخوف من تزايد اعداد الشراكسة المتعاونين مع الاتراك.

وفي مراحل لاحقة، وبعد ان شعرت السلطات الروسية بخطأ اساليب التعامل مع رجال الدين بادرت إلى تعيين العميد "ديلبوتسو" مديرا لمنطقتي (قبرطاي الكبرى) و (قبرطاي الصغرى) وتمت إقامة محكمة دينية روحية في عام ١٨٠٧ وأدى إنشاء المحكمة الروحية إلى زيادة السيطرة السياسية للإقطاعيين ورجال الدين بشكل خاص، كما زاد تأثير رجال الدين المسلمين على الحياة الاجتماعية والسياسية لمجتمع القبرطاي الاقطاعي، وقد استعمل رجال الدين لدى القبرطاي شعار (مساواة كافة المسلمين) فزادت سلطتهم وتأثيرهم بين جماهير الفلاحين والذين كانوا يأملون تطبيق الشريعة ليتحرروا من سيطرة الاقطاع الشركسي والاستعمار الروسي معا.

رابع عشر: سياسة التهديد بإعادة تنصير الشراكسة وتعميدهم

وفي السنوات الخمس الأخيرة من (حرب الابادة والدمار) كشفت السلطات الروسية عن نواياها الحقيقة باستغلال (العقيدة الدينية) في الضغط على الشراكسة لإلقاء السلاح والاستسلام، ويتضح ذلك من تهديد القيصر (نقولا الاول) للشراكسة بقوله: **امامكم خيار واحد من ثلاثة:**

- **الهجرة إلى الدولة العثمانية أو التنصّر واعتناق المسيحية أو الموت والهلاك** [٢٧].

خامس عشر: سياسة التبشير للديانة المسيحية:

تبنت السلطات الروسية اكثر من سياسة وأسلوب لاعادة تنصير الشراكسة نذكر منها:

١- سياسة اخذ رهائن من أبناء الأمراء ومن ابناء الارستقراطيين والاقطاعيين الشراكسة القبرطاي عند توقيع كل اتفاقية تعاون بين الروس والشراكسة عامة والقبرطاي خاصة، بحجة ضمان حسن تنفيذ تلك الاتفاقيات، وكانت السياسة المتبعة في مثل هذه الحالات هو (تعميد) الرهائن واعطاؤهم أسماء مسيحية بمجرد وصولهم إلى موسكو.

٢- منح امتيازات معنوية ومادية للشراكسة الذين يهربون إلى المناطق الروسية بقصد (التنصير) مثل اعطائهم رتباً والقاباً مدنية وسياسية وتعيينهم في مراكز ذات مدخول مادي كبير، وكذلك إلحاقهم بالجيش، ومنحهم رتباً عسكرية عالية، حيث إن العديد منهم وصلوا إلى رتبة لواء.

٣- سياسة ادخال أطفال الشراكسة الاسرى بالمدارس العسكرية بعد (تعميدهم) ليتخرجوا منها ضباطا [٢٩].

كما شجعت الحكومة القيصرية بعض الامراء المعارضين والتابعين لهم للهروب إلى القلاع التي انشأت على نهر (الترك) و (نهر) وفي منطقة بزدوك واعتناق المسيحية وكان اولهم احد امراء القبرطاي الصغرى واسمها (كورغوقة كوغولجين) الذي هرب إلى مزدوك واعلن اعتناقه للمسيحية مع جميع من هم تحت سيطرته، وانتقلوا إلى الطرف الآخر من نهر (تيرك)، وانتبه امراء القبرطاي إلى خطورة وجود هذه القلاع، وطالبوا بهدمه، حتى انهم ارسلوا لهذا الغرض وفدا خاصا إلى سان بيتزبورغ في عام ١٧٦٤ لهدم هذه الحصون.

واستغل كل من الاتراك وخانات القرم قلق شعب القبرطاي من خطورة وجود حصن (مزدوك) وحاولوا تأجيج روح العداوة ضد روسيا، بينما كانت روسيا تضاعف من قواتها هناك.

وفي عام ١٧٦٤ تأسست في مزدوك مدرسة تبشيرية لتدريس أطفال القوقازيين تعاليم المسيحية، إلا ان القائمين عليها لم يهتموا بإدارتها كما يجب، وكان ذلك سببا رئيسيا في تأخر انتشار الديانة المسيحية في تلك المناطق وكان من أسباب فشل هذه المدرسة هو عدم اتفاق الرهبان، إذ كانوا يتنافسون فيما بينهم، وبذلك يعرقلون تقدم المدرسة ونجاحها حتى بلغ القيصر ما كان من امرهم، فاستاء واصدر ارادته بلزوم الاهتمام بالامر واعادة تنظيم هذه المدرسة.

إلا أن السياسة التبشرية لم تتقدم كثيرا في بلاد القبرطاي، ومنعت المبشرين الروس من البقاء والاقامة في البلاد القوقازية لمتابعة اعمالهم، حتى اضطروا إلى العدول عن فكرتهم كليا، وبحلول عام ١٧٦٩ أصبحت حالة المبشرين على أسوأ ما يكون، بفضل التدابير المتخذة ضدهم من قبل القوقازيين عامة والشراكسة خاصة. [٢٨]

السادس عشر: سياسة استخدام كبار الكتاب لنشر الأكاذيب:

لم تترك السلطات الروسية (شاردة ولا واردة) يمكن أن يكون في استخدامها اساءة للشراكسة او التأثير على معناوياتهم ونفسياتهم، حيث لجأوا في نشر قصص وبيانات ومعلومات غير صحيحة عن الشراكسة ووصفتهم بالوحشية والبربرية وانهم غير حضاريين .

ومن الوسائل التي استخدمتها السلطات الروسية ضمن سياستها الرامية إلى الضغط على الشراكسة، والتشكيك بقيادتهم وزعمائهم، أو التأثير على نفسيتهم ومعنوياتهم من خلال استقطاب كبار الكتاب والشعراء والمؤرخين من روس وأجانب في نشر قصص تسيء للامة الشركسية وتضلل الرأي العام العالمي نذكر منهم:

(بيرجيه) المؤرخ الرسمي للهجرات الشركسية (وتولستوي) و (بوشكين)، بالإضافة إلى الكتاب الذين كان يعج بهم البلاط الروسي من الكتاب والمرتزقة والمستشارين، الذين كانوا يعدون بالعشرات من الكتاب الأجانب المرتزقة.

وكان من الأهداف المباشرة وغير المباشرة من استخدام هؤلاء الكتاب هو إظهار القوقازيين (الجبليين) عامة والشراكسة منهم خاصة، بأنهم: **متوحشين وفقراء وكسولين وليس لهم اقتصاد متطور او حضارة متطورة، وانهم يعيشون على السلب والنهب.** وكانت هذه الادعاءات تُصدّر للعالم لتمجيد الدور الروسي المزعوم في جلب الحضارة للقوقازيين عامة والشراكسة خاصة ولتبرير ابادة الاستعمار الروسي للشعوب القوقازية عامة والشراكسة خاصة.

وربما كان خير من عبر عن الدور الخطير الذي قام به هؤلاء الكتاب هو (لنين) بعد قيام الثورة البلشفية في قوله: "اراد الشركس ان يبرموا صلحا مع القياصرة في أوقات كثيرة، ولكن تعنتهم وجبروتهم فوّت الكثير من الفرص".

وفيما يلي نماذج مما كتبه بعض الكتاب (المأجورين) وبعض كبار الكتاب (المخدوعين) وعلى رأسهم (تولستوي) الذي كتب في بداية حياته قصة عنوانها (اسير القفقاس) وهي قصة تدور احداثها في القفقاس، وقد أطلق عليها الكاتب اسما سياسيا (اسير القفقاس) وتدور احداثها حول ضابط روسي اسمه (جيلين) كان له ام عجوز، تتمنى ان تزوجه قبل ان تموت وترسل الأم العجوز رسالة لابنها تقول فيها "وجدت لك عروسا عاقلة، حلوة، ولها ضيعة ايضا، وقد تعجبك، وتتزوجها لتبقى عندنا نهائيا، ويقرر "جيلين" بعد هذه الرسالة ان يطلب اجازة ليذهب لأمه إلا أن جيلين يقع في كمين بعد ان يبتعد عن وحدته (ويحدث جيلين نفسه) قائلا: أنا اعرفكم ايها الشياطين اذا امسكتم احدا حيا، حبستموه في حفرة، وهرأتم جلده بالسوط، فلن استسلم حيا.

ومن هذا المقطع يبدأ اللاوعي الباطن المشتق من ايديولوجيا الروس الابادي، يبدأ هذا (اللاوعي) برسم صورة للعدو (الجبلي) ويقصد به (القوقازيون عامة والشراكسة خاصة).

"وفي الأسر يتعرف جيلين على الفتاة (دينا) ذات الثانية عشر ربيعا وهنا نرى النظرة للأخير الذي لا تنظر إليهم كبشر وانما كشيء خارج حدود الحياة البشرية وهذا أمر ضروري من أجل قتله او طرده وتصفيته.

يطلب (الجبلي) منه ان يرسل لأهله ليدفعوا ثلاثة الاف روبل كفدية له، لكنه يرفض ويقرر ان يهاجمهم وهنا يصور الكاتب (تولستوي) الضابط الروسي شجاعا حتى وهو في الاسر، فيقول (جيلين):

"قل لهذا الكلب، لن أدفع روبلا واحدا ولن أكتب لأهلي، أانا لم أخف، ولن أخاف منكم يا كلاب".

هنا يتراجع الجبلي ويقبل بألف روبل فدية، إلا أن جيلين يرفض، ويلاحظ من هذا الرفض بأن الكاتب "تولستوي" حاول ان يرسم صورة للضابط الروسي وهو واثق فقد رأينا كيف شتمهم وهو على بيّنة من انه سيهرب، ويبدأ بتمضية وقته بصنع اشياء تبهرهم، فيصنع (دمية) فتركض ابنة (دينا) وتخطفها وتهرب بها (ودينا) هي الطفلة التي لم تشوه بعد بثقافة اهلها المتوحشين فقط لأنها طفلة.

ويتطلع في اليوم التالي، فيرى (دينا) تخرج على عتبة بيتها عند الفجر تحمل (الدمية)، وقد زينتها بالخرق الحمراء، وتهدهدها كالطفلة، وتترنم لها بلغتهم الشركسية، خرجت امها العجوز، وشرعت تقرعها واختطفت الدمية منها وحطمتها وارسلت (دينا) لاشغالها عن الدمية.

لكن الضابط الروسي المتحضر لا ييأس فيحاول مرة أخرى نشر الحضارة بين هؤلاء المتوحشين، لذلك يصنع(دمية) اخرى ويعطيها (لدينا)فتبدأ الصغيرة بالتعاطف معه، فتحضر له الحليب مرة بعد مرة وتكتشف أنه لطيف ثم جلبت له لحما، ويبدأ الروسي بإظهار مهاراته الحضارية، ويصبح محور حياة القرية والجوار، وعندما مرض احد الجبليين الشراكسة استدعوه ليشفيه، فجاء بالماء والرمل وخلطهما وقرأ بعض الكلمات على الماء واعطاه ليشربه المريض، وشفي المريض لحسن حظه، حاول الهرب إلا أنه ألقي القبض عليه ووضعوه في حفرة وحضرت (دينا) بعد حين لتخبره ان اهلها سيقتلونه لأنه روسي وتساعده على الخروج من الحفرة باعطائه عصاً طويلاً ليستعملها في الخروج. وبعد ذلك يطلب من (دينا) ان تعيدها إلى مكانها كي لا يضربوها، "فحتى في اصعب الظروف لا ينسى انسانيته" وتساعده (دينا) بفك القيد، وقبل ان يغادرها لا ينسى ان يذكرها بفضله عليها بقوله "من يصنع لك الدمى بعدي، ومسح على رأسها وهرب" (٣٧).

ودارت الايام ووقع فعلا (تولستوي) نفسه اسيرا في قبضة حفيد (الشيخ منصور) بعد ان ابتعد (تولستوي) عن أسوار الحصن الذي كان يحتمي به مع الجيش الروسي، حتى احس بأن حبلا يطّوق رقبته، واقتيد اسيرا وطلب المقاتل الذي اسره منه عشرين قطعة ذهبية مكافأة له لكون أسيره من رتبة ضابط، ولأنه أتى بأسيره سالما حيا دون ان يصبه بجراح، ثم طلب قطع يد الأسير اليمنى حسب مذهب (المريدية) وكان على الزعيم (سعدو) أن لا يرد طلب (الآسر) وهو حفيد الشيخ منصور قائد القوات اتحاد القوقازيين آنذاك، ولكن الزعيم (سعدو) في هذه المرة لم يطاوعه قلبه في تطبيق العقوبة المتبعة على الضابط المذكور، فأمر باخلاء سبيله سالما فنجا (تولستوي) من العقاب لأنه في مقتبل العمر أولا، ولأنه كاتب وليس مقاتلاً ثانيا، دون ان يعرف (حفيد الشيخ منصور) بأنه الكاتب تولستوي لأنه لم يكن بعد اصبح كاتبا مشهورا .

فهذا التصرف الانساني الموضوعي من (حفيد) الشيخ منصور هو اكبر جواب على ما جاء في قصة تولستوي (أسير القفقاس) بأن القوقازيين (الجبليين) متوحشون وأنهم غير متحضرين، وانهم لا يستحقون العيش في مناطق جميلة مثل منطقة القفقاس.

أما النموذج الثاني من نماذج استغلال الكتاب والشعراء العظام هو ما قاله الشاعر (بوشكين) الذي تغنى بأعمال وافعال الجنرال (يرمولوف) الذي كان يلقبه القوقازيون بالشيطان (المسكوبي) والقائل: "إن صدى اسمي الرهيب يجب ان يكون كفيلا بحفظ حدود بلادنا الشاسعة وهو الذي اعتبر سيفه هو القانون الذي يجب ان يؤمن به القوقازيون، وان الحلم واللين في نظر الآسيويين / القوقازيين معناهما الضعف واعتبر نفسه إنساناً خالياً من كل ضعف انساني وانه قاس لا يعرف الرحمة).

كما قال الشاعر (بوشكين) الصديق الحميم للجنرال (يرمولوف) في إحدى قصائده:

"احن رأسك المثقل بالثلج يا قوقاز خضوعا.. لقد انتهى كل شيء... لقد جاء يرمولوف" [٣٨].

إلا أن بوشكن في مرحلة لاحقة تراجع عن موقفه المؤيد للحرب القوقازية نتيجة تمادي السلطات الروسية وارتكابها الأعمال البربرية والوحشية، ووصفه بأنها كانت مثالا للقوة والغلظة وارتكاب الأعمالا الوحشية.

إن الباحث في مواقف كبار الكتاب والشعراء من حروب الابادة والدمار التي شنّها القياصرة الروس على مدى اكثر من (ثلاثمائة عام، منها مائة وخمسون عاما كانت حروباً متصلة).. يجد بأن السلطات الروسية استطاعت تضليلهم وخداعهم، إلا أن معظمهم تنبهوا لهذا الخداع، وقاموا بفضح وحشيتهم وبربريتهم.

واما النموذج الثالث في سياق توظيف كتابات كبار المؤرخين، هو ما كتبه (بيرجيه) المؤرخ الروسي الرسمي لتاريخ هجرات (طرد) القوقازيين.. قائلا بأن طرد (الجبليين) كان ناتجا عن (الزعزعة) الدائمة، وأنه لم يكن بالإمكان تهدئتهم، فما كان أمام السلطات الروسية أي خيار واحد من ثلاث خيارات؛ إما **قتلهم عن آخرهم، أو تهجيرهم من الجبال إلى الأماكن المنبسطة، او تهجيرهم إلى تركيا، لأنهم لا يستحقون العيش في مناطق القفقاس الجميلة، الحصينة، الغنية بمصادرها**[٣٩].

نستنتج مما تقدم مدى استغلال السلطات الروسية لكل ما يمكن ان يسيء للشراكسة ومدى التأثير على كبار الكتاب والشعراء، والمؤرخين وحملهم على تزييف الحقائق باتهام القوقازيين عامة والشراكسة خاصة بأنهم شعب لا يعرفون القانون والنظام، وانهم بدائيون ومتوحشون وغير متحضرين، وانهم شعوب كسالى لا يحبون العمل.. وان لا عمل لهم إلا السلب والنهب والقتل.. الخ وان كتابا عديدين وعلى رأسهم (تولستوي وبوشكين) تراجعوا وقالوا الحقائق ونقضوا كل ما كتبوا سابقا عن القوقازيين عامة والشراكسة خاصة.

فتولستوي مثلا نجده في العديد من مؤلفاته اللاحقة ينتقد وحشية الروس في حربهم ضد الشعوب القفقاسية الروسية ويصفها بأنها (جرائم ضد الانسانية) [٤٠].

وكذلك فإن كتابا معاصرين عارضوا ما كتبه كتاب وشعراء روسيا القيصرية في كتاباتهم حول الشعوب القفقاسية وفي وصفهم بأنهم جبليون. ومتوحشون.. وبدائيون.. وغير حضاريين.. الخ وعلى رأس هؤلاء الكاتب (يا. ابراموف) والكتاب (د. م. محمدوف) و (ح. م. حاشايف) و (ت. ح. قوميتوف) وغيرهم حيث أكدوا بأن شعوب جبال شمال القفقاس كانوا يتميزون بحبهم للعمل، وكان اهتمامهم الرئيسي ينصب على الزراعة وتربية الحيوانات والصناعات اليدوية[٤١].

وربما كان خير من كتب عن ذلك هو (أبراموف) في كتابه (القوقازيون الشراكسة) نقتبس منه الفقرة التالية: **"فإننا يجب ان نعترف بأن الامة الاقل حضارة، والاقل حبا للعمل هي الامة الروسية بالذات، لقد تحدثت عن تمليك املاك شاسعة في القفقاس الغربية للروس، تلك الاملاك التي كانت مغطاة ببساتين وكروم ومراع وحقول أنشأها السكان الجبليون، مثل هذه الظاهرة لاحظتها ايضا في منطقة (التيرك) ومن هذه السنوات الثلاث التي قضيتها في هذه المنطقة، وقسما منها في مدينة نالتشيك، وفي مركز سكن روسي آخر ايضا، وكما قضيت بعض الوقت في قرية شركسية في وسط قبرطاي الكبرى، وحدث أن رأيت بنفسي كيف ان الروس ودون أي خجل كانوا يتلفون غلال المزروعات للقبرطاي التي بذلوا من أجلها جهد عدة سنوات. وبالقرب من نالتشيك ذاتها يوجد ما يسمى ببستان (أتاجوق) حيث بقيت منه اشلاء بائسة، ولقد كان هذا البستان من تلك البساتين الكبيرة التي لا يمكن ان نجد لها مثيلا، إلا في القفقاس. لقد كان هذا البستان عبارة عن غابة وكان يتألف من جزأين. وكان الجزء الاول يتألف من مسطبة نصف دائرية وتنحدر انحدارا شديدا نحو الوادي والجزء الثاني هو الوادي ذاته الذي يجري فيه نهر نالشتك. وكانت المسطبة مقسومة بشكل فني إلى عدة مساطب صغيرة وكل واحدة منها بدت على شكل نصف دائرة، وارتفعت فوق الاخرى على شكل مساطب ايضا.**

وبعد ان استولت عليها السلطات الروسية حل بالبستان منظر مختلف تماما، فالقناة مهملة والكروم لا تخدم، وأغصان كروم العنب التي اصبحت برية لعدم رعايتها تقطع لإطعام القطعان مثله مثل العشب الذي نمى في المساطب، والأشجار المثمرة الأكبر عمرا، قُطعت للوقود، واما ممرات البساتين المغطاة من جانبيها بالزيزفون والاكاسيا فهي مضروبة دون رحمة، وأنا شخصيا كنت شاهد عيان على اتلاف بقايا هذه الممرات المغطاة من جانبيها، وحين سألت احد هؤلاء الروس الذين يُدعون بالمثقفين، الذي قطع كثيرا من اشجار الزيزفون والاكاسيا كيلا يشتري حطبا قائلا له: ألا تشعر بالسوء من هذا العمل الذي تقوم به؟ أجاب: (يجب على هذه الاشجار ألا تنمو هنا).

وقد قطعت اكثر الاشجار الكبيرة التي كانت تدخل في تركيبة الدائرة العجيبة في البستان والباقية فقدت اغصانها واصبحت نصف ذابلة، وفي الوقت الحالي فإن "بستان اتاجوق" أصبح عبارة عن اراضي واسعة مهملة، حيث نمت فيها شجيرات الكرز والاشجار الشائكة والاعشاب الضارة، وبقي في بعض الاماكن اشجار كبيرة، تذكر بالحضارة الشركسية التي كانت سائدة هنا.. ولا شك ان مستقبل آثار هذه الحضارة القديمة بات مزعزعا".

واستطرد أبراموف قائلا: "وعلى مسافة سبعة او ثمانية فراسخ من بلدة (نالتشيك) إلى اعالي النهر المسمى بالاسم نفسه كانت توجد قرية شركسية، وكان لها بستان رائع. وكانت مساحته تفوق مساحة "بستان اتاجوق" بعدة اضعاف، وهذا البستان قد تعرض للسرقة من قبل الروس بالطريقة نفسها. وهو الآن في حالة أفظع من حالة "بستان اتاجوق".

كما يستطرد (ابراموف) قائلا:

"وهكذا هي الحضارة الروسية، ويمكن رؤية نماذج هذه الحضارة في منطقة (التيرك) ويجب على الاشخاص الذين يتكلمون عن عدم وجود حضارة (للجبليين) وعدم كفاية حب العمل لديهم أن يركزوا انتباههم على هذه الحقائق، وعلى حقائق أخرى غيرها، تبين مستوى الحضارة (لدى) القفقاسيين الذين وصفوهم بالمتوحشين، ومن هذه الحقائق هي:

تربية الماشية عند (الجبليين) بشكل عام، وعند (القره شاي) بشكل خاص، والذين تمكنوا من تربية قطعان كبيرة من الابقار في المرتفعات التي لا يمكن الوصول إليها في سفوح جبل البروز، وفي ري أراضي القوموق وعند الشيشان جزئيا، وخاصة فيما وراء القوقاز، هذا الري الذي لا يمكن للروس ان ينفذوه بالرغم من استعمالهم التكنيك العلمي ورأس المال (الكبير)، ثم الانتشار الواسع للصناعات الحرفية بين الجبليين، ومنتجات الصناعات الحرفية المحلية البديعة من الصوف والحرير والمعادن.

وفي نهاية حديثه اكد (ابراموف) على حقيقة يصر على ذكرها إحقاقا للحق، وهي أن القفقاسي/ الشركسي، يصنع لنفسه أرضا على الصخور العارية بجهده وبالعرق وبالدم... ويرتبط بأرضه بلهفة وشوق.. وعندما يضطر لترك ارضه ويرحل إلى (تركيا) حيث الالام والعذاب، فإن رحيله لا يكون بسبب كسله كما كان يدعي الكتاب السابقون وعلى رأسهم المؤرخ (بيرجيه) الروسي (٤٢).

سابع عشر: سياسة استخدام الجواسيس في تحقيق انتصارات عسكرية وسياسية:

كان الروس قد أرسلوا احد (التراجمة) إلى بلاد الكرج سنة ١٥٨٧ بغية التجسس واستكشاف أحوال تلك البلاد، وبعد ان مكث هذا الجاسوس عدة سنين في تلك البلاد، رجع إلى روسيا سنة ١٥٩٤ ومعه سفير ملك الكرج اسكندر، وسفير آخر لأحد أمراء الجركس، فطلب هذان السفيران فور وصولهما أن يقبلهما القيصر كأتباع له.

وفي عام ١٧٧٦ بدأت الاعمال التجسسية العسكرية، حيث قام الجاسوس الروسي جولدن شتادت Coulde Stadt اثناء سياحته في ولايات ساحل البحر الاسود برسم خارطة سميت باسمه.. وكانت هذه الخارطة هي المرشدة لرسم خطط السلطات الروسية في قتالها مع الشراكسة، حيث رسم

في هذه الخارطة معالم الطريق الجنوبي بين (انايا وتسمز)، وهي الطريق المعروفة باسم "الطريق الجنوبي" – نسبة إلى تجار جنوا، فقد سلكت الجيوش الروسية هذا الطريق التي لا بد للمرتحل عليها، من أن يمر عبر الممر المعروف باسم " ممر الموت" – وهو ممر صخري ضيق، يشرف على هاوية سحيقة.

هذا بالإضافة إلى استخدام العشرات بل المئات من الجواسيس من مختلف القوميات الروسية منها والقوقازية ومنهم قلة قليلة من الخونة من أصل شركسي، وهم الذين طلب الأمير (محمد ميرزا انزور) بقتل (١٦) عميلا متعاونا مع السلطات الروسية عام ١٨٤٣.

مراجع ومصادر الفصل السادس

1- Gean Carol – Les Deux Roules du Cauease, Paris, 1899 .

٢- قاسوم ، علي حسن، وحسن علي، مصدر سابق، ص: ٣.

٣- مجلة الاخاء الأردنية الشركسية، مصدر سابق، العددان ٨٩ – ٩٠ ص: ٤٢.

٤- المفتي، شوكت، مصدر سابق، ص: ٦٩-٧٠.

٥- مامخيغ، رايا ، مصدر سابق، ص٥٩-٦٠.

٦- ارسلان، مخوص، مصدر سابق، ص: ٣٢-٣٣.

٧- المفتي، شوكت، مصدر سابق، ص٢٠٥.

٨- قاسوم، علي حسن، مصدر سابق، ص: ١٥-١٦.

٩- مخوص، ارسلان، مصدر سابق، ص: ٦٩.

١٠- حراتوقة، سمير شمس الدين – النسور، حب وحرب في القفقاس، نشر في عمان عام ٢٠٠٠م ص: ٢٤.

١١- المفتي، شوكت، مصدر سابق، ص٣٢-٣٣.

١٢- حراتوقة، سمير، مصدر سابق، ص٣٦.

١٣- المفتي، شوكت، مصدر سابق، ص: ٩٢-٩٣.

١٤- قاسوم، علي حسن، مصدر سابق، ص: ١٥.

١٥- المصدر نفسه، ص: ٣٩.

١٦- المصدر نفسه، ص(٢٤-٤٠).

١٧- شفيق، اسماعيل، مصدر سابق، ص: ٤٥.

١٨- قاسوم، علي حسن، مصدر سابق، ص: ٤٤.

١٩- فون، فيل، مصدر سابق.

٢٠- الوثائق الروسية – ابادة الشراكسة ص(٤٠).

٢١- حراتوقة، سمير – مصدر سابق، ص: ٩.

٢٢- الوثائق الروسية، ابادة الشراكسة، ص: ٣٧.

٢٣- المصدر نفسه، ص: ١٦.

٢٤- المصدر نفسه ، ص: ٣٦.
٢٥- المصدر نفسه ، ص ٣٨.
٢٦- المصدر نفسه ، ص١٧.
٢٧- برزج، نهاد، تهجير الشراكسة، ص: ٦٧ و ص ١٠٣.
٢٨- المفتي، شوكت، مصدر سابق، ص: ٥٠-٥١.
٢٩- الوثائق الروسية، ابادة الشراكسة ص: ١٨-١٩.
٣٠- حراتوقة، سمير، مصدر سابق، ص: ٣٧.
٣١- فون، فيل، مصدر سابق، ص: ٧١-٧٦ .
٣٢- نقله نهاد برزج عن كتاب جمهورية قبردينو بلقاريا - ونشره باللغة التركية في كتابه (تهجير الشراكسة) وترجمه عصام حتك المنشور في عمان عام ١٩٨٧.
٣٣- الوثائق الروسية، ابادة الشراكسة ص: ٢٥.
٣٤- فون، فيل، مصدر سابق، ص: ٥٦ + ٦٦.
٣٥- ادمون سبنسر Edomound Spencer ، رحلات إلى بلاد شركسيا Londo – 1838.
٣٦- بادلي، جون. ف.، احتلال الروس للقفقاس، تعريب صادق عودة، ص: ١٢٩-١٣١.
٣٧- مكارثي، جستن، الحروب الابادية، وتحليل قصة اسير القفقاس للكاتب الروسي (تولستوي) تعريب فريد العربي، وعرضه د. ثائر دورب وهو كاتب وباحث عراقي ونشر عام ٢٠٠٦.
٣٨- المفتي، شوكت، مصدر سابق، ص: ٦٨.
٣٩- المصدر نفسه ص: ٦٩-٧٠.
٤٠- ابراموف، يا ، القوقازيون الشراكسة، ترجمة الدكتور راتب سطاس والدكتور زهدي سطاس، من منشورات اللجنة الثقافية لجمعية المقاصد الخيرية الشركسية في دمشق عام ١٩٨٩.
٤١- الوثائق الروسية، ابادة الشراكسة ص: ٨.
٤٢- ابراموف، يا، مصدر سابق، ص: ٣١-٣٥.
٤٣- الوثائق الروسية، ابادة الشراكسة، ص: ٤٤.
٤٤- مامخيغ، رايا، مصدر سابق، ص: ٤٤.
٤٥- فون، فيل، مصدر سابق، ص٥٥-٥٦.
٤٦- ماميخغ، رايا، مصدر سابق، ص٤٨.
٤٧- الوثائق الروسية، ابادة الشراكسة، ص: ١٦.
٤٨- مخوص، ارسلان، تاريخ حرب القفقاس - مصدر سابق، ص: ٣٠.
٤٩- مامخيغ، رايا، مصدر سابق، ص: ٥٢.
٥٠- يرمولوف. م، لمحات عن تاريخ القفقاس - ١٨٨٠، ص: ٥٢.
٥١- مخوص، ارسلان، مصدر سابق، ص: ٣٧.
٥٢-نغموقة، شورا، تاريخ القوقاز، مصدر سابق، ص: ٩٤.

الفصل السابع

التكتيكات العسكرية والأساليب القتالية التي استخدمها المقاتلون الشراكسة في دفاعهم عن اراضي الوطن منذ فجر التاريخ وحتى العصر الحديث

يقول (جو ناتوقة) في كتابه تاريخ القوقاز بأن: "تاريخ (الاديغة) حافل بماضيهم المجيد، من مدنية وحضارة واستعدادهم العظيم لكل ما هو عصري وحديث، ولا يخلو كذلك من مآثرهم (الحربية وصفاتهم العسكرية) التي تجعلنا نقرر هنا ان هذا الشعب لم يخلق إلا ليكون (أمة حربية) [1].

وظهرت هذه الميزة العسكرية في مجتمعات اجداد (الاديغة) منذ الأدوار الاولى من تاريخهم القديم، ويلاحظ ان حروبهم بقفقاسيا منذ القرن السابع قبل الميلاد ضد قبائل السكيت وبعد استيلاء (الهون) و (القوط) في القرون الأولى بعد الميلاد على بلاد أجداد الشراكسة أكسبت الأمة الشركسية خبرات عسكرية (دفاعية)، وكذلك فإن الحروب من القرن السادس الميلادي وحتى القرن الرابع عشر الميلادي أكسبت مقاتلي الامة الشركسية خبرات متميزة في فنون القتال الدفاعية منها والهجومية من خلال حروبهم التي فرضت عليهم من قبل شعوب (الاوار) منذ القرن السادس الميلادي، ومن (جيوش دولة الخزر) في القرن العاشر الميلادي، اما الخبرات القتالية التي اكتسبها القادة العسكريون الشراكسة من الحروب الدامية والاعتداءات الهمجية والبربرية التي تعرضت لها الامة الشركسية في القرنين الثالث عشر والرابع عشر من جحافل الجيوش المغولية بقيادة (جنكيز خان) وغيره من قادة المغول ودولة الجيش الذهبي بالإضافة للخبرات الهجومية التي اكتسبها القادة العسكريون الشراكسة من الحروب التي شنتها جيوش (التتار) التي سبق أن أحرقت الزرع والضرع في بلاد الشركس فكان لهم فيها النصر وطردهم من بلاد (الاديغة) نهائياً.

يلاحظ مما تقدم بأن الامة الشركسية دخلت القرن الرابع عشر الميلادي وهي تتمتع بخبرات قتالية متميزة (الدفاعية منها والهجومية) وتتقن فنون تعبئة الجيوش، وتعرف أساليب إعداد القادة العسكريين والمقاتلين المحترفين، وتجيد وضع مختلف أنواع التكتيك العسكري وفنون القتال المباشر وغير المباشر، وبالتالي فإن الأمة الشركسية على اختلاف قبائلها من (القبرطاي) والبسلني التي تسكن منطقة الترك بالشرق، وقبائل (الاديغة) المؤلفة من (١٢-١٥) قبيلة وتسكن في منطقة ما وراء الكوبان في غرب شمال القفقاس. كانت تتمتع بخبرات قتالية مميزة، بالأخص تفوقها في القتال في الأماكن الوعرة والمناطق الصعبة وفي الممرات الضيقة وفوق سفوح الجبال العالية وبين الغابات والادغال، لذلك فإن جيوش خانات القرم المدعومة (سرا) من الدولة العثمانية لم تتمكن من تحقيق أي نصر يذكر على الشراكسة خلال اكثر من (٦) حروب كبيرة تضمنت عشرات المعارك التي خاضها المقاتلون الشراكسة ضد جيوش دولة القرم خلال القرنين السادس عشر والثامن عشر، وبالتحديد منذ عام ١٥٧٠ من القرن السادس عشر وحتى عام ١٧٢٩ من القرن الثامن عشر الميلادي.

وكذلك فإن المقاتلين الشراكسة استطاعوا مواجهة الجيوش القيصرية **في حملتها الأولى التي بدأت** بشكل مباشر في عام ١٧٢٢ وهو التاريخ الفعلي لبدء حروب الإبادة الروسية، حيث أمر القيصر إسكندر الأكبر إرسال أول حملة حربية على القفقاس وهي الحملة التي تكونت من جيوش برية تضم جنودا سبق لهم أن حاربوا في السويد، وخيالة من الروس، وأعداداً كبيرة من المقاتلين المرتزقة من القوزاق والتتار والقالموق وبمساندة الاسطول البحري الذي وصل إلى نقطة الانزال يوم ١٧٢٢/٧/٢٧.

اما الحملة الثانية التي أمر القيصر بشنها على بلاد الشراكسة، وبالتحديد على مدينة (خيوة) فكانت بقيادة الامير الشركسي المرتد عن دينه (بيقوفتش شيركاسكي) وهو احد أفراد عائلة (بيقوفتش) التي التحقت بالبلاط القيصري في عهد القيصر (ايفان الرهيب) بعد أن تزوج الاميرة الشركسية (ماريا) وأصبحت امبراطورة باسم (ماريا آن). وفي هذه المعركة الشرسة، استطاعت القوات المقاتلة الشركسية القضاء على جميع أفراد هذه الحملة وعددهم (٧٠٠٠) جندي روسي ومرتزق بمن فيهم

الامير الشركسي الأصل ولم ينجُ منهم سوى (جنديين اثنين) واعتبر الامير الشركسي الأصل خائنا (لملته) وقوميته، فكان جزاؤه هو (حشو جثته بالقش) وتعليقها على باب المدينة لمدة اسبوع ليكون عبرة لكل من يخون قومه [٢].

والسؤال الذي يطرح نفسه هنا هو كيف استطاعت أمة صغيرة العدد مثل الأمة الشركسية لم يكن يتجاوز عددهم اربعة ملايين، الصمود امام امة كبيرة عدد سكانها اكثر من (٥٠) مليوناً لأكثر من (١٥٠) عاما (وهي الحروب التي بدأت فعلا عام ١٧٢٢ وانتهت عام ١٨٦٤) تم خلالها تشتيت القوات الروسية القيصرية المدعومة بقوات مرتزقة من القوزاق والتتار والقالموق وبعض القادة الألمان والارمن والبولولنديين وقلة من الشراكسة الذين (ترووسوا) أي أصبحوا مسيحيين يحملون اسماء روسية.

وكذلك كيف استطاعت هذه الأمة صغيرة العدد وقليلة الامكانات من تحمل الاساليب الوحشية والوسائل غير الانسانية والافعال المحرم استخدامها دوليا، بالإضافة إلى الدسائس والمؤامرات السياسية والتخريب الاقتصادي والفتن الدينية التي استخدمتها سلطات روسيا القيصرية.

ثم كيف عجزت قواتها وجيوشها التي تناوب على خدمتها خلال سنوات حرب الابادة والدمار اكثر من مليونين اثنين من الجنود النظامين، بالإضافة إلى مئات الالاف من جنود المرتزقة من القوميات التي كانت مستوطنة في بلاد القفقاس من تحقيق النصر العسكري في قتالهم المباشر وغير المباشر مع المقاتلين الشراكسة، حيث تشير الوثائق الروسية منها والانجليزية والتركية العثمانية بأن سلطات روسيا العسكرية **لم تتمكن من تحقيق النصر العسكري إلا بعد أن استخدمت أكثر الأساليب الوحشية والوسائل غير الانسانية، والأفعال المحرم استخدامها دولياً إضافة إلى لجوءها للمؤامرات السياسية والتخريب الاقتصادي والدسائس الدينية التي اشرنا إليها في الفصل السابق.**

وللاجابة عن مثل هذه التساؤلات كان لا بد من التعرف على بعض الحقائق المتعلقة بصفات القادة العسكريين والمقاتلين الشراكسة نذكر منها الحقائق التالية:

الحقيقة الاولى: التعاون العسكري التام بين قادة وشعوب الأمة الشركسية:

كان من عادة الشعوب الجركسية الثلاثة * انه اذا أراد أحدهم معونة عسكرية، أرسل مجلسه الحربي وفدا عسكريا إلى زعماء (تحامدات) ذلك الشعب.

والشعب الذي يطلب منه المعونة كان يعقد فور وصول الوفد إليه، **اجتماعا شعبيا عاما** ليقرر ضرورة إرسال المعونة او عدمها، ومقدار ما يمكن ارساله منها، واذا قرر الشعب ارسال المعونة، هيأ جيشا وارسله تحت قيادة قائد مشهود له، ويسير هذا الجيش حتى يصل إلى موقع معين تجتمع فيه الجيوش التي أرسلتها الشعوب الأخرى. وعند ذلك يعقد قواد الجيوش المتعاونة مع زعمائهم مجلسا حربيا، يتشاورون فيه، ويقررون ما يجب عمله، وأحيانا كانت تعقد اجتماعات عامة، يشترك فيها ممثلو جميع الشعوب الشركسية المشاركة في مجلس الحرب اجتماعا فوق العادة، بهدف التفاهم على مسألة مهمة تخص جميع بلادهم، وتتناول مصالحها الحيوية مثل ازالة خلاف أو شجار وقع بين شعبين منهم ولا سيما الشجار من النوع الذي يستفحل أمره ويهدد بحدوث حرب اهلية.

وكانت اجتماعات كهذه نادرة، وكل قرار يتخذ فيها كان يعد بمثابة قانون، وعلى جيمع الجركس ان يعملوا بموجبه ويراعوه حق المراعاة، سواء كانوا من الشراكسة المشتبكين في الحرب مع الروس مباشرة او غير المشتبكين معهم.

* يقصد بالشعوب الشركسية الثلاثة هي شعوب الأديغة والابيخ والابخاز (الابازة).

الحقيقة الثانية: انتخاب القيادات العسكرية الميدانية انتخابا مباشراً من قبل ممثلي الشعوب الشركسية


تشاور قادة المجلس الحربي الشركسي
بعد انتخابهم من قبل المجلس الشعبي القومي

تشير بعض الوثائق بأن الشراكسة كانوا ينتخبون القادة العسكريين من الأشخاص الذين يتميزون بصفات القيادة الميدانية والقادرة على سرعة خطة معينة أو مرسومة يتبعونها، كما أنهم ما كانوا يتقيدون بقواعد خاصة معينة، بل كانوا يقتدون بقائدهم الذي كان يعتمد على خبرته وسرعة خاطره ويتمشى حسب مقتضيات الحالة والظروف المحيطة به. وكان هؤلاء القواد على جانب عظيم من المقدرة والشجاعة دون أن يعرفوا للحيطة او الحذر والاحتراس معنى (٣).

كما تشير الوثائق الروسية بأن كل مقاطعة شركسية كانت تنتخب نوابا عنها لتمثيلهم في الأجتماعات العامة، وكان يتم اختيار القادة العسكريين من هؤلاء النواب للقيام بأعمال حربية، وفي الأحوال الطارئة كان النواب ينتخبون قائدا عاما تعطى له صلاحيات واسعة ضمن منطقته القتالية. كما كان يتم فيها اختيار قائد عسكري لكل منطقة، ويلحق مع كل قائد عسكري منهم وحدة عسكرية ثابتة تتكون من حوالي (١٠٠) فارس، كما كان يتم تقديم أعداد اخرى من القوات لدعم هؤلاء القادة حسب قرار القائد العام، كما كان يوجد لدى بعض القادة الشراكسة قوة دائمة تصل احيانا إلى عدة آلاف، فمثلا كان لدى الامير الشركسي (اشاغواغوه بشيقوي) والمعروف بانتصاراته على القوات الروسية في شركسيا، قوة ثابتة مؤلفة من (٦٠٠٠) فارس وفي أوقات القتال الفعلي كانت هذه القوى تصل إلى (١٢٠٠٠) مقاتل شركسي.

الحقيقة الثالثة: ظهر من بين شراكسة الوطن الأم قادة عسكريون عظام، قادوا معارك عديدة وعلى مدى سنين حرب الإبادة والدمار الروسية.


جلسة تشاور بين ثلاثة من قادة الشراكسة
قبل تنفيذ إحدى الهجمات على الجيش الروسي الغزاة

ومن أبرز القادة العسكريين الذي اشتهروا بحنكتهم وبطولاتهم خلال حروب الابادة والدمار هم:

"**أشاغواغوه بشيقوي، الحاج حوزبيك، سلطان كورغوم، غيري، حاج محمد، حاود منصور، غيري شاميز، شيروخ دوغوظ، دزادزو محمد، دزادزو علي، دزادزو ناوروز، بشه ماف، حاتوقوه سيلمان، حاتوقوه كالابات، شارات حاميزَ، غيرا ندوقة حاج برزج، حاج دوقوم برزج، ينال أصلان غيري، إيدار نوغاي، أرداز زيبش.**

وكان من أكثرهم شهرة "**اشاغواغوه بشيقوي**"، حيث كان من أعظم القادة العسكريين في بلاد (الاديغة) وهزم قوات الجنرال "ويليا مينوف" عدة مرات، وكان دائما محط أنظار الشراكسة في الاجتماعات والمؤتمرات الشعبية، لأنه بجانب مهارته الحربية كان متحدثا كما كانوا يعتبرونه انه ولد ليقود الشعب، وفي منتصف شهر أيار من عام ١٨٣٨ سقط (أشاغواغوه بشيقوي) شهيدا في ساحة الشرف ونظم الشعب أغاني رثاء كثيرة إحياءً لذكراه.

ومن الشخصيات القيادية الكبيرة الشركسية أيضا "حاج حوزبيك" والذي كان يلقب (بأسد شركسيا)، وكان قائدا بارعا وكانت هجمات فرسانه في أعماق مؤخرة العدو لا يقل عن مهارة وبراعة وشجاعة من هجمات "حاج مراد" على جبهة الداغستان والشيشان، إلا أن المجد أحاط به بشكل خاص بعد معركة عنيفة جرت في عام ١٨٣٤ استطاع فيها ان يهزم بقوة صغيرة لم يتجاوز عددها عن (٧٠٠) فارس شركسي قوة روسية مؤلفة من (١٢٠٠) جندي، وكان عمره عندئذ (٦٠) عاما. (٤).

وكذلك فإن الزعيم (ارسلان يوقة) كان من أبرز قادة الأبزاخ الذين أوقعوا خسائر فادحة في صفوف قوات روسيا القيصرية **وهو الذي بعد استشهاده في إحدى المعارك أخرج الجنرال الروسي (زاس) جثته من القبر وشوهها وقطعها إربا انتقاما منه.**

وكان أصغر قائد لمع اسمه واصبح يشار إليه بالبنان وهو أمير (البظة – دوغ) الفتى (بشي قوي) الذي لم يبلغ الخامسة عشر من عمره، وقد توغل هذا الفتى بين صفوف الاعداء وأسقط قائدهم الجنرال (زاس) عن ظهر حصانه الذي أخذه غنيمة لنفسه. علما بأن هذا القائد (كما سبق ذكره) كان من اكثر قادة الروس العسكريين وحشية وهو الذي كان يلقب بالجنرال (شحه غوانة) ومعناه (ذو الرأس المثقوب) (٥) .

الحقيقة الرابعة: تفوق المقاتل الشركسي وتميزه بالشجاعة والرجولة:

يؤكد المؤرخون والقادة العسكريون الروس منهم والأجانب بأن الصفات الشخصية مثل (الشجاعة) التي تميز بها القادة والمقاتلون وعامة الشعب في مجتمعات الأمة الشركسية عامة، وخلال فترة حرب الإبادة خاصة، كانت من الأسباب المباشرة لقدرتهم للصمود امام وحشية قوات روسيا القيصرية ومواجهة المؤامرات السياسية والتخريب الاقتصادي والدسائس الدينية التي استخدمتها سلطات روسيا القيصرية لإبادة الامة الشركسية وتحقيق النصر عليها.

يقول أحد المؤرخين بأن (الاديغة) "لم يكن يمتازون بمقدرتهم الحربية فحسب، بل كانوا ايضا يفاخرون دوما ويتباهون بشجاعتهم ويزهون بأسلحتهم ورجولتهم إلى درجة لا حد لها، وكان كل من أظهر في الحرب جبنا أو خوفا أو فر من ساحة المعركة خشية الموت، نصيبه الاحتقار والازدراء، فكانوا يلبسونه قبعة قذرة ويُركبونه جوادا أجرباً ويعرضونه أمام الجماهير وهم يلاحقونه بالتصفيق استهزاء والتشهير به، ثم تفرض عليه غرامة بقيمة ثورين على الاقل".

واما الشجعان منهم فكانوا يحتلون الصفوف الامامية للجيش وهم الذين كانوا يهاجمون الاعداء بصورة مفاجئة ويشتتون صفوفهم في اول التحام وبأسرع ما يمكن.

وهكذا كانت الشجاعة تولد فيهم الطموح والاقدام والمغامرة، والاعتماد على النفس. وكانوا مع ذلك ذوي صدور رحبة وقلوب واسعة بعيدين عن الاهواء الشخصية غير مباهين إلا بشجاعتهم وانتصاراتهم في الحروب.

وكتب العالم المجري المختص بدراسة ثقافة الشعوب (جان شارل دي بس) في عام ١٨٢٩ بعد جولاته في بلاد الشراكسة قائلا:

"على الرغم من أن الشراكسة شعب شجاع ومقدام وصامد، إلا أن الاوروبيين يعرفون القليل عنهم، لذلك لن يكون من قبيل الإطالة إضافة بعض الملاحظات عن صفات هذا الشعب وهذا ما سأفعله... واستطرد قائلا:

"... لقد ذكر (السلافي) من الكتاب والرحالة ان كلمة (شركسي) مأخوذة من مقطعين من اللغة التترية.. فالمقطع الاول يعني (طريقا) والمقطع الثاني قاطعا.. ولكنهم لم يفكروا أن يأخذوا معنى الكلمة من الصفات الحقيقية للشخصية الشركسية.

وأردف قائلا:

"يجب الانتباه إلى معنى مقطعي الكلمة باللغة الفارسية هو: (ذات شخصية ورجولة فائقة او محارب شرس) ومن هنا نستنتج أن الفرس هم من أعطوا التسمية الصحيحة للشراكسة (٨)".

ويقول المستر (بل) عن احد القادة الشراكسة الأبطال في معركة من المعارك غير المتكافئة عددا وعدة وهو النبيل (آسلان بك) بعد أن تعطل بندقيته صاح ساحبا سيفه: **يا الهي أعرف بأنني عاجلا أم آجلا سوف أموت، فهبني الآن هذا الموت، وهجم على العدو يتبعه أخوه فاستشهدا دفاعا عن الوطن والشرف**(٩).

وعندما طلب رسل (الاوار) خضوع الشراكسة لسلطته ودفع الجزية لهم، كان جواب الامير (لادوستان) ذلك الفارس الآنتي الشهير: "**سوف لا نخضع لأحد ولا ندفع أية جزية ما دامت سيوفنا بأيدينا وأبطالنا الشجعان على قيد الحياة**)(٩).

وأما القس الايطالي الدومينيكي (جوفاني لوكا) الذي قام بمهمة تبشيرية في بلاد القرم في القرن الثامن عشر وكتب كتاباً عن حياة الشراكسة قال فيه:

"**... وفي تلك الغابات كان واحد من (الاديغا) يجبر عشرين تتريا على الفرار من أمامه**" .

كما قال (انتريانو) الرحالة الجغرافي الإيطالي والمختص في دراسة تاريخ الشعوب بأن "حفنة من (الاديغا) تجبر حشدا كاملا من الغجر/ القوزاق على الفرار .. فهم أكثر براعة وأجود تسليحا، وأن خيولهم أكثر جودة... ويمتازون بشجاعة كبيرة". (١٠)

وكتب (كارل ماركس) مقالة له نشرت في جريدة نيويورك تايمز الامريكية آنذاك إذ قال: أيها العالم، ايتها الإنسانية تعلموا معنى الحرية من الشراكسة، وانظروا ماذا يستطيع شعب يطلب الحرية ان يعمل، وشاهدوا البطولات التي قدمها هذا الشعب مع قلة قدراته، من أجل الحفاظ على حريته، فعليكم أن تأخذوا العبر منهم (١٣).

كما كتب (كارل ماركس) مقالته الصادرة في ايلول عام ١٨٤٧ والموجهة إلى قراء جريدة (المجلة الشيوعية) الناطقة باسم اتحاد الشيوعيين:

"**خذوا العبر من بطولات وتضحيات الشراكسة في حربهم ضد قوات القياصرة. إنها بطولات خارقة**" (١٣).

والكاتب الجركسي (يحيى حالوق بك) في الجريدة الجركسية (غوازه) التي كانت تصدر باللغة الشركسية وصف الحياة الشركسية الحربية وصفا دقيقا، وأسهب في وصفه شجاعة الشراكسة واقدامهم وعن تربيتهم القومية المؤسسة على تلك الصفات العسكرية، وشبههم من تلك الناحية لشعب (أثينة واسبارطة) من شعوب (اليونان القديمة) قائلا: إذا جلسنا إلى شيوخ الشراكسة المسنين وسمعنا حكايات وتفاصيل الحروب والوقائع التي حضروها وخاضوا غمارها، نسمع منهم ما هو مدون عن أسبارطة اليونانية وحروبها تماما، مع أنهم قوم لا يعرفون أسبارطة ولم يسمعوا عنها شيئا، فمن هنا نستنتج بأن التقاليد والصفات الحربية عند الأمتين الشركسية واليونانية القديمة كانت واحدة ومتفقة تمام الاتفاق حتى في التفصيلات الدقيقة.

كما ذكر أحد مؤلفي (نبذة عن أخلاق القفقاس) قال: الآن وبعد أن هدأت وطأة الحرب، وأصبحت سلطتنا في القفقاس كاملة وقوية، نستطيع أن نعبر عن دهشتنا لبطولة وشجاعة (العدو المهزوم) (ويقصد بهم الشراكسة)، حيث دافعوا بشرف عن وطنهم وحريتهم حتى استنفدوا كل قواهم.

كما وصف مؤرخ آخر وهو (جون بادلي) في كتابه المعروف (احتلال القوقاس) حروب الشراكسة قائلا:

إن هذه الحروب، التي هي حروب البطولة، لها كل الحق في أن تسترعي انتباه الدولة البريطانية، ولا شك أن تلك الأمم القوقازية الذين دافعوا عن حريتهم وتقاليدهم ومعتقداتهم، والذين دافعوا في الوقت نفسه، عن سلامة البريطانيين في الهند، دون أن يعرفوا ذلك هم انفسهم [٤٦].

لقد علمت حرب القوقاس الروس معنى البطولة والشجاعة، وصار الكثير منهم يهجر بلاده ويأتي إلى البلاد القوقازية بغية احراز الشهرة عن طريق المغامرة، والقيام بأعمال البطولة، ومنهم الشاعر المعروف (بستوشف) الذي فر من (منفاه) في سيبريا وأتى ليحارب في بلاد القوقاز ويحرز الشهرة، ثم يموت في القوقاز، وكذلك الشاعر (لرمونتوف)، فقد خبر القوقاز وتعرف على أهلها وأعجب بها، وكتب عنها الكثير، منها كتاب (بطل الزمان) وغيره [٤٧].

واما تولستوي، الذي قال بأنه أنتقل من حياة السآمة والضجر والترف التي كانت تحيط به في روسيا... وقرر مجيئه إلى القوقاز ليرى ضروبا من أعمال البطولة الخالدة والشهامة التي قام بها القوقازيون عامة والشراكسة خاصة[٤٨].

وكان من أكبر الكبائر عند الشراكسة هو أن يوصف رجلٌ شركسي (بالجبن) في أي موقف من مواقف الحياة عامة، وفي الحروب خاصة، وإذا ما زاره بعض الأقرباء تمنوا له زوال هذا العار بقولهم له: (بيض الله وجه زوجتك) وكانت الوسيلة الوحيدة لمحو هذا العار هو الخروج للحرب والجهاد ومقاتلة الاعداء والاستبسال أو الموت في الحرب، وأما المقاتلون والمجاهدون الشجعان الذين كانوا يبلون بلاءً حسنا في قتالهم للاعداء، أو قيامهم بعمل خارق، او يظهرون شجاعة نادرة في سبيل قومهم ووطنهم على مر الأيام والسنين، فكان الشعراء ينظمون في حقهم الأشعار، ويتغنون بشجاعتهم وتذكرهم النساء والفتيات في أغانيهن، وتُرفع من مرتبة عائلاتهم وتكون زوجاتهم موضع احترام الجميع في المجتمعات الشركسية عامة [٦].

وربما كان خير من عبر عن شجاعة واستعداد الشركسي للتضحية بنفسه دفاعا عن (الأرض والعرض) وحتى آخر نقطة دم يجري في عروقه هو الروائي ميخائيل لاخفنتسكي في روايته (دوي الرعد) – حيث جاء على لسان (آجوق) عندما قرر اهالي قرية من قرى الشابسغ، وربما كانت آخر قرية لديهم للدفاع عنها حتى آخر قطرة من دمائهم، وهم يعلمون أن لا قبل لهم بالجيش الروسي الذي يهيّئ لاقتحام القرية وقال: **إذا ركع الانسان مرة واحدة فمن السهل ان يتعود على الزحف أنا لا اعرف إلا حقيقة واحدة وهي "على الانسان ان يدافع عن بيته، والشعب عن ارضه وهكذا الأمر سيكون إلى الأبد".**

وخير ما يمكن أن نختتم به وصفنا للمواقف الشجاعة او المواقف الجريئة للمقاتلين الشراكسة التي شهد لها الأعداء قبل الأصدقاء هو ذكر المواقف التالية:

الموقف الاول:

كتب "ميليوتين" يقول: في السنوات الأخيرة من الحرب في القفقاس كان علينا حشد قوات كبيرة جدا وصلت إلى (١٧٢) كتيبة مشاة نظامية و (١٣) كتيبة مشاة غير نظامية و (٢٠) كتيبة خيالة و (٥٢) فوجاً وخمسة كتائب خيالة غير نظامية و (٢٤٢) مدفع ميدان، بلغت تكاليفها السنوية حوالي (٣٠) مليون روبل من أجل أن نتمكن من تحقيق النصر على المقاتلين الشراكسة قليلي العدد والعتاد الذين كانوا يقاتلون بشراسة وشجاعة*

الموقف الثاني:

كتب "تشيرنيشيفكسي" عندما علم بتوقف الحرب في بعض مناطق القفقاس قائلاً: "لن تبتلع القفقاس بعد الآن (٢٥٠٠٠) جندي روسي كل سنة".*

الموقف الثالث:

---

* الوثائق الروسية حول إبادة الشراكسة كما هو وارد في كتاب علي حسن قاسوم (إبادة الشراكسة ص: ١٠٢.
* المصدر نفسه.

كتب احد جنرالات الروس وهو (يرملوف) من ابيات شعر يصف فيها شجاعة المقاتلين الشراكسة بقوله:

"ستمضي السنون، وتتغير الاعمال والأفعال رويدا رويدا، سيهدأ القفقاس بلد الشركس إذا جاز لنا قول الحق، فليس هناك مكان خلي من الرجولة الحقة، ولا سيل من الدماء الغزيرة وسيأتي يوم تظهر فيه الحقيقة على يدي كاتب ليكتب عن هذه الحرب وعن دفاع الشركس عن أرضه ووطنه بكل شجاعة وإخلاص.

وعبر عن رأيه هذا بالأبيات التالية:

ستمضي السنون وتتغير الأعمال والأفعال

رويدا رويدا سيهدأ القفقاس بلد الشركس

إذا جاز لنا قول الحق فليس هناك مكان خلي

من الرجولة الحقة ولا سيل من الدماء الغزيرة

سيأتي يوما ما (كاتب) الذي تظهر الحقيقة على يديه

وسيكتب عن هذه الحرب كيف دافع الشركس عن أرضه

ووطنه بكل شجاعة وإخلاص

الحقيقة الخامسة:

تشير الوثائق الروسية منها والانجليزية بأن الأمراء والنبلاء وأعيان وأحرار الشراكسة كانوا دوما في طليعة المقاتلين وأن الفلاحين والتابعين (بشل) والخدم (ونه أوت) كانوا يقومون بتقديم الخدمات للمقاتلين ولا يشاركون في القتال.

بالرجوع إلى وقائع وأحداث حروب أجداد الشراكسة في حربهم ضد (القوط)، توصلنا بأن (٨٠) اميرا ونبيلا وقائدا منهم الأبناء الثمانية للأمير (داو) قتلوا في إحدى معاركهم مع الجيش القوطي[١١].

ويقول (مستر بل) بأن أكثر المقاتلين الشراكسة الذين شاركوا في معركة ضد قوة عسكرية روسية قيصيرية مؤلفة من (١٢) الف مقاتل مجهزين بالآلات الحديثة والمدافع، استشهد منهم (٥٠) شخصاً من الشخصيات الشركسية البارزة من أمراء ونبلاء وقادة [١٢].

الحقيقة السادسة:

إن فنون القتال، والأساليب العسكرية والتكتيكات الحربية التي استخدمها المقاتلون الشراكسة في دفاعهم عن الوطن الأم خلال حروب الإبادة عامة وحروب الدمار الروسية الخاصة، هي فنون وأساليب قتالية لم يكن يعرفها غير القوقازيين عامة والشراكسة خاصة، ونستدل على ذلك مما جاء في وثائق الارشيف الروسي ومن أقوال المؤرخين والجنرالات الروسية نقتبس منها أقوال كل من:

* **اقوال الجنرال** (ف. ب. فيليباخوف) الذي خص قسما من كتابه للتحدث عن الأساليب القتالية للقبرطاي بقوله: "لم يبق بعيدا عن هذا التأثير حتى السكان الروس من القفقاس، وكان أول من تأثر بالقبرطاي قوزاق نهر تيرك الذين عاشوا بجوارهم، كما عاش بينهم العديد من مهاجري القبرطاي، وكان أول مظاهر التأثير هو تقليدهم لملابسهم والزي التقليدي الذي استعاره القوزاق عفويا من القبرطاي وأصبح فيما بعد زيا رسميا وتقليديا بالنسبة لقوات منطقتي (تيرك وكوبان)، وذلك لمناسبته للقتال هناك"[١٤].

وكتب م. ارنولدي:

".. إن قوزاقنا في القفقاس الذين اعتمدوا اساليب (الجبليين) في القتال لوجودهم في الظروف القتالية نفسها مع جيرانهم الشراكسة، لم يتخلفوا عنهم في الاستعداد القتالي أو العتاد العسكري، وقد وصل التباهي بالجياد والملابس والأسلحة عند القوزاق حدا فاقوا به الشراكسة انفسهم".

"فإضافة إلى الزي أخذ القوزاق عن الجبليين تسلحهم، وتخلوا عن الرماح الطويلة المجردة جانبا، واصبحت القامات والخناجر المدسوسة في أغمادها الناعمة، والتي لا تصدر صوتا عند استلالها، هي السلاح المفضل لديهم". (١٦)

وكتب آ. ن بيليايف في كتابه (عن الآلام والأحاسيس):

"لقد استعمل قوزاق القفقاس خيول (كاباردیا) بالدرجة الأولى، حيث كانت تعتبر من أجود خيول القفقاس، وأصبحوا يمتطون الخيول على طريقة الجبليين تماما حتى كان يصعب تمييز فرسان (قوزاق) منطقتي (التيرك كوبان) عن فرسان القبرطاي(١٦).

وتابع الجنرلات الروس اعترافهم وإقرارهم بعدم صلاحية العديد من الأساليب القتالية المعتمدة لديهم نتيجة خبرتهم في حروبهم الأوروبية، وخاصة مبادئ قيادة المعركة القتالية، وتطلب الأمر وضع تكتيك جديد كليا لا يمت بصلة إلى التكتيكات الروسية المعقدة للغاية، وبشكل تلقائي نسي الجندي الروسي في القفقاس نظامه الرسمي الأساسي، وأخذ يتعلم أساليب ودقة وفن قتال (الجبليين) الشراكسة.

ويمكن ذكر العديد من الأمثلة حول هذا الموضوع، وكيف أن الجيش الروسي الذي كان واحدا من أقوى جيوش العالم آنذاك اضطر لأخذ بعض خبراته القتالية من الخبرات التي كان يتمتع بها المقاتلون الشراكسة (١٧).

وفيما يلي نماذج من الفنون القتالية والأساليب العسكرية، والتكتيكات الحربية التي استخدمها المقاتلون الشراكسة في حروب الإبادة والدمار التي شنتها سلطات روسيا القيصرية على الشعوب القوقازية عامة والأمة الشركسية خاصة.

النموذج الأول: سرعة التعبئة العسكرية لدى الأمة الشركسية.

عند حصول القادة والزعماء على معلومات حول احتمال حدوث معركة أو شن هجوم كبير كان الأسلوب المتبع في تعبئة السكان وحشد المقاتلين من داخل القبيلة ومن القبائل الأخرى هو على النحو التالي:

انتخاب عدد من الزعماء (تحمادات) ويشكلون المجلس الحربي لتلك المنطقة، واذا اشتركت مناطق اخرى مجاورة في الحرب ينتخب قائد عام عن كل مئة (عزبة)، ويوضع تحت إمرته قائدين مساعدين، الأول للفرسان والثاني للمشاة، ويصدر هذا القائد العام الأوامر التي يراها ضرورية، وعلى المحاربين تنفيذ ما يصدر إليهم من الأوامر، فإذا رفض أحدهم الامتثال لأوامره او تأخر عن أداء واجبه، كان جزاؤه تجريده من السلاح بصورة دائمة وعزله.

وما ان تصل الوفود إلى المناطق المجاورة لطالب النجدة، حتى يجتمع زعماء القبائل ليقرروا ما إذا كان من المناسب أو الضروري إرسال النجدة أم لا؟ وإذا قرروا إنجاد اخوانهم المهددين، كانوا يفرضون على كل عزبة أو قرية تهيئة عدد من المقاتلين تتراوح بين العشرة والخمسين مقاتلاً، وكان على الأغنياء منهم أن يساعدوا الفقراء في شراء الأسلحة والمؤن اللازمة، وكان يترتب على كل محارب أن يصطحب معه الذخيرة والقوت الكافي لمدة (عشرين يوما) على الأقل.

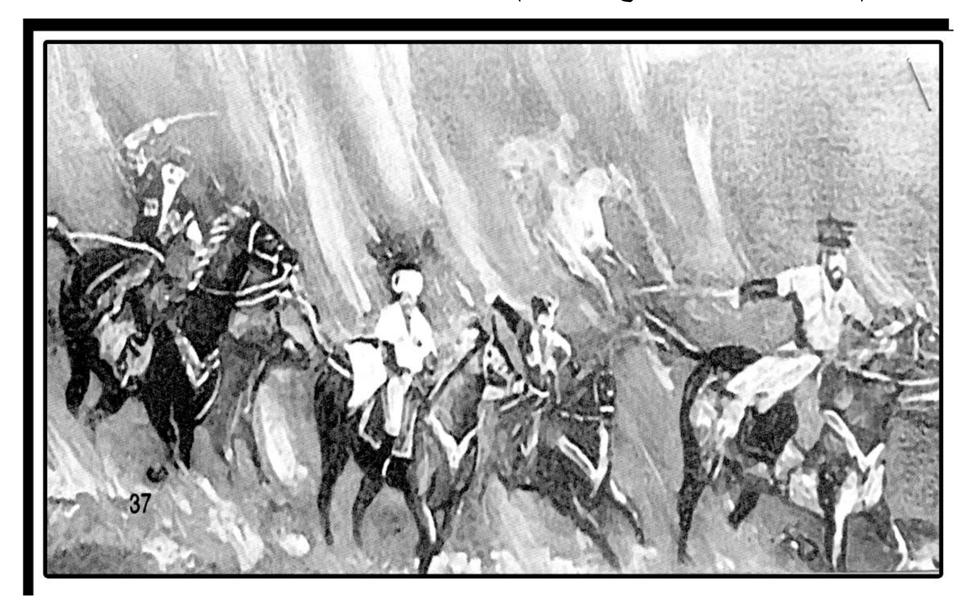
فإذا اجتمع المحاربون على هذه الصورة واكتمل عددهم، احتشدوا في موقع معين، ويعقد زعماء القبائل والعشائر المشاركة اجتماعا عاما، باتخاذ مقاعدهم ومجالسهم مع من معهم من القضاة والائمة في منتصف الدائرة التي يضربها المحاربون حولهم. والصفوف الامامية منها كان يؤلفها المشاة، ومن ورائهم الفرسان، ثم ينتخب من بين الزعماء القائد الاعلى للجيوش المحاربة من الذين

يتصفون بصفات القيادة الفذة، كالشجاعة، والفطنة، والحذر، وما إلى ذلك من المزايا العالية، ولا يشترط ان يكون مسنا، ولكن كان من الضروري ان يكون ذا خبرة ومهارة واطلاع واسع على الامور الحربية، وحائزا على ثقة الشعب من حيث التمتع بالصدق والامانة والنزاهة التامة(٥).

التكتيكات التي كان يستخدمها الشراكسة في احتلال القلاع العسكرية:

استخدم الشراكسة في هجومهم على الحصن (شه بسون) الواقع على ساحل البحر الاسود بقيادة الاخوين (علي زازي) و (محمد زازي)، وبمشاركة ما لا يقل عن عشرة آلاف مقاتل، أكثرهم من قبيلة (الشابسوغ) استخدموا تكتيكات حربية ناجحة، مكنتهم من الاستيلاء على الحصن المذكور وتدميره نهائيا، وملخصها حسب ما رواها احد شهود العيان الذين اشتركوا بالحملة ورجع منها سالما، واسمه (يوسف توزى اوق) من اهل (نجه بسوخ) بقوله:

"تحرك الركب من القاعدة الحربية في (قوبات) القريبة من (شه بسون) بعد الغروب بقيادة الاخوين المذكورين اللذين انتخبهما المجلس الحربي قائدين للحملة، والطليعة كان يؤلفها أشجع الشبان تحت رئاسة (زاقو) من اسرة (شابته). ثم قسما المشاركين بالحملة إلى ثماني فرق، ولكل منها قائدها، وسرنا حتى اقتربنا من الحصن، وتهيأنا للهجوم بعد أن أقسم كل منا ذلك القسم الشركسي الرهيب الذي ينص على (إما أن يموت أو يرجع منتصرا) (٥).



أنواع الهجوم وأساليبه عند المقاتلين الشراكسة

تتكون خطة الهجوم عند الشراكسة من نوعين: **النوع الأول:** وهو الهجوم الذي يستهدف عرقلة قوات العدو المهاجمة او المتمركزة في احد المواقع الحصينة، واجباره على الانسحاب، او العدول عن غايته وهدفه، بمهاجمة مؤخرته او جوانبه وتخريب طرق مواصلاته، أو قطع خط رجعته، وإرهاقه قدر المستطاع بكل الوسائل الممكنة.

وفي هذه الحالة كانت تعطى للمحاربين الحرية التامة في أن يختاروا الطريقة التي يستحسنونها والتي تمكنهم من إلحاق أكبر خسارة ممكنة بالعدو، وكان لهم الخيار بين ان يهاجموهم بقوات صغيرة ومتفرقة، او يستدرجوا العدو ويمنعونهم من التقدم.

والنوع الثاني، وكان يتمثل بالهجوم الذي يستهدف مواجهة العدو مباشرة مهما كان عدده وقوته، سواء أكان ذلك في الحصون أو القلاع أو في ميادين المعارك المكشوفة.

وهذا النوع من الهجوم كان لا يقرر القيام به إلا في أحوال نادرة وظروف فوق العادة لشدته وخطورته وما يتطلبه من تضحيات بالرجال والاموال والعتاد.

كما كان من أساليب الهجوم عند الشراكسة، هو بدأ الهجوم في منتصف الليل حيث كان يتحرك جزء صغير من المشاة المؤلف من الخبراء في الطرق وبطبيعة الأرض إلى الامام. وكان يؤمن الاتصال بين كتلة المشاة الكبيرة وهذه الطليعة كان ترافقه بعض وحدات صغيرة من الحرس. وأما الجوانب فكانت تحميها الدوريات المختلفة، ثم يتبعهم جيش كبير يعد بالآلاف أحيانا، بكل خفة وسرعة دون إحداث ضجيج أو قرقعة تحت جنح الظلام، ومما كان يساعد على ذلك، لبسهم القاتم، وخفة أحذيتهم، ورشاقة حركاتهم، وكون أسلحتهم في محافظها الجلدية.

نظام الحراسة والدوريات والكشافة ومهامها عند المقاتلين الشراكسة

كان يتمثل نظام الحراسة بقيام كل فئة أو جماعة انتخاب عشرة من الرجال ليبقوا دوما بحراسة حدودهم، وإذا باغتهم العدو نبه هؤلاء الحراس الأهلين بصيحة شديدة*، وأطلقوا النار من بنادقهم مرارا إشارة لقدوم الأعداء.

وكان من النادر جدا أن يتمكن العدو من تضليل الحراس ومباغتة الآهلين في البلدان والقرى المجاورة لحدودهم، وإذا حصل شيء من ذلك، فكان ذلك (بمساعدة الجواسيس والخونة).

يقول أحد المؤرخين الشراكسة: إن الشراكسة الذين كانوا قد تعودوا الحروب الدائمة، أصبح نومهم خفيفا كنوم الأرانب، فلا تكاد صيحة الحراس تدوي في بلدة أو قرية حتى ترى جميع سكانها متأهبين ومستعدين للحرب بأسرع من لمح البصر".

ولا نكون من المغالين إذا قلنا أنه لا يستطيع الجنود المدربون في أية ثكنة عسكرية أن ينهضوا أو يستعدوا بالسرعة التي كان ينهض فيها سكان أي بلدة أو قرية شركسية. وفي أحوال كهذه كان ينطلق الفرسان منهم والمشاة انطلاقة رجل واحد، ويندفعون نحو الطريق الذي يمكن أن يسلكه العدو في هجومه ليبدأوا معه معركة الموت أو الحياة، دفاعا عن أوطانهم وأولادهم، غير مبالين بكثرة الأعداء وقوتهم.

كما كانت الدوريات المؤلفة من الفرسان تحوم حول جيش المشاة أثناء سيره، وتتبعه في المعارك، وتقوم بمهمة حفظ مؤخرة الجيش وحمايته في حالة الانسحاب ونقل القتلى والجرحى من ميادين القتال إلى ذويهم.

وأما في السهول فكان نقل الجرحى والقتلى يتم على المركبات والعربات التي تجرها الثيران(٥).

واما الكشافة المكلفين بمهام استكشافية فكانوا ينفصلون عند اقتراب الجيش من العدو، عن بعض أجزاء الطليعة ثم يزحف بعض أفرادها بكل حذر، ويقتربون من الأهداف المراد مهاجمتها، ويستكشفون المناطق المحيطة بها، ويراقبون حركات حرس العدو ليعرفوا فيما إذا كان معسكر العدو هادئاً أم فيه حركات غير اعتيادية.

وجرت العادة أن يستخدم المقاتلون من (الكشافين) والقادة الشراكسة بعض الاصطلاحات السرية للتفاهم فيما بينهم، منها تقليد أصوات بعض الحيوانات البرية مثل: البوم أو البط البري أو الذئب.

كما أتقن المقاتلون الشراكسة أساليب (تتبع الأثر)، والتحرك بمجموعات صغيرة، وتنفيذ الاستكشاف بخفة، بحيث لم يكن بإمكان أي من الجيوش النظامية القيام به، ونقل القوزاق والجيش الروسي هذه المهارات واستخدمها القادة الروس في مختلف معاركهم، وتدريجيا وبشكل أو بآخر بدأ الجيش النظامي الروسي يقلد المقاتلين الشراكسة فيها.

* ذكر شوكت المفتي نقلا عن وثائق ألمانية بأن كثيرا من الجنود الروس الذين قضوا شطرا من حياتهم في القوقاز وشبوا على الحرب مع الشركس، أفادوا ان تلك الصيحة الداوية التي كان يردد صداها كل واد وكل جبل، ويسمع في الاحراج والغابات كانت أشد تأثيرا عليهم من ازيز الرصاص والقنابل، اذ كانت تبعث في قلوبهم الرعب.

وكذلك فإن المقاتلين الشراكسة كانوا يمتازون على غيرهم بمواهب شتى، منها القدرة على الحرب في الجبال العالية والمضايق، ومنها أيضا سرعة السير والحركة في المواقع التي يصعب المرور فيها، والمرابطة في الأحراج والأدغال الكثيفة وغيرها.

كما تميزوا بطريقة بدء هجومهم بمداهمة أعدائهم ومفاجأتهم فلهذا كانوا يسيرون ليلا ويهجمون فجرا ويأخذون العدو على غرة، ويشترك المشاة مع الخيالة في مثل هذا الهجوم (١٩).

وتشير الوثائق الروسية بأن قوة مقاومة الشراكسة كانت تكمن في قدرتهم على مهاجمتهم بشكل مفاجئ على الحاميات الروسية، وفي التغلغل السريع في مؤخرة الخطوط الأمامية الروسية، وفي مباغتتهم للطوابير الروسية على الطرق، وبعبارة أخرى، كان الشراكسة أخف وأكثر قدرة على الحركة من الروس وهي ميزات قتالية ميّزت الشراكسة المقاتلين عن جنود الروس الذين كانوا يتحركون ببطء.

كما تشير اعترافات الجنرالات الروس إلى قدرة وتمكن (القفقاسيين) من الحرب الجبلية، ومنهم الجنرال "يرمولوف" الذي يقول: "القفقاس هي قلعة يحرسها نصف مليون حامية"، كما كتب المؤرخ الروسي "بوتو": "كان الخيالة الشراكسة يحبون العمل في السهول المفتوحة والهجوم بالسلاح الأبيض، وعندما كانوا يرون أن فيهم ضعفا كانوا يتراجعون إلى المخابئ ويقابلوننا فقط من الجوانب أو من المؤخرة، وكان الشراكسة يتقنون استخدام التضاريس بشكل جيد، بحيث كانوا يقابلون القوات الروسية المهاجمة بالنار من فوق الأشجار والصخور".

كما تؤكد الوثائق الروسية بأن (الاديغة) استخدموا في صراعهم مع القوات الروسية تكتيك حرب العصابات الجبلية (المعركة الموزعة، المفاجأة، الغزوات.. الخ)، بالإضافة لذلك قام (الأديغة) بأعمال هجومية واسعة بالهجوم المباشر على التحصينات والقلاع الروسية مع استخدام المدفعية التي بدأوا استخدامها مؤخرا في معاركهم (٢١).

وفي تاريخ ١٨٣٩/٧/٦ كتب الأمير (ياكوف) إلى الأمير (يشينكو) قائلا:

"ان القيادة الروسية اقتنعت بأن الشراكسة ينوون الدفاع عن أرضهم بأرواحهم وهكذا ففي أثناء انتقال القوة الروسية من (غيلينجيك) إلى (بشادة) لم يتوقف إطلاق النار من قبل الشراكسة الذين كانوا يعملون الكمائن المسبقة بمجموعات صغيرة ويظهرون فجأة أمام كل الحصون ولمدة قصيرة ويهاجمون، ففي حصن (ميخانيلوفسكي) قتلوا ضابطا بالسيف وجرحوا أربعة جنود، وفي حصن (تينغينسكي) جرحوا قائدا عسكريا وثلاثة جنود وفي حصن (مينوفسكي) جرحوا خمسة اشخاص وكان كل ذلك يتم قرب الحصن وفي ساعة الصباح عند فترة تحية العلم، وفي (سوباشي) قرب إحدى الغابات قتل وجرح حوالي (٥٠) شخصا، وبشكل عام فإن الشراكسة يحاربون هناك بشجاعة فائقة، وأعتقد ان هزيمة الجنرال "سيمبارسكي" في العام الماضي قرب (سوتشي) زاد في شجاعة الشراكسة"(٢٢).

ويعترف الجنرال (ويليا مينوف) الذي قاد معركة على رأس (٦٠٠٠) جندي وبمساندة (٢٨) مدفعا و (٢٠٠٠) من المشاة القوزاق و (٦٠٠) رجل مدفعية في ربيع عام ١٨٣٩ قائلا: "ان المقاتلين الشراكسة كانوا يزحفون كالثعابين، ويهجمون على رماتنا بالسيوف، ويخرجون من الغابة بالحراب، وتطلق عليهم مدفعيتنا طلقاتها، وكنا نتقدم على طرقهم فوق جثثهم الدامية، وكنا نرى القتلى في كل مكان، وكانت الجبال تدوي بأصوات إطلاق النار وأصوات المعارك، وكانت كل الشعاب مليئة بالدخان وألسنة النيران التي أشعلها العدو في الأعشاب، وكانت جهنم فعلا على الأرض، قضينا الليلة عند نقطة التقاء نهر (آبين) مع نهر (اتاكفاف)".

ويستطرد قائلا: "كان اليومان الماضيان صعبين إلا أن الفجر كان يقول إن ما مضى كان نزهة بالمقارنة مع ما ينتظرنا، كانت ممرات الخيل التي غالبا ما تقطع مجاري القتال تضيع في الغابة، كانت الصخور الضخمة التي تنمو عليها الاشواك والتي تنحدر منها المياه ليست فقط مانعا للحرب بل كانت مصائد من اليمين واليسار مليئة بالرجال الشراكسة الجاهزين للموت لمنع الروس من التقدم، كان صوت الرصاص يدوي وكنا نتقدم ببطء ونحن نكسب كل خطوة بالقتال وبسلاح

متماثل؛ لأن مدفعيتنا لم تكن لتفيد في هذه الأوضاع، سالت الدماء من الطرفين وزاد عنف الشراكسة وشجاعة الروس، جرح كثيرين من الجنود بالحجارة والسهام، كان هذا اليوم صعبا على الجبليين ولم يكن انتصارنا سهلا، بعد يومين دخلنا الجبال ثانية وتحت وابل من الرصاص" (٢٣).

الحقيقة السابعة:

استطاع المقاتلون الشراكسة وبأسلحة شخصية متواضعة في بداية حرب الإبادة والدمار الروسية، مقاومة جيوش روسيا القيصرية المسلحة بأسلحة ثقيلة أكثر من ١٥٠ عاما.

وأكدت الوثائق الروسية هذه الحقيقة، كما أكدها جنرالات روسيا الذين حاربوا الشراكسة، كما ذكرها بعض المؤرخين والباحثين الأجانب بأن اهم الاسلحة التي استخدمها المقاتلون الشراكسة في حروبهم قديما وحديثا كانت تتمثل بالأسلحة التالية:

* **استخدم الشراكسة في حروبهم قديما السيوف والرماح والاقواس والهراوات** والدروع والاتراس الثقيلة والفؤوس، كما استعملوا انواع الاقواس والنبال التي تحدث اصواتا هائلة يرعبون بها الاعداء وتجد تفاصيل كل ذلك في أغانيهم القومية.
* **وفي عصور لاحقة وعندما ظهرت الأسلحة النارية برع فيها الشراكسة براعة فائقة** وعرف عنهم أنهم يصيبون المرمى بالبندقية والمسدس وهم على متون جيادهم ويلاحظ بأن الجيوب الاسطوانية الصغيرة التي تراها على صدور ملابسهم الوطنية كانت مخصصة في الماضي لوضع الطلقات في كل منها تسهيلا لاستعمالها وقت اللزوم (فشيك) وهي تسعة جيوب من كل ناحية من الصدر.
* **كان الشراكسة يصنعون اسلحتهم الهجومية بأنفسهم** في إتقان ودقة متناهية وهم مشهورون جدا بعمل السيوف الحادة والقامات المصقولة والمنقوش عليها بالذهب والفضة.
* **الأسلحة النارية:** فكانوا يحصلون على أنواعها الجيدة من روسيا نفسها ومن البلاد العثمانية، وكانت تصلهم أيضا من انكلترا عن طريق البحر. وأما أكثر الأسلحة استخداماً هي التي كان يحصل عليها المقاتلون الشراكسة كغنائم من الجيش الروسي.
* **البارود:** فكانوا يصنعون نوعا منه في بلادهم ويستوردون أنواعا أخرى من الخارج، وكذلك الرصاص الذي كان يحصلون عليها من انكلترا وغيرها من البلاد الأوروبية بصعوبة.
* **المدافع،** حصلوا عليها بمساعدة بعض تجار الانكليز، ولكنهم لم يوفقوا للانتفاع بها إلا في المراحل الأخيرة من الحروب. وتذكر الوثائق بأن الثري الانكليزي (لونج وورث) قدم مساعدة عظيمة للشراكسة مجانا في عام ١٨٣٦ تضمنت مدافع وذخائر حربية كثيرة (٢٦).

وأشار (قاسوم) بأن "كل شركسي كان مسلحا ببندقية وسيف كبير معلق على خاصرته، وفوق ذلك خنجر عريض (قامة) ومسدس، وكل هذه الأسلحة كانت مطعمة بالفضة، والشركسي لا يخطو خطوة واحدة بدون سلاحه، فهو يأكل وينام ويعمل في كل مكان وهو مسلح، ولهذا فقد تعودوا على حمل الأسلحة معهم دائما، ولا يزعجهم كثرة ثقل الأسلحة التي يحملونها بشكل دائم" (٢٧).



الأسلحة الشخصية التي استخدمها الشراكسة في حربهم ضد قوات روسيا القيصرية كما استخدموا المدافع في السنوات الأخيرة من حربهم ضد الغزاة الروس

وذكر أحد الجنود وحدة روسية عاملة في مناطق ما وراء (الكوبان) قائلا (... يا للفرحة لقد وصلنا إلى (غلينجيك) على البحر الأسود وبعد أن شققنا طريقنا بالحراب من نهر الكوبان إلى ساحل البحر الأسود عبر شعاب غير قابلة للاحتراق. وسلاسل جبال عالية تحت سيل من الرصاص والسهام والحجارة... وجرح كثير من الجنود بالحجارة والسهام.. لأن مدفعيتنا لم تكن لتفيد في مثل هذه المواقع [٢٧].

وأما بالنسبة للآليات والنقليات العسكرية فإن الوثائق تشير بأن المقاتلين الشراكسة لم يكن يملكون عربة مدرعة او مصفحة واحدة وانهم لم يستخدموا عربات النقل (السيارات) ولم يستخدموا سوى الخيل والعربات التي تجرها الثيران في بعض الأحيان، وأن تشكيلات قواتهم الحربية كانت تتكون من الخيالة والمشاة فقط.

كما تشير بأن قوى الجراكسة الحربية كانت تتألف من الخيالة والمشاة فقط، ووظيفة الخيالة التعرض والهجوم، أما المشاة فكانوا مكلفين بالاستيلاء على الاستحكامات وسوق الأسرى والغنائم.

كما أشار أحد الجنرالات الروس بأن (الاديغة) لم يكن لديهم جيش واحد بقيادة واحدة، بل كان على شكل فصائل متفرقة بعدد من (٥٠٠) إلى (٦٠٠) مقاتل بقيادة أمير أو نبيل أو كبير في السن، وفي حالات الخطر العام التي كان يتعرض لها (الاديغة) كانوا يستطيعون جمع جيش بقوام (٢٥٠٠٠) نصفهم خيالة [٢٨].

أما التشكيلات والوحدات الشركسية المقاتلة التي كان يقودها (محمد أمين) نائب الشيخ (شامل) في مناطق ما وراء الكوبان فكانت تتكون من وحدات مسلحة من الخيالة، ومجموع الوحدات كانت تشكل نواة الجيش الثابت المعد للتصدي للقوات الروسية الغازية... وكان على كل بيت من بيوت (الاديغة) تقديم فارس محارب واحد على الأقل عند صدور النداء من النائب (محمد أمين) [٢٩].

نستنتج من هذه الحقيقة بأن المقاتلين الشراكسة صمدوا في حربهم المستمر ضد جيوش روسيا القيصيرة على مدى ١٥٠ عاما تقريبا وانهم كبدوا هذه الجيوش من القتلى والجرحى ما وصل عددهم حسب بعض الوثائق لأكثر من مليون روسي بفضل السلاح الابيض الشخصي وببعض الاسلحة النارية المكونة من المسدسات والبنادق المصنوعة بأيديهم وأن عدد تشكيلاتهم ووحداتهم القتالية في المعركة الواحدة لم تكن تتجاوز عدد مقاتلين فيها على بضعة الاف، فهذه هي الحقيقة كما اكدتها جميع الوثائق الروسية منها والانجليزية والتركية والشركسية.

الحقيقة الثامنة:

قيام النساء الشركسيات وكبار السن في تقديم الدعم والمساندة لمقاتلي الامة الشركسية خلال حروب الابادة والدمار الروسية:

يقول أحد المؤرخين اليونانيين القدامى بأن الشراكسة كان يُعرفون بعزمهم وقوتهم ومهارتهم وفي فن الفروسية، وخاصة "الامازا ونات" عرفن بذلك حتى يقال: إنهن كن في عصور ما قبل التاريخ يستأصلن الثدي الايمن من صدور بناتهن الصغيرات ليسهل عليهن استعمال السلاح وأدوات الحرب يوم يكبرن، كما كانت الفتيات يركبن الخيل ويحملن القسي، ويشتركن في الحرب مع الرجال ما دمن عذارى، ويذكر أن الأنثى لم يكن ليسمح لها بالزواج ما لم تقتل ثلاثة من الاعداء، اما بعد الزواج فلا يطلب منها ان تحارب إلا عند الضرورة القصوى.



لوحة تمثل دور المرأة الشركسية في القتال مع المقاتلين الشراكسة جنباً إلى جنب

كما يؤكد بعض المؤرخين الروس منهم عامة والشراكسة خاصة، بأن المرأة الشركسية كان لها دور فعال في مساندة ومساعدة المقاتلين الشراكسة في دفاعهم عن (الأرض والعرض) وفي صد اعتداءات جيوش الاعداء وقواتها المسلحة على المدن والقرى الشركسية على مدار (١٥٠) عاما تقريبا.

وخير دليل على ذلك هي قصة امرأة من عائلة (لاشين) التي كانت تشارك مع المقاتلين الرجال في حروبهم ضد (دولة التتار) في القرم وهي القصة التي تشير بأن قائد (التتار) طلب في احدى المواجهات العسكرية من قائد الشراكسة ان يتصارع خصمان واحد من التتار والآخر من الشراكسة.. فاختار القائد الشركسي (امرأة) لمنازلة البطل التتري فصارعت المرأة الشركسية وهي بلباس الرجال.. فصرعته بعد جهد كبير.. فاعترف قائد التتار بالهزيمة.. وقرر الانسحاب من المعركة دون قتال.. خاصة بعد ان عرف البطل الذي صرع اقوى رجال التتار هي امرأة شركسية.

كما كان للنساء اكثر من دور في المعارك حيث كانت تقوم عند حدوث معركة او غزوة بجمع الامتعة والاغذية وحملها على الخيل والمركبات وتقود الاولاد والماشية إلى الوديان والغابات، وكان يجري ذلك كله بسرعة فائقة وقبل وصول الاعداء.

أما كبار السن فكان دورهم يتمثل في ابقاء النار في بيته مشتعلة بعد خروج المقاتلين والنساء والاطفال فيتصاعد لهيبها إلى عنان السماء ويصغي إلى اصوات الحراس بدقة وانتباه عظيمين، ويراقب ما يجري حوله بحذر شديد، واذا احس بقرب وصول العدو أشعل النار في مخازن الحبوب والتبن والهشيم وفر إلى اقرب غابة بعد ان يجعل كل شيء فريسة للنيران لكي لا يستفيد منه العدو المهاجم.

كما تؤكد الوثائق الروسية بأن المعارك التي جرت في منطقة البحر الاسود، وبالقرب من (مايكوب)، في وادي (خودز)، وفي بلدة (آخجب) وهي منطقة جبلية وعرة التجأت إليها النساء والاولاد هرباً من القوات الروسية الغازية حيث ألقت بزينتهن في النهر وأخذن السلاح، والتحقن بالرجال، لخوض معركة الموت من اجل الوطن والشرف، وحتى لا يقعن اسرى وسبايا بأيدي الروس. والتحم الفريقان في معركة كبيرة فكانت مجزرة بشرية لا مثيل لها في التاريخ المعاصر.

ولم يكن هدف الشراكسة من هذه المعركة احراز نصر، بل الموت بشرف، والخلاص من الحياة التي لم يبق منها أي امل. وقاتل في هذه المعركة الرهيبة النساء بجانب الرجال، وكانت الدماء تسيل كالأنهار، حتى قيل إن جثث القتلى كانت تسبح في بحر من الدماء [٣٠].

وكذلك فإننا نستنتج من تقرير الجنرال الروسي "كورولينكو" عام ١٨٢٥ الذي قال فيه "قامت قواتنا بترك منطقة ما وراء الكوبان مدمرة القرى، وفي هذه القرى الملتهبة قتل الشراكسة بالمئات، إما بالنيران أو بحراب القوزاق المتوحشين وكثيرا ما وقعت (النساء والاطفال الهاربين من الموت في الاسر) وفي كثير من الحالات كانت (النساء) يفضلن الموت على الأسر فيلقين بأنفسهن في الوديان السحيقة أو في تيارات الانهار الجبلية الهائجة".

نستنتج من هذا التقرير بأن المرأة الشركسية كانت تشارك المقاتلين الرجال في ساحات القتال كلما اشتد القتال وكلما كان الرجال المقاتلون في ضيق او حصار[٣١].

وكذلك فإن النساء الشركسيات كن مسلحات، كما كن يستخدمن هذا السلاح دفاعا عن شرفهن وهي حقيقة نستدل عليها من الواقعة التي أشارت إليها احدى الوثائق الالمانية ونصها:

"إن العمل الذي قام به "الكولونيل (دوغموتسوف) بحق جماعة من المهاجرين الشراكسة الذين كانوا في طريقهم إلى "كرج" في بلاد القرم، بعد أن حصلوا على إذن بالخروج بصورة رسمية من السلطات الروسية، إلا ان الكولونيل المذكور وقف في طريقهم ومنعهم من الخروج ظلما وعدوانا. ولكن قافلة المهاجرين لم تعبأ بأوامره، وعلى ذلك أمر الكولونيل المذكور قتلهم جميعا بنيران مدافعه، وفي أثناء ذلك عصا أحد الضباط الروس أوامره، وحاول الاقتراب من قافلة المهاجرين لإنقاذ فتاة كانت واقفة فوق كومة من جثث القتلى، إلا ان هذه الفتاة ما كان منها إلا أن أخرجت من طيات ثيابها مسدسا فأردت الضابط قتيلا (ظنا منها بأنه جاء للاعتداء عليها)[٣٢].

وكذلك فالمرأة الشركسية كانت هي المدرسة التي تعد المقاتلين الشراكسة، نفسيا ومعنويا، وتدفع ابناءها للالتحاق بالمقاتلين، وكانت تعتبر مشاركتهم في القتال فخرا لها وواجبا وطنيا، حرصت عليها كل أم شركسية على قيام ابنائها بهذا الواجب، كما كانت تدفعهم دوما للاستشهاد في سبيل الله والوطن.

ونستدل على هذا الدور الجليل الذي كانت الامهات الشركسيات يقمن به من القصة التي اوردها (جوناتوقة) في كتابه "تاريخ الاديغة" ونصها:

عند عودة أحد الشبان من ساحة الحرب ووصوله لبلده ورؤيته والدته على سطح داره فإنه يناديها قائلا:

"يا أماه ذهبت إلى الحرب، وها أناذا عائد منها"

فتصيح الأم في وجهه وتلقى عليه حجرا قائلة:

"اذا كنت ذهبت إلى الحرب حقا وشاركت اخوانك صدقا لكنت في عداد الموتى الآن، اغرب عن وجهي يا جبان" [٧].

كما ان المرأة الشركسية من امهات وشقيقات كن يفاخرن بالابناء أو الاشقاء الذين كانوا يبلون بلاء حسنا في القتال.

كما ان الفتيات او الخطيبات (القشن) كن يرفضن الاقتران بأي شاب شركسي لم يشارك في الحرب، ولم يظهر شجاعة فائقة... وان قتل او استشهد كن يفاخرن به، وينظمن فيه قصائد الرثاء (غبزة) كما كانت التقاليد تحرم على النساء من زوجات او امهات او شقيقات او خطيبات لبس السواد واظهار مظاهر الحزن، او حتى ذرف الدموع على شهداء الحرب.. كما كن يحضرن تشييع الجنازة بالملابس البيضاء دون بكاء او حتى كلام [٣٤].

ومن الحقائق اللافتة للانتباه، هي الحقيقة التي نقلها احد المؤرخين الروس لأحداث **(طرد الشراكسة) إلى تركيا بقوله: كنا نلاحظ عند تجميع الشراكسة على الشاطئ لترحيلهم إلى تركيا، قلة عدد الاطفال والنساء قياسا بعدد الرجال**[٣٥]. وهذا يعني بأن النساء والاطفال كانوا هم الجزء الاضعف من السكان، وبالتالي كانوا هم اكثر ضحايا وحشية وبربرية قوات سلطات روسيا القيصرية التي كانت تستهدف النساء والاطفال العزل والابرياء وغير المشاركين في القتال، وهي الاعمال التي تعتبر من جرائم الحرب التي ارتكبها القادة العسكريون الروس المتوحشون ضد الأطفال والنساء العزل مثلما اعترف بعض جنرالات الروس وقادتهم السياسيين.

الحقيقة التاسعة

تؤكد الوثائق بأن الفتيان والشباب غير البالغين كان لهم دور في دفاع الشراكسة عن (الارض والعرض) وفي مقاومة جيوش السلطات القيصرية، وفي صد اعتداءاتهم بشكل عام، وفي الظروف الصعبة والحرجة خاصة... وهذا ما توصلنا إليه من دراسة بعض الوثائق واقوال بعض جنرالات الروس ومن كتابات بعض المؤرخين، حيث يؤكد المؤرخون بأن أسلوب تربية وتنشئة الاطفال الشراكسة واعدادهم الاعداد الاخلاقي والاجتماعي والعسكري الذي يتناسب مع طبيعة الحروب التي كانت تفرض على الشعوب الشركسية منذ عصر الاجداد في عصور ما قبل التاريخ، وحتى العصر الحديث هو اسلوب ربما يندر ان يوجد مثله في أي مجتمع او امة قديمة كانت ام حديثة..

ولتفسير ما تقدم كان لا بد لنا من القاء الضوء على الاسلوب التربوي الذي يبدأ منذ لحظة ولادة الطفل وحتى يبلغ سن الرشد والذي كان يتمثل في الطقوس التربوية التالية:

(١) عندما يولد الطفل الشركسي كان يُغطس في الماء البارد، أو يفرك جسده بالثلج، ليتقسى جلده، ثم يجتمع كبار العائلة، في جو احتفالي لاختيار اسم للمولود.

(٢) تُشرب الانخاب خلال الاحتفال وتتلى الادعية التي تدعو إلى تنشئة الطفل ليصبح شجاعا، قويا، كريما، وأن يرفع اسم العائلة، وغير ذلك من الأدعيات الملائمة في مثل هذه المناسبة.

(٣) يتلقى الطفل ثقافته الاولى وهو في المهد الهزاز "كوشه" من خلال "اغاني المهد" التي تغنيها الأم لوليدها، وإلى ان يبلغ السابعة من العمر.

(٤) يُترك الطفل حرا، يتنقل من بيت لبيت، ويقابل بالترحاب، وتقدم له الحلوى والعصائر، وبعض الاطفال يذهب إلى بيت المربي "أتالق" في سن مبكرة، والبعض الاخر يبقى في كنف العائلة، حيث يشرف الجميع على تنشئته النشأة الشركسية التي تتمثل بالرجولة، والشجاعة والخشونة.

(٥) لا يتلقى الاطفال الشراكسة حتى سن السابعة أي عقاب مهما ارتكبوا من أخطاء، لذلك كما تقول الباحثة الاميركية "سولا بينيت" يخلو المجتمع الاديغي من أي نوع من أنواع السادية. ولا توجد منعطفات حادة، كسن البلوغ والمراهقة، في حياة الطفل (الاديغة)، إذ يصبح بعد سن السابعة

مؤهلا للدخول في سن النضج، ويبدأ بتلقي التعاليم ذاتها، التي يسير عليها ويتبعها من هم أكبر منه سنا، كوالده وجده، والاتالق.

(٦) يبدأ الطفل بعد سن السابعة يتلقى إحترام كل الاطفال الذين يصغرونه في العمر كما انه يمنح احترامه لمن هم اكبر منه سنا، وبذلك تجنب شعب (الاديغية) مشكلة ما أطلق عليها في العصور الحديثة "صراع الاجيال".

(٧) بعد سن السابعة يتم الفصل بين الجنسين. وتبقى الفتاة تتمتع بالحرية الكاملة في بيتها ما زالت عزباء.[٣٦]

وربما كان الجنرال الروسي (ايفان فيدوفيتش بيرغ) خير من كتب عن نظام (الاتالق) الذي تعرف عليه عن قرب ومن خلال السنوات العشرة التي قضاها من حياته متجولا بين المناطق الشركسية وفي الفترة من (١٨٣٠-١٨٤٠) حيث قال:

"... وبحسب العادات المتداولة منذ قديم الزمن ليس للأمراء ان يقوموا بتربية ابنائهم في منازلهم أو بإشرافهم، وعليهم ما أمكن باكرا (ليس بعيدا عن زمن الولادة) إرسالهم ليتربوا في بيت آخر، ويبذل أي من النبلاء (الأوزدن) قصارى جهده من أجل الحصول على هذا الشرف، والمنزل الذي يقع عليه اختيار الامير يعتبر ذلك ثقة كبيرة وشرفاً.

ويدعى المُربي المختار في تلك الحالة (اتالق)، وعليه أن يعلّم ويكسي ويطعم الطفل الذي عهد إليه بتربيته حتى يحين موعد اعادته إلى اهله، وهو غالبا ما يكون عند بلوغه سن الرجولة وان تكون تربيته قد تمت على أفضل ما يمكن وهو سن السادسة عشرة.

وقال ايضا ان التربية المذكورة عبارة عن التدريب على مختلف الرياضات العضلية المجهدة، والتي تؤدي إلى القوة الجسدية والمهارة في ركوب الخيل واساليب الإغارة والقتال العسكري والرمي بالقوس والبندقية والمسدس وغيرها، كما ان التربية تشمل اسلوب الحديث والمناقشة والمعالجة الفكرية مما يساعده على التفوق في الاجتماعات واللقاءات.

ولتحقيق هذا الغرض يقوم المُربي (الاتالق) بتدريب المرَبيّ لديه الذي يسمى (قان) على كل ما يقوي لديه البنية أو الذكاء مستعملا احيانا بعض الحيل للتوصل إلى ذلك.

وعندما يبلغ القان (المربّى) سن الشباب، او كما يقول الشراكسة اصبح مستوعبا لفنون القتال، يعيده مربوه إلى اهله وذويه بوجود والده وجميع اقاربه، حيث تقام وليمة فاخرة، (يؤكل فيها نوع من الحبوب) وتهدى إلى (المربّي) هدايا قيمة من الاسلحة والمواشي والجياد. [٣٧]

ومؤرخ آخر يصف نظام (الاتالق) مؤكداً على المزايا النفسية والتربوية التي يكسبها هذا النظام للاطفال الشراكسة بقوله:

"لقد كان النبلاء مثل الامراء والاحرار يحرصون على تنشئة ابنائهم عند عائلات اخرى، حيث يتعلم الاولاد ركوب الخيل واستعمال السلاح ويكتسبون صفات الشجاعة والثبات والمحافظة على التقاليد ثم في عمر السادسة عشرة أو السابعة عشرة يعاد الابن إلى ابويه الحقيقين ضمن احتفال وموكب شعبي، ويتلقى الابوان اللذان ربياه الهدايا من والديه، ويصبح من واجب الابن رعاية وحماية الابوين اللذين تلقى عندهما تربيته (الاتالق).

كما يؤكد بأن نظام التربية هذا كان له ميزات نفسية منها:

١- يقل تعلق الطفل بأبويه واتكاله عليهما، ويتدرب الاعتماد على نفسه بشكل مبكر، كما يقل بذلك ايضا تعلق الابوين بأبنائهم.

٢- يتلقى الطفل تربية قاسية عند ابوين غريبين عنه بدلا من ان يَفسده دلال ابويه.

٣- لهذا النظام ايضا مزاياه السياسية التي تتجلى في توثيق العلاقات مع العائلات والقبائل الاخرى، حتى ان خانات القرم كانوا يرسلون ابناءهم لتربيتهم عند اصدقائهم الشركس.

ويقول ايضا: وحتى بعد زوال هذا النظام في العصر الحالي، فإن بعض العادات المرتبطة به ما زالت سارية حتى ايامنا في بعض المجتمعات الشركسية في المهجر حيث يسخرون من الاولاد الذين لا ينامون خارج بيوتهم في العراء في فصل الدفء على الأقل وهي معتقدات ناشئة عن نظام التربية الشركسية التي تؤكد على تعويد الاطفال على الحياة الصعبة (٣٨).

وكان يتم تدريب الاطفال بعد سن السابعة على الرماية والفروسية، وعلى استخدام كافة انواع الاسلحة بالتدريج، فمثلا كان الطفل يُدرب على استخدام السكين في اصابة هدف امامه أولا ثم خنجرا ثم قوسا وسهما، وبعد اتقان هذه المهارات كان يسمح له بالرمي على المسدس وأخيرا بالبندقية، وبعد اتقان مهارات استخدام هذه الاسلحة من الوقوف كان يبدأ تدريبه على استخدامها من على ظهر الحصان ماشيا اولا، ثم من الجري البطيء فالجري السريع (٣٩).

لا شك بأن التربية القومية الشركسية تهذب نفوس الشباب وتصقلهم وتقويهم من الناحية الخلقية، وتعدهم لتحمل المشاق والمتاعب في الحروب والاسفار، كما يتم تدريبهم على تحمل البرد القارس في الجبال الشاهقة والسهول الفسيحة دون شكوى أو تذمر.

إنّ حياة التقشف التي كانوا يعيشونها بحرمان النفس من الملذات كانت تكسبهم مناعة نفسية، ومتانة خلقية كما ساعدت هذه التربية على جعلهم يتحلون بأفضل الصفات وبأحسن المزايا، وجعلت منهم أمة أصبح لها شأن عظيم منذ أقدم العصور وأصبحوا مضرباً للأمثال بقولهم:

(الآنت الذي لا يعرف الكلل ولا الملل) * (٣٩)

وكان من نتائج الاساليب التي كان يتبعها الشراكسة في تربية وإعداد أبنائهم منذ الصغر، اكتسابهم كثيرا من الصفات والمزايا الشخصية التي جعلت منهم مقاتلين اشداء منذ سن الفتوة والشباب المبكر.. اعترف ببطولاتهم وشجاعتهم الاعداء قبل الاصدقاء.

*** دور الاطفال والنساء في حال تعرضهم لغارة مفاجئة:**

قال أحد الجنرلات الروس "عندما كنا نشن غارة مفاجئة على قرية ما بحيث يتعذر عليهم الفرار، فكانت القرية تتحول إلى ساحة حرب، وينطلق الرجال والنساء والاولاد من بيوتهم وهم يصيحون صيحات مفزعة، ويحاولون منع الجنود الروس من الدخول إلى بيوتهم ويدافعون عنها دفاع المستميت، ولا يفكرون في الاستسلام، لأن ذلك ليس له معنى عند الجركس".

ثم تبدأ الحرب داخل البيوت والغرف، وصاحب الدار يدافع عن بيته وذويه إلى آخر رمق من حياته، واما الاعداء فيطلقون بنادقهم على الرجال والنساء والاولاد دون تمييز وبلا استثناء، ويحاولون حرق المساكن وتحطيم الابواب والنوافذ. ورغم ذلك كان الروس لا يتمكنون من احتلال بيت او اجتياح مسكن إلا بعد ان يتحول إلى انقاض وخرائب يتصاعد منها النار والدخان.

كما كان للاولاد دور مساند في المعركة حيث كان الفرسان يصطحبون الاولاد للمعركة لكي يتركوا إليهم امر الاعتناء بخيلهم، وهؤلاء كانوا أحيانا يشتركون في المعارك ويتدربون على الامور الحربية على حداثة سنهم.

وكذلك فإن أسلوب تربية الاطفال والفتيان عامة واولاد الامراء خاصة خلقت من العديد منهم ابطالا وهم في سن الفتوة.. وخير مثال على ذلك بطولة الامير الفتي (بش قوي) من قبيلة البجدوغ الذي استطاع اسقاط الجنرال الروسي (زاس) من على ظهر حصانه وأخذه غنيمة له وهو في سن دون الخامسة عشرة وكذلك حرص الشراكسة على الاعداد المبكر للفتيان، فإن الاطفال الشراكسة عامة واطفال الابزاخ خاصة اقسموا على افتداء الوطن والدفاع عن بلادهم خاصة في المراحل الاخيرة من حرب الابادة والدمار.

* الانت هو الاسم الذي كانت تعرف به بعض القبائل الشركسية في مراحل ما قبل العصور الوسطى.

وأدرك القادة الروس هذه الحقيقة، وأصبح الشراكس الأطفال هدفا رئيسيا لحملاتهم وغزواتهم وارتكبوا في حقهم ابشع الجرائم.

وهذا ما نستدل عليه مما جاء في إحدى الوثائق الالمانية التي تقول: "لم يكتف الروس بما جنت أيديهم من ارتكاب المذابح الوحشية في حق المقاتلين الشراكسة من قتل والتمثيل بجثثهم حتى جعلوا الأطفال (الذين بقوا أحياء بعد إحدى المعارك التي وقعت في السنة الاخيرة من الحرب) هدفا لوحشيتهم وقتلوهم جميعا بعد ربطهم ببعضهم البعض واطلاق نار المدفعية عليهم بالجملة، وكذلك فإن احد الجنرلات الروس يعترف في مذكراته بقوله:

" أثناء هجماتنا هرب الكثير إلى الغابات، وفي تلك المأساة الدموية غالبا ما كانت الأمهات يكسرن رؤوس أطفالهن لكي لا يقعوا في ايدينا أسرى" (٤٠).

الحقيقة العاشرة:

حرص القادة الشراكسة العسكريون منهم والسياسيون، كل الحرص على تقديم كل الخدمات، وتوفير جميع الاجواء التي من شأنها اتاحة الفرصة للمقاتلين الشراكسة من القتال بروح معنوية عالية وتقديم التضحيات حتى الشهادة والاستشهاد في سبيل الدفاع عن (الارض والعرض) أولا وفي سبيل تحقيق حريتهم واستقلالهم ثانيا. ومن هذه الخدمات الرئيسية التي ساهمت في رفع معنويات المقاتل الشركسي وتهيئته نفسيا للتضحية بكل غالٍ ونفيس هي توفير الخدمات والاجواء الاجتماعية النفسية التالية:

١- الحرص على مراعاة المسائل الاخلاقية:

حرص القادة العسكريون الشراكسة ومن خلفهم المقاتلون كل الحرص أن لا يتخلوا عن قيمهم وأخلاقياتهم عامة والمتعلقة باحترام المرأة خاصة في ساحات المعركة، وخير دليل على ذلك هو ما ذكره أحد الكتّاب القاصين على لسان بطلة قصته التاريخية الشركسية في حوارها مع البطل وملخصها:

"ولكن الروس يدّعون ان الاديغة، او الشراكسة كما تسميهم انت، يقضون اوقاتهم في التحارب فيما بينهم، وفي سلب ونهب بعضهم البعض؟ فكان جواب بطل القصة: سأروي لك حادثا جرى بين الشراكسة والتتار.. حدث أن هاجم جيش تتري إحدى المقاطعات في بلاد القبرطاي حيث تصدى فرسان القبرطاي لهذا الجيش وكانوا على وشك ان يبيدوه، **عندما استدار التتار معطين ظهورهم للفرسان للانسحاب، والشراكسة لا يقتلون عدوا أو خصما، يدير لهم ظهره،** والتتار كانوا يعلمون "قانون الفرسان الشراكسة" هذا، وهكذا واصلوا انسحابهم إلى أن عبروا نهر (مالقا) وانطلقوا إلى السهوب الشمالية. وحدث أن كانت قوة قوزاقية تجوب تلك الانحاء في بحث عن غنيمة سهلة، ووجدوا ضالتهم في التتار المنهزمين. وكان فرسان القبرطاي قد واكبوا التتار المهزومين إلى خارج حدود المقاطعة ليتأكدوا من عدم عودتهم مرة أخرى. لكنهم لما رأوا القوي يستقوي على الضعيف المنهزم.. عبروا النهر وهاجموا ودمروا القوات القوزاقية المعتدية، وأعادوا للتتار ما كان سلبهم إياه القوزاق.. فإذا كانت هذه حال الشراكسة مع اعدائهم، فهل يمكن للعاقل ان يصدق ما يشاع حولهم من أباطيل ما انزل الله بها من سلطان؟ (٤٢).

كما ذكر مؤرخ آخر حادثة تدل على مدى تمسك المقاتلين بأخلاقياتهم المتعلقة باحترام المرأة، وملخصها "أن المقاتلين كانوا يحاصرون (حصنا) ويطلقون النار عليه بكثافة .. وظهرت فجأة (امرأة) وهي زوجة قائد (الحصن) الروسي وما كان من القائد الشركسي إلا ان أمر بايقاف إطلاق النار حتى تمر زوجة عدوهم القائد الروسي، لأن من العار على الشركسي حسب عاداتهم قتل امرأة وحتى لو كانت من الاعداء.

والزعيم الشركسي الكبير (جرى قوة شانيزة).. قال حول هذا الموضوع:

بالرغم عن كل وحشية والاعمال البربرية التي كان يرتكبها الروس التزمنا في حروبنا عامة ومع الروس خاصة، بأخلاقياتنا الشركسية لمدة طويلة، إلا ان مظالم الروس وعدم تقيدهم بمبادئ الرحمة والانسانية أخرجنا عن طورنا واضطررنا لارتكاب القسوة واستعمال الشدة، فلا لوم علينا.

٢- حرص القادة العسكريون الشراكسة على أداء الشعائر الدينية عامة والصلاة خاصة حتى في ساحات القتال:

يقول (فون فيل): عندما حانت ساعة الصلاة، توضأ الشراكسة، ثم مدوا برانسهم واصطفوا في صفوف مستوية، ثم قرأ أحدهم عدة آيات من القرآن، وردد الآخرون خلفه بصوت مسموع. وبعد ذلك سجد الجميع وكرروا هذه الشعائر عدة مرات في اليوم ولم ينسوا قط واجباتهم الدينية في أي وقت، وفي أي موقف كان. فكانوا يؤدون صلواتهم في أوقاتها المحددة [٤٣].

٣- أداء القسم الحربي المقدس قبل بدء المعركة

من المراسم التي كانت متبعة في ساحات القتال هي أن يركب احد الزعماء أو الرؤساء الدينيين حصانا ويقف في وسط الجموع ويتلو دعاء يبتهل فيه إلى الله أن يباركهم وينصرهم على اعدائهم ثم يختم الدعاء بقوله (آمين) وبعدها كان يتم أداء قسم الحرب ونصه "النصر على الاعداء أو الشهادة".

٤- عدم ترك شهدائهم وقتلاهم وجرحاهم في ساحات المعركة:

كان من العار على قائد أي مجموعة قتالية ترك أي قتيل او جريح شركسي خلفه.. لذلك كانوا حريصين كل الحرص حتى ولو أدى ذلك إلى مخاطرة او مجازفة بحياتهم.

وخير دليل على احترام المقاتلين الشراكسة لقتلاهم الشهداء أو جرحاهم هو ما ذكره "فون فيل": في كتابه (السنة الأخيرة) بقوله: بأن الشراكسة كانوا يجمعون قتلاهم وشهداءهم ويلفون جثثهم بالمعاطف، ويربطونها بالأربطة (كالمومياءات)، ويضعون القلبق على عيونها، ويصفونها بجانب بعضها على ألواح من (الخشب) في وسط معسكرنا، اما الجرحى فيضعونهم حول النار ونساعدهم بإعطائهم القمصان لكي يمزقوها إلى قطع ويستعملونها لربط أطرافهم بدلا من الشاش الأبيض الذي لم يكن متوفراً لديهم".

ويضيف قائلا "تم تجميع جثث القتلى والجرحى بجراحهم المدماة حول المواقد عند منتصف الليل وبدأ الجميع الغناء بصوت خافت أغنية حزينة، ثم ارتفع صوت أحدهم بكلمات واضحة جدا، ورافقته صرخات البقية متذكرين قتلاهم، ومتحدثين عن قصص حياتهم. كان عدد حلقات الغناء ما بين (١٥-٢٠) حلقة منفصلة عن بعضها، وكل هذا كان في فترة النوم فلم نستطع إغلاق جفوننا لأننا كنا ننتظر هجوم الروس في كل لحظة.

واستطرد قائلا: "كما ذكرنا فإن كثيراً من الجرحى لم يعيشوا حتى الصباح، وآخرون ماتوا خلال الأيام القليلة التالية وبعد شهر مات الباقون باستثناء من كانت جروحهم بسيطة جدا.

وأكد فون أن المقاتلين الشراكسة كانوا يتحملون آلام جراحهم بصلابة غير معقولة، حتى ذوو الجروح العميقة لم يعبروا عن آلامهم بصوت عال. وتابعوا أعمالهم لعدم لفت الانظار إليهم، وردوا علينا عندما نصحناهم (بالراحة) قائلين: "إن الراحة لا تنفع بشيء، وسنقوم بالأعمال النافعة أكثر من قبل، كما قالوا لنا بأنهم سيموتون إذا لم يظهروا مقاومة للموت".

واستدرك "فون" قائلا:

"لم نستطع ان نساعدهم أكثر لأننا (كفار) في نظرهم، وأننا نكون قد جلبنا لهم الشؤم لو صادف أن مات أحد الجرحى الذين ساعدناهم، إلا أن (الحاج) العجوز الذي كان معنا ايضا قام بإسعافات أولية بإعطاء كل جريح قليلا من مائه الطبي، وكنا نرى الجرحى المساكين دائما مقطوعي الأعضاء، أو أن أجسادهم مثقوبة بالرصاص، ينزفون الدم كثيرا ولا يوجد من يستطيع أن يضمد جرحاهم كما يجب، وكانت مجموعات من الشراكسة تجتمع حول الذين كانت جروحهم خطيرة

لمواساتهم ومشاركتهم آلامهم ورغبة منهم في تخفيف آلامهم، أما المصابون بجروح طفيفة فلم يحظوا بأي اهتمام رغم انه يمكن معالجتهم بأبسط السبل. وأما الجرحى الذين لا يستطيعون المشي وكـذلك القتلى فقد تم نقلهم واعادتهم إلى قراهم على نقالات تم صنعها من أغصان الشجر حيث كان يحمل كل اثنين من المقاتلين قتيلا او جريحا واحدا (٤٥).

وفي رواية أخرى يصف (فون فيل) كيف كان يتم علاج الجرحى بقوله:

"جرح خلال احدى المعارك عدد من المقاتلين الشراكسة وعثرنا عليهم في بيت صغير متداع يهتم بهم شيخ هرم كانت علومه الطبية لا تتعدى وسيلة واحدة يداوى بها جميع الأمراض. فقد أحضر معه خلال عودته من الحج (ختما) كتب عليه بعض الآيات القرآنية، وعندما يبدأ العلاج كان يـضع حبرا على الختم ثم يطبعه على الورق في صحن مقعر مليء بالماء، وعلى المريض ان يشرب عدة جرعات من هذا الصحن، وبعدها يمكن للمريض الاطمئنان إلى شفائه السريع. وكان الشراكسة على اقتناع بهذا الطبيب الشعبي وهذا الدواء، ولذلك كانوا يقصدونه من اماكن بعيدة وبأعداد كبيـرة فهـو الطبيب الوحيد في المنطقة.

واستطرد قائلا:

تركنا الشيخ يعالج مرضاه وتوجهنا إلى الشاطئ حيث وجدنا مجموعة من المقاتلين يكمنـون خلف تلة صغيرة. وقرب الشاطئ وضعنا زورقنا الذي أخرجناه من الماء، وتنبه الروس لوجـودهم، وقصفوهم بالمدافع بشكل مركز، حتى أن الموجود فيه تسرب إلى رمال الشاطئ، وكان من الممكـن ان ينزل الروس إلى البر لتدمير هذا الزورق المشؤوم فقررنا الاقتراب وعدم تركـه تحـت رحمـة العدو. ولتغيير مكان كميننا كان يجب علينا المرور من ساحة مكشوفة تماما، وحتى هذا الوقت كـان أربعة من رجالنا قد جرحوا بسبب القنابل التي اطلقها الروس، وتم نقلهم إلى كوخ الشيخ، وبقينا نحن وراء التل وبقربنا (إبراهيم). وكان طاقم الزورق في حالة من الانزعاج الشديد، فالبحـارة الأتـراك رأوا زورقهم محطما. و(إبراهيم) أضاع كميات من ملح البارود (٤٥).

٤- من المسائل النفسية والروحية التي كان القادة العسكريون الشراكسة يحرصون التقيـد علـى تنفيذ وصايا الأبطال المقاتلين من أمراء وغيرهم من المقاتلين حيث أكد المـؤرخ الشركـسي (نغموقة) على هذه المسألة بقوله:

إن الأمير (جمير غوقة) من القبرطاي وهو من الابطال المقاتلين أوصى أن يـدفن ممتطيـا صهوة جواده، متقلدا كامل ملابسه وعدته الحربية، وفعلا نفذت وصيته ودفن كما أراد.

وهذه الحقيقة تثبت مدى مراعاة القادة العسكريين والسياسيين تنفيذ رغبات الشهداء وغيرهم من الشهداء مهما كانت تلك الرغبات صعبة، احتراماً لمشاعر المقاتلين الشهداء ونزولا عند تحقيـق رغباتهم التي كانت تأتي كوصايا.

٦- من القضايا الهامة والرئيسية التي كان القادة العسكريون في المجتمعات الشركسية يحرصـون على إعطائها أهمية خاصة هو توفير الغذاء المناسب لكل مقاتل

توصلت (المرأة) الشركسية من صناعة انواع من الطعام لا تفسد بمرور الايام وهو الطعـام الذي عرف باسم (غوملة) ويعد الغذاء الرئيسي للمقاتلين الشراكسة خلال الحروب او السفر الطويل، وهو يشبه العصيد المصنوع من دقيق مضاف إليه العسل وبعض النباتات، وهو طعام فـضلا عـن قوتها الغذائية العظيمة فإنها كانت تبقى مدة طويلة دون أن تفسد، وهي تـشبه الحـلاوة الشركـسية المعروفة حتى يومنا الحاضر.

كما كان شرابهم هو المشروب المغلي مع العسل والمضاف إليه دقيق (البروسا) حيث يترك لفترة عشرة ايام ليتخمر وهو شراب يشبه مشروب (البوزا) لدى المصريين.

كما كان القادة العسكريون يكلفون بعض المقاتلين لاصطياد الحيوانات من غزلان أو أرانب وكذلك اصطياد الطيور على اختلاف أنواعها وطهيها أولاً بأول للمقاتلين. وهذا هو سر من أسرار تمكن المقاتلين الشراكسة من الصمود أياماً واسابيع أمام هجمات القوات الروسية القيصرية.

٧- من القضايا الاجتماعية التي حرص القادة السياسيون والعسكريون الشراكسة إيلاءها أهمية قصوى هي:

رعاية الاطفال وكبار السن وكذلك زوجات وامهات المقاتلين خلال الحروب، فهذه المسألة كانت منظمة جدا في مجتمعات الأمة الشركسية في الأحوال الطبيعية عامة وفي حال تيتم الأطفال وترمل النساء خاصة حيث كان يتم رعاية أسر الشهداء والقتلى من قبل مجالس الشعب عامة ومن الاقرباء والجيران خاصة، وان فكرة التكافل والتضامن الاجتماعي هي فكرة قديمة قدم المجتمعات الشركسية، ويعود إليها الفضل في عدم وجود فقراء (متسولين) او محتاجين أو مشكلة الاطفال المشردين او مشكلة رعاية كبار السن في المجتمعات الشركسية المعاصرة داخل الوطن او في بلاد المهجر في دول الشتات.. فالطفل والارملة تلقى كل رعاية من الاقرباء اولا.. ومن اصدقاء العائلة ثانيا، ومن المجتمعات المحلية ثالثا، وكذلك الأمر بالنسبة لكبار السن الذين قتل او استشهد أبناؤهم المعيلون لهم.

الحقيقة الحادية عشرة:

كانت الامة الشركسية حريصة على تخليد وتمجيد وتقدير أبطالهم الاحياء منهم والاموات، وأن هذه الحقيقة التي كانت وراء تنافس المقاتلين الشراكسة وقادتهم على تسجيل البطولات والأعمال الخارقة حبا في دخولهم سجل تاريخ الأمة الشركسية وحفر اسمائهم في سجل الشرف للابطال والعظماء لديها. وكانت من الوسائل التي استخدمتها الامة الشركسية منذ القدم لتخليد وتمجيد انجازات ابطالهم وعظمائهم من القادة وعامة الشعب ما يلي:

الوسيلة الاولى: عمل تماثيل للأبطال والقادة العظماء

إن تاريخ الامة الشركسية عامة والقبرطاي منهم خاصة حافل بالأبطال المقاتلين القوميين وقادة الفكر العظام الذين تم تخليد ذكراهم بعمل تماثيل لهم ومنهم:

* البطل (باقسان) ابن الامير (داو) الذي قتل هو وسبعة من اشقائه مع (٨٠) من الامراء والنبلاء وعلية القوم من القبرطاي على يد ملك (القوط Gaths) فقررت شقيقتهم الوحيدة عمل نصب تذكاري لهم من تمثال حجري منحوت من قطعة صخرية كبيرة نحته فنان اغريقي، ويعرف حتى الآن بتمثال (باقسان).

والمثال الآخر على عمل تماثيل للأبطال والقادة العظام هو تمثال (قازنوقة جباغي) المصلح الاجتماعي الشركسي العظيم الذي اشتهر بحكمته وقام بتجديد وتثبيت الانظمة الاجتماعية والمحافظة على التقاليد والعادات الشركسية (أديغة خابزة) وتنظيم الامور الداخلية لحياة الشعوب الشركسية وفي عهده بلغ شعب القبرطاي أوج مجدهم واستردوا هيبتهم ومكانتهم واكتسبوا احترام الكثير من الاقوام والامم [٤٧].

الوسيلة الثانية: حرصت المجتمعات الشركسية منذ أقوام (النارتيين) في عصور ما قبل التاريخ وحتى العصر الحديث على تخليد وتمجيد ابطال الحروب والفرسان المقاتلين الشجعان حيث كان ينظم فيهم قصائد شعرية تتكلم عن بطولاتهم وشجاعتهم وبسالتهم.. والامثلة كثيرة جدا، حيث يوجد في التراث الثقافي الشركسي (المحكي) مئات القصائد التي تمجد الابطال والعظماء من المقاتلين والمفكرين والمصلحيين السياسيين والاجتماعيين منها القصائد التي نظمت تمجيداً للأعمال البطولية التي قام بها المقاتلون الشراكسة في مدينتي (دربند وغولانات) من اكبر مدن دولة الخزر.

وكذلك تخليد بطولة المصارعة الشركسية (لاشين قوي) (Lashin-Koi) التي صرعت (قيسين) بطل الابطال التتري في دولة خان القرم في عهد اميرها (كيناي خان) وهي المنازلة التي سبق ذكرها .

اما النموذج الثالث من القصائد التي تمجد أعمال الأبطال والعظام، فهي القصيدة التي نظمت لتخليد ذكرى وقوع الأمير الجوقة في يد الاعداء من قوات دولة الخزر، وقضى في الاسر ثلاث سنوات، واطلق سراحه بعد ان انتصرت جيوش الشراكسة واحتلوا مدينة (آزقلة Askala) عاصمة دولة الخزر بقيادة الامير الشركسي (يزروقوة) من آل (يولاقوته).

الحقيقة الثانية عشرة

تنبه القادة السياسيين للشراكسة بأن قوات روسيا القيصرية تخطط للقضاء على الاقتصاد الشركسي والمتمثل بالثروتين الزراعية والحيوانية من خلال قيامها بعمليات اتلاف المزروعات وحرقها، وكذلك من خلال الاستيلاء على الثروات الحيوانية أو قتلها أو حرقها وإبادتها، هذا بالإضافة إلى قيامها بتدمير أو حرق مستودعات التموين التي تحتوي على الاغذية المحفوظة المكونة من انواع من الجبن الشركسي المدخن واللحم المجفف والزيتون والعسل الاحمر والعسل العادي القابلة للحفظ بالاضافة إلى المخزون الاستراتيجي من القمح والذرة والدخن والبقول... الخ.

في ضوء تكرار استهداف الثروتين الزراعية والحيوانية وضع القادة الشراكسة خطة لحماية هاتين الثروتين وقرروا العمل على اتباع السياسات والأساليب التالية:

سياسة اخفاء المواشي: يقول احد المؤرخين بأن ماشية الجركس وخيلهم وسائر حيواناتهم، كانت لا تحتاج إلى من يسوقها إلى الغابات بل كانت تتجه إليها من تلقاء نفسها بالغريزة حالما تبدأ تدوي أولى الطلقات النارية وسماع صيحة الحراس.

وفي الأحوال التي كان يهاجم فيها العدو بقوات كبيرة كانوا يجمعون المواشي والخيل وحتى الطيور في مخابئ داخل الغابات الكثيفة، بعيدا عن أعين الاعداء، إلا أن المشكلة ظلت قائمة في فصل الشتاء، وعندما يكون الطقس بارداً جدا، حيث كان يتعذر إخفاءها داخل الغابات خوفا من مشكلة تعرضها للتجمد.

حفظ المواد التموينية و(الغذائية) داخل اقبية او داخل ابار او في المغر والكهوف الموجودة في الجبال العالية.

الحقيقة الثالثة عشرة:

من أكبر المشاكل التي واجهت قادة الشراكسة من أمراء (بشى) ورؤساء (تحمادة) وقادة عسكريين هي حماية الاطفال والنساء والشيوخ من كبار السن غير القادرين على حمل السلاح، وهي الفئة التي استهدفتها الاعتداءات الوحشية للقوات الروسية القيصرية في غزواتهم وهجماتهم، لعلمهم بأن الرجال الشراكسة البالغين يقاتلون في مواقع بعيدة عن قراهم، وأن هذه الفئة من الشعب الشركسي هم عزل وغير قادرين على الدفاع عن أنفسهم، وكذلك لعلمهم بمدى التأثير على نفسية ومعنويات المقاتلين الشراكسة المرابطين على جبهات القتال، عندما يسمعون بالمجازر الوحشية واللاإنسانية التي يرتكبها الأعداء الروس في حق أطفالهم ونسائهم وآبائهم أو أجدادهم.

ويؤكد المؤرخون بأنهم حاولوا معالجة هذه المشكلة بإرسال جميع الأولاد والشيوخ غير القادرين إلى داخل البلاد، ولا يبقى في المناطق المهددة سوى الرجال القادرين على القتال، ويُعينون لهم حراسا وخفراء من المشاة والفرسان ثم يهدمون بعد ذلك بيوتهم وجسورهم وطرقاتهم بأيديهم ويسدون المداخل والمسالك بالأعمدة والمتاريس وجذوع الأشجار، ويستنجدون بالبلدان المجاورة، ويظلون حتى تصلهم النجدات وهم على استعداد واقفين بالمرصاد للعدو المتوقع قدومه في كل لحظة.

إلا أن المشكلة ظلت قائمة في فصول الشتاء وأمام البرد القارس، حيث كان يتعذر نقلهم إلى مثل تلك المخابئ، وبالتالي ظلوا هدفا سهلا للقوات الروسية والقوقازية التي لجأت لكل الوسائل والسبل التي من شأنها تحقيق الابادة البشرية بعد أن قاموا بتدمير البنية التحتية من بيوت وممتلكات وطرق ومصادر مياه، بالإضافة إلى تدمير الثروتين الزراعية والحيوانية.

الحقيقة الرابعة عشرة والأخيرة:

يقول العالم المجري المختص بدراسة الشعوب (جان شارل دي يس) في عام ١٨٢٩ بأن: "ملابس الشراكسة العسكرية كانت خفيفة وأنيقة وتتناسب جدا مع امتطاء الخيول وخوض المعارك، فهم يرتدون قمصانا من الكتان او التافتا البيضاء أو الصفراء أو الحمراء، وتزرر هذه القمصان من الأمام ويرتدون فوق القمصان سترا من الحرير من ألوان مختلفة وتدعى "كابتال"، ومن ثم معاطف طويلة تصل إلى أعلى الركبة تسمى (تسيه)، وتثبت عند الخصر بأحزمة ومثبتات من المعادن الثمينة. وعلى صدر المعطف ومن كلا الجانبين توجد ثمانية اماكن لوضع الطلقات" ثم يتابع بالتفصيل وصف البناطيل والاحذية والقبعات، ولكنه يضيف لاحقا قائلا: "**بأن زيهم العسكري رائع للغاية ويجلب انتباه كل من يراه. وبالفعل فإن للشراكسة شكلهم العسكري المميز عن غيرهم خاصة وهم يمتطون ظهور الجياد منذ الطفولة حاملين اسلحتهم، وقد يمضون احيانا يوما كاملا على ظهور الخيل، وأسلحتهم من النوع الممتاز، وغالية الثمن جدا، ويحتفظون بها دائما نظيفة براقة، كما يعتنون بخيولهم طوال الوقت ويضعون عليها سروجا خشبية أنيقة جدا شبيهة بالسروج المجرية**" (١٠).

مراجع ومصادر الفصل السابع

١) جوناتوقة، مصدر سابق، ص: ٢٣.

٢) حراتوقة، مصدر سابق، ص: ٣٦.

٣) جونا توقة، ص: ٢٢٢.

٤) الوثائق الروسية، ابادة الشراكسة ص: ٦٥-٦٦.

٥) المفتي، شوكت، ص: ٨٢، مصدر سابق، ص: ٧٩، ٨٢، ٨٣.

٦) نغموقة، مصدر سابق، ص: ٢٣-٢٤.

٧) جونا توقة: مصدر سابق، ص: ٢٢٣.

٨) مامخيغ، رايا – مصدر سابق، ص: ٢٧-٢٨.

٩) مدخل إلى تاريخ الشراكسة، مصدر سابق، ص: ٧١.

١٠) مامخيغ، رايا، مصدر سابق، ص: ٢٤ – ٢٨.

١١) نغموقة، مصدر سابق، ص: ٤٩-٥٠.

١٢) مدخل إلى تاريخ الشراكسة، مصدر سابق، ص٧١-٧٢.

١٣) ماركس، كارل، المجلد/ ٩، ص: ٢٠٠.

١٤) بلياخوف، مؤرخ روسي عسكري – مؤلف كتاب الأساليب القتالية للقبرطاي، نشر باللغة الروسية ونقلت عن (رايا مامخيغ) في كتابها لمحات عن العادات الشركسية (الاديغا خابزة) ترجمة نزيه جلاحج، دمشق عام ٢٠٠٦، ص: ٤٧.

١٥)م. ارفولدي، اساليب الجبليين في القتال – منشور باللغة الروسية ونقلت عند (رايا مامخيغ) – مصدر سابق، ص: ٤٧.

١٦)آدت، بيليايف – الآلام والاحاسيس – منشور باللغة الروسية ونقلت عن – رايا، مامخيغ – مصدر سابق، ص: ٤٧.

١٧)مامخيغ، رايا – مصدر سابق، ص: ٤٨.

١٨)نغموقة، مصدر سابق، ص: ٢٣-٢٤.

١٩)جوناتوقة، مصدر سابق، ص: ٢٢٣.

٢٠)الوثائق الروسية، ابادة الشراكسة – مصدر سابق، ص: ٦٤.

٢١)الوثائق الروسية، المصدر نفسه، ص: ٦٤.

٢٢)الوثائق الروسية، المصدر نفسه، ص: ٦٧.

٢٣)جونا توقة، مصدر سابق، ص: ٢٢٣.

٢٤)مصدر سابق، ص: ١٥٠.

٢٥)جوناتوقة، مصدر سابق، ص: ٢٢٤.

٢٦)الوثائق الروسية، إبادة الشراكسة، ص: ٦٨-٦٧.

٢٧)مصدر سابق، ص: ١٥.

٢٨)المصدر نفسه، ص: ٦٣.

٢٩)المصدر نفسه، ص: ٧٠-٧١.

٣٠)المفتي، شوكت، وثيقة المائية، مصدر سابق، ص: ٢٠٣.

٣١)الوثائق الروسية – ابادة الشراكسة، ص: ٣٩.

٣٢)المفتي، شوكت، وثيقة المانية – مصدر سابق، ص: ٢٠٥.

٣٣)جوناتوقة – مصدر سابق، ص: ٢٢٢.

٣٤)المصدر نفسه، ص: ٢٢٣.

٣٥)الوثائق الالمانية، شوكت المفتي – مصدر سابق، ص: ٢٤٠.

٣٦)حراتوقة، مصدر سابق، ص: ٥٤.

٣٧)فيدوفيتش بيرغ، ذكريات عشر سنوات في بلاد الاديغة (١٨٣٠-١٨٤٠) ونقلت عن (رايا مامخيغ) مصدر سابق، ص: ٢٩.

٣٨)سمكوغ، برزج، مصدر سابق، ص: ٦١.

٣٩)نغموقة، مصدر سابق، ص: ٢٧-٢٨.

٤٠)المفتي، شوكت، مصدر سابق، ص: ١٤٧-١٤٨.

٤١)المصدر نفسه ص: ٣٠٣.

٤٢)حاراتوقة، مصدر سابق، ص: ٩٦.

٤٣)فون، فيل، مصدر سابق، السنة الاخيرة ص: ٤٣.

٤٤)المصدر نفسه ص: ٥١-٥٢.

٤٥)المصدر نفسه ص: ٣٤.

٤٦)جون، بادلي، احتلال القوقاز ونقله عن شوكت المفتي في كتابه أباطرة وأبطال، ص: ٦٧.

٤٧)الشاعر الروسي كومونتوف، كتابه بطل الزمان، نقل عنه شوكت المفتي في كتابه اباطرة وابطال ص: ٦٧.

٤٨)المفتي، شوكت ، المصدر نفسه ص: ٦٦.

الفصل الثامن

الوسائل والإجراءات السياسية التي استخدمها قادة الامة الشركسية في زمن الحروب عامة وحروب روسيا القيصرية خاصة

توصلنا من تحليل الوسائل والأساليب والممارسات والأعمال والأفعال التي ارتكبتها سلطات روسيا القيصرية وجيوشها المدججة بأحدث الأسلحة في حربها مع الشعوب القوقازية عامة، وضد الأمة الشركسية خاصة إلى حقيقة مفادها أنّ السلطات الروسية استخدمت العديد من الأفعال والأعمال التي وصلت في بعضها لمستوى جرائم حرب وأن أكثر الأعمال والسياسات التي لجأت إليها تمثلت في ارتكاب:

أعمال وحشية وأفعال بربرية لا أخلاقية ولا إنسانية ضد السكان العزل، والاستيلاء على الأراضي لغايات بناء القلاع والحصون، وقتل الأسرى وكبار السن والاطفال والنساء العزل، وتجويع السكان بعد محاصرتهم لفترات طويلة، واستخدام اساليب الدس والايقاع بين الشراكسة وبين شعوب قوقازية اخرى، وتحريض الفلاحين وعامة الشعب الشركسي ضد امرائهم ونبلائهم، ومحاربة انتشار الاسلام، والعمل على نشر الامراض المعدية بين السكان وكذلك بين الحيوانات والطيور، بالإضافة لاستغلال قسوة الطبيعة وسوء الاحوال الجوية في المناطق الجبلية في القفقاس وشن هجمات خلال الظروف الجوية القاسية... الخ.

وبالمقابل فإن الدارس لوقائع واحداث الحروب الدامية بين الجيوش الروسية والمقاتلين الشراكسة، يجد بأن قادة الأمة الشركسية لم يقفوا مكتوفي الايدي امام وحشية وبربرية القوات الروسية بل تعاملوا معها بطرق وأساليب أكثر حضارية من الاساليب التي استخدمتها السلطات الروسية.

ومن هذه الاساليب هي:

حاول قادة وزعماء وامراء الشراكسة عامة وشراكسة القبرطاي خاصة التقرب من السلطات الروسية القيصرية، وعدم إظهار أية عداوة لهم وقيامهم بمبادرات عديدة لعقد اتفاقيات صداقة ومعاهدات سلام ابتداء من منتصف القرن السادس عشر الميلادي.

وعندما نكث بعض قياصرة الروس الاتفاقيات والعهود الموقعة مع امراء شراكسة القبرطاي وشنهم للهجمات تلو الأخرى على بلاد الشراكسة، تصدّي الشراكسة لهم بكل قوة ودافعوا عن (الارض والعرض) بشجاعة ورجولة مستخدمين في ذلك خبراتهم القتالية المميزة والتي اكتسبوها من خلال مئات الحروب التي خاضوها ضد الشعوب والأمم والقبائل التي غزت بلاد الشراكسة ابتداء من القرن السابع قبل الميلاد وحتى القرن السابع عشر الميلادي.

وعندما تطورت الحروب الروسية / الشركسية قام قادة وزعماء الشراكسة باستخدام أكثر من أسلوب لتعبئة الأمة الشركسية وحشد إمكاناتها البشرية والاقتصادية.

وفيما يلي حقائق حول الوسائل والاساليب والسياسات والاعمال التي استخدمتها الامة الشركسية في التصدي لحروب الابادة والدمار التي نفذتها جيوش السلطات الروسية القيصرية ضد الأمة الشركسية.

أولا: سياسة التقارب مع سلطات وقياصرة روسيا:

من السياسات التي اتخذها أمراء الشراكسة للحفاظ على وطنهم الام، وفي دفاعهم عن استقلالهم، وفي تمسكهم بأرض الأجداد هو أسلوب التقارب مع السلطات الروسية أولا، وفي إعلان الولاء والطاعة للقياصرة، وعدم إظهار اية عداوة لهم ثانيا، وهي السياسة التي اتبعها امراء (القبرطاي) الذي يمكن تسميتهم بأمراء السلام منذ منتصف القرن السادس عشر ميلادي، والدارس للعلاقات الشركسية / الروسية عامة وعلاقتهم (بشراكسة القبرطاي) خاصة يجد بأن هؤلاء الامراء لم يتركوا مناسبة واحدة في حينها، دون إظهار حسن النية، وإعلان رغبتهم في العيش بسلام وأمان مع الروس، بل إنهم أعلنوا أكثر من مرة بأنهم أي (القبرطاي)، يرغبون في عقد اتفاقيات تعاون، ومعاهدات سلام مع القياصرة الروس.

وفي بحثنا حول تاريخ العلاقات بين الأمة الشركسية وسلطات روسيا القيصرية وجدنا بأن الشراكسة "القبرطاي" اتخذوا السياسات التالية:

(١) توقيع أول معاهدة تعاون بين القيصر ايفان الرهيب والامير تيمروقة عام ١٥٥٧م

في منتصف القرن السادس عشر، وعندما قررت قيادات شراكسة القبرطاي البحث عن حليف لهم لحمايتهم من أخطار واعتداءات (خانات القرم التتار) لم يترددوا في التوجه إلى القيصر الروسي (ايفان) الملقب بايفان الرهيب عارضين عليه رغبتهم في عقد اتفاقية تعاون معه، وبالرغم من تشدد القيصر في شروطه وافق الأمير (تيمروقة ايدار) امير القبرطاي آن ذاك، على شروطه ووقع مع القيصر ايفان اتفاقية تعاون في عام (١٥٥٧) بعد ان قدم عدداً من أولاده ومن أولاد العديد من النبلاء كرهائن، حيث قام القيصر بتعميدهم وتنصيرهم، كما وافق الامير على تزويج ابنته الاميرة (مارينا) للقيصر (ايفان) يوم ١٥٦١/٨/٢١ والتي عمدت تحت اسم الاميرة (ماريا).

(٢) اداء قسم يمين الولاء والطاعة للقيصر ميخائيل رومانوف.

وفي عام ١٦١٤ وبمناسبة تنصيب (ميخائيل رومانوف) قيصرا جديدا على روسيا، أرسل اكثر من عشرة من امراء القبرطاي كتاب تهنئة للقيصر الجديد وأدوا له يمين الولاء بحضور (ممثل) القيصر شخصيا ونصت (وثيقة الولاء) على ما يلي:

ضمان السلام للقيصر ولبلاده، والقيام بكل واجبات الطاعة والولاء التام من قبل الامراء انفسهم ومن قبل اخوتهم واقاربهم ومن جميع سكان القبرطاي من جميع الطبقات، وأن لا غرض لهم سوى الخدمة والطاعة للحاكم العظيم وامير الامراء القيصر، طوال حياتهم بكل صدق وامانة وأن لا هدف لهم في الحياة سوى البقاء تحت طاعته.

وفي فقرة أخرى، تعهد الامراء الموقعين على هذه الوثيقة بما يلي:

مقاتلة اعداء روسيا او من عصى امره بمجرد اشارة إليهم من القيصر والتعهد بمعاقبة كل من يتأخر عن تنفيذ اوامره لحظة واحدة.

وفي الفقرة الثالثة، من الوثيقة تعهد الامراء الشراكسة الموقعين على الوثيقة ان لا يعاشروا الامراء الذين لا يخدمون (القيصر) حق الخدمه وأن لا يعصوا أمراً للقيصر ولا يسيئون إليه، ولا إلى الذين لا يعتدون على البلاد الخاصة به، والذين لا يشتغلون بأعمال النهب والسلب وسرقة المواشي، ولا يأسرون أيا من أتباعه.

وفي فقرة رابعة، من الوثيقة نجدهم يؤكدون للقيصر بعدم الاعتراف أو مجالسة أي خائن لبلاد القيصر، كما تعهدوا للقيصر بعدم مرافقة أي قادم إلى موسكو او اية مدينة من المدن الروسية الكبرى بهدف (التجسس) أو القيام بإرشادهم إلى تلك المدن أو يدلهم على أي تابع من اتباع القيصر العظيم.

وفي الفقرة قبل الاخيرة، من وثيقة الولاء، تعهد الامراء الموقعين بعدم المشاركة بأية مؤامرة أو بأي عمل فيه خيانة للقيصر العظيم واما الفقرة الاخيرة من الوثيقة فكان نصها كما يلي:

"اقسم (اليمين) بتحقيق وتنفيذ كل ما جاء في هذا الكتاب للقيصر العظيم وامير الامراء (ميخائيل فيردورفيتش رومانوف) الحاكم على جميع البلاد الروسية".

(٣) اداء قسم يمين الولاء للقيصر ميخالوفيتش

وفي عام ١٦٤٥ ارسل بعض امراء الشراكسة ونبلاؤهم للقيصر الجديد ميخالوفيتش بمناسبة توليه حكم روسيا واقسموا له اليمين ليكونوا في خدمته كما كانوا في خدمة سلطة القيصر (ميخائيل رومانوف).

(٤) حافظ بعض امراء القبرطاي على اداء يمين الولاء لكل قيصر جديد يتسلم سدة الحكم في العاصمة الروسية حتى عام ١٧٢٢م

حيث تكشفت نوايا وأهداف السلطات الروسية القيصرية العدائية بعد حادثتين حدثتا خلال القرن الثامن عشر هما:

الحادثة الاولى: قيام القيصر بطرس الكبير بحملة عسكرية ضد الشعوب القفقاسية، حيث بدأ حملته الأولى ضد الشيشان والداغستان واتبعها بحملة ثانية ضد بلاد القبرطاي عام (١٧٢٢) ميلادية.

الحادثة الثانية: الكشف عن نص التقرير السري الذي سبق أن رفعه (بوتموين) إلى القيصر الكسندر الثاني والمتضمن خطة السلطات الروسية القيصرية للاستيلاء على القفقاس (أرضا بلا سكان)، وتضمن التقرير السعي لتحقيق أربعة أهداف رئيسية كما تضمن تفاصيل السياسة المستقبلية للسلطات الروسية القيصرية في حربهم ضد الشعوب القفقاسية عامة والشركسية منهم خاصة .

أدرك امراء الشراكسة عامة وأمراء القبرطاي خاصة بعد هذين الحدثين بأن قياصرة الروس يخططون لإبادة الشراكسة، وتدمير بلادهم، وبالتالي غير غالبية امراء الشراكسة من سياسة المهادنة والتقرب من القياصرة الروس بل إنهم حاربوا الروس بعدها خمس عشرة سنة.

(٥) قيام بعض امراء القبرطاي استرضاء الامبراطورة كاترينا الثانية:

إلا ان عددا من امراء القبرطاي وبعد انتهاء المعارك ضد الروس على خلفية الخلاف على (حصن مزدوك) والتي دامت حوالي (١٥) سنة بشكل منقطع حاولوا استرضاء الامبراطورة (كاترينا الثانية) بإرسال اثنين من أمراء الشراكسة في عام (١٧٧١) إلى مدينة سان بطرسبرج، حيث قدّما للامبراطورة الولاء والطاعة التامة باسم شعب القبرطاي في حال تنفيذها مطالبهم المتعلقة بالأمور التالية:

- هدم حصن (مزدوك).
- عودة الشراكسة الهاربين إلى حصن (مزدوك) إلى موطنهم الاصلي.
- عدم عرقلة السلطات الروسية لامتلاك الأراضي.

وقد وافقت الامبراطورة على مطالبهم باستثناء هدم حصن (مزدوك).

إلا أن رسالة الأميرة إلى أمراء القبرطاي بعد توقيع اتفاقية الهاربين إلى (مزدوك) تضمنت بأن تنفيذ مطالب امراء القبرطاي سيتم فقط في حالة استمرار إخلاصهم للدولة الروسية، وإذا حدث أي شيء خلاف ذلك فإن الامبراطورة ستقوم بمعاقبة شعب القبرطاي بغض النظر عن الخدمات التاريخية التي قدمها للدولة الروسية. ويؤكد المؤرخون بأن شعب القبرطاي تلقى رسالة الامبراطورة وتهديداتها بتحفظ شديد وقال الأمير (كاسيا اتاجوكين) "سنكون اذن تحت الوصاية الروسية كما حصل مع شعب (القالموق) الذين تشرذموا واضطروا إلى مغادرة بلادهم، وأخشى أن يلقى القبرطاي نفس المصير واضطرارهم المغادرة إلى الجبال".

(٦) محاولة امراء الشراكسة تذكير الامبراطور الاسكندر الأول بالاتفاقيات والمعاهدات الموقعة منذ عهد ايفان الرهيب وكاترينا الثانية.

أرسل زعماء القبرطاي في عام ١٨١١ بعريضة إلى الامبراطور اسكندر الاول، تضمنت إخلاصهم للقياصرة الروس ابتداء من عهد (ايفان الرهيب) عام ١٥٥٧ وحتى عهد الامبراطورة (كاترينا الثانية) في عام ١٧٧١ .. كما أعربوا فيها عن قلق شعب القبرطاي بأحداث السنوات الأخيرة من قتل وتدمير وإبادة .. كما تحدثوا عن القلاع والحصون الروسية التي زرعت في بلاد الشراكسة، وعن الأراضي التي استولت عليها السلطات الروسية بدون وجه حق.. الخ.

وتظاهر القيصر بأنه يقدر أسباب قلق شعب القبرطاي.. وأنه أمر بتشكيل وحدة حرس خيالة خاصة من ابناء عائلات الامراء والملاك والاحرار الشراكسة ووضعها تحت قيادته شخصيا.. وألغيت هذه الوحدة بعد خمس سنوات بطلب من القائد الروسي الجنرال (يرمالوف).

وفي عام ١٨١٨ شكل شعب القبرطاي وفدا مكوناً من أكبر الأمراء سنا ومقاما بلغ عددهم (٧) أمراء وتوجهوا إلى القيصر أسكندر الأول مطالبين التصديق على الامتيازات التي منحتها إياهم الامبراطورة كاترينا الثانية سابقا، كما قدموا مطالب اخرى منها اعادة بلادهم الواقعة ما وراء (المالقا).

(٧) المحاولات الأخيرة لقادة وشعوب الامة الشركسة الأخيرة في العيش بسلام مع سلطات روسيا القيصرية

بالرغم من الاعمال الوحشية التي كانت ترتكبها الجيوش الروسية.. وبالرغم من سياسة الابادة والتدمير التي اتبعها القادة السياسيون والعسكريون ضد الأمة الشركسية، فإن القادة العسكرين والسياسيين القبرطاي وبتأييد من الشعوب عامة والنبلاء الشراكسة خاصة لم يتخلوا عن اتباع سياسة العيش بسلام مع السلطات الروسية القيصرية حتى السنة الاخيرة من هذه الحروب.

وخير دليل على هذه السياسة السلمية تلك الأحداث والوقائع السلمية التي حدثت خلال الفترة ما بين (١٨٢٨-١٨٦٣) وأهمها:

- أعلن عدد كبير من الشراكسة في عام ١٨٢٦ الرغبة للعيش بسلام مع الروس شريطة أن لا يقوم الروس بأية اعمال عدائية ضدهم.. إلا أن السلطات الروسية لم تتجاوب مع هذه الرغبة وواصلوا حربهم بكل شراسة ووحشية ضد الشراكسة في كل مكان في شمال القفقاس.
- وفي الحرب الروسية / التركية عامي ١٨٢٨-١٨٢٩ وقف شعوب الاديغة على الحياد ولم يقاتلوا مع الاتراك، ولم يرفعوا السلاح ضد القوات الروسية ايضا كما ان الفلاحين لم يشاركوا في الحرب مع احد الطرفين، وبعد انتهاء الحرب لم تسلم هذه الفئة وغيرهم من الشراكسة من شر القوات الروسية، وطلب الجنرال الروسي (ايمانويل) من جميع الشراكسة إعلان الولاء للسلطات الروسية القيصرية دون قيد أو شرط وتوعدهم باتخاذ اجراءات قاسية ضدهم. وعندما رفض نبلاء الناتخواج اعلان الولاء لروسيا قام بمهاجمتهم وتدمير حوالي ٢٧ قرية بالإضافة إلى تدمير مستودعات احتياطي القمح وغيرها من مستودعات المواد الغذائية.
- دعا الشابسوغ والناتخوج إلى اجتماع شعبي عام ١٨٣٩ لمناقشة إجراء محادثات سلام مع السلطات الروسية القيصرية إلا أن عميلين اثنين من عملاء الانجليز قاما بتقديم وعود كاذبة تضمنت خطة كل من ملك انجلترا ومحمد علي الكبير حاكم مصر والسلطان التركي (الاعلان عن استقلال تشركسيا).. وابرزا صورة عن الاعلان المنشور في مجلة انجليزية التي كان يصدرها العميل الانجليزي (اوركارت) فصدق الشراكسة الوعد وغضوا النظر عن عقد اتفاقية سلام مع السلطات الروسية القيصرية.
- في صيف عام ١٨٣٨ قامت مجموعة من الزعماء الموالين للروس بالدعوة لاجتماع شعبي لمناقشة المسألة الرئيسية، وهي كيفية التعامل مع السلطات الروسية القيصرية، واتفق زعماء الناتخواج على مبدأ الخضوع لروسيا بشرط إزالة القلاع والتحصينات الروسية الموجودة في أراضيهم، والوعد بعدم بناء قلاع جديدة مستقبلا.

- اعترف الابزاخ والشابسوغ في عام ١٨٦٣ بالسلطة الروسية القيصرية دون قيد أو شرط، مع طلب وحيد وهو السماح لهم بالبقاء في اماكنهم للسنة القادمة، بعدها سيقومون بالهجرة.. إلا ان السلطات رفضت طلبهم واقتادوهم بالقوة إلى شواطئ البحر الاسود ولم يعطوا الوقت الكافي لجمع أمتعتهم [٧].

ثانيا: سياسة الانفتاح على العالم الخارجي بحثا عن دعم عسكري وسياسي واقتصادي:

بعد ان تأكد قادة وزعماء الشراكسة استحالة التفاهم مع سلطات روسيا القيصرية، وبعد أن انكشف لهم بأن قياصرة روسيا وقادتها السياسيين والعسكريين يخططون للاستيلاء على (الأرض بلا سكان) قرر زعماء الشراكسة الانفتاح على العالم الخارجي عامة، وعلى بعض الدول الاوروبية العظمى خاصة، وبدأ هذا الانفتاح في مطلع القرن التاسع عشر، بعد أن كان الانفتاح في القرنين الماضيين (السابع عشر والثامن عشر) مقصورا على الدولة العثمانية وخانات القرم من التتار والنغوي والمتمثل بعقد أول اتفاقية اتحاد مع أهل القرم وتشكيل قوة عسكرية مشتركة في عام ١٧٦٧ لطرد القوات الروسية من الأراضي التي احتلتها في تلك الفترة، كذلك توقيع معاهدة التعاون بين الباب العالي التركي وامراء وزعماء القبرطاي في عام ١٧٧٩.

وتشير الوثائق بأن أول انفتاح واتصال سياسي حقيقي مع دول أوروبية بدأ بعد اجتماع المجلس القومي الشركسي، الذي عقد في مطلع القرن التاسع عشر الذي تقرر فيه القيام بمساعي كبيرة للاتصال مع بعض زعماء الدول الاوروبية، حيث تم إرسال الوفود إلى عواصم الغرب مثل لندن وباريس واستانبول، وفي العاصمة العثمانية اجتمعت هذه الوفود، بوفود أخرى قدمت من الداغستان، وتمكنت هذه الوفود من لفت أنظار العالم إلى الحرب القوقازية والاحداث الدموية الجارية فيها.

وبعد عودة هذه الوفود، عُقد اجتماع سياسي كبير حضره جميع الامراء والرؤساء والقادة العسكريون لتدارس النتائج، حيث تقرر في هذا الاجتماع تحديد السياسية الخارجية للشراكسة .. كما تم وضع الأهداف المطلوب تحقيقها من الاتصالات الخارجية التي تتم بطريقة مباشرة من خلال سفر الوفود أو استقبال وفود أو بطريقة غير مباشرة من خلال إرسال البيانات والنداءات والرسائل لرؤساء وملوك وقادة مختلف الدول الاوروبية والاسيوية والافريقية، ومن الاهداف التي كان يسعى الشراكسة لتحقيقها من مثل هذه الاتصالات هي:

أهداف سياسية وإعلامية مثل:

١- الحصول على تأييد سياسي دولي للأمة الشركسية في دفاعها عن (الأرض والعرض) وفي حقها الحصول على استقلالهم، والعيش بسلام على أرض الاجداد في الوطن الأم.

٢- كشف الاعمال الوحشية والافعال البربرية، والاجراءات غير الاخلاقية والممارسات غير القانونية التي ترتكبها قوات روسيا القيصرية بدعم وتأييد من السلطات الرسمية ضد الشعوب القفقاسية عامة والأمة الشركسية خاصة.

٣- الكشف عن جرائم الإبادة والدمار التي وصلت إلى مستوى جرائم الحرب تلك التي نفذتها القوات الروسية ضد الأطفال والنساء وكبار السن والسكان العزل الشراكسة.

٤- تشكيل لجان اعلامية وصحفية من المختصين في الدول الصديقة بالتعاون مع لجان وجمعيات الصداقة الشركسية التي شُكلت في كل من لندن وباريس واستانبول، للقيام بتجنيد كتاب وصحافيين لنشر مقالات عن وحشية وبربرية أعمال الروس، وعن عدالة القضية الشركسية وحقهم في الدفاع عن انفسهم للحفاظ على استقلالهم، وكذلك نشر حقائق الدمار الذي لحق بالقرى الشركسية والإبادة الجماعية التي كان يتعرض لها السكان الآمنون.

أهداف عسكرية:

كان من اهداف الشراكسة في اتصالاتهم الخارجية هو الحصول على:

١- تسليح المقاتلين الشراكسة بالأسلحة المناسبة للدفاع عن وطنهم بشكل عام، وملح البارود والتسليح المدفعي بشكل خاص، حيث كان المقاتلون الشراكسة ينقصهم هذين النوعين من الأسلحة والعتاد.

٢- ايفاد خبراء عسكريين لتدريب المقاتلين الشراكسة على استخدام سلاح المدفعية وصناعة البارود.

٣- استقبال متطوعين للقتال مع الشراكسة بالأخص المتطوعين ذوي الخبرة في حرب العصابات.

٤- الحصول على دعم مادي من المتبرعين المؤمنين بعدالة قضية الشراكسة.

أهداف تجارية اقتصادية:

من الاهداف غير المباشرة من الاتصالات الخارجية كانت اهداف تجارية اقتصادية نذكر منها:

١- زيادة المعاملات التجارية مع كل من الاتراك والانجليز وبعض الدول الاوروبية بهدف تسويق المنتوجات الزراعية والصناعات الخفيفة التي كان يشتهر بها الشراكسة، والحصول على البضائع والمواد الاكثر حاجة للشراكسة خاصة ما يتعلق منها بالاقمشة، والمواد التموينية مثل السكر.

٢- استخدام عمليات التجارة كوسيلة لتهريب الأسلحة والمعدات العسكرية للمقاتلين الشراكسة.

تلك هي الاهداف المباشرة وغير المباشرة التي كان قادة وزعماء الشراكسة يسعون لتحقيقها في سياستهم للانفتاح والاتصال على العالم الخارجي عامة والدول الاوروبية خاصة.

واما الدول التي استجابت لاتصالات الشراكسة فهي:

انجلترا، فرنسا، تركيا، البولنديون، الشراكسة المهاجرون سابقا لتركيا، وبعض الدول الاوروبية

وبالرغم من عمق العلاقات الثنائية بين الشراكسة وبين هذه الدول فإن الدعم الذي تلقته الامة الشركسية خلال الخمسين سنة الأخيرة من حربهم ضد جيوش روسيا القيصرية، كان دعما متواضعا، بل بالعكس فإن هذه العلاقات كانت ضارة للقضية الشركسية أكثر مما كانت نافعة ومفيدة، وان بعض الاسباب التي ادت لانتصار روسيا القيصرية عسكريا وسياسيا هي خيانة كل من دول الحلفاء الثلاثة (تركيا وانجلترا وفرنسا) لقضية استغلال الشراكسة وعدم استمرار ضغطهم عسكريا على روسيا في حربهم المعروفة باسم حرب القرم (١٨٥٣-١٨٥٦). علما بأن قوات التحالف الثلاثي كانت منتصرة على القوات الروسية عندما قرروا إيقاف الحرب والذهاب إلى (مؤتمر باريس) وتوقيعهم اتفاقية مع روسيا في عام ١٨٥٦، تنازل فيها الحلفاء عن بلاد (تشركيسيا) لقياصرة الروس، بعد ان كان مقررا منح الشراكسة استقلالها وتكوين دولتهم المستقلة عن روسيا القيصرية (كما سبق التحدث عنها).

وللأمانة العلمية يجب الإشارة بأن الشعب الوحيد الذ وقف بصدق مع الشراكسة في حربهم ضد جيوش قياصرة روسيا هو الشعب البولندي الذي قدم دعما عسكريا وسياسيا واعلاميا حقيقيا وصادقا.

ثالثا: سياسة التوحد والوحدة والاتحاد ورفع شعار (في الوحدة قوة).

عندما شعر قادة وزعماء الشراكسة بفشل السياسة السلمية في التعامل مع قياصرة الروس وانهيار سياسة التقارب مع سلطات روسيا القيصرية، وبعد ان تأكد لهم بأن الروس يخططون للاستيلاء على بلاد القفقاس عامة وبلاد الشراكسة خاصة (ارضا بلا سكان) خططت القيادات الشركسية لاتباع سياسة التعبئة الشعبية والعمل على توحيد القبائل الشركسية المنتشرة في مناطق حوض نهر (الترك) وهم القبرطاي، وكذلك القاطنين منهم في مناطق ما وراء الكوبان من قبائل البسلني والاديغة وعددها (١٢) قبيلة. **علما بأن مسألة توحد او اتحاد القبائل الشركسية كانت من المسائل الخلافية بين المؤرخين المهتمين بدراسة تاريخ الشعوب القفقاسية عامة وتاريخ الامة الشركسية خاصة، حيث إن الغالبية العظمى منهم يؤكدون بأن أهم أسباب ضياع الوطن الأم، وتشتت الشراكسة، هو عدم وجود وحدة سياسية لشمال القفقاس في تلك الفترة.**

وأن العديد من شراكسة المهجر يتهمون الأجداد (بأن كل شركسي كان يعتبر نفسه (تحمادة)) وان هذه العقلية كانت وراء عدم توحد او اتحاد الشراكسة قبل اندلاع (حرب الابادة والدمار الروسية / القفقاسية) وخلال اندلاعها ... وبعدها.

وأنا شخصيا وقبل البدء بدراسة تاريخ الامة الشركسية دراسة تحليلية متعمقة كنت ايضا من الفئة التي تتفق مع القائلين بأن الأمة الشركسية لم تشكلّ يوما ما دولة او اتحاداً او حكومة وأنه لم يكن لديها تفاهمات سياسية قبل وبعد الحروب الروسية/القفقاسية الاخيرة.

إلا أنني وبعد ان عرفت ما عرفته عن حقيقة تاريخ الأمة الشركسية (قديما وحديثا) **أقول بأنني كنت أول المخطئين**.. وأن العديد من الكتاب والمؤرخين الشراكسة مارسوا سياسة جلد الذات باتهامهم للاجداد والاباء الابطال والحكماء الذين لم يتركوا كل صغيرة وكبيرة من اجل انقاذ (الارض والعرض) وانهم لجأوا لكل وسيلة ممكنة وغير ممكنة من اجل الحفاظ على وطنهم حراً مستقلاً منذ فجر التاريخ، وحتى انهيار المقاومة الشركسية يوم ١٨٦٤/٥/٢١ .

وللتأكيد على هذه الحقيقة التي توصلت إليها حول موضوع وجود (وحدة سياسية) للأمة الشركسية او عدم وجودها، قمت بدراسة نشأة وتطور مفهوم الدولة لدى الأمة الشركسية منذ الالفية الثانية قبل الميلاد وحتى يومنا الحاضر كما هو مبين في (المجلد الثاني) لهذه الموسوعة.

وبتحليل نتائج تلك الدراسة توصلنا إلى الحقائق التالية:

إن الامة الشركسية منذ عهد الأجداد في عصور ما قبل الميلاد وحتى يومنا الحاضر دأبت على تشكيل امارات وحكومات ودول واتحادات وتجمعات تجمع مختلف القبائل الشركسية، بلغ مجموعها (٢١) امارة او اتحادا او دولة او حكومة او قيادة مشتركة توزعت على النحو التالي:

(١) تكوين أكثر من (٨) دول واتحادات ذات حضارات عريقة في العصور ما قبل الميلاد وهي:

- تكوين حضارتي مايكوب والكوبان.. والمشاركة في بناء اربع حضارات قوقازية أخرى منذ الالفية الثالثة قبل الميلاد.
- المشاركة في تأسيس امبراطورية الكيميرون في الفترة ما بين (٢٠٠٠-١٠٠٠) قبل الميلاد.
- تكوين اول دولة مستقلة في تاريخ الامة الشركسية هي (دولة السيند) وفي نفس الوقت تكونت دولتي (الكاسوغ والزيك) كما شكلت قبائل (الماه – ؤت) المؤلفة من (٢٥) قبيلة اتحادا كبيرا سمي بجماعة (المأوت) وقبل نهاية القرن الاول قبل الميلاد تكونت حكومة لدولة (الكيركيت) وكانت قائمة على النظام الطبقي [1].

(٢) تشكلت خلال القرون الاولى ما بعد الميلاد [٥] دول او حكومات او اتحادات وهي على النحو التالي:

- في القرن الاول الميلادي اتحدت معظم القبائل الشركسية مع دولة البسفور اليونانية وقضى عليها قبائل الهون التي اكتسحت بلاد القفقاس من جنوبها إلى شمالها في القرن الثاني الميلادي.
- استعادت الامة الشركسية حيويتها ونشاطها مع حلول القرن السادس الميلادي وشكل في مطلعه دولة جديدة سميت بدولة (زيخيا – الفيدرالية)، وهم اجداد الاوبخ، شاركت فيها جميع القبائل الشركسية في شمال القفقاس.. واستمرت هذه الدولة حتى القرن الثامن الميلادي.. وانفرط عقد هذا الاتحاد بسبب خلافات داخلية بين القبائل المشاركة فيه، وتشكلت على أنقاضها دولتين جديدتين هما: **دولة أشوا، وهم أجداد الأبخاز ودولة القاسوخ وهم أجداد الشراكسة على ضفاف نهر الكوبان** [٢].
- اسس الأمير ينال (الجد) الأكبر لأمراء القبرطاي دولة اتحادية بعد أن وحّد القبائل الشركسية عامة وضم إليها الابخاز في مرحلة لاحقة، وسمي بالأمير العظيم، كما اطلق عليه لقب الامير (الحكيم) وتفكك هذا الاتحاد بعد موته لاختلاف أبنائه الخمسة على الحكم. [٣].

(٣) تشكيل اتحادين في الفترة ما بين القرن العاشر بعد الميلاد وحتى منتصف القرن السابع عشر الميلادي، حيث تشير الوقائع التاريخية إلى أنّ الأمة الشركسية شكلت فيما بينها قيادات مشتركة ودول واتحادات شارك فيها تجمع اكثر من قبيلة من القبائل الشركسية خلال هذه الفترة، ومن اهمها هي:

- في عام ٩٥٧م تشكلت قيادة مشتركة لاتحاد شعوب شمال القفقاس لمقاومة توسع دولة الخزر نحو الجنوب ومنع بسط نفوذها على بلاد الشركس.. واستطاعت قيادة هذا الاتحاد من احتلال عاصمة الخزر.
- وفي القرنين الثالث عشر والرابع عشر الميلاديين اكتسحت الجيوش التتارية بقيادة جينكيز خان، جيوش المغول بقيادة تيمورلنك بلاد الشركس، وقضت على اتحادهم وتشتت القبائل الشركسية والتجأت إلى الجبال خوفا من بطشهم ووحشيتهم. [٤]
- ظلت الشعوب الشركسية مفككة ومشتتة، منذ أن قضى التتار والمغول على قيادة اتحاد شعوب القفقاس الشمالي التي سبق أن تشكلت في القرن العاشر الميلادي. دون قيادة موحدة، وبدون اتحاد أو حكومة موحدة، حتى منتصف القرن السابع عشر الميلادي وبالتحديد حتى عام (١٦٤٥) حيث عقد زعماء وامراء الشراكسة سلسلة من اجتماعات، شارك فيها وجهاء ونبلاء ورؤساء العائلات الكبيرة بهدف تقييم الأوضاع العامة في عموم بلاد (الاديغة) واستمرت المداولات والمشاورات سنين عديدة نظرا لاختلاف وجهات النظر والاجتهادات حول المسائل المطروحة على طاولة الاجتماعات.. وفي النهاية اتفقوا على ضرورة التوحد ليتمكنوا من الدفاع عن حرية واستقلال الوطن الام.

وكان من بين الذين حملوا راية الدعوة إلى توحيد قبائل القبرطاي من النبلاء الذين اتصفوا بالعقلانية والحكمة هو (قازان يوقه جباغي) الذي كان مربيا (أتالق) للأمير الشركسي الصغير (قايتوقة) الذي انتخب حاكما عاما على قبائل القبرطاي في تلك الفترة. كما انضم إلى حكمه قبائل شراكسة ما وراء الكوبان من (الاديغة) وعددها (١٢) قبيلة، واعتبر هذا الاتحاد أقوى اتحاد تشكل في تاريخ الأمة الشركسية في عصر ما بعد الميلاد، وفي عهده ازدهرت التجارة والزراعة والصناعة، وكون علاقات تجارية مع انجلترا وايطاليا وتركيا والقرم، وفي عهده ايضا قام مستشاره الشخصي (جباعي) بمراجعة مبادئ وقواعد العادات الشركسية (الخابزة) فأكد على بعضها وعُدل غير المناسبة لعصره، واضاف عادات وتقاليد كان يحتاج إليها المجتمع الشركسي في ذلك الوقت.

(٤) تشير الوثائق بأن الشراكسة في الوطن الام قد أسسو اكثر من (٦) اتحادات في الفترة ما بين (١٧٨٣) وحتى عام (١٨٦٣م) بالإضافة إلى عقد عشرات الاجتماعات الشعبية ولقاء بين الزعماء والامراء، للتباحث في ايجاد افضل السبل والوسائل لمقاومة الروس الاعداء، ومنعهم من تحقيق الاستيلاء على الوطن الام في ققفاسيا الشمالية ومن هذه الاتحادات:

- اتحاد شعوب شمال القفقاس الذي تشكل تحت قيادة الامام منصور او شورما في عام (١٧٨٣م) ورفعوا راية (المقاومة حتى الاستقلال) وظل الاتحاد قائما حتى عام ١٧٩٠م [٥].
- وفي عامي ١٨٠٣-١٨٠٤ اتحدت القوات القفقاسية الشمالية بمشاركة قادة من الاوبخ والاستين والابخاز والداغستان والشيشان والاديغة لمقاومة الاعتداءات الروسية. [٦]
- وفي عام ١٨٣٩ عقد مؤتمر شعبي كبير في منطقة الشابسوغ حضره معظم زعماء وامراء القبائل القبرطاي والاديغة، واصدروا بيانا وطنيا ردا على تنازل الاتراك عن بلاد الشركس للروس في معاهدة ادرنة.. سمي البيان **(بوثيقة الاستقلال)** وقع عليها جميع امراء الشراكسة الاتحاديين.. وارسل البيان إلى رؤساء حكومات الدول الاوروبية الغربية ورؤساء بعض الدول الاسيوية. [٧]
- وفي عام ١٨٤١م اتحدت قبائل الشابسوغ والاوبيخ والحاتوقوي واعلنوا الجهاد المقدس على الاعداء الروس وخاضوا (٨٨) معركة وغارة ضد القوات الروسية.
- وفي يوم ١٣/ حزيران عام ١٨٦١م تقرر تأسيس اتحاد شعوب ما وراء الكوبان.. وتشكيل مجلس وطني.. واتخاذ القرارات التالية:
  - ارسال بيان إلى جميع الدول الاوروبية لاطلاعهم على آخر أوضاع شعوب القفقاس.
  - اعتبار يوم ١٣ / حزيران يوم الاستقلال لدى الامة الشركسية.
  - انتخاب مجلس عموم الشراكسة من (١٥) شخصا سمي (مجلس الاستقلال).
  - الطلب من انجلترا تقديم المساعدة.
  - اعتماد علم للاتحاد.
  - الطلب من قائد القوات الروسية ايقاف تقدم قواته نحو بلادهم [٨].
- وفي عام ١٨٦٣ تأسس في استانبول (المجلس الوطني الاعلى الشركسي في الخارج) لقيادة حربهم على الروس.. وكان بمثابة (حكومة في المنفى)، شارك فيها ممثلون عن اللاجئين والمهاجرين الشراكسة إلى تركيا كما شارك فيه قادة بولونيون [٩].

رابعاً: سياسة التشاور والتنسيق وتوحيد مواقف الشعوب والقبائل الشركسية

توصلنا في بحثنا حول مصدر السلطات لدى الأمة الشركسية، بأن الأمة الشركسية ربما كانت أكثر أمة وشعباً من الشعوب القوقازية استخداما لأسلوب التشاور والتنسيق، وكذلك اسلوب اشراك عامة الناس جنبا إلى جنب مع زعماء وقادة وحكام، في اتخاذ القرارات المصيرية، كما توصلنا بأن أجداد الشراكسة منذ عصور (سلطة الأم) و (سلطة الأب) وكذلك في العصور التي تشكلت فيها الدول والدويلات والامارات، وتطور مفهوم المجالس كمصدر للسلطات لدى الأمة الشركسية وتعددت مهامها بعد العصور الوسطى وأصبح التشاور يبدأ في مجلس (الشيوخ وكبار السن) ثم ينتقل إلى (مجلس النبلاء) الذي كان يعرض مقترحاته على (مجلس الشعب) المنتخب من الشعب مباشرة لاتخاذ القرارات بمشاركة ممثلي عامة الشعب جنبا إلى جنب مع القادة والزعماء والأمراء والنبلاء.

وتطورت (المجالس الشعبية) إلى (مجالس الاعيان) التي كانت بمثابة مجالس قومية سميت (بالمجالس القومية العليا) ويتم تشكيلها بالانتخاب، كما كان يتم انتخاب رؤسائها بالإقتراع العلني المباشر ابتداء من القرن الثامن عشر الميلادي وبالتحديد ابتداء من عام ١٧٩٠ وبعد حدوث انتفاضة وثورة شعبية على الاقطاعية والطبقية في بلاد الشراكسة منذ مطلع القرن التاسع عشر، وبعد ان تطورت مجريات واحداث حرب الدمار والابادة الروسية القيصرية الهمجية الوحشية، وتزايد أعداد الهجمات والمعارك والغارات والغزوات حتى وصل عددها (١٤٣) معركة. بالإضافة إلى مئات حملات التأديب العسكري استحالت معها عقد اجتماعات (للمجالس الشعبية) التي كانت تعقد بشكل دوري ومستمر في أيام السلم، وأصبح الأسلوب الوحيد المتاح للتشاور وتنسيق جهود مختلف القبائل الشركسية في غرب وشرق شمال القفقاس هو أسلوب (اللقاءات والاجتماعات الطارئة) وحسب ما تسمح بها مجريات المعارك اولا، وحسب المتطلبات السياسية الظرفية ثانيا. كما اصبحت مهمة التنسيق والتشاور بين قادة وممثلي القبائل الشركسية المختلفة هي المحور الأساسي لمثل هذه الاجتماعات بعد ان كانت مهمتها ايام السلم وفي الظروف الطبيعية التخطيط والتنظيم وإدارة الحياة في القبيلة الواحدة او القبائل المتحدة معا.

وبدراسة عدد (الاجتماعات الطارئة) التي سبق أن دعا إليها القادة والزعماء والامراء في النصف الاول من القرن التاسع عشر وفي السنوات الخمس الاخيرة من (حرب الابادة والدمار) وجدنا بأن عددها قد تجاوز (٢٠) اجتماعا ولقاء شعبيا، حضرها معظم زعماء وأمراء وقادة القبائل الشركسية جنبا إلى جنب مع ممثلي المقاتلين وعامة الشعب.

وفيما يلي أهم تلك الاجتماعات على سبيل المثال وليس الحصر:

* **الاجتماع الذي عقد عام ١٨٢٦م** وأعلن فيه القادة وزعماء الشراكسة وبتأييد من المحاربين والفلاحين رغبتهم في العيش بسلام مع الروس شريطة عدم قيامهم بأية اعمال عدائية.

* **الاجتماع الذي عقد عام ١٨٢٨م** على إثر تنازل تركيا عن بلاد تشركسيا إلى روسيا بموجب معاهدة (اندريانو بولوس) المعروفة باسم معاهدة (ادرنة) حيث عقد اجتماع شعبي كبير حضره ممثلو جميع القبائل الشركسية وقرروا فيه:

رفض الاتفاقية بقولهم إن الشعب الذي قاوم على مدى مئات السنين للحفاظ على حريته واستقلاله ضد خانات القرم واغراءات الاتراك لا يرغبون في الوقوع تحت سطوة الاستعمار الروسي **وجاء الرفض للاتفاقية**، على اعتبار ان السلطان العثماني لم يكن يملك بلاد (الاديغة) في يوم من الايام حتى يقوم بالتنازل عن بلاد لا يملكها اصلا، وعندما حاول احد الضباط الروس اقناع شعب (الاديغة) بأن السلطان العثماني (اهداهم للروس) اجابه احد الشيوخ الحاضرين مشيرا إلى طائر يطير في السماء.. **قائلا له "وانا أهديك هذا الطائر فخذه لك".**

* **الاجتماع الذي عقد في تشرين الاول من عام ١٨٣٠م** وحدث فيه خلاف كبير بين مؤيدي تبعية روسيا ومؤيدي تبعية تركيا، وهو الاجتماع الذي رفض فيه ممثلو الفلاحين رأي أغلبية الزعماء والامراء والقادة المؤيدين للتبعية الروسية. وبالتالي لم يصدر قرار التبعية لأي من الطرفين.

* **الاجتماع الذي عقد في عام ١٨٣٣م**، لاختيار اعضاء الوفد المقرر سفرهم لاستانبول لمعرفة الموقف التركي النهائي في حربهم مع العدو الروسي.

* **الاجتماع الذي عقد في شباط من عام ١٨٣٥م** بدعوة من زعماء الشابسيغ والناتخواج لوضع تكتيك وسياسة محددة للتعامل مع روسيا. وقام اثناء الاجتماع النقيب "لايونز" الانكليزي الاصل بتسليم المجتمعين رسالة من (صفر بك) يدعوهم فيه إلى الانتفاض وعدم الرضوخ للروس، ووعدهم بمساعدة سريعة من قبل تركيا وانكلترا، وقد أكد ذلك أحد أعضاء الوفد العائد من (استانبول) وصدّق المجتمعون هذه الوعود، وقرروا فيه عدم مسالمة الروس واقسم رؤساء وزعماء (تحمادات) كل من الشابسوغ والناتخيرج اليمين معاقبة كل من يخرق هذا القسم وبفرض غرامات مالية وعقوبات اجتماعية وسياسية عليه.

الاجتماع الذي عقد في شهر حزيران عام ١٨٣٦م وهو من أكبر الاجتماعات التي عقدت في منطقة الشابسوغ والناتخواج، حيث تم فيه مناقشة مبادئ السلام مع روسيا القيصرية.. والاطلاع على الاعلان المنشور في مجلة (Pontfolio) باسم كل من "ملك انجلترا ومحمد علي باشا حاكم مصر، والسلطان العثماني التركي" وهو الاعلان الذي تضمن **قرار استقلال تشركيسيا عن روسيا.**

* **في صيف عام ١٨٣٨م عقد اجتماع كبير على نهر (أداغوم)** للشابسيغ والناتخواي ايضا حاول فيه العملاء الانكليز إقناع المجتمعين بضرورة توحيد كل الاديغة، ونجح العملاء في اقناع المجتمعين بأداء القسم على خوض الحرب ضد روسيا، وعلى رأسهم العميل "اوركات" الذي كان يحاول ومنذ عام ١٨٣٤ اقناع الاديغة بالوحدة تحت سلطة واحدة وعلم واحد.

الاجتماع الشعبي الكبير الذي عقد خريف عام ١٨٣٨م ايضا في بلاد الشابسوغ بحضور جميع زعماء ورؤساء وقادة الامة الشركسية في الوطن الام، وكذلك حضور ممثلي الشعوب الشركسية، ووقع في الاجتماع على وثيقة الاستقلال، كما اصدر المجتمعون نداء موجهاً إلى الدول الاوروبية وتركيا وبعض الدول الإسلامية.

الاجتماع التي عقد عام ١٨٤١م بدعوة من زعماء الشابسوغ والابزاخ والاوبيخ والناتخوج وتم فيه اتخاذ قرارات هامة؛ منها تنظيم هجوم عام على خط التحصينات على ساحل البحر الأسود، وهو الاجتماع عقد على ضفاف نهر (بشيحة) كما تقرر فيه عدم جواز انشاء علاقات صداقة مع (الكفار الروس) ورفض اية اقتراحات بعقد سلام مع الاعداء الروس وتكليف كل قادر على حمل السلاح الاستعداد تمهيدا لشن الهجوم العسكري المقرر من قبل المجتمعين.

* في عام ١٨٤٦م وعلى اثر لجوء امراء ونبلاء واقطاعيين شراكسة للسلطات الروسية لحمايتهم من الانتفاضة الشعبية الشركسية التي قام بها عامة الناس وفلاحي قبائل الشابسوغ والناتخوج، دعي الزعماء الشعبيون لعقد اجتماع عام، تقرر فيه مصادرة ممتلكات كل الامراء والنبلاء الذين لجأوا للروس لحمايتهم، وأما بالنسبة للنبلاء الذين لم يلجأوا إلى السلطات الروسية فقد وافق زعماء الشعب على بقائهم بينهم شريطة ان يكونوا متساوين في الحقوق المدنية مع عامة الشعب.

* **في عام ١٨٥٦ تأسست في (شركسيا) جمعية سرية سميت بجمعية (المدافعين عن استقلال شركسيا)**، وتقرر إشهار الجمعية بعد مناشدة من "صفر بيك" إلى الأصدقاء والمساندين في انكلترا وفرنسا، وكان منظم وقائد الجمعية الجاسوسين الانجليزيين "اوركات" و "بيل"، وفيما بعد سميت الجمعية (بلجنة الشركس) وقامت بمناقشة خطة عمل بغية تنظيم نقاط تخزين على الجزر (الايونية) أسلحة وذخائر، ليتم نقلها في قوارب صغيرة إلى شركسيا، وكانت هذه الجمعية مرتبطة بشكل قوي بالحكومة الانكليزية والصناعيين والتجار الانجليز الكبار، ووضعت نصب اعينها هدف تحقيق (استقلال شركسيا) بالقيام بدعاية واسعة من قبل عملاء الانكليز واقناع الدوائر الانكليزية الحاكمة، بأن مفتاح القوة التجارية والحربية الانكليزية في آسيا يتوفر في (شركسيا).

الاجتماع الذي عقد في آيار ١٨٥٦، دعا "صفر بيك" إلى اجتماع كبير للناتخواج على ضفاف نهر (أزبيس)، وخطب في الاجتماع مندوبون شراكسة عائدون من (استانبول) وطلب المجتمعون حماية السلطان والتبعية له، وأعلن المندبون، أنهم قابلوا السلطان مرتين، وقال لهم في المرة الأولى بأن لا أحد يستطيع مساعدتهم، وأنه حسب معاهدة باريس فإن الشراكسة هم مواطنون تابعون للقيصر، **إلا أنه في اللقاء الثاني وعد السلطان بحماية الشراكسة إذا اقسموا يمين الولاء له، وأن السفن الحربية التركية والانكليزية والفرنسية ستحميهم ولن تسمح لأحد بالاعتداء عليهم.**

الاجتماع الجماهيري الكبير الذي عقد في عام ١٨٦١م بمناسبة زيارة القيصر الاسكندر الثاني لمنطقة الابزاخ ..وهو الاجتماع الذي طلب فيه القيصر من الشراكسة (الرضوخ لحكمه وإلا سيرغمون على ذلك بالقوة) وجاء رد الشراكسة المجتمعين وعلى لسان أحد القادة الحاضرين الذي قال كلاما فيه وضوح وصراحة بعدم قبول الشراكسة بالرضوخ لحكم القيصر حتى ولو كلفهم ذلك حياتهم وأن أي شركسي يجري في عروقه الدم الشركسي لن يقبل الاستسلام .

المؤتمر الذي عقد يوم ١٨٦١/٦/١٣ بحضور زعماء (١٢) قبيلة شركسية بمن فيهم قبيلة (الاوبخ) وتقرر فيه تشكيل (اتحاد شعوب ما وراء الكوبان) وتأسيس مجلس وطني، وانتخاب ممثلي الحكومة المركزية من (١٥) ممثلا سمي (بالمجلس الشركسي الأعلى الحر)، كما تقرر في هذا الاجتماع اعتماد مواصفات وشكل العلم الوطني الشركسي كرمز لوحدة الشعوب الشركسية، وهو العلم الذي يتكون من قماش الحرير اخضر اللون وعليه ثلاثة اسهم متقاطعة و (١٢) نجمة وكل نجمة ترمز لقبيلة من القبائل المشاركة بالاتحاد كما هو مبين في الشكل المرفق.

الاجتماع الذي عقد صيف عام ١٨٦٢ عقد مؤتمر شعبي كبير بحضور جميع قادة القبائل الشركسية في وادي نهر (سوتشي) تقرر فيه ارسال وفد إلى (استانبول) برئاسة "اسماعيل باراكايا" وقام الوفد بتسليم الصدر الاعظم (رئيس الوزراء) التركي عريضة طالبوا فيها الحماية والمساعدة الحربية في حربهم ضد الروس، ثم قامت لجنة الشراكسة في (استانبول) بإرسال ثلاثة من اعضاء الوفد إلى (باريس) و (لندن) لاستكشاف نوايا كل من فرنسا وانكلترا، وعند عودتهم إلى شركسيا أعلنوا أن أوروبا مستعدة لمساعدتهم (إلا أن شيئا من ذلك لم يحدث).

* **في عام ١٨٦٣ تشكلت اللجنة الشركسية في (استانبول)** من رؤساء القبائل الشركسية ومن الشراكسة المهاجرين المرتبطين بشكل وثيق بالدوائر الحكومية التركية الحاكمة، ومن ممثلي المهاجرين البولونيين الذين كانوا خير داعمين للشراكسة في حربهم ضد الروس.

* **وفي عام ١٨٦٤ ايضا عقد مؤتمر وطني كبير لقبائل الاديغة حضره اكثر من ٤٠٠٠ الاف شخص** يمثلون مختلف طبقات المجتمع الشركسي في منطقة ما وراء الكوبان، وكان ذلك آخر اجتماع شعبي يعقد قبل انتهاء حرب الإبادة والدمار الروسية واستيلاء سلطات روسيا القيصرية على كامل أراضي القوقازية عامة والأمة الشركسية خاصة ابتداء من يوم ١٨٦٤/٥/٢١م .

خامسا: سياسة رفض المعاهدات التي وقعتها السلطات التركية مع سلطات روسيا القيصيرية نذكر منها:

رفضهم معاهدة أدرنة والمعروفة باسم معاهدة (اندريا بولوس) التي وقعها الأتراك مع الروس في عام ١٨٢٨ والتي كان من أهم بنودها:

"تنازل تركيا رسميا لروسيا عن بلاد الشراكسة في شمال القفقاس، علما أنها لم تكن منطقة تابعة لأي كان، وعلى الرغم من استقلالها الفعلي إلا أن العثمانيين قاموا بإهدائها لروسيا القيصرية، وكأنهم أصحابها، الأمر الذي أضعف الرأي العام العالمي وأفقده الاهتمام بقضية قفقاسيا وكأنها مسألة داخلية سويت بين الدولتين (الروسية والتركية).

وعندما تحركت روسيا للسيطرة على القفقاس بعد هذه المعاهدة هب الشراكسة في كل مكان لمقاومتهم والدفاع عن (الأرض والعرض) ففي القسم الغربي من شمال القفقاس تحرك مجلس الشعب الذي يضم الأبزاخ والشابسوغ والوبيخ والقبائل الأديغية الأخرى. وحاولت روسيا شراءهم بإرسال الهدايا إلى زعماء هذه القبائل، ومحاولة عقد الصلح معهم بشكل منفرد، وفي عام ١٨٣٨ عرض على زعيم (الأبزاخ) معاهدة صلح منفردة ولم يجب عليها بل رفعها إلى مجلس الشعب الشركسي ليعطي رأيه فيها.

وفي عام ١٨٣٩ اجتمع مجلس الشعب في منطقة الشابسوغ وبعد مداولات عديدة ونقاشات موسعة استقر الرأي على إصدار بيان إلى العالم أجمع يتضمن شرحاً كاملاً للأعمال الوحشية واللاإنسانية للقوات الروسية وبطلان معاهدة أدرنة وهذا نصه: *

* النص مترجم عن:
Edmound Spencer – "Travels in the Circassia", London, 1838.

كيف يمكن أن سكان قفقاسيا المحليين سيوضعون تحت التبعية الروسية وهم حتى ليسوا في حالة صلح معهم، فهم ما زالوا في حرب منذ مدة طويلة، حرب استطاعوا أن يستمروا فيها وحدهم طوال هذه المدة بدون أي مساعدة أو تأييد من أية قوة أو طرف خارجي.

إن مسلمي قفقاسيا يعتبرون الزعيم الديني (الخليفة) لجميع المسلمين والذي يتمثل بالسلطان وهو زعيمهم الديني وبالرغم من ذلك، فقد ترك الشراكسة وحدهم، مع أن أحد باشوات السلطان كان يفتح أبواب (أنابا) لموسكو ليضمن صداقة الروس ضد زعماء الأرمن الذين هم أعداء السلطان. وباشا آخر خدع الشراكسة وهرب من بلادهم في منتصف إحدى الليالي. بعد ذلك لقد حاول الشراكسة تقديم طلبات مساعدة للسلطان، ولكن قوبلت في كل مرة ببرود زائد وبدون جواب شاف. وبنفس الطريقة طلبت المساعدة من الدولة المسلمة الأخرى (إيران) ولكن لم نحصل على جواب شاف. وأخيرا اضطروا إلى طلب المساعدة من محمد علي باشا الكبير والي مصر وفعلا حصلوا على الجواب الشافي والمقنع إلا أن بعد المسافة كان مانعا أساسيا في تقديم المساعدة.

في كل هذه الطلبات كانت الهيئة الشركسية تحاول ان تشرح أن الهجوم الروسي لن يقف عند حد، وأنهم حسب التقاليد والعادات الروسية هم أعداء لسعادة الإنسان، ويشرحون كذلك مقدار غدر الجنرالات الروس، وان جنودهم يقتلون بلا رحمة وأن القضاء على الشراكسة ليس لمنفعة أحد، بل إن في مساعدة الشراكسة فائدة لبقية الأمم.

إن الجيش الروسي الذي يحاصرنا الآن والبالغ مائة الف جندي سوف يحاربكم أنتم غدا. إنهم الآن يحاربون رجال الشراكسة في جبال القفقاس الوعرة، ولكن غدا سوف يدوسون بنعالهم سهولكم الخضراء وسيتمكنون من أسركم. إن جبالنا الشامخة ورجالنا الأشاوس هم السد الواقي لتركيا وإيران. فإذا لم تقدم المساعدة ستسقط أبواب هاتين الدولتين. فهذه الجبال الآن هي حامي هاتين الدولتين.

أضف إلى ذلك أن دمنا، الدم الشركسي، يملأ أوردة وشرايين السلطان، فأمه وزوجته شركسيتان وكذلك جميع حاشيته ووزرائه وجنرالاته شراكسة، فهو قائدنا الديني والروحي وهو صاحب قلوبنا ونحن نقدم له صداقتنا ومن أجل كل هذه العلاقات فإننا نريد مساعدته لنا.

فإذا كان السلطان لن يدافع عن أولاده او لا يستطيع فعليه أن يفكر بأحفاد خانات القرم الذين ينحدرون من نفس سلالة السلطان، والذين يعيشون بين ظهرانينا. هذا ما ستتكلم به وفودنا. فإذا كان السلطان بموافقته هذه يعلم كم من الرجال تؤيده وتقف إلى جانبه لما وافق على صداقة الروس.

إننا نعلم أن روسيا ليست القوة الوحيدة في العالم وأن هناك قوى أكبر منها في العالم. وبالرغم من قوتهم فهم يقفون بجانب الضعيف، فهم ليسوا أصدقاء لروسيا بل أعداء لها وبنفس الوقت ليسوا ضد الصلح بل مع الصلح مع روسيا. انجلترا وفرنسا، هما أقوى دولتين في العالم. فعندما كان الروس يأتون بقوارب صغيرة للصيد في بحر آزوف كانوا يطلبون المساعدة والسماح لهم بالصيد معنا وكانت انجلترا وفرنسا دولتان قويتان في ذلك العهد. إننا لا نأمل من انجلترا وفرنسا أن يهتموا بشعب صغير مثل الشعب الشركسي، ولكن مما لا شك فيه بأن هؤلاء الأصدقاء الأذكياء يعرفون أننا لسنا روسا وعلمنا محدود ومدافعنا محدودة وأن جنرالاتنا لم يتدربوا تدريبا عسكريا حديثا وأن بلادنا لا تملك السفن ولا يوجد فيها

أغنياء كثيرون. فهم يعلمون ذلك ويعلمون أننا شعب مستقيم أمين صادق، وإذا لم نحارب أو نحاصر فنحن شعب نحب السلام، وهم يعرفون أيضا أننا محقون في كرهنا للروس وأننا في معاركنا نهزمهم.

لكل هذه الأسباب بدت دهشتنا واستغرابنا عندما علمنا أن هناك خرائط للعالم قد طبعت في أوروبا وأظهرت أن بلادنا قطعة من روسيا، وهذا لم يخطر على بالنا مطلقا. لقد وقعت اتفاقية بين الروس والعثمانيين تنازل بموجبها العثمانيون بأن أعطوا جبال القفقاس بدون علمنا وبدون الاتفاق معنا إلى روسيا التي لم تستطع أن تجد موطئ قدم لها هناك وتناست أن سكان هذه الجبال هم محاربون هزموا روسيا مرارا، بينما كانت تدعي روسيا أن غرب "جركاسيا" وقبائلها لا يوجد فيها قانون أو طريقة جيدة لإخضاعها.

إننا نعلن اليوم بأننا نعارض بشدة أمام العالم أجمع مثل هذه الأخطاء والأساليب الخداعة المستعملة ضد شعبنا.

إننا نؤكد بأننا اليوم نستعمل الكلمة مقابل الكلمة ولكن نعطي الصحيح مقابل الخطأ في استعمالنا الكلمة.

لقد عارضنا بشدة وقاومنا بطاقتنا العسكرية **أربعين عاما متواصلة**. إن هذه الدماء التي أهدرت كانت من أجل إعلان استقلالنا، إن هذا الكلام لا يعترف بما هو أعلى منه ولا يقبل المواربة ولا يوجد مطلب لنا سوى حماية وطننا والدفاع عنه. وأن هذه الكلمات تعود للأشخاص الذين يعرفون كيف يستعملون سلاحهم على أكمل وجه عند اقتراب موعد هجوم الروس علينا فأي قوة ممكن أن تقهرنا.

إن قدمنا صداقتنا للسلطان فكيف سيقبل ذلك في حين كان يتفاوض مع الروس من أجل الصلح بينما نحن الشراكسة كنا في حالة حرب مع روسيا. إن صداقتنا بدون مقابل أو بفداء، فلا يستطيع بيعها أو تحويلها لأنها لم تكن مشروطة. فإن أراد أن يكون عادلا فنحن بكل حب وتقدير نتوقع المساعدة من انجلترا، تلك الدولة الكبيرة. وإن أراد يستطيع أن لا يفكر بالشراكسة ولكنه يستطيع ان يصم آذانه عن أكاذيب الروس كما صم آذانه عن استغاثة الشراكسة. وليرى الفرق بين شعبنا الذي يلقبونه بالعبيد والبربرية وبين هؤلاء الذين يريدون سحقنا.

نحن أكثر من أربعة ملايين ولكن مع الأسف منقسمين إلى شعوب وقبائل، لنا عاداتنا وتقاليدنا المختلفة ولكن لم يكن لنا هدف واحد مستمر لغاية الآن ولكن لدينا تنظيم كدولة عادية ألا وهي التقاليد التي تحكمنا. نطيع قوادنا المنتخبين في حالة الحرب طاعة عمياء. إن كبارنا وأمراءنا يديرون مناطقهم ويحكمونها حسب عاداتنا وتقاليدنا بشكل أفضل بكثير من إدارة الدول المحيطة بنا، وبالرغم من احتياجنا الشديد إلى قائد أو قيادة دائمة من بيننا، إلا أن ذلك القائد لم يظهر، ولهذا ما يطمع بنا الأجانب، ولذا أيضا كنا تابعين للسلطان كرجل ديني عن طيب خاطر، وكذلك كنا تابعين لخان القرم ايضا. أما روسيا فكانت تعمل في كل وقت لحكم بلادنا وتحويلنا إلى عبيد لها. فكانت تريد استغلالنا في جيوشها، وذلك لاحتلال مناطق أخرى حتى ولو كانت بلاد سكانها من الروس البيض أو يدينون بنفس ديانة روسيا فيحولونهم إلى عبيد لهم لكي يزداد ثراء القياصرة الروس؛ لذا فإن الحق والكراهية بيننا تزداد صلابة وقوة كل يوم ولو كان العكس لتمكن أحد قادة الروس من احتلالنا وربطنا بدولتهم.

إن تصرفاته الظالمة وعدم الوفاء بالوعود التي كان يقطعها، وكيف كان يحاصر بلدنا وكيف كان يقطع عنا ويمنع ما هو ضروري لحياتنا ويضع العراقيل أمام تجارتنا، وكيف كان يترك زعماءنا الذين يجب

إطاعتهم بدون أية وسيلة وكيف كان يقضي على قرى كاملة وقبائل بأكملها، كيف كان ينظر إلينا وكأننا متاع خاص به، وكيف استطاع بأكاذيبه وحيله أن يظهرنا بأننا شعب لا يستحق العيش وأننا عبارة عن برابرة ويقنع كل أوروبا والعالم المسيحي حتى والعالم بأكمله. كلها حكاية طويلة إذا أردنا الدخول بتفاصيلها لن تكفينا المجلدات.

لقد فقدنا مخزوناتنا التي كانت تكفي مئات الآلاف من البشر. ولكن مع إصرار روسيا على احتلال بلادنا وقفنا كجسد واحد نحاربها بشراسة وضراوة وروسيا استطاعت أن تسيطر على مائتي ألف منا، ولكن لم يكن واحد من هؤلاء راضيا عن هذا الوضع.

الروس أخذوا أبناء أبطالنا كرهائن، وهناك بعض الأشخاص من شعبنا قد حظوا بالعمل تحت راية إمبراطور روسيا، ومقابل ذلك فقد فضلوا العمل مع الأمبراطور وتخلوا عن وطنهم والخطر المحيط به. ولكن بالمقابل أيضا هناك العديد من الروس يعيشون في وطننا ويفضلون البربرية التي أطلقت علينا عن المدنية والحضارة التي يدعي حكام روسيا بأنهم أصحابها. أقامت روسيا القلاع والحصون على طول الحدود، وبالرغم من ذلك استطعنا استدراج (٥٠٠٠٠) جندي روسي إلى الداخل والقضاء عليهم. إن احتلال أي بلد لا يتم بالكلام بل بالقوة، لذا فإن روسيا لن تقدر علينا ولكنها إن تمكنت من الأمور التالية: قطع طرق المواصلات البرية عنا وأن تستغل تركيا وإيران وكأنها بلاد تابعة لها ومحاصرتنا عن طريق البحر وإغلاق جميع الطرق البحرية وبذلك تمنع عنا البارود والملح والعتاد الحربي اللازم للحرب. وعندها تتركنا وحدنا مع آمالنا وتتمكن من السيطرة علينا واحتلال بلادنا.

ولكن نحن مستقلون وأحرار ولا زلنا في حرب مع الروس والنصر لنا. إن مثل الإمبراطور الروسي قام باتصالات معنا لا ليعتذر عن حكومته التي قامت وطبعت خرائط تظهر فيها بأن شمال القفقاس قسم من بلاد القيصر، وأننا عبارة عن عبيد في بلادهم كما كانوا يوهمون أوروبا بأسرها، بل جاء ليتفاوض من أجل تبادل الأسرى وإخراج (٢٠٠٠٠) جندي روسي محاصرين من قبل قواتنا. **(انتهى نص الوثيقة).**

وانتهى اجتماع مجلس الشعب الشركسي بالتوقيع على الوثيقة أولا، وبرفض الصلح الذي عرضته السلطات الروسية القيصرية ثانيا، وواصلوا القتال على الجبهتين الشرقية والغربية وكانت أشد المعارك عنفا وأكثرها عددا تلك المعارك التي جرت ما بين ١٨٤٠- ١٨٤٦ حيث بلغ عددها (٨٨) معركة. *

كما صدر في عام ١٨٦١ الوثيقة الثانية وهي وثيقة إعلان استقلال الأمة الشركسية وقع عليها زعماء الأوبيخ، والأبزاخ، والشابسوغ في اجتماعهم العام الذي عقد في يوم ١٨٦١/٦/١٣ في وادي سوتشي على أثر ازدياد هجمات قوات سلطات روسيا القيصرية على مقاطعة (الأديغة) واستشهاد العديد من الزعماء والقادة العسكريين، بيانا تضمن أهم قرارات مجلس الشعب في الأديغة وهي:

١- تشكيل اتحاد (وحدة) شعوب شمال القفقاس.

٢- كل من ينفصل عن هذا الاتحاد يعاقب أشد العقوبات.

٣- إعلان يوم ١٣ حزيران ١٨٦١ بيوم الاستقلال لدى الشراكسة.

٤- انتخاب مجلس لعموم الشراكسة سمي بالمجلس الوطني.

* الوثائق الروسية (إبادة الشراكسة)، مصدر سابق، ص: ٧٠.

٥- انتخاب حكومة مركزية بطريقة الاقتراع السري مؤلف من (١٥) شخصا سمي المجلس الحر الأعلى لبلاد الشراكسة.

٦- تقسيم البلاد إلى (١٢) منطقة وعين في كل منطقة قاضياً ومفتياً ومختاراً وضابط أمن.

٧- تطبيق قرارات المجلس على جميع القبائل والشعوب الشركسية.

٨- جباية الضرائب وصرفها بحق الله وبواسطة أعضاء المجلس الحر الذي يعتبر ممثل قفقاسيا الحرة، في إدارة شؤون البلاد.

٩- الطلب من انجلترا المساعدة في حربهم ضد قيصر روسيا لعلمهم أنها الدولة الوحيدة التي يمكن ان تؤثر على السلطان العثماني.

١٠- إرسال البيان إلى جميع الدول الأوروبية لاطلاعهم على آخر الأوضاع في القفقاس.

إلا أن هذا الاتحاد لم يدم طويلاً لتسارع المعارك وازدياد شدتها حيث أشارت الوثائق الروسية بأنه لم يكن يمر يوماً واحداً دون حدوث قتال او اعتداء من قبل القوات العسكرية للسلطات القيصيرية الروسية وكذلك فإن هذه الوحدة لم تنجح لانشغال القادة السياسيين والعسكريين الشراكسة في صد الاعتداءات الوحشية.

مراجع ومصادر الفصل الثامن

١- الجغرافي (سترابو) وهو يوناني الجنسية، وعاش في الفترة ما بين (٦٢) قبل الميلاد وحتى (٢٠) ما بعد الميلاد، كتب عن تاريخ شعب الكيركتين (اجداد الشراكسة) وعن الدولة التي تشكلت في عهدها.

٢- مجلة الثقافة القفقاسية عدد خاص عام ١٩٧٢، ص٣٨-٣٤.

٣- نغموقة، مصدر سابق ص: ٦٩-٧٠.

٤- آبه زاو، موسوعة تاريخ الجركس والقفقاس، مصدر سابق ص: ٢٥٠-٢٥٩.

٥- برزج، نهاد، مصدر سابق، ص: ٦٠-٦٤.

٦- كتاب تاريخ جمهورية كباردينو – بلقاريا.

٧- ادموند سبنسر، رحالة زار تشركيسيا عام ١٨٣٨ ص: ٦٨.

٨- قاسوم، علي حسن، مصدر سابق، ص: ١٠٧-١٠٨.

٩- المصدر نفسه ص: ٩٩.

الفصل التاسع

حقائق حول بعض الاخطاء والمواقف السلبية التي مرت بها الامة الشركسية في الوطن الأم منذ عصر ما قبل التاريخ وحتى العصر الحديث

ان الدارس لتاريخ الامم والشعوب القديمة منها والحديثة، يجد بأنها ارتكبت في مسيراتها التاريخية، اخطاء سياسية او اقتصادية او اجتماعية، كما يجد بأن مجتمعاتها مرت في مواقف ضعف وانتشرت فيها امراض وعلل اجتماعية.

والأمة الشركسية منذ عصر الاجداد والاباء، مثلها مثل الامم الاخرى، ارتكبت اخطاء، ومرت بمواقف ضعف وتفكك، وانتشرت فيها بعض العلل والامراض الاجتماعية، كان لها بعض الاثار السلبية على مسيرتها التاريخية الطويلة والحافلة بالصعوبات والتحديات، أثرت سلباً "بطريقة غير مباشرة" على تقدمها الحضاري في الماضي البعيد، كما ساهمت بطريقة مباشرة، على مستوى واسلوب التعبئة القومية لمواجهة حروب الابادة والدمار التي فرضتها سلطات روسيا القيصرية والمرتزقة من مختلف الشعوب والقوميات القوقازية المتعاونة مع القياصرة الروس.

وبالبحث والدراسة والتحليل لأهم الاخطاء السياسية والاقتصادية أولا، وعلى المواقف السلبية التي مرت فيها الامة الشركسية ثانيا، ولأهم العلل والامراض الاجتماعية التي انتشرت في المجتمعات الشركسية ثالثا، وجدنا بأن الأمة الشركسية لم تكن أمة مثالية في بعض مراحل مسيرتها التاريخية وأنها لم تكن امة منزهة عن الاخطاء، وفي نفس الوقت فإنني لست من المؤرخين والكتاب الشراكسة وغيرهم الذين يجلدون الذات ويذهبون للقول بأن الشراكسة لم يهتموا بمعالجة أمراضهم الاجتماعية، وانهم لم ينتبهوا لاخطائهم الاقتصادية والسياسية، فتركوها حتى استعصى علاجها.. وتفشت سمومها فكانت القاضية عليهم وعلى مدنيتهم(١).

وكذلك فإنني لا اتفق اطلاقا مع المؤرخين والكتاب الذين قالوا بأن الأسباب التي ساهمت في ضياع الامة الشركسية هو تنافسهم، وتطاحنهم، واتهامهم بالخصومات العائلية والاختلافات القبلية مثل الكاتبة (خيرية ملك خونج) التي قالت: "إن من أهم الأسباب (لا تقع تحت حصر) التي عجلت باضمحلال الجراكسة وكثير من الامم الاخرى الشقاق وعدم الاتحاد. **وأن الشراكسة ظلوا في منازعات، ولم يفيقوا (يصحو) يوما من هذه المنازعات، وأنهم لم يتفقوا على الاتحاد والتآلف، ويكونوا كتلة واحدة قوية أمام أعدائهم ومنافسيهم، بل الأدهى والأمر أنهم لم يفهموا يوما ما أن حياة الأمة وبقاءها خير من حياة الفرد والقبيلة وبقائهما (٢).**

وكذلك فإننا لسنا من المتشائمين الذين ذهبوا للقول بأن الامة الشركسية كانت من الأمم التي كانت سببا في القضاء على نفسها بنفسها.. وانها سعت لحتفها بنفسها.. وانها جلبت على نفسها التعاسة والشقاء.

وكذلك إنني لست مع كل الذين حمّلوا الاجداد والاباء وزر نتائج حروب الابادة والدمار الروسية التي ادت إلى الابادة والتهجير القسري لــ (٩٠%) من الأمة الشركسية التي كانت تعيش في الوطن الام في شمال قفقاسيا خلال القرنين الثامن والتاسع عشر الميلادي.

وموقفي هذا ليس هو موقف قومي عاطفي، وكذلك فإن دفاعي لم يكن تعصبا لقومي ووطني، لأن الجميع مثلي يحبون قومهم وأمتهم ووطنهم، وإنما اتخذ هذا الموقف الرافض لكل الاسباب التي اشار إليها المؤرخون والكتاب (السابق ذكرهم) استنادا للحقائق التي توصلت إليها بعد بحث ودراسة وتحليل للوقائع والاحداث التاريخية.

فالاخطاء السياسية التي ارتكبتها الأمة الشركسية قليلة العدد والحجم، والعلل الاجتماعية التي ابتليت فيها محدودة، ومواقف الضعف التي مرت بها في تاريخها الموثق لأكثر من الفي سنة

هي مواقف فرضتها عليها قسوة ووحشية الاعتداءات التي تعرضت لها، ويتضح ذلك كله من الحقائق التي توصلت إليها في بحثي وهي على النحو التالي:

الحقيقة الاولى: تؤكد الوثائق التاريخية والروايات المنقولة حدوث نزاعات وخلافات وانشقاقات بين الامراء الاشقاء وغير الاشقاء في بعض القبائل والعائلات الشركسية الكبرى.. إلا أنه غير صحيح بأن مثل هذه النزاعات وتلك الخلافات أو الانشقاقات كانت تحدث بشكل مستمر في كل العهود والعصور، حيث وجدنا في بحثنا بأن عدد حالات النزاع والشقاق التي حدثت لم تتجاوز (٨) حوادث او خلافات أو شقاقات خلال مسيرة للأمة الشركسية في تاريخها الطويل.

وفيما يلي تسجيل لأهم وابرز حالات الخلاف والنزاع بين الامراء الشراكسة التي ورد ذكرها في الروايات القديمة.

الحادثة الاولى:

يعود تاريخ اولى الخلافات والنزاعات بين بعض (امراء الشراكسة) إلى القرن الثامن الميلادي وبالتحديد في عهد دولة (زيخيا الفيدرالية)، حيث يؤكد المؤرخون بأن هذه الفيدرالية التي شاركت في تأسيسها جميع القبائل الشركسية في شمال ققفاسيا التي كانت تستوطن المنطقة الممتدة ما بين شبه جزيرة (تامان) وحتى جنوب مناطق (الابخاز)، وامتد حكمها من القرن السادس الميلادي وحتى نهاية القرن الثامن الميلادي وانتهى حكمها بسبب الخلافات التي حدثت بين امراء القبائل المتحدة والمشاركة في هذه الدولة الفيدرالية، وانقسمت إلى دولتين هما (الابشوا) و (القاسوغ)... وكان هذا أول خلاف حقيقي سُجل تاريخيا بين أمراء أجداد الشراكسة من دولة (زيخيا) .

الحادثة الثانية

تشير الوقائع التاريخية بأن الامير (ينال) تزوج في حياته ثلاث مرات، ورزق من نسائه الثلاث خمسة من الابناء وهم (جانخوت Janchot) من امرأته الاولى و (منبولات Minbolat) و (بسلان Besslan) من الثانية، و (اونارمس Unormess) و (قرغيش Kirgish) من امرأته الثالثة.

قام الامير (ينال) بتربيتهم حسب العادة القديمة المتبعة عند عائلات (الاتالق) من (الازدون) النبلاء، وبالرغم من ذلك لم يكن لديهم من الكفاءة والقوة ما يمكنهم من ادارة البلاد وضمان السلام والاستقرار فيها، وكذلك لم يكن أحد منهم متصفا بصفات ابيهم الامير (ينال) المشهور بالحكمة واللين، وباحتفاظه بمحبة الشعب له، كما انهم لم يحرزوا في حياتهم شهرة ما، ولم يقوموا بعمل بطولي يذكر، بل كانوا عاجزين كل العجز عن تسيير دفة الحكم في البلاد الواسعة التي تولوا إدارتها بحكم الوراثة، بعد وفاة أبيهم الأمير (ينال).

ووصفهم المؤرخ الشركسي "تغموقة" بقوله: لم يتصرفوا مع الشعب بالحكمة واللين وانما تعاملوا معهم بقسوة، كما كانت حدة طباعهم سببا في إثارة المواطنين عليهم، وتذمرهم ونفورهم منهم، كما ان طيشهم أدى إلى تزايد كراهيتهم، وأعمالهم كانت منحصرة في إثارة الفتن، وبذر الشقاق والنفور بين أبناء الشعب الواحد، وحتى بين الزعماء أنفسهم، واكد "تغموقة" بأن بعض هؤلاء الزعماء استفاد من ضعف حكامهم، وجهل ولاة امورهم، فراحوا يعيثون في الأرض فسادا، مما أدى ذلك إلى اضطراب الأحوال وانعدام السكينة وانتشار الفوضى وانقسام الشعب على نفسه وظهور الفرق والاحزاب فيها وساءت الاحوال بعد ذلك إلى درجة أنهم تناسوا فضائل تربيتهم وعاداتهم وتقاليدهم الشركسية، وصار الأخ الأصغر يتجاسر على معارضة أخيه الأكبر، والخروج عن طاعته واحترامه، متناسين واجب الاخوة وكان يحدث كل ذلك بتحريض من الامهات الثلاث.

وتطورت الخلافات بينهم إلى الحد الذي ادى إلى تفرقهم، وسار كل على طريقه، وبعد انقسامهم إلى ثلاث فرق بقي الفريق الاول منهم في (خه كاك Chagak)، والفريق الثاني هاجر واستوطن اقليم (كمركوي Kemirgoi)، والفريق الثالث رحل إلى بلاد القبارطا Kabarda). [٣]

وهكذا انتهت الدولة الاتحادية الكبرى التي سبق أن انشأها والدهم الأمير ينال العظيم.

الحادثة الثالثة

الخلافات التي أدت إلى انقسام إمارة قباردا (القبرطاي) إلى ثلاث امارات بعد انتصارهم على جيش (التورغوت – Tungnt) اجداد القالموق بمشاركة قوات من (التتار) في مناطق (طارقي) في القرن الثالث عشر الميلادي [٤].

وكان كل أمير من أمراء القبرطاي يدير دفة الحكم في مقاطعته مستقلا عن غيره رغم ما في ذلك من الأضرار بالشعب، وكان الأمير (شولوخ Sholoch) من آل (تاوسلطان) هو أول من فكر في تجزئة الامارة وأراد أن يقتسمها مع أبناء عمه، إلا أنهم لم يقبلوا بشروطه ومطالبه. وأدى ذلك إلى استيائه الشديد وغضبه، فهجر البلاد وبقي مدة من الزمن يتجول بين الاقوام المجاورة لبني قومه، وأراد ان ينتقم لنفسه فأخذ يصب غضبه على الذين لم يمدوا له يد المساعدة على نيل حقه المزعوم، فأخذ يهاجمهم بجماعات من الخارجين على الطاعة والقانون، وينهب تارة قطعان خيلهم، وتارة يسلب اموالهم ومواشيهم واحيانا يخطف بعض المواطنين ويأخذهم رهائن.

واستمر (شولوخ) في تمرده ونشر بذور الشقاق والفساد، ويدير المؤامرات والفتن.. إلى ان تمكن بعض النبلاء من اتباعه، اقناع شيوخ (القبرطاي) ضرورة تقسيم البلاد، وقبلوا بالفكرة لأنهم كانوا يميلون إلى حكم آل (تاو سلطان) ونفذوا فكرة التقسيم بدون سابق إنذار، أو إجراء أية مفاوضات أو مداولات بينهم وبين بقية الشيوخ والمواطنين، فوجدوا انفسهم امام الامر الواقع فقبلوه ورضوا به بلا معارضة او مشاحنة. فأخذ الامير (شولوخ) من (آل تاو سلطان) حصته وهاجر من امارة (القبارطا) مع اتباعه الذين ارادوا اللحاق به، فأجتازوا نهر الترك واتجهوا شرقا واستوطنوا في الأرض الواقعة في الجانب الايمن الشرقي منه. وسميت فيما بعد (قبارطا الصغرى) او بلاد (تاوسلطان).

وأما الامير (قايتوقوة Kaituko) من آل (جانخوتو Jonchotow) الامير (توختامش) وأحفاد الامير (ايدار) فقد بقوا في (قبارطا الكبرى)

الحادثة الرابعة: الخلافات التي ادت إلى تقسيم قباردا الصغرى في عام ١٧٦٠ ميلادي [٤]

توفي الامير الحاكم على قباردا الصغرى عام ١٧٦٠ تاركا وراءه ثلاثة ابناء. وفي العادة يكون للابن الاكبر الاولوية في حكم الامارة، شريطة ان يحصل على غالبية أصوات الاعضاء في "المجلس الشعبي العام" المكون من الأمراء الآخرين في الإمارة، والنبلاء والقضاة وممثلي العائلات الكبيرة. لكن الشعب كان يكره الابن الاكبر ورفض ممثلوه في المجلس ترشيحه ليكون خليفة لوالده. وتأزمت الامور وتحزب الناس في ثلاثة أحزاب وكل حزب يناصر اميرا. وفي النهاية، تم الاتفاق على تقسيم الامارة بين الامراء الثلاثة وأعطيت مقاطعة (مزدوغ) للابن الاكبر الامير "كورغوقو، قانجوقين" إلا أنه لم يكن راضيا عما حصل عليه، وذهب إلى (التتار) يحرضهم على أخويه، وماطله التتار إلى أن انفق أمواله كلها، ثم أخبروه بأن لا قدرة لهم على محاربة أمراء (قباردا) وعندها استدار إلى الروس وألقى بنفسه في أحضانهم وترددوا في قبوله في البداية لأنهم كانوا مرتبطين مع قباردا (القبرطاي) منذ عهد القيصر ايفان باتفاقيات تعاون.

أما الأخ الأصغر فانتقل إلى مقاطعة (الأجلاخستين) شرق نهر الترك واستقر مع رعيته في هذه المقاطعة التي سميت بامارة (جلاخستني).

الحادثة الخامسة: الخلافات التي ادت إلى انقسام قبيلة كميركوي [٦]

يقول (نغموقة) في دور من الأدوار التاريخية، وفي زمن لا يمكن تعيينه بالضبط كان يحكم قبيلة (كمركوي) ثلاثة اخوة من امراء (الآديكة) وهم: (بولاتوقة Bolatoko) و (زان Zann) و (حاتوقوايChatokoi).

حيث عاش الاخوة معا مدة من الزمن في سلام، إلا أن الاخوين الاصغرين أرادا فيما بعد الافتراق عن أخيهما الاكبر، فظلا يحاولان اقناعه كي يوافق على الانفصال واقتسام البلاد وتجزئتها بينهم.

ولما لم يتمكنا من ذلك التجأ الاخ الثاني وهو (زان) إلى الحيلة والخديعة فتمكن خفية من استمالة فريق من قبائل الشعب وزين لهم الانفصال وأقنعهم بضرورة الهجرة إلى بلاد أخرى أوسع مجالا وأحسن تربة من التي يسكنونها، وظل يداور أخاه الأكبر حتى سئم هذا من كثرة محاولاته والحاحه، واذن له اخيرا بالرحيل دون ان يعلم بحقيقة نواياه من الهجرة. فرحل فعلا من البلاد مع رعيته التي قبلت مرافقته، وتألفت منهم بعد ذلك قبيلة مستقلة تدعى حتى اليوم قبيلة (زان Zann).

وبعد فوات الفرصة ادرك الامير (بولاتوقه Bolatoko) الغرض الحقيقي من هجرتهم فعاقبهم على فعلتهم هذه بحرمانه اياهم من جميع اموالهم واملاكهم التي تركوها في الموطن القديم ولم يتنازل لهم عن شيء مما كان لهم.

وفي السنة التي تلت هجرة الامير (زان) مع أهله وعشيرته، حذا حذوه أخوه الامير (حاتوقواي) وانفصل عن أخيه الاكبر مع طائفة اخرى من الذين ارتضاها، وسمي احفادهم بقبيلة (حاتوقواي) واما الأخ الاكبر (بولاتوقة) .. فظل ثابتا في موطنه في إمارة الكميركوي مع القسم الاكبر من الرعية من القبرطاي.

الحادثة السادسة: الخلافات التي تطورت إلى حرب بين الاميرين من قبيلة زان واتباعهما في الفترة ما بين (١٦٤٠-١٦٤٨).

حدث خلاف بين اميري قبيلة (زان Jann) الشقيقان وهما: الامير (آنتونوقـــوه Antinoko) والأمير (قانبولات Kanbulat) بسبب فتاة ذات جمال باهر تسمى (سوتناي Sotenai) كانت في خدمة الاخ (آنتونوقوة) على اثر الاشاعات والقصص حول وجود امور غامضة وعلاقات سرية بين الامير (قانبولات) وبين الفتاة (سوتناي).

بدأ (آنتو نو قوه) يشك في سلوك أخيه الاصغر وطرده من بيتـــه ليـــضع حـــدا للاشـــاعات والاقاويل فالتجأ لبيت مربيه (الاتالق)، إلا أن الامر لم ينته عند هذا الحد، بل قيل ان العلاقات بينهما ظلت قائمة، وانها كانت تواصله وترسل إليه الهدايا من حين لآخر. وعلى اثره قرر (آنتونوقوه) قتل شقيقه (قانبولات) للخلاص من سمعته السيئة، إلا أنه هرب إلى تركيا، والتجأ إلى (السلطان ابراهيم) وطلب منه جيشا يستعين به على اخيه او ان يتوسط بالصلح معه، ولم يتجاوب معه السلطان بل رده على اعقابه، حيث اضطر إلى العودة إلى بلاده، وتمكن بعد عودته بمدة وجيزة من استمالة قسم كبير من الشعب إليه، حتى انه تمكن بمعونتهم من السيطرة على إمارة (زان) وخرج الشقيق الاكبر إلـــى بلاد القرم ولجأ إلى (الخان) طالبا إليه مده بجيش ليتمكن من استرداد بلاده التي اغتصبها منه أخـــوه بغير حق.

وافق (الخان) على طلبه وجهز جيشا كبيرا من أهل القرم وسار نحو إمارة (زان) وعنـــدما أصبح هذا الجيش قريبا من حدودها، جمع الأخ الأصغر جيشا كبيرا من أهل الامارة وقـــرر مقابلـــة أخيه القادم من القرم، فحدث اصطدام بين جيشه والجيش القادم من القرم بتحريض من الاخ الاكبـــر، وقتل الأخ الاكبر وهلك عدد كبير في هذا الصدام الدموي وتمكن (قانبولات) مـــن الفـــرار لخـــارج الامارة فاستعاد امارته. وأقسم الشعب يمين الولاء للامير (اتونوقوه) واعطيت اموال اخيه (قانبولات) واعوانه الاشرار لجيش القرم الذي ساعد في استعادة الامارة وقيل ان بعضا من اهل القرم العائـــدين إلى بلادهم وجدوا (قانبولات) عند خليج البحر فقتلوه، وبذلك انتهت هذه الحادثة المؤلمة.

وأما الفتاة (سوتناي Sotenai) التي كانت السبب المباشر في كل هذه الاحداث فقيـــل بأنهـــا طردت من البلاد، وقيل ايضا انها اعطيت لخان القرم(٧)هدية.

إن هذه الحروب والمنازعات التي وقعت بين الامير (آتونوقوه) واخيه (قـــانبولات) اللـــذين عاصرا السلطان ابراهيم العثماني، حدثت بين اعوام ١٦٤٠ و ١٦٤٨ وذكرها البارون (هامر Baron

hamer) في كتابه المسمى (تاريخ المملكة العثمانية) المطبوع سنة ١٨٤٠، ويسمى هذا المؤلف هذين الاميرين (آنتوناق بك Antonak Beg) و (هاكشماق بك Hakashmak Beg).

الحادثة السابعة: حادثة غزو الأمير (الجوقة شوكنوقة) لقباردا الصغرى بدعم من التتار المرتزقة بسبب اصراره على تملك (درع أثري) بالقوة: (٨)

وخلاصة الحادثة أن احد "سواس" مدرب الخيل المدعو (اداشم Addasem) كان جالسا فوق رابية (كورغان)، رأى ثعبانا، فطارده ليقتله فأفلت منه الثعبان ودخل جحرا كبيرا، فأخذ يحفر حوله حفرة واسعة ليتمكن من الوصول إليه وقبل أن يصل إلى مكان الثعبان وجد في الحفرة (درعا ذات مسامير ذهبية) وفي غاية من الاتقان والاناقة، فلبسها وسار قاصدا بيت ولي امره (توزارو Tusarow) ليهديها إليه، وفي الطريق إليه دخل بيت الاوزدن (قوغوتليقو Kogotlukow) الذي كان يقيم وليمة. ولما رأى صاحب الوليمة والدرع التي يرتديها السائس (اداشم) اعجب بها كل الاعجاب حيث قدم للسائس الخمر حتى سكر، ونزع عنه الدرع وهو ثمل وألبسه درعا آخر اقل جودة منها. ولما افاق (آداشم) وعاد لوعيه تبين ان الدرع الذي يلبسه غير الدرع الذي وجده في الحفرة، فأخبر ولي امره بذلك، فصمم هذا على ان يسترد الدرع مهما كلفه الأمر.

ولما ايقن الاوزدن (قوغوتليقو) بأن لا فائدة ترجى من الاحتفاظ به فسلمه إلى ولي امر (السايس) (توزارو). إلا ان الامير (الجوقة) المذكور ظل مصمما على اخذ الدرع بأي ثمن كان، فطلب من (توزارو) ان يعطيه اياه او يبيعه له. رفض (توزارو) بيعه الدرع فأغار الامير (الجوقة شو كنوقه) ليلا على منزله مرارا عديدة وارهق ذويه بطلباته الملحة وبحثه الملح عنه، ولكنه رغم ذلك لم يتمكن من الحصول عليه، إذ لبسته احدى النساء من عائلة (توزارو) المدعوة (ماناته Manata) ورحلت به إلى اقاربها في قبارطا الكبرى.

ولما علم (الجوقة) بذلك سافر إلى القرم والتجأ إلى الخان وطلب منه أن يمده بجيش ليتمكن به من غزو قبارطا الكبرى، فلم يجبه الخان إلى طلبه بل اهداه درعا ثمينة بدلا من الدرع المنشودة. إلا أنه لم يهدأ بل قام في طريق عودته للبلاد بجمع عدد كبير من (التتر) وسار بهم للاغارة على قبارطا الصغرى وتمكن من تخريب جزء منها. فلم يكن بوسع القبارطاي إلا مقابلته بالمثل واعلان الحرب عليه، وفي المعركة التي دارت بين (القبارطاي وجموع التتر) اصيب (الجوقة) مرتين بجراح بليغة، ثم صالحوه وارجعوه إلى وطنه ومات بعد ذلك بمدة يسيرة.

وفي ذلك أنشد احد الشعراء قصيدة مطلعها:

لقد اشتد النزاع واستحكم الخلاف بين اخوين من امراء القبارطا ولكن الويل للاوزدن الذين عليهم ان يتحملوا المشاق بسبب خصامهم.

وتشير سجل حادثة الامير (الجوقة) بأن أبناءه الاربعة وهم (كنقو Genko) و (تامبوت Tambot) و (تملوستان Temstlostan) و (قره قان Kare kan)، اصبحوا بعد بلوغهم سن الرشد على شاكلة ابيهم وبنفس عقليته الشاذة وكانوا في نزاع وخصام دائمين مع بقية الأمراء في إمارة القبرطاي.

ولإنقاذ البلاد من شرهم، وإنهاء القلاقل والاضطرابات التي احدثوها في طول البلاد وعرضها، تآمر عليهم اخيرا الامير (مودارافا) مع امراء قبارطا الكبرى الذين اقتنعوا بضرورة التخلص من هؤلاء الأشرار نهائيا، وصمموا على ابادة ابناء الجوقة من آل (شو كنوقة) جميعا.

ونجحت المؤامرة ونفذت فعلا، وقتل بعض أبناء الجوقة علنا بينما قتل الآخرون سرا حتى لم يبق منهم احد على قيد الحياة، ومنذ ذلك الحين لم تقم لآل (شو كنوقة) قائمة ولم يبق لهم أثر.

الحادثة الثامنة: وتتمثل في حادثة القتال بين اتباع امراء (قبارطا) في عهد أحفاد الامير (قازي) وهم (حاتوظوقة وجانبوت، وميسوست) والذي ادى إلى قتل ٥٠٠ شخص

يقول (نغموقة) بأن رجلا استعار من جاره (غربالا) منخل لاستخدامها لفترة قصيرة، إلا أن المستعير نسي ارجاعه لصاحبه في وقته. فغضب صاحب المنخل واعتبره اهمالا من جاره الذي استعاره. فتشاجر الجاران وتحزب اصحاب واقارب كل منهما، وتطورت المشاجرة إلى حرب دامية اسفرت عن مقتل (٥٠٠) شخص من الطرفين.. وتم تخليد القتلى بدفنهم بمدافن جماعية في موقع سمي بـ (قوزانه – قه) أي (مقبرة المنخل) وهو الموقع الكائن بين نهري (باقسان) و (غوندالن) في (قباردا) [٩].

الحقيقة الثانية:

خروج بعض الامراء على القانون واحداث شغب وبث الفتن في المجتمعات الشركسية المحلية.

يشير بعض الدارسين لتاريخ المجتمعات الشركسية في الوطن الام بأن اكثر المشاكل الداخلية التي واجهت الامة الشركسية في بعض العصور القديمة منها والحديثة هي مشكلة الامراء الخارجين على القانون ومثيري الفتن والفوضى والشغب في عدد من الامارات الشركسية.

وفيما يلي نماذج من هذه الظاهرة الاجتماعية المرضية التي حدثت في فترات متباعدة من تاريخ الأمة الشركسية.

النموذج الاول: مطاردة الاشقياء والامراء الخارجين على القانون الذين عصوا اوامر الامير (ينال العظيم) في القرن العاشر الميلادي [١١].

واجه الامير ينال في بداية حكمه الامراء المنشقين الذين عاثوا في البلاد فسادا، واحداث فتن وشغب بين الاهالي.. وواجههم بقوة وقسوة والقي القبض على ثلاثين اميرا سبق ان لجأوا إلى الجبال العالية والغابات الكثيفة حيث تم قتل عشرة منهم، وأجبر الآخرين على اداء يمين الولاء والاخلاص وتقديم الطاعة.

كما قام الامير (ينال) القضاء على الثورة التي قام بها سكان الجبال الجنوبية من امارته بقيادة زعيمهم الامير (اوزدمير) الذي هرب إلى بلاد الابخاز عندما علم بقدوم جيش (ينال) لمعاقبته على تمرده.

النموذج الثاني: الفتن وأعمال الفساد والفوضى التي حدثت في عهد الامير (حاتوظوقة) الابن الاكبر للأمير (قازي)

قام الامير (حاتوظوقة) بتطهير البلاد من المعتدين ومثيري الشغب والفوضى في بلاد القبرطاي.. وبالأخص بين الامير (شوزي) كبير السن، وبالرغم من كبر سنه لم يتوانَ عن بث بذور الفساد وتوسيع شقة الخلافات بين امراء (القبرطاي) الذين كانوا يتنافسون فيما بينهم، وتسبب هذا الأمير (الهرم) في خلق المشاكل والفتن ونصب الشرك لأمته باجمعها، إذ إنه كان يثير الأمير على أخيه الأمير، والنبيل على اتباعه وافراد عامة الشعب، حتى صار كل واحد من الامراء والنبلاء وبعض عامة الشعب يسعون لإيقاع بعضهم ببعض.

وقام الامير (حاتوظوقة) بعد مناصرة الشعب له بتسلم زعامة الإمارة لقناعة الشعب بأن الامير الوحيد بين الامراء المتنازعين الذي تهمه مصلحة البلاد وامنها ورفاهيتها، وكان اول عمل قام به بعد تسلمه الامارة هو استخدام الشدة والقسوة في القضاء على الفتن، ومعاقبة الفاسدين، ومحاكمة الخارجين على القانون والعادات والتقاليد، فاستطاع قتل الاخوان (بانتريش وباتربي) اولا، ثم قام بقتل اخويهما (جانبورباز وجان تورزخان) اللذين ظلا مختبئين في الكهوف الجبلية مدة طويلة من الزمن، وجميعهم هم من احفاد الامير (شوزي) الذي عفا عنه الامير (حاتوظوقة) ولم يقتله لكبر سنه. إلا أنه ظل يحاول ايجاد الفرصة المناسبة للثأر منه لقتله احفاده الاربعة وفي وقت لاحق استغل سفر الامير (حاتوظوقة) مع اخوته إلى بلاد الاستين واقدم على قتل المصارع المشهور (سوسيراخو) وهو من اتباع الامير (حاتوظوقة) غدرا بطعنه من الخلف وهو على حلبة المصارعة. ولما عاد (حاتوظوقة) وعلم بما حدث لمصارعه من غدر.. قام بالانتقام له بقتل (شوزي) بطعنه بسيفه وهو نائم[١٢].

الحقيقة الثالثة:

تشير الوثائق وبعض الروايات المتناقلة منذ عهد أجداد الأمة الشركسية وآبائهم بأن اكثر الامراض الاجتماعية التي كانت منتشرة في بعض العصور هي (الصراعات الطبقية) التي نتجت عن تعدد الطبقات وظهور نظام الحياة الارستقراطية في بلاد الشراكسة، حيث انتقلت الصراعات والخلافات ما بين الامراء والنبلاء بعضهم مع بعض إلى صراعات وانتفاضات ما بين الفلاحين وعامة الشعب من (بشل) والخدم (ونه اوت) وبين امرائهم ونبلائهم.

وإن هذه الصراعات حدثت في وقت كان يفترض فيه أن تكون الامة الشركسية متماسكة ومتحدة، حتى تتمكن من توحيد كل إمكاناتها وقواتها المقاتلة لصد الاعتداءات التي كانت تتعرض لها الأمة من قبل السلطات الروسية والجيش الروسي.

وللوصول إلى لب هذه الصراعات كان لا بد من إعطاء فكرة حول النظام الطبقي في المجتمعات الشركسية على اختلاف قبائلها وشعوبها حيث كانت تتبع النظام الطبقي في مجتمعاتهم، وأن هذا النظام كان يقسم السكان إلى امراء ونبلاء واحرار وفلاحين واتباع (بشل) وخدم (ونه – أوت) وأن هذا النظام بدأ تطبيقه منذ القرون الوسطى.

وتشير الوثائق والوقائع التاريخية بأن أول صراع طبقي ظهر في المجتمع الشركسي كان في عام ١٧٦٧، عندما قام حوالي عشرة الاف قروي بقيادة (مامسروقة) بثورة ضد امراء القبرطاي وتم إخمادها بعد أن تحالف الامراء والنبلاء مع رجال الدين كما قامت انتفاضة مماثلة في مناطق البزدوغ وقُضي عليها بتعاون الامراء والنبلاء مع السلطات الروسية المعسكرة بالقرب من منطقة إمارة (بزادوغ).

كما نشط الشراكسة في سهول الكوبان واستطاعت ان تجمع قواتها ضد امرائهم ونبلائهم (بشه وورق) وفي الاعوام ما بين ١٧٩٠ ولغاية ١٨١٠ استطاعوا القضاء على نظام الاقطاع مما اضطر الكثير من الامراء والنبلاء للالتجاء إما إلى روسيا أو إلى القرم.

وفي عام ١٨٤٦ حدثت اكثر الصراعات الطبقية حدة لدى قبائل الشابسوغ والناتخواج والابزاخ حيث جرد عامة الشعب وأمراؤهم ونبلاؤهم من حقوقهم القديمة بالسيطرة على (٨٥٠٠) بيت للفلاحين (العبيد) وتحرير حوالي (٥٠٠٠٠) شخص من الجنسين، ما بين عامي ١٨٤٦-١٨٤٧ اضطر معها الأمراء ارسال نبلاء الشابسيغ والناتخواج مرتين بممثلين عنهم إلى قائد خط البحر الأسود الجنرال "راشبيليو" طالبين منه قبول خضوعهم للروس على أمل مساعدتهم لاستعادة حقوقهم لاحقا، وكتبوا يقولون بأن الشعب أخذ منهم أملاكهم التي ورثوها عن آبائهم بحجة تطبيق الشريعة الاسلامية.

وفي شباط من عام ١٨٥٦، حدثت اكبر هذه الانتفاضات والتي قام بها فلاحو البجدوغ والتي عرفت باسم (حرب الامراء والنبلاء)، حيث لم يستطع النبلاء والأمراء في إمارة (البجدوغ) إخماد الانتفاضة إلا بعد الاستعانة بالقوات الروسية التي قامت بتدمير قرى الفلاحين، إذ حاصرت هذه القوات قرى الفلاحين وتدميرها[١٠] إلا أن الانتفاضة نجحت في السنة التالية وتم القضاء على النبلاء والامراء المتعاونين مع الروس بدعم من النائب (محمد أمين) الذي أرسله الشيخ شامل لبلاد الاديغية سابقا.

وكان من النتائج السلبية لتعدد الصراعات الطبقية بين عامة الشعب الشركسي من فلاحين، واتباع، وخدم، هو إضعاف وحدة الشعوب والقبائل الشركسية في وقت كان هذا الشعب بأمس الحاجة لمثل هذه الوحدة، إلا أن ظهور قيادات شعبية وزعامات جديدة ملأت الفراغ الذي كان يحدث نتيجة هروب او اختباء الامراء والنبلاء المتعاونين مع السلطات الروسية الذين كان عددهم حسب الروايات الشركسية قليلا.

الحقيقة الرابعة: هي حدوث بعض اعمال الخيانة وقيام بعض الافراد بالتجسس لصالح الأعداء، وفيما يلي امثلة لهذه الظاهرة.

المثال الاول: ويتمثل في خيانة الامير (بيتوفتش شيركاسكي) وهو احد احفاد عائلة (بيفوفتش) التي التحقت ببلاط ايفان الرهيب بعد توقيع اتفاقية تعاون مع الامير تيمروقه في عام ١٥٥٧، حيث كلف بقيادة الحملة العسكرية التي وجهها القيصر بطرس الكبير في عام ١٧٢٢، إلى بلاد (الاديغة) تلك الحملة التي فشلت فشلا كبيرا، وقتل فيها جميع افراد الحملة تقريبا البالغ عددهم سبعة الاف جندي بما فيهم قائد الحملة الشركسي الاصل حيث قام الشراكسة المنتصرون (بحشو جثة) الامير بيتوفتش (بالقش) وعلقت على باب مدينة (خيوه) التي كانت هدفا للحملة.. ليكون عبرة لاولئك الذين قاموا بخيانة قومهم واوطانهم.

مثال ثاني: هي تلك الخيانة التي قام بها أمراء واغنياء الابخاز الذين كانوا يخافون على من يحاربون مع الجنرالات الروس المقيمين في جورجيا ومثال على ذلك أن كلا من الاميرين احمد اوبلاوقامش وزورا كانا قد حلفا يمين الصداقة والطاعة لروسيا.(١٣)

مثال ثالث: وتتمثل بالمواقف السلبية التي اشار إليها لابينسكي عام (١٨٦٣) حيث قال "**إنهم ليسوا متفانين من اجل وطنهم (المقصود هم النبلاء) والكثير منهم خدم الروس. فقد كانوا يحبون ان يسود النظام الروسي في بلادهم**". لأنهم كانوا يتلقون

معاملة حسنة لاستمالتهم ولم يبخلوا عليهم بالأوسمة والالقاب. (١٤).

ومثال رابع: تلك الحقيقة التي أشارت إليها بعض الوثائق الروسية والتي تضمنت بأن قسما من اقطاعيي القبرطاي ساندوا الروس في صراعهم ضد حركة التحرير لدى الجبليين، حيث قامت الحكومة القيصرية بتخصيص مخصصات سنوية كبيرة ورواتب تقاعدية كبيرة لبعض أمراء ونبلاء القبرطاي كما تم إعطاؤهم رتبا عسكرية في الجيش، وأنعموا عليهم بالأوسمة وقدموا لهم الهدايا الثمينة ووعدوهم بدعم سلطتهم على الفلاحين. (١٥)

إلا ان ما كتبه (حاجيموق) عن الأمراء الذين كانوا يقسمون الولاء للقياصرة يؤكد بأن الأمراء لم يكونوا موالين فعلا للسلطات الروسية، بقوله:

"... فعندما كان أمير من الأمراء يقسم الولاء باسم التابعين لروسيا.. كان يتوقف عن أعمال الغزو ضد القوات الروسية .. وحتى أنهم كانوا يحرسون الحدود الروسية.. وبعد فترة من الزمن كنت ترى الامير نفسه الذي ادى القسم يحارب الروس وسلاحه في يده وكانت الادارة الروسية تدرك ذلك وتعرفه جيدا.. ولذلك فإنهم كانوا يعتبرون يمين الولاء لهم امرا شكليا.. ويعتبرونهم مسالمين وليسوا تابعين للروس. (١٦).

مثال خامس: ويتمثل بالطلب الذي تقدم به إقطاعيو (الاديغة) الذين أصبحوا تابعين للإدارة الروسية بعد احتلال بلادهم في عام ١٨٢٧ وكان نص الطلب:

"نحن أمراء ونبلاء الشراكسة نطالب القيادة القيصرية في القفقاس إعطاءنا شهادات بدرجاتنا من الإمارات" إلا أن الحكومة الروسية لم تجرؤ على إجابة طلبهم خوفا من الثورة العلنية لفلاحي القفقاس.

مثال سادس: ويتمثل في بعض اعمال التجسس والتعاون مع الاعداء وهم الذين كشف عنهم أمير القبرطاي "أنزور" الذي طلب في عام ١٨٤٣ من نائب الامام شامل في بلاد الشيشان الشيخ (شعيب) إرسال وحدة صغيرة إلى بلاده للمساعدة في قتل (١٦) شخصا متعاونا مع السلطات الروسية (١٨).

الحقيقة الخامسة:

استغلال الفلاحين من قبل الامراء (البشة) والنبلاء (الأوزدن)

كتب احد الكتاب في بداية القرن التاسع عشر قائلا إن "الارض لدى القبرطاي مثلها مثل الأرض لدى القوموق، هي مملوكة كاملة للأمراء ومستثمري الأرض من نبلاء وفلاحين يعتبرون

تابعين للأمراء والناس العاديين يدفعون للأمراء والنبلاء (العُشر) من إنتاج القمح السنوي، وتدفع كل قرية حسب حجمها عددا من الماشية ايضا، وهذا هو دخل الامراء والنبلاء إضافة إلى بعض الغرامات والجزاءات التي يتقاضونها مقابل الأحكام التي يصدرونها على مرتكبي الجرائم.

وهذا ما كان يحدث قبل حدوث ثورة الفلاحين وانتفاضتهم على الامراء والنبلاء والاغنياء الذين كانوا يستغلون الفلاحين استغلالا بشعا في هذه المرحلة من تاريخ الشراكسة عامة والقبرطاي خاصة.

مراجع ومصادر الفصل التاسع

١- نغموقة، مصدر سابق، ص: ١٩٧.

٢- جريدة غوازة الجركسية، رقم (٣١)

٣- نغموقة، مصدر سابق، ص: ٦٦-٧٠.

٤- المصدر نفسه، ص: ٩٣-٩٤.

٥- حراتوقة، مصدر سابق، ص: ٢٧٠.

٦- نغموقة ص: ٧١-٧٢.

٧- المصدر نفسه، ص: ١٢١-١٢٣.

٨- المصدر نفسه، ص: ١٥٩-١٦٤.

٩- المصدر نفسه، ص: ١٣٤.

١٠- قاسوم، علي حسن ، ابادة الشراكسة، مصدر سابق، ص: ٧١-٧٢.

١١- نغموقة، مصدر سابق، ص: ٦٦-٦٧.

١٢- المصدر نفسه، ص: ١٣٥-١٣٦.

١٣- المصدر نفسه، ص: ٤٠.

١٤- رايفسكي، في وصفه للمجتمعات الشركسية (الاديغة) الجزء الاول عام ١٨٦٣ ص: ١٠٨-١٠٩.

١٥- قاسوم، علي حسن، الوثائق الروسية – ابادة الشراكسة، ص: ٣٠.

١٦- المصدر نفسه. ص: ٣٢.

١٧- المصدر نفسه، ص: ٤٤.

١٨- المصدر نفسه، ص: ٢٦.

١٩- المصدر نفسه، ص ٩٠-١٠٠.

٢٠- فون، فيل، السنة الاخيرة، مصدر سابق، ص: ٢٠-٢١.

المجلد الأول

الجزء السادس

الشراكسة في الوطن الأم في ظل

الحكم الروسي خلال الفترة

(١٨٦٤ – ٢٠٠٩)

فهرس فصول الجزء السادس

الفصل الأول

الشراكسة في الوطن الأم في ظل حكم الاستعمار الروسي القيصري خلال الفترة ١٨٦٤ – ١٩١٧

بدأت حياة جديدة لشراكسة الوطن الأم الذين ظلوا على قيد الحياة مع انتهاء حرب الإبادة والدمار الروسية عام ١٨٦٤ وعددهم لم يتجاوز ٣٠٠,٠٠٠ الف شخص من أصل عددهم عند بدء الحرب والبالغ أربعة ملايين حيث استشهد أو فقد نصفهم تقريباً وهُجر النصف الآخر قسراً لبلاد الاتراك وبعض الدول العربية.

وربما كان افضل وصف للاوضاع الاجتماعية للشراكسة الذين بقوا ملتصقين بأرض الآباء والأجداد هو ما كتبه الكاتب الروسي (يا. أبراموف) في كتابه (القوقازيين الشراكسة) عام ١٩٢٧ قائلا: *

(رغم عمليات الإبادة التي مارستها الجحافل القيصرية، ورغم سياسة الأرض المحروقة والمذابح الجماعية بعد زج الضحايا في الحفر المشتركة في القفقاس، وفناء قبائل كاملة مثل (محاصرة قبيلة جان الملتجئة إلى الاحراش وإحراقها بمن فيها).

وبالرغم من عمليات التهجير القسري إلى مناطق مستنقعات الكوبان او التهجير إلى البلاد العثمانية، والانتظار في المحطات والموانئ بدون غذاء أو كساء او مأوى، هذا عدا عن هلاك الاطفال والشيوخ على طرق التهجير براً، وإغراق البواخر التي اقلتهم على طرق التهجير البحرية، وفتك الامراض السارية بهم في المناطق الموبوءة التي خصصت لهم، أو الموت في ساحات القتال في البلقان، رغم كل هذا بقي قسم من الشعب الشركسي ملتصقا بأرض الآباء والاجداد يتحمل الظلم والذل والاهانة والقتل العلني، وكان مسموحا به للمستوطن الروسي والقوزاقي، يوميا بدون حساب.

كما قال "والشراكسة الذين بقوا على أرض الوطن لم يتخلوا عن الدفاع عن وجودهم ابدا، وأنهم ظلوا يقاومون المحتلين الروس والمستوطنين القوزاق والنغوي الذين أقطعت لهم أخصب الأراضي وأنشئت لهم المستعمرات، وسنّت من أجلهم القوانين، وأوكلت إليهم مهمة قتل أو تهجير من بقي حيا من الشراكسة ".

وفي رد (أبراموف) على بعض الكتاب الروس الذين اتهموا الشراكسة بالهمجية والبربرية وانهم شعب كسول لا يحب العمل، رد عليهم قائلا "**فإننا يجب ان نعترف بأن الأمة الأقل حضارة، والأقل حبا للعمل هي الأمة الروسية بالذات لقد تحدثت عن تمليك املاك شاسعة في القفقاس الغربية للروس، تلك الاملاك التي كانت مغطاة ببساتين وكروم ومراع وحقول أنشأها السكان الجبليون (ويقصد بهم الشراكسة)**. مثل هذه الظاهرة لاحظتها ايضا في منطقة (التيرك) من خلال السنوات الثلاث التي قضيتها في هذه المنطقة وعشت قسما منها في (نالتشيك) كما عشت في مناطق سكن الروس ايضا، وفي قرية في وسط قبرطاي الكبرى، حدث أن رأيت بنفسي – كيف ان الروس ودون أي خجل كانوا يتلفون غلال المزروعات للقبرطاي التي بذلوا من أجلها جهداً كبيرا عدة سنوات.[٤٨]

والدارس للأوضاع الاجتماعية الشراكسة الذين تمسكوا بالأرض ونجوا من التهجير القسري يجد أنهم عاشوا في ظروف صعبة جدا خلال فترة وقوعهم تحت حكم الاستعمار الروسي في عهد القياصرة في الفترة من (١٨٦٤–١٩١٧) ويمكن تلخيصها على النحو التالي:

* يا. ابراموف، القوقازيون الشراكسة، مصدر سابق، ص: ٥٢.

١. تعامل القوزاق المحتلين مع السكان الاصليين من الشراكسة وكأنهم (ليسوا بشرا) وإنما هم مخلوقات نكرة لا ضرورة لإيلائهم أي اهمية.

٢. إعطاء القوزاق المحتلين حقوق خاصة والحصول على دعم السلطات الروسية الرسمية في كل المواقف.

٣. تعيين رؤساء من القوزاق في مناطق السكان الاصليين من الشراكسة، مما سبب حدوث اصطدامات دموية بين (القوزاق والشراكسة)، منها ما حدث صيف ١٨٨٣ من مذابح وتقتيل للشراكسة من قبل القوزاقيين المحتلين وبدعم لا محدود من السلطات القيصرية.

٤. إعطاء الروس الذين يعيشون في القرى والمناطق الشركسية حق انتخاب (المختار) أما (مختار) القرى الشركسية فيتم تعيينه من قبل رؤساء اقسام السلطات الروسية.

ويتابع (ابرامانوف) قائلا: [٤٨]

"إن نتائج مثل هذه السياسة محزنة للغاية، فإن استياء مجتمعات القرى الشركسية من مخاتيرهم (المعنيين) هو استياء منطقي لأن هؤلاء المخاتير هم أشخاص محتقرون ويكرههم المجتمع الشركسي كله، أشخاص عندهم اسباقيات (جرائم)، أو خبرة عملية في اللصوصية. وكان (رؤساء القرى) والمخاتير دائما وأبدا ينفذون رغبات السلطات الروسية غير المبررة يشجعون الآخر بالثأر من الشراكسة، أو يتسترون على الجرائم، وقد يكونون هم أنفسهم أعضاء في المجموعات اللصوصية التي تنفذ اكثر السرقات وحشية دون أي عقاب. ولما كان هؤلاء (المخاتير) تعينهم السلطة الروسية فإنهم كانوا يلقون التأييد منها، فليس من العجب أن تتحول كراهية السكان الاصليين من الشراكسة نحو (المخاتير) موجهة للنظام الروسي الذي يظهر للشراكسة تجسيدا للقمع والطغيان. ولذلك فإن الألم والحقد كله الذي يتراكم في مثل هذا المجتمع يقع على الروس انفسهم، ومن جهة أخرى فإن الشراكسة حينا يرون سكانا من الروس لهم استقلالهم بشكل واسع في شؤونهم الداخلية فإنهم يبدؤون لا إراديا بالإحساس بأنهم في وضع غير عادل ويبدؤون بحسد جيرانهم. كما كان مثل هذا التمايز الذي يشعر به السكان الأصليون كان شديد الوطأة". [٤٨]

هذا بالإضافة لغياب العدالة في التعامل مع الشراكسة، وخير مثال على ذلك ما يحدث عند وقوع جرائم ضد (شخص شركسي) فإنها في غالبية الحوادث تبقى دون عقاب، وبالعكس تماما تكون القضية فيما يتعلق بالجرائم التي ينفذها او يظن أن الشراكسة نفذوها. فإنها تتابع وتوقع فيها أكثر العقوبات شدة وإن مسؤولية (الجبليين) في منطقة (التيرك) عن الجرائم محاطة بشروط لا شبيه لها في طول أراضي الامبراطورية الروسية. فالنظام الموضوع بالقانون للكشف عن المجرمين وسوقهم وتثبيت المسؤولية عليهم نادرا ما يطبق على السكان المحتلين من الروس و"القوزاق" بينما مسؤولية الشراكسة تحدد بأفكار مسبقة ويمكن ردها إلى النقطتين الاساسيتين التاليتين:

النقطة الاولى: في كل مرة تحدث جريمة ما في منطقة او في أي مكان يفترض أن يكون الفاعل هو من (الشراكسة) وحتما ليس من الروس بأي شكل كان.

النقطة الثانية: يعتبر كل شركسي يعيش قرب مكان حدوث الحادث مسؤولا عن هذه الحادثة حكما، في حين يكون لا يزال الفاعل غير معروف، وحتى في الحالة التي يكون فيها الفاعل معروفا، ولا تملك السلطة الادلة الكافية للإثبات، فإنه كان يتم تطبيق نظام (الاحكام) الادارية الخاصة بدلا من تطبيق (الاجراءات القضائية) تجاه الشراكسة وهو نظام غير عادل تطبق فيه الإجراءات التي يرغب قائد الشرطة الروس أو القوزاقي بتطبيقها.

٥. إن الغرامات التي يدفعها السكان الشراكسة بسبب (المسؤولية الجماعية) تفوق مرات عديدة جميع الضرائب والرسوم التي يدفعها الروس، وقد أحرق أحد الروس منزله بنفسه ولما لم يُعرف الفاعل فقد حصل على اربعة اضعاف قيمة منزله المحروق من السكان الاصليين المجاورين من الشراكسة.

٦. عاش الشراكسة (الاديغة) في قرى متباعدة ولم يكن لهم الحق في حكم أنفسهم بأنفسهم، كما أنه لم يكن لهم أي شكل من أشكال الحكم الذاتي بل أنهم كانوا محكومين من قبل الإدارة المحلية الروسية، ومن خلال (المخاتير) المفروضة عليهم من قبل السلطات الروسية.

بالإضافة إلى الوقائع المؤلمة المشار إليها سابقا فإن الباحث في اوضاع الحياة الاجتماعية للقبائل الشركسية التي نجت من التهجير (الروسي/ العثماني) القسري، وتمسكت بأرض الوطن الام يكتشف الحقائق المؤلمة التالية:

الحقيقة الاولى: تناقص اعداد القبائل الشركسية التي عاشت في الوطن الام بعد الاحتلال الروسي الذي بدأ في عام ١٨٦٤.. وان عددها انخفض إلى (٧) قبائل من أصل (١٨) قبيلة كانت تعيش في القفقاس قبل حرب الابادة. وأن بعض القبائل اندثرت نهائيا ولم يعد لها وجود بسبب القضاء عليها خلال حرب الإبادة الروسية، وأن بعضها الآخر اندمجت مع قبائل شركسية أخرى ولم يعد لها وجود كقبيلة مستقلة. وأن اكثر القبائل الشركسية التي عاشت في الوطن الام في ظل حكم روسيا القيصرية هي:

شعوب القبرطاي والبسليني، والابزاخ، والبجدوغ، والشابسوغ، والاوبخ، والإباضة، بالإضافة لعدد قليل من عائلات حاتقوي ومامكيغ وكم جوي.

الحقيقة الثانية: تناقص اعداد الشراكسة الباقين في الوطن الأم تناقصا كبير جدا. حيث يشير أكثر من مصدر بأن عدد الشراكسة في مطلع القرن السادس عشر في الوطن الام القفقاس كان ما بين (٤-٥) مليون تقريبا، وأن عدد الذين نجوا من التهجير القسري وبقوا في موطنهم لم يتعدَ ٨% منهم حيث أن ٥٠% قتلوا أو فقدوا و ٤٢% منهم طردوا وهُجروا قسرا خارج أرض الوطن الأم.

الحقيقة الثالثة: استولى الروس بعد حرب الإبادة على ٩٠% من مساحة الأراضي التي كانت تسكنها القبائل الشركسية قبل بدء حرب الإبادة.

الحقيقة الرابعة: توطين اكثر من مليون من القوزاق والنغوي والروس وغيرهم من القوميات الوافدة في المناطق والأراضي التي كان يملكها القوقازيين عامة والشراكسة خاصة الذين طردوا أو هجروا قسراً إلى خارج الوطن الأم حتى أصبح نسبة الشراكسة في المناطق التي يقطنون فيها أقل من ٣٠% بينما نسبة القوميات الأخرى حوالي ٧٠%.

الحقيقة الخامسة: بالرغم من قيام السلطات القيصيرية المستعمرة للأمة الشركسية في الوطن الام محاولة القضاء على النظام الاجتماعي الشركسي، وكذلك بالرغم من محاولة (ترويسهم) بتحويلهم إلى روس في ثقافتهم وقيمهم وعاداتهم، فإنها لم تتمكن من ذلك وظلت المجتمعات الشركسية في اماكن تواجدهم في الوطن الام متمسكة بتراثهم وعاداتهم وتقاليدهم ولغتهم الشركسية ومعتقداتهم الدينية، كما انها لم تتمكن من القضاء على مؤسساتهم الاجتماعية والتربوية والسياسية المتمثلة بمؤسسة: البيت، والمسجد، ومجالس المضافات العائلية، وربما المؤسسة الاجتماعية الوحيدة التي قضي عليها في عهد القياصرة هي المجالس الشعبية التي ألغيت وحل مكانها (المخاتير). كما ان الفئات المكونة للمجتمعات الشركسية ظلت مع اختفاء طبقة الامراء والنبلاء والقضاة وظهور فئات جديدة مثل فئة الموظفين والعسكريين والعمال المهنيين والصناعيين....الخ.

وفيما يلي تحليل موجز لعشرة أبعاد (مجال) من مجالات حياة الشراكسة الذين ظلوا احياء في الوطن الأم في ظل حكم الاستعمار القيصري الروسي في الفترة ١٨٦٤-١٩١٧ وهي:

البعد الجغرافي والسكاني للشراكسة في الوطن الأم في ظل حكم الاستعمار الروسي القيصري

توصلنا من دراسة الوضع الجغرافي والسكاني للشراكسة في الوطن الأم الذين نجوا من القتل خلال الحروب الأخيرة التي امتدت لثلاثة قرون (١٥٦٠ – ١٨٦٤) الذين نجوا من الطرد والتهجير القسري الجماعي والذي يقدر عددهم (٢) مليون ايضا بأنهم عاشوا خلال حكم الاستعمار الروسي القيصري في ثلاثة مواقع (مناطق) رئيسية في شمال وشمال غرب القوقاز لا تتجاوز مساحاتها عن ٥% من مساحة أراضي الوطن الأم التي كان تملكها الأمة الشركسية منذ الاف السنين عامة وقبل بدء حروب الابادة والدمار الروسية خاصة.

والمناطق هي:

- **المنطقة الأولى:** هي حوض نهر الترك الواقع شمال جبال القفقاس وخصصت لسكن شراكسة القبردي وشراكسة بزدوج وهم شراكسة القبردي المسيحيين واسكنوا معهم عشرات الالاف من القوزاق والروس كما اسكنوا بالقرب منهم البلقار وهم من العرق التركي، وشكل شراكسة القبردي حوالي ما بين (٥٠% – ٥٥%) من سكان هذه المنطقة.
- **المنطقة الثانية** هي منطقة نهر الكوبان وخصصت لسكن قبائل البزادوغ والابزاخ وكميركوي، ويحيط بها مقاطعة كراسندار الروسية، واسكنوا معهم عشرات الالاف من الروس وقوميات قوقازية أخرى ويشكلون أكثر من ٧٠% من سكان هذه المنطقة والشراكسة اتو من ٣٠%.
- **المنطقة الثالثة:** وهي منطقة شمال غرب القوقاز الجبلية وأكبر مدنها هي تشركيسيا وخصصت لإسكان شراكسة (البسلني) وبعض القبائل الشركسية والاباظية، كما تم اسكان عشرات الالاف من الروس والقوزاق وقوميات قوقازية أخرى ويشكلون أكثر من ٩٠% من سكان هذه المنطقة.

هذا بالإضافة إلى تشتيت اكثر من عشرة الاف شركسي باسكانهم في مناطق مختلفة في اقليم كرسندار ومنطقة مزدوج.

وتشير بعض الوثائق الروسية والتركية بأن عدد الشراكسة الذين نجوا من القتل او التهجير ويسكنون في المناطق سابقة الذكر من الوطن الأمر كان حوالي ٢٠٠,٠٠٠ الف في بداية حكم الاستعمار الروسي القيصري في عام ١٨٦٤ واصبح عددهم مع نهاية حكمهم عام ١٩١٧ حوالي (٣٥٠) نسمة موزعين على النحو التالي:

- منطقة التيرك حوالي (١٩٧) الف من قبائل القبردي.
- منطقة الكوبان حوالي (١٨٠) الف من قبائل الاديغي.
- منطقة تشركسيا حوالي (٦٣) الف من قبائل البسلني وبعض قبائل الاديغي.
- المناطق الاخرى حوالي (١٠) الاف من الشابسوغ وبعض قبائل القبردي والاديغي.

- **بعد المهن والحرف القومية لشراكسة الوطن الأم في ظل حكم الاستعمار الروسي القيصري**

يؤكد الرحالة الفرنسيون والإنجليز والألمان الذين زاروا بلاد القفقاس منذ العصور القديمة بأن الشراكسة قوم **اشتهروا بالصناعات اليدوية الصغيرة منها والمتوسطة منذ اكتشاف الحديد** في بلادهم في شمال القفقاس، وأنهم يصنعون (رجالاً ونساءً) جميع ما يحتاجون إليه من الأدوات التي تستخدم في الزراعة، المصنوعة من الحديد أو الخشب، كما يصنعون الأدوات المنزلية مثل الأباريق والأكواب والقدورة والبراميل المصنوعة من الحديد والنحاس والخشب أيضاً. ونستدل عليها من النقوش المحفورة على القبور القديمة التي وجدت في بلاد (الأديغة) كما أنهم كانوا يصنعون الأسلحة (الشخصية) المستخدمة في الحروب القديمة، مثل السيوف (سشوه) والخناجر (قاما) والتروس الحديدية. وفي مرحلة لاحقة بدأوا يصنعون (البنادق) كما أنهم اشتهروا في فنون النحت والنقش والزخرفة، والصناعات النفيسة باستخدام الفضة والذهب والبلاتين، كما أبدعوا في صناعة لوازم ركوب الخيل المصنوعة من الجلد والخشب مثل (سرج الحصان) واللجام والسياط، والركاب وغطاء رأس الحصان وحول العينين وغيرها من اللوازم.

ويؤكد المؤرخون القدامى مثل (هيردوت) بأن الصناعات اليدوية الخفيفة في بلاد الشراكسة وصلت إلى مستوى متقدّم بعد اختلاطهم بالإغريق والحثيين والبيزنطيين في العصور ما قبل الميلاد وحتى القرن الرابع الميلادي، وأنشأوا مصانع صغيرة ملحقة بأماكن سكنهم يدعى (جش). إلاّ أن هذه الصناعات تراجعت في العهود المظلمة وفي الفترات التي تعرض لها الشراكسة للغزوات والهجمات الهمجية والحروب غير العادلة التي شُنّت على شعوب القفقاس عامة والشراكسة خاصة، لقرون طويلة، وأن انشغالهم في صدّ خانات القرم أولا وحروب الابادة والدمار التي شنتها جيوش سلطات روسيا القيصرية لثلاثة قرون متلاحقة والتي انتهت عام ١٨٦٤ كانت سببا في تراجع مستوى الصناعات والحرف اليدوية خاصة وان اعداد كبيرة من الحرفيين والصناع المهرة قد قتلوا في الحروب، وهجر من بقي احياء منهم، ولم يبقى على أرض الوطن الأم إلا اعداد قليلة منهم... إلا أن القيادات الحرفية وبدعم من القيادات الاجتماعية الشركسية استطاعوا خلال فترة وجيزة من وقوعهم تحت حكم الاستعمار الروسي القيصري من النهوض مرة ثانية في مجال الصناعات والحرف اليدوية، فاعادوا انشاء الورش (جش) المتخصصة، وبدأ يصنعون كل ما يحتاجونه من لوازم وادوات ومعدات تتطلبها طبيعة حياتهم بعد الاحتلال الروسي القيصري نذكر منها:

- أدوات الحراثة المصنوعة من الخشب والحجر والعظم والحديد
- أدوات ولوازم الدراسة والمزروعات.
- أدوات ولوازم الحفر والنكش...الخ
- أدوات ولوازم الحصيدة... الخ.
- أدوات ولوازم جمع وحفظ وتنظيف الحبوب والبقوليات
- عربات نقل المحاصيل الزراعية.
- الأدوات المستخدمة في صناعة الاغذية والالبان عامة والزبدة خاصة
- الادوات الخاصة بتربية النحل.
- أثاث البيوت ولوازمها الخشبية
- أدوات ولوازم المطبخ والطعام والشراب.
- صناعة تجهيزات الخيول.
- الأدوات واللوازم بمهنة الحدادة.
- الادوات واللوازم الخاصة بمهنة النجارة
- صناعة الحياكة والتطريز
- مهنة بناء البيوت والحظائر والاسوار الخشبية
- مهنة الصياغة
- صناعة الحياكة.

والمهن أو الصناعات اليدوية القديمة التي كانت متوفرة في هذه المرحلة هي صناعة الغزل والنسيج وصناعة القوارب وصناعة البارود بالإضافة إلى صناعة الاسلحة الحقيقية لانها كانت محظورة رسميا.

وفي المراحل الأخيرة من حياة الشراكسة تحت حكم الاستعمار الروسي القيصري توجه الجيل الجديد منهم للعمل في بعض المصانع والمخازن والمتاجر التي انشأت في المدن الرئيسية في منطقة القوقاز كما أن بعضهم انخرطوا في الجيش في زمن الحروب عامة وفي زمن الحرب العالمية الأولى خاصة.

- **البُعد السياسي والعسكري لشراكسة الوطن الأم في عهد حكم الاستعمار الروسي القيصري**

بعد احتلال روسيا القيصرية للوطن الأم للشعوب القوقازية عامة والأمة الشركسية خاصة اعتبر كل من نجى منهم من القتل او الموت أو من نجى منهم من الطرد او التهجير القسري إلى خارج الوطن الأم من رعايا الامبراطورية القيصرية الروسية كما تم اخضاعهم للقوانين والأنظمة الروسية ولم يعد لهم أي كيان أو تنظيم سياسي أو حتى تنظيم إداري.

ولم يسمح لهم بتكوين أي شكل من أشكال الحكم الذاتي بل أنهم كانوا محكومين من الإدارة المحلية الروسية ومن خلال المخاتير الذين تم تعينهم السلطات الروسية كما اعطيت حقوق وامتيازات لعشرات الالاف الروس والقوزاق وغيرهم من القوميات التي تم اسكانهم في الأراضي التي استولت عليها السلطات القيصرية خلال وبعد انتهاء الحروب كما اسكنوا اعداد كبيرة من العائلات الروسية والقوزاقية داخل القرى والبلدان والمدن الشركسية بهدف القضاء على خصائصهم القومية وطمس ثقافتهم وعاداتهم وتقاليدهم.

وكذلك لم يكن يسمح أن يكون للشراكسة على اختلاف مواقعهم ومناطقهم (عَلَمَ) او رمز يرمز للشراكسة، كما لم يكن يسمح لهم حمل العلم القومي الشركسي الذي اقر الوانه وشكله قبل انهاء الحرب.

وكذلك لم يكون يسمح لهم استخدام النشيد القومي أو الوطني الشركسي طوال فترة حكم القياصرة الروس.

فكان رد الفعل الطبيعي لكل اشكال وسياسة تذويب الشخصية الشركسية والقضاء على أي مظهر من مظاهر القومية الشركسية بأن أصبحوا أكثر تمسكا بقوميتهم ووطنهم، ورفضوا كل أشكال الاضطهاد، وازدادت حركات التمرد التي تحولت إلى انتفاضات شعبية أعوام ١٨٨١-١٨٨٣ لمقاومة الاستعمار القيصري في أكثر من منطقة قوقازية منها منطقة (الكوبان)، وتمثلت هذه الانتفاضات باعلان شراكسة (الكوبان) الانفصال عن روسيا ورفضهم الخضوع للحكم الروس القيصري، وان لا سلطة للحكومة القيصرية الروسية عليهم. إلا أن السلطات الروسية استطاعت قمع هذه الانتفاضات قبل تحقيق أهدافها المتمثلة بالاستقلال عن روسيا وتشكيل حكومة قوقازية وطنية والقوا القبض على زعماء الانتفاضات كما تم تشتيت القبائل التي شاركت فيها ونقلهم إلى مناطق نائية.

وأما بالنسبة للبعد العسكري لشراكسة الوطن الأم في ظل الاستعمار الروسي القيصري يتمثل بالحقائق التالية:

الحقيقة الأولى: نزع سلاح الشراكسة الذين نجوا من القتل والتهجير القسري للمخارج في المراحل الأولى من تطبيق الانظمة وقوانين روسيا القيصرية عليهم... كما وضعوا قيود على حمل الأسلحة الشخصية مثل (القاما) في الأماكن العامة كما وضعوا قيود اكبر على اقتناء أي نوع من الأسلحة في البيت أو المزرعة.

الحقيقة الثانية: ابعاد عامة الشراكسة من الخدمة العسكرية في منطقة القوقاز إلا من اعداد قليلة من المتعاونين مع السلطات الروسية المسلحة.

الحقيقة الثالثة: وضع قيود كبيرة على الورش وأماكن التصنيع اليدوي لأي نوع من أنواع الأسلحة (القاما، والسيوف والمسدسات (جراخوة) والبنادق وغيرها من الاسلحة الشخصية).

وبالرغم من كل هذه القيود على تسلح الشراكسة بأي نوع من أنواع الأسلحة الشخصية، فإنهم وخلال أقل من عشرين سنة من حكم قياصرة روسيا لبلاد الشراكسة فإنهم تمكنوا من تصنيع الأسلحة الخفية، ومن اقتناء الأسلحة للدفاع عن انفسهم ضد العصابات واللصوص الروسية والقوقازية التي كانت تحاول الاعتداء على القرى والمدن الشركسية.. بل ان اعداد كبيرة من الشراكسة عامة وشراكسة الكوبان خاصة نظموا انتفاضة مسلحة لمدة ثلاث سنوات كما سبق الإشارة إليها أعلاه.

- **البُعد الاقتصادي والزراعي والتجاري لشراكسة الوطن الأم في ظل حكم الاستعمار الروسي القيصري**

لم تسلم الثروتين الزراعية والحيوانية للشراكسة في عهد قياصرة الروس من سياسة التخريب المتعمد ويتضح ذلك من السياسات التي مارستها سلطات روسيا القيصرية في الفترة التي حكموا فيها الشراكسة من عام ١٨٦٤ إلى عام ١٩١٧ وهي السياسات الهمجية التي عبر عنها اكثر من مؤرخ وباحث روسي منهم الباحث والكاتب الروسي (يا. ابراموف) الذي اعترف في كتابه (القوقازيون الشراكسة) المنشور باللغة الروسية عام ١٩٢٧ قائلا:

"ولما كنت قد أقمت الثلاث سنوات الأخيرة في منطقة التيرك، فقد وجهت عدة مرات سؤالا على ممثلي السلطة الحالية (للجبليين) الشراكسة، وإلى العلماء المحليين وإلى الناس العاديين، عن أسباب ما حدث من إبادة للشعب الشركسي، وقد أجاب أكثرهم بأن السبب (هو توحش الجبليين). وتحدثوا عن كسل (السكان المحليين) في منطقة التيرك وعدم اهتمامهم (وغبائهم). وفي الواقع فإن مثل هذه الفكرة الشائعة منتشرة بين الروس عن أسباب هجرة الجبليين، ولكن بعد دراسة الموضوع عن كثب اقتنعت: بأنه لا يوجد في الواقع أساس متين لكل الأدلة المقدمة ضد الجبليين أبدا، وإذا قارنا بين ما قام به السكان الأصليون في القوقاز (الشراكسة) والذي نفذناه نحن الروس، **فإننا يجب أن نعترف بأن الأمة الأقل حضارة، والأقل حبا للعمل هي الأمة الروسية بالذات،** لقد تحدثت عن تمليك أملاك شاسعة في القفقاس الغربية للروس، تلك الأملاك التي كانت مغطاة ببساتين وكروم ومراعٍ وحقول أنشأها السكان الجبليون (الشراكسة). مثل هذه الظاهرة لاحظتها ايضا في منطقة (التيرك) خلال هذه السنوات الثلاث التي قضيتها في هذه المنطقة، وعشت قسما منها في (نالتشيك)، وفي مركز سكن روسي ايضا، وفي قرية في وسط كباردى الكبرى، وحدث ان رأيت (برغبة مني) – كيف أن الروس ودون أي خجل كانوا يتلفون غلال المزروعات لشعب القبرطاي الذين بذلوا في زراعتها جهد عدة سنوات. وبالقرب من (نالتشيك) ذاتها يوجد ما يسمى ببستان "أتاجوق"، حيث بقيت منه أشلاء بائسة فقط، ولقد كان هذا البستان من تلك البساتين الكبيرة التي لا يمكن ان نجد لها مثيلا، إلا في القفقاس. لقد كان هذا البستان عبارة عن غابة وكان يتألف من جزأين، وكان الجزء الاول يتألف من مسطبة نصف دائرية وتنحدر انحدارا شديدا نحو الوادي، والجزء الثاني هو الوادي ذاته الذي يجري في نهر (نالتشيك). وكانت المسطبة مقسومة بشكل فني إلى عدة مساطب صغيرة وكل واحدة منها بدت على شكل نصف دائرة، وارتفعت فوق الأخرى على شكل مساطب أيضا. وكانت هذه المساطب تحتوي على كروم بديعة، وكان الجزء الأسفل من البستان مزروعا بأشجار مثمرة مختلفة الأنواع منها الأجاص، والتفاح، والصنوبر، والكرز، والكرز الاسود، والخوخ، والتوت.. الخ. وكانت هناك أشجار مدهشة على الجانبين... من الزيزفون، والأكاسيا، بالإضافة إلى روضة مخضرة دائرية ساحرة مغروسة بأشجار: المشمش، والتوت الضخمة.. الخ ومن أجل سقاية كروم العنب وبعض أجزاء البستان السفلي، كانت قد مدت قناة على مسافة عدة فراسخ. وبمثل هذا الشكل كان البستان في أيدي القبرطاي، وقد حل بالبستان الآن منظر مختلف تماما منذ ذلك الحين الذي أصبح للروس إمكانية استغلاله، فالقناة مهملة، والكروم لا تخدم، وأغصان كروم العنب التي أصبحت برية لعدم رعايتها، وتقطع لإطعام القطعان مثله مثل العشب الذي نما في المساطب، والأشجار المثمرة الأكبر عمرا، قطعت للوقود. وأما ممرات البساتين المغطاة من جانبيها بالزيزفون، والأكاسيا فهي

مضروبة دون رحمة، وأنا شخصيا كنت شاهد عيان على اتلاف بقايا هذه الممرات المغطاة من جانبيها. وحين سألت أحد هؤلاء "المثقفين" الرؤوس الذي قطع كثيرا من أشجار الزيزفون والأكاسيا، وأجاب: "كي لا يقوم بشراء حطب"، وقلت له ألا تشعر بالسوء من هذا العمل الذي تقوم به؟ أجاب ايضا: يجب على هذه الاشجار ألا تنمو هنا.

وقد قطعت أكثر الأشجار الكبيرة التي كانت تدخل في تركيبة الدائرة (العجيبة في البستان) والباقية فقدت أغصانها، واصبحت نصف ذابلة. وفي الوقت الحالي فإن "بستان أتاجوق" عبارة عن أراضي واسعة مهملة، حيث نمت فيها شجيرات الكرز والاشجار الشائكة، والأعشاب الضارة، **وبقيت في بعض الأماكن منها أشجار كبيرة، تذكرنا بالحضارة الشركسية التي كانت سائدة هنا**، ولا شك أن مستقبل آثار هذه الحضارة القديمة بات مزعزعا. وعلى مسافة سبعة أو ثمانية فراسخ من بلدة (نالتشيك) إلى أعالي النهر المسمى بالاسم نفسه كانت توجد قرية شركسية، وكان لها بستان رائع، وكانت مساحته تفوق مساحة "بستان أتاجوق" بعدة أضعاف، وهذا البستان قد تعرض للسرقة من قبل الروس بالطريقة نفسها. **وهو الآن في حالة أفظع من حالة "بستان أتاجوق"**.

وهكذا هي الحضارة الروسية ويمكن رؤية نماذج من هذه الحضارة في منطقة التيرك ويجب على الروس الذين يتكلمون عن عدم وجود حضارة للشراكسة (للجبليين) وعدم كفاية حب العمل لديهم أن يركزوا انتباههم على هذه الحقائق، وعلى حقائق أخرى غيرها، والتي تبين مستوى حضارة المتهمين (بالمتوحشين) القفقاسيين كما هم يحبون العمل عندهم [٩].

واستطرد الكاتب إبراموف قائلا:

"من هذا الوصف السريع لحالة الزراعة في الجبال يستطيع القارئ أن يرى كم كان من الخطأ الكبير اتهام (الجبليين) بالكسل. **ومع هذا فإنني أعتقد أنه سيتضح للقارئ أن (الجبلي) يصنع لنفسه أرضا على الصخور العارية بجهده فقط وبالعرق والدم.** ويجب عليه أن يرتبط بلهفة بأرضه، ومع هذا فعندما يترك أرضه ويرحل إلى تركيا حيث الآلام والعذاب فإن الرحيل لا يكون بسبب كسله".

نستنتج مما تقدم بأن السلطات الروسية واتباعهم من القوزاق عملوا ما باستطاعتهم للقضاء على الاقتصاد الزراعي للشراكسة في هذه المرحلة من حكم القياصرة الروس من خلال الاستيلاء على الأراضي الزراعية والمناطق الرعوية لمنعهم من تربية المواشي من أبقاء واغنام والخيول وكذلك اتباع سياسة قلع اشجار الاحراش وبساتين الاشجار المثمرة بحجة بناء طرق او مستوطنات للروس والقوزاق وبالرغم من كل ما تقدم فإن الدارس للاوضاع الزراعية للشراكسة في هذه المرحلة من تاريخهم المؤلف فقد استطاعوا التغلب على تلك المصاعب والبدء باعادة بناء المزارع والحقول التي اتلفها المستعمرين الروس والقوقازيين، كما قاموا باصتلاح اراضي جديدة تصديقا لما قاله (ابراموف) **بأن "الشراكسة يصنعون لانفسهم مزارع على الصخور العارية بالجهد والعرق والدم"**.

واما بالنسبة للأعمال التجارية، فإن السلطات الروسية عطلتها تعطيلا كاملا، ولم يتمكن الشراكسة في هذه المرحلة من حياتهم المعاصرة من ممارسة أي نوع من أنواع التجارة الداخلية أو الخارجية لأن الانظمة والقوانين الروسية لم تكن تسمح لهم أن ينشئوا مؤسسات أو مصالح تجارية مستقلة طوال فترة حكمهم التي امتدت لاكثر من خمسين عاما.

- **البُعد الديني لشراكسة الوطن الأم في عهد حكم الاستعمار الروسي القيصري**

واصلت سلطات روسيا القيصرية في محاربة الدين الإسلامي خلال سنوات حروبها ضد الشعوب القوقازية الإسلامية عامة والشعوب الشركسية خاصة باتباعها سياسة محاربة انتشار الدين الإسلامي واللجوء لسياسة التبشير للديانة المسيحية داخل المجتمعات الشركسية المسلمة في الوطن الأم حيث واصلت باستخدام شتى الوسائل للضغط على الشراكسة المسلمين عامة، وشيوخهم من رجال الدين خاصة، بقصد التقليل من تأثيرهم على عامة الشعب أو بهدف تقييد حرية ممارسة

الشعائر الدينية والضغط عليهم للهجرة أو إعادة تنصيرهم وكانت أكثر الوسائل استخداما لها خلال حكم قياصرة الروس هي الوسائل التالية:

الوسيلة الأولى: سحب الصلاحيات القضائية والإدارية من رجال الدين المسلمين عامة والشراكسة خاصة في مناطق سكنهم.

بدأ الروس تطبيق القوانين والانظمة الروسية حيث وجد رجال الدين انفسهم بعيدين تماما عن الشؤون المدنية، وأصبحت جميع الصلاحيات القضائية والإدارية تحت سيطرة السلطات القيصرية، وقد أضعف نظام الحكم الجديد كثيرا من صلاحيات رجال الدين المسلمين، وانخفض دخلهم المادي كثيرا، وضاقت دائرة تأثيرهم على الأمور المدنية، وأدرك رجال الدين أن السلطات القيصرية تحاول عزلهم عن السكان، فخافوا على مصيرهم ومصير الدين الإسلامي، فانقلب القسم الأكبر منهم ضد سلطات القيصرية، وبدأوا بأعمال نشطة ضد النظام القيصري الاستعماري وبدعم من الأمراء والنبلاء المعادين للروس.

الوسيلة الثانية: السماح لعملاء وجواسيس السلطات التركية العثمانية بث الدعايات الدينية التي تعتبر أراضي الخلافة الإسلامية في تركيا بأنها (الجنة المنتظرة في الدنيا)، وسمحت للشيوخ ورجال الدين الأتراك بث الدعايات المحرضة للهجرة، حيث أكد "م. ج. جارول" بأن رجال الدين الاتراك كانوا يبثون بعض الأفكار الدينية التي تحرض الشراكسة المسلمين على الهجرة نذكر منها الافكار التالية:

١- لا يمكن العيش والبقاء في بلد (كافر) وتحت إدارة (الكفرة) لذا وجبت الهجرة إلى البلاد الإسلامية.

٢- الهجرة قدرنا ومكتوبة لنا فلا مناص إلا إطاعة أمر الخالق.

٣- الهجرة موجودة في الإسلام، فلقد هاجر أتباع محمد صلى الله عليه وسلم إلى الحبشة كما هاجر محمد صلى الله عليه وسلم إلى المدينة.

٤- سنذهب إلى البلاد الإسلامية مؤقتة، ومن ثم نستعد ونعود لتحرير الوطن.

٥- من يموت في غير الديار الإسلامية يذهب إلى (جهنم) ومن يريد (الجنة) يجب أن يموت في ديار الخلافة الإسلامية.

٦- الإدعاء بأن أوله بلاد المسلمين وآخره بلاد المسلمين. ولكن الهجرة من الآن.

الوسيلة الثالثة: تكثيف سياسة التبشير للديانة المسيحية من خلال نشر أعداد كبيرة من القساوسة وتكثيف بناء كنائس في المناطق التي يعيش فيها الشراكسة وتقديم امتيازات وحوافز لمن يقبل اعادة تنصيره مثل اعفائهم من الضرائب والرسوم ومنحهم أراضي زراعية وغيرها من الامتيازات.

- **بُعد اوضاع التربية والتعليم للشراكسة في الوطن الأم خلال حكم الاستعمار الروسي القيصري**

توجهه المثقفين والمفكرين الشراكسة إلى إنشاء مدارس لتعليم اللغة الشركسية في منطقة نالتشك منذ منتصف القرن السادس عشر أي قبل حوالي خمسة عشرة سنة من احتلال قياصرة الروس للقفقاس عامة وبلاد الشراكسة خاصة ويتمثل هذا التوجه بالحقائق التالية:

١- قيام العالم الشركسي شورا بكمرزة نغمو (نغوموقة) ابتداء من عام ١٨٤٣ بإحياء اللغة الشركسية كتابة ووضع قاموس الألفاظ الشركسية باللغة العربية عام ١٨٤٦.

٢- وضع العالم (لوليه) كتابا للصرف وقاموسا للألفاظ الجركسية وطبعه عام١٨٤٦ في اوديسا.

٣- وضع العالم البولوني (ل. أوباتيسكي) كتابا حول مبادئ اللغة الجركسية وقاموسا للكلمات بلهجة قبيلة القبردي مع اللغة الروسية (طبع بتفليس عاصمة جورجيا) عام ١٨٥٠ وانتشر هذا الكتاب انتشارا واسعا في بلاد الشراكسة في حينه.

٤- كانت اول محاولة لتدريس اللغة الشركسية في نالتشك عام ١٨٥١ وبعدها في مدرسة (فربول).

٥- كان (اوسلان aslan) أول من قام بدراسة أدب اللغة الشركسية بلهجة قبائل القبردى عام (١٨٥٤).

٦- وضع العالم الشركسي (حاتوقشوقة) وهو أحد المختصين بلغة القبردي كتابا عام ١٨٦٠ في الهجاء الجركسي بحروف روسية... إلا أن الفكرة لم تنجح.

وبالرغم من تلك البدايات الناجحة لنشر التربية والتعليم فإن السلطات روسيا القيصرية قامت بسياسة تجهيل الشراكسة، حيث اغلقت تلك المدارس التي تم افتتاحها في أكثر من منطقة في مرحلة ما قبل احتلالهم لبلاد الشراكسة ونستنتج من ذلك قول (ابراموف) بأن السلطات الروسية لم تكن تسمح بفتح المدارس في المدن والقرى التي يعيش فيها الشراكسة إلا ما ندر. كما ان هذه المدارس بالرغم من قلة عددها فإنها كانت مدارس (صورية) وبدائية وليس لها أية علاقة بنظام التعليم العام.

كما أضاف قائلا: "وان خمس إلى ست سنوات التي كان يقضيها التلميذ من الشراكسة في المدرسة (الجبلية) يعتبر وقتا ضائعا وبلا فائدة ولا يكتسب من المدرسة أي معرفة تفيده في حياته العامة، وأن الشيء الوحيد الذي كان يتعلمه في هذه المدارس هو التكلم باللغة الروسية، وهذا التعلم ليس مهما جدا إلى هذه الدرجة التي من أجلها يقضي التلاميذ ست سنوات من حياتهم وهي سياسة اتبعها الروس من اجل بقاء أبناء الشراكسة جهلة وغير متعلمين إلا أن المثقفين والمفكرين الشراكسة الذين بقيوا في الوطن الأم، وبالرغم من قلتهم فإنهم قاوموا السياسة التعليمية الروسية والجائرة وبادروا لإنشاء مدارس خاصة بهم للتعليم عامة وتعليمهم اللغة الشركسية خاصة.. وتمثلت هذه المبادرات من قبل كل من:

١- شروان (Atazhukin & Scherdan) و (أتاز هوكين) واصدرا عام ١٨٦٥ دراسة حول اللغة الشركسية بلهجة (كيمركواي).

٢- ويماربيرسي (Wimarbersey) ونشر أول كتاب حول اللغة والأدب الشركسي باستخدام الاحرف العربية عام ١٨٨٥.

٣- كما قام ل. لوباتنسكي (Lopatinsky) بنشر كتاب آخر عام ١٨٨٥ كما نشر كتابا ثالثا في مختصر قواعد اللغة القبردينية عام ١٨٩١. كما كان هناك عدة مدن أخرى تدرس فيها اللغة الشركسية بما في مدينتا اكترينودار وبتالباشنسك. كما وجدت مخطوطات عديدة عن القصص الشعبية الشركسية يعود تاريخ تأليفها إلى النصف الأول من القرن الثامن عشر على يد القاضي (اتانشوخين) وأخرين.

وتطور تعليم اللغة الشركسية في مختلف المناطق التي كان يسكنها الشراكسة في ظل حكم الاستعمار الروسي القيصري في مطلع القرن العشرين وخاصة بعد ------ جمعية الاخاء الشركسية في تركيا عددا من المعلمين الشراكسة المختصين باللغة والأدب الشركسي بقيادة المعلم والمربي الشركسي الكبير: أحمد نوري تساغوة الذي ولد في القنيطرة في منطقة الجولان السورية عام ١٨٨٨، حيث عاد للوطن الأم في عام ١٩١٣ برفقة كل من المتعلمين المتطوعين هاتسال، محمود قوبار، هارون بسروقة، عاكف تيغون، محمد حبيب، زكريا بستي، سعاد نغوج، وتخرج على يديه عدد من أدباء شراكسة الوطن الأم تبناهم (تشاغو) واهتم بتعليمهم وتوجيهاتهم القومية الإصلاحية وبث فيهم الروح الوطنية النضالية.

بُعد الحياة الأدبية والثقافية القومية للشراكسة في الوطن الأم خلال حكم الاستعمار الروسي القيصري

ربما كانت الحركة الأدبية والثقافية القومية الشركسية أكثر خصائص الشراكسة في الوطن الأم استهدافاً من قبل سلطات روسية القيصرية، ويتضح ذلك بوضوح من السياسات التي استخدمتها في إضعاف المسألة القومية للشعوب القفقاسية عامة والشعوب الشركسية خاصة نذكر منها:

أولا: تنفيذ الدراسة التي قدمها نائب القيصر المدعو (بوتكيفيتش) وملخصها هو **ضرورة عدم ترك الشراكسة يعيشون معا في منطقة واحدة وانه يجب إسكان قوميات أخرى معهم**، وهذا ما تم فعلا، حيث تم إسكان البلقار والروس مع القبردي، والقراشي والروس وقوميات أخرى مع شراكسة البسلني في منطقة تشركسيا، كما تم إسكان روس وقوميات أخرى عديدة في منطقة (الأديغة)، وتركوا قبائل الشابسوغ أقلية في منطقة فيها أكثر من ٩٩% من الروس والقوميات الأخرى وهي السياسة التي نفذها الشيوعيون فيما بعد.

ثانيا: تنفيذ سياسة (ترويس) أي تحويل الشراكسة إلى (روس) بالقضاء على تراثهم وقوميتهم ولغتهم، ويتضح ذلك من إيعاز الحكومة الروسية إلى نائبها في القفقاس بتوجيه خطي "أن يجعل من شمال القفقاس "منطقة روسية بحتة"، واستنادا إلى هذا الأمر قامت السلطات الروسية المحلية بكل المحاولات لترويس السكان المحليين الناجين من الموت او التهجير، ومن الأمثلة على ذلك ما قام به رئيس قوزاق منطقة (لابينسكي) العقيد "سافيتسكي" عام ١٨٨٩ حيث بدأ فعلا بتنفيذ سياسة ترويس الجبليين عامة والشراكسة بالدرجة الأولى.

ثالثا: منع الشراكسة في المراحل الأولى من حكم القياصرة من تدريس اللغة الشركسية في المدارس (الصورية) القليلة التي انشأتها السلطات الروسية المحلية واجبارهم على تعلم اللغة الروسية بدلا من اللغة الشركسية.

بالرغم من كل ما تقدم فإن المفكرين والمثقفين الشراكسة ومن ورائهم عامة الشعوب الشركسية قاموا في التصدي لتلك السياسات العنصرية، وكانت النتيجة العكسية ان تمسك الشراكسة بجميع فئاتهم وقبائلهم بالهوية القومية الشركسية وقيامهم بالمحافظة على هويتهم وثقافتهم الأدبية، والعمل على تحويلها إلى أدب مكتوب، وظهر عدد من الأدباء والشعراء والمفكرين الشراكسة في هذه المرحلة من تاريخ الشراكسة في ظل حكم القياصرة ونشروا اعمال ادبية وشعرية، واعدوا الدراسات والابحاث لتطوير الحركة الادبية والفكرية، وثقافة القومية الشركسية نذكر منهم الادباء والشعراء والمؤرخين التالية اسماؤهم:

- ادباء وشعراء ومؤرخين نشروا مؤلفاتهم واصداراتهم الأدبية والتاريخية ابان حروب الإبادة والدمار الروسية ابتداء من العقد الرابع من القرن التاسع عشر واستمر واشتمل انتاجهم الفكري والأدبي خلال فترة حكم القياصرة للشراكسة ابتداء من عام ١٨٦٤.. على الفروع الأدبية التالية:

  - الأساطير وملاحم النارتيين.
  - المسرح والتمثيل.
  - الشعر والغناء والاناشيد.
  - الحكايات والقصص.
  - اللغة الشركسية وآدابها.

وفيما يلي ابرز الأدباء والشعراء والمؤرخين الذين أثروا الحركة الأدبية، والثقافية في المجتمعات الشركسية في مرحلتين زمنيتين هما:

- **المرحلة الأولى:** وفيها برز **ادباء وشعراء ومؤرخين شراكسة إبان حروب الدمار والإبادة الروسية واستمر تأثير ادبهم وفكرهم** إلى مرحلة ما بعد حكم قياصرة الروس للشراكسة في الفترة من ١٨٦٤ إلى ١٩١٧ نذكر منهم:

١- شورا بكمرزا نوغموقة: (١٨٠١-١٨٤٤) لغوي ومؤرخ، كتب بالروسية تاريخ الشركسية عام ١٩٤٣. ونشر في ١٨٦١ من قبل ابنه كتابه "تاريخ الأديغة" وذلك بعد وفاته عام ١٨٤٤.

٢- خان جري: وهو من الكتاب القدماء، ويعتبر أول من بدأ في نشر ملاحم نارت الشركسية، وكان ينشرها في مجلة (قفقاس) عام ١٨٤٦.

٣- ل. ليول (L.Lyule) وهو مؤلف أول قاموس شركسي بلهجة اديغة وبالأحرف العربية عام ١٨٤٦.

٤- اوسلار (Uslar) وهو اول من قام بدراسة اللغة الشركسية وإبدائه بعض الملاحظات اللغوية الهامة عن اللغة الشركسية بلهجة قبائل القبردي عام (١٨٥٤).

٥- حاتوقشوقة وهو واضع اول ابجدية شركسية باللغة الروسية في عام ١٨٦٠.

وفي المرحلة الزمنية الثانية وهي المرحلة التي حكم فيها قياصرة الروس للشراكسة في الفترة الممتدة من عام ١٨٦٤ إلى عام ١٩١٧ برز ادباء وشعراء ومؤرخين استمر تأثير انتاجهم الأدبي والفكري إلى المراحل الأولى للحكم الشيوعي في زمن الاتحاد السوفيتي وهم:

١) شروان (Atazhukin & Scherdan) و (أتاز هوكين) واصدرا عام ١٨٦٥ دراسة حول اللغة الشركسية بلهجة (كيمركواي).

٢) تامبي (١٨٢٥-١٨٩١) وكان من أوائل المهتمين بجمع ودراسة الأساطير النارتية ونشرها.

٣) بكميرزا باشا: (١٨٥٤-١٩٣٦) وهو ثائر قاوم بشدة هجرة الشراكسة شاعر واديب شركسي.

تميزت أشعار (بكمرزة) بالنبرة الوطنية العاطفية تحمل طابعا فلسفيا، وصدر ديوان تضمن عددا كبيرا من أشعاره باللغة الشركسية، وفي المراحل الأخيرة من حياته اتجه لنظم أشعار لاذعة تحمل طابع السخرية، ونشرت جميعها بعد وفاته عام ١٩٣٦م في مسقط رأسه في شمال القفقاس.

٤) قاضي أتاوزخين: نشر مقتطفات من قصيدة سوسروقة، وعدة قصص وغيرها من قصص النارتيين، كما ترجم إلى اللغة القبردينية قصة (أشيك كيراب) للكاتب الروسي (يرمونتوف).

٥) أميرهان خافباشي: (ولد سنة ١٨٨٢) وهو شاعر معروف بقصائده الهزلية المنشورة باللغة الشركسية.

٦) إبراهيم تسي: (١٨٩٥-١٩٣٦) شاعر وكاتب أساطير ومؤلف روايات تمثيلية. كتب روايتي (كوفاس) عن بطل مات أثناء الغزو الروسي لشركاسيا. و (السوط العظيم) التي تصور حياة الفلاحين الشراكس مع عدد من القصائد والأشعار والحكايات عن الحياة الشركسية اليومية، وكان (ابراهيم شركسياً) وطنيا عظيما وكرس كل حياته لنشر الثقافة الشركسية في منطقة (الاديغية)، وهو اول من أنشأ المعهد المسرحي في الأديغية، والمسرح الدرامي سنة ١٩٢٩ وكان يتمتع بشعبية كبيرة في الأوساط الشركسية.

٧) الاديب والمعلم الكبير احمد نوري تساغو (١٨٨٨-١٩٣٥): ولد في مدينة القنيطرة في الجولان السورية عام ١٨٨٨م، وعاش فيها حتى تخرج من المدرسة الثانوية في دمشق عام ١٩٠٨، وفي عام ١٩٠٩ التحق بكلية الحقوق في اسطانبول في تركيا وتخرج منها عام ١٩١٢م.

وانضم بعد تخرجه إلى جمعية الإخاء والتعاون الشركسية في اسطانبول، وأصبح سكرتيرا لها عام ١٩١١م كما ساهم في إصدار صحيفة (غوازة) التركية الشركسية وعمل مدير تحرير لها مع زميله الأديب (يوسف سعاد نغوج) الذي رأس تحرير الصحيفة وكان (تساغو) يكتب مقالا يوميا يحارب به الهجرة الشركسية للخارج بعنوان "كيف نضيع نحن الشراكسة".

واوفدته جمعية الاخاء الشركسية عام ١٩١٣م إلى موطنه في شمال القفقاس لنشر الثقافة والأدب واللغة الشركسية من خلال المدارس المتعددة التي افتتحها في بلاد القبرطي والاديغي مع آخرين من شراكسة تركيا المختصين بتدريس اللغة الشركسية وتخرج على ايديهم أدباء من امثال ابراهيم تسي.

٨) ويماربيرسي (Wimarbersey) ونشر أول كتاب حول اللغة والأدب الشركسي باستخدام الأحرف العربية عام ١٨٨٥.

٩) لوباتنسكي (Lopatinsky) ونشر كتابا مختصرا لقواعد اللغة الشركسية بلهجة القبردي في نالتشيك عام ١٨٩١.

نستنتج مما تقدم بأن الأدباء والمفكرين الشراكسة في عهد حكم قياصرة الروس استطاعوا التصدي لسياسة الترويس اولا ولمحاولات القضاء على الثقافة القومية الشركسية ثانيا من خلال نشرهم المؤلفات والكتب والدراسات الأدبية واللغوية والتاريخية... وكذلك من خلال فتح مدارس لتدريس اللغة الشركسية في كل من القرى والبلدات الشركسية النائية وفي المدن الكبيرة.

بُعد التراث الثقافي والفلكلور القومي لشراكسة الوطن الأم في ظل حكم الاستعمار الروسي القيصري

ربما كان الهدف الأول للسلطات الروسية القيصرية بعد احتلال شمال القفقاس عامة وبلاد الشركسية خاصة (كما سبق ذكره) هو القضاء على الهوية الشخصية الشركسية تلك الهوية التي تتمثل بتراثها الثقافي وفلكلورها القومي الذي يتكون من:

- الملابس القومية الشركسية.
- الرقص القومي الشركسي.
- الموسيقى القومية الشركسية.
- الغناء الشركسي.
- اللوازم والادوات الشركسية التراثية القديمة.

والشراكسة في هذه المرحلة الصعبة والقاسية في تاريخهم المعاصر وان لم يتمكنوا من ادخال أية تطور على تراثهم الثقافي والفلكلوري فإنهم استطاعوا الحفاظ عليها ومارسوها في حياتهم اليومية بكل فخر واعتزاز بل أنهم أصبحوا أكثر تمسكا بها بالرغم من كل اشكال وأنواع الضغوط التي مارسها الروس المستعمرين للقضاء على كل ما يتعلق بمقومات الهوية القومية الشركسية.

- **بُعد العادات والتقاليد والاعراف لشراكسة الوطن الأم في ظل حكم الاستعمار الروسي القيصري**

حاولت السلطات القيصرية الروسية من ترويبس الشراكسة والقضاء على القيم الإسلامية وعلى العادات والتقاليد الشركسية باستخدام اكثر من أسلوب منها:

١- تطبيق الانظمة والقوانين الروسية بدلا من اتباع العادات والتقاليد في حل النزاعات الشخصية او القبلية.

٢- اسكان اعداد كبيرة من القوزاق والروس مع الشراكسة في المدن والبلدان والقرى الشركسية للقضاء على التجمعات السكنية المغلقة لهم.

٣- محاولة بث القيم والعادات الروسية بين صفوف الشباب الشركسي عامة وطلاب المدارس خاصة.

٤- التضييق على مجالس المضافات الشركسية ومحاولة منع أي تجمع ذات طابع قومي.

بالرغم من كل ما تقدم فإن الشراكسة أصبحوا اكثر تمسكا بعاداتهم وتقاليدهم التي توارثوها عن الاجداد منذ فجر التاريخ فاستمروا في تطبيق العادات والتقاليد في جميع مجالات الحياة.

الفصل الثاني

شراكسة الوطن الأم في ظل حكم دولة شمال القفقاس (الجمهورية الجبلية) خلال الفترة ١٩١٧ – ١٩٢٠

اجتمع في يوم ١٩١٧/٣/١٥ وبعد تنازل القيصر عن سلطاته الدستورية ممثلو شعوب شمال القوقاز لبحث امكانية تأسيس دولة لهم وفي يوم ١١ من شهر أيار/ مايو ١٩١٧ نظموا (مؤتمر شمال القوقاز الاول) واعتبروا الذين حضروا هذا المؤتمر الهيئة التشريعية العليا التي تنظم مستقبل تلك الشعوب، لتعمل كحكومة انتقالية لدولة شمال القوقاز المستقلة. وفي ايلول / سبتمبر من نفس العام وخلال المؤتمر الثاني لنفس الهيئة تم التصديق على مشروع دستور الدولة القوقازية الجديدة، وفي يوم ١١ آيار/ مايو ١٩١٨ اعلنت الحكومة المؤقتة لدولة شمال القوقاز استقلالها، **وانتخب (عبد المجيد جرويوييف)** والمعروف باسم (**اوتشيرموي**)، أبرز رجالات الهيئة التشريعية العليا كأول رئيس للدولة الجديدة وهو شيشاني الاصل، والسيد كوتسك، وهو من القبردي نائبا له، كما تم انتخاب برلمان لها برئاسة (سنغيري جباغي) وهو شركسي الاصل أيضا.

كما أعلن في المؤتمر عن **تأسيس دولة شمال القوقاز المستقلة وسميت (جمهورية الجبل).. واعترفت بها كل من: المانيا والنمسا والمجر وتركيا والبلاشفة الروس ظاهريا**. إلا انها تعرضت لغزو من الجيش القيصري الذي كان يقاوم الثورة البلشفية، وحرق العديد من القرى القوقازية، خاصة قرى الشيشان، وصمد المجاهدون القوقازيون أمام جيش القيصر حتى ان (تشيتشيرين) وزير خارجية الحكومة السوفيتية قدم اعترافا باتحاد شمال القوقاز وباستقلال الدولة الجديدة قائلا:

"**إننا نعلم أمام العالم كله بأن الجمهورية السوفيتية الاشتراكية لم تنو مطلقا احتلال أراضي أجنبية وإقامة حكم سوفيتي عليها، وأن روسيا تعترف بحق الشعوب في تقرير مصيرها. فإذا كنتم أيها المسلمون القوقازيون راضين عن شكل ووضع جمهوريتكم فعيشوا بسلام وعمروا بلدكم**".

وفي يوم ١٩١٨/١٢/١٥ استقال الرئيس عبد الحميد (تشيرموي) وكلف نائبه بشماف كوتشوك رئيسا للدولة الجديدة وشكل حكومته برئاسته وعضوية عشرة وزراء وهم: (نوح تارقو للدفاع، رشيد خان للداخلية، حيدر بامات للخارجية، أصلان كري جباغي للمالية، المهندس ملكخان للصناعة والتجارة، المهندس إبراهيم حيدر للمواصلات، والمفكر الأديب شاخصيوار للتعليم، أز بوتات للزراعة وأملاك شؤون الدولة). كما عين القائد العسكري (سلطان قلج) قائدا عاما لجيش الدولة الجديدة، كما انضم للدولة الجديدة ست قوميات قوقازية وهي: الشيشان والانجوش والاستين والاديغة في منطقتين (القباردي وتشركسيا) والبلقار والقراشي وكان عددهم آنذاك حوالي مليون ونصف مليون نسمة كما هو مبين في الخارطة المرفقة.

واعتمدت اللغة العربية واللغة التركية كلغتين رسميتين في الجمهورية الجديدة، بالإضافة للغات القومية للشعوب الاعضاء في الجمهورية.

واعترض الشيوعيون على تسميتها بجمهورية شمال القفقاس، واطلقوا عليها اسم (الجمهورية الجبلية الاشتراكية السوفيتية) وعاصمتها (فلادي– كفقاس).

كما غزا الجنرال القيصري (دينيكن) عام ١٩١٩ جمهورية شمال القفقاس ورفض الاعتراف بها لقناعته بأن روسيا وحدة واحدة ولا يمكن تجزئتها. وعندما رفض القوقازيون الانضمام لقواته، قام (دينيكن) بحرق عشرات القرى والمدن الشيشانية من بينها قرى (شيشان آول – Chechen Aul) وألخان يورت وغودرميس وستاري يورت وغيرها، كما أن القوقازيين لم يكونوا على وفاق مع الشيوعيين وكانوا يجهلونهم في بداية عهدهم، فصدقوا الشعارات التي رفعوها معلنين عن اعترافهم

بحقوق القوميات في الاستقلال والانفصال. أما بالنسبة لجنرالات القيصر الروسي المخلوع فقد كان التفاهم معهم معدوما لما لاقته الشعوب القوقازية (سابقا) من قهر على أيديهم.

وبالرغم من تأسيس جيش الاتحاد من قدامى المقاتلين (المريدين) الذين أعيد تنظيم صفوفهم، حيث بلغ عددهم ما ينوف على عشرة آلاف مقاتل بقيادة مرشدان هما: الشيخ نجم الدين الذي اعترف به كإمام للداغستان والشيخ اوزون حاجي الشيشاني الذي سبق أن قضى خمسة عشر عاما (١٩٠٢-١٩١٧) منفيا في سيبيريا في العهد القيصري وبالرغم من كل ذلك استطاع هذا الجيش الصغير تحرير الداغستان وشيشانيا وإنغوشيتيا وأوسيتيا وكاباردا (بلاد القبرطاي) وقيام (جمهورية شمال القوقاز). [٥٧]

وفي شهر آذار/ ١٩٢٠ قامت وحدات الجيش الأحمر (الشيوعي) باحتلال الجمهورية الجبلية الاشتراكية بعد أن استنفدت قوتها في حربها ضد القوات القيصرية بقيادة (دينكن) تم القضاء على هذه الجمهورية القوقازية الاتحادية وأعيد تقسيمها إلى ثلاث جمهوريات صغيرة وهي:

جمهورية القبارطاي والبلقار، وجمهورية الشيشان والأنجوش، وجمهورية أوستيا الشمالية.



الرئيس بيشماف كوتسوك، الرئيس الثاني لحكومة جمهورية شمال القفقاس



رئيس حكومة القفقاس عام ١٩١٨م مع الوفد الذي رافقه إلى استنبول لاقناع تركيا بالاعتراف باستقلال القفقاس

وفي نفس العام أي في عام ١٩٢٠ تشكلت الجمعية الدينية الإسلامية من (٢٥٠) من رجال العلم والدين والأئمة وهم يمثلون من جميع القبائل الشركسية في (الجمهورية) وعقدت هذه الجمعية خلال الأعوام من ١٩٢٠-١٩٢٥ خمس مؤتمرات بهدف الدعوة إلى دين محمد صلى الله عليه وسلم الخالص من البدع، ومن اجل أن يتفق العلماء القوقازيين وأن يوحدو العبادات الدينية من غير اختلاف، وفي المؤتمر الخامس والأخير ظهر للمسلمين الذين حضروا المؤتمر تعصبات المشايخ الادعياء القدامى وأكاذيبهم الملفقة وأدرك العوام بأنفسهم أنهم ليسوا على شيء من الدين. وفي ختام المؤتمر أجابوا على خمسة عشر تساؤلا بالاستناد إلى الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة الصحيحة: [٤٩]

ووقع على هذه الفتاوي العلماء القوقازيين عامة والشراكسة خاصة وهم:

١- القاضي زابت افندي الإدريس
٢- القاضي إبراهيم افندي البرنوقي
٢- من الأفندية جانخوت الحاتقوي
٤- القاضي حاجبكر الوظى
٥- القاضي إدريس الدولي
٦- القاضي محمد الصومني
٧- القاضي مصوست النابوقي
٨- القاضي نوح المرتقوي
٩- من الكتاب يعقوب الخوادي
١٠- من الكتاب احمد النابوقي
١١- القاضي إسميل القود إينيت
١٢- من المندوبين مجيد الحاتغوغي
١٣- القاضي غورظ الحاج الشمغخوي
١٤- القاضي شق غبلظقو
١٥- القاضي حاتغوظقو ادمي
١٦- القاضي كاتب الجوبطي
١٧- القاضي يدج التقي.



خارطة تبين القوميات القوقازية التي تشكل منها دولة شمال القفقاس (الجمهورية الجبلية) في الفترة ١٩١٧-١٩٢٠

الفصل الثالث

الشراكسة في الوطن الأم في ظل الحكم الشيوعي في عهد الاتحاد السوفيتي (١٩٢١-١٩٩٢)

تقديم

عاشت الامة الشركسية تحت الحكم الشيوعي في عهد الاتحاد السوفيتي ابتداء من عام ١٩٢١ وحتى انهياره في عام ١٩٩٢ *. حيث كانت ثورة ١٧ اكتوبر سنة ١٩١٧ بداية النهاية بالنسبة لروسيا القيصيرية، وبدأ عهد جديد وزالت سلطة القياصرة بعد حكم دام اجيالا وقرونا عديدة، ولم يتردد البلاشفة الروس في استخدام جميع الامكانيات والوسائل، وتسخير الشعوب والقوميات المختلفة لخدمة المبادئ الشيوعية وتأمين مصالحهم منذ اندلاع ثورتهم. حيث نادى المنظرون الشيوعيون عند بناء دولتهم بالمساواة بين القوميات ووضعوا مبادئ تلك المساواة في كل تشريعاتهم نظرياً، وبقي العنصر الروسي متفوقا عمليا، ووجدت بقية الاعراق نفسها امام نظرية تدعو للمساواة، وتسخر تلك النظرية لخدمة الايديولوجيا السياسية التي نادت بها، وقصرت تطبيقاتها على فئة صغيرة من أبناء الشعوب التي قهرها القياصرة سابقا، وجعل الشيوعيون منها شعوبا سوفيتية. ووجدت تلك الفئة انه من اجل المحافظة على مصالحها، ضرورة إقناع شعوبها بجدوى الشعارات التي ادعت المساواة بين القوميات، بحجة ان التشريعات السوفيتية قد ضمنت تحقيقها ومراعاتها فأصدروا "إعلان حقوق شعوب روسيا" الذي صدر بعد اسبوع واحد من تسلم الشيوعيين للسلطة ونصه:

"إذا جرى الاحتفاظ بأي أمة بالقوة كجزء من دولة ما، وإذا حرمت قسرا وضد رغبتها المعلنة سواء في الصحف أو المجالس الشعبية او قرارات الاحزاب السياسية أو عن طريق الثورات والانتفاضات ضد الظلم، وإذا حرمت من الاختيار الحر للشكل الدستوري لوجودها القومي، فإن دمجها في تلك الدولة يعتبر نوعا من الضم القسري وقهرا واغتصابا".

وفي كانون الاول عام (١٩١٧) وجه كل من (لينين وستالين) نداء مشتركا إلى الشعوب المسلمة في روسيا جاء فيه:

"ايها المسلمون في روسيا، يا تتار الفولغا والقرم، والقرغيز، وسيبيريا وتركستان، ويا اتراك وتتار ما وراء القوقاز، ايها الشيشان وجبليي القوقاز (الشراكسة)، ويا جميع من دمرت مساجدهم ومزاراتهم، ويا من انتهكت عقائدهم وتقاليدهم على يد قياصرة روسيا وظالميها، من الآن فصاعدا نعلن بأن عقائدكم وعاداتكم ومؤسساتكم القومية والثقافية حرة ومصانة من الانتهاك. ابنوا حياتكم القومية بحرية وبدون عائق. ان ذلك من حقكم، اعلموا ان حقوقكم كحقوق جميع شعوب روسيا ستحميها قوة الثورة ومجالس نواب العمال والجنود والفلاحين".

وانطلاقا من مبادئ الضرورات التكتيكية في مرحلة انتقالية، سعت السلطات الشيوعية لاستغلال الإسلام والقوميات المسلمة في الاتحاد السوفيتي بهدف ان تكون جسرا للتغلغل ومد النفوذ إلى بلدان الشرقين الادنى والأوسط الإسلامية. فعملت على استمالة مسلمي الشرق لمساندة ثورتهم وقبول مبادئهم وعقيدتهم الجديدة.

كما وجه لينين بيانا آخر إلى مسلمي العالم في العام نفسه جاء فيه: [١٠٠]

"يا مسلمي العالم الذاهبين ضحايا الاستعمار استيقظوا... استيقظوا ان روسيا قد أقلعت عن سياسة الحكومة القيصرية، تلك السياسة الضارة الخبيثة التي كانت تتبعها حكومتنا السابقة. إن روسيا اليوم تمد يدها إليكم لتعينكم وتنصركم على تحطيم أغلال استعباد واستبداد روسيا القيصرية".

* وضع شراكسة الوطن الأم تحت الحكم الشيوعي بعد قضاء الجيش الاحمر على جمهورية شمال القفقاس مع نهاية عام ١٩٢٠.

"إن روسيا تطلق لكم الحرية الدينية وتعترف بحدود بلادكم المعروفة ولن توافق على اعطاء رقعة من البلاد التركية إلى الأرمن، وستبقى مضايق البسفور والدرنديل في أيديكم، والقسطنطينية عاصمة العالم الاسلامي، وسيمنح المسلمون في روسيا الاستقلال التام".

"ان ما نطلبه منكم لقاء هذا هو قيامكم لمقاتلة المستعمرين الغاشمين، الذين دأبهم ومبتغاهم هو استنزاف بلادكم واستلاب ثرواتكم واستعباد أوطانكم".

وقام لينين بتسليم (مصحف عثمان) رضي الله عنه الذي كان في حوزة القياصرة إلى ممثلي المسلمين في مؤتمر بتروغراد (وهو موجود الان في متحف تاريخ شعوب اوزبكستان في مدينة طشقند) كما قام بإعادة تسليم عدد كبير من الوثائق والآثار الإسلامية الهامة التي كان القياصرة قد استولوا عليها إلى مسلمي القرم والقوقاز وتركستان، كما اعاد للمسلمين مسجد "كازافان ساريا" في اونبرغ وبرج سوميكي في قازان بعد ان كان القياصرة قد صادروهما في السابق.

وبعد أن تمكن الشيوعيون القضاء على الجيش الأبيض القيصري بمساعدة من المسلمين عامة ومسلمي شمال القوقاز خاصة نكث الشيوعيين وعلى رأسهم كل من (لينين وستالين) وعدهم للاعتراف بجمهوريتهم الإسلامية في شمال القفقاس متناسين إعلانهم حقوق شعوب روسيا عامة والاعتراف بالقوميات العرقية الإسلامية وغير الإسلامية في روسيا عامة وفي القفقاس خاصة والحفاظ على العقائد وعلى العادات وعلى المؤسسات القومية والثقافية وقرروا خلافا لوعودهم السابقة تقسيم منطقة القفقاس إلى (١٤) جمهورية ومقاطعة وهي:

- جمهورية الشيشان – انجوش ذات الحكم الذاتي.
- جمهورية الداغستان ذات الحكم الذاتي.
- جمهورية القبرطاي – بلقر ذات الحكم الذاتي.
- جمهورية أوسيتيا الشمالية ذات الحكم الذاتي.
- جمهورية الكالموك ذات الحكم الذاتي.
- مقاطعة قراشاي – شركس ذات الحكم الذاتي ضمن اقليم ستافروبول.
- مقاطعة أديغي ذات الحكم الذاتي ضمن اقليم كراسنودار.

*** جمهورية جورجيا السوفيتية الاتحادية وتضم:**

* جمهورية الابخاز ذات الحكم الذاتي.

* جمهورية الادجار ذات الحكم الذاتي.

* مقاطعة اوسيتيا الجنوبية ذات الحكم الذاتي.

*** جمهورية اذربيجان السوفيتية الاتحادية وتضم:**

* جمهورية ناختشيفان ذات الحكم الذاتي.

* مقاطعة ناغورنو كاراباغ ذات الحكم الذاتي.

*** جمهورية ارمينيا السوفيتية الاتحادية**

ولما كانت الجمهوريات والمقاطعات التي يهمنا امرها في هذه الدراسة هي الجمهوريات التي يسكنها الشراكسة الذين نجوا من التهجير القسري وبقوا أحياء في الوطن الام، حيث كان الشيوعيون حريصين على عدم تخصيص الجمهوريات والمقاطعات للشراكسة وحدهم وانما تعمدوا توطين قوميات أخرى معهم، ففي جمهورية القبرطاي مثلا تم اسكان البلقر وهم من الأتراك وبعض القوزاق

والروس معهم، فأصبح اسمها جمهورية (كباردينا – بلقاريا) وفي مقاطعة الاديغي اسكنوا اعداد كبيرة من الروس والقوزاق وقوميات أخرى حتى أصبح عدد الشراكسة فيها أقل من ٣٠%.

وكذلك فإن حوالي ١٢% من سكان منطقة قراتشي – تشركسيا كانوا من شراكسة البسلتية والاباظة الذين تعايشوا مع الغالبية من الروس والقوزاق والنغوي.

أما المنطقة الرابعة التي سكنها شراكسة هم من أصل (الابخاز) الذين شكلوا ٢٥% من سكانها و٧٥% من القوميات الروسية والجورجية والأرمن والاكرانيين، والاثنين.

هذا بالإضافة إلى بعض القرى الشركسية التي أتبعوها للإقليمين (لازريفسكي واوسبينسكي) في مقاطعة كراسنودار وكذلك (طوابسة) وبيلوريتشنسك (شيتحالة) وأوست لابينسك (لاباب) وكراسنودار (قاله) ولابينسك (تشاتيون) وأرمافير (يرملحابل) وترناوز ومزدوك حيث يعيش فيها عائلات شركسية مسيحية وكذلك قرى شركسية مسلمين ومسيحيين في أوسيتيا الشمالية ومقاطعة ستافروبول.

وفيما يلي دراسة تحليلية لكل جمهورية ومقاطعة يقطنها شراكسة الوطن الأم في ظل حكم الشيوعي في الاتحاد السوفيتي خلال الفترة (١٩٢٧-١٩٩٢)

*** جمهورية (قبردينو – بلقاريا) في شمال القفقاس**

في المرحلة الأولى من حكم الاتحاد السوفيتي كانت هذه الجمهورية عبارة عن مقاطعة إدارية ثم تطورت في عام ١٩٥٧ إلى مقاطعة ذاتية الحكم ثم تحولت إلى جمهورية ذاتية الحكم وهي الآن جمهورية اتحادية من جمهوريات روسيا الاتحادية.

وتولى رئاستها بعد تحويلها إلى جمهورية اتحادية كل من:

فاليري كوكوف: شغل منصب السكرتير الأول للحزب الشيوعي في جمهورية كباردينا بالكاريا السوفيتية الاشتراكية في الفترة السوفيتية، وبعد انهيار الاتحاد السوفيتي انتخب لثلاث دورات انتخابية كرئيس للجمهورية وقبل أن ينهي الفترة الاخيرة توفي، فعين بدلا منه في ٢٠٠٦ **أرسين كانوكوف:** رجل أعمال شركسي كبير وله اسهامات في المجالات الشركسية ويعتبر من المحاربين للفساد الاداري ويمتلك سلسلة من المحلات التجارية في موسكو وغيرها، في العام ٢٠٠٨ دعم الحجاج الشراكسة من كافة الجمهوريات لاداء مناسك الحج على نفقته الخاصة. واعيد انتخابه للمرة الثانية في عام ٢٠١١.

- **علم الجمهورية وشعاره وحدوده الجغرافية**



علم قبردينو – بلقاريا



شعار قبردينو – بلقاريا

تقع جمهورية قبردينو – بلقاريا في شمال القفقاس في حوض نهر التيرك الواقع على الأطراف الشمالية لجبال القفقاس، يحدها شمالا روسيا وشرقا اوسيتيا الشمالية وجنوبا جورجيا وغربا جمهورية القراتشاي – تشركسيا.

* **المساحة** ١٢,٥٠٠ كم٢.

عدد السكان: حوالي ٩٠١٤٩٤ نسمة. علما بأن عددهم في بداية تأسيس الاتحاد السوفيتي ٣٥٩٢٠٠ تقريبا منهم ١٩٧ الف فقط شراكسة.

العاصمة: نالتشك وعدد سكانها حاليا ٢٤٠ الف نسمة حاليا.

- **مجموعات الاثنية (القومية) في الجمهورية:**

مزيج من قوميات رئيسية ثلاثة وهم الشركس من القبردي وهم الغالبية العظمى ويمثلون ما نسبته ٥٥% من السكان وهم السكان الأصليون. والبلقر ما نسبته ١٢% وهم من بلقار الفولغا والروس ما نسبته ٣١% وهم المستوطنون الجدد بالإضافة إلى قوميات أخرى مثل الأوكران والاستين والاتراك والأرمن

* **الديانات في الجمهورية :** ٧٠% مسلمون والباقي من المسيحين.

- **المناخ في الجمهورية:**

المناخ في الجمهورية معتدل الحرارة ففي السهول المرتفعة حوالي +٢٣ مئوية صيفاً في حين متوسط الحرارة في الجبال العالية (-١٤ مئوية -٤ مئوية) شتاء ومعدل سقوط الامطار عادة يتراوح من ٢٠٠-٥٠٠ ملم.

- **طبيعة أراضي الجمهورية:**

تمتاز بالطبيعة الخلابة حيث الجبال التي تكثر فيها الجموديات والقمم الثلجية العالية مثل قمة اوشحة مافة (الجبل المبارك عند الشركس) والمعروفة بجبال البروز وارتفاعها ٥٦٤٢م وهي أعلى قمة في قارة اوروبا ثم جبال أوشخارا م٥٠٦٨ ودوختاي ٥٤٠٢م وقمة بوشكين ٥٠٣٣م. كما تغطي ما نسبته ١٨% من مساحتها غابات من أشجار البلوط والبندق..، والاشجار ذات الاخشاب العطرية و٤٣% من مساحتها أراضي زراعية خصبة والباقي سهول خضراء وهي مراعي غنية بالاعشاب الخضراء على مدار العام وتجرى في أراضيها تسعة انهر رئيسية وهي باخسان، تيرك، ملقا، ارغودان، شجم، كوركوزين، اوروخ، وليسكن، بالاضافة إلى عشرات الروافد وهناك الاودية العميقة ومجاري مياه الامطار.

بالإضافة للانهار هناك البحيرات العديدة الجميلة والذي يبلغ تعداده ١٩٩ بحيرة وأهمها "تسيركل" "جلوبيا السفلى"، "جلوبيا العليا"، "كيلتشين" وتتراوح أعماق البحيرات من ١,٥ -٣٨٦ مترا ومساحتها من ٠,٠١-١,٧٧ كلم مربع و ٥٥% من عدد البحيرات تقع ما بين نهري باخسان وملقا.

- **الثروات الزراعية والحيوانية في الجمهورية**

بالرغم من تلك الحياة المؤلمة التي عاشها شراكسة الوطن الأم، في عهد الاستعمار الروسي القيصري استطاعوا التغلب على الأعمال الهمجية للمستعمرين القيصارة الروس، التي أدت إلى حرق وتدمير وإتلاف أراضيهم ومزارعهم، وتمكنوا من إعادة بناء المزارع والحقول التي (أتلفت عمدا) وباستصلاح أراضي جديدة ثانية. ونهضوا من جديد، واستمروا في مزاولة مهنة فلاحة الأراضي وزراعة الحقول والبساتين وتربية الحيوانات والطيور وهي حقيقة (إيجابية) توصلنا إليها عند دراسة الثروة الزراعية والحيوانية في كل من (الجمهوريات الاربعة) التي يسكنها (شراكسة الوطن الأم) في ظل الحكم الشيوعي في عهد الاتحاد السوفيتي والتي يمكن تلخيصها على النحو التالي:

١- الأبقار، والماعز، والخراف البيضاء، والجواميس والخيول.

٢- الطيور عامة والدجاج، والإوز، والبط، والديك الرومي، والحمام خاصة.

٣- النحل، وإنتاج أجود الأنواع من العسل.

٤- الخيول الاصيلة بهدف تهجينها.

٥- صيد الحيوانات البرية مثل: الأيائل، والغزلان، والأرانب، والثعالب... الخ[١١].

كما اشارت آخر التقارير الرسمية حول الزراعة لدى شعب القبرطاي في هذه الجمهورية بأن مساحة الأراضي الحرجية والمزروعة بأشجار الزينة في نالتشك عاصمة القباردينيا – بلقاريا تبلغ حوالي ٩٩١ هكتارا، حيث يوجد في المدينة (١٥) حديقة عامة إضافة إلى متنزهين كبيرين. وفي متنزه نالتشك نجد ما يقارب من (١١٦) نوعا من الاشجار، منها (٥٥) نوعا نجدها تنمو على ارض الجمهورية فقط، و (٢٩) نوعا منها لا تنمو إلا في امريكا الشمالية، بالإضافة إلى ١٧ نوعا تنمو في اوروبا و(١٥) نوعا آخر في آسيا الوسطى. وتصدر الجمهورية في كل عام إلى ثلاثمائة مدينة رئيسية داخل الاتحاد السوفيتي ما يقرب من مئة وخمسين ألف نبتة زينة، ومليون ونصف وردة على اختلاف الأنواع وكذلك اربعمائة الف شتلة أشجار مثمرة. كما أن أكثر من ستة آلاف صنف من الورود ونباتات الزينة التي تنمو في القفقاس، تنمو على أرض جمهورية القبردي.

ولو نظرنا إلى الورود التي تزرع في القسم الغربي من روسيا، والتي تبلغ حوالي (٣٥٠٠) صنفا، نجد أن ما يقارب الثلاثة آلاف صنف منها تنمو في هذه الجمهورية [١٢].

وكانت تربية الخيول تحظى باهتمام كبير لدى الشركس في هذه الجمهورية وتصدر مزرعة خيول (الجرشتية) إلى مناطق القفقاس الأخرى وإلى جورجيا وروسيا والقرم وبولونيا الالاف من الخيول الاصيلة وكان ثمن الجواد الأصيل من هذه الجمهورية يعادل ثمن (٢٥) جوادا من السلالات المحلية في القرم [١٣].

الصناعات في الجمهورية:

تحتل الصناعات الثقيلة وتوليد الطاقة الكهربائية كما يوجد في الجمهورية منذ عهد الاتحاد السوفيتي الصناعات التالية:

- الفحم، والرخام، والماس، والتنجنسن، والالمنيوم.
- تصنيع الآلات والمعدات والآليات ذات العلاقة بالفلاحة والزراعة.
- الالكترونيات الدقيقة، والكريستال.
- صناعة المنسوجات عامة السجاد خاصة.
- صناعة المنتجات الغذائية من معلبات وسكاكر وزيوت..الخ.

بالإضافة إلى اشتغالهم في الصناعات المتعلقة بالسياحة عامة والسياحة العلاجية خاصة، وهي من الصناعات التي تطورت كثيرا في هذه الجمهورية لتوفر النبية التحتية الطبيعية من مياه معدنية وكبريتية، حيث يوجد فيها اكثر من (١٧) نوعا من هذه المياه بالإضافة لتوفر البنية التحتية للرياضات الشتوية مثل التزلج ورياضات المغامرات كتسلق الجبال.

- **النظام السياسي في الجمهورية**

يوجد في قبردينو – بلقاريا رئاسة إدارية ومجلس تشريعي (بيكاميرال). يتشكل المجلس التشريعي من منظمة عليا تعرف باسم سوفيت الجمهورية، ومنظمة دنيا يطلق عليها اسم سوفيت الممثلين. توزع الصلاحيات بين كل من الحكومة الفدرالية والحزب الشيوعي وللحكومة رئيس جمهورية ورئيس وزراء ودوائر ويكون الرئيس شركسي الأصل وتوزع رئاسة الحكومة ورئاسة المجلس التشريعي بين البلقار والروس كما ويشكل الوزارات بين القوميات الرئيسية الثلاثة (الشراكسة والبلقر والروس).

- **التعليم والثقافة والرياضة في الجمهورية**

توفر الحكومة المحلية التعليم العام (الابتدائي والثانوي) مجانا كما توجد في الجمهورية مئات المدارس المتوسطة تبلغ مدة الدراسة فيها عشر سنوات وتستوعب اكثر من ١٥٠ الف طالبا وعشرات المدارس الفنية تستوعب ٨٨ ألف طالبا وجامعتين تستوعبان ٢٠,٠٠٠ طالبا. هذا ويوجد في الجمهورية ٢٥٠ مكتبة وثلاثة متاحف و ٢٣١ مركزا ثقافيا إلى جانب العديد من المسارح ودور السينما. كما يصدر بلغة الاديغة مجلتين توزع ٤٠- الف نسخة – وجريدتين ١,٨٢٥,٠٠٠ نسخة سنويا.

هذا بالإضافة لعديد من المراكز الشبابية والعمالية والمراكز الرياضية تضم ملاعب وصالات وميادين للفروسية، والاندية الرياضية واشهرها نادي (سبارتاك نالتشك). النادي الذي يطلق عليه (الحصان الأسود) في الدوري الروسي ويمثل إقليم القوقاز الروسي وبالتحديد جمهورية قبردينو بلقاريا الشركسية وانتقلت للدرجة الممتازة في موسم ٢٠٠٦ وحصل على المركز ال(٨) في موسم ٢٠٠٧ والمركز (١٢) موسم ٢٠٠٨ وحصل على المركز ال (١١) في موسم ٢٠٠٩ .

هذا بالإضافة لاهتمام المسؤولين بالفلكلور القومي الشركسي ودعم فرقها القومية خاصة فرقة كباردينا للرقص الشركسي الذي يعتبر من الفرق الفلكلورية العالمية.

- **الطرق وشبكة المواصلات في الجمهورية**

تصل الجمهورية مع جيرانها في القفقاس بالطرق البرية والسكك الحديدية وللجمهورية مطار دولي في نالتشك بالإضافة إلى خدمات توفر الاتصالات من الهواتف النقالة والانترنت والبرق والبريد.

- **التجارة والاقتصاد في الجمهورية**

نشطت الحركة التجارية والاقتصادية بعد إنهيار الاتحاد السوفيتي وأصبح لها علاقات تجارية واقتصادية مع بقية الجمهوريات والدول الصديقة وزادت من عملية الانفتاح على العالم وتأسست شركات القطاع الخاص والبنوك التجارية كما أن عملية الخصخصة في تزايد واصبحت التجارة تشكل أكثر من ٦٠% من ناتج الاقتصاد القومي للجمهورية كما بلغت نسبة الشركات الخاصة اكثر من ٥٠%.

- **مدن وقرى الجمهورية:**

جمهورية كباردينا أكبر الجمهوريات والمقاطعات الشركسية في الوطن الأم ويوجد فيها حتى نهاية حكم الاتحاد السوفيتي اكثر من مائة مدينة وقرية، اكبرها هي مدينة نالتشك العاصمة وفيها أيضا مدن كبيرة تمثل مدن نارت قالة وباخسان. وفيما يلي أسماء المدن والقرى الشركسية في هذه الجمهورية.

جدول يبين
الاسماء الشركسية الأصلية للقرى مقارنة مع الاسماء الروسية في ظل حكم روسيا القيصرية بالاسماء المستخدمة في وقتنا الحاضر

الرقم	الاسم الشركسي الاصلي	الاسم الروسي في عهد القياصرة حتى اواخر القرن ١٩	الاسم المستخدم حاليا
١.	اباتحابل	ارساكونسكي	ارساكون
٢.	ابيحابله	ابايفو	اوروجاينويا
٣.	ابزيوانحابله	كونوفو	كوركوجين
٤.	ابيقوحابله	ابوكوفو	زالوكوكواجه
٥.	اغوبكي	اتاجوكينو ٣	كوبا
٦.	ازبشي	خميديا	خاميديا
٧.	التيقويحابله	كودينيتوفو ٢	تشيغيم ٢
٨.	اسلميرزي	انزورفو	فتوروي لسكين
٩.	بوريقوي	بروكوقسكويا	اريك
١٠.	انزوري	انزورفو	ستاري لسكين
١١.	قوان الي يقواجه	اليكونفا	اليكونفكا
١٢.	استميري	فيرخني	فيرخني اكباش
١٣.	حطيخوشيقوي	زيوكو	زيوكو
١٤.	حطيخوشيقوي بيشا	زايوكفا	زايوكفا
١٥.	حطيخوشيقوي يشحاره	باكسانن غاس	اتاجوكينا
١٦.	حسنبي قواجه	كوبا	كوبا
١٧.	السكري	ناوروزفا	اسلامي
١٨.	الخوقواجه/الخوي	اخلوفا	نيجني كورب
١٩.	اشابي	اشابوفا	مالكا
٢٠.	ببيجوي	بابوكفا	سارماكوفا
٢١.	ببيقوي	نيزلوبنايا	نيزلوبنايا
٢٢.	شوقوانة حابله	مرتازوفا	ديسكويا
٢٣.	بسلنيقوا قواجه		إنجيتشيشخوا
٢٤.	بنوقا حابل	بنوكوفسكي	بنوكوفا
٢٥.	برماميت حابله		كاراغاتش
٢٦.	بيبرد قواجه		البورغان
٢٧.	بوتاشي	بوتاشيفا	بلانوفسكويا

الرقم	الاسم الشركسي الاصلي	الاسم الروسي في عهد القياصرة حتى اواخر القرن ١٩	الاسم المستخدم حاليا
٢٨.	بولتي	بولاتوفا	تيريكسكويا
٢٩.	قوم قاله	غيورغيفسك	مدينة غيورغيفسك
٣٠.	جاتج حابله	كسايفا	بكسانيونك
٣١.	غوتشج حابله	نالشكسكا كلسبيفسكويا	نارتان
٣٢.	داوتيقوا حابله	شالوشنسكويا	شالوشكا
٣٣.	در حابله	كسايفا	بكسانيونك
٣٤.	جامبوتييش يقواجه		
٣٥.	جانخوت حابله	جانخوتوفا	بسيغانسو
٣٦.	قرية جديدة	دوغجوكوفا*	اوشيغير
٣٧.	دخوشقوي	دوكشوكينا	كاخون
٣٨.	دودار قوي		بسيج
٣٩.	دومن حابله	كامنوموستسكويا	كامنوموستسكويا
٤٠.	يشروقاي		نيجني كورب
٤١.	جمبكخا ياواتجر	ناوروزوفا	كيزبورون ٢
٤٢.	زخزخوا حابله	دوغوجوكوفا	اوشيغير
٤٣.	إنال حابله	إنالوفا	كاراغاتش
٤٤.	إنديري	أخلوفا	نيجني كورب
٤٥.	اسلامي	إسلاموفا	فيرخني كورب
٤٦.	بيكميزي		كانوكوقسكي
٤٧.	قارمه حابله		كامينوموستسكويا
٤٨.	قسي حابله	كاسايفسكي	خابيز
٤٩.	نارتسانه		مدينة كيسلوفودسك
٥٠.	قليشبي حابله	نالشكسكا كليشبيفسكويا	
٥١.	قوغولقوي	كوغولكينا	أروخ
٥٢.	قويجيقوي يبشا	فيرخنيا كوجوكوفسكويا	جمتالا
٥٣.	قويحيقوي يشحارا	نيجينا كوجوكوفا	نيجني تشيرك
٥٤.	قوان حابله	كونوفا	كوركوجن
٥٥.	قونوقوي		كونوكوفسكي
٥٦.	قوش حابله	إنالوفا	كاراغاتش

* لا يوجد لهذه القرية اسم شركسي لأنها قرية جديدة انشأت في عهد القياصرة بعد الاحتلال.

الرقم	الاسم الشركسي الاصلي	الاسم الروسي في عهد القياصرة حتى اواخر القرن ١٩	الاسم المستخدم حاليا
٥٧.	قوشراقوي	كوشروكوفا	كينجيه
٥٨.	قوبات حابله	إنالوفا	كاراغاتش
٥٩.	قوندتي يزانه	كودنيتوفا ١	مدينة تشيغيم ١
٦٠.	قوندتي يطوانا	كودنيتوفا ٢	تشيغيم ٢
٦١.	قوناش حابله	كاسايفا	بكسانيونك
٦٢.	قونيج حابله	مرتازوفا	ديسكويا
٦٣.	قوغورقوي		كورغوكوفسكي
٦٤.	كوشمزيقوي	كوشمازوكينا	
٦٥.	لافيش حابله	لافيشفا	بسيخوري
٦٦.	غوملو قواجه تسيكو		إنجيتش تشيكون
٦٧.	غوملو قواجشخوا		كراسني فستوك
٦٨.	ماخرا حابله		
٦٩.	ماخوقوا حابله		أوشيغير
٧٠.	ميصوستي	ميسوستوفا	أورفان
٧١.	مرتزي	مرتازوفا	ديسكويا
٧٢.	برخيش حابله		تيركسكويا/اورجاينويا
٧٣.	بونج حابله		كاخون
٧٤.	قاله تشيح	بروخلادنيا	مدينة بروخلادني
٧٥.	بسيخوابه	مدينة بيتيغورسك	مدينة بيتيغورسك
٧٦.	سيداقي	إنالوفا	كاراغاتش
٧٧.	سيداقي	كاسايفا	بكسانيونك
٧٨.	ماته قاله	سلداتسكايا	سلداتسكايا
٧٩.	تامبي حابله	تامبييفا ٢	ألتود
٨٠.	تامبي حابله	تامبييفا ١	مدينة باخسان
٨١.	تيقلاني	ميسوستوفا	أورفان
٨٢.	تراما حابله	أشابوفا	
٨٣.	تيجي	تيجقا	كيشيك
٨٤.	حغونديقوي	خاغوندوكفسكي	اليبردوكفسكي
٨٥.	حغونديقوي	كارموفا	كامنوموستكويا
٨٦.	حغونديقوي	اشابوفا	مالكا

الرقم	الاسم الشركسي الاصلي	الاسم الروسي في عهد القياصرة حتى اواخر القرن ١٩	الاسم المستخدم حاليا
٨٧.	حاود حابله	نارتان	
٨٨.	حبتسي	خابتسيفا	خاميديا
٨٩.	شردن حابله	شالوشنسكويا	شالوشكا
٩٠.	يلخوي	بوتاشفا	بلانوفسكويا

نستنتج من المقارنات السابقة بأن أكثر من ٨٥% من اسماء المدن والقرى والبلدات الشركسية في مناطق القبرطاي قد تم تغييرها او تحريفها او تبديلها عن الاسم الشركسي الأصلي لها. وهي حقيقية تؤكد إلى أي مدى عمل الروس في عهد القياصرة ومن بعدهم في عهد الاتحاد السوفيتي على طمس المعالم القومية الشركسية عامة والمعالم الجغرافية خاصة حتى يقضوا على كل أثر يدل بأن بلاد القفقاس عامة ومناطق حوض الترك في الشرق، وحوض الكوبان في شمال الغرب، وساحل البحر الأسود في الغرب وهي مناطق كان يملكها أجداد الشراكسة منذ فجر التاريخ وقبل آلاف السنين حتى قبل الميلاد.



خارطة المدن والقرى الشركسية في جمهورية كباردينا – بلقاريا بحسب اسمائها المستخدمة في الوقت الراهن

*** جمهورية الأديغي في شمال القفقاس**

وهي ثاني (جمهورية) من حيث عدد سكانها الشراكسة في الوطن الأم في شمال القفقاس... وتشكلت في المراحل الأولى من تأسيس الاتحاد السوفيتي بعد القضاء قياصرة روسيا على الجمهورية الجبلية عام ١٩٢٠ وفيما يلي معلومات وبيانات عامة عن جمهورية الاديغي.

تأسست يوم ٢٧ يوليو ١٩٢٢ كمنطقة أديغية الذاتية الحكم وظلت ذاتية الحكم حتى ١٣ اغسطس ١٩٢٨م. ومن هذا تاريخ إلى ٣ يوليو ١٩٩١م تحولت إلى منطقة أديغي الذاتية الحكم داخل أقليم كراسنودار، وفي يوم ٣ يوليو لعام ١٩٩١م اصبحت جمهورية (أديغي) في الاتحاد الروسي.

وتناوب على رئاستها منذ تحولت إلى جمهورية كل من

- أصلان جاريم وهو الرئيس الأول للاديغي بعد انهيار الاتحاد السوفيتي مع أنه كان يشغل منصب السكرتير الأول للحزب الشيوعي لمقاطعة الاديغي ذات الحكم الذاتي في الفترة السوفيتية في أواخر الثمانينات، وله الفضل بتشكيل جمهورية الاديغي عام ١٩٩١ وله الفضل ايضا في عودة شراكسة كوسوفو إلى الوطن عام ١٩٩٨ واستمر حكمه خلال الفترة من ١٩٩١-٢٠٠٢ .
- حزرت شومن: وهو اقتصادي كبير ورجل اعمال انتخب في العام ٢٠٠٢ كرئيس لجمهورية الاديغي واتسمت فترته انها شهدت تطور في الاديغي وقلة الفساد الإداري، يمتلك شركة كبيرة لاستخراج المعادن وأهمها الذهب ويمتلك مستشفى متطور يسمى مستشفى القرن الحادي والعشرون في قريته افابسيب واستمر حكمه من ٢٠٠٢ إلى ٢٠٠٦.
- أصلان غاكوشنة، وانتخب لرئاسة الجمهورية عام ٢٠٠٦، ولا زال رئيساً لها.
- **المساحة:** ٧,٦كم٢ طول الحدود – ٩٠٠ كيلومترا، وطول الأرض من الشمال إلى الجنوب – ٢٠٨كيلومترا، من الغرب إلى الشرق – ١٦٥كيلومترا.
- **السكان:** سكان جمهورية أديغي، اعتبارا من ١ يناير ٢٠٠٧ هو ٤٤١٢٠٠ شخصا، بينهم ٦٩٦٠٠ من الاطفال دون سن ١٤ سنة.
- **متوسط الكثافة السكانية** – ٥٦٦٠٠ شخصا لكل كيلومتر مربع، وهو ما يقرب من ثلاثة أضعاف الرقم المقابل بالنسبة لروسيا.
- شكل سكان المناطق الحضرية ٥٣% من اجمالي عدد السكان وهو ٢٣١٨٠٠ شخصا وتتركز في المدينتين – مايكوب وأديغيسك وخمس مدن من النمط المدني.
- **المجموعات الاثنية في الجمهورية:** الأديغي جمهورية المتعددة القوميات، ويشكل الروس (٥٢%)، الأديغة (٢٤,٢%)، و٢٣% من الشعوب الأخرى في الجمهورية مثل الأرمن، والبيلاروسيين، والأوكرانيين والالمان واليونانيين وغيرهم.
- **علم الاديغي وشعاره:** اختار حكومة الاديغي في عام ١٩٩٤ العلم الشركسي الذي سبق أن أقرته الشعوب الشركسية كعلم (قومي شركسي) خلال حروب الإبادة والدمار الروسية وبالتحديد في عام ١٨٣٠ ويتكون من قماش اخضر عليه اثنتي عشر نجمة وثلاثة رماح متقاطعة كما هو مبين في الشكل التالي:


علم الاديغي



شعار الاديغي

- **جغرافية الاديغي ومناطقه**

تقع جمهورية الاديغي في الجنوب الغربي من الاتحاد الروسي، على جانب الضفة اليسرى لنهر كوبان.

تحتل الجزء الأوسط منه السهول المنحدرة ونهر كوبان في المنحدرات الشمالية من شمال غرب القوقاز.

موقع جغرافي الاديغي مريحة للغاية، وهو يوفر بيئة مواتية لتنميتها الاقتصادية.

مناخها معتدل (دافئ ورطب). متوسط الحرارة في يناير في مايكوب -١، ٦ درجة مئوية وفي يوليو +٢٢، ٢ درجة مئوية، ونسبة هطول الامطار ٧٠٠ملم في السنة (وأكبر نسبة منها بين شهري أيلول و نوفمبر). وتكون الفترة الخالية من الصقيع (١٨٠) يوما. ومعظم أراضيها من النوع السوداء. وتغطي الغابات ٤٠% تقريبا من الأراضي (ومعظمها في منطقة الجبل)، المكسوة بالبلوط، والزان، والقيقب، وغيرها. وهناك الغابات التي تنبت فيها التنوب والصنوبر، وكثير من اشجار الفاكهة البرية.

- **التقسيم الإداري للأديغي**
- عاصمة الجمهورية هي مدينة مايكوب.
- المناطق الإدارية في الجمهورية:

  - غياغين
  - كوشيخابل
  - كراسنوغفارديسك
  - مايكوب
  - تاختاموكاي
  - تيويتشيج
  - شوفغينوف

كما يوجد في الجمهورية (٤٦) إدارة (قرى) بالإضافة لادارة كل من (مايكوب وأديغيسك) وكذلك يوجد خمس إدارات وهي تجمعات سكنية عدد سكانها اكثر من القرية وأقل من المدينة.

- **النقل والمواصلات في الجمهورية:** ينظم نظام النقل الاديغيا شبكة واسعة من الطرق البرية والسكك الحديدية والاتصالات الجوية التي تربط مايكوب مع موسكو والمدن الروسية الأخرى. كما يوجد في مايكوب المطار الدولي ومحطة السكك الحديدية.

- **السياحة في الأديغي:**

الجنوب الروسي تعتبر من أكثر مناطق شمال القوقاز مقصدا للسياح، حيث يعمها الهدوء وتفوح من شوارعها رائحة الاصالة الشركسية، ولطالما كانت العاصمة مايكوب درة القوقاز الشمالي، ولا تخرج معالمها عن المألوف لكنها تشد الزائر للتمعن اكثر فأكثر بألوانها المتناسقة وتاريخها العميق، فالحفريات الاثرية تشير إلى ان هذه المنطقة كانت مأهولة بالسكان في الالفية الثالثة قبل الميلاد لكن (مايكوب) الحديثة اسست اواسط القرن التاسع عشر.

وفي أعالي الجبال الاديغية وتحديدا في قمم (لاغاناكي) التي تشد عشاق السياحة الطبيعيةوعشاق التزلج، لا تفارق النظر اللوحات الطبيعية الرائعة من جبال ووديان وغابات لا بل تتعداه إلى المشاعر التي تبدو مذهولة أمام هذا المشهد أو ذاك، ينتشر ما بين الحين والاخر على جانبي الطريق باعة الهدايا التراثية وغيرها من المصنوعات اليدوية التي تروي حكايات وأساطير هذه المنطقة.

- **الثقافة في الاديغي :**

يوجد في الجمهورية العديد من المعالم التاريخية والثقافية من مختلف العصور التاريخية كما يوجد فيها (٤) مسارح و (٣) قاعات للاحتفالات و (١٠) متاحف.

- **الاديان في الاديغي:**

يشكل المسيحيين الأرثوذكس ٥٧% ، والمسلمين – ٤٠%، وكل من اليهودية والكاثوليكية حوالي ٣%.

- **الاقتصاد في الاديغي:**

تشتهر الجمهورية بالصناعات التالية:

التوابل، والهندسة الميكانيكية وصناعة اللب والورق والادوات المعدنية، وتجهيز الاغذية وانتاج الغاز وغيرها من الصناعات التمويلية كما تمتلك الجمهورية احتياطيات كبيرة من النفط والغاز والذهب والفضة.

- **الزراعة والثروة الحيوانية في الاديغي:**

تعتبر الزراعية هي واحدة من اولويات التنمية الاقتصادية في الجمهورية واحتلت المركز الريادي زراعة وتصنيع الحبوب وبنجر السكر وزراعة الخضر والفواكه والتبغ، وعباد الشمس والعنب .

كما تشتهر بتربية الماشية والخنازير والاغنام والدواجن والخيول الاصيلة.

ويبلغ ناتج الصناعات الزراعية ٣٢% من مجموع الناتج الصناعي للجمهورية.

- **التعليم في الاديغي:**

هناك أكثر من مرحلة دراسية في الجمهورية وهي:

- **التعليم ما قبل المدرسة:** يوجد في الجمهورية اكثر من (٢٥٠) مؤسسة تعليمية ما قبل المدرسة بالإضافة إلى وجود بعض المدارس الخاصة لاطفال ما قبل المدرسة.
- **التعليم العام:** وهي المرحلة الدراسية التي تمتد لمدة (١٢) سنة

وأشارت احصائيات السنة الدراسية ٢٠٠٩-٢٠١٠ إلى وجود (١٦٤) مدرسة حكومية وبلدية (بما في ذلك (٩) مدارس تعليمية ليلية.

- **التعليم المهني:** يوجد في الجمهورية نوعان من التعليم المهني هما:

1) التعليم المهني الأولي ويوجد فيه (٩) مؤسسات.
2) التعليم الثانوي المهني ويوجد فيه (٦) مؤسسات .

- التعليم العالي (الجامعي) والدراسات العليا ويتكون من :
  - المعهد الاديغي الجمهوري لتنمية القدرات
  - جامعة أديغي الحكومية وتدرس (١٧) تخصص اضافة إلى (٤) تخصصات على مستوى في الدكتوراه
  - جامعة مايكوب للتقنية وفيها (٢١) تخصص للدراسات العليا اضافة إلى (٥) تخصصات على مستوى الدكتوراه.

- **المدن والقرى والبلدات الشركسية في الاديغي.**

تتكون الاديغي من اكثر من مائة مدينة وقرية وبلدة اكبرها هي (مايكوب) العاصمة.

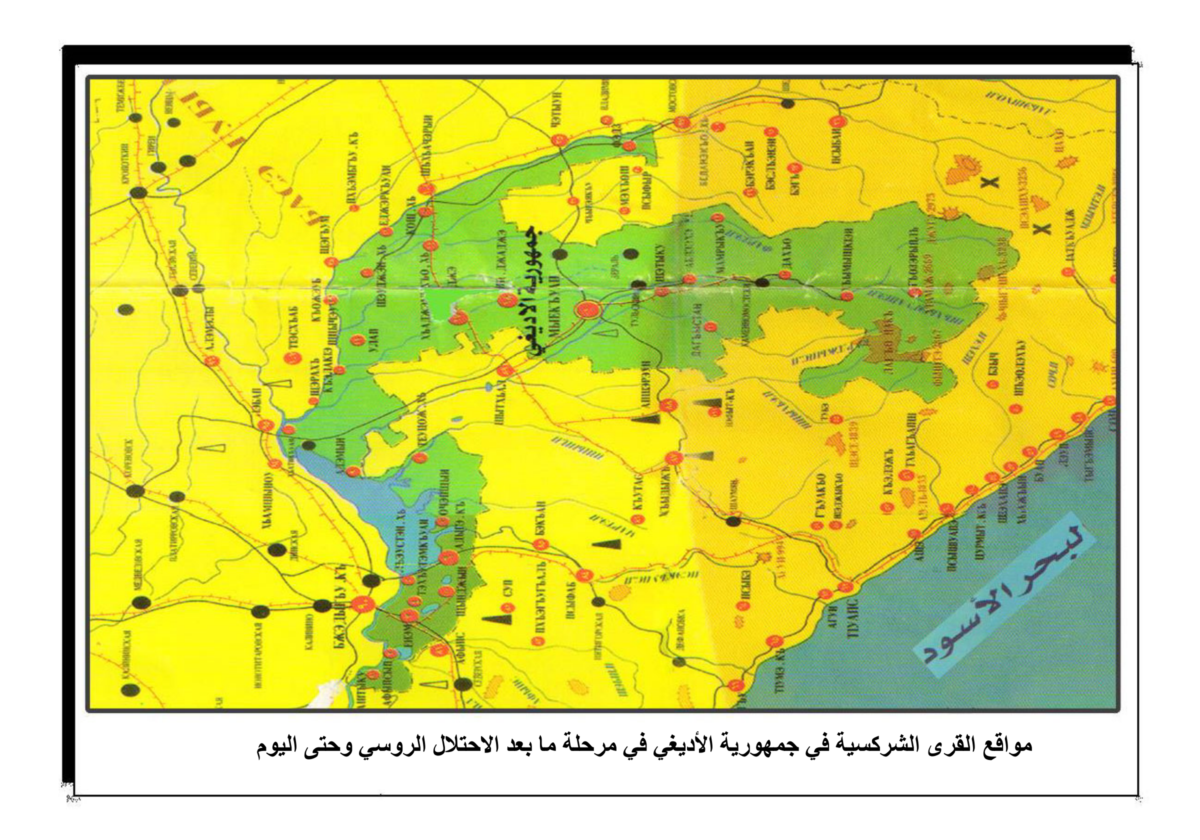
وفيما يلي أسماء مائة منها بحسب اسمائها الشركسية الاصلية ومقارنتها باسمائها في عهد الحكم الشيوعي السوفيتي.

الرقم	الاسم الشركسي	ما يقابله بالروسية	الرقم	الاسم الشركسي	ما يقابله بالروسية
١	ميه قواب	مايكوب	٢٤	مامر قوة	نوفو سفوبودنايا
٢	اف بسب	افي بسيب	٢٣	داخوة	داخو فسكايا
٣	يه نه م	انيم	٢٤	خمش كه ي	خامشكي
٤	تخوتم قواي	تيختيمو كاي	٢٥	غوزة ريبل	جوزيريبل
٥	لوستن حابل	تليوستن خابل	٢٦	بس باي	بسي باي
٦	ادغة قال	اديغي كال	٢٧	باغ	باجو فسكايا
٧	وتشة بشي	خوتشي بشي	٢٨	بسلني	بسلينفسكايا
٨	توتشوج حابل	توشيج خابل	٢٩	برقاي	باراكايفسكايا
٩	ادمي	ادامي	٣٠	بس فر	كوسترومسكايا
١٠	حاتي قواي	خاتو كاي	٣١	تص غه ياقو	ياروسلافسكايا
١١	ولاب	ولياب	٣٢	وارب	وروب
١٢	صودجن حابل	شوف جينوفسكي	٣٣	تش تسي قود	اوبورنايا
١٣	يدجر قواي	يجيرو خاي	٣٤	صحة تشه فج	وروبسكي
١٤	كوش حابل	كوشي خابل	٣٥	تشه تون	لابينسك
١٥	حادجة مقو حابل	دون دوكوفسكي	٣٦	قانه قوة	كانوكوف
١٦	فدز	خودز	٣٧	بخة مبغو قال	بتروبافلوفسكايا

١٧	دجادجة	جيا جينا سكايا	٣٨	شه غوم	تيمر جوفسكايا
١٨	يبصره دجادجة	كيلير مسكايا	٣٩	قو جه وب	خوزد فيجينسكايا
١٩	صه تكو	شو نتوك	٤٠	قه لا كـــء	نوفو لابينسكايا
٢٠	ابزاخه حابل	ابادزيخسكايا	٤١	شه راخ	نيكرا سوفسكايا
٢١	داغستان	داغستانسكايا	٤٢	ايبغة	ايبغا
٢٢	ات قوادج	كراسنو بوليانا	٦٥	طومه قال	جولوفنيسك
٢٣	ادلر	ادلير	٦٦	ج وبغو	دجو بغا
٢٤	خوبس	خوستا	٦٧	تشوه بس	ارخيبو اوسيبوفكا
٢٥	مه صوست	ماتيستا	٦٨	بصاده	بشادا
٢٦	سوتش	سوتشي	٦٩	دجان خوت	دجان خوت
٢٧	ت غه مبس	داجومس	٧٠	خول جي	جيلينجيك
٢٨	له وب	لوو	٧١	قبرتاي	كاباردينكا
٢٩	صه وه لخو	سولوخ أول	٧٢	مست خاقوه	مس خاكو
٣٠	بزتش	بويتش	٧٣	تسنه مز	نوفو روسيسك
٣١	بواب	فردان	٧٤	ابراغو	ابراو ديورسو
٣٢	حاجي	ياكورنايا شيل	٧٥	نت خواي	ناتوخايفسكايا
٣٣	صه خاب	جولوفنيك	٧٦	انابه	انابا
٣٤	توبه	توبي	٧٧	وست غاي	جوستا جايفسكايا
٣٥	تحا غا بص	كيروف	٧٨	كور كوي قال	فارينكو فسكايا
٣٦	قه له ج	كراسنوالكسنروفسك ي	٧٩	ابن	ابينسك
٣٧	ندجقو	نادجيجو	٨٠	يل	يلسكي
٣٨	غواقوة	جيور جيفسكوي	٨١	اف بس	افي بسكي
٣٩	بس صؤا به	لازار يغسكوي	٨٢	سوب	كالوجسكايا
٤٠	اشه	اشي	٨٣	بخه غو غال	ستافروبولسكايا
٤١	طوابس	طوابسي	٨٤	بس فاب	جورياتشي كليوتش
٤٢	اجوي	اجوي	٨٥	به قان	سارا توفسكايا
٤٣	بس به	بسي بي	٨٦	قوتاس	كوتاس
٤٤	خ د ج	خادجنسك	١٠١	وبن	وبنسكايا
٤٥	ابصه ره ون	ابشيرونسك	١٠٢	شابسيغ	شابسوجسكايا
٤٦	ص تحال	بيلاريتشنسك	١٠٣	باته قال	نيجني باكان

٤٧	بجدغوقال	كراسنودار	١٠٤	به قان العليا	فيرخني باكان
٤٨	حاشتوك	يليزابيتنسكايا	١٠٥	اطه قوم	اداجوم
٤٩	حه مز	ماريا نسكايا	١٠٦	ن به دجاي	ينبردجايفسكايا
٥٠	جرونه حابل	جريفنسكايا	١٠٧	طس خاب	تينغينسكايا
٥١	حام تسي وو	فورونيجيسكايا	١٠٨	صحا تشه ري	كورغانينسكي
٥٢	له باب	اوست لابينسك	١٠٩	بيدا نقوه حابل	بيريبرافنايا
٥٣	ال مه ل	لادوجسكوي	١١٠	تشورمت قوادج	شيميتوكفادج
٥٤	تمرقوه	تيمريوك	١١١	نه فت قال	نفتي جورسك
٥٥	مخوص	ماخوشفسكايا	١١٢	جانتيادي	جانتيادي
٥٦	بش تشو	بشي تشو	١١٣	يرمل قال	آرمافير
٥٧	شند جي	شيند جي			

نستنتج من مقارنة الاسماء الشركسية الاصلية للمدن والقرى والبلدات بالأسماء التي كانت السلطات الروسية تغيرها او تحرف لفظها بأن أكثر من ٩٢% منها قد حرفت او انها اخذت اسم روسي جديد وأن اكثر من ٦٠% منها تحمل اسماء روسية مغايرة كليا للاسماء الشركسية الاصلية.



مواقع القرى الشركسية في جمهورية الأديغي في مرحلة ما بعد الاحتلال الروسي وحتى اليوم

* **جمهورية قراتشي – تشيركيسيا في شمال القفقاس**

وهي ثالث (جمهورية) من حيث عدد سكانها من شراكسة الوطن الأم في شمال القفقاس وتشكلت في السنوات الأولى من تشكل الاتحاد السوفيتي وبعد القضاء على جيش القياصرة. وتحولت إلى جمهورية فيدرالية (اتحادية) في عهد روسيا الاتحادية

وفيما يلي بيان ومعلومات عامة عن جمهورية قراتشي تشركيسيا


علم قراتشاي – تشركيسيا


شعار قراتشاي – تشركيسيا

* **الموقع الجغرافي:**

تقع في الجزء الأوسط الشمالي من القفقاس تحده من الشمال مقاطعة ستافروبول ومن الجنوب جمهورية ابخازية المستقلة وبالغرب مقاطعة كراسنودار وشرقا جمهورية كاباردينا بلقارية وتبلغ مساحتها ١٤,١٠٠ كم٢.

- **المناخ:**

مناخها معتدل، بارد جدا في الشتاء ومتوسط البرودة في الهضاب ومتوسط الحرارة صيفا تتنوع طبيعة أراضيها فهناك المرتفعات الجبلية بقممها الثلجية من الجزء الاوسط لسلسلة جبال القفقاس. كما ان امطارها وفيرة وتسقط في الصيف.

- **عدد السكان:**

يبلغ عدد سكان قراتشاي تشركسيا ٣٧٠,٠٠٠ ، ١٢% منهم شراكسة وكان عددهم عند تأسيس الاتحاد السوفيتي حوالي ٢٤٢,٤٠٠ وعاصمتها (تشيركيسك).

- **المجموعات الاثنية العرقية:**

يتكون سكان المقاطعة من القوميات التالية: الشركس من البسلني والاباظة والقراتشي والروس والنغوي.

- **التضاريس الطبيعية:**

غالبية أراضيها جبلية وتشكل الجزء الاوسط من سلسلة جبال القفقاس وتشكل الغابات ٣١% ، و١١% من اراضيها زراعية، ٢١% مراعي خضراء والباقي مناطق جبلية.

أما عن الثروة المائية، فالجمهورية غنية بمصادرها بسبب تعدد الانهار مثل الكوبان، ينجج (الكبير)، ينجج الصغير اللابا ونهر تباردا، هناك العديد من الجموديات والبحريات وجداول المياه التي تشكل روافد للانهر الرئيسة هذا بالإضافة إلى ينابيع المياه المعدنية والغازية والعلاجية الدافئة مثل مارا، كراسنوجوركا، باشازيان، كراستوفوستك ومياه نرزان الغازية الغنية بمكوناتها الصحية. هذا بالإضافة إلى خزانات طبيعية للمياه مثل: تشريكيس وغيجوت الشرقية، ويبلغ مجموع مساحة مسطحاتها المائية ١٠٠,٠٠٠ متر مربع، كما يتصل وادي نهر تباردا بقناة ري ستافروبول والمنشأ عليها محطة كرومائية كبيرة لتوليد الطاقة.

- **الثروات الزراعية والحيوانية:**

يهتم سكان هذه الجمهورية بالثروة الحيوانية وتربية الطيور والدواجن والاغنام والابقار والخراف والغزلان والخيول ويمتلكون اكبر مساحات للبيوت الزجاجية على مستوى كل من روسيا

وأوروبا، وهي البيوت التي تنتج جميع أنواع الخضراوات، كما تنتج القمح والبطاطا وانواع مختلفة من الفواكه والشمندر وعباد الشمس. وتتميز الثروة الحيوانية في هذه الجمهورية باتساع مراعيها ووفرة نباتاتها الرعوية، ويربون أنواعاً من الحيوانات مماثلة للتي يربيها سكان (جمهورية كباردينا – بلقاريا) وبأعداد كبيرة جدا، كما أنهم يزرعون النباتات العطرية والزهور التي تستخدم في صناعة الادوية والأعشاب الطبية التي تبلغ عددها ستة الاف نبتة ولكل منها اسم خاص بها باللغة الشركسية، كما أنها مشهورة بتربية الخيول، حيث تشير الاحصاءات بأن سكانها يربون (٥٥) نوعا من الخيول.

- **المصادر الطبيعية والصناعات:**

يستخرج من هذه المقاطعة الفحم الحجري والرصاص والزنك والنحاس، كما يوجد فيها مصانع للماكنات ومعالجة المعادن واجهزة التبريد ويعتبر الرخام والجرانيت في هذه المنطقة من اجود الانواع في روسيا.

هذا بالإضافة إلى مصنوعات السجاد والاثاث المنزلي وانتاج كميات كبيرة من العسل والنباتات العطرية وازهار الزينة والاعشاب الطبيعية.

- **التربية والتعليم والثقافة والرياضة:**

توفر المقاطعة خدمات التعليم العالي والتعليم العام والتعليم المهني والتقني مجانا، وتقدم الخدمات المكتبية من خلال مراكزها الثقافية المتعددة كما يوجد المئات من الاندية الرياضية والثقافية والمسارح ومراكز الشباب والمعسكرات.

- **الخدمات الطبية والعلاجية:**

يوفر المسؤولون في المقاطعة جميع انواع الخدمات الطبية والعلاجية مجانا، ويوجد فيها أكثر من ٥٠ مستشفى وعيادة مزودة بالتجهيزات الطبية الحديثة ويقوم بخدمتهم الاف الاطباء والممرضين والممرضات كما يوجد فيها مصحات ومنتجعات مثل مصح (تيبردا) على أطراف المقاطعة يؤمها عشرات الالاف للاستراحة والاستجمام.

*** الجمهوريات والمقاطعات السوفيتية الأخرى التي عاش/ يعيش فيها شراكسة الوطن الأم في عهد حكم الاتحاد السوفيتي**

لم يقتصر اماكن سكن شراكسة الوطن الأم على الجمهوريات والمقاطعات الثلاثة سابقة الذكر وإنما كان لهم انتشار في مختلف الجمهوريات السوفيتية عامة وفي الجمهوريات القوقازية خاصة.

واشارت اكثر من دراسة بأن (٢٠-٢٥) الف شركسي من شراكسة الوطن الأم عاشوا / يعيشون في اكثر من (١٥) جمهورية ومقاطعة واقليم داخل الاتحاد السوفيتي نذكر منها:

١) الجمهوريات والمقاطعات القوقازية: مثل ارمينيا، جورجيا، الداغستان، القالموق، انجوش، ابخازيا، مزدوك، كراسنودار، واقليم لازريفسكي، واوسبينسكي.

٢) الجمهوريات والمقاطعات السوفيتية الأخرى مثل موسكو، واذربيجان وطاكجستان وكازخستان، واكرانيا واستونيا واكومي، وبكونيا

يتمتع الشراكسة في مثل هذه المواقع السكنية بكامل حقوق المواطنة السوفيتية مثلهم مثل اخوانهم الذين يعيشون في الجمهوريات والمقاطعات الشركسية سابقة الذكر إلا أنهم لا يشعرون بأنهم يعيشون في مجتمع شركسي ولا يمارسون عاداتهم وثقافتهم ولغتهم القومية إلا داخل الأسرة او العائلة الواحدة. وبالتالي فإن الغالبية العظمى منهم قد انصهروا في المجتمع الروسي الكبير أي انهم (تروسوا) ما عدا الذين يعيشون في قرى متجاورة مثل الشابسوغ الذين يعيشون في اقليم كراسنودار.

- **جمهورية أبخازيا المستقلة**

الأبخاز شعب من الشعوب القوقازية القديمة وكان أحد فروع الأمة الشركسية في عصور ما قبل التاريخ وكان يطلق عليهم أشووين كما سبق الإشارة إليها في هذه الموسوعة، وتشعب (الاشووين) في القرون الأولى ما بعد البلاد إلى: الأبخاز والأباظة (الابازين).

فالابخاز هم الشعب الذي سكن حالياً في جمهورية ابخازيا ويتكون هذا الشعب من حوالي سبعة قبائل رئيسية وهي:

- البزيبة (Bzibe) وهم جيران الاوبيخ من الجنوب.
- الاخيبس (Akhips): ويمتد سكنهم من سوخوم (Soukhoum) حتى كابيتي (Kabeti).
- الايبغا (Aibga) وهم القاطنون على ضفاف نهر كودور (Kodor).
- الزامبال (Zambal) وهم الذين يدعوهم الروس باسم تزيبيلدينتزي (Tzeblidintzi) ويقيمون في وديان كودور (Kodor)، ودال (Dal).
- الخربيس (Khirpis) وهم يجاورون السوان (Svanes) من الشرق.
- التشاجي (Tchaji) ويقطنون ضفاف آغر (Aghir) ومارمار (Marmar).
- السادرة (Sadze) (أو الزادس Zads حسب قول كلابرون) ويسكنون على ضفاف نهر اوخوم Okhum .

أما الأباظة (ابازين) الذين يسميهم الابخاز عموما باسم أشو (Acho) أو آبسغاتس (Apsgatch) فإن المؤرخين يتحدثوا عن نظريتين عن أصلهم وانتمائهم الإثني.

فالنظرية الأولى: تشير إلى أن الأباظة من فروع الأبخاز الذين سكنوا في الأصل جنوب القفقاس بين طوابسه ونهر بزيب Bzyb ، أما النظرية الثانية فتقول أنهم كانوا يشكلون مع الأوبيخ مجموعة إثنية فرعية ثالثة انبثقت عن شعوب (الاديغة – أباظة) قبل القرن الثامن عشر ومهما كان الواقع فإن بعض المصادر تشير إلى وجود ارض كانت تعرف باسم أباظة Abasa في شمال غرب القفقاس في أواخر القرن الرابع عشر. وإن قبيلة واحدة على الأقل كانت موجودة في شمال غرب القفقاس سنة ١٧٥٠م.

وفي نهاية القرن الثامن عشر تشكل شعب الأباظة من مجموعتين كبيرتين هما: شمالية وجنوبية.

فالمجموعة الشمالية، كانت مقسومة إلى مجموعتي التابانتا Tapanta والشخاراوا Shakharawa وكان الشخاراوا يعيشون على طول نهر مالي زيلينشوك وفي المنطقة الواقعة غرب أنهار اللابا وأوروب وفارس ويبدو أن اولئك الذين سكنوا على نهر فارس انصهروا في القبائل الشركسية المجاورة لهم.

وأما مجموعة التابانتا، فتكونت من ستة قبائل منها ال Lowow التي عرفت فيما بعد ب أل Loov وكانت الأكثر عددا وكان يحكمها خمسة عائلات ارستقراطية وعاشوا في القرن الثامن عشر على طول أنهار الكوبان والمالكا والكوما إلا أنهم هربوا سنة ١٧٨٦م إلى المنابع العليا للكوبان والكوما، وانقسموا بعد زمن إلى مجموعات اختارت كل منها مساراً خاصا بها، فقد هاجر البعض إلى الضفة اليمنى من الكوبان وارتضوا التبعية لروسيا، وهرب بعضهم إلى الجبال، وفي سنة ١٧٩٤م وصل عدد قبائل اللوو حسب بعض التقديرات إلى ٥,٢٨٨ شخصا.

وأما قبيلة البيبردو Biberdo التي تعيش الآن في جمهورية القرشاي – شركسي يعرفون باسم Elburgans التي كان أفرادها يعيشون حول نهر أوروب سنة ١٧٢٥م وظلوا يتنقلون طوال

القرن الثامن عشر وبدايات القرن التاسع عشر وحتى عام ١٨٣٤م عندما استقروا في موطنهم الأصلي من جديد حول مدينة Psyzh .

وكذلك فإن قبيلة جانتيمير Jantmir التي وصل تعدادها عام ١٧٩٤ م إلى (٤,٢٦٤) كانت في أعالي نهر كوما ولكنها هربت إلى المنطقة الجبلية عام ١٨٠٤، ثم عادات إلى موطنها الأصلي حيث ذابوا تدريجيا مع شعب القبردي، وأما قبيلة الميسيلباي (Mysylbai) وأكبر قبائلها التي كان الروس يسمونهم Bashilbai عاشت في حوض نهر أوروب وكان بامكانهم تجهيز جيش من (٧,٥٠٠) رجل في عام ١٧٣٠م، ومن قبائل الأباظة ايضا قبائل التام Tam وكيزيلبيك التام Tam وكيزيلبيك Kyzylbek والتشيرجي Cherge التي عرفها الروس باسم Shakhgire عاشت على طول نهر بولشايا لابا حتى عام ١٨٣٤م عندما قبلوا التبعية الروسية وهاجروا إلى الأراضي المنخفضة، ثم هربوا عام ١٨٥٨م إلى الجبال وظلوا هناك حتى نهاية الحرب الروسية – الشركسية، وقبيلة البراكاي Barakai وغيرها من القبائل.

وأما المجموعة الثانية لشعب الاباظة: فهي المجموعة التي تكونت من عدد من القبائل، وهي المجموعة التي تعيش على سواحل البحر الأسود قرب نهري بسوا Psou و Bzyb قرب مدينة أدلر وكانواعلى اتصال مباشر مع الأبخاز والأوبيخ ومع قبيلة الشابسوغ، وعددهم سنة ١٨٣٠ كان سبعين ألفا.

المعلومات المتوفرة عن أباظة الجنوب والأوبيخ بأن الحروب أهلكتهم واضطروا للهجرة إلى الخارج عامة وإلى مصر خاصة حيث يعيش منهم اليوم في مصر حوالي (٤٠) الف كما يقيم الاف منهم في بلاد المهجر في كل من تركيا وسوريا والأردن.

وبالرغم من تعرض شعبي الابخاز والاباظة إلى الهلاك والتشتت داخل وخارج الوطن الأم فإن القسم الذي يعيش منهم على أرض الوطن يشكلون جمهورية ابخازيا المستقلة.

- **موقع الجمهورية وحدودها:**

تقع على القسم الأوسط من القفقاس الشمالي وعلى الساحل الشرقي للبحر الاسود جنوبا وتحدها القمم الثلجية من سلسلة جبال القفقاس وجمهورية تشيركيس قراشاي في الشمال وجورجيا شرقا.



علم ابخازيا

شعار أبخازيا

- **مساحة الجمهورية وطبيعة أراضيها ومناخها**

مساحتها ٨٦٠٠ كلم ٧٦% منها ذات طبيعة جبلية وكلما اتجهنا جنوبا نحو شاطئ البحر الاسود تنخفض أراضيها وتكثر بها الاودية العميقة والتي جري بها المياه شتاءاً وفي الهضاب العالية طقس معتدل في حين على الشريط الساحلي يكون حاراً ورطباً صيفاً ومتوسط الحرارة حيث تمتاز طبيعتها الجغرافية بتنوع كبير. ويوجد فيها عدد من المنتجعات للراحة والاستجمام والعلاج على مدى العـــام وأشهرها هي جاجرا، جوديت، اوشامشيرا، بتسوندا، نوي أفون.

- **عدد سكان الجمهورية:**

كان عددهم قبل استقلالها عن جمهورية جورجيا في عام ١٩٩٩ ٥٤٠,٠٠٠ نسمة وهرب خلال حرب ابخازيا مع الجورجيين حوالي ٢٠٠,٠٠٠ نسمة حيث أصبح عددهم حاليا حوالي ربع مليـــون

نسمة يمثل الابخاز (الشركس) حوالي ٩٠% ابخاز مسلمون والباقي هم من قوميات أخرى تمثل الروس، والاوكرانيين والآستين والأرمن:

- **مدن وقرى الجمهورية:**

تتكون الجمهورية من العاصمة سخومي، ومدينة تكاورش وهي ثاني اكبر مدينة وتعد مركزاً صناعياً كما يوجد في الجمهورية حوالي (٥٨٥) بلدة وقرية نذكر منها البلدان التالية: إيشيرا وآزيوبشا وتاميش، واتاوا، وأبخازكايا، ولابرا، وكوتول، وكيندك وكوتشارا، وشلو وآراسيا دزيخ، وميروكول.

- **الاقتصاد والثروة الزراعية في الجمهورية**

تعاني الجمهورية من الدمار الذي أصاب اقتصادهم والسياحة بعد حرب الاستقلال عن جورجيا والتي استمرت سنوات طويلة وانتهت باستقلالهم في يوم ١٢ اكتوبر من عام ١٩٩٩.

وتشتهر الجمهورية بانتاج الشاي والليمون والبرتقال والتبغ والفواكه والحمضيات خاصة المندرين بالإضافة لبساتين الكروم، كما تشتهر بنباتات الزينة وبالنباتات شبه الاستوائية.

وأما بالنسبة للثروة الحيوانية فإن الجمهورية تشتهر بتربية الابقار والاغنام والدواجن، كما تشتهر بتربية النحل وانتاج العسل من اجود الانواع.

- **المحميات الطبيعية في الجمهورية**

تشتهر الجمهورية بتعدد محمياتها الطبيعية وجمالها حيث يوجد فيها أربع محميات رئيسية وعدد آخر من المحميات الصغيرة حيث تعرضت هذه المحميات إلى أضرار كبيرة نتيجة تعرضها للدمار خلال الحرب الابخازية الجورجية... ومن أهم تلك المجموعات هي:

* محمية بسخو – غوميستا * محمية موكفا * محمية تسبيليدا * محمية آنا كوب .

- **التعليم والتعليم العالي في الجمهورية:**

يوجد في الجمهورية مئات من المدارس للاطفال ما قبل المدرسة (الحضانة) كما يوجد فيها مدارس بالمئات للتعليم العام والدراسة فيها مجانية.

وأما بالنسبة للتعليم العالي والبحث العلمي فيوجد في الجمهورية جامعة وهي جامعة ابخازيا الحكومية، كما يوجد فيها معاهد لتدريب وتأهيل المعلمين.

وفي مجال البحث العلمي فيوجد في الجمهورية معاهد تحظى بسمعة عالية منها المعهد الفيزيائي التكتيكي ومقره العاصمة سوخومي، كما يوجد فيها معهد الأمراض السارية والباطنية التابع لاكاديمية العلوم الطبية في موسكو.

- **الثقافة والفنون في الجمهورية:**

تعتبر جمهورية ابخازيا من أكثر جمهوريات شمال القفقاس اهتماماً بالثقافة والفنون والتراث والآثار فيوجد فيها العشرات من المراكز الثقافية كما يوجد فيها:

- المركز الوحيد والمكتبة المختصة المختصة بأبخاز والذي يحمل اسم (د. ي غوليا) وهو المركز المختص باللغة والادب والثقافة والتاريخ الابخازي ويضم المركز وثائق تاريخية وأرشيف صور ومخطوطات وتسجيلات ثقافية وفلكلورية نادرة.
- متحف ابخازيا الحكومي: وتضم المتحف أكثر من (١٠) الاف قطعة اثرية استخرجت من اكثر من ٥٠٠ قبر لاجداد الابخازيين و(٣٠) قطعة نقود رومانية /بيزنطية فضية ونحاسية هذا

بالإضافة إلى (١٠) الاف قطعة متنوعة من العقيق والكهرمان والزجاج والكريستال وغيرها من الانواع العديدة من الخرز المصنوع من الذهب والفضة والبرونز كما يوجد منها الاف القطع الاثرية التي تم العثور عليها في ابخازيا عامة وفي منطقة سوتشي خاصة خلال السنوات ١٩٧٦-١٩٩١.

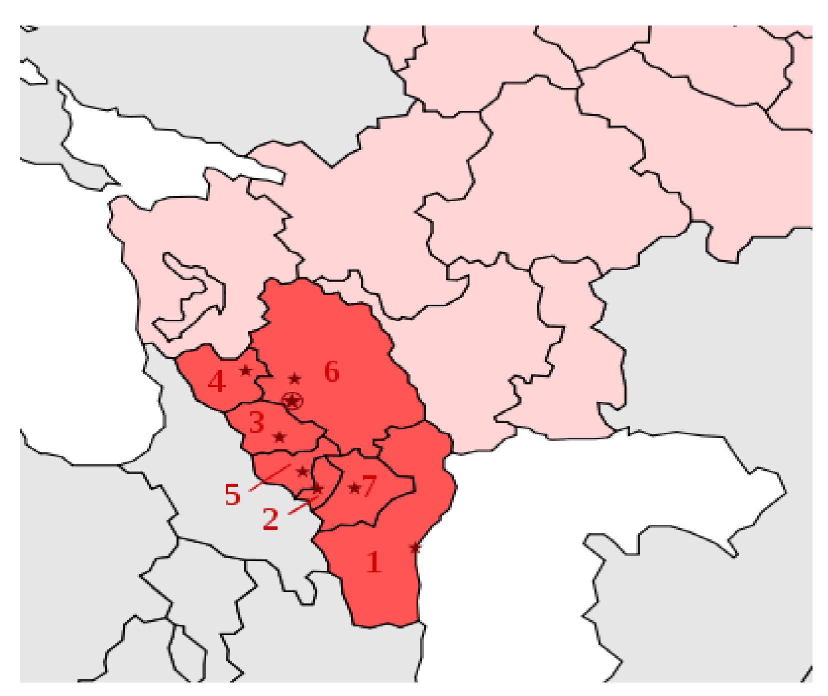
- وفي مجال المسرح والفنون يوجد في الجمهورية عدداً من المسارح ومعاهد الفلكلور عامة والموسيقى خاصة.

اقليم (دائرة) شمال القوقاز الفيدرالية

اضافة إلى الجمهوريات الاربعة سابقة الذكر قرر الرئيس الروسي وبشكل مفاجئ يوم ١٩ يناير من عام ٢٠١٠ انشأ إقليم اداري/ اقتصادي جديد تحت مسمى (دائرة) **شمال القوقاز الفيدرالية وتضم الجمهوريات السبعة التالية:**

الرقم	نوع الكيان الاداري	الاسم	العلم	الشعار	المركز الاداري	الدائرة الفيدرالية	المنطقة الاقتصادية
١	جمهورية	داغستان			ماخاتشكالا	شمال القوقاز	شمال القوقاز
٢	جمهورية	انغوشيا			ماغاس	شمال القوقاز	شمال القوقاز
٣	جمهورية	كاباردينو-بالكاريا			نالتشيك	شمال القوقاز	شمال القوقاز
٤	جمهورية	قراتشاي - تشيركيسيا			تشيركيسك	شمال القوقاز	شمال القوقاز
٥	جمهورية	أوسيتيا الشمالية - آلانيا			فلاديكافكاز	شمال القوقاز	شمال القوقاز
٦	كراي	ستافروبول			ستافروبول	شمال القوقاز	شمال القوقاز
٧	جمهورية	الشيشان			غروزني	شمال القوقاز	شمال القوقاز

والخارطة التالية تبين المواقع الجغرافية لتلك الجمهوريات التي تضم اعداد كبيرة من الشعوب الاسلامية القوقازية وهي: القبرطاي والاديغي من الشراكسة والدغستان متعددة القوميات والشيشان والانجوش والقراتشي والبلقار والمسلمين من الاستين:



خارطة تبين مواقع الجمهوريات السبعة الحكومية لاقليم شمال القوقاز الفيدرالية مرتبة حسب التسلسل في الجدول السابق

مبررات انشاء الاقليم: كانت شمال القوقاز من اكثر مناطق روسيا اشكالاً، وبما ان معظم مشاكل هذه المنطقة تكمن جذورها في ضعف الاقتصاد وعدم ثقة المواطنين فيها في مستقبلهم.. فإن السياسيين والاقتصاديين الروس المختصين توصلوا إلى قناعة بأن حل مشاكلهم الاقتصادية والإدارية والاجتماعية هو **بانشاء اقليم خاص بهم** في محاولة منهم جذب مشاريع استثمارية خارجية من اجل حل مشاكلهم الاقتصادية وتحسين مستوى المعيشة لمواطنيها.

إلا ان بعض المقربين من السياسيين في الكرملين يعتقدون بأن سبباً آخر وراء انشاء هذا الاقليم **وهو تنامي الشعور القومي لسكان تلك الجمهوريات والرغبة في التحرر والاستقلال وهي مشاعر لا يمكن مواجهتها بالقضية الامنية وانما بالتنمية الاقتصادية والرقابة الادارية المتعمقة ويتضح هذا التوجه من اختيار السلطات الروسية لشخصية اقتصادية / ادارية، كبيرة وهو:**

(الكسندر خلوبونين) المحافظ السابق لأقليم (كراسنويارسك) وهو من اغنى وانجح الأقاليم الروسية من الناحية الاقتصادية وتولى خلوبونيين في الوقت ذاته منصب نائب رئيس الوزراء في الحكومة الروسية ويعتبر (الكسندر) رجل إداري (محنك) ومن الطراز الأول كما يعتبر رجل اعمال محنك حيث استطاع ان يكون ثروة كبيرة عندما كان يمارس الاعمال الحرة والتجارة، وكانت خطوة ذكية من القيادة الروسية بتعيين رجل إداري / اقتصادي بدلا من تعيين رجل عسكري يفرض سلطته باستخدام القوة وسياسة البطش وهناك رأي ثالث حول الاسباب التي أدت بحكومة روسيا الفيدرالية لانشاء اقليم شمال القوقاز ويتلخص هذا الرأي بالمقال الذي نشره موقع مؤسسة جيمس تاون الالكتروني على موقعه بتاريخ ٢٦ يناير/ كانون الثاني ٢٠١١ للكاتب والمحلل السياسي المعروف (بول غوبل) بعنوان "أهم تطور في شمال القوقاز في عام ٢٠١٠ قال فيه: بدء الروس في الحديث عن مغادرته" أي مغادرة شمال القوقاز.

ونستنتج من هذا المقال بأن عددا متزايدا من الروس الذين خلصوا إلى ان التكاليف – الاقتصادية والسياسية والإنسانية للإبقاء على شمال القوقاز داخل حدود الفيدرالية الروسية مرتفعة جدا وأنه نتيجة لذلك، يتعين على روسيا ان "تفصل" المنطقة عنها. وان الرأي العام الروسي توصل

إلى قناعة بأن شمال القفقاس لا تستحق كل هذه التضحيات، وان الوقت قد حان لايقاف ضخ الاموال داخل (الثقب الاسود) ويقصدون به منطقة القفقاس الشمالي.

كما يعتقد (الروس) بأنهم ينفقون الكثير من ثرواتهم على تطوير الشعوب غير المتعاطفة معهم ابداً ويقصدون بذلك الشعوب من القومية غير الروسية عامة والقوميات القوقازية الإسلامية خاصة.

ولاقى تشكيل هذا الاقليم استحساناً من زعماء الجمهوريات التي تكونت منها هذا الاقليم باستثناء زعماء شراكسة الوطن الأم من القبرطاي والبسلني والشابسوغ والاديغي الذين اعترضوا على عدم ضم جمهورية الاديغي لهذا الاقليم وفسروا هذا القرار بأنه موجه ضد فكرة احباء جمهورية شركسية مشتركة في شمال القوقاز.

الفصل الرابع

المواقف الداعمة والادوار الايجابية للسلطات الشيوعية المحلية والاتحادية في حياة شراكسة الوطن الأم في ظل حكم الاتحاد السوفيتي (١٩٢٠-١٩٩٢)

لعبت القيادات السياسية والفكرية والثقافية والادبية من شراكسة الوطن الأم وبدعم مباشر او غير مباشر من السلطات الشيوعية في الاتحاد السوفيتي ادوار إيجابية في تطوير وتحسين الاوضاع المعيشية لشراكسة الوطن الأم في مختلف مجالات الحياة العامة كما كان لهم الفضل في الحفاظ على التراث الثقافي والادبي والفلكلوري القومي الشركسي وتطويرها والوصول بها إلى المستويات الاقليمية والعالمية.

وفيما يلي نماذج من الادوار الايجابية واشكال من المواقف الداعمة لمختلف مجالات وابعاد حياة العامة شراكسة الوطن الأم في الجمهوريات الشركسية الثلاثة:

أصبحت الاوضاع المعيشية للشراكسة عامة وأوضاعهم الاجتماعية والثقافية والادبية خاصة في عهد الحكم السوفيتي الشيوعي أفضل بكثير عما كان عليها اوضاعهم في العهد الروسي القيصري في أكثر من مجال وبعد من أبعاد الحياة نذكر منها:

١) **بُعد الثقافة والفكر والادب:** تطورت الثقافة القومية في العهد الشيوعي وإن كانت ثقافة موجهة لخدمة النظام الشيوعي، وكذلك بالنسبة للآداب، حيث اهتم الشيوعيون بالأدب القومي والأدباء عامة، وانشأوا لهم اتحادات ونقابات أدبية وخصصوا جوائز قيمة للمبدعين من الأدباء والكتاب في مختلف المجالات الادبية والثقافية الفكرية الشركسية وغير الشركسية.

٢) **بُعد الفلكلور القومي الشركسي:** تطور الفلكلور الشركسي المتمثل بالرقص والموسيقى والفنون عامة بشكل ملحوظ حتى أصبحت فرق الرقص الشركسي من أشهر الفرق الفلكلورية في العالم مثل فرقة البروز وفرقة كباردينا بلقاريا.. الخ. كما تطورت الموسيقى الشركسية بشكل كبير واستخدمت فيها الات موسيقية عديدة كما اصبحت تدرس في المعاهد الفنية المتخصصة.

٣) **بُعد العادات والتقاليد والاعراف:** حافظ شراكسة الوطن الأم على عاداتهم وتقاليدهم (الاديغة خابزة) التي تتفق مع تطور المدنية والحضارة وإن كانت هذه المحافظة كان اضعف عند الشراكسة الذين يعيشون خارج التجمعات السكنية في المدن والقرى والبلدات الشركسية.

٤) **بُعد اللغة القومية:** استطاع شراكسة الوطن الأم المحافظة على استخدام اللغة الشركسية بلهجاتها المتعددة كما تمكنوا من تطويرها لتصبح لغة علم وأدب تدرس في المدارس العامة وفي الجامعات والمعاهد العلمية.

٥) **بُعد الشباب والرياضة:** اهتم الشيوعين برعاية الشباب في جميع انحاء الاتحاد السوفيتي عامة وفي الجمهوريات القفقاسية خاصة، فأنشأوا المراكز الرياضية والمنشآت الاولمبية حتى اصبح الاتحاد السوفيتي المنافس الرئيسي للولايات المتحدة الامريكية في البطولات الدولية والاولمبية. وكان للابطال من اصول شركسية نصيب وافر في الفوز بالميداليات الذهبية في الدورات الاولمبية، خاصة في رياضة المصارعة ورياضات الدفاع عن النفس والفروسية وغيرها.

٦) **بُعد الصناعة والزراعة:** اثار (كارل ماركس) في أحد مؤلفاته تحت عنوان الأهمية الاقتصادية والعسكرية والسياسية للقفقاس قائلا: من الصعب تقدير أهمية القفقاس في حياة الدولة السوفيتية، فقد أدى وجود الاحتياطات في باطن الأرض وظاهرها إلى جعل القفقاس مصدرا هائلا للمواد الخام الصناعية، كما كان (لينين) يعتبر بلاد القفقاس من أغنى المناطق السوفيتية في انتاج القمح والذرة والتبغ والعنب والحمضيات والزيتون والشاي [١٠٨].

٧) **بُعد التعليم العام والتعليم العالي:** تطور التعليم عامة واصبح الزاميا بالإضافة لانشاء الجامعات والمعاهد العلمية في التخصصات المختلفة، وان كان التدريس فيها باللغة الروسية، بالإضافة إلى تدريس اللغة والأدب الشركسي، مع منح الدرجات العلمية العليا فيها، كما كان التعليم مجانيا لكل الدارسين في المدارس والجامعات والمعاهد العلمية. ولعب عدد من العلماء الشراكسة ادواراً بارزة في اكثر من مجال من مجالات العلوم التطبيقية مثل الطب والهندسة والكيمياء والفيزياء.

٨) **بُعد الحرف المهنية والاشغال اليدوية:** استمر الشراكسة في مزاولة الحرف المهنية والاشتغال بالصناعات الخفيفة اليدوية والشبه (آلية) التي سبق مزاولتها حتى نهاية القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين، وبعد ذلك بدأ الشراكسة يتحولون تدريجيا عن مزاولة المهن القديمة والاشتغال بالصناعات اليدوية التقليدية سنة بعد سنة، كنتيجة حتمية لتطور الصناعات في روسيا، وظهرت صناعات كبرى، ومهن تخصصية في المناطق التي يسكنها الشراكسة، وتحول قسم منهم لمزاولة مهن جديدة تتطلبها طبيعة المصانع الكبرى التي انتشرت في القفقاس، مع بقاء الغالبية من شراكسة الوطن الأم تعمل في المهنة الرئيسية للشراكسة في (أوقات السلم) وهي الزراعة والرعي فأصبحت المهن القديمة والصناعات اليدوية جزءا من التراث الفلكلوري المهني الشركسي، كما أصبحت تسوق كهدايا تذكارية للسياح والزوار الأجانب.

٩) **بُعد الزخرفة والنقش والنحت والتطريز:** حافظ شراكسة الوطن في الجمهوريات الشركسية الثلاثة على فنون الزخرفة والنقش عامة مثل الزخرفة على القامات (السيوف) الشركسية والطبنجة (المسدس) ... الخ. والزخرفة على السيراميك والقماش والفخار. والنقش على الاسلحة واشغال الصياغة.

١٠) **البُعد الصحي:** اهتم السوفيت بصحة المواطنين عامة وأصبح جميع المواطنين مؤمنين صحيا ولجميع الفئات من الطفولة وحتى الشيخوخة.

١١) **مجال الامومة والطفولة،** ربما كان الاتحاد السوفيتي من اكثر الدول اهتماما بالطفولة والامومة منذ النصف الثاني من القرن العشرين، فأنشوا مراكز الطفولة والامومة واهتموا بصحة الام والطفل، وكانت من اولويات البرامج الصحية والثقافية في الاتحاد السوفيتي عامة وفي القفقاس خاصة هي رعاية الامومة والطفولة.

وفيما يلي دراسة لواقع كل مجال وبُعد من الابعاد سابقة الذكر التي كان للسلطات المحلية والاقليمية والفيدرالية الروسية اكثر من دور إيجابي في المحافظة على اصالتها اولا ودعم تطويرها ثانيا.

أولا: البُعد الثقافي والادبي والفكري الشركسي والتحولات التي طرأت عليها في عهد حكم الاتحاد السوفيتي في المجتمعات الشركسية في الوطن الأم ١٩٢١-١٩٩٠.

الدارس لتاريخ البعد الثقافي والادبي والفكرية في حضارة الأمة الشركسية منذ عصر ما قبل التاريخ وحتى العصر الحديث يجد بأن هذا البعد قد تطور تطورا كبيرا في مجتمعات شراسة الوطن الأم في عهد حكم الاتحاد السوفيتي الممتد من عام ١٩٢٠ إلى عام ١٩٩٢.

ويتمثل هذا التطور من تعدد المنشورات والمؤلفات التي صدرت في هذه المرحلة في كل فرع من فروع التراث الادبي الشركسي وهي:

* الاساطير وملاحم النارتيين
* الدراسات التاريخية.
* الشعر والغناء والاناشيد
* الدراسات الأدبية.
* المسرح والتمثيل
* ادب اللغة.
* الحكايات والقصص.
* الامثال والحكم.

توصلنا في دراستنا لبعد التراث الثقافي والادبي في حضارة الأمة الشركسية التراكمية بأن هذا التراث ظل تراثا (شفويا Oral) حتى اواسط القرن التاسع عشر، وبدأ يتحول إلى أدب مكتوب بعد احياء الكتابة باللغة الشركسية في الاربعينيات من القرن التاسع عشر.

وفي عهد الاستعمار الروسي القيصري الذي امتد من عام ١٨٦٤ وحتى عام ١٩١٧ لم يتطور أي فرع من الفروع الادبية وان ظهرت بعض المحاولات في كتابة تاريخ الشراكسة وكذلك محاولات أخرى في تدوين قصص النارتيين (لخان البري) في عام ١٨٤٤ بعنوان اساطير الشركس وكذلك صدور اول كتاب عام ١٨٦١ يحوي عدد من اناشيد سوسروقة النارتيين.

وفي عهد حكم الاتحاد السوفيتي شهدت المجتمعات الشركسية في الوطن الأم طفرة كبيرة في جميع فروع الأدب الشركسي وان هذه الطفرة تمثلت بصدور اعداد كبيرة من المجلدات والمؤلفات والدراسات في كل فرع من فروع الأدب الشركسي والتي يمكن تلخيصها على النحو التالي:

الفرع الأول وهو: ادب اساطير النارتيين والملاحم الشركسية في عهد الحكم الشيوعي والتحولات التي طرأت عليها

صدر اكثر من عشرة أعمال أدبية حول القصص والأغاني والملاحم وأساطير النارتيين في الجمهوريات الشركسية الثلاثة في عهد الاتحاد السوفيتي نذكر منها الاعمال التالية:

- عام ١٩٤٠ صدر أول كتاب للاساطير في (مايكوب) بإشراف (كراشه تيمبوت) بعنوان: (الاغاني الشركسية القديمة)، كما صدر كتاب: (الموروث والاغاني الشركسية).
- وفي عام ١٩٤٥ صدر في (نالتشيك) كتاب اساطير النارتيين، وتلاها صدور الكتاب الثاني بنفس العنوان .
- في عام ١٩٤٨ صدر الكتاب الثالث بعنوان: (اسطورة سوسروقة النارتي)، للشاعر (شوجن تسوك آدم) ثم صدر كتاب رابع بعنوان (النارتيون) عام ١٩٥١ والكتاب الخامس (اديغة أورا أوتا) في جزأين خلال الاعوام (١٩٦٣، ١٩٧٠)
- قام الاكاديمي (حادة غالة اسكر) بعد عمل اكاديمي استمر عشرين سنة بإصدار: (**موسوعة النارتيين**) في سبعة أجزاء ونشرت في (مايكوب) عاصمة جمهورية الاديغة في الفترة من (١٩٦٨ إلى ١٩٧١). وكان سبق له أن أشرف على إصدار كتاب (نارت ملحمة البطولة والجذور) في كراسنودار عام ١٩٦٧ باللغة الروسية .
- قام (حميد قارموقة) عام ١٩٧٤ بنشر دراسة قيمة حول ملاحم النارتيين ضمنها كتابه بعنوان (الكاتب والعصر) وفي نفس العام صدر في موسكو بإشراف كل من **اكاديمية العلوم السوفيتية غوركي للآداب، ومعهد ابحاث العلوم الاقتصادية والتاريخ الشركسي في كل من نالتشك ومايكوب كتاب (نارت) موثقا باللغتين الشركسية والروسية..**
- عام ١٩٧٩ صدر كتاب الفلكلور الشركسي باللغتين الشركسية والروسية بإشراف (آدم غوت) وآخرين.
- عامي ١٩٨٠ –١٩٨١ على التوالي صدر الجزأين الاول والثاني من كتاب (الاغاني واللازمات الشركسية القديمة) التي كانت تتردد نصوصها في ملاحم النارتيين منذ القدم [٤].

كما قام كل من **كوبا شعبان وابراهيم تسي، ود. ا. اشخامات، وتمبوت قراشيف، وبكميرزا نغموقة، ور. ميركيكي، وبشيتوكو والماس اولادين بجمع وتصنيف قصص (النارت) في هذه المرحلة من تاريخ شراكسة الوطن الام.**

الفرع الثاني وهي: الاغنية، والأناشيد والشعر الشركسي في ظل الحكم الشيوعي

ربما كان الشراكسة أكثر الشعوب في العالم اهتماماً بأدب الاغاني والاناشيد الوطنية منذ القدم تدور حول مواضيع وصراعات ملموسة وهامة وحيوية مثل: الحب العميق الذي يكتبه الشركسي لأرض وطنه، وتضحية ابطال وشجاعتهم في الحروب ومساعدتهم للضعفاء ودفاعهم عن المظلومين، وقوة احتمالهم أثناء الحروب، وسرعة بديهتهم في الازمات، وحزمهم وشجاعتهم في المعركة. وما أن يقترب العدو من البلاد يسرع الجميع لميادين القتال شيبا وشبابا.

ربما كان افضل من كتب الاغنية الشركسية واناشيدها هو (كوبا شعبان) وكذلك الباحث الشركسي (اديغة) الذي قسم الأغاني إلى: اغاني بطولية وتاريخية، وطقوسية وغرامية وجنائزية، وكذلك اغاني للحراثة والحصاد، والزواج والرقص، وكانت تلقى في الاحتفالات العامة والعائلية بمرافقة الاوركسترات الوترية واللاوكورديون والالات الموسيقية الشركسية الاخرى.

هكذا فإن ادب الاغاني والاناشيد الشركسية تطورت تطوراً كبيرا ابان حكم الاتحاد السوفيتي وبرز عدد كبير من كتاب الاغاني كما اشتهر العشرات من المنشدين والمغنين والمغنيات والملحنين وبدأ تقديم الاغاني والاناشيد في العهد السوفياتي بما يتناسب مع الايديولوجية الشيوعية السائدة. والانتقال من ألحان الحزينة والجنائزية، التي عبّرت عن غضب الجماهير في ظل الحكم الاستبدادي للأمراء الاقطاعيين الذين اغتصبوا واضطهدوا تلك الجماهير، وأهمها الأغنيات الشعبية التالية:

سرماخوه Sermazwe ، جواشغاغة Gwascheghgahga ،أديغو Adiyxaw

واضطر المؤرخون الجدد إلى الاعتراف بأن الأغنية الشركسية لم تكن جميعها من النوع الكئيب. حيث وصلتنا الألحان الموسيقية الكلاسيكية منها: **أغنية انديميرقان، مارتينا، داملي عريض المنكبين، أبناء "Bezeth"** من بين ألحان كثيرة اخرى. كما توافرت ايضا مجموعة كبيرة من الأغاني والحكايات الهزلية الغنائية، والأغاني المسرحية ذات الرمز الأخلاقي، وجميعها كانت ساخرة وذات روح مرحة، وتعكس الروح المرحة الجديدة للشعب، ومن بين أغاني المزاح الشعبية أغنية: "**كوبس، ذات الكلمات الخفيفة والموسيقى المرحة، وأغنية سيي باق Siy Paq بمعنى أنفي الافطس**"، الكلاسيكيتان. كما استمر عمل المغنين المتجولين (جه–كواكؤة– Jegwakwe) حتى الثلاثينات من القرن العشرين وكان من اشهر المغنين المتجولين هم: لاشي اغنوقة Lasheaghonqwe- ، وأسعد شوجن As-hed schojen ، وموسى مَزحيMuse Mizhey ، واسعد حاكوباشا Ashed Haxwpasch'e [٢٨].

والباحث في تاريخ الاغنية والاناشيد الشركسية في عهد الاتحاد السوفيتي يجد بأنه مرت في خمس مراحل وهي: (١) مرحلة الحرب العالمية الاولى (٢) مرحلة التعاونيات الزراعية (كولخوزات) (٣) مرحلة الحرب العالمية الثانية (٤) مرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية (٥) المرحلة الحديثة التي بدأت منذ النصف الثاني في الخمسينات من القرن العشرين.

ففي المرحلة الاولى الممتدة من ١٩١٧-١٩١٩ جرى تأليف الأغاني على أساس: إما الحان الملاحم البطولية القديمة، وإما ألحان مماثلة لجعلها أكثر استقطابا. ومهما يكن من أمر، فقد ألفت بعض الأغاني باستعمال ألحان جديدة. ومن بين أغاني هذه المرحلة: أغنية الخبز غير المخمر (دون خميرة)، سيرغو اورجونيكيدزة، جيس هماشى Ches Hemashe.

وفي المرحلة الثانية وهي مرحلة "البناء الاجتماعي"، كُتبت كلمات الأغاني لتعكس فرح الناس، وكانت هذه الأغاني شبيهة بأغنيات الرقص، لكنها بايقاع ودرجات سريعة جديدة. وفي العشرينيات والثلاثينيات من القرن العشرين، تأثرت الأغاني الشركسية بالأغاني الروسية التقليدية، وبالمؤلفين من السوفيات الروس، وبالشعوب المجاورة، في الوقت الذي بدأت الوحدة الثقافية تأخذ مجراها، وساعد في ذلك انتشار الراديو. فتم التكيف مع أشكال جديدة، ليس في اللحن فقط، بل في كلمات الأغاني الشعبية ايضا. ووجدت هذه التغيرات تعبيرا عنها في الأغاني الوطنية والقصص

والأشعار الغنائية. وفي السابق استخدمت في معظم الأغاني ثلاثة مقاطع، وفي الأغاني الجديدة في هذه المرحلة استخدمت أغاني من أربعة مقاطع.

وكان من أشهر المغنين في هذه المرحلة (Amirxan Hexwpasch'e اميرخان هيخوباشا) الذي لحن أغنية (لينين) في مناسبة وفاته عام ١٩٢٤.

وفي الثلاثينات، وفي ذروة مرحلة التعاونيات الزراعية، نظم (اميرخان) قصيدتين غنائيتين قصيرتين، يشيد فيهما هذه المرحلة بالعنوانين التاليين: "كن صادقا مثل كلمتك"، و "اغنية الكولخوز" وفي عام ١٩٥٧، ومنح أميرخان أعلى وسام سوفياتي وهو وسام لينين.

وفي نفس المرحلة، ألف يندريس (Yndris Qezher) أغنيته الشهيرة بعنوان "مارجى، مارجى" يدعو فيها الجماهير للسير قدما للأمام بتطبيق العقيدة الشيوعية، وصور نضال الجماهير لإقامة النظام الجديد، واعتبر (بيطال قالمق) بطلا وطنيا كما غنى (زاليميخان ديشيج) أغنية (طريق المجد)، احتفالا بمرور اربعمائة عام على الانضمام "الطوعي" لشراكسة القبرطاي (قباردا) إلى روسيا في عام ١٥٥٧. وقد منح وسام العمل البطولي من رئيس مجلس السوفيات الأعلى. كما احتفظت اغنيته "لا ترم الشباب الآخرين بنظراتك"، بشعبيته حتى اليوم.

وفي المرحلة الثالثة وخلال الحرب العالمية الثانية، ظهر على الساحة الشركسية في الوطن الأم نوعان من الأغاني هما **الأغاني الوطنية – البطولية، والأغاني الحزينة. فالنوع الاول** تمثله أغنية (ديمازترقان – Demaza Tergan) والنوع الثاني تمثله اغنية "أسود" وبعد الحرب، تراكمت الاعمال الفنية حول مواضيع السلام والإبداع، فكتبت كلمات العديد من الأغنيات الشعرية [٢٨].

وأصبحت المواضيع الرئيسة للأغاني الشركسية موجهة لتمجيد الأممية والصداقة بين الشعوب في العالم واتسمت الأغاني عموما بكونها مثل شخص يسير في طابور او عضو في فرقة رقصة الفالس.

وفي المرحلة الرابعة: ساهم تطور الموسيقى الشركسية والمتمثل بظهور فرق الاوبرا والاوركسترا، والدراما الموسيقية كما ساعد ظهور ملحنين ومنتجين موسيقين على تطور الأغنية الشركسية وساهم في تطورها الكبير انشاء (مؤسسة كاباردينو – بلقريا) الحكومية للموسيقى والغناء عام ١٩٤٣، وكذلك بعد تخرج الدفعات الاولى من المغنين والمغنيات من مدرسة الاوبرا القباردينية والتي كانت جزءا من معهد ليننغراد للموسيقى.

في عام ١٩٤٦ ظهرت فرق غنائية مسرحية وفرق كورال في عام ١٩٤٦ وكانت أول قصة تنشدها مجموعة موسيقى الفرح (أنتاتا – Antata) و (شيبلز اندمرقان Sheibles Andemirqan) كما كتب (رياوزف – Ryawzov) (كانتاتا الفرح).

وفي عام ١٩٤٧ نشر الملحن الروسي (سيرغي ريافزنف) كتابا موسيقيا للأغاني القباردينية في نالتشك.

وفي المرحلة الخامسة أصبح للنساء دور بارز في الترويج للأغاني التقليدية وتطويرها. ومن أبرزهن (كوراتس قاشيرغا) (Kwratze Qashiraqhe) المولودة عام ١٩٠١ وكانت موسيقية مشهورة، وألفت كلمات العديد من الأغاني، مثل "رقصة الحب"، و "رقصة البارتزان". وفي عام ١٩٥٠، لحنت اغنية على شرف الكاتب الكبير (علي شوجينتسيكوف) المعروف شعبيا باسم "علي" وكان معاصرا تقريبا للموسيقية (كوراتس).

كما قدم تروفور ك. شيلير (Thuvor. Sheibler) في هذه المرحلة ببعض الاعمال ضمنها مقدمة سيمفونية قصيرة عنوانها "النارتيون"، وباليه أوبرا بالعنوان ذاته، عامي ١٩٥٦/١٩٥٧. وكتب (اليكسندر موسولوف) لحنا سيمفونيا اوركيستريا من ثلاثة أجزاء بعنوان "أغنية النارتيين" عام ١٩٥٥. أما (قاردن) فكتب أفضل الأعمال الصوتية الغنائية "نور الصداقة"، للعزف المنفرد والكوراس والأوركسترا، وعرضت أول ما عرضت في موسكو بتاريخ ٢٠ حزيران ١٩٥٧، بمناسبة مرور (٤٠٠ عام) على انضمام (كاباردا) إلى روسيا. وفي عام ١٩٦١، ألف مقطوعة أخرى بعنوان

"بلادي" وأوائل السبعينيات، كتب موشح بعنوان "خالدة" ونشرها في ذكرى لينين، وقصيدة سيمفونية بعنوان "جمهوريتي" وفي تلك الفترة تقريبا، وضع فلاديمير مولا (مقطوعة) "جبابرة النارتيين"، كما كتب (بالا Bale) قصيدة سيمفونية بعنوان "الفارس الباسل".

وكان من أبرز الملامح الفنية في هذه المرحلة (الخامسة) هي:

١) اصدار الملحن والموسيقي الشركسي قاردن عام ١٩٦٠، "مجموعة أغاني" شركسية كما نشر كتابه عام ١٩٨٧ (أغاني شركسية)، وهي مجموعة كبيرة من الألحان الموسيقية الغنائية، عام ١٩٨٧.[٢٨]

٢) اصدار (قابلنا توقه Qablhen Toqe) كتابه "الأغاني والرقصات الشعبية الشركسية والقرشينية"، الذي نشر في تشيركيسك، والذي اعتبر مرجعا للأغلبية الشعبية الحديثة للشراكسة في جمهورية قراتشاي – تشركس. والقطع الموسيقية فيها تتكون من أوركسترا آلات النفخ، كما يضم قطعا كلاسيكية، مثل: أديغي، زيفاكوه، قيسي، قافى، كاباردينكا، ميزكوش، ويعتبر (توقة) ملحناً ومؤلفاً موسيقياً شركسياً بارعاً ومتعدد المواهب. وكتب حوالي (٣٠٠) من الأعمال الفولكلورية والكلاسيكية، بما فيها بضع قطع موسيقية للآلات الموسيقية التقليدية. وهو من مناصري ومؤيدي العودة إلى الجذور والعمل على إحياء الموسيقى الشركسية القديمة، وتقديمها في شكلها القومي الأصلي [٢٥].

٣) ظهور أول اوبرا شركسية (تأليفا وتلحينا واداءً) في اوائل العقد السابع من القرن العشرين، حيث قدم كل من (قاردن، وبالا) اوبرا اسمها (مدينا – Mediyne)[٢٥].

وفي ربع السنة الأخيرة من حكم الاتحاد السوفيتي ظهر عدد كبير من المغنين والمنشدين الجدد الشراكسة من الجنسين وتحولت أغانيهم إلى أغاني شبيهة بالحانها السريعة التي سادت العالم عامة والاتحاد السوفيتي خاصة.

*** الرواد الأوائل من كتاب الاغنية والشعر، والمؤلفين والملحنين والمغنين الشراكسة في الوطن الأم في ظل حكم الاتحاد السوفيتي.**

- **بيشميرزا باشا** – Bechmirze pasche – مؤسس الشعر في بلاد القبرطاي.
- **اميرخان حي وباشا** Amirxan Hex'wpasche.
- **يندريس قزحر** Yhdhis Qezher اعتبر بيطال قالمق بطلا وطنيا.
- **حسن قاردن** Hasen Qarden.
- **زالمخان ديشك** Zalimxa'an Dischek
- **عمر تحبسيم** Umar Tahpsemove
- **فلاديمير برغون** Vladimir Bercghwn
- **حسين ميراميقو** Husien Miramiqua
- **فالنتينا سوسماق Valentina Sosmaq.**
- **كوراتس قانشيرغا K'wartze Qashirqhe.**
- **الفنانة تمارا نفي.**
- **مغنية الاوبرا المشهورة ناتشا غيتاشا** Natasha, Ghestashe

النوع الثالث وهو: الادب والمسرح والتمثيل لشراكسة الوطن الأم في عهد الحكم الشيوعي

لم يكن الأدب المسرحي الشركسي متطورا في العصور القديمة، وان هذا الأدب لم يظهر بشكل فعلي إلا بعد احياء الكتابة باللغة الشركسية في القرن التاسع عشر الميلادي باستخدام الأحرف العربية. والدارس للأدب المسرحي الشركسي يجد بأن اكثر من اديب برز منذ اواخر القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين، حيث قام عدد من كتاب المسرح بتأليف مجموعات من المسرحيات في الوطن الام في (ققفاسيا الشمالية) في عهد الشيوعية خاصة، ويمكن تلخيص الاعمال المسرحية الشركسية التي قدمت خلال فترة حكم الشيوعيين في الاتحاد السوفيتي على النحو التالي:

* **أدب المسرح والتمثيل:**

ظهر العمل المسرحي الشركسي في الوطن الام في ظل الاحتلال الروسي القيصري، وتطور خلال الحكم الشيوعي، وكان من ابرز كتّاب المسرح الشركسي باستخدام الأحرف العربية هو الأديب الشركسي الكبير (كوبا – شعبان) الذي درس اللغة العربية والدين الإسلامي في مدينة (نالتشيك) كما درَّس اللغة والدين في معهد نالتشيك للمعلمين حتى قيام الثورة الشيوعية عام ١٩١٧. ومنع من تدريس الدين في العهد الشيوعي، وتفرغ لتدريس اللغة الشركسية بالأحرف العربية حتى عام ١٩٢٥، وفي عام ١٩٢٦ بدأ الكتابة باستخدام الأحرف اللاتينية، وفي هذه الفترة بدأ كتابة المسرحيات والأشعار وتدوين الامثال الشركسية، واستمر في الكتابة باستخدام الأحرف اللاتينية حتى عام ١٩٣٨، وهي السنة التي تقرر فيها تغيير (الف باء) اللغة الشركسية إلى الاحرف الروسية السلافية، وفي نفس العام أتهم (كوبه شعبان) بالقومية البرجوازية واعتبر عدوا للشيوعية، واضطر للهروب والتخفي في الغابات لمدة ثلاث سنوات، كما عاش متخفيا في بعض القرى الشركسية النائية في بلاد (الاديغي) واستغل (شعبان) سنوات التخفي في متابعة ما بدأه من قبل في كتابة المسرحيات، وتدوين الاشعار القديمة التي لم يسبق تسجيلها من قبل، وكذلك جمع الامثال الشركسية الشائعة بين عامة الناس.

يعتبر (شعبان) من أبرز كتّاب المسرح الشركسي الذين استخدموا الاحرف العربية واللاتينية والروسية (السلافية) وكان من ابرز اعضاء (اتحاد ادباء وشعراء السوفيت) في العقدين الثاني والثالث من القرن العشرين، كما كان من اكثر الكتاب الشراكسة في عهده غزارة في الانتاج الأدبي والمسرحي حيث ألف حتى عام ١٩٤٣ (١٢) كتابا ومسرحية.

وكذلك فإن ابراهيم تسية نشر عام (١٨٩٥) عدة روايات وتمثيليات وكتب كان أهمها:

رواية (كوفاس)، (والسور العظيم) وهو أول من نظم المعهد المسرحي في (الاديغي) والمسرح الدرامي في عام ١٩٢٩، ويعتبر من رواد الفن المسرحي الشركسي في مطلع القرن العشرين.

كما يعتبر كل من شيكي خاشيف ونالوبيف من كبار كتاب المسرح الشركسي وألفا رواية مأساة (كوريجات) والتي مثلت على مسرح نالتشيك عام ١٩٣٤.

كما كتب (شيكي خاشيف) بعض القصائد الموجهة بصورة رئيسية ضد رجال الدين مثل (العنكبوت والذبابة) (والمُلاّ العجوز) وغيرهما.

وكذلك فإن (قاردن غوشاة زراموك) يعتبر من كتاب المسرح الشركسي القدماء حيث عرضت له في ١٩٤٠/١٠/٢٧ أول مسرحية شركسية في مسرح الدراما في مدينة نالتشك من إخراج (مودحاج موسى) ومثل فيه خمسة من فناني قرية جانخوت حابلة، كما اثبت الكاتب المسرحي المعروف "زلمخان" جدارته في مسرحية "داخه ناغو". [١٣]

الفرع الرابع وهو: الادب والشعر والقصة الشركسية في عهد الحكم الشيوعي:

تطور الادب الشركسي من قصة وشعر ورواية في عهد الحكم الشيوعي في زمن الاتحاد السوفيتي، وظهر عشرات الادباء في كل من جمهوريات كباردينيا بلقاريا والاديغي، وقراتشاي شيركيسيا باللغتين الروسية والشركسية، اثروا فيها الادب الشركسي عامة وفروعه من الشعر والقصة والرواية خاصة.

وفيما يلي أهم وأبرز الادباء الشراكسة في هذه المرحلة من تاريخ شراكسة الوطن الأم.

- **بكميرزا باشا:** (١٨٥٤-١٩٣٦) عاصر حكم القياصرة وحكم الشيوعيين وهو شاعر واديب كتب اكثر من قصيدة وقصة شركسية.
- **إبراهيم تسي:** (١٨٩٥-١٩٣٦) شاعر وكاتب أساطير ومؤلف روايات تمثيلية. كتب روايتي (كوفاس) عن بطل مات أثناء الغزو الروسي لشركاسيا. و(السوط العظيم) التي تصور حياة الفلاحين الشراكس مع عدد من القصائد والأشعار والحكايات عن الحياة الشركسية اليومية، وكان (ابراهيم) وطنيا عظيما وكرس كل حياته لنشر الثقافة الشركسية في منطقة (الاديغية)، وهو أول من انشأ المعهد المسرحي في الأديغية، والمسرح الدرامي سنة ١٩٢٩ وكان يتمتع بشعبية كبيرة في الأوساط الشركسية.
- **شعبان كوبه** عالم اللغة والأدب الشركسي ولد عام ١٨٩٠ في قرية (حه كورنه حابلة) في الكوبان ودرس في الكليات التربوية والزراعية (١٩١٩-١٩٢٦) ودرس في المعهد المسرحي المسمى باسم لوناخارسكي في موسكو عام ١٩٣٦، كما عمل في معهد الابحاث الاديغة في (مايكوب) وترأس فريقاً من العلماء الذي تولى جمع ودراسة الفلكلور الشركسي.
- **أحمد حاتقو** (ولد سنة ١٩٠٢) مؤلف أناشيد وقصص تاريخية وحاز على جائزة الاولمبياد "للقفقاس الشمالي" للفن الوطني عام ١٩٣٥.
- **شيكى خاشيف ونالوبيف** شاعران وروائيان كتبا مأساة (كوريجات) التي مثلت على مسرح نالشيك عام ١٩٤٣ كما كتب (خاشيف) بعض القصائد الموجهة بصورة رئيسية ضد رجال الدين مثل (العنكبوت والذبابة، والملا العجوز) وغيرها.
- **ب. كوبل (B. Koble)** ولد سنة (١٩٠٢) وهو مؤلف القصيدة التاريخية (خيسماد) التي تعود إلى عهد الهجوم الروسي على القفقاس.
- **علي شغنستوك** (١٩٠٠-١٩٤٢) شاعر وكاتب، كتب كثيرا من القصص مثل (البطل الشاب الصغير) وغيرها ونشر مجموعة من الاشعار والقصائد في الاعوام (١٩٣٢-١٩٣٦).
- **عليم كيشكوف** ولد سنة (١٩١٤) شاعر ألف مجموعة قصائد (عند أسفل الجبل) عام ١٩٤١.
- **اسحق مشباش**، ولد في قرية (شحة شفج) عام ١٩٣٠ فهو شاعر واديب له اكثر من (٧٠) كتابا ومجلدا.
- **يوسف لوستن**، من مواليد ١٩١٣ في قرية شمنكري جبلية فهو قصصي واعلامي وله عشرات القصص.
- **الشاعر مرات برتقوة** – ولد عام ١٩١٢ في قرية بجحلقواي الشركسية فهو اديب ولغوي وشاعر.
- البروفيسور **حسن سخنة**، من مواليد نالتشك عام ١٩٢٨ وهو أديب مختص باللغة الشركسية
- **اندرخوي حسين**، شاعر واديب ولد عام ١٩٢١ في شوجن / حابلة.(حاكورنه خابله).

- **آدم غوت:** مرشح في العلم وباحث في معهد أبحاث اللغة والتاريخ والاقتصاد والفولكلور الشركسي بمدينة نالتشيك. وفي عام ١٩٧٩ وتحت إشرافه مع آخرين صدر باللغتين الروسية والشركسية كتاب "الفولكلور الشركسي".
- **آدم شوغنوك:** شاعر وقاص صدرت له عام ١٩٤٨ دراسة في نالتشيك بعنوان "اسطورة سوسروقة النارتي".
- **اسلام بارون:** شاعر وقاص من الجيل الأصغر.
- **آبتة خازر:** أديب شركسي، يطلب البحث عن سر الخلاص القومي في كتاباته.
- **اشخامان:** من الذين قاموا بجمع وتصنيف قصص النارتيين.
- **اشن مزرت:** من الكتاب والأدباء الشركس.
- **إلماس أولادين:** كاتب معاصر كتب حول الأساطير الشركسية القديمة.
- **اتسقان روسلان:** شاعر شاب له عدة قصائد شعرية، وله قصيدة بعنوان (البحر الميت).
- **أمرخان صومان:** شاعر معاصر له قصيدة عنوانها "قتلة الأطفال" ألفها بعد مشاهدته لقتلى غارة إسرائيلية على قرية (بحر البقر) في مصر عام ١٩٧٠.
- **أميرهان خافباشي:** شاعر هزلي شاعر معروف بقصائده الهزلية.
- **بانشو سفر:** من كتاب المقالات عن السلاطين الذين حكموا في مصر.
- **بشينوكو:** كتب عن الأساطير النارتية.
- **ت. شاكوه:** شاعر يعتبر من الجيل الأصغر من الكتاب الشراكسة.
- ت. كاجيجيف: من كتاب القفقاس والمهتمين بالأساطير الشركسية وله أبحاث في ذلك.
- **جان قرميز:** أديبة شركسية لها قصص عن الأجداد الشراكسة.
- **حكيم تيونوف:** من الذين كتبوا حول التقارب الشركسي الروسي، له كتاب مترجم إلى العربية واسمه "الأم الثانية" والقصة تدور حول ابن قتل أبوه في الحرب الألمانية تبناه صديق والده الروسي ورباه في موسكو.
- **خوزايف**، من الكتاب الروائيين المعاصرين.
- **حميد قرموقة:** كاتب شركسي، قام بدراسة قيمة عام ١٩٧٤ حول الأساطير الشركسية في كتابه "الكاتب والعصر".
- **خ- تيموت:** من الشعراء والقصاصين الشركس.
- **خوست بلقر:** ولدت عام ١٩٣٢، وبدأت أعمالها بالظهور عام ١٩٤٦، ولها أكثر من ديوان شعري منها "أطراز السماء" وصدر عام ١٩٩٧ و "أشعة الشمس أصبحت آلتي الموسيقية" وصدر عام ١٩٧٠.
- **دوود أخيما:** من الشعراء وكتاب القصة وينتمي إلى الجيل الأصغر من الكتاب في الوطن الأم.
- **داور جعفر:** وهو كتاب اللغة الداعين إلى إعادة توحيد لهجات الشركس في لغة واحدة.
- **داوود تسي:** من الشعراء وكتاب القصة الشراكسة.
- **ر. ميركيكي:** من الأدباء الذين اهتموا بكتابة قصص أساطير النارتيين.

- **سلطان خان غويري:** عالم أجناس بشرية وكاتب، نشر أساطير شركسية وخرافات من أغاني النارت.
- **سليمان سنالسكي:** من الأدباء العظام الذين تم تخليدهم في صنع تمثال له.
- **شكا ماشه:** أديب شركسي زار سوريا وكتب مجموعة قصصية فكاهية، نقلا عن شراكسة حمص ولاقت رواجا كثيرا.
- **سوخي اسكربي:** من كتاب الشراكسة الكبار ليس له آثار مترجمة للعربية حاليا.
- **فيزيغ أنانيتكو:** كاتب ومؤرخ من الداعين إلى مساندة الشابسوغ في نضالهم من أجل استعادة منطقتهم ذات الحكم الذاتي.
- **غورتوف:** شاعر وقاص من الجيل الأصغر من الكتاب الشراكسة.
- **تال بيف:** شاعر وروائي، كتب بالمشاركة مع شيكي خاشيف مأساة كوريجات التي مثلت على مسرح نالتشيك عام ١٩٣٤.

ثانيا: بُعد تطور اللغة الشركسية وآدابها والتحولات التي طرأت عليها في عهد حكم الاتحاد السوفيتي في المجتمعات الشركسية في الوطن الأم (١٩٢١ – ١٩٩٠).

اعيد احياء الكتابة في اللغة الشركسية بعد انقطاع دام اكثر من ١٥٠٠ عاما (كما سبق الإشارة إليه) في اواسط عقد الاربعينيات من القرن التاسع عشر، وكانت البدايات في وضع ابجدية شركسية باللغة العربية في عهد حكم القياصرة. ومر تطور اللغة الشركسية في عهد الحكم الشيوعي في الاتحاد السوفيتي على ثلاث فترات وهي:

الفترة الاولى: وهي الفترة التي استخدمت فيها الاحرف اللاتينية في كتابة اللغة الشركسية وامتدت هذه الفترة من عام (١٩٢٣ وحتى عام ١٩٣٦) حيث قام العالم اللغوي الشركسي (ماميتوكف) في هذه الفترة بوضع احرف لاتينية للغة الشركسية بدلا من الاحرف العربية واصدر اول كتاب باستخدام هذه الأحرف في عام ١٩٢٣ حيث استمر استخدام الاحرف اللاتينية حتى عام ١٩٣٦.

وكان من ابرز الانشطة العلمية حول اللغة الشركسية في هذه الفترة هو عقد مؤتمر (تنوير القفقاسيين) في كيزلوفودسك أوائل العشرينات من القرن العشرين، وكان من نتائجه أن افتتحت مدارس للتعليم باللغة الوطنية المحلية في شمال القفقاس وما إن حل عام ١٩٢٥ حتى تبني ابجديات منفصلة للكياخ واللهجات القبردينية وقواعد نحوية منفصلة للهجات اللغة الواحدة رغم المطالبة المتكررة على ضرورة توحيد جميع الابجديات في شمال القفقاس، وخلق لغة ادبية واحدة لجميع اللهجات إلا أنها لم تلق آذانا صاغية في المؤتمرات الذي عقد عام ١٩٣٠ لبحث هذه المسألة بحضور ممثلين عن: الاديغي Adyge وشيركاسيا، وشيشان وانجوشيا، وقراشي وبلكاريان والدغستان إلا أن هذه المؤتمرات لم تحقق أية نتائج عملية لمحاربة الروس لفكرة توحيد لغات شعوب القفقاس الشمالي وفرضهم استخدام الاحرف السلافية Cyrillie . وابتداء من العام الدراسي ١٩٣١-١٩٣٢ اصبح لدى معظم مدارس جمهورية كباردينو بلقاريا كتب دراسية باللغة الشركسية باستخدام الاحرف اللاتينية وفي عام ١٩٣٢ تأسس معهد التربية والعلوم وبدأت تدرس اللغة الشركسية [١٣]. وفي نفس الفترة قام العديد من شراكسة المهجر بإحياء الكتابة باللغة الشركسية باستخدام الاحرف اللاتينية ومن أهم الذين كانت لهم مساهمات لغوية فاعلة هم:

(١) عالم اللغة السيد (بيجيوا عمر)، وهو من ابخاز /تركيا، حيث عمل أكثر من عشرين عاما وبإمكانياته الذاتية على اجراء الدراسات والابحاث على اللغة الابخازية وقام بنشر أربعة كتب بهذا الخصوص [١٤].

(٢) الدكتور نياز باتوقوه، من شراكسة سوريا ودرس في السوربون، وقام بإعداد رسالة دكتوراه في علم اللغات، حيث كان موضوع بحثه: "اللغة الشركسية" (الابزاخ) [١٥].

(٣) أمين سمكوغ، من شراكسة سوريا الذي قام بافتتاح مدرسة لتدريس اللغة الشركسية في القنيطرة عام ١٩٣٢ [١٦].

(٤) بله ناوقوه تابوق هارون، واصدر كتابه باسم مذكرات اللجنة اللغوية في جمعية التعليم والتعاون الجركسية في دمشق، ونشرت الدراسة التي وضعتها اللجنة حول اللغة الشركسية عام ١٩٢٨ في (٣٥) صفحة.

كما كان للعلماء والباحثين الاجانب اسهامات كبيرة في تطور اللغة الشركسية في أواخر هذه الفترة يذكر منهم كل من:

(ريكس سميث) من جامعة (لايدن في هولندا) بالإضافة إلى اساتذة من جامعات اوسلو وكندا وهامبرغ وكولومبيا الاميركية وكامبردج الانجليزية الذين كتبوا مئات المقالات وعشرات الكتب، بالإضافة إلى العديد من الابحاث العلمية على شكل رسائل الدكتوراه والماجستير حول اللغة الشركسية وآدابها [١٧].

والفترة الثانية: وهي الفترة التي تحولت فيها الكتابة باللغة الشركسية من الاحرف اللاتينية إلى الاحرف السلافية (Cirillic) ابتداء من عام ١٩٣٨ وحتى عقد الخمسينات من القرن العشرين.

تطورت كتابة اللغة الشركسية في هذه الفترة تطورا ملحوظا إلا انها لم تتحول إلى لغة علم وادب وبقيت لغة تدرس في المدارس الابتدائية والثانوية فقط وكان من رواد وخبراء اللغة في هذه الفترة داخل الوطن الام كل من:

* أوختوف Okhtov ونشر قاموسا باللغة الشركسية والروسية.

* لولي (L.Lyule) ونشر قاموسا شركسيا بلهجة القبردينية.

وقد بلغ عدد المدارس في جمهورية كباردينا بلقاريا حوالي ٢٤٩ مدرسة تدرس اللغة الشركسية في هذه الفترة، وكانت نسبة الطلبة الذين كانوا يدرسون اللغة الشركسية في القبردي ٢٤% من مجموع طلبة المدارس وفي الاديغية كانت نسبتهم ١١% وفي تشركيسيا ٩%.

وكان أكثر العلماء المختصين في تأليف طرق تعليم اللغة الشركسية في المرحلة الابتدائية هو نيكولا باغ Nicola Bagh من مدينة نالتشك [١٨].

وفي الفترة الثالثة: وهي فترة ما بعد عقد الخمسينات من القرن الماضي تحولت فيها اللغة الشركسية إلى لغة أكاديمية تستخدم في كتابة الادب وفقه اللغة الشركسية وتدرس على مستوى المراحل الجامعية الثلاث (البكالوريوس والماجستير والدكتوراه). وهي الفترة التي بدأت مع تأسيس الجامعات والمعاهد العلمية، ابتداء من العقد الخامس من القرن العشرين في جمهوريات كباردينا، بلقاريا، وقراشاي تشيركيسيا، والاديغي، وانقسمت اللغة الشركسية في هذه الفترة إلى لغتين ادبيتين مستقلتين عن بعضهما وهما: الاديغية Adyge والقبردينية. فاللغة الاولى هي لغة الاديغي في الغرب واللغة القبردينية في الشرق.

وضمت لغة الاديغي الغربية (لغة الاديغة القديمة) اللهجات التالية:

(١) ناتيكواج.	(٢) شابسوغ.
(٣) هاكوج.	(٤) ابزاخ.
(٥) بزادوغ.	(٦) حتوقاي.

(٧) تشمير جواي.(كميرقواي) (٨) مامكيغ.

(٩) يجر كواي. (١٠) مخوص (فحوش).

(١١) جانا.

وأما لغة الاديغة الشرقية وهي (لغة القبرطاي)، فلم تختلف لهجاتها الا ببعض الفروق الصوتية في أواخر الكلمات وتستخدمها ثلاث قبائل من القبرطاي وهي القبردي والمدختني والبسلنية كما أن اللغة الادبية الغربية تأسست بأحرف ابجدية معتمدة على لهجة ال "كميرجواي"، واللهجات الشرقية (القبرطاي) تعتمد في أحرفها الابجدية على لهجة ال "جيلاخستني". ولا يوجد في أي من الابجديتين ما يشكل فارقا جوهريا والاختلاف لا يتعدى أكثر من (٣٠-٥٠) كلمة أو كلمات دخلت إلى اللهجة الشرقية من اللغات الاجنبية. والاختلافات في الاصوات هو بسبب اختلاف القبائل الشركسية في الغرب، كما أن هنالك اختلافات في زوائد نهايات الكلمات [٢٢]، كما سبق الإشارة إليها.

والفترة الرابعة والاخيرة وتمت فيها عملية مراجعة اللغة الشركسية والبحث عن افضل الوسائل لتبسيط الكتابة وتحويلها إلى لغة عالمية وكذلك التفكير الجاد للعودة لاستخدام الاحرف اللاتينية في كتابة اللغة الشركسية إلا أن المشكلة الرئيسية هو استخدام الاحرف السلافية لاكثر من (٦٠) عاما تم خلالها تأليف عشرات الالوف من الكتب والمراجع بالاحرف السلافية ومن انصارها العالم (كيوبر) A. H. Kuiper الذي وضع طريقة او استراتيجية لتغييرها لأحرف اللاتينية [٢٣].

وفي المهجر فإن الباحث الشركسي (سطاس) من سوريا هو من اكثر الداعين لفكرة العودة لاستخدام الأحرف اللاتينية وعن موقفه بقوله "ترى ما الذي دفع (ادباء اللغة في الوطن الام) إلى رفض مشروع يدعو إلى وحدة اللغة الشركسية لفظا وكتابة وتطويرا؟ هل هو الجهل بأهمية وحدة اللغة ودورها في المسألة القومية؟! أم هناك قناعة بعبثية المحاولة، واستحالة تحقيقها؟! أم الخوف من رد فعل روسي، وانعكاساته على مسألة البقاء والوجود؟ لكن أما كان بالإمكان، ولو من قبيل المجاملة الاطلاع على البحث، ومناقشته بهدوء في الساحة الثقافية على الأقل لاستخراج الآراء في مسألة تتميز بأهمية خاصة؟!

واستطرد (سطاس) قائلا: بأن اللغة الشركسية هي جميع اللهجات التي يتحدث بها الشركس، وتلك التي على طريق الانقراض، أو انقرضت بعد أن تعرض ابناؤها للابادة، ولعل العلة الأساسية في أزمة هذه اللغة، تكمن في عدم توحيد هذه اللهجات، في لغة واحدة لفظا وكتابة، رغم وحدة اصولها وجذورها، وتوفر مقومات توحيدها.

وتعتبر مسؤولية استمرار هذه الأزمة مسؤولية عامة، وحيثما وجد الشركس، ويتحمل العاملون في مجالات اللغة، والأدب، والثقافة بشكل عام مسؤولية خاصة، سواء كانوا داخل الوطن الام، أم خارجه، كما تتحمل السلطات السياسية في الكيانات الشركسية مسؤولية خاصة، ذلك انه دون دعم هذه السلطات لا يمكن توحيد اللغة وتعميمها رسميا.

كما يقول بأن ظاهرة تعدد اللهجات ظاهرة عامة، لا ظاهرة خاصة تنحصر بشعب دون آخر، فقد شهدت معظم شعوب العالم هذه الظاهرة، وتعود أسبابها إلى عوامل كثيرة، سياسية وبيئية، وتعتبر ظاهرة طبيعية، ما دامت على طريق التوحد، وتصبح ظاهرة مرضية مع استمرارها، قد تدفع هذه اللهجات إلى الاندثار، أو التباعد، فتتشكل من هذه اللهجة أو تلك لغة جديدة تكون على الاغلب لغة ضعيفة، لا تملك مقومات الصمود في وجه اللغات الأكثر حيوية، وقد تتحول في أحسن الاحوال إلى لغة هجينة، لا حول لها ولا قوة في مواجهة تحديات وجودها. ان استمرار الكيانات السياسية دون لغة واحدة تشكل اطارها الروحي، سيؤدي مع الزمن إلى تحول اللهجات إلى لغات بعيدة عن أصولها وجذورها.

ويؤكد (سطاس) بأن اللغة الشركسية اصيبت بالضعف وبالعجز عن استيعاب الكثير من مستجدات عملية التطور، وأخذت تظهر بمظهر اللغة الجامدة، العاجزة عن المواكبة حتى أن بعضهم بات يتساءل عن جدوى تعلمها، وتطويرها ناسيا أو متناسيا مسؤوليته المباشرة فيما آلت إليه اللغة،

ودون أن يدري بأن قوة اللغة أو ضعفها رهن علاقته بها، ورهن السوية التي ارتقاها ابناؤها في مضمار التطور المادي والروحي. كما يعترف بأن الوضع (الجيوبوليتكي) على انه يؤثر سلبا، على مسألة توحيد اللهجات في لغة واحدة، لكن هل ترتبط مسألة توحيد اللغة بالوضع (الجيوبوليتيكي) إلى درجة استحالة توحيد اللغة، قبل حل المشكلة (الجيوبوليتيكية)؟ لقد وحد العرب لغتهم لفظا وكتابة، قبل أن يتحدوا سياسيا.

ويحذر من امكانية زوال اللغة الشركسية واندثارها بقوله: (اللغة الشركسية ايضا، لا تعيش حالة السكون المطلق، لكن شأنها في ذلك شأن الناطقين بها، فإن تطورها كان بطيئا وصعبا وتعرضت لظروف قاسية جدا، وكادت ان تندثر، واثبتت حيويتها، بدلالة صمودها وبقائها على السنة ابنائها، ولا سيما في الشتات غير ان هذا لا يعني ان هذه اللغة بخير، وانها تملك مقومات صمود أبدية، فالعوامل التي ساعدت على صمودها حتى الان تتعرض للتآكل وقد تزول نهائيا، وهناك مؤشرات قوية على هذه الامكانية تدق ناقوس الخطر.

واختتم (سطاس) دراسته بقوله: (ويقينا لا نرى في الازمة التي تعاني منها اللغة الشركسية أزمة عصية على الحل، انها ازمة، يكمن مفتاح حلها، في الايمان بوحدة اللغة، ودور اللغة الواحدة في مسألة الهوية، وفي قرار فاعل يجسد رغبة صادقة). (٣٦)

نستنتج مما تقدم بأن ادب اللغة الشركسية اقتصر في نهاية القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين على:

- وضع الحروف الهجائية (الفاباء) الشركسية باستخدام الاحرف العربية اولا والاحرف اللاتينية ثانيا ثم الأحرف السلافية ثالثا كما تم في هذه المرحلة إعداد قواعد اللغة وقواعد الكتابة. وإعداد وسائل وطرق تعليمها وكذلك إعداد الكتب المدرسية لتعليم الاحفاد اللغة الشركسية. وإعداد القواميس باللغتين الشركسية والروسية ثم اعداد قاموس شركسي عربي إعداد د. كوبه شعبان في الأردن.

نستنتج مما تقدم بأن تطور اللغة الشركسية حتى اصبحت لغة علم وادب يعود الفضل فيه لجهود علماء اللغة الشراكسة الذين برزوا في عهد الحكم الشيوعي نذكر منهم:

- **شروان** (**Atazhukin & Scherdan**) و (أتاز هوكين) وأصدرا عام ١٨٦٥ دراسة حول اللغة الشركسية بلهجة (كيمركواي).
- **ويماربيرسي** (**Wimarbersey**) ونشر أول كتاب حول اللغة والأدب الشركسي باستخدام الاحرف العربية عام ١٨٨٥.
- **لوباتنسكي** (**Lopatinsky**) ونشر كتابا مختصرا لقواعد اللغة الشركسية بلهجة القبردي في نالتشيك عام ١٨٩١.
- **ياكوفليف** (**Yakovlev**) وقام بأول دراسة لغوية للغة الشركسية في عام ١٩٢٣.
- **كاتفورد** (**Catford**) وأصدر اول دراسة للغة الشركسية بالانجليزية عام ١٩٢٤ .
- **أوختوف** (**Okhtov**) ونشر أول قاموس شركسي روسي عام ١٩٤٩.



ويمار برسي رائد الكتابة الشركسية بالأحرف العربية

- **بلقاروف (Balkarov) وابيتوف (Abitov)** حيث نشرا كتاب قواعد اللغة الشركسية بلهجة القبردي عام ١٩٥٧.
- **أشحا – ماف (Ashkhamaf)** ونشر عامي ١٩٣٤-١٩٣٦ كتاب لقواعد اللغة الشركسية (الاديغية) باللغتين الشركسية والروسية.

رابعا: بُعد العادات والتقاليد الشركسية (الخابزة) والتحولات التي طرأت عليها في المجتمعات الشركسية في الوطن الأم في ظل حكم الشيوعي في عهد الاتحاد السوفيتي (١٩٢١-١٩٩٠).

يسجل للشراكسة الوطن الأم قدرتهم على المحافظة على (الخابزة) من العادات والتقاليد الشركسية طوال فترة الحكم الشيوعي في عهد الاتحاد السوفيتي، والباحث في شؤون الحياة للشراكسة في تلك الفترة يجد بأنهم كانوا متمسكين أشد التمسك على موروث العادات والتقاليد والأعراف الشركسية التي ورثوها من اجدادهم منذ الاف السنين وان الشراكسة في الجمهوريات الشركسية الثلاثة ظلوا يمارسون عاداتهم وتقاليدهم بالرغم من الظروف الصعبة التي عاشوها عامة في المراحل الأولى من الحكم الشيوعي لبلادهم خاصة وعلى مدى ثمانين عاما وهي الفترة التي عاش فيها شراكسة الوطن الأم تحت الحكم الشيوعي في عهد الاتحاد السوفيتي في الأعوام من (١٩٢١-١٩٩٢).

وفيما يلي وصف موجز لأهم العادات والتقاليد والأعراف والقيم الشركسية التي اعتز بممارستها الشعب الشركسي صغارا وكبارا ونساء ورجالا من مختلف شرائح المجتمعات الشركسية في الوطن الأم في هذه المرحلة من تاريخهم وهي العادات المرتبطة بمجموعات (الخابزة) التالية:

المجموعة الاولى: وهي المرتبطة باحترام المرأة الشركسية.

المجموعة الثانية: وهي المرتبطة باحترام كبار السن من الجنسين.

المجموعة الثالثة: وهي المرتبطة بالزواج ابتداء من عادة (البسة – لوخ) إلى فترة البحث عن خطيبة ومرورا بعادة (الكواسة) أي عادة الخطف ثم عادة (الفزشة) وفيها يتم احضار العروس لبيت العريس ثم عادة (الونيشة) وفيها يتم تعريف العروس ثم عادة (ساوا – شيج) وفيها يتم اعادة العريس إلى بيته. واخيرا عادة (لج – غاشخة) وفيها يتم دعوة كبار السن من الرجال من اهل العريس واقربائه واصدقائه وكذلك وجهاء قرية العريس لتناول وجبة الغذاء.

المجموعة الرابعة: وهي العادات المرتبطة بحفلات الاعراس (الحوك) وغيرها من حفلات الرقص الشركسي التي تقام بالمناسبات الاجتماعية وهي مجموعة العادات التي تنظم قواعد الرقص ويشارك فيها كل من الشباب والشابات. ويتجاوز عددها أكثر من عشرة قواعد وهي التي تعرف (بآداب الرقص وطقوسها) ويحاكم كل من يخرج عن هذه القواعد من قبل (التحامادات) من كبار السن.

المجموعة الخامسة: وهي العادات المتعلقة بآداب الضيافة عند الشراكسة وهي العادات التي تنظم العلاقة بين الضيف (غريبا كان أم قريبا) أم صديقاً وبين المضيف وتضم عادات الضيافة عشرات القواعد التي تتعلق الضيافة والتزاماتها.

المجموعة السادسة: وهي العادات والمراسم المتعلقة بآداب الموائد والولائم عامة والمرتبطة بالمراسم التالية خاصة

١- مراسم تنظيم وترتيب الجلوس على المائدة.

٢- مهام التحامدة على المائدة عامة (والخواخة) أي الدعاء خاصة.

٣- مراسم تقسيم وتوزيع الطعام عامة واجزاء رأس الخاروف خاصة.

المجموعة السابعة: وهي العادات المرتبطة بتقديم التهاني والتبريك للأكبر سنا من الاصغر سنا أو للمرأة أو للغريب... الخ.

المجموعة الثامنة: وهي العادات المرتبطة بالتعازي او المواساة في حال حدوث وفاة أو مرض... الخ.

المجموعة التاسعة: وهي العادات المرتبطة بنوع القاء السلام او التحية وهي العادات التي تضم العادات التي تمارس بحسب وقت القاء السلام (صباحا او ظهرا او مساء او ليلا) كما تتضمن العادات التي تلقى بحسب طبيعة العمل مثل الحراثة او الحصيدة أو البناء.. او أي عمل آخر.

المجموعة العاشرة: وهي العادات المرتبطة بالتعارف... وبآداب المصافحة لكل من المعارف والأقرباء والغرباء.

المجموعة الحادية عشر: وهي العادات المرتبطة بآداب التخاطب والمحادثة بين الكبار/ الكبار أو بين الكبار والصغار او بين الرجل والمرأة... الخ.

المجموعة الثانية عشر: وهي العادات المرتبطة بمكانة واحترام الجهة اليمنى عند الشراكسة عامة وما يتعلق منها بجلوس أو سير الكبير على اليمين الأصغر سنا دوما، وكذلك تناول الاشياء واستلامها من الكبار باليد اليمنى وكذلك دخول المنزل بالقدم اليمنى.

المجموعة الثالثة عشر: العادات المرتبطة بالمآتم (الحداغة) وبمراسم دفن الميت... ومراسم تقبل التعازي... وعدد ايام العزاء للرجال والنساء.

المجموعة الرابعة عشر: العادات المرتبطة (بالخواخة) أي عادة رفع (الانخاب) وهي عادة قديمة جدا وحافظ عليها شراكسة الوطن الأم..

والخواخوة أنواع تختلف باختلاف المناسبات مثل مناسبات الاعراس حيث كانت هناك "خواخوة" تتعلق بالعريس وأخرى تتعلق بالعروس، و"خواخوة" خاصة بالطفل في يوم وضعه في (الجوشة) السرير، وأخرى في يوم تعليمه المشي، وخواخوة عند تجهيز سكة المحراث، وعند الخروج إلى العمل وعند دخول البيت الجديد، وعلى مآدب الأكل والشراب وعند ولادة قمر جديد.

المجموعة الخامسة عشر: وهي عادات شركسية اجتماعية متفرقة تضم:

١- عادات تنظم علاقة الاباء والامهات بالابناء.

٢- عادات تنظم علاقة العروس بالحماة او الحماية.

٣- عادات تنظم علاقة (الصهر) زوج البنت بأهلها.

٤- العادات المتعلقة بحفلات (الشابشة) وهي الحفلات التي تقام للذين يجرمون في الحروب وللذين يصابون بكسر في قدمه او عضو من أعضاء جسمه.

٥- المراسم المرتبطة بعادة ما يسمى (حان – تسه) وهي العادة التي كان يمارسها الفتيان الشراكسة ومن الجنسين قبل دخولهم للدين الإسلامي... وهي عادة كانت تمارس عند انحباس الأمطار... والهدف منه هو الدعاء إلى الله لانزال الامطار وفيها يتم تلبيس (حانتسه) أي الكريك بملابس نسائية لتصبح على شكل (مرأة) أي (جواشة) باللغة الشركسية ومن جاء اسم الدمية (حانتسة – جواشة).. وتبدأ المراسم بحمل الدمية من قبل مجموعة الفتيان من الجنسين والمرور على منازل القرية داعين الله ان ينزل المطر عليهم وعلى (الدمية) وتقوم ربة كل منزل برش الماء على الفتيان والدمية على أمل أن تنزل الامطار.

٦- المراسم المرتبطة بعادة الاحتفال بيوم (عاشوراء) وهي من العادات القديمة التي لم يعرف تاريخ بدء هذه العادة... ومن المعتقد بأنها من العادات التي مارسوها بعد اعتناق الاسلام... ويتم هذا الاحتفال عند المسلمين عامة وعند اصحاب المذهب الشيعي خاصة لأن مقتل (علي

بن أبي طالب) جاء في نفس يوم الاحتفال (بالعاشورا) وهو يوم العاشر من شهر محرم بالتاريخ الهجري.. واستمر الشراكسة في الاحتفال به في ظل حكم الشيوعي وخاصة في القرى الشركسية.

٧- العادات المرتبطة بنظام تربية الابناء عامة ابناء الامراء خاصة في الجمهوريات الثلاثة حيث تغير أسلوب ونظام التربية عند الشراكسة وهو ما عرف بنظام (الاتالق) (والقان) أي المربي والمتربي... وهو نظام كان سائدا في عصر حكم الامراء في ظل النظام الطبقي الشركسي الذي كان سائدا حتى اوائل القرن التاسع عشر.. وحل محله التعليم النظامي في المدارس... ولم يعد للنظام القديم وجود في المجتمعات الشركسية في عهد الحكم الشيوعي.

٨- المراسم المرتبطة بتربية الطفل في سنواته الأولى من حياته وجدنا من دراستنا للعادات والمراسم الشركسية القديمة بأن بعض العادات والمراسم المرتبطة بتربية الاطفال لم تعد تمارس كثيرا في المجتمعات الشركسية في الوطن الأم في عهد الحكم الشيوعي بنفس الأسلوب القديم، خاصة المراسم التالية:

(١) مراسم مرحلة الولادة: وهي المراسم التي كانت تتبع في الشهور الستة الأولى عامة وعند وضع الطفل في (الكوشة) أي سرير الطفل الخشب الهزاز خاصة.

(٢) مراسم اطعام الطفل: وتبدأ بعد ستة أو سبعة أشهر من عمر الطفل حيث يتم فيها تقديم طعام اضافي للطفل مع حليب الرضاعة وعندما يصبح عمره سنة يقدم له طعام الكبار تقريبا.

(٣) مراسم مشي الطفل، وفيها كان يتم تفصيل لباس احمر جميل ويزين بألوان مزركشة بهدف الهاء الناظر للطفل بهذه الزركشة وابعاد عين الحسد عنه.

(٤) مراسم مرحلة قص شعر الطفل: وكانت العادة أن يتم قص شعر الطفل لأول مرة وعلى (الصفر) باحتفال خاص عندما يبلغ عمره سنة... وتقديم الطعام للحاضرين في هذا الاحتفال.

- عادة إرضاع الطفل من نساء شركسيات من جيران الأم أو من اقربائهن بهدف توسيع صلة الاخوة بين ابناء الشراكسة عامة.

٩- العادات المرتبطة بنظام العونة (شاه – حا – خوة) وهو النظام الذي كان سائدا في تقديم المساعدة الجماعية للفقراء أو كبار السن الذين لا معيل لهم او الارامل... او المرضى من كبار السن الذين لم يكونوا قادرين على مساعدة انفسهم بأنفسهم حيث كان يقوم أهل القرية من رجال ونساء في التطوع لمساعدة الفئات المذكورة في الحراثة... أو الحصاد... أو بناء منزل... وغيرها من الاعمال والخدمات التي يمكن ان يحتاجها مثل تلك الفئات حيث وجدنا في دراستنا للمجتمعات الشركسية في الوطن الأم في مرحلة الحكم الشيوعي بأن نظام (العونة) (شاه – حا – خوة) لم يعد قائما في المجتمعات الشركسية بالوطن الأم بعد قيام الدولة الشيوعية.

خامسا: بُعد الفلكلور القومي الشركسي في الوطن الأم في ظل حكم الاتحاد السوفيتي والتحولات التي طرأت عليها.

توصلنا عند التحدث عن بعد ثقافة الفلكلور القومي الشركسي في حضارة الأمة الشركسية، بأن الأمة الشركسية، ربما كانت من أقدم الأمم التي اولت اهتمامها لمختلف الفنون الفلكلورية والتراث الشعبي. والرحالة الذين تجولوا في بلاد الشراكسة (الاديغة) في القرون الثلاثة الاخيرة من القرن العشرين، أكدوا بأن الشراكسة بمجموعهم شعب شاعري، واسع الخيال، ذو روح متوقدة ويتقنون الغناء والقاء القصائد القومية أثناء الرقص وفي الاحتفالات العامة التي تعبر عن الشجاعة والأفعال السامية، وتذم الجبن والاخلاق السيئة. كما أكدوا على تميز الشعوب (الشركسية) عامة في موسيقاهم ورقصاتهم حيث أصبحت فرق الفلكلور الشركسي في عهد الاتحاد السوفياتي من الفرق الفلكلورية شهرة في العالم، كما أصبح هذا الفلكلور من اكثر انواع الفلكلور الشعبي تقدما في الوطن الأم، وفي بلاد المهجر عامة، وفي المجتمعات الشركسية في البلاد العربية خاصة.

والباحث في الفنون والفلكلور القومي الشركسي في عهد الاتحاد السوفيتي يجد انها تتكون من ثلاثة فنون فلكلورية رئيسية وهي: الموسيقى والرقص واللباس القومي.

وفيما يلي دراسة لكل فن من فنون الفلكلور القومي الشركسي في هذه المرحلة التاريخية.

(١) الغناء والموسيقى القومية الشركسية والتحولات التي طرأت عليها في عهد الاتحاد السوفيتي.

تطورت الموسيقى الشركسية، واصبحت في مستوى الموسيقى الكلاسيكية الغربية منذ العقد الثالث من القرن العشرين وعلى النحو التالي:

في عام ١٩٣٦، وضع أرسيني آر. أبراموف لحنين هما: "قافا" و "إسلامي" لأوركسترا سيمفونية و "المسيرة الكباردنية" الشهيرة. وكانت هذه الأعمال ذات طبيعة بدائية؛ إذ لم يكن العمل السيمفوني قد تطور بعد كما يجب.

وفي الاعوام ما بين ١٩٣٦ – ١٩٣٩ لحن أبراموف ايضا ثلاثة قصائد للكاتب الشركسي العظيم علي شوجن تسوك Ali Schojentsik [٤]. وحدث تطور كبير على مقطوعة (ابراموف) السيمفونية، في مسرحيته (أسكيربي شورتان) و(قرية باتير).

وفي عام ١٩٤٦، الف (بارفزوف) مقطوعة سيمفونية من ثلاثة أجزاء، مستندة إلى الرقصات الثلاث (قافا، إسلامي، وويج) والتزمت تماما بالموسيقى الأصلية، وفي الذكرى الثلاثين لتأسيس جمهورية قباردينا بلقاريا، كتب نيقولاي بايكو، مقدمة السعادة حول مواضيع في (القباردي) وقد عرضت أول مرة في نالتشيك بقيادة (إيم، إس، أيكاريان).

وفي صيف عام ١٩٤٢ وخلال الحرب العالمية الثانية قررت الحكومة السوفياتية نقل بعض أفضل موسيقييها وممثليها وفنانينها وأساتذتها من موسكو إلى جمهورية (كاباردا) وكان من بينهم: بروكوفييف، ومياكوفسكي، ونيتشاييف، و إليكسندروف الروس.

وفي جمهورية كابارديا تحديدا، احتك (بروكوفييف) بالموسيقى الشعبية الشركسية وأعجب بها، وقال بأن "الرقصات والأغاني الكاباردينية (منجم ذهب للمادة الموسيقية) وقد أثبتت إقامة (بروكوفييف) المؤقتة في كاباردا، أنها منتجة إلى ابعد الحدود، إذ ألف مجموعته الرباعية حول (مواضيع كاباردينية) في نالتشيك عام ١٩٤٢ مستخدما الأنغام الموسيقية الشعبية الشركسية منذ القدم، ونال إعجاب الجماهير، ولاقى نجاحاً كبيراً عندما عُرض لأول مرة في رباعية بيتهوفن الشهيرة في موسكو، يوم الخامس من أيلول ١٩٤٢.

استغل رئيس مديرية الفنون في كاباردا، (هيتوتايمرقان) المعروف باسم (تيمرقانوف)، استغل فرصة اقامة عظماء الموسيقيين الروس المؤقتة في بلاده، لوضع الموسيقى الشركسية على طريق المجد، وقد كلفه (بروكوفييف) القيام بعمل موسيقي (حيث كان الأخير يشكك في مقدرة الموسيقيين المحليين القيام بمثل هذا العمل). فرد عليه هيتو: "أكتب بما تراه مناسباً. فإن لم نفهم ذلك

الآن، فسنتعلم كيف نبقيه في الذهن مستقبلا". وقد قابل نجله (بروكوفييف) مناسباً الموسيقار الروس الكبار الذين زاروا بيت والده. وكان لا بد لتلك اللقاءات ان تترك اثارا لا تمحى على الصبي اليافع، الذي أصبح فيما بعد واحدا من أعظم قادة التأليف الموسيقي في الوطن الأم للشراكسة في النصف الثاني من القرن العشرين.

في عام ١٩٤٢ أيضا، كتب (بروكوفييف) أغنية بعنوان "ابن كاباردا" كما ألف (نيتشاييف) لحنا سباعيا قائما على مواضيع شركسية، وكتب عازف البيانو السوفياتي الشهير (غولدينفايزر) ست أغاني ومقطوعات موسيقية مستندة إلى ألحان كاباردينية وبلقارية.

وفي عام ١٩٤٣ تأسست مدرسة أوبرا في جمهورية (كابردينو – بلقاريا) وهي مدرسة حكومية ومقرها في نالتشك عاصمة الجمهورية.

وفي عام ١٩٤٦ اصبحت مدرسة الاوبرا الشركسية جزءاً من معهد لينغراد للموسيقى.

وفي عام ١٩٥٠ تخرج الفوج الاول من المغنين والموسيقيين وقادة الاوركسترا والمؤلفين الشراكسة من معهد الاوبرا، وتجولوا في المدن الرئيسية لجمهورية كاباردينا، وقدموا عروضا لمقطوعات–عالمية لكل من موزارت وكورساكوف وغيرهما.

وفي عام ١٩٥٢ كانت جميع الاعمال السيمفونية الشركسية تكتب وتقاد من قبل موسيقيين روس أو أرمن وفي أوائل الخمسينيات، بدأ جيل جديد من المؤلفين الموسيقيين الشراكس إثبات وجودهم على المشهد الموسيقي. فألفوا في عام ١٩٥٢، أول أعمالهم "موطني القومي" وهو مشهد سيمفوني. كما وضع الموسيقار (اسفيرديمنمان Esfir Dimenman) وفي عام ١٩٥٥ الحانا لأربع اغاني شركسية نظم كلماتها الشاعر الشركسي عليم كيشوكوف [٥] وفي عام ١٩٥٦، افتتحت كلية للموسيقى في نالتشيك ليدرس فيها إدارة كورال، وموسيقى (صوتية) وبيانو، بالإضافة إلى اقسام الات الموسيقى الشعبية.

وفي عام ١٩٥٩ كتب (محي الدين. ف، بالا) مقطوعة موسيقية من ثلاثة أجزاء بعنوان "قزبرون (Qizbrun) بالاستناد إلى مسرحية تحمل الاسم نفسه، وقام بعرضها على مسرح فرقة كاباردينا المسرحية في نالتشك

وفي عام ١٩٦٠ افتتحت كلية كباردينو بلقاريا التعليمية الثقافية في نالتشك وضمت اقسام الكورال والآلات الموسيقية التقليدية والفنون المسرحية. ومع **مطلع عقد الستينات من القرن العشرين**، انتشرت مدارس الموسيقى في العديد من البلدات والقرى الكابردينية، والتحق فيها الأطفال في سن السادسة للدراسة فيها لمدة سبع سنوات، وعند اتمام هذه المرحلة كان يُخير التلميذ لمتابعة دراسة الموسيقى في المدارس الثانوية للموسيقى. كما يستطيع المبرزون منهم الالتحاق بالمدارس الداخلية في المعهد الموسيقي حيث كانت الدراسة فيها عشر سنوات.

وفي أواخر الستينيات، تشكل اتحاد المؤلفين الموسيقيين في كاباردينو – بلقاريا لرعاية مصالح العدد المتزايد من الموسيقيين المختصين.

كما فاز "بالا" في عام ١٩٦٨ بالمرتبة الثانية في المسابقة الوطنية الثانية لقادة الفرق الموسيقية. وبعد سنة من ذلك، عين مديرا موسيقياً لسيمفونية لييننغراد، وبفضل إسهامه الجوهري في فن الموسيقى، أنعم عليه مجلس السوفيات الأعلى في جمهورية كاباردينو – بالكاريا عام ١٩٧٣ ذات الحكم الذاتي، لقب فنان الشعب في الجمهورية.

وفي عام ١٩٧٧، أصبح (تيمرقانوف)، المدير الفني، وكبير قادة اوبرا كيروف، وفي عام ١٩٨٠ كان الضيف الرئيس، على الاوركسترا الفيلهارمونية الملكية في لندن، ثم عين عام ١٩٩٢ المدير الرئيسي لاوركسترا سانت بطرسبرغ (لييننغراد سابقا) الموسيقية، خلفا (لأندية بريفين)، وقد اعتبر العديد من أعماله الموسيقية في مستوى الموسيقى العالمية.

وبالبحث في تاريخ نشأة وتطور الموسيقى عامة والموسيقى الشركسية خاصة وجدنا بأن أبرز الرواد الموسيقيون وقادة الاوركسترا والملحنون الاوائل من شراكسة الوطن الام في عهد الاتحاد السوفيتي هم:

(١) أرسيني م. أبراموف (Arseni M. Abraamove) (١٨٨٦-١٩٤٤).

(٢) تروفور، ك. شايبلر (Truvor K. Shebler) (١٩٠٠-١٩٦٠).

(٣) محي الدين ف. بالا: (Muhedin F. Bake) ولد عام ١٩٢٣، في قرية (كينجا) في جمهورية كبارדينو.

(٤) عمر تحبسم من مواليد كوش حابلة عام ١٩١٩م.

(٥) حسن قاردن (١٩٢٣) ولد في بلدة (شيجيم) الاولى في جمهورية كاباردا.

(٦) يوري تيمرقان – Yori . Temirkanov وهو من عائلة تيمرقان المنتمية إلى قبائل القبرطاي، ولد عام ١٩٣٨ في قرية (زرغش). ويعتبر اعظم موسيقار في الوطن الأم وجاء ترتيبه الثالث في العالم عند السبعينات من القرن الماضي.

(٧) فلاديمير مولا (Valdimir Mola) وهو من الموسيقيين المعاصرين من شراكسة جمهورية القبردي.

(٨) جبريل حيوية Jebrail Hewpe وألف أولى سيمفونياته أوائل السبعينيات.

(٩) أصلان داوروف Aslane Daurov الف في عام ١٩٤٠ الالحان الشعبية الشركسية.

(١٠) اصلان على داوروفا Aslan Dawrova ولد يوم ١٩٤٠/٧/٢٤ وتوفي يوم ١٩٩٩/٣/٨ وهو من جمهورية تشركسيا قراشي، ولقب **(بالشاعر الموسيقي المعلم العظيم)** .

(٢) الرقص الشركسي في الوطن الأم والتحولات التي طرأت عليها في ظل حكم الاتحاد السوفيتي

أنشئت أكاديميات الرقص القومي في العهد السوفياتي، وجرت عصرنة وتحديث الرقص الشركسي التقليدي، كما ادخل عليها ألحان رقص الباليه الاحترافي، وفي البداية، كانت كلية (تبليسي الحكومية للرقص في جورجيا) المعهد الرئيس المتخصص في الرقص والبالية القفقاسي. إلى أن قام الخريجون الشركس من هذا المهن بإنشاء فرق قومية شركسية حيث تم تأسيس معاهد رقص في كاباردينو – بلقاريا مثل كلية الفنون المهنية في نالتشيك، فانتشرت منها فرق رقص عديدة.

وفي عام ١٩٣٤ تأسست فرقة الرقص القباردينية (القبرطاي) وهي إحدى الفرق الأولى في الوطن الأم. وبدأت عملها كمجموعة من الهواة، واستقطبت أفضل الراقصين والموسيقيين المحليين. وأقيم أول عرض لها في قرية (Zeyqwe) زييقو في العام نفسه. ثم أعيدت تسمية الفرقة لتصبح "**فرقة الغناء والرقص الحكومية في كاباردينو – بلقاريا**". وقد طوّر (أبراموف) جزءا من مخزونها الفني. وفي عام ١٩٣٨، أضيفت إلى الفرقة مجموعة كورال، التي اجتمع فيها كبار الموسيقيين والشعراء، أمثال: **أبراموف، شايبلر، ريافزوف، كيشوكوف، علي شوجينتسيكوف**، ليكتبوا ويلحنوا لها أغنيات جديدة، وأعيدت تسمية الفرقة مرة ثالثة، فأصبحت تسمى: **فرقة الرقص الشعبي القومي – كاباردينكا**، وتعتبر فرقة (كاباردينكا) واحدة من أفضل فرق الرقص في القفقاس، وقدمت عروضها في روسيا والخارج. ويتضمن برنامجها العديد من الرقصات التقليدية التي تؤدى بألحان موسيقية متطورة وجميلة وعلى مستوى عالٍ من الذوق الموسيقي الرفيع.

ومن الفرق الشركسية الأخرى (نالتشانكا – Nalchanka) التي أنشئت في مدينة (نالتشيك) في عقد الخمسينات من القرن العشرين، كما انشئ العديد من فرق الهواة، وفرق المحافظات، سميت "بفرق الرقص الشعبي الشركسي".

وفي (الأديغي) قدمت "فرقة الرقص الحكومية أول عروضها في الأول من أيار ١٩٧٢ على مسرح (دراما بوشكين)، وكان (محمود بيشكوك)، الفنان (المكرم) من جمهورية روسيا الاتحادية الاشتراكية السوفياتية، أحد أكثر الملحنين الموسيقين تأثيرا على هذه الفرقة. ووضع ونشر كتابا عن الرقص الفولكلوري في (الأديغي)، عام ١٩٩٠ وكذلك فإن بعض الفرق الأخرى التي تستحق الذكر هي (مجموعة نالماس – Nalmas) الحكومية للرقص، وهي فرقة غناء ورقص تم إنشاؤها أوائل السبعينات، علما بأنها أسست أولا في الثلاثينات من القرن العشرين، لكنها حُلت فيما بعد من قبل السلطات الشيوعية. وقد تجولت مجموعة (نالماس) و (إسلامي) للغناء والرقص مدن عديدة في روسيا والقفقاس كما زارت كل من تركيا وسوريا والأردن. وقدمت للعالم الرقصات القومية القديمة والحديثة.

وفيما يلي أشهر فرق الرقص القومي الشركسي في عهد الاتحاد السوفيتي في الوطن الأم.

- فرقة الرقص القومي الشركسي في جمهورية كبارينا وبلقاريا وهي:
  - فرقة الغناء والرقص الحكومية، واعيد تسميتها بفرقة الرقص الشعبي القومي الشركسي.
  - فرقة كباردينا في نالتشك. – وفرقة نالتشانكا في نالتشك.
  - فرق الرقص الشعبي الشركسي وهي فرق هواة تابعة للمحافظات في الجمهورية.
- فرق جمهورية الأديغي وهي:
  - فرقة اسلامية. – وفرقة نف (النور). – وفرقة تالماس.
- فرق جمهورية قراتشي – تشيركيسيا وهي: – فرقة ميركوري للرقص القومي الشركسي.

(٣) اللباس القومي الشركسي والتحولات التي طرأت عليها في عهد الاتحاد السوفيتي:

حافظ شراكسة الوطن الأم على اللباس القومي الشركسي في ظل حكم الاتحاد السوفيتي بل انهم ادخلوا عليها بعض التطورات على تصاميم لباس الرجال عامة وتصاميم لباس النساء خاصة من حيث المظهر العام والألوان، إلا أنه لم يعد لباسا يرتدى من قبل النساء والرجال يوميا كما كانت العادة في عصور ما قبل الاحتلال الروسي لبلادهم ولم تعد ترى شراكسة الوطن الأم يرتدون الملابس الشركسية يوميا. واقتصر ارتداءها من قبل فرق الرقص الشركسي وفي المناسبات القومية فقط، كما أصبح من التراث القومي الشركسي يباع للزوار والسياح عامة وللشراكسة بالمهجر خاصة.. حيث ان السلطات الشيوعية استخدمت سياسة عدم ظهور القوميات عامة والقوقازية منها خاصة بملابسهم القومية في الأماكن العامة.

سادسا: بُعد الرياضة في الوطن الأم في ظل حكم الاتحاد السوفيتي والتحولات التي طرأت عليها

مارس الشراكسة في الوطن الام في هذه المرحلة رياضات وألعاباً جديدة تختلف اختلافا كليا عن الرياضات الشركسية القديمة، سواء كان من حيث التنظيم أو التكوين، فـإذا كانـت الرياضـات الشركسية التقليدية جزءا من الثقافة القومية للشراكسة، جاءت الرياضات الجديدة بدعم مـن الدولـة الروسية رياضات الاحتراف حيث إن الكثير من الرياضيين الشراكسة أصبحوا يتقاضـون رواتـبهم لتفرغهم للتدريبات والمسابقات فقط. كما حملت الرياضات الجديدة أسماء لم تكن لها علاقة بالثقافـة البدنية الشعبية الشركسية القديمة وحلت محلها لتجعلها في زوايا النسيان، ولم يبق من الالعاب التقليدية الشركسية سوى المصارعة والرماية مع ادخال التعديلات والتغييرات الجوهرية عليها، كما ظهـرت رياضات وألعاب جديدة مثل: **كرة القدم، وكرة الطائرة، والتنس، وسباق الدراجات، ورفع الاثقـال،**

والملاكمة، والمصارعة الرومانية، والجمباز، وكرة السلة، والسباحة، والتسلق على الجبال، وألعاب القوة.

يقول المؤرخ الرياضي (غيرغوف) بأن الرياضات التقليدية القومية اخذت تفقد أسرارها وأساليبها التدريبية، مما أدى إلى زوالها أيضا. ومرت سنوات وعقود طويلة قبل أن يتقن الشعب الشركسي قواعد الرياضات العالمية الجديدة التي قامت الحكومة السوفيتية بنشرها في بلادهم، وقد نشأ أبطال جدد ذوو معايير روسية وسوفيتية واوروبية وحتى اولمبية وعالمية. كما ظهر مدربون عالميون مثل المدرب الشركسي البارز والمؤسس لمدرسة الجودو والسامبو (الدفاع عن النفس) وهو **يعقوب كوباييف من مدينة مايكوب**، وهي شاهدة لما يمكن ان يثمر عنه الجمع بين الرياضتين الشعبية والعالمية.

ولا شك بأن تقديم الشراكسة في الوطن الأم أبطالا أوروبيين وعالميين حتى في الرياضات غير التقليدية فيعني ذلك بأن الشعب الشركسي بدأ يستعيد شيئا فشيئا ثقته بذاته التي كان قد فقدها نتيجة للكارثة القومية التي وقعت خلال حروب الابادة الدمار الروسية في القرن التاسع عشر، وزوال الرياضات الشركسية التقليدية.

بدأت الاحتفالات الرياضية الاقليمية في الاتحاد السوفيتي تقام منذ عام ١٩٢٣ حيث احتل الرياضيون الشراكسة مراتب عالية وحققوا انجازات عالية في بعض مسابقاتها مثل سباقات الخيل، والتسلق إلى قمة البروز في عام ١٩٣٥، والعبور المائي من (فان) إلى (ماخاتشكالا) في عام ١٩٣٦، ومن نالتشيك إلى موسكو في عام ١٩٣٧ والذي شارك فيه (شيس بليناوف ومرجان شيناخوفا)، وسباقات الدراجات الذي قادها (ي. ي. خاجالييف) في العام ١٩٦١، وقطع المشاركون الشراكسة في الوطن الام مسافة ٦٠٠٠كيلومتر على خط (أرمافير – كراسنودار – يالطا – سيفاستوبول – أديسا – كيشينيوف – كييف – مينسك – فيلنيوس – ريغا – تالين – لنينغراد – موسكو – خاركوف – رستوف – نالشيك) . وفي جمهوريتي (اديغي) و (تشركسيا) حدثت تطورات رياضية كبيرة حيث ظهرت رياضات غير تقليدية وإنشاء قاعات وملاعب رياضية واستقطاب الشباب الشركسي وظهر فيها أبطال لامعون جدد، ويبدو أن الامور سارت على هذا النحو في كافة الجمهوريات والولايات القوقازية على حد سواء.

وبدأت اسماء الرياضيين الشراكسة تظهر في اواخر العشرينيات من القرن الماضي، ومن بينهم القبردي (مصطفى بيتوي ناكوف) الذي بقي في الساحة الرياضية مدة ثلاثين سنة في رياضة المصارعة الحرة والرومانية ووصفه مؤرخ الرياضة في جمهورية (كباردينا بلكاريا) بقوله: "... من العام ١٩٢٧ ولغاية ١٩٥٣ كان بطلا في المصارعة الحرة والرومانية ورافعا للأثقال هو الاقوى على صعيد جمهورية كباردينا بلكاريا ومنطقة شمال القوقاز والجمهوريات الفدرالية الاشتراكية السوفيتية الروسية، بالإضافة إلى كونه لاعب ألعاب قوة عظيم، شمل ارشيفه الرياضي الخاص (٥٠) شهادة تقديرية ومنحت له على فوزه في المسابقات في المصارعات الحرة والشعبية والرومانية ومسابقات ألعاب القوة لاكثر من ٣٥ عاما.

وفي الفترة ما بعد الحرب العالمية الثانية ذاع صيت راكب الدراجة الشركسي (يوسف خاجالييف) الذي قطع ٤١ ألف كيلومتر في (٢٣) سباقا للدراجات بصفته متسابقاً أو مدرباً أو مشرفاً، وفي عام ١٩٦٤ منح لقب "خبير الرياضة للاتحاد السوفيتي". كما فاز كل من (ب. شوخوف) و (أ. توكماكوف) ببطولة الاتحاد السوفيتي للدراجات، وشاركا في المنتخب الاولمبي للدراجات، أما (بوريس شوخوف) فحصل على الميدالية الذهبية في اولمبياد ميونخ في العام ١٩٧٢. كما منح (يوسف خاجالييف) لقب المدرب الدولي للاتحاد السوفيتي تقديرا لإنجازاته الرياضية الدولية. [٧]

* **وفي رياضة الفروسية :** حقق الشراكسة في الوطن الام انجازات كبيرة في هذه الرياضة في العهد السوفيتي لوجود خبرة تاريخية طويلة فيها. بشهادة (شورا نغموقة) الذي سبق ان قال: "كان جيران الشراكسة يغارون منهم على لياقتهم في الفروسية، ولباسهم الجميل، ومهارتهم في رمي الهدف، وقدرتهم على القفز من على ظهر الفرس لالتقاط خاتم او قطعة نقد من الارض" [٨].

وفي منتصف القرن العشرين ظهر من شراكسة الوطن الأم فرسان موهوبون جدد وفي مقدمتهم الفارس (جامبوت باكو بشوكوف) الذي مارس هذه الرياضة أربعين سنة من عمره ابتداء من عام ١٩٥٤.

كما ظهر فارس آخر مارس هذه الرياضة منذ ان كان عمره ١٥ سنة، وقد حصل على لقب الخبير في الرياضة في عام ١٩٦٢ واسمه (موحربي جانخوت كونيجف)، الذي فاز بلقب بطل الاتحاد السوفيتي في أنواع مختلفة من سباقات الحواجز في السنوات ١٩٦٢و ١٩٦٧ و ١٩٦٨.

وفي رياضات الجودو وألعاب الدفاع عن النفس (سامبو وكراتيه وتايكوندو والكيك والبوكسينج).

تعتبر مدرسة مايكوب لرياضة (الجودو والسامبو) التي أسسها (يعقوب كامبوليت كوبليف) في مايكوب عاصمة الاديغي صفحة لامعة في الرياضة الشركسية في الوطن الام في العهد السوفييتي. وفي عام ١٩٧١ افتتحت في مايكوب قاعة رياضية حديثة وأقيمت فيها بطولة في رياضة (سامبو) الثالثة للمصارعين القرويين، وكان الخمسة من بين الفائزين العشرة الأوائل من تلاميذ (يعقوب كوبليف) وهم (ف. نيفزوروف) و (أ. سبيروف) و (ي. أشينوف) و (أ. حاباي) و (ع. كوستوكوف).

وفيما يلي اسماء الابطال العالميين والاولمبيين والاوروبيين الشراكسة في رياضة الجودو والسامبو والعاب الدفاع عن النفس الذين حققوا انجازات رياضية عظيمة في عهد الاتحاد السوفيتي

إسماعيل يكوتيتش، أرمبي حاباي، كوستوكوف، أرمبي يميج، حميد حاباي، مورات كيشتوف، مورات سابانشييف، حاظرت تليتسيري، أيدمير اوتليف، سحاتبي ألخاوف، مورات غوكوف، محمد كونيجف، أصلان بيجف، مورات حاسانوف، مورات أغيروف، أدام ديلوك، روبرت أغيروف، أدام خوشت، مورات ماكويف، أصلان داوروف، مورات جانوف، أصلان غوباشييف، مورات أوزوف، أزمات تترشاو.

- **وفي رياضة المصارعة نذكر الابطال التالية اسماؤهم:**

ليونيد بوغاتيريوف، تيمور حاتسوكوف، اصلان جانيموف، ألبيرت غيرغوف، زاودين باجيف، ألكسي كازييف، مورات قردانوف، رسلان تشرميت، اصلان نارتوقوف، مايربيك خامبازاروف، أصلان حاغوروف، محمد بالاخوف، أصلان بيك هوشتوف.

- **وفي رياضة رفع الاثقال نذكر الابطال التالية اسماؤهم:**

  موحربي كيرجينوف، مورات بيبوف، يوري خواجيف.

- **وفي رياضة الدراجات: البطل بوريس شوخوف.**
- **وفي رياضة كرة الطائرة: البطلة يلينا اخامينوفا.**
- **وفي لعبة تنس الطاولة: البطلين فاطمة باتيروفا، ومولود كوشخوف.**
- **وفي رياضة الجمباز (حركات الايقاع): البطلة سفيتلانا كوشو.**

الفصل الخامس

المواقف العدائية والتأثيرات السلبية للايدولوجية الماركسية الشيوعية على حياة شراكسة الوطن الأم في ظل حكم الاتحاد السوفيتي (١٩٢٠-١٩٩٢)

في الوقت الذي نعترف فيه ما كان للايديولوجية الماركسية في عهد الاتحاد السوفيتي من ادوار ايجابية ومساهمات في تطوير وتحسين مختلف مجالات حياة الشعوب القوقازية عامة وحياة شراكسة الوطن الأم خاصة فإن هذه الادوار الايجابية لم تشفع للشيوعيين سياستهم الايديولوجية في صهر القوميات الاثنية المختلفة، وتحويلها إلى شعوب تابعة للروس في معظم مجالات الحياة، والقضاء على أي أمل لأي قومية منها حق تقرير مصيرها والحصول على الاستقلال السياسي والديني والاجتماعي والاقتصادي فهذه الايديولوجية فإن دلت على شيء انما تدل على العدائية ضد القوميات الاثنية والاديان عامة والدين الاسلامي خاصة.

وفيما يلي نماذج من المواقف العدائية للايديولوجية الشيوعية التي كان لها تأثيرات سلبية على القوميات القوقازية عامة والشعوب الشركسية في الوطن الأم خاصة:

- **الموقف العدائي الأول، وتمثل بعدم السماح ببقاء مواطني القومية القوقازية الواحدة وحدها في مناطق سكنهم**، واتباع سياسة اسكان اكثر من قومية في المنطقة الواحدة حتى يضطر الجميع لاستخدام اللغة الروسية لغة رسمية اولا، ولغة تخاطب بين سكان المنطقة الواحدة ثانيا، بدلاً من استخدامهم لغتهم القومية.

- **الموقف العدائي الثاني، وتمثل بتعيين رؤساء من الشيوعيين المحليين في كل جمهورية**، ففي جمهورية القبارطاي مثلا تم تعيين (بطال قالموق) في عهد ستالين. وفي مقاطعة (اديغي) عين هاهينكري حاخوراتوف كأول رئيس لها وغيرهم من الرؤساء الشراكسة المنتمين للحزب الشيوعي.

  وفي مرحلة لاحقة اعتبر (ستالين) هؤلاء الرؤساء الذين دعموا الثورة البلشفية وساعدوها على احتلال جمهورية شمال القفقاس التي تشكلت عام ١٩١٧ اتهمهم بأنهم يشكلون فئة (بورجوازية مناوئة للثورة) وأنهم اعداء للشيوعيين ووضعوا تحت الحراسة وابعد بعضهم وحكم على البعض الآخر بالنفي او السجن او الاعدام.

- **الموقف العدائي الثالث، ويتمثل في عدم اطمئنان الحكومة السوفياتية المركزية إلى سلوك وتصرفات الزعماء الشيوعيين من قوميات أخرى في القفقاس**، وبدأت تشك في اخلاصهم، لذلك فقد اتبعت الحكومة المركزية سياسة تعيين مواطنين (روس) ذوي مهام خاصة لمراقبة اعمال الزعماء الشيوعيين المحليين في الجمهوريات القفقاسية.

وللوقوف على مستوى العداء الذي كان موجها للقوميات القوقازية والشركسية منها خاصة كان لا بد لنا من مراجعة البيانات التي اصدرها المسؤولين والسوفيت عامة وكل من (لينين وستالين) خاصة حيث بدأ (لينين) يصدر البيان بعد بيان عن آرائه وسياسته نحو القوميات عامة والاسلامية منها خاصة، حيث قال: وهكذا **فإن الشيوعيين يعتبرون القومية ظاهرة تنشأ في فترة معينة من مراحل التطور التاريخي، ورغبة القوميات في أن تكون دولا مستقلة ذات سيادة ظهرت مع ظهور الوعي الطبقي البرجوازي، وعندما يسيطر الشيوعيون على السلطة، يصبح الوعي القومي متخلفا عن العصر**. وقال ايضا:

"لا يقتصر هدف الاشتراكية على الغاء التقسيم الحالي للبشر إلى دول صغيرة والغاء العزلة القومية بل يتعدى ذلك إلى دمج الامم. [١٠٣]

وقال أيضا "لا يوجد أي ماركسي يستطيع ان ينكر بأن مصالح الاشتراكية فوق مصلحة حق الأمم في تقرير مصيرها. وإذا فعل ذلك، فإنه يناقض أسس الماركسية والاشتراكية". واستطرد قائلا:

"**إذا تعرض حق تقرير المصير لبعض الأمم لمصلحة أو وجود جمهورية اشتراكية في أي وقت، فإن الأولوية تكون عادة لمصالح الجمهورية الاشتراكية والمحافظة عليها**".

من هنا بدأت المقاومة وبدون هوادة ضد أي ميول قومية أو وطنية تظهر بين شعوب الاتحاد السوفيتي خوفا على مستقبل جمهورياتها الاشتراكية السوفيتية، وعمل (ستالين) على ادخال بند في قرارات المؤتمر الثاني عشر للحزب الشيوعي لمقاومة (**الوطنية المحلية**) في الاتحاد السوفيتي، باعتبارها رمز للقومية البرجوازية واصبحت هذه المهمة سيفا مسلطا ضد أي عضو في الحزب أو الحكومات المحلية يشتبه بأنه يسعى إلى توسيع صلاحيات الحكم المحلي، وقام بتصفية واعتقال ونفي مئات الالوف من الذين اتهموا بميول وطنية وقومية.

وكان (ستالين) أكثر تشددا من لينين في مواقفه ضد القوميات، ويتضح ذلك من قوله: "**يجب أن نتذكر انه بالإضافة إلى حق الامم في تقرير المصير، ثمة حق ايضا للطبقة العاملة في توطيد مكانتها، وفي حالات تعارض حق تقرير المصير مع مصالح الطبقة العاملة، تكون الاولوية لدعم هذه الطبقة. فحق تقرير المصير يجب أن لا يكون عقبة امام ممارسة الطبقة العاملة لدكتاتورية البروليتاريا**".

كما قال: "**إن المسائل القومية تخضع لمسألة أهم وأعم، وهي الثورة الاشتراكية ودكتاتورية البروليتاريا**".

وقياسا لهذا المفهوم فإن اهتمام أي مواطن غير روسي في الاتحاد السوفيتي والتفكير بحقوق شعبه أو حتى تاريخه وتراثه كان يوصف بأنه (قومي برجوازي). وكلتا التهمتين كانتا سببا كافيا ليكون موضع الشك بعدم الولاء لقضية البروليتاريا العمالية، وعدم الإخلاص للدولة السوفيتية، ويصبح معرضا لعمليات الاعتقال والتطهير، وقد تمت في الثلاثينات من هذا القرن تصفية عشرات الالاف من كوادر الحزب والإدارة في جمهوريات القوقاز ومناطق نفوذ الاتحاد السوفيتي.

وفسر (ستالين) بأن تعيينه (كوميسارا) للقوميات في أول حكومة سوفيتية عام ١٩١٧: "لا يعني بأن على (البروليتاريا) تأييد كل حركة قومية في كل مكان وزمان وفي كل الأحوال، بل يعني بأن التأييد يجب ان يبذل للحركات القومية التي تستهدف إضعاف الامبريالية والإطاحة بها لا تقويتها والمحافظة عليها. وفي الحالات التي تصطدم الحركات القومية والوطنية مع تطور حركة البروليتاريا، فإن التأييد غير وارد مطلقا. كما وأن حقوق الأمم ليست مسألة منعزلة مكتفية بذاتها، بل ينبغي ان ينظر إليها بما يتفق مع مصالح الحركة البروليتارية". [٧٤]

- **الموقف العدائي الثالث ويتمثل في إقرار مبدأ الإلحاد والمادية،** لما كانت الماركسية في نظرهم ليست مجرد نظام مادي اقتصادي، بل هو اتجاه عقائدي ايضا، وأن من أهدافه ومهامه محاولة اقناع الناس بعدم وجود قوة إلهية تسيطر عليهم وتوجههم. وليس هناك ما يسمى بالبعث والخلود، لذلك عليهم الكفاح لتحسين احوالهم المادية، وتحقيق أهدافهم الدنيوية، فبعد الموت فناء نهائي لا بعث ولا نشور. ويرون ان الديانات ما هي إلا آراء دنيوية (خرافية) تعبر عن أوضاع اقتصادية وبأن "الدين هو مخدر الشعب" حسب قول ماركس أو "أنه مسكر روحي" حسب قول لينين، ومن الضروري محاربة الكنيسة بصفتها حليفة للطبقة المعادية للثورة البروليتارية. ففي ١٩١٨/١/٢٣ صدر عن مفوضي الشعب في الجمهورية الروسية مرسوم، يتضمن النظام الاساسي للمنظمات الدينية بشأن حرية الضمير وحرية المجتمع والدين، وأعلن بموجب هذا المرسوم فصل الدولة عن الكنيسة فصلا تاما، كما أعلن تأميم المنظمات الدينية المسيحية ومصادرة أملاكها. كما وجد الشيوعيون بأن الاسلام أخطر وأشد من غيره من الأديان على النظام الشيوعي، لأن عمل المسلمين بأحكام الشريعة واخلاقيات الاسلام تميزهم عن غيرهم،

ويقيم بينهم وبين الشعوب السوفيتية غير المسلمة، وبالأخص الروس، – حواجز نفسية من الصعب التغلب عليها.

- **الموقف العدائي الرابع ويتمثل في اضطهاد أصحاب الديانات السماوية عامة والمسلمين في الاتحاد السوفيتي خاصة حيث بدأ** الاضطهاد الديني والهجوم الواسع على الإسلام والمسلمين تحت شعار (الثورة الثقافية) بعد انتصار الجيش الأحمر على جيش جمهورية شمال القفقاس التي تشكلت عام ١٩١٧ ولعبت رابطة الشبيبة الشيوعية دورا رئيسيا في هذا الهجوم محاولة تفسير الإسلام حسب مفاهيم الشيوعية المادية، وحاولوا تحليل (القرآن الكريم) حسب اهوائهم وأصدروا بيانا تضمن هجوما على القرآن الكريم خلاصته: "لو تمعن الفرد ودرس القرآن لوجد أنه خلق عربي نصف متمدن واستعمله اسيادهم الاقطاعيون والسلاطين والامراء منهم، وافراد الطبقات الوسطى لخدمة مصالحهم الخاصة. وانه يكاد يكون من المتعذر ان يبرهن الفرد ان (محمدا صلى الله عليه وسلم) كان المؤلف الوحيد لهذا الكتاب القديم الذي ادى خدمة إلى السلاطين والأمراء والأسياد الاقطاعيين. وادعوا باطلا بأن (القرآن الكريم) قد طرأ عليه تغيير بعد وفاة (النبي عليه الصلاة والسلام) أكثر من مرة" وقالوا أيضاً: "ان العقائد الواردة فيه إنما تعكس حالة الملك الخاص والرأسمال التجاري وأنه يخلق في الإنسان الطاعة والعبودية ويقتل فيه روح المبادرة وكل ميل لتحسين نفسه... ويشجع على عدم المساواة وخضوع الفقير للغني ويمنع الاحتجاج ضد اعمال الاستغلال".

كما قالوا ايضا: "أن (الإله) الذي يقدسه المسلمون، إنما هو الجبار الرهيب المتكبر الذي يطلب الطاعة العمياء له (والعياذ بالله). وهذا ما شب عليه السلاطين والملوك والنبلاء والتجار وعلينا ان ننشئ جيلا جديدا يعتمد على القوة وروح المبادرة، ويقدم أرواحه ضحايا في سبيل خلق حياة جديدة.

وأما (ستالين) فقد قال إن النضال ضد الدين في الاتحاد السوفييتي **موجه قبل كل شي ضد الإسلام**، وان سكان المقاطعات الشرقية والجنوبية من الإمبراطورية السوفيتية لا تفرق بين الدين والقومية، ومحاربة الدين في كل البلاد هي في الوقت ذاته نضال ضد القومية والتقاليد الدينية والتقاليد المحلية.

وتمثل الاضطهاد الديني في أوائل عهد الشيوعيين بتدمير المساجد واعدام رجال الدين الإسلامي، وحرق الكتب الدينية، واعتقال كل من كان يضبط وهو يمارس العبادات من صلاة وصيام... كما منع تدريس الشريعة الإسلامية في المدارس والمعاهد العلمية طوال فترة الحكم الشيوعي في الاتحاد السوفييتي بحجة ان الدين هو افيون الشعوب [٤٨].

وفي الفترة من (١٩٢٩) إلى (١٩٣٤) بدأت حملة منظمة شرسة لمحو الدين الإسلامي في الجمهوريات الاسلامية في القفقاس والقضاء على أئمتهم. ونفذت هذه الحملة من خلال:

(١) اغلاق المطابع التي تطبع المنشورات الدينية أو المعادية للسوفيت واستبدال الاحرف العربية حيثما كانت تستعمل بالاحرف اللاتينية أو الروسية.

(٢) وضع قيود على ممارسة الطقوس الدينية في المساجد وفي الاماكن العامة.

(٣) بدء ممارسة الضغط الإداري على أئمة الدين المحليين في المساجد والمدارس.

تجددت حملات الاضطهاد الديني بعد ان توقفها خلال فترة حرب العالمية الثانية ١٩٣٩-١٩٤٦ حيث شنت السلطات الشيوعية حملة واسعة على الدين الإسلامي بعد انتهاء الحرب حيث تضمنت هذه الحملات الادعاءات والأكاذيب التالية:

- **الادعاء**، بأن الاديان أفيون الشعوب، تلهي الجماهير الكادحة عن الكفاح الثوري وتدخل في روحها الخضوع العبودي، وهي ايدولوجية رجعية ضد العلم، وعائقة امام التقدم، وأداة بيد الطبقات المستغلة وعقائد خيالية فهي اذن ضد الماركسية وتعيق مجيء الاشتراكية.

- **الإدعاء**، بأن الاسلام دين فرضه بالقوة الغزاة العرب على أجداد المسلمين السوفيت في آسيا الوسطى، والسلاطين العثمانيين في القوقاز الغربي، وشاهات إيران فيما وراء القوقاز.
- **الادعاء**، بأن الاسلام أشد دين رجعي ومحافظ في العالم. وأنه دين يذل المرأة ويخضع الشباب لسلطة أصحاب اللحى البيضاء التعسفية والطغيانية. وأن شعائر الإسلام وبخاصة الختان وصيام رمضان إنما هي تصرفات بربرية ومضرة بالصحة، كما ان الصلوات الخمس تصرفات ضد المجتمع تجلب الضرر لمردود عمل الجماهير الكادحة.. الخ.
- **الادعاء**، بأن الاسلام يمحق روح المبادرة وأنه دين يحشو في ذهن البشر روح الخنوع والتعصب، وان اخلاق الاسلام تتعارض مع الأخلاق الاشتراكية والسوفيتية الجديدة.
- **الادعاء**، بأن الفن الاسلامي جامد متحجر في أشكاله العتيقة البالية وأن أدبه التقليدي يخلد التقليد البالي في العصور الاقطاعية، وأن التقاليد الثقافية الاسلامية تشكل عوائق امام تطوير ثقافة سوفيتية.

وبعد سقوط (خروشيف) دخلت العلاقات بين الحكومة السوفيتية والأديان وبشكل خاص المسلمين بمرحلة جديدة؛ إذ خف الهجوم العنيف على الدين الاسلامي. وابتداء من عام ١٩٨٨ بوشر بفتح بعض المساجد، وقد تسارع ذلك بعد ان اعتمد (غورباتشوف) سياسة البرويستريكا والغلاسنوست فباشر المسلمون بناء وفتح المساجد في مختلف المدن والقرى، كما فتحت مدارس لتعليم اللغة العربية، ونشأت حركات سياسية واجتماعية اسلامية العقيدة. وبات حتى أعضاء الحزب المخضرمين يعلنون ايمانهم بالعقيدة الاسلامية ويستنكرون الممارسات الشيوعية السابقة في اضطهاد الدين التي أدت إلى نفور واستنكار الجماهير لها.

- **الموقف العدائي الرابع، ويتمثل بإصرار السلطات السوفيتية على استخدام الأحرف السلافية** (Cynillic) بدلا من الاحرف اللاتينية في كتابه اللغة الشركسية، كما وقفت ضد توحيد ابجديات اللغات القومية لشعوب شمال القفقاس، ويتضح ذلك من إفشال المؤتمر الذي عقد من اجل بحث خلق لغة ادبية واحدة لجميع اللغات واللهجات في كل من الأديغي وشيركاسيا، وشيشان وانجوشيا، وقراشي وبلكاريان وجمهورية داغستان إلا أن هذه المؤتمرات لم تحقق أية نتائج عملية لمحاربة الروس لفكرة توحيد لغات شعوب القفقاس الشمالي.

وفي عام ١٩٣٠ دعت لجنة الابجدية الجديدة التابعة لمجلس القوميات في موسكو برئاسة (جلال كوركاسوف) إلى مؤتمر جديد حول ضرورة توحيد اللغة، وقرر توحيد الابجدية القبردينية والشركسية، والشيشانية الانجوشية والقراشية والبلقار، والداغستانية والابجديات الاخرى. ولم ينجح بسبب اصرار المسؤولين الروس لإصلاح الابجديات باستخدام الاحرف السلافية Cyrillie وليس الاحرف اللاتينية. وابتداء من العام الدراسي ١٩٣٠-١٩٣٢ اصبح لدى معظم مدارس جمهورية كباردينو بلقاريا كتب دراسة باللغة الشركسية باستخدام الاحرف اللاتينية وفي عام ١٩٣٢ تأسس معهد التربية والعلوم وبدأت تدرس اللغة الشركسية [١٣].

وظل المسؤولين الروس يضغطون على رجالات التربية والتعليم القوقازيين لاستخدام الاحرف السيرلكية (Cyrillic)، وتحقق ذلك لهم ابتداء من عام ١٩٣٨. وظل الروس يصرون على عدم تلبية رغبة الشعوب القوقاز عامة والشراكسة المتنورين خاصة في اعادة استخدام الاحرف اللاتينية في كتابة اللغة الشركسية ويؤيدهم في هذا الرفض عدد من المفكرين والمثقفين والمسؤولين في الجمهوريات القوقازية التي يتواجد فيها اكبر تجمعات من شراكسة الوطن بحجة ان لديهم ارث علمي وأدبي وفكري وتربوي بعشرات الالاف مكتوبة بالاحرف (السيركلية) وعليه فإنه يتعذر التحول للاتينية، إلا أن المؤيدين للتحول إلى الأحرف اللاتينية يردون على الرافضين بقولهم: هل ما لدينا من ارث علمي وأدبي اكثر مما كان عند الاتراك الذين تحولوا من استخدام الأحرف العربية إلى الأحرف اللاتينية؟؟ بعد استخدام دام لاكثر من ثمانمائة سنة، فاللغة التركية أصبحت الان لغة علمية وادبية

عالمية وأكثر من عالم فيها حاز على جائزة (نوبل)، وانا شخصيا اضم صوتي إلى اصوات المطالبة بضرورة العودة لاستخدام الاحرف اللاتينية وهي الأحرف التي يسهل على ٩٠% من الشراكسة في الشتات وعددهم حوالي (٦) مليون نسمة على استخدامها بسهولة ويسر... لأن ١٠٠% من شراكسة المهجر يتقنون القراءة والكتب بالأحرف اللاتينية.

بالإضافة للمواقف العدائية التي اتخذتها سلطات الشيوعية في عهد الاتحاد السوفيتي ضد المسلمين عامة والمسلمين الشراكسة خاصة فإن عدداً من الإجراءات والسياسات المباشرة وغير المباشرة للايدولوجيا الماركسية الاشتراكية كان لها تأثيرات سلبية على ممارسة بعض العادات الشركسية، كما كان لها سلبيات على قدرة الشراكسة المحافظة على بعض من أنواع الفلكلور الشركسي نذكر منها:

(١) القضاء على العادات المرتبطة (بالحشش) أي المضافة حيث طبيعة الحياة الجديدة في ظل الحكم الشيوعي لم تعد تسمح بفتح مضافات كما كانت العادات في زمن استقلال الشراكسة والعيش في بلادهم قبل الاحتلال الروسي.

(٢) اختفاء عادة ارتداء الملابس القومية الشركسية حيث لم تعد تمارس في مجتمعات الشركسية وفي الحياة اليومية وإنما اصبح الزي القومي الشركسي لباساً خاصاً بالفرق الفلكلورية كما سبق الإشارة إليها في الفصل السابق.

(٣) القضاء على عادة حمل السلاح الشخصي عامة والقامة الشركسية (الخنجر) والسيف الشركسي خاصة، وهي عادة دأب الشراكسة على ممارستها حتى احتلال قياصرة الروس على بلاد الشراكسة. حيث منع استخدامها في زمن القياصرة والشيوعيين في عهد الحكم السوفيتي.

(٤) اختفاء العادات المرتبطة بمواسم الحراثة والحصاد والبيدر، وهي عادات كانت تمارس في المجتمعات الشركسية حتى عصر احتلال الروس لبلادهم حيث لم يعد للشراكسة الأرض لحراثتها وحصاد منتوجها لتحول مهام الزراعة في الوطن الأم إلى الجمعيات التعاونية (الكولخوذات).

الفصل السادس

شراكسة الوطن الأم في ظل جمهورية اتحاد الشعوب الجبلية القفقاسية (١٩٨٩ و ١٩٩٤)

في اواخر الحكم الشيوعي السوفيتي عامة وخلال فترة البروستوريكا خاصة لم تتوقف محاولات القوقازيين عامة والشراكسة خاصة للاستقلال عن التبعية الشيوعية في عهد الاتحاد السوفيتي، إلا أنهم لم يتمكنوا من تحقيق ذلك إلا في السنوات الاخيرة من الحكم الشيوعي، حيث تمكنوا في يوم ١٩٨٩/٨/٢٥ من عقد المؤتمر الاول لممثلي شعوب القفقاس في مدينة سوخومي عاصمة جمهورية ابخازيا، **وشارك فيه ممثلو الابازة من جمهورية قرتشاي شركسيا، والابخاز سكان جمهورية ابخازيا، والاديغة سكان جمهورية الأديغي، والانغوش سكان جمهورية الشيشان أنغوش، والقبرطاي سكان جمهورية قبردينيا بلقاريا، والشركس سكان جمهورية قرتشاي شركيسيا، والشيشان سكان جمهورية الشيشان انغوش ولم يحضر المؤتمر ممثلين للداغستان والاستين الشمالية والجنوبية.**

أعلن المشاركون في هذا المؤتمر تأسيس (جمعية الشعوب الجبلية في القفقاس)، وانتخب (يوري موسى تشنيه) لرئاسة مجلس التنسيق، (فاخر كوتسويف) لرئاسة مجلس الشيوخ. [٧٦]

وفي يومي ١٣-١٤/ ١٩٩٠ انعقد المؤتمر الثاني في مدينة نالتشك، وأقرت فيه وثائق كثيرة، كما تم وضع الحلول للمشاكل التي تعترض بناء الدولة الجديدة وإصدار بيان رسمي حول الأخذ بمبدأ عدم استخدام القوة في حل المشاكل القومية القوقازية.

وفي تشرين الأول من عام ١٩٩٠ وافقت حكومة الاتحاد السوفيتي على إقامة مؤتمر لممثلي الشعوب الصغيرة حضره (٤٦) شعبا صغيرا من الشعوب التي تعيش في الاتحاد السوفيتي، وتشكلت جمعية وطنية قومية متخصصة في رسم حدود الأراضي التي تعيش عليها هذه الشعوب وانتخب (يوري) رئيسا لهذه الجمعية.

وفي يومي ١-٢ / تشرين الثاني/ ١٩٩١ انعقد المؤتمر الثالث للجمعية حضره ممثلو (١٣) قومية وأقرت فيه عدة اجراءات وقرارات منها:

- اعتماد نص بيان إعلان إنشاء **اتحاد الشعوب الجبلية القفقاسية.**
- تعيين الهيئات القيادية للاتحاد الجديد.
- انتخاب البرلمان (القفقاسي) للاتحاد والذي تكون من ثلاثة (مندوبين) ممثلين من كل شعب شارك في الاتحاد وانتخب (يوسوب سولانبيك) رئيسا للبرلمان.
- انتخاب مجلس رئاسة لبرلمان الاتحاد.
- تعيين المحكمة الثلاثية في الاتحاد.
- اختيار اعضاء مكاتب البرلمان للوفاق الوطني.
- تحديد الحقوق القانونية للشعوب المشاركة في الاتحاد.
- وضع أسس ووسائل الدفاع عن أمن واستقلال شعوب الاتحاد.
- انتخاب رئيس تحرير صحيفة الاتحاد المسماة (القفقاس).
- انتخاب (يوري موسى تشنبه) وهو أحد النواب عن شعب القبرطاي رئيسا للاتحاد.

وفي ٣ تشرين الثاني من عام ١٩٩٠ وقع في قرية (ليخي) وهي قرية أثرية تاريخية للثقافة الأبخازية على عقد تأسيس (اتحاد شعوب القفقاس) من قبل الرئيس ونوابه [١٧]. في شمال القفقاس.

وفي ٤ تشرين الثاني عام ١٩٩١ عقد المؤتمر الأول لشعب الشابسوغ للمطالبة بإعادة إحياء (منطقة الشابسوغ الوطنية) التي ألغيت في عهد ستالين عام ١٩٤٤.

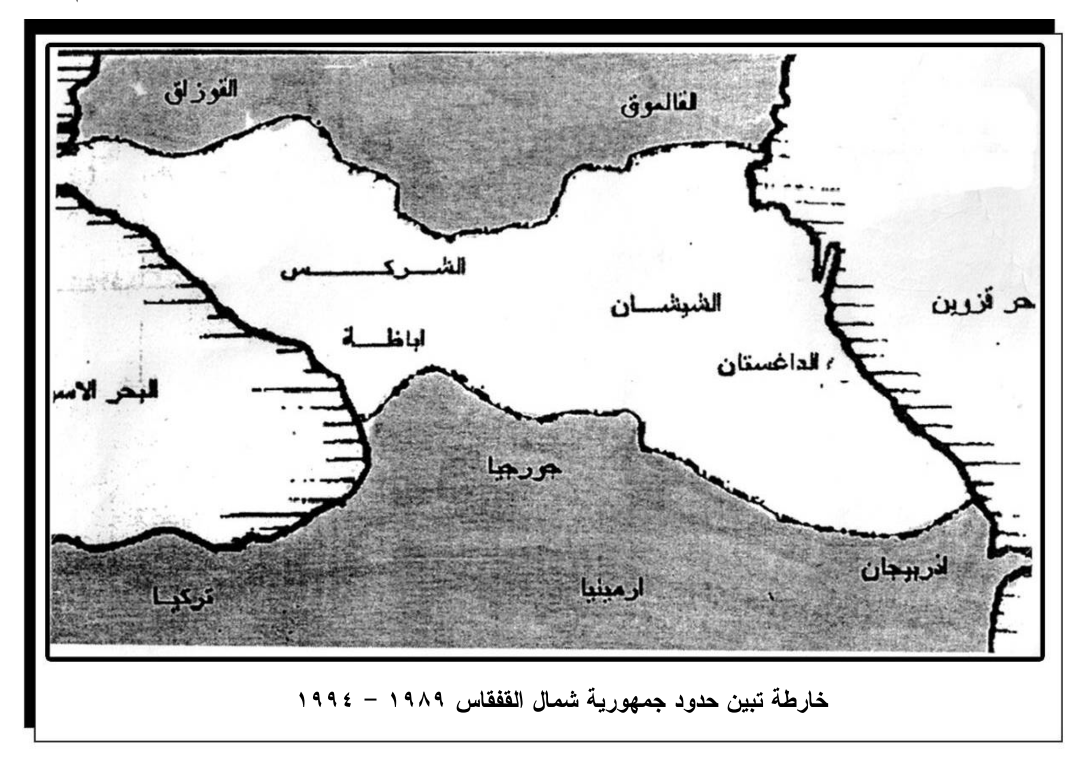
وفي يومي ٤، ٥/ تشرين الاول عام ١٩٩٢ عقد المؤتمر الرابع للاتحاد للنظر في بقاء القفقاس موحدا مع بقائها ضمن جمهوريات روسيا الاتحادية او عدم بقائهما معها حيث قرر المجتمعون بقائها ضمن جمهوريات روسيا الاتحادية، كما تقرر الغاء كلمة (الجبليين) من اسم الاتحاد واصبح اسمه (جمهورية شعوب القفقاس) كما سمحوا بانضمام شعوب اخرى من غير الاصول القوقازية للاتحاد.

إلا أن السلطات الروسية قاومت قيام هذا الاتحاد وألقي القبض على رئيسه (يوري) ووجهت له اتهامات تقضي بسجنه لمدة (٩٣) سنة، إلا أن ضغط الجماهير الشعبية القوقازية أجبرت السلطات الروسية على الإفراج عن الرئيس (يوري) والكف عن ملاحقته قضائياً.

وفي أواخر شهر أيار عام ١٩٩٢ انعقدت الدورة المشتركة لكل من البرلمان والمجلس الرئاسي للاتحاد لبحث ومناقشة مسألة اعتداء جورجيا على شعب أميتا الجنوبية واستمعوا إلى النداء الذي وجهه ممثلو هذه الجمهورية ونصّه:

"أصبح الشعب الاستيني يلقه اليأس والقنوط ودول العالم ما زالت صامتة تتفرج على مدى ثلاث سنوات من الإبادة الجماعية للشعب الاستيني دون تدخل منها او تنديد بما يحدث من مجازر ودمار.

كما أن العالم المسيحي يغض النظر عن جورجيا المسيحية التي تشن حملة إبادة جماعية على استينا المسيحية ايضا وإذا انقذتمونا من الموت فالاستين الجنوبيين مستعدون لدخول الإسلام".



خارطة تبين حدود جمهورية شمال القفقاس ١٩٨٩ – ١٩٩٤

وتأثر المجتمعون كثيرا من نداء نواب اسيتنيا الجنوبية ومن اليأس الذي وصلوا إليه حيث بادر المجتمعون بالرد عليهم قائلين: "إن شعوب القفقاس ليسوا على استعداد لقبول هذه التضحية لتغيير الديانة في سبيل تقديم المساعدة الاخوية لهم كما قالوا بأن توجيه النداءات إلى جورجيا وروسيا

لا يجدي نفعا الآن، وأنه يجب على رئيس اتحاد الشعوب القفقاسية اتخاذ وسائل أكثر راديكالية لمنع الإبادة الجماعية في اوسيتا الجنوبية، وبناء عليه وجه رئيس الاتحاد للمجتمع الدولي لوضع حد لاضطهاد وإبادة الشعب في اسيتا الجنوبية، نداء قال فيه: إن هذه الأعمال تؤكد أن هناك خططا لبعض القوى من اجل اشعال الفتنة، ومن اجل التدمير الشامل للحضارة القفقاسية، هذه الحضارة التي لعبت دورا كبيرا في تطوير البشرية، التي كان لها كثير من التأثير الفعال، كما أنها ساعدت البشرية، فمثلا استمر حكم المماليك الشراكسة ٣٠٠ سنة تقريبا في العالم العربي، وقامت الفرقة الشركسية بتدمير المغول قرب جدران مدينة دمشق، حيث انقذوا الحضارة العربية من التدمير الشامل. كما كان الشركس من القوى الفعالة التي ساعدت على تشكيل الدولة المركزية الروسية، وعلى إعادة بناء تاريخهم، والمؤرخون الاتراك وصلوا إلى نتيجة، مفادها إنه بدون الشركس وخيالتهم لما كانت الجمهورية التركية قائمة الآن".

واستطرد قائلا "١٥٠٠ سنة من الحرب المستمرة لإخضاع القفقاس ولم تستطع تدمير هذه الحضارة القديمة والعريقة، أما الآن فهناك أفق واسع وحقيقي لذلك، فسيناريو الدراما لما وراء القفقاس يتحول إلى شمال القفقاس بهدف إبادة شعوبها مرة أخرى".

"ولكن لن يستطيع العالم أن يغض النظر طويلا، كما حدث في القرن التاسع عشر، أثناء ابادة الشراكسة. إن ما يجري هو إبادة جماعية للشعب الاستيني وأن الكارثة في استينا الجنوبية نذير لشعوب المنطقة وللمجتمع الدولي، فالكارثة عبارة عن فاتحة لنقل سيناريو الدراما لما وراء القفقاس بهدف الإبادة الشاملة لشعوب شمال القفقاس.

وفي الختام وجه إنذارا لجورجيا بقوله: " فإن لم يتوقف العنف ضد الشعب في اوسيتا الجنوبية، خلال مهلة قدرها عشرة أيام، فاتحاد الشعوب القفقاسية سيقدم الدعم لها بكل ما لديه من وسائل". [٧٨]

يقول (يوري) وهو أول رئيس للاتحاد: "بأن الاتحاد وبالرغم من الظروف الصعبة التي عمل فيها، وبالرغم من ملاحقتي شخصيا واعتقالي وتقديمي للمحاكم بتهم باطلة فإن الاتحاد وخلال السنوات الخمس من عمله (١٩٨٩-١٩٩٤) استطاع تقديم مساهمات فاعلة وجادة، كما استطاعت حل العديد من الإشكالات القومية ولعب دور بارز في حل الخلافات القوقازية القوقازية.

وبالرغم من كل هذه المساهمات والإنجازات القومية فإن كلاً من السلطات الروسية (المحلية) منها والفدرالية قاومت قيام الاتحاد واعتبرته المنظمة الأكثر خطورة، والمهددة لوحدة روسيا الفيدرالية، وأنها تشكل مركزا من مراكز التطرف القومي، وأنها منظمة التي تهدف إلى فصل شعوب القفقاس الشمالي عن روسيا، وتأجيج الصراعات القومية التي ستؤدي إلى تجدد الحرب الروسية – القفقاسية التي استمرت من القرن السابع عشر وحتى التاسع عشر، وكان من نتائجها التهجير الجماعي للشراكسة ويستطرد قائلا:

"كما اتهموا هذه المنظمة بتشكيل هيئات حكومية غير شرعية (تشريعية-تنفيذية- قضائية) وتشكيل مجموعات عسكرية غير قانونية، لتدريبها وتجهيزها لتكون مستعدة لخوض الحرب من أجل الحصول على الاستقلال والانفصال عن روسيا الفيدرالية.

وأعلنت السلطات الروسية بأن اتحاد شعوب القفقاس، هو العدو الثاني لروسيا بعد (جوهر دودايف) رئيس جمهورية الشيشان، كما ألصقوا شتى التهم الراديكالية والانفصالية ضد هذا الاتحاد، وتعرض قياداتها إلى الملاحقة والاعتقال، عن طريق توجيه تهم غير مثبتة ومؤيدة بدلائل". [٧٩]

وكان مصير هذا الاتحاد، نفس مصير عشرات الاتحادات والدول والحكومات القومية القوقازية التي تشكلت خلال أكثر من عشرين قرنا بدءاً من اجتياح القفقاس عامة والمناطق الشركسية خاصة من قبل الجيوش الأجنبية الغازية، ابتداء من القرن السابع للميلاد وحتى أواخر القرن العشرين.

الفصل السابع

شراكسة الوطن الأم في ظل حكم روسيا الاتحادية

١٩٩٢ – ٢٠٠٩

بعد انهيار الاتحاد السوفيتي ابتداء من عام ١٩٩٢ تشكلت دولة روسية جديدة باسم (روسيا الفدرالية) في عهد (يلتسن) وكان من أهم مهامها هو التصدي للاتحاد الجديد الذي تشكل في شمال القفقاس باسم (اتحاد شعوب القفقاس الجبلية) في عام ١٩٨٩ الذي ضم (٨) قوميات قوقازية وهي: الأبازة، الابخاز والشراكسة (القبردي، الاديغي، وتشركسيا) والبلقر والشيشان والانجوش كما سبق الإشارة إليها في الفصل السابق.

وفي عام ١٩٩٤ اعلنت سلطات روسيا الاتحادية بالغاء هذا الاتحاد واعادة دمج القوميات الثمانية سابقة الذكر بالجمهوريات التي شكلتها روسيا الفدرالية وهي:

- **جمهورية كباردينا بلقاريا الفيدرالية:**

تشكلت هذه الجمهورية بعد حل اتحاد شعوب قفقاسيا الجبلية واحتفظت في حدودها الجغرافية وعاصمتها وعلمها وشعارها ونشيدها التي كانت التي تستخدمها الجمهورية في ظل حكم الاتحاد السوفيتي.

- **جمهورية الأديغي**

تحولت مقاطعة الاديغي إلى جمهورية فيدرالية بعد حل اتحاد شعوب القفقاس الجبلية، واحتفظت بكل مكوناتها السياسية التي كانت قائمة في ظل عهد الاتحاد السوفيتي خاصة حدودها الجغرافية وعاصمتها وعلمها وشعارها ونشيدها الوطني... الخ.

- **جمهورية قراتشي تشيركسيا**

تحولت مقاطعة قراتشي تشيركسيا إلى جمهورية فيدرالية، بعد حل اتحاد شعوب القفقاس الجبلية واحتفظت بكل مكوناتها السابقة والتي كانت قائمة في ظل حكم الاتحاد السوفيتي.

واما بالنسبة للشراكسة الذين يقطنون في الأقاليم والجمهوريات والمقاطعات الخمسة عشرة سابقة الذكر لم يطرأ أي تغير على وضعهم السياسي والإداري وبقيوا تابعين للسلطات الروسية الفيدرالية.

وبدراسة اوضاع شراكسة الوطن الأم في الجمهوريات الاتحادية الثلاثة التي يقطنها الشراكسة في ظل حكم سلطات روسيا الفدرالية. توصلنا إلى الحقائق التالية:

الحقيقة الأولى: ارتفاع سقف الحريات العامة لكل من المواطنين الشراكسة وغيرهم وكذلك للهيئات والمؤسسات العامة والخاصة في ظل الجمهوريات الاتحادية عامة وفي الجمهوريات القوقازية خاصة.

الحقيقة الثانية: منح الافراد والهيئات والمؤسسات العامة والخاصة حرية التملك وكذلك حرية التصرف بها بيعا أو شراء وفي حدود الانظمة والقوانين الفدرالية الجديدة.

الحقيقة الثالثة: رفع سقف حرية العمل وكذلك حرية تحديد مجالاته وطبيعته مع مراعاة نوع التخصص ومدى توفر الشواغر.

الحقيقة الرابعة: حدوث تغيير كبير في المناهج الدراسية وتحديث نظم التربية والتعليم العام عامة والتعليم المهني والتقني والفني خاصة.

الحقيقة الخامسة: حدوث تغير واضح في نظم واساليب التعليم العالي... وكذلك حدوث توسع كبير في الميادين والتخصصات العلمية في الجامعات والمعاهد الاكاديمية العليا.

الحقيقة السادسة: حدوث تغير واضح في سياسة الأجور مع ارتفاع كبير في أجور للعاملين في القطاع الحكومي الرسمي عامة والقطاع الأهلي خاصة.

الحقيقة السابعة: تطور ملحوظ في الخدمات الصحية والعلاجية في المستشفيات والمراكز الصحية الحكومية ودخول القطاع الخاص في تقديم بعض الخدمات الطبية.

الحقيقة الثامنة: تحسن ملحوظ في مستوى الطرق الفرعية وداخل المحافظات والمدن عامة وفي الطرق الخارجية خاصة.

الحقيقة التاسعة: منح حرية كاملة للتنقل والإقامة، وكذلك حرية اختيار مواقع السكن والعمل داخل جمهوريات روسيا الفيدرالية.

الحقيقة العاشرة: حدوث تحسن كبير في حرية السفر والترحال للخارج وكذلك حرية المشاركة في الرحلات السياحية لخارج روسيا الفيدرالية كل حسب امكاناته المادية.

الحقيقة الحادية عشر: فتح الاستثمار في جميع المجالات داخل الجمهورية الواحدة عامة وفي أية جمهورية داخل روسيا الفيدرالية خاصة وكذلك منح حرية الاستثمار في خارج روسيا الاتحادية.

الحقيقة الثانية عشر: السماح بإنشاء مؤسسات مجتمع مدني وإن كان ذلك في اضيق حدودها ووفق بعض القيود... والدليل على ذلك السماح للشراكسة بتأسيس جمعية شركسية عالمية مقرها في مدينة نالتشك، والسماح لها بممارسة انشطة وفعاليات قومية بمشاركة ممثلي مؤسسات المجتمعات المدنية **لشراكسة الشتات في العالم.**

الحقيقة الثالثة عشر: رفع القيود الصارمة التي كانت مفروضة على القوميات الاثنية عامة وفي القفقاس خاصة في استخدام اللغات المحلية وارتداء الملابس القومية في المناسبات العامة والخاصة.

الحقيقة الرابعة عشر: فتح باب التجارة الخارجية مع الجمهوريات الاتحادية عامة ومن الجمهوريات الثلاث التي يقطنها شراكسة الوطن الأم، وأصبح لها علاقات صناعية وتجارية ومصالح متبادلة مع القطاع الخاص في فرنسا وإيطاليا وتركيا والتشيك وبعض الدول العربية مثل سوريا والأردن والامارات العربية المتحدة عامة ومع امارة دبي خاصة.

الحقيقة الخامسة عشر: ترفيع الجمهوريات الثلاثة التي يسكنها شراكسة الوطن الى جمهوريات إتحادية ومنح الشراكسة فيها بعض الامتيازات السياسية وبالأخص في جمهورية الاديغي التي حصلت على السيادة الإدارية والاقتصادية ووقعت على اتفاقية الفدرالية في العام ١٩٩٢ وتحولت إلى جمهورية الأديغي، واعترف بها الدستور الفدرالي كجمهورية ضمن الفدرالية الروسية وفي عام ١٩٩٥ صادقت على دستورها الخاص: دستور جمهورية الأديغي. واستطاع الاديغة رغم ان غالبية السكان من السلاف والقوزاق فرض شرط أتقان اللغة الشركسية كصفة أساسية يجب ان يتمتع بها المترشح لمنصب رئاسة الجمهورية، وجعلوا اللغة الشركسية لغة رسمية للدولة إلى جانب اللغة الروسية، كما تبنوا علم الشراكسة الذي خاضوا الحرب الروسية تحت ظلالها علما لجمهوريتهم، وسيطروا على معظم الوظائف الحكومية، وضمنوا بذلك أن يكون رئيس الجمهورية من الشراكسة.. وهو امر ما كان ليتحقق لولا دعم الحكومة المركزية .

الحقيقة السادسة عشر: عودة حرية ممارسة الإديان عامة والدين الإسلامي خاصة في ظل حكم روسيا الاتحادية وان خير من عبر عن هذه العودة هو إمام جامع (مايكوب الكبير) يوم افتتح الجامع في ٢٠٠٠/١١/٢٤ بقوله:

"لقد تعرض الإسلام في منطقة قفقاسيا إلى نكبات خطيرة مع استلام الحكم الشيوعي الالحادي السلطة أوائل العشرينات من القرن الماضي. ومن ذلك التاريخ ونتيجة الحرب التي شنها الشيوعيون على الاديان وخاصة الدين الإسلامي، وما رافق ذلك من قتل وسجن وتعذيب ونفي إلى أقاصي سيبيريا للسكان، وبالأخص علماء الدين والأئمة منهم، تراجع الحضور الديني في بلاد الشركس بشكل كبير جدا، وانتشر بدل ذلك تيار الجو الإلحادي الذي كانت تبشر به وتعمل من أجله السلطة الرسمية، واستمر الوضع على هذا الحال لحين سقوط الحكم السوفيتي في القرن الماضي.

وفي السنوات القليلة التي اعقبت هذا السقوط، باعتبار أن تأثير التيار الإلحادي الشيوعي لم ينته دفعة واحدة، ولكن وبمشيئة الله وتوفيقه، وبعد أن استقرت الأوضاع لاحقا، بدأت براعم أغصان الشجرة التي اعتقدوا أنها يبست وماتت تتفتح من جديد، وأخذ العديد من الناس يتوقون ويحنون إلى القصص والحكايا التي كانوا يسمعونها من آبائهم واجدادهم عن الدين الإسلامي، "يريدون ليطفئوا نور الله بأفواهم والله متم نوره ولو كره الكافرون". صدق الله العظيم.

وهكذا، فإن التربة عادت صالحة الآن، والأمر لم يعد يحتاج سوى للدعاة الأكفاء، البعيدين عن التطرف والمغالاة في تفسير وتطبيق أمور الشريعة الإسلامية السمحة، والعارفين بنفسية وعادات وتقاليد الشعب الشركسي، وذلك من اجل توعية الجمهور الشركسي وإرشاده إلى تعاليم الدين الإسلامي من جديد.

والدارس للأوضاع الدينية في جمهوريات شراكسة الوطن الأم في ظل حكم روسيا الاتحادية يجد بأن التربة عادت صالحة لممارسة العبادات، والأمر لم يعد يحتاج سوى للأئمة الأكفاء البعيدين عن التطرف والمغالاة في تفسير وتطبيق أمور الشريعة الاسلامية السمحة، والعارفين بنفسية وعادات وتقاليد الشعب الشركسي، وذلك من اجل توعية الجمهور الشركسي وإرشاده إلى تعاليم الدين الإسلامي السمح.

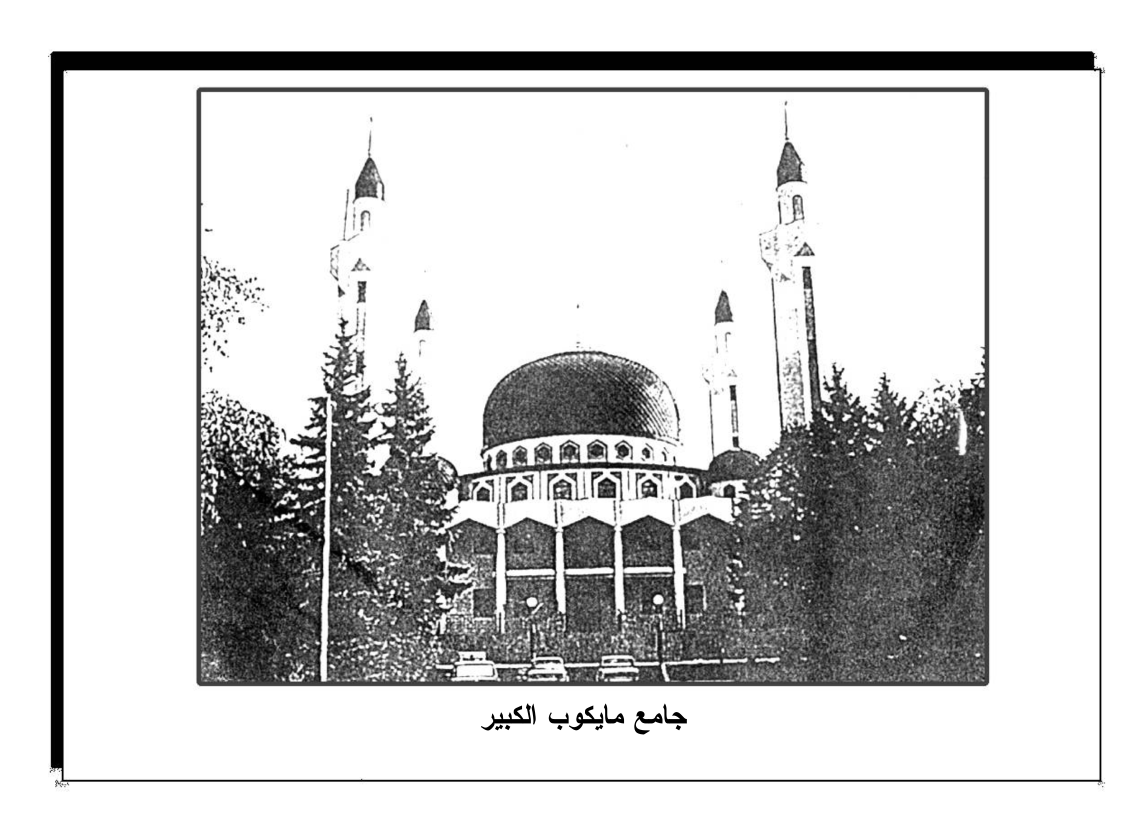
كما نلاحظ بأن الإدارة الدينية الحالية ربما كانت من أحسن الادارات التي تعاقبت على البلاد في العشر سنوات الاخيرة، كونها نظيفة اليد ومنفتحة العقل. وأن مسؤوليات كبيرة ملقاة على عاتق هذه اللجنة ومن اهم هذه المسؤوليات:

- إعادة ثقة الناس بالإدارة الدينية نفسها، لا سيما وأن الثقة كانت قد تدهورت كثيرا في السنوات السابقة.
- إعادة رسم صورة الدين الاسلامي الحنيف للناس بالشكل الصحيح، وإعادة الثقة بها بعد ان تم تشويهها على مدى السنوات الطويلة الماضية.
- استقطاب جيل الشباب الحائر والتائه معا والذي اضطرب مؤشر بوصلته الفكرية تحت وطأة المخدرات والانحلال والبطالة.
- توحيد طاقات الشعب الذي تشتت قواه وتبعثرت هنا وهناك، وايقاظه من رقدته التي طالت.
- تفويت الفرصة على المذاهب الهدامة والعقائد المنحرفة والتي تهدف إلى شرذمة طاقات الشعب وتوسيع شقة الخلاف بين ابنائه، وذلك عن طريق كشفها وتعريتها امام الجمهور.
- تكثيف الدورات وحلقات الدرس الديني لغاية تثقيف الناس بكافة اطيافهم بأمور الدين، وسيكون الصيف القادم حافلا بمثل هذه الدورات والنشاطات بإذن الله.

هذا بالإضافة إلى سماح الحكومة الروسية بإنشاء بعض المساجد في المدن الرئيسية وبعض القرى كما سمحوا بممارسة الشعائر الدينية وحرية القيام بالعبادات دون خوف كما أوفدت حكومات الجمهوريات الشركسية الثلاث (كبارينا – بلغاريا وقراشي تشرلبسيا والاديغي) بعض الشباب الشركسي إلى بعض البلاد العربية والإسلامية لدراسة اللغة العربية والشريعة الاسلامية بهدف تأهيلهم ليصبحوا أئمة مساجد ورجال دين وإن كان عددهم قليلاً.

وربما كان من مظاهر الانفتاح الدين هو حصول سكان الجمهوريات القفقاسية الثلاث التي يقطنها الغالبية الشركسية في الوطن الأم، على حرية كبيرة في ممارسة شعائر الدين الاسلامي وفي بناء المساجد وإنشاء دور إفتاء وتشكيل مجالس لرعاية الشؤون الدينية في كل جمهورية والامثلة على ذلك كثيرة ففي جمهورية (كباردينا بلقاريا) مثلا، كان عدد المساجد فيها في مطلع التسعينات من القرن الماضي مسجدين فقط، فارتفع عددها في عام ٢٠٠٠ إلى تسعة مساجد، كما تم إنشاء دار للإفتاء واصبح الشيخ (شفيع) أحد خريجي كلية الشريعة من الجامعة الأردنية في منتصف التسعينات مفتي جمهورية (قباردينو) كما تم ترجمة القرآن الكريم إلى اللغة الشركسية بفرعيها (القبردينية والاديغي).

والشراكسة اليوم في الوطن الأم هم جميعا (سنيون) ويتبعون المذهب الحنفي ولا وجود للمذاهب الاخرى عامة والمذهب الوهابي خاصة بالرغم من المحاولات العديدة لنشر الوهابية فيها، كما حدث في الشيشان ويشرف على الشؤون الدينية مجلس الأئمة في جمهورية (القبردي)، والمجلس الروحي الإسلامي في (تشركسيا) ولا يوجد مجلس مختص لإدارة الشؤون الدينية في (الأديغية)، وكذلك فإن أكثر من مجلة دينية متخصصة تصدر في كل جمهورية من جمهوريات قفقاسيا الشمالية بالإضافة إلى صدور جريدة دينية واحدة في كل جمهورية (٥٠).



جامع مايكوب الكبير

ومن ابرز ملامح النهضة الدينية التي حدثت في الجمهوريات الاتحادية الذي يعيش فيه الشراكسة في الوطن الام حتى عام ٢٠٠٦ يمكن تلخيصها في الملامح التالية:

أولا: قيام بعض رجال الدين بالتعاون مع بعض الكتاب بإصدار مجموعة من الكتب الدينية باللغة الشركسية منها:

١) كتاب الصلاة.
٢) ترجمة معاني سورة ياسين.
٣) خطب الجمعة (٢٠٠) صفحة وكتيب يضم (٦٠) خطبة.
(٤) كتاب لرسول الله عليه الصلاة والسلام.
(٥) كتاب حول أركان الاسلام.

ثانيا: قام (خواج) بانهاء مشروع ترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغة الشركسية بعد ١٢ سنة من دراسة القرآن الكريم من خلال كتب التفاسير وكتب علماء الدين الإسلامي في الزمن المعاصر، أمثال الشيخ القرضاوي والطنطاوي وجودت سعيد تسي، وعلماء الاسلام الاوائل مثل الغزالي بالاستعانة بالشيخ (مصطفى بول) والذي يتقن اللغة الروسية والشركسية وهو من الذين يشهد لهم بحسن الخلق والتدين.

واستغرق هذا العمل ثلاث سنوات، ثم قام بالاستعانة بالاستاذ (نالوا زاور) الاستاذ في دائرة بحث اللغات والفلكلور الشركسي، حيث عمل معه على صياغة ما تم ترجمته من القرآن الكريم، بواسطة استخدام اللغة الادبية الشركسية إلى جانب النص العربي المرفق مع كل آية.

ثالثاً: ظاهرة اقبال الشباب الشركسي على المساجد وعلى الثقافة الاسلامية*، إلا أنه من المؤسف أن هذه الثقافة (أي الإسلامية) متوفرة فقط باللغة الروسية، وهي في معظمها تحمل بين طياتها اغلاطا فاحشة؛ إما بسبب (غرض في نفس يعقوب)، او بسبب الجهل وغياب الدافع الذاتي للتدقيق في معلومات المؤلفات الاسلامية باللغة الروسية وعلى سبيل المثال ترجمت كلمة (الاشهاد) على أنها تعني رجال الدين المسيحي الذين يتلقون اعترافات المخطئين من وراء ستار ويغفرون لهم، وهذه ترجمة خاطئة، وهناك الكثير من الاخطاء على شاكلة ذلك.

واستطاع (خواج) ان يكسب ثقة الشباب فكثيرا ما يجلس معهم مفسرا لهم البعد المقصود من الآيات القرآنية والتخفيف عليهم من خلال الاستشهاد بأقوال أئمة المذاهب الإسلامية غير المتشددة مثل مذهب الامام أبو حنيفة، كما حاول أن يفسر لهم الكثير من دعوات الدين الإسلامي مثل الدعوة للجهاد وأنها لا تعني فقط قتال الكافر وإنما الجهاد أنواع منه الجهاد بالنفس والدعوة في سبيل الله عز وجل من أجل نشر الدين الإسلامي كما يحاول إبعادهم بقدر المستطاع عن الاتيان بأعمال لا تتناسب والظروف التي تمر بالقفقاس حاليا والدعوة لنشر الإسلام سلميا وبالاقناع ومن خلال الجهد الإعلامي والتثقيفي حتى لا يترك للمتطرفين الروس فرصة لضرب شعوب القفقاس الاخرى من جديد وتدمير مقوماتها متخذين (من الإسلام وانتشاره بواسطة الجهاد) ذريعة لتحقيق مآربهم.

رابعا: قيام الصحف بنشر المقالات الدينية وكذلك قيام الاذاعات المحلية والتلفزيون المحلي ايضا بتقديم وعظ وارشاد وتثقيف بشكل مستمر، ولو أن ساعات البث الاسبوعي لا تفي بالمطلوب بعد.

خامسا: الإقبال على بناء مساجد جديدة بدعم من الأخوة الشراكسة في بلاد المهجر، نذكر منهم: مسجد قرية بنجقواي في جمهورية الأديغي الذي بناه الحاج حسني شومان صوبر من شراكسة الأردن والذي تم افتتاحه يوم ١٩٩٦/٩/٢٩.

كان أول المتحدثين يوم الافتتاح هو السيد "بسونقوه عيسى" رئيس بلدية "بنجقواي" الذي قال في كلمته:

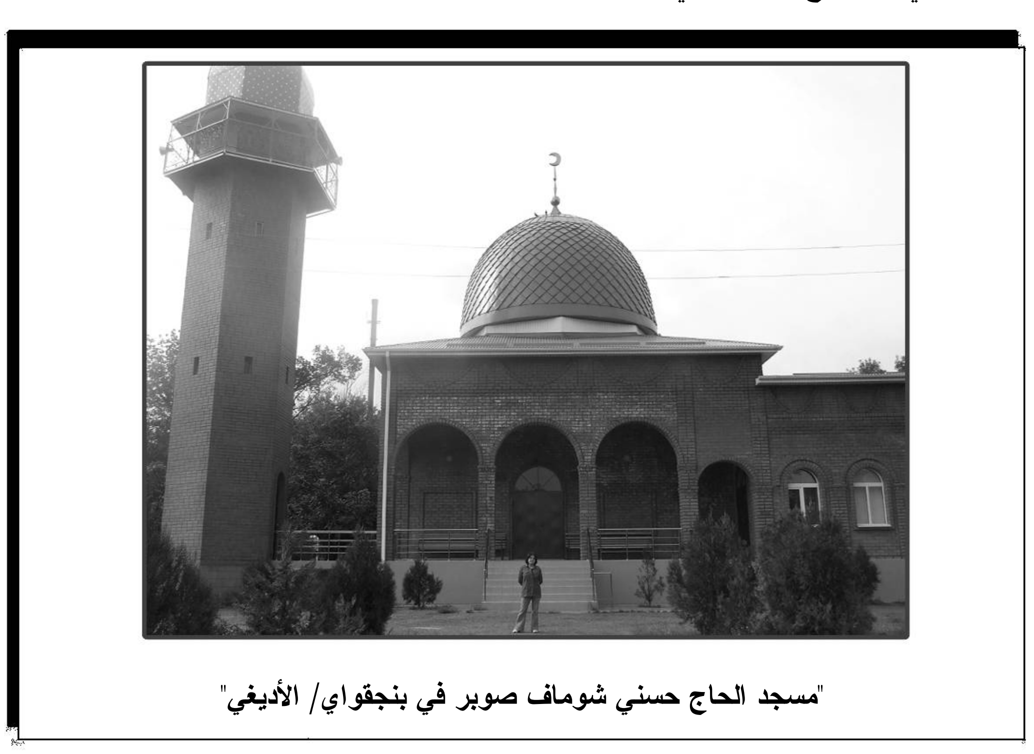
منذ مدة طويلة، وأهالي هذه البلدة، ينتظرون بناء مسجد، وسبق أن فكر أهالي البلدة في بناء مسجد أكثر من مرة، في ظل النظام السابق ولكن كما تعلمون، فإن هذا النظام لم يكن يهتم بالأمور الدينية، حيث سبق أن قاموا بهدم جميع المساجد في مناطق الاديغي، ومن ضمنها هذه البلدة.

* يلاحظ بأن السلطات الروسية المحلية بدأت التضييق على المسلمين عامة والشيشان خاصة من خلال ملاحظة ومتابعة الشباب الذين يترددون على المساجد بعد أن حدث أن هاجم بعض المسلمين من الشباب مبنى المخابرات في مدينة نالتشك وكذلك بعد ان تكررت الاعتداءات على شخصيات وعلى مواقع مختلفة في أكثر من جمهورية من الجمهوريات التي يقطنها الشراكسة في الوطن الأم من قبل مجموعات اسلامية مسلمة.

ولكن مع المتغيرات الأخيرة في الاتحاد السوفيتي، أصبحت الحرية الدينية متاحة، فتداعى شيوخ البلدة، وفكروا في طريقة لبناء المسجد، وجمعوا في سبيل ذلك مبلغ ٩٥ ألف روبل، ولكن هذا المبلغ، أصبح لا يساوي شيئا يذكر ولا تزيد قيمته عن بضعة دولارات، ولكن الله سبحانه وتعالى، قدر لهذا العمل الكبير أن يتم على يد المحسن الحاج حسني شوماف صوبر، الذي تعهد ببناء المسجد ودفع جميع تكاليفه من جيبه الخاص، ووفى بوعده، وها انتم ترون أمامكم المسجد الذي قام بإنجازه.

وأضاف السيد عيسى:-

كما تعلمون فإن الوعي الديني في هذه المنطقة أصبح شبه معدوم، مثلها مثل سائر المناطق الأخرى، التي رزحت تحت نير القمع الديني عشرات السنين، وأصبحت الأمور الدينية لا تشغل سوى كبار السن منا، وهذا لا يكفي، فنأمل من المسجد الجديد أن يؤدي دوره على الوجه الأكمل، لنشر الدين الإسلامي الصحيح وغرسه في عقول أبنائنا



"مسجد الحاج حسني شوماف صوبر في بنجقواي/ الأديغي"

وبالرغم من الايجابيات العديدة التي يشعر بها المواطن الروسي عامة والقفقاسين عامة ومنهم الشراكسة، فإن الدارس للحياة العامة للشراكسة في الوطن الأم عامة وفي الجمهوريات الاتحادية التي يعيش فيها شراكسة الوطن الأم يجد بروز بعض الأمور التي أثرت تأثيرات سلبية على بعض نواحي حياتهم.. ونذكر منها السلبيات التالية:

السلبية الأولى:

بالرغم من استمرار الانتاج الزراعي والحيواني في الجمهوريات الشركسية الثلاثة في عهد روسيا الاتحادية على مستوى الأفراد والمجموعات الزراعية بعد أن اختفت المزارع التعاونية (الجولخوزات) وظهرت الملكية الفردية من جديد، ومن انطباعاتي الشخصية [*] بأن مستوى الانتاج الزراعي والحيواني في هذه المرحلة انخفض انخفاضا ملحوظاً، وظهرت مشاكل التسويق، وضعف

[*] توصلت لهذه الانطباعات من خلال زيارتي الشخصية لجمهورية قباردينا – بلقاريا عام ٢٠٠٦ وتجولي فيها.

الخبرة في اعداد المنتوجات للتصدير، كما ظهرت مشاكل نقل المنتوجات الزراعية إلى الاسواق الخارجية، واصبحت كثير من المحاصيل الزراعية والحيوانية غير مجدية اقتصاديا، فاتجهت أعداد كبيرة من الفلاحين الشراكسة للبحث عن مهن بديلة لمهنة الفلاحة وهي ظاهرة تشكل خطورة على مستقبل الثروتين الزراعية والحيوانية في الوطن الأم، وهي المشكلة التي تنبهت لها القيادات السياسية والاقتصادية، وبدأوا يضعون الحلول المناسبة لها.

السلبية الثانية:

وهي سلبية نشأت نتيجة تحول سلطات روسيا الاتحادية من النظام الاشتراكي إلى نظام الرأسمالية (تقريبا)، واتباع سياسة السوق المفتوحة والخصصة.. حيث ساهمت بتطبيق مثل تلك السياسات على هجرة أعداد كبيرة من الشباب من القرية إلى المدينة داخل الجمهورية الواحدة من ناحية، وهجرات مجموعات كبيرة ايضا بهدف العمل او الدراسة إلى مدارس أخرى داخل روسيا الاتحادية. الأمر الذي قد يؤدي إلى تفريغ القرى إن لم ينتبه لها المسؤولين واصحاب القرار في الجمهوريات الشركسية.

السلبية الثالثة:

وهي سلبية ناتجة عن سياسة الانفتاح الاجتماعي الكبير الذي حدث بعد انهيار الاتحاد السوفيتي وتشكل دولة روسيا الاتحادية حيث اثر هذا الانفتاح على الثقافة القومية الشركسية عامة وعلى القيم الاجتماعية والعادات والتقاليد خاصة.

وربما كان أفضل من عبرت عن مدى تأثير الانفتاح الاجتماعي الذي بدأ في عهد البيروسترويكا في عام ١٩٨٩ على خصائص الثقافة القومية الشركسية عامة... هي الكاتبة الشركسية: **(رايا مامخيغ) في كتابها الصادر في نالتشك عام ١٩٩٣ باللغة الروسية وترجمها إلى العربية الكاتب نزيه جلاجج من شراكسة سوريا في عام ٢٠٠٦.**

حيث عبرت في كتابها (لمحات عن العادات والتقاليد الشركسية) عن قلقها على حاضر ومستقبل الهوية القومية الشركسية من تقاليد وعادات وأعراف وقيم اجتماعية واخلاقية ونقتبس من أقوالها الفقرات التالية:

"**أما فيما يخصنا نحن (الأديغا) فقد آن الوقت من زمن للتوقف والتمعن: هل نحن اليوم فعلا شراكسة مقارنة (بالاديغاخابزة) والتقاليد الشركسية**، نحن الذين انتشر الزي الوطني بنا منطقة شمال القفقاس كلها، بما في ذلك جورجيا ولدى قوزاق نهر تيرك وكوبان؟!

وتقول أيضا: "يجب ان نملك الشجاعة للاعتراف: للاسف بأننا فقدنا الكثير من (الخابزة) ولا زلنا نفقدها مع الزمن، ولهذا أسبابه طبعا منها ما هو موضوعي ومنها الذاتي، ولكن السبب الأساسي يعود إلينا، وإلى التربية البيتية والأسرة الشركسية".

وتستطرد (مامخيغ) قائلة:

"... الناموس الشركسي هو فخرنا القومي والذي لا يعرفه إلا القليلون في أيامنا هذه: أي مواصفات اخلاقية يفترض وجودها لدى الشباب والفتيات؟ وما حدود السلوك المرسومة لكل نواحي الحياة والنشاط الاجتماعي والإنساني؟"

"إلا أن الصفات القومية والشخصية الوطنية تختفي رويدا رويدا عند افتقاد اللغة القومية، وتختفي معها الثقافة الوطنية والتاريخ ايضا.

فما الذي سيمحو آثامنا؟ (أخطاؤنا)

"بعد ثورة اكتوبر اعجبنا كلنا بـــ "الاتحاد الابدي للجمهوريات الحرة" و "الاخ الأكبر العظيم والصداقة الأممية"، ولم يتعمق الكثيرون منا في مغزى الكلمات (قومية في الشكل واشتراكية في المحتوى)".

"وبغرض تربية الأجيال الشابة للحياة المعاصرة وجهناهم للاستماع إلى الراديو والتلفزة الروسية المركزية، واصبحنا نمارس عادة التخاطب باللغة الروسية ونستمتع بالأغاني والحكايا والثقافة الروسية، والأدب والتاريخ الروسي، حتى إننا في وقت ما كدنا ننسى اننا شراكسة، ونخجل إن تذكرنا ذلك.

وقالت أيضا: وحين استيقظنا في (البيروسترويكا) وجدنا انفسنا، اننا لم نصبح روسا بعد ولكننا لم نعد اديغا أيضا، وأي أديغا نحن؟ إذا كان شبابنا وخاصة في المدن لا يكتبون ولا يقرؤون ولا يؤلفون بلغتهم الأم؟ ويمكنهم التعرف على مؤلفات الكتاب الشراكسة والشعراء والنقاد فقط من خلال اللغة الروسية (بعد الترجمة)، حتى تاريخ الشعب الشركسي يصل إليهم باللغة الروسية.

ثم تساءلت قائلة: "من الواضح ضمن هذه الظروف في أي حال هو مستوى معرفتهم بالأديغا خابزة والناموس الشركسي".

ومما يدعو للحزن والشفقة والسخرية ان نرى العديد من الشباب المثقف (إلى حد ما) يتحدثون مفاخرين بالصفات القومية (للأديغا) التي تذكرها مؤلفات الكتب الأوروبية دون أن يخجله انه هو نفسه لا يمتلك هذه الصفات. وللأسف فإن العديد من كبار السن ابتعدوا ايضا عن الاهتمام بتربية الشباب وحتى بالنسبة للمقربين منهم متماشين مع واقع الحال... (إن الزمن الحاضر هكذا ومن غير الواقعي ان تخالف هذا الواقع).

نعم. إن الزمن الحالي صعب، وأصبح الناس أكثر جلافة ومادية وأنانية، أما الرومانسية وحب الجمال فقد اندحرا امام أفضلية المصلحة الشخصية وحب الذات، ويضيع اثر الصداقة الحقيقية والإخلاص للواجب، وما كان شائعا كونه مفخرة سكان القفقاس (احترام كبار السن) مهدد بالانقراض.

من المعروف ان كل أمه لها فكرها القومي الخاص وهو في أساس صفاتها القومية، وهذا ما يجب أخذه بالاعتبار عند تربية الاجيال الناشئة، وإذا لم نغذ في الشباب الناشئ فكره الوطني والقومي الخاص فمن الممكن ان يتربى طبيعيا بأفكار قومية أخرى، وسيعيش غريبا بتفكيره، ومفتقدا لقوميته، وليس علينا أن نذهب بعيدا لنحصل على مثال عما يحدث لشبابنا اليوم فحياتنا اليومية وسلوك شبابنا خير دليل.

فليس من النادر ان تسمع في أيامنا هذه احكاما مثل: "... من له الحق في ايامنا هذه، أيام العهد الديمقراطي ان يلزمنا بتدريس اطفالنا بلغة الاديغا؟!" اليست هذه إشارة الخطر؟ خاصة عندما تصدر من رئيس مجموعة تدريسية تمارس منذ زمن تعليم وتربية الاجيال الناشئة لبلدة كاملة؟! إن منافساتنا بخصوص مواضيع ممارسة العادات قد أماطت اللثام عن الكثير من الضياع وخير دليل على ذلك هو ما قالته إحدى شابات في القبرطاي قبل إقدامها على الزواج: "**سوف أبدأ حياتي الزوجية بأن أوقف زوجي عند حده قبل كل شيء**" ويمكن التكهن ايضا انها أخذت بالحسبان اهل زوجها وحددت لهم مكانتهم...

نعم لقد وصلنا إلى هذا الحد من تجاهل العادات الشركسية متجاهلين الأسس الوطنية، وبالنتيجة وعوضا عن تكوين مجموعة متصادقة من مختلف القوميات تكونت أجيال من الناس (مسلوخة) من مميزاتها القومية.

وتختتم (مامخيغ) مخاوفها من اندثار واختفاء العادات والتقاليد الشركسية بقولها:

"**واليوم عندما تؤثر المسألة المعاشية على طريقة تفكير الناس بشكل رهيب، وتقضي على تصوراتهم السابقة عن الحدود الاخلاقية، نرى أنه من الضروري العودة بشكل خاص إلى أفضل ما في عاداتنا القومية وتقاليدنا، وأن ندعوها لتساعدنا في تربية أجيالنا القادمة**".

كما تقول: طبعا يجب التعامل مع هذا الموضوع بشكل موضوعي، والأخذ بالاعتبار الخصائص الزمنية والمتطلبات المعاشية والاخلاقية لمجتمعنا الحالي.

ونحن ندرك أن ليس كل ما تحويه العادات الشركسية يمكن الأخذ به حاليا ونطبقها في حياتنا الحاضرة، بل نوافق على هذه، وندع ذاك بحسب الواقع، وإنما المهم هو دراسة هذه العادات بعمق وتحليلها بشكل موضوعي ومبدع، وتحديد الغاية الاخلاقية من كل منها، والمتماشية مع التراث الفكري الانساني[٣٠].

وأنا شخصيا أشاطر الكاتبة (مامخيغ) قلقها وتخوفها... خاصة إنني لمست من زياراتي المتكررة في السنين الخمسة الاخيرة للوطن الأم مدى تراجع تمسك الجيل الجديد بالعادات والتقاليد والاعراف.

وكم حزنت عندما سمعت من أكثر من شابة وشاب يقولون "إن ما تفعله في هذا الزمان هي العادة... وليس بالضرورة ان امارس عادات لا أؤمن بها لمجرد كونها عادات ورثتها" كما لمست تراجع اتقان اللغة الشركسية من قبل الاجيال الجديدة عامة وسكان المدن الكبيرة خاصة... وهي نفس تخوف الشراكسة في الشتات في العالم.

الفصل الثامن

الصراعات العرقية والتحديات الاقتصادية والسياسية التي تواجه شراكسة الوطن الأم في عهد روسيا الاتحادية

يتعرض شراكسة الوطن الأم الذين يستوطنون في الجمهوريات القفقاسية الأربعة وهي (كباردينا، بلقاريا، والاديغي، وقراتش- تشركسيا، وابخازيا المستقلة) يتعرضون لمؤامرات سياسية واقتصادية واجتماعية تهدف القضاء على وجودهم في وطنهم وعلى أرضهم التاريخية، كما تهدف إلى زعزعة استقرارهم وامنهم في وطنهم الأم.

وفيما يلي تحليل لانواع المؤامرات والصراعات العرقية التي يتعرض لها شراكسة الوطن الأم منذ تشكلت دولة روسيا الفيدرالية في عام ١٩٩٢ نذكر منها الانواع التالية:

النوع الأول: ويتمثل في سعي (منظمتي القوزاق والسلاف) اللتان تشكلتا في جمهورية الأديغي عام ١٩٩٢ لفصل المقاطعات التي تسكنها اكثرية سلافية (روسية) عن جمهورية الاديغي... وكذلك محاولة فصل مقاطعة (منطقة) مايكوب العاصمة عن جمهورية الأديغي.

النوع الثاني: ويتمثل بتأسيس اقليم (دائرة) شمال القوقاز الفيدرالية عام ٢٠١٠ وهو الاقليم الذي يضم سبع جمهوريات قوقازية وهي: الدغستان والانغوش والشيشان وكباردينا وبلقاريا، وقراتشي تشركسيسا، واوستينا الشمالية، الانيا وستافروبول وبياتيفورس المركز الاداري بهذه الدائرة الفيدرالية الجديدة (كما سبق الإشارة إليها في الفصل الثالث من هذا الجزء).

وبررت السلطات الروسية بأن الهدف من انشاء هذه الدائرة هو حل المشكلات الاقتصادية التي تعاني منها هذه الجمهوريات، بينما الشراكسة يعتقدون بأن الهدف غير معلن لانشائها هو هدف منع القوميات التي تشكل هذه الجمهوريات عامة والجمهوريات الشركسية خاصة من احياء دولة تشركيسيا التاريخية، ويتضح هذا الهدف العرقي / الاثني من عدم ضم جمهورية الاديغي لهذه الدائرة الاقليمية.

النوع الثالث: ويتمثل بالصراعات والقلاقل التي تشهدها جمهورية كباردينا / وبلقاريا، ومحاولة البلقار من سكان الجمهورية عامي ٢٠٠٩ / ٢٠١٠ الاستيلاء على مساحات شاسعة من الأراضي الرعوية الخاصة بشراكسة الجمهورية من القبرطاي.

النوع الرابع: ويتمثل بنشر أحد مواطني القرشي واسمه (م. ر. بودي) من جمهورية قراتشي- تشركيسيا مجموعة من الادعاءات الكاذبة، والمغالطات التاريخية حول الحقوق التاريخية لشراكسة البلسني في وطنهم الأم واراضيهم التي عاشوا عليها اجدادهم وآباءهم منذ اكثر من ستة الاف سنة، حيث أثارت نشر مثل هذه الاكاذيب والمحاولة لتسوية الحقائق التاريخية في جريدة واسعة الانتشار مثل جريدة الحوار الروسية في عددها (١٢) لسنة ٢٠٠٠ غضب شراكسة الجمهورية عامة وشعوب الشراكسة في الوطن الأم في شمال القوقاز فخرجت المظاهرات الحاشدة في أكثر من جمهورية.

وفيما يلي موجز للصراعات والمؤامرات التي تضمنتها كل نوع من الانواع الأربعة سابقة الذكر.

أولا: موجز للاشكال والصراعات والمؤامرات التي تضمنها النوع الأول... ويتمثل في الوقائع والحقائق التالية:

تأسيس منظمتان عرقيتان في جمهورية الاديغي عام ١٩٩٢ وهما:

*** اتحاد قوزاق الاديغي   * واتحاد سلاف الاديغي**

واتخذت هاتان المنظمتان موقفا سياسيا راديكاليا يتمثل في المطالبة بفصل المقاطعات التي تسكنها اكثرية سلافية عن جمهورية الاديغي والانضمام لاقليم كراسندار الروسية، كما حاولت منظمة اتحاد سلاف في الاديغي جرّ اتحاد القوزاق إلى هذا الصراع السياسي العرقي.

هذا وكان سبق أن قامت (لجنة) مقاطعة (منطقة) مايكوب (العاصمة) في الجمهورية بمحاولة فصل هذه المقاطعة عن الاديغي في عام ١٩٩٠.

وتطور هذا الصراع السياسي /العرقي في الاعوام ما بين ١٩٩٢/١٩٩٤ عندما خططت منظمة اتحاد السلاف لاستقدام اكثر من ١٢,٠٠٠ روسي ليصبحوا مواطنين في جمهورية الاديغي. وكذلك تبني منظمة اتحاد القوزاق سياسة (Primisnye) وهي السياسة التي تسمح لتوطين أشخاص من غير (القوزاق) بتوصية اثنين من المواطنين القوزاق ويصبحون بعدها مواطنين في الجمهورية بهدف زيادة اعدادهم في هذه الجمهورية.

وكان من نتائج هذا القرار العرفي، ان استقدموا مجموعات كبيرة من المهاجرين إلى جمهورية (الاديغي) حيث استقدم أكثر من ٤,٠٠٠ أرمني من كاراباخ بالإضافة لاستقدام أكثر من ١,٠٠٠ لاجئ من أكراد أرمينيا، علماً بأنه يوجد في الأديغي أكثر من ٣,٣٠٠ كردي في الوقت الحاضر وكثير منهم غير مسجلين رسميا.

كما استغل اتحاد السلاف القوانين الفدرالية الروسيّة لتمرير اجنداتهم الانفصالية، وخاصة ما يتعلق منها بالشق الاقتصادي والتي تنص على أن أية جمهورية روسية تزيد ديونها عن ٣٠% من أجمالي دخلها تعتبر (جمهورية مفلسة) ويحق للسلطة المركزية في موسكو في مثل هذه الحالة حل السلطة التنفيذية وتعيين حاكم إداري لها، لذا سعى اتحاد السلاف إلى اغراء الرئيس السابق (جاريما) بالاستدانة بالرغم بأن الوضع الاقتصادي للجمهورية كان مطمئنا حيث احتلت المرتبة الاولى لمنطقة القفقاس في مجال الشروط والاتفاقيات الاستثمارية والنمو الاقتصادي، إلا أن انتشار الفساد الإداري في عهد الرئيس (جريما) والذي ساهم فيه السلاف بنسبة كبيرة اتاح الفرصة للسلاف لتقديم صورة قاتمة عن الوضع الاقتصادي في الجمهورية إلى السلطة المركزية، إلا أن نجاح السيد (حزرت شومن) في الانتخابات الرئاسية لعام ٢٠٠١ أبطل مساعي منظمة اتحاد السلاف الروس حيث حصل (حزرت ميدزيوفيتش شومن) على ٦٨% من الاصوات في انتخابات عام ٢٠٠١ ، وما أن تولى منصبه حتى بدأ العمل وبسرعة على تقليص الفجوة المعيشية بين سكان الأديغي، ولكنه فشل في انقاذ اقتصاد الجمهورية وفي آذار ٢٠٠٥م بدأ اتحاد السلاف بالاحتجاج من جديد على الوضع الاقتصادي للجمهورية مطالبين (حزرت) بالإستقالة وبحل الجمهورية، وفي نيسان شجع مورات أحيدزاك حاكم اقليم كراسندار والشابسوغ على حل الجمهورية وتوحيدها مع كراسندار مما اثار ردّة فعل قويّة من شراكسة الجمهوريات الشركسية ومن مجموعة المحامين وهي مجموعة (الأربعين) التي تمثل كل شراكسة الفدراليّة الروسية والتي تشكلت في ٢٠ نيسان ٢٠٠٤، وأعاد الكونجرس الشركسي التأكيد على هدفها: اعادة خلق وطن الشراكسة الموحّد في شمال غرب القفقاس حيث تراجع (احيدزاك) عن كلامه وادعى أن كلامه فهم خطأ.

وفي ١٥ نيسان من عام ٢٠٠٥ دعى كل من الأديغة خاسة والكونجرس الشركسي إلى اجتماع عام لكل الشراكسة لتحديد أساليب مواجهة الضغوط المتزايدة على برلمان الاديغي لاجراء استفتاء حول مسألة انضمام الاديغي لكراسندار، وفي ٢٠ نيسان اعلن الأديغة خاسة عن تشكيل لجنة للدفاع عن وضع جمهورية الأديغي، وتكونت اللجنة من أربعين شخصا، وبعد يومين تجمع أكثر من ١٠,٠٠٠ شركسي في مايكوب للدفاع عن وضع الجمهورية، وفي ٢٣ نيسان أعلن فلاديمير قروموف أتامان (رئيس) قوزاق الكوبان أن اثارة موضوع حل جمهورية الاديغي يمكن أن يثير العواطف القومية الشركسية وتغيظ الشعب وستولد موجة جديدة من عدم الرضى، وفي ٢٤ نيسان نظم شراكسة فلسطين والأردن وتركيا تظاهرات لتأييد جمهورية الاديغي، وفي اليوم التالي أعلن حاكم كراسندار (الكسندر كاشاييف) رفضه لمبدأ حل جمهورية الاديغي.

إلا أن محاولات السلاف والقوزاق لم تتوقف الأمر الذي ادى لقيام الرئيس حزرت الاديغي.. الا ان تدخل ممثل الرئيس الروسي ديمتري كوزاك منع حدوث انفجار الوضع في الأديغي... والغى (حزرت) قرار حل البرلمان وتأزم الوضع من جديد ليصل إلى الذروة عندما أعلن حل برلمان (الأديغة خاسه) والكونجرس الشركسي رفضهما كل الجهود المبذولة لإقامة نصب تذكاري ل St.Nicholas (العامل المعجزة) في ميدان النصر في مايكوب عاصمة الاديغي حيث تجمع عدد حول موقع النصب اضطر معها عمدة المدينة (نيكولاي بيفوفاروف) وقف العمل في الموقع. على اعتبار بأن هذا التمثال يشكل خرقا للمبادئ الأرثوذكسية والإسلامية على السواء، كما يعتبر رمزا للاستعمار الروسي. وتوقف العمل بالمشروع في ذلك الوقت.

عادت قضية الأديغي إلى واجهة الاحداث أواخر تشرين اول من عام ٢٠٠٥ عندما بدأت تحضيرات البرلمان لتضمين الانتخابات القادمة استفتاءا على حل الجمهورية وانضمامها لكراسندار بالإضافة إلى موضوع النصب التذكاري وافتتحت الجلسات في ٢٨ تشرين أول وأرسل المجلس إلى الرئيس بوتين يسألونه المساعدة على حل قضية النصب التذكاري، وبعد خمسة أيام أعاد الكونجرس الشركسي رفضه بناء النصب، وأرسل مجلس شراكسة شمال القفقاس كتابا للرئاسة، أكدوا فيه أنه في حال التوصية ببناء النصب فإن شعوب الاديغي والقبردي والشركسي والشابسوغ سيتحدون في جمهورية شركسية واحدة، وفي ٢٨ كانون ثاني أعلن حزرت وتكاشييف حاكم كراسندار بيانا مشتركا يدعمون فيه الوضع الحالي للجمهورية وأعدين بتعاون أوثق في المجالات الاقتصادية بين الاديغي وكراسندار.

إلا أن الازمة لم تنتهي حيث بدأت القوى المناهضة للأديغة في الكيد (لحزرت) وحاولت التشكيك في ولائه ونواياه، وعادت للعزف على الأوتار القديمة مثل تشجيع التطرّف والادعاء بتحوّل الأديغي إلى مركز للوهابيين والمتطرفين، وبشكل خاص عندما طالب (حزرت) بضم إقليم الشابسوغ للأديغي، وبعد طرحه لمشروع بناء اوتوستراد يربط مايكوب بغودامس على البحر الأسود. وعمل القوزاق وجماعة روس على نشر شائعات مختلفة عن (حزرت) وأنه يقود المنطقة إلى حرب قفقاسية جديدة شبيهة بحرب الشيشان، إلا أنه استطاع ان يقنع الرئيس (بوتين) بمزايا الاتوستراد وأن يكسب دعمه رغم المقاومة العنيفة التي أبداها القوزاق والسلاف وحكام كراسندار الذين لم يتركوا شائعة إلا وتشبثوا بها لأنهم كانوا يعرفون أهمية الطريق لجمهورية الأديغي واقتصادها، وأن الطريق ستنشط الحركة التجارية والاقتصادي في الجمهورية الأمر الذي سيعينها على تجاوز مشكلاتها الاقتصادية فسقطت الحجة التي يعتمدون عليها لحل الجمهورية وهي هشاشة الوضع الاقتصادي فيها.

أعيد طرح مسألة وضع الاديغي في البرلمان مرّة أخرى في مرحلة لاحقة، حيث تم الاتفاق على وضع مسألة حل الجمهورية على (الرف) ولكن في نهاية الشهر أعاد اتحاد سلاف الاديغي اثارة المسألة، وهكذا أستمر الصراع الخفي حتى يومنا الحاضر.

ثانيا: نماذج من الاكاذيب والمغالطات التاريخية حول الحقوق الوطنية للشراكسة في جمهوريات كباردينا – بلقاريا، عامة وفي الاديغي ، وقراتشي – تشركيسيا خاصة.

ربما كان المقالة التي نشرها (م. د. بوداي) * . في جريدة الحوار الروسية في عددها (١٢) لسنة ٢٠٠٠ خير مثال على هذا النوع حيث تضمنت هذه المقالة افتراءات وادعاءات واكاذيب كثيرة. كما تضمنت مغالطات وتشويهات تاريخية حول حق الشراكسة في العيش على أراضيهم في الوطن الأم في منطقة القفقاس الشمالي منذ الاف السنين.

* م. م. بوداي هو من أصل (القراتشي) الذين ولدوا وعاشوا في سوريا سنوات طويلة، ثم عاد إلى جمهورية قراتشي – تشركيسيا مؤخرا، وليس هو بباحث او كاتب، وربما ان احد المسؤولين من القراتشي كتب له هذه المقالة ونشرها باسمه.

وفيما يلي نماذج من الاكاذيب والادعاءات التي نشرها هذا الكاتب في مقاله المذكور:

(١) **الادعاء بأن الشراكسة في الوطن الأم قد (سرقوا)** من جيرانهم القوقازيين لباسهم القومي وفلكلورهم واساطيرهم وادعوا إنها من تراثهم القومي* ... علما بأن الفلكلور الشركسي قديم قدم الشراكسة. والأساطير الشركسية اقدم من الأساطير اليونانية واسطورة بروثيموس الذي قيد على إحدى جبال القفقاس يدل على اصل هذه الاسطورة. وهي مأخوذة عن "العملاق الذي قيده النارتيون على قمة الجبل" أما اللباس القومي فيسمى عند الشراكسة (أديغة فاشة) أي زي الاديغة (الشراكسة) ولكن الشعوب الأخرى تسمي هذا الزي (الشركيسكا) مما يدل على اعترافهم بأن اصل هذا اللباس المميز هو من اجداد الشراكسة وان الجيران هم الذين اقتبسوا زيهم من الشراكسة منذ القدم، وهذا اكبر دليل على مدى محاولة هذا الكاتب المأجور تضليل الرأي العام الروسي عامة.

(٢) **الادعاء بأن اللغة الشركسية لا تتضمن كلمة (وطن)** وتوصل لهذا الاستنتاج من استخدام كلمة (رودينا) الروسية في جمهورية القبرطاي باسم لجمعية رعاية شراكسة الوطن الأم في الشتات.

وتصدى لهذه المغالطة اللغوية الكبيرة اكثر من باحث في الوطن الأم ودول الشتات بقولهم:

إن كلمة (الوطن) موجودة باللغة الشركسية وبلهجة جميع العشائر الشركسية وهي كلمة (XKY) خوك وان كلمة (رودينا) الروسية جاءت كون ان الجمعية سجلت في روسيا أبان الحقبة الشيوعية وان الوطن عند الشراكسة ليس مجرد كلمة في لغتهم ولكنه تعني الأرض التي جبلت بدماء الأجداد وهم يدافعون عنها ضد الغزاة من كل جنس ولون وعلى مدار آلاف السنين. وكم من غاز ولى الأدبار مكللا بالخزي والعار بعد ان توهموا أن قدومهم إلى القوقاز سيكون مجرد نزهة يكسبون من خلالها المزيد من الانتصارات والأسلاب والغنائم.

(٣) **الادعاء الثالث: ان الطبقة المثقفة من شراكسة الوطن الأم قد أعلنت إفلاسها من الناحية التاريخية والمنطقية،** وتعذر عليها إبراز أية آثار تاريخية أو وثائق ثبوتية ان الأرض التي يقطنونها تعود تاريخيا لهم فلجأوا إلى ما وراء الطبيعة (الميتافيزيقا الخيالية) ونسبوا أرض (البروز) لهم.

وهنا نؤكد لكاتب المقال نفسه والجهة التي تقف وراءه من القراتشي والبلقر أنهم هم الذين افلسوا تاريخيا ومنطقيا وخلقيا أيضا بتجاهل كامل تاريخ القوقاز منذ أكثر من خمسة آلاف عام، وتجاهلم للمكتشفات الأثرية الهامة في مدينة مايكوب. والتي لا تدع مالا للشك عن وجود حضارة – اشوي الشركسية وحضارة مايكوب – التي اثرت على حضارة البحر المتوسط بكامله وكذلك الكثير من الكتابات على الاواني المعدنية والقطع الفخارية التي اكتشفت في المناطق الشركسية والتي انتقلت إلى بيلبوس واثرت على الكتابة الفينيقية آنذاك.

ان الوطن الأصلي للشراكسة حسب المكتشفات الأثرية يمتد شرقا حتى جبل اشحاماخوا (البروز) والذي يعني بالشركسية جبل (السعادة) وجبل قازيك والذي سمي باسم أمير شركسي مشهور كما سمي باسمه ايضا بحر قزوين (بحر كازبيك باللغة الروسية أيضا).

(٤) **الادعاء:** بأن الشراكسة في مصر لم يكن لهم أي دور في حماية الديار المصرية وبلاد الشام من الصليبيين والمغول، كما يذكر بأنه لم يكن لهم دور في بناء حضارة تلك البلاد متجاهلا في ذلك الحقائق التاريخية التي تؤكد بأن قادة وعظام منهم قادوا جيوش الايوبيين كما قام ملوك وسلاطين الدولة البحرية الشركسية التي حكمت مصر في خلال الفترة ما بين ١٢٥٠م و ١٣٨٢م والدولة البرجية الشركسية التي حكمت مصر خلال الفترة ما بين ١٣٨٢م و ١٥١٧م في معركة عين جالوت وطرد الصليبيين من بلاد الشام عامة ومن فلسطين خاصة، في معركة حطين، وان آخر جندي صليبي قد هرب من ميناء عكا القديم كان على يد الشراكسة الأبطال في عام ١٢٩١،

* تصدى كل من الاستاذ ممدوح كشت، والدكتور محمد شاميل من شراكسة الأردن للاكاذيب والادعاءات والافتراءات الواردة في هذه المقالة في مجلة نارت التي تصدر عن الجمعية الخيرية الشركسية في عمان.

وخير دليل على ذلك النصب التذكاري الموجود حتى يومنا الحاضر في ميناء (عكا) القديم في فلسطين كتب عليه العبارة التالية "**من هنا خرج آخر جندي صليبي على يد الشراكسة الابطال**".

(٥) **محاولة الكاتب التملق الواضح للشعب الروسي** بإدعائه بأن شعبي القراتشي والبلقار حريصون على أمن واستقرار الشعب الروسي والادعاء ايضا بأن الشراكسة في الوطن الأم يخططون لاعادة ثلاثة ملايين من شراكسة الشتات في المهجر إلى جمهورياتهم بهدف انشاء امبراطورية تشيركيسيا العظمى. وهو ادعاء كاذب لا يصدقه عاقل بينما الحقائق التاريخية تؤكد بأن الذين خانوا الروس وطعنوهم من الخلف هم زعماء القراتشي والبلقان الذين انضموا للجيوش الألمانية بعد احتلالها لمنطقة القفقاس الشمالي إبان الحرب العالمية الثانية عام ١٩٤٢ وعمل اعداد كبيرة منهم (كأدلاء) وعند عبورهم المعابر الجبلية في القوقاز .... بينما الشراكسة عامة وشعب القبرطاي خاصة قاوموا الجيوش النازية التي غزت بلادهم واكبر دليل على الموقف الايجابي للشراكسة ما قامت به فرقة الخيالة الشركسية رقم ١١٥–التي انطلقت من مدينة نالتشك وهي اول فرقة تشكلت في القوقاز للتصدي للقوات الهتلرية الغازية وهي الفرقة القوقازية التي استمرت مقاتلة الهتلريين وطردهم من القوقاز ومتابعتهم مع الفرق الأخرى حتى وصلت إلى برلين وشاركت في الاستيلاء على مبني الرايخستاغ – وقضت على الرايخ الثالث.

وكان من نتائج خيانة شعبي البلقر والقراتشي هو قيام (ستالين) بنفيهم عن مناطق سكنهم وابعادهم عن منطقة القفقاس لعشرات السنين.

(٦) **محاولة الايقاع بين شراكسة الوطن الأم في الجمهوريات (الشركسية) الثلاثة وبين الشعب الروسي عامة والسلطات الروسية خاصة** بادعائه بأنهم يدعمون الاسلاميين المتشرديين عامة والوهابيين منهم خاصة لزعزعة امن واستقرار البلاد في القوقاز عامة وفي روسيا الاتحادية خاصة.

ثالثا: نماذج من الصراعات بين المواطنين من شعب القبرطاي وشعب البلقار من سكان جمهورية، كباردينا – بلقاريا، في السنتين الاخيرتين وذلك عندما حاول زعماء شعب البلقار في الجمهورية الاستيلاء على أراضي واسعة من الأراضي المخصصة للرعي في مناطق القبرطاي في الجمهورية الأمر الذي أدى لانتفاضة واعتصام اكثر من عشرة الاف مواطن من القبرطاي في ساحات وشوارع العاصمة نالتشك صيف عام ٢٠٠٩.

كما ذهب عدد من البلقار إلى موسكو والاعتصام أمام الكرملين لاكثر من يوم مطالبين بتخصيص أراض زراعية لهم ... إلا ان محاولتهم باءت بالفشل، إلا أن هذه المطالبات لم تتوقف حتى وقتنا الحاضر.

رابعا: نماذج من سياسة سلطات روسيا الاتحادية لإضعاف تنامي الشعور القومي لمسلمي جمهوريات شمال القوقاز والحراك الايدولوجي الذي يهدف لتشكيل جمهورية أو جمهوريات مستقلة سياسياً واقتصادياً عن روسيا الاتحادية حيث كان رد فعل سلطات روسيا الاتحادية للقضاء على افكار التحرر والاستقلال هو قرارها السياسي بتأسيس إقليم (دائرة) شمال القوقاز الفيدرالية التي أشرنا إليها سابقاً وبالرغم من ادعاء السياسيين الروس بأن الاسباب الحقيقية لتأسيس هذا الاقليم هي أسباب اقتصادية إلا أن القيادات الشركسية في منظمات المجتمع المدني يشكلون المبررات التي يقدمها السياسيين الروس من عدم ضم جمهورية الاديغي لهذا الاقليم. علما بأن الشراكسة هم "شعب واحد وعائلة قوقازية واحدة تعيش في بيت واحد"، لكن إدراج كافة الجمهوريات الشركسية في دائرة شمال القوقاز الفيدرالية باستثناء جمهورية الاديغي أحدث "انقساما عميقا" والاعتقاد بأن الهدف من هذا القرار هو منع احياء جمهورية شركسية مشتركة، وهو الأمر الذي من شأنه أن يخلق مزيدا من المشاكل للأولمبياد المقررة في سوتشي في عام ٢٠١٤ .

كما يعتقد ناشطون سياسيون من الشراكسة بأن هذا القرار لن يساعد في التغلب على القرارات التي فرضها حكومة روسيا الفيدرالية على الشراكسة في أديغي وقباردي وشركس وشابسوغ وعدد آخر من المجموعات الأصغر، وهي قرارات يصفها نشطاء شراكس بأنها يسد الطريق لعبث جمهورية شركسية واحدة وهي جمهورية تشركيسيا التاريخية.

أما القيادة الروسية فإنها تبرر بقاء جمهورية الاديغي في (الدائرة الجنوبية) وعدم إدراجها في دائرة شمال القوقاز الفيدرالية لوجود الاستقرار الاقتصادي في الجمهورية ولا حاجة للتدخل في عملية تطورها ان من مصلحتها أن تبقى في الدائرة الفيدرالية الجنوبية... وهو تبرير غير مقنع حسب رأي الساسة الشراكسة في الوطن الأم. لاعتقادهم بأن الهدف الحقيقي غير المعلن لعدم ضم جمهورية الاديغي للدائرة القوقازية الشمالية، هو سعيهم لتحقيق السياسة العنصرية لمنظمتي (السلاف والقوزاق) في الجمهورية التي تهدف لضم الاديغي لاقليم كراسنودار.

خامسا: بالرغم من اتخاذ الحكومة الروسية خطوات عملية لدعم اقليم شمال القوقاز الفيدرالية باقرارها برامج استثمارية ضخمة، وتصعيد جهودها العسكرية لمحاربة المتشددين المناهضين لروسيا في جمهوريات هذا الأقليم... بالرغم من ذلك فإن الرأي العام الروسي أصبح اكثر قناعة من أي وقت مضى بأن شعوب شمال القوقاز لم تعد تستحق كل هذا الاهتمام وان الوقت قد حان لوقف ضخ الاموال داخل (الثقب الاسود) وهو إصطلاح يطلق على منطقة شمال القوقاز.

ويؤكد ناشطنون سياسيين روس مناهضين للشعوب القوقازية بأنه لو جرى استفتاءً نزيهاً في الفيدرالية الروسية وهو (افتراض مستحيل في ظل حكم بوتين وميدفيدف). فإن نصف الشعب الروسي على الأقل سيقومون بالتصويت لصالح السماح لجمهوريات شمال القوقاز بأن تذهب في سبيلها... أي السماح لها بالاستقلال والانفصال عن الفيدرالية الروسية.

وربما كان شيوع مثل تلك الاتجاهات السياسية السلبية تجاه الشعوب القوقازية عامة، وشعوب شمال القوقاز خاصة ناجم عن بعض الحقائق السياسية التي يتحدث عنها. **ناشطون سياسيون في المعارضة الروسية تتمثل بالحقائق التالية:**

الحقيقة الأولى: كان من الاسباب الرئيسية لإنحلال الاتحاد السوفيتي وتأسيس الفيدرالية الروسية هو اتخاذ المواطنين من أصول روسية / سلافية قرارها بأنهم غير مستعدين للقتال من أجل إبقاء (جمهوريات غير روسية) شعوبها غير متعاطفة ابدا مع الروس اولا، وانفاقهم الكثير من ثرواتهم وأموالهم لسداد فواتير العجز في موازنات تلك الجمهوريات غير الروسية ... الامر الذي ادى لانهيار الاتحاد السوفيتي عام ١٩٩١ وانفصال الجمهوريات غير الروسية مثل جورجيا، وأرمينيا، واذربيجان والجمهوريات الاسلامية الستة في اواسط اسيا مع احتفاظها بالجمهوريات ذات الحكم الذاتي منها جمهوريات شمال القوقا.

الحقيقة الثانية: يتساءل اعداد كبيرة من المواطنين الروس من الاقاليم غير القوقازية لماذا يجب أن يحصل الشيشان من موسكو على عشرة أو عشرين ضعفا من المال أكثر مما يحصل عليه الفرد الروس في (إيفانوفو) مثلاً علما بأن سكان (ايفانوفو) يدفعون أموال طائلة إلى الخزينة المركزية كضرائب وغيرها من الرسوم.. في الوقت الذي يشن فيه مقاتليهم الشيشان حرباً شرساً علينا ويقتلون ابناءنا ويدمرون مؤسساتنا ... ويعملون بكل الوسائل للانفصال عن روسيا الاتحادية وانشاء دولتهم المستقلة.

الحقيقة الثالثة: لم تعد مشكلة العنف محصوراً في جمهورية الشيشان او الانجوش او الداغستان وإنما تفشى العنف في كل الجمهوريات المسلمة في شمال القوقاز عامة الأمر الذي اضطرت معه السلطات الروسية في موسكو لتخصيص موازنات ضخمة إضافية لمواجهة المتشردين الإسلاميين وغير الاسلاميين في شمال القوقاز... وبالتالي ظهرت معارضة منظمة في موسكو عامة وفي الجمهوريات الفيدرالية الروسية في مختلف أنحاء روسيا خاصة تنادي التوقف عن ضخ الأموال الطائلة من

الخزينة المركزية للجمهوريات التي تؤي إرهابيين وتخطط للانفصال عن روسيا الفيدرالية وتركها تذهب في سبيلها * .

- **مواقف شراكسة الوطن الأم من الاحداث السياسية والعرقية الجارية في روسيا عامة وفي جمهوريات شمال القوقاز خاصة .**

لم تقف القيادات السياسية وقيادات مؤسسات المجتمع المدني الشركسي خاصة التي تمثل شعوبها في الجمهوريات الشركسية الثلاثة خاصة وهي (كباردينا / بلقاريا والاديغي، وقراتشي– تشركسيا...) لم تقف مكتوفة الايدي ازاء ما جرى ويجري حولهم من مؤامرات، وصراعات ودسائس وأكاذيب تستهدف أمن واستقرار شعوب جمهوريات شمال القوقاز عامة والشعوب الشركسية فيها خاصة حيث بادرت قيادات شعبية إلى تأسيس منظمات مدينة (خاسة) شركسية في الجمهوريات الشركسية الثلاثة ... وعقدت تلك المنظمات اكثر من مؤتمر شعبي في كل جمهورية وكان آخرها مؤتمر الشعب الشركسي الطارئ الذي عقد عام ٢٠٠٨ في تشركيسيا عاصمة جمهورية قراتشي/ تشركيسيا وحضره ممثلي مؤسسات المجتمع المدني (خاسة) وبعض القيادات الشبابية من الشراكسة... تناولوا فيه المجتمعون مختلف القضايا السياسية والصراعات العرقية التي تحدث في الجمهوريات الثلاثة كما بُحث فيه التحولات السياسية لدى جمهور الشعب الروسي ونظرتهم السلبية للعلاقات بين الفيدراليين الروسية والشعوب والجمهوريات في شمال القوقاز عامة وفي الجمهوريات (الشركسية) الثلاثة خاصة.

كما اقترح فيه ممثلو "مؤتمر الشباب الشركسي في شمال القوقاز فكرة التقدم بطلب إلى القيادة المركزية في الفيدرالية الروسية في موسكو لتوحيد شراكسة الوطن الأم في القفقاس في جمهورية واحدة وانضمامها للفيدرالية الروسية كإحدى جمهوريات روسيا الاتحادية.

جاء هذا الطلب في البيان الذي القاه رئيس مؤتمر الشباب (رسلان كاندوخوف) في جلسة الافتتاح قال فيه: نشعر بالقلق من وضع الشراكسة في القرشاي – شركيس ونخشى من مستقبل شعبنا. بسبب النتائج المأساوية للحروب التي شهدتها القفقاس في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلادي فبسبب السياسات الخاطئة للدولة الروسية أصبح الشراكسة شعبا ممزقا في وطنهم وقسمت التشكيلات الإدارية للدولة الروسية في السنوات الأولى من العهد الشيوعي السوفيتي، الشعب القفقاسي الواحد إلى جمهوريات ومقاطعات منفصلة عن بعضها في كل جمهورية او مقاطعة شعب آخر مثل القرشاي في تشركيسيا والبلقار في القبردي والقوزاق والروس في الاديغي بهدف تمزيق الشعب الشركسي إلى أجزاء.

وستكون الجمهورية المقترحة الجديدة في الفدرالية مستقلة اقتصاديا، وستدعم الحدود الجنوبية لروسيا. كما يجب على الحكومة الفدرالية أن تفهم أن الشراكسة لن يتحملوا هذا الوضع أكثر من ذلك، ونحن نعتقد أن الوقت قد حان لحل مسألة (شركسيا) كجمهورية مشتركة في الفدرالية الروسية وبأن المطلب هو مطلب شرعي وأيد هذا المطلب نائب رئيس الاتحاد الشركسي العالمي (نالبي غوتيل) قائلا إنني ممتن أن تطرح على شراكسة القرشاي – شركس فكرة توحيد الشركس في جمهورية فدرالية واعتقد بأنه لا يمكن ان ألخص آلام الشعب في دقائق لكني أريد أن تلحق بوقائع هذا المؤتمر نسخة عن البيان الذي سيصدره الكونغرس العالمي هذا اليوم.

كما أيد هذا المطلب ايضا ممثلي الاديغة خاسة في الاديغي، وممثلوا اديغي خاسة في مدينة (اديغسك) وغيرها من الحضور من مناطق أخرى في شمال القفقاس وروسيا الاتحادية حيث قال ممثل الاديغي خاسة في مايكوب بأنهم يؤيدون بقوة فكرة إقامة جمهورية تشركيسيا المتحدة تضم المناطق التي يسكنها الشراكسة في جمهوريات كباردينا وبلقاريا والاديغي وقراتشي الشركسية.

* حصلنا على هذه المعلومات

كما أكد ممثلي الاديغة خاسة في مدينة (اديغسك) بأن توحيد الجمهوريات الثلاثة التي يقطنها الأديغة ضمن جمهورية واحدة سيصب في مصلحة الاديغة ككل كما انه يتماشى ايضا من سياسة التي تنتهجها سلطات روسيا الفيدرالية المركزية التي بدأت دعم وتعزيز مبدأ توحيد او تجميع الجمهوريات والمقاطعات ذات الاهداف السياسية او الاقتصادية المشتركة.

إلا أن ممثل (الخاسة) في كباردينا بلقاريا، ممثلاً برئيسها السيد محمد حفتسه كان له رأي آخر صرح به لوكالة أنباء (ريغنوم) أعرب قبل انعقاد المؤتمر عن عدم ترحيبه بفكرة تأسيس جمهورية جديدة وعن أمله بأن يقوم الرئيس الجديد للجمهورية (بوريس أبزييف) بالعمل على حل المشاكل القومية التي تعاني منها هذه الجمهورية.

واستطرد قائلا: اعتقد بأن القرشاي – شركس يجب ان تكون كلا لا يتجزأ وبأن (بوريس ابزييف) سوف يفي بالوعد الذي قطعه لزعماء الحركات المدنية الشركسية في الأول من تشرين الثاني /٢٠٠٨ وسيأخذ بعين الاعتبار اقتراحاتهم البناءة في خلق جو يسوده الامن والاستقرار والتعايش بين القوميتين الشركسية – والقراتشي.

وعن سؤال حول سبب عدم دعم خاسه (القبردي – بلقاريا) للاقتراحات الجذرية التي تطرحها الاديغي خاسه في القرشاي – شركس وخاسه الأديغي. قال حفتسة – إن الخاسه في القبردي – بلقاريا تعتقد بأن علاقات الأخوة بين شعوب القرشاي – شركس والحوار المتوازن أفضل من المعارضة والانتقادات المتبادلة.*

المراجع

١. قردن، ناظم قاسم، سيف من سيوف الله، عمان، ١٩٨٦ ص: ١١٧-١١٩

٢. المصدر نفسه، ص: ١١٩-١٢١.

٣. المفتي، شوكت، مصدر سابق، ص: ٢٩١-٢٩٢.

٤. المصدر نفسه، ص: ٢٩٢، ٢٩٤، ٢٩٦.

٥. الآصني، داوود، كتاب الجمعية الاسلامية في الحكومة الشورية لجمهورية الاديغية عام ١٩٢٥، ص: ٣٤-٣٦.

٦. جموخة، امجد، مصدر سابق، ص١٥٠.

٧. لبزو، داود احمد، لقاء مع امام جامعة مايكوب.

٨. طاش، نهاد، مجلة الاخاء الشركسية، مصدر سابق، العدد (١١١)، إصدار شهر كانون اول، ٢٠٠٠، ص: ٣-٥.

٩. نغموقه، قاموس الالفاظ الشركسية عام ١٨٤٠.

١٠. حاتوقشوقه، الهجاء الجركسي بالحروف الروسية عام ١٩٦٠ (لا يوجد منها نسخ حاليا) حسب قول شورا بكمرزة في كتابه تاريخ القوقاز ص: ٢٣٤-٢٣٥.

١١. جموخة أمجد، مصدر سابق، ص٢٤٨.

١٢. رشدي، راسم (باحث مصري من اصل شركسي)، دائرة المعارف الاسلامية، ص: ٢٣٩.

* جميل إسحاقات (تشكيل شركيسيا الكبرى) مجلة نارت، الجمعية الخيرية الشركسية) عمان العدد: ٩٦ كانون ثاني ٢٠١٠ ، ص٤٦-٤٧.

١٣.بالاس. ب س، رحلات إلى الاقاليم الجنوبية الشركسية من الامبراطورية الروسية ١٧٩٣ – ١٧٩٤ (باللغة الروسية) تجميع واعداد وصفي ميرزا، ترجمة واخراج فهمي شما، عمان ١٩٨٢.
١٤.المصدر نفسه ص: ٢٥٢.
١٥.برزج، نهاد، اللغات القفقاسية (باللغة التركية)، ترجمة سمير الدغستاني، عمان ١٩٨٨، ص: ٧.
١٦.المصدر نفسه: ص٨.
١٧.سمكوغ، امين، مدخل إلى تاريخ الشراكسة دمشق ١٩٨٤، ص: ٥٦.
١٨.برزج، نهاد، مصدر سابق، ص:٧.
١٩.جموخة، امجد، مصدر سابق، ص: ٢٥٥.
٢٠.المصدر نفسه، ص ٢٥٦–٢٥٧.
٢١.سمكوغ، أمين، مصدر سابق، ص: ٥٦.
٢٢.برزج، نهاد، مصدر سابق، ص: ٧.
٢٣.المصدر نفسه، ص: ١١–١٤.
٢٤.جموخة، امجد، مصدر سابق، ص: ٢٤٠–٢٦٠.
٢٥.ابه زاو، محمد جمال صادق، مصدر سابق، ص١٢٤–١٢٧.
٢٦.بج، منذر، العلاقة بين اللغتين السومرية والشركسية، حلب عام ١٩٩٦ ص٥٧–٦٣.
٢٧.المصدر نفسه ص١١١–١٤٣.
٢٨.جوناتوقه، مصدر سابق، ١٦٣–١٦٨.
٢٩.غ. ف تورنشانيتوف – اكتشافات لفك رموز الكتابات القديمة في القفقاس – مصدر سابق، ص: ٦–١١.
٣٠.آبه زاو، مصدر سابق، ص: ٦٥.
٣١.تورنشانيتوف – مصدر سابق، ص: ٣١.
٣٢.سطاس، عز الدين، كلام في توحيد اللهجات الشركسية، مجلة الاخاء الشركسية – اصدار الجمعية الخيرية الشركسية في وادي السير الاردن، العدد (١٢١) اذار ٢٠٠٢، ص١٠–١١.

المجلد الأول

الجزء السابع

أعلام الأمة الشركسية في الوطن الأم من عظماء ومشاهير سياسيين ومفكرين وادباء وقادة عسكريين منذ فجر التاريخ وحتى العصر الحديث

فهرس فصول الجزء السابع

تقديم

ربما كان من أكثر الموضوعات إهمالاً في تاريخ الأمة الشركسية هو التعتيم (غير المقصود) على إنجازات وأعمال عظماء وقادة الشراكسة من الأجداد في عصور ما قبل التاريخ أولاً، ومسيرتهم في عصور ما بعد الميلاد ثانياً، وفي العصور الوسطى ثالثاً، وفي فترة الحروب ضد خانات القرم وروسيا القيصرية التي امتدت ثلاثة قرون ابتداءً من القرن السابع عشر رابعاً.

وربما كان الجواب على هذه الظاهرة التاريخية من التقييم هو وجود أكثر من سبب، يمكن إيجازها على النحو التالي:-

- **السبب الأول**، ربما كان أكثر من ٩٠% ممن كتبوا عن تاريخ الأمة الشركسية منذ عصر (هيردوت) في القرن الخامس قبل الميلاد، وعصر (سترابون) في مطلع القرن الأول الميلادي، ومروراً بالعصور التي كتب فيها مؤرخون يونانيون ورومان وبيزنطيون، وقوط، ورحالة عرب، وطليان، وفرنسيون، وإنجليز، وألمان، وأتراك، وانتهاءً بالمؤرخين الروس

حيث وجدنا أكثر من ثلاثة آلاف عنوان كتاب أو دراسة أو بحث أو مقالة، أو وثيقة، أو مخطوطة من التي وضعها أو كتبها كاتب أو باحث أو دارس أو قائد عسكري، أو مسؤول سياسي من غير الشراكسة، وهم يمثلون أكثر من خمس عشرة جنسية، إلا أن أحداً منهم لم يهتم بإبراز أعمال وإنجازات وبطولات الرؤساء أو الأمراء أو القادة السياسيين أو العسكريين من أجداد الشراكسة في أي عصر من العصور، منذ عصر ابو المؤرخين (هيردوت) بالرغم من البطولات العظيمة والتضحيات الكبيرة التي قدمها هؤلاء العظماء، خاصة الرؤساء والأمراء والنبلاء والأحرار من الشراكسة الذين كانوا يحاربون أعداء الأمة الشركسية على مر العصور، وهي صفة يندر أن نجد مثلها في تاريخ الشعوب القديمة عامة والشعوب القوقازية خاصة.

- **السبب الثاني**، إن توقف استخدام الكتابة باللغة الشركسية لأكثر من (١٥) قرناً إدى إلى غياب توثيق تاريخ الأمة الشركسية عامة، وتاريخ عظمائها وأبطالها وقادتها خاصة، وكان البديل أن يتم التوثيق من خلال القصص والأغاني والحكايات والأمثال والحكم وغيرها من أساليب حفظ التراث الشفوي، وهي أساليب لم تكن كافية لتوثيق تاريخ الأمة الشركسية عامة وتوثيق إنجاز عظمائها وقادتها خاصة.

- **السبب الثالث**، بالرغم من محاولة المؤرخين الشراكسة الأوائل الذين تصدوا للكتابة عن أحداث ووقائع تاريخ الأمة الشركسية منذ منتصف القرن التاسع عشر الميلادي، وفي مقدمتهم المؤرخ والأديب الشركسي العظيم (شورا بكمرزا نغموقة) الذي ألف كتاب "تاريخ الأديغة القديم" باللغة الروسية ونشره ابنه (لروستان) عام ١٨٦١م وترجمه الدكتور (شوكت المفتي) عام ١٩٥٣م إلا أنه لم يقدم لنا إلا القليل عن السيرة الذاتية للقادة العظام من أمراء وزعماء ونبلاء، وكذلك لم يُبرز أعمال وإنجازات وبطولات القادة العسكريين والسياسيين العظام، وربما كان معذوراً في ذلك لأن الأمة الشركسية بالرغم من تعرض الآلاف من الكتّاب (غير الشراكسة) للكتابة في تاريخها الاجتماعي، والاقتصادي، والسياسي، والديني، والعسكري، فإنها تخلو من أخبار وأعمال وإنجازات وبطولات حكامها، وقادتها، وحكمائها، وقضائها.

- **السبب الرابع**، تجاهل الكتاب والمؤرخين الشراكسة في الوطن الأم عامة منذ احتلاله عام ١٨٦٤م من قبل سلطات روسيا القيصرية، وكذلك الكتّاب الشراكسة في عهد الحكم الشيوعي، في الفترة (١٩١٧م إلى عام ١٩٩٢م)في الكتابة عن التاريخ البطولي للقادة السياسيين الشراكسة من رؤساء وزعماء، وأمراء، ونبلاء، وقادة وعسكريين عامة، وخلال فترة حروب الإبادة والدمار الروسية التي امتدت من القرن السادس عشر وحتى القرن التاسع عشر الميلادي خاصة، وبالتالي فإن التاريخ السياسي أو العسكري أو الاجتماعي للحكام الشراكسة عبر العصور القديمة والوسطى والحديثة يخلو من ذكر لإنجازات عظمائها، لأن المؤرخين والكتاب الشراكسة

المعاصرين في الوطن الأم توجهوا في كتابتهم لتمجيد أعمال الرؤساء والقادة والسياسيين والعسكريين الذين خدموا الأيدلوجية الشيوعية، والفكر الماركسي، كما توجهوا لإبراز الأعمال الأدبية والثقافية والفنية والرياضية التي كانت في خدمة الحكم الشيوعي أولاً، والقومية الشركسية في الحدود التي لا تتعارض مع الأيدولوجية الشيوعية والفكر الماركسي ثانياً.

لكل ما تقدم، وبعد أن وجدت بأن الأمة الشركسية هي في مقدمة الأمم والشعوب القديمة التي أنجبت عظماء من القادة العسكريين والسياسيين والاجتماعيين والأدباء والحكماء كان لزاماً علي أن أكثف البحث والدراسة عن تاريخ مشاهير وعظماء هذه الأمة العظيمة حيث توصلت إلى الحقائق التالية:-

- **الحقيقة الأولى:-**

ربما كانت الأمة الشركسية أكثر الأمم والشعوب القديمة توثيقاً لعظمائها، وأبطالها في أساطير وملاحم النارتيين حيث ورد فيها أسماء العشرات بل المئات من الشخصيات التي كانت لها أدوار بطولية بارزة في حياة قوم (نارت) وهي شخصيات وإن التصقت في أعمالهم وإنجازاتهم القصص الخيالية، إلا أنها من المؤكد بأنها كانت شخصيات حقيقية.

- **الحقيقة الثانية:-**

انقطعت أخبار إنجازات وأعمال قادة الأمة الشركسية في عصر جماعة (ألمه-ؤت) وشعوب السند، والتوربت، والداندار، والزيخ، من قدماء أجداد الشراكسة الذين عاشوا ما قبل الألف الأول ما قبل الميلاد وحتى القرن الثالث ما بعد الميلاد، حيث أننا لم نجد في تاريخ هذه الشعوب ذكراً لاسم شخصية قيادية واحدة من قادة هذه المرحلة من تاريخ أجداد الشراكسة في عصر ما قبل التاريخ.

- **الحقيقة الثالثة:-**

قدم لنا المؤرخ الشركسي (نغموقة) أسماء (٢١) شخصية من القادة والعظماء الذي عاشوا في القرون الممتدة من القرن الرابع الميلادي وحتى القرن الخامس عشر الميلادي.

- **الحقيقة الرابعة:-**

استطعنا التعرف على أعمال وإنجازات العشرات من القادة العظام من شراكسة الأمة الشركسية الذين كان لهم أعمال بطولية في المرحلة الممتدة من القرن العاشر وحتى القرن الرابع عشر الميلادي، وهم القادة الذين تعرفنا على أسمائهم من تحليل أغاني الرثاء الشركسية (غبزة) ومن القصص والحكايات التي كانت تتردد في مجالس المضافات (حاشئش) في هذه المرحلة من تاريخ الأمة الشركسية.

- **الحقيقة الخامسة:-**

توصلنا من تحليل وقائع وأحداث القرون السادس والسابع والثامن عشر الميلادي، بأن أكثر من أمير، أو نبيل، أو زعيم قد تحدث عن أعمالهم وبطولاتهم المنشدون والمغنون المختصون بالأشعار البطولية من أمثال الأمير (أرسلان قايتوقة)، والأمير (تورغوق حاتوظوقة)، والأمير (كسيا قاوجوكين) والأمير (عادل كراي) كما اشتهر في هذه المرحلة قضاة عظام، وحكماء ومفكرين من أمثال (قازانوقة جباغى) والقاضي (وري) والقاضي (أبوق).

- **الحقيقة السادسة:-**

تشير سجلات ووثائق حروب الدمار والإبادة الروسية/ الشركسية في القرن التاسع عشر من هذه الحروب عامة وفي الفين سنة الأولى منها بأن العشرات من الأمراء والقادة العسكريين الأبطال والسياسيين قد قدموا اعمال بطولية خارقة في حربهم ضد قياصرة الروس الذين كان لهم الفضل في إيقاع خسائر كبيرة في صفوف القوات الروسية القيصرية الغازية لبلاد الأمة الشركسية في شرقها وشمالها وغربها.

الفصل الأول

عظماء ومشاهير وقادة عسكريين للأمة الشركسية في الوطن الأم في عصور ما قبل الميلاد

تقديم:

بتحليل ما تم جمعه من أساطير، وقصص وحكايات وأغاني النارتيين، توصلنا إلى بعض الحقائق التي تدل بأنها تتحدث عن وقائع وأحداث حدثت في مجتمع حقيقي، وأنها تصف بطولات شخصية واقعية، وأن امتزج هذا الوصف مع مرور الزمن ببعض الأوصاف الخرافية، التي اقتبست من أساطير الأمم والشعوب التي كان للنارتيين اتصال معهم مثل الأساطير الإغريقية، واللاتينية، والسومرية، والفارسية...إلخ، وبالتالي فإن أساطير النارتيين تتحدث عن وقائع وأحداث حقيقية في قوالب خيالية أو وهمية أو خرافية، ونستدل على ذلك من تأكيدات الباحثين والأدباء الذين بحثوا في أساطير النارتيين نذكر منهم:-

- **هوبشمان**، الذي يقول بأن أساطير النارتيين هي ذات منشأ شركسي، وهناك دلائل تشير بأنها تكتسب بالتدريخ مصداقية ويقيناً، كما يؤكد بأن الأساطير الشركسية والأوسيتية قد انتشرت معاً إلى القوميات الأخرى في القفقاس. وهي أساطير تصف حياة قوم كانت تعيش في مجتمع صغير قائم بذاته.

- **العالم تريزكوي**، في دراساته لأساطير النارتيين عام ١٩٣٤م ونقل عنه المؤرخ باتريك أوزبك في كتابه (أساطير النارتيين) يؤكد فيها بأن:- "**النارتيين بغض النظر عن صفاتهم فوق الطبيعة من حيث ضخامة الجسم والقوة البدنية وسيطرتهم على الريح والشمس وفي تأثيرهم ومشاعرهم وسلوكهم هم بشر، وأن الصورة المقدمة لنا في تلك الأساطير تمثل نظرة واقعية للعالم، فهم يهتمون فقط بالعالم المادي ولا يشغلون أنفسهم بالعالم الآخر أو بتصورات عنه، فالنارتيون والعمالقة والآلهة والأقزام (الجيسبي) الذين يمتطون الأرانب كل أولئك يعيشون نفس العالم، وأغلبهم يرتبطون بعلاقات متغيرة، تارة متفقين وتارة مختلفين، وتارة يُغلب الأبطال العمالقة، وأخرى ينتصر فيها العمالقة... إلخ**".

ويستطرد قائلاً:- "**أن علاقات وسلوكيات شخصيات أساطير النارتيين ليست متبادلة بين كل منها، وجميع الأطراف تبين بأن العلاقات بين العمالقة والآلهة وبين الأقزام والعمالقة لا يوجد لها تأثير، كما يمكن للمرء أن يتعرف في تلك الأساطير على مقدار معين من عدم كفاية المقدرة عند النارتيين لإنجاز المهام التي تصادفهم، ونجد أنهم بحاجة مستمرة إلى مساعدة من أناس أو حيوانات أو أسلحة خارقة للحصول على النجاح، وبناء عليه فهم يحملون قدراً معيناً من الاحترام والتقدير للعمالقة والآلهة وحتى الـ(جيسبي) المذكورين سابقاً والذين هم مخلوقات صغيرة جداً كانوا ذي إمكانيات عقلية عالية**".

وكذلك فإن معظم الذين بحثوا في أساطير النارتيين يؤكدون بأنها تتحدث عن أشخاص كانوا موجودين ضمن (قوم نارت) الذين عاشوا في مجتمع متكامل في عصور ما قبل التاريخ، وهو المجتمع الذي نستدل عليه من أساطير النارتيين ومن أشعارهم وقصصهم وحكاياتهم التي تؤكد لنا بأن (قوم نارت) كانوا قوماً مستقرين في مجتمع، ولهم مساكن ثابتة من نمط البيوت المتطاولة حسب وصف النارتي (اليدج) الذي وصف بيتهم بأنه عبارة عن بناء طوله ثلاثون خطوة وعاشوا في مناطق **(نارت سانا وينجيج، ويسيج)** في منطقة نهر الكوبان في شمال غرب القفقاس، كما توصل معظم الباحثين في أساطير النارتيين بأنها أساطير تمجد كافة أنواع الأعمال النبيلة والتحفيز على التمسك بالأرض والوطن وأنهم الحماة الشجعان لأرض الوطن، كما تمجد الفضيلة وعمل الخير وازدراء الأعمال الدنيئة أو غير الأخلاقية، ومساعدة الضعفاء والدفاع عن المظلومين.

وكذلك فإنها تحدثت في شيء من التفصيل عن مكانة المرأة النارتية فهي الأم الشفوقة المحبة، ومعلمة الأبطال المستعدين للقيام بالأعمال المجيدة من أجل بلدهم، وهي الصديقة الحكيمة المخلصة لزوجها والتي كثيراً ما تساعده على معرفة أسرار الطبيعة، وكيفية التغلب عليها، حيث أن (النارتيين) كانوا يلتمسون النصيحة من أمهم (ستاني- Stanei) التي كانت دائماً تساعدهم على الخروج من أعقد المآزق وكذلك فإن قصة (مليشيخ – Meleshipkh) الحكيمة الواسعة الحيلة والذكية تصف لنا حكمة وقدرة هذه المرأة في الصمود أمام النكبات كما تحتل (داخاناغو) مكانة خاصة بين نساء قوم (نارت) حيث كانت تسكن على المرتفعات الثلجية العسيرة المنال، وحاول (تسعة وتسعون) فارساً أن يمتلكوها لكنهم هُلكوا جميعاً دون ذلك، لأن كل واحد منهم كان يسعى للحصول عليها باستخدام القوة.

كما تؤكد قصص وأساطير النارتيين بأن النارتيين كانوا يلتقون كل عام ويقيمون ألعاباً ومباريات مختلفة، منها لعبة دحرجة عجلة ذات شفرات حادة من فوق "حرمه أواشحه" * ويعيدونها بضربها بأيديهم (المغطاة بكمّ الدرع) إلى القمة، كما كانوا يتسابقون بالخيل (جلوساً فوقها ونياما إلى جوانبها) ويلتقطون من الأرض وهي تركض بأقصى سرعة، أو يضربون البيض الملقاة على الأرض كهدف، كما كانوا يقيمون المباريات في المصارعة والرماية بالنبال وغيرها من الألعاب، بالإضافة إلى قيامهم بالرقص على حافة الموائد الدائرية الضخمة دون أن يحركوا أو يمسوا شيئاً من أواني الطعام التي فوقها.

خلاصة القول، فإن قصص وأساطير، وملاحم وأغاني النارتيين تتحدث عن حياة مجتمع شركسي متكامل يعيش فيه الفلاحون، والمزارعون الذين يحرثون الأرض بمحاريث تجرها سبعة ثيران، والصيادون ورعاة الأبقار ومربو الخيول والمواشي، كما ويعمل فيه صانع الأسلحة، وصانع الأدوات الزراعية، والصايغ، وغيرهم من الحرفيين والمهنيين المهرة، كما يشرف على تنظيم مجتمع النارتيين المجالس، والحكماء، والقضاة، والكهنة ويدافع عنهم الأبطال، والمقاتلون الشجعان من الشخصيات البارزة للنارتيين، وأن هؤلاء الشخصيات لم يكونوا شخصيات خرافية أو من نسج الخيال فقط، وإنما هم مخلوقات حقيقية (وإن التصقت بهم بعض الصفات الخرافية) وأنهم كانوا عظماء ومشاهير وأبطالاً عاشوا في شمال القفقاس في فترة ما قبل الألف الأول من الميلاد، ويشكلون النخبة المميزة من الشخصيات التي بلغ عددها عند كل من الباحث الأكاديمي (حداغالة) والمؤروخ (بازيف) حوالي (٣٠) شخصية وهم:-

١. ستناي
٢. ورزيميدج
٣. بيرغون
٤. تليبش
٥. فيرزيميد جيقوبيرشيقو
٦. ستنايقوسا وسريقو
٧. فيرزيميد جيقو – شباتنيقو
٨. خيميشيقو – تباراز
٩. تشئيليشيت
١٠. تاغيليدج
١١. ديخيناغو
١٢. تيريشاو
١٣. قاندجيقوشواي
١٤. ديغودج
١٥. اليدج
١٦. أدييف
١٧. قوليجيقوخر
١٨. ميليدجيبوخ – ازانيدجيقوا
١٩. شيوابتز
٢٠. يينيميقو بابوخ
٢١ ييشيميقو اشيميز
٢٢. باتشئيقو تتيرشاو
٢٣. نيسران جاجئة
٢٤. البيتشيقو توتاريش
٢٥. زيغاشت
٢٦. سيتيميقوخر
٢٧. بيويدج
٢٨. جيماور
٢٩. لاشين
٣٠. بيديف

* ممدوح قوموق، ملاحم نارت الشركسية، ومن ١٩٨٤م (ص:٦٣).

هذا بالإضافة إلى عدد كبير من الآلهة، وأرباب الحماية، ورد ذكرهم في قصص وأساطير النارتيين نذكر منهم:-

١. آخين	٨. اوشحاباخوا	١٥. (سوسيريش)
٢. أميتش	٩. باكوي	١٦. تحاغيليدج
٣. أوجيدج	١٠. بساتحة	١٧. تليبش
٤. بيمش	١١. بسيتاحاغواش	١٨. تيغوبتلوق
٥. ميريسا	١٢. زيقوتحا	١٩. واشا
٦. أو (ميريم)	١٣. شيبلة	٢٠. جيتحا
٧. ميزيتحا	١٤. سوسيريز	

ربما كان من المتعذر أن نتحدث عن جميع عظماء وأبطال النارتيين اجداد الشراكسة وإنما سنتحدث عن حياة أهم (خمس) من الشخصيات الأبطال العظام وهم:-

- **الشخصية الأولى وهي شخصية (ستناي جواشة)**، ويصفها (دوميزيل) بأنها امرأة يجتمع فيها الجمال والموهبة والذكاء، وتعتبر (المثل الأعلى للنارتيات) كما يصفها (باتريك) "بأنها تشكل نموذجاً للمرأة الحاذقة"، وهي بذكائها خير ناصح لزوجها وقومها النارتيين، وخير عون لهم في أوقات الشدة وفي اللحظات الحرجة" ولها علاقات طيبة مع جميع النارتيين، وكل الأبطال يطلبون يدها، كما كانت تمتلك قوى سحرية، بل حتى كانت تتمتع ببعض صفات (الآلهة) ولكن ليس هناك في الأساطير ما يشير إلى أنها كانت تمجد كواحدة منها، وفي كثير من الأساطير تتحدث عن مساهمتها في التقدم الحضاري، فهي تخترع أدوات جديدة مهمة لحداد النارتيين (تليبش) مثل الكماشة والسندان.

إن شخصية (ستناي) معروفة من قبل جميع قبائل (الأديغة) البالغ عددها (١٨) قبيلة بأنها هي أم النارتيين، وإن بعض النصوص في ملاحم نارت تشبه (ستناي) بالشمس وأن قصة "زهور ستناي" تبين بأنها هي الشمس بعينها.

وربما كان النص التالي خير وصف للصفات التي تميز شخصية (ستناي جواشة):-

" هي تلك ستناي، كل أفكار العالم من صنع يديها، وكل الجمال في الكون كان صورتها، كانت شريكة بطولاتنا نحن النارتيين، وفي الدروب الطويلة كانت رفيقة غزواتنا الليلية، وعندما يهاجمنا العدو كانت ضرباتها تصد العدو ومع ضرباتنا، وفي البراري كانت دليلنا الخصب، وعندما تقودنا إلى الصيد كانت تجعلنا نطهو، هي شمسنا في النهار كانت، وقمَرنا في الليل... تلك الأزهار التي ترونها هدية منها، فقد نبتت من أجل ستناي، إنها تزهر مرتين...إلخ".

وفي وصف آخر لشخصية (ستناي) توصل إليه الباحث (أسكربي)* في دراسته لملاحم نارت الشركسية بأنها (أم النارتيين) وهي التي ربت أبرز الأبطال أمثال:- (سوسروقة، بدنوقة، أشمز، شاوبي)، وأنها امرأة خارقة الذكاء تكشف للأبطال ما يخفى عليهم، وإذا هاجم الأعداء بلادهم فهي التي تحقق النصر للنارتيين، كذلك فإنها هي التي علمت إله الحداد (تلبش) طريقة صنع الأدوات واللوازم الحديدية.

وفي المراحل الأخيرة من حياة قوم النارتيين وجدنا بأن (نَسْرَنْ بن صوقال) رفض أن يعتبر (ستناي) أم النارتيين، كما رفض الانصياع لأوامرها قائلاً:- "**إذا كنا رجالاً، يجب أن يكون لنا زعيم رجل نطيع أوامره**". وهذا أصدق تعبير عن رغبة أجدادنا في التحوّل من "عصر سلطة الأمومية إلى

* شورتن اسكربي، النارتيين ملاحم شركسية، نالتشك ١٩٥١م، (ص:٢١).

عصر سلطة الأبوية"، وعندما سمعت (ستناي) بذلك تأثّرت تأثُراً شديداً فجمعت أمتعتها ورحلت إلى أطراف قرية (قنجالشحة) التي يسكنها قومها النارتيون.

- **الشخصية الثانية من شخصيات أساطير النارتيين هو(ساوســروقة)**، إن أحد أكثر الشخصيات المثيرة للجدل في الأساطير النارتية الشركسية هو (ساوسروقة ابن ستناي)، كما يطلق عليــه في نصوص الأساطير أكثر من لفــظ منهــا (ساوســروقة) و(سوســروقو) و(سورســيريقو) و(سوسيريقو) وهي أسماء كلها لشخصية واحدة.

- **مولد ساوسروقة:-**

جمع الباحث (ممدوح قموق) أكثر من (٣١) رواية عن قصة ولادة (ساوسروقة) ولسنا هنا في صدد بحث القصص العديدة التي تقص علينا روايات في غالبها روايات خرافية أكثر منها حقيقيــة، وإنما الذي يهمنا هو أن نستخلص بأن ستناي هي أم (ساوسروقة) سواء ذلــك بــالتبني أو بــالولادة الطبيعية، وأن بعض الرويات تقول بأنه الأبن الشرعي للراعي (وازيرميج أو وزيميــدج)وروايــات أخرى تقول بأنه ولد بطريقة غير عادية حسب اعتقاد (هويشمان) نتج عن (استمناء) الراعي المبهور بجمال (ستناي) على صخر وبالتالي بأن (ساوسروقة) خرج من صلب الحجر الذي سقط عليه (منية) الراعي بعد تسعة أشهر، وهي روايات خرافية تدوالها معظم قبائل الشراكسة منذ القدم.

- **شجاعة ساوسروقة، وأعماله الخارقة:-**

كان يتمتع بخصائص إنسانية كبيرة، كما كان بطلاً يمتلك شجاعة فائقة، وقدرات خارقة وصنع له (تلبش) (إله الحدادة) لدى الشراكس سيفاً خاصاً* من منجل، وكان ذلك المنجل يحتوي على خصائص سحرية، فكان يحصد المروج والحقول وحده.

كما كان (ساوسروقة) يقاتل أحياناً من أجل النارتيين وأحياناً ضدهم، ففي إحدى المرات سرق أحد العمالقة حبوب البذار من النارتيين، وكان ذلك العملاق يسكن خلف سبعة جبال، وسبعة أنهــر، وسبعة بحور، وبدون تلك البذور كان النارتيون معرضون للضياع، واستطاع (ساوسروقة) بــالكثير من الحيل وبعد مغامرات عديدة وبمساعدة حصانه الذكي أن ينتصر على العملاق وأن يعيد حبــوب البذار إلى قومه النارتيين.

وفي أحد الأيام تحاور "التحمادات" (أي الزعماء الكبار) من الآلهة حول من سيدعى لحــضور احتفالهم الذي كانوا يقيمونه سنوياً على جبل السعادة (حرمة أواشجة) فقال (إلــه) الحيــاة (بــسه – تحه):- "سندعو من هو الأشجع والأقوى من قوم نارت وهو (نيسران) ذو اللحية الطويلة، وتحاماته كل حفلات النارتيين وهو الأشجع والأقوى بين البشر"، وقال (سوسريش) إله السعادة المنزلــة:- "أن (شاواجبي) ابن كانش هو صياد نارتي جريء وهو أحق من الجميع للدعوة"، وثالــث قــال:- "بــأن (أميش – غورغونيش) راعي خنازير النارتيين الذي لا مثيل له يجب أن يكون ضيفنا"، ورابع قال:- "بأن (حتيميش) الأكثر استحقاقاً لاستضافته لأنه أفضل مزارع بين النارتيين".

وعندها وقف إله الحدادة (تليبش) وقال:- "**بأنه ولد إنسان على الأرض، لديه من القدرات ما يجعل كل الأبطال الذين ذكرتموهم يقفون احتراماً عند ذكر اسمه، نعم أيها (الآلهة)، لقد ولــد فــي أرض (قوم نارت) رجل حقيقي، استطاع أن يقتلع سنداني الذي كان منغرساً حتى الأرض السابعة، لقد انتزعه من الأرض بكامله ثم عاد فغرسه ثانية حتى وصل إلى الأرض التاسعة، إنــه مــا زال صغيراً ولكن أرض النارتيين لم تعرف رجلاً بقوته منذ أن وجد البشر**".

فتقرر دعوة (ساوسروقة) واحتفلوا به وشربوا نخب شراب (السانو) المصنوع مــن عناقيــد العنب تقديراً لبطولاته ولأعماله الخارقة، وخدماته لقوم نارت (الأديغة).

* حداغالة، أسكر، الجزء – ٢، ١٩٦٩م، (ص:٥٣).

- **أعمال ساوسروقة البطولية ومهارته وقوته الخارقة وتتمثل بالأعمال الخارقة التالية:-**

- قدرته على شق الصخرة الكبيرة بضربة واحدة من سيفه.
- اطلق سهماً في السماء وأصاب طائر(السند) بسهم واحد.
- أفضل واحد في قوم نارت يرمي السهام إلى أبعد مسافة.
- أقوى رجل من قوم نارت في لعبة مصارعة الغرز في الارض.*
- أسرع رجل في دفع العجلة الحديدية ذات الشفرات الحادة إلى أعلى الجبل وإعادتها لأعلى.
- تغلب في كل ألعاب النارتيين على أقوى ثلاثة رجال في قوم نارت وهم (يشايا – كوكوج – بنوقة).

زواج ساوسروقة:-

تزوج ابنة جلاخستان ذائعة الصيت والجمال (بدوك) والتي كان يصفها النارتيون بأنها هي الشمس في النهار والقمر في الليل.

ولما سمع (ساوسروقة) بأخبار (بدوك) شدّ السرج على حصانه (تخوجي) وذهب إلى مسقط رأسها لرؤيتها شخصياً، ولما وصل بيتها وجد بصعوبة مربطاً شاغراً لحصانه لكثرة الخيول التي جاءت بفرسانها لخطبة (بدوك الجميلة)، وتوجه (ساوسروقة) نحوالمضافة واستقبله (جلاخستان) والد (بدوك) مستهزئاً وقال له:- "إذا كانت نيتك مثل نية الفرسان من شباب النارتيين لخطبة ابنتي، يا ابن راعي البقر، فلنبدأ دون لف أو دوران، قالها وهو ينظر باحتقار إلى (ساوسروقة)"، وقال عليك أن تنفذ شروطي أولاً قبل طلب يدها، واستطاع (ساوسروقة) تحقيق شروط وطلبات (جلاخستان) والد (بدوك) حيث نفذ الشرط الأول بسهولة ويسر حيث خلع الرمح المغروس في الأرض دون عناء، كما استطاع تنفيذ الشرط الثاني، وهو صيد طير (السنونوة) التي تمكن منه في السماء برمية واحدة من سهمه، كما استطاع تحقيق الشرط الثالث وهو الرقص على سبعة تلال من الشوك على رؤوس أصابعه وهو (حافي القدمين)... إلا أن (جلاخستان) تراجع عن وعده بأن يزوجه ابنته (بدوك) بالرغم من تحقيقه شروطه الثلاثة سابقة الذكر...وطلب شرطاً تعجيزياً رابعاً من (ساوسروقة) وهو اللحاق (ببدونوقه) أحد الحضور من شباب قوم نارت الأقوياء، الذي خرج من بيت (جلاخستان) غاضباً لعدم تمكنه من الزواج من ابنته (بدوك) حيث استطاع (ساوسروقة) اللحاق به واقناعه للعودة معه إلى بيت الجميلة (بدوك) وهو الأمر الذي أقلق والدها (جلاخستان)، فأغلق في وجههما بوابة القلعة، ومنعهما من الدخول إليها... إلا أن (ساوسروقة) وبذكائه الخارق وبشجاعته الفائقة استطاع أن يقتحم القلعة وأن يمد يده إلى يد (بدوك) فأنزلها من الشرفة، وأجلسها على حصانه أمامه، وانطلق بها عائداً إلى قومه... وهكذا تزوج (ساوسروقة) من الجميلة (بدوك بنت جلاخستان).

- **الشخصية الثالثة هو(تئيميز)**، يقول المؤرخ (أوزبك) في كتابه (أساطير النارتيين)، بأن جميلة من قوم نارت اسمها (ديخناغو) كانت تعيش في الغابات الواقعة خلف الجبال بحيث لا يمكن الوصول إليها أو النيل منها، ولكن أحد النارتيين واسمه (تئيميز) لم يصدق ذلك، وقرر الوصول إليها، وعندما دخل الغابة حاولت وحوشها قطع الطريق عليه ولكنه قتلها جميعها، وعندما وصل إلى أطراف الجبال التي تعيش (ديخيناغو) خلفها، انقض عليه نسر هائل كان يطير فوق تلك الجبال، ولكنه استطاع قتل ذلك النسر أيضاً، وبعد أن عبر (تئيميز) سبع جبال اعترضه (عملاق) ذو عين واحدة، تبرز من صدره سكين من العظم، فقتله (تئيميز) أيضاً وعندها خرج له فارس

* تعتبر من ألعاب المصارعة التي كان يمارسها الشراكسة منذ عهد قوم نارت، وفيها يتم النصر للمصارع الذي يُغرز خصمه في الأرض ولا يستطيع التحرك بعده.

يمتطي حصاناً بدون سرج وبدأت معركة شديدة بينهما عاجل (تئيميز) الفارس بضربة جبارة على رأسه، فانفلقت خوذته إلى شقين، وتدلى من رأسه شعر طويل، وإذ هي (ديخيناغو) الجميلة، وبعد ذلك تزوجها (تئيميز) وعاد بها إلى بلده في أرض النارتيين.

- **الشخصية الرابعة و هوالنارتي (اليدج)**، تذكر الأساطير لنا بأن النارتي (اليدج) كان تحاماته (رئيس) فرقة القتل في (مجلس الموت) النارتية، وكان الأكثر ضخامة وقوة بين النارتيين، وكذلك كان يسكن بيتاً أوسع وأطول من المعتاد، بناه فوق هضبة (كورغو)، وتذكر الأسطورة أن طول بيت (اليدج) كان ثلاثين خطوة، وأن مدخله إلى الجنوب، وأن أعمدة سقفه كانت من الضخامة بحيث تحتاج إلى سبعة ثيران لرفعها، وأن الدخول إلى فناء الدار كان يتم عبر باب مبني من جذوع أفقية فوق بعضها، وكانت من الضخامة تصل إلى ارتفاع رقبة حصان، وأن فتح الباب أو إغلاقه كان يحتاج إلى قوة عشرين رجلاً، وما بين بوابة الدارة وباب البيت كانت توجد بركة من الوحل يصعب على الإنسان اجتيازها راجلاً كان أو ممتطياً جواداً، وقد كان البيت نفسه مرتفعاً لدرجة أن (اكواندة) ابنة (اليدج) كانت تستطيع من فوقه أن ترى إلى مسافة تعادل ما يقطعه الفارس على جواده في سبعة أيام، وعند بلوغه سن (الثلاثمائة) عام، كان يستطيع امتطاء صهوة جواده والمحافظة على كامل قواه الجسمية.

وقد تزوج هذا النارتي مربوع القامة من (بيتن) وهي نارتية لم يرض اخوتها عن زواجها منه، لأنها كانت فتاة جميلة، بينما يوصف هو بأنه كان قبيحاً، وبعد أن ولدت (بيتن) أول مولود لها ذهبت محملة بالهدايا حسب العادة النارتية إلى زيارة أهلها وقضاء فترة من الزمن بينهم، ولكن اخوتها أهانوها فعادت إلى زوجها (اليدج) وحدثته عن ذلك وطالبته بأن ينتقم منهم فذهب إلى قريتها وقتل اخوتها جميعاً.

وقد لاقى (أليدج) حتفه على يد النارتي (ساوسروقة) وتحققت أمنية (ساوسروقة) بأن تأكل الديدان رأس (اليدج).

- **الشخصية الخامسة وهو(اشيميز باشيميقو)**، هو أحد سبعة أبناء للنارتي (ياشيم)، وأما أمهم فهي (نارتية) وكانوا يعيشون معاً على قطعة أرض واسعة يمتلكونها في بلاد النارتيين، وكانت أرض (ياشيم) تجاور أرض العملاق (تليفوج جاجئة) وبسبب شجرة ضخمة في أرض (ياشيم) تستظل بظلها آلاف الخرفان حدث نزاع بين صاحبي الأرضين، وتحول النزاع إلى قتال بين الاثنين حيث قضى العملاق على النارتي، وقد أراد أبناء (ياشيم) السبعة الثأر لوالدهم، وظن العملاق بأنه قد أصبح في مأمن من الانتقام، ولكنه لم يكن يعرف أن زوجة (ياشيم) كانت حاملاً، ولحماية أرملة (ياشيم) من غدر العملاق قام جيرانها بإخفائها في مكان آمن، وأتمت النارتية حملها وولدت طفلاً أسموه (اشيميز باشيميقو) وحماية للطفل وحتى لا يعرف العملاق بأنه ابن (ياشيم) فإن نساء نارتيات مختلفات أرضعن الطفل الصغير (اشيميز)، وكان يمارس مع أترابه في السن لعبة (الكعب) وكان يربح باستمرار، وقد غضب الأطفال النارتيون من ذلك وقالوا له: "**إذا كنت حقاً بهذه العظمة والبراعة، أرنا إذن شجاعتك وحاول أن تعرف من الذي قتل أباك؟**".

لقد سمع (أشيميز) هذه الكلمات وبدأ يدرك الأمور، فذهب إلى البيت وقال لأمه بأنه جائع، وأحست الأم بأن هناك شيئاً يضايق ابنها، ولم تكن قد حدثته قبل الآن عن موت أبيه على يد العملاق خوفاً عليه، وعندما أعدت الأم الطعام وأرادت تقديمه لابنها الجالس على المائدة، خاطبها ولدها قائلاً: أماه اجلسي إلى المائدة دعينا نأكل معاً، ثم أمسك بيد أمه وسحبها إليه وغمسها في صحن (المرامسة) ساخنة وثبتها بقوة حتى اضطرت أمه بسبب الألم إلى اخباره عمن قتل والده، ثم أسرج (اشيميز) جواد أبيه وتمنطق أسلحته وخرج ليأخذ بالثأر، وقد اعترض العملاق وقضى عليه بعد صراع مرير

ولكن غضبه لم ينطفئ بذلك، فقد شعر بالكراهية تجاه كل العمالقة وخطط لأن يبيدهم جميعاً، وكما تقول الأسطورة فإنه نفذ ذلك.

ويقول الباحث في أساطير النارتيين (حاداغالة) لم يكن شجاعاً وقاتلاً للعملاق فقط وإنما كان هو مخترع الآلتين الموسيقيتين (الناي والبخجيج)، وخلاصة قصة اختراعه هاتين الآلتين كانت على النحو التالي:- "حدثت مرة أن استلقى (أشيميز) في غابة ليستريح من عناء يوم شاق، وبدأت السماء تمطر وتبرق وترعد، وقد اقتلعت العاصفة شجرة غليظة، وصار احتكاك الريح بالشجرة الواقعة على الأرض يصدر أنغاماً عجيبة، وقد استيقظ (اشيميز) على هذه الأصوات متعجباً وتساءل عن مصدرها وعندما انتبه إلى أنها تاتي من الشجرة أخذ يقترب منها بحذر، ولاحظ أن جذع الشجرة كان أجوفاً بعد أن نخرته الديدان، فقطع جزءاً من الشجرة ونفخ فيه، فصدرت عنها نفس الأنغام التي كان قد سمعها من قبل، وهكذا كان (أشيميز) أول نارتي يتعلم كيف يصنع الناي، وبدأ يعزف على الناي، وفيما بعد جمع بضع صفائح خشبية وربطها إلى بعضها واخترع بذلك البخجيج.

بعد أن اخترع (أشيميز) الناي والبخجيج تخلى عن القتال، وتفرغ منذ ذلك الحين إلى الموسيقى، وصار يتنقل من مجموعة (زخُس) إلى مجموعة أخرى ويفرح النارتيين بفنه، إلا أنه مات بعد قتال متكافئ مع البطل النارتي (قونيوود)، ولم يتزوج (أشيميز) ولعل السبب المنطقي المحتمل هو ما يتعلق بكونه رضع من كثير من النساء النارتيات مما يحرم عليه بناتهن كزوجات حسب العادات الشركسية.

الفصل الثاني

عظماء ومشاهير أجداد الأمة الشركسية (الأديغة) في القرون ما بين الرابع وحتى الخامس عشر ميلادي

ربما كان أفضل من كتب عن عظماء ومشاهير وأبطال الأمة الشركسية للأجداد من شعوب الآنت/ الأديغة ما بعد الميلاد هو الكاتب الكبير (شورا بكمرزا نغموقة) * حيث ذكر لنا أسماء (٢١) بطلاً من الأبطال الذين نالوا شهرة عالمية واسعة وظلت اسماؤهم محفوظة في الروايات والأساطير الشركسية القديمة وهم:

١. اليج Allig
٢. لابزا Labza
٣. جوستين Justin أو جوستوق Justuk
٤. سوسيروق Sosiroki
٥. أسيرمك Osirmeg
٦. إيريخا شـــاو Iricha-shao
٧. قانجة Kandje
٨. شاوه Shao
٩. آشه Asha
١٠. آشه مز Ashamas
١١. خيماش Chimash
١٢. باتيراس Batiras
١٣. أولبك Olbek وابنه
١٤. تاتارآش Tatarash
١٥. ناسران ظاقه Nassiran Zaka
١٦. ظندو ظاقة Zendu Zaka
١٧. أيمس Imiss
١٨. أيسم Issim
١٩. مالخ Malch
٢٠. داو Dao
٢١. باقـــسن Bakssan ابــــن داو الأكبر

يقول (نغموقة) بأن أول ثلاثة أسماء من الابطال يستدل من اسمائهم على أنهم مـــن الإغريـــق وليسوا من الشراكسة إلا أن الآخرين هم من المشاهير والأبطال الشراكسة مـــن القـــادة العـــسكريين العظام ورؤساء وزعماء وأمراء نالوا شهرة عظيمة نستدل عليها من الروايات وأغـــاني البطولـــة، وأغاني الرثاء التي كان ينظمها الشعراء بعد كل معركة في تلك المرحلة.

وبالبحث في السجل التاريخي لأحداث ووقائع تاريخ الأمة الشركسية في العصور القديمة، لـــم نجد من المعلومات والبيانات التي تمكننا من توثيق سيرة حياة معظم الأبطال السابق ذكرهم من حيث العصر الذي ولدوا فيه، وطبيعة البطولات التي احرزوها، وكذلك المراكـــز القياديـــة التـــي كـــانوا يشغلونها في عصرهم.

أولا: عظماء وأبطال الشراكسة من القرن الرابع إلى القرن التاسع الميلادي

توصلنا من تحليل الروايات والأساطير وأناشيد الأبطال وأغاني الرثاء التي كانت تنظم فـــي الأبطال العظماء الذين سجلوا بطولات خارقة، وأظهروا شجاعة منقطعة النظير.. توصلنا إلى بعض

* شورا بكمرزا نغموقة، موجز تاريخ الأديغة (الشركسي) القديم، ترجمة الدكتور شوكت المفتي، عمان، ١٩٥٣م، (ص:٤٦).

المعلومات عن الأعمال البطولية لإثني عشر من القادة العظماء الذين كانوا من الرموز والمشاهير في المرحلة الممتدة من القرن الرابع الميلادي وحتى القرن التاسع منه وهم الأمراء:-

*** داو – Dao وابنه الأمير باقسان – Bakssan ، * جاتم دوكر ، * شاوباكر ، * لوريستان أو لاوريستان ، * ألجوقة ، * شاميخا ، * حاتوظوقة ، * حراتلوقة ، * حاشو ، * اسلام بـك ، * قبش كوكو ، * ينال الكبير أمير أمراء القيرطاي ، * موقوج نطنوقو باديو.**

وفيما يلي نبذة موجزة عن أعمال وإنجازات بعض عظماء ومشاهير أجداد قدماء الشراكسة (الأديغة) في الفترة من القرن الرابع إلى القرن التاسع ما بعد الميلاد:-

- **الأمير داو – Dao**، والأمير باقسان ابن الأمير (داو) واشقائه السبعة الذين قتلوا في حربهم ضد قبائل القوت/ القوط حيث أشار المؤرخ القوطي (جورناندي) بأن قبائل القوط سبق لها أن غزت بلاد الشراكسة وبالأخص منطقة قبائل (الأديغة) المجاورة لهم في حوض نهر الدون في منتصف القرن الرابع الميلادي وقتلوا أولاد الأمير (داو – Dao) الثمانية منهم الأخ الأكبر (باقسان) وعبر المقاتلين الشراكسة عن وحشية هذا القتل الجماعي لأولاد (داو) بضربهم على صدورهم حزناً كما قامت نساء مجتمع (الأديغة) بنزع شعورهن من رؤوسهن أسىً، كما وأنشدت شقيقتهم الوحيدة حزناً على أشقائها قائلة:-

  - **إن بطولة (باقسان) وهمته أوقدتا نار الحمية في قلوب شعب (الآنت).**
  - **يا بطل يا (باقسان) ابن (داو) وإن كانت الروح قد فارقت جسدك لا تدع (القوت) يمسون كرامتك.**
  - **وإذا أرادوا اخضاعك، لا ترض بسلطتهم.**
  - **واستطردت قائلة:-**
  - **كان الشعب كله يدعوك بالمقدس الطاهر.**
  - **وكان القوم يستمدون منك العزم والاطمئنان.**

وكلفت شقيقتهم النحاتين اليونانيين بعمل نصب تذكاري للأخ الأكبر (باقسان) وما زال قائماً حتى الآن في الوطن الأم في القفقاس.

- **الأمير لورستان**، وتتمثل بطولة هذا الأمير الشركسي بمشاركة العشرات من زملائه الأمراء ورفضهم الاستسلام وتقديم الطاعة لقادة الأوار الذين هاجموا بلاد (الأنت) أجداد الشراكسة وتعاملهم مع رُسل قادة (الآوار) بعلياء وكبرياء، وردوا طلبهم بجفاء، وأجابوهم بكلمات جارحة، فألح رسل (الخان) في طلبهم وهددوهم بقوة سيدهم، حتى احتدم الجدال، وقال لهم الأمير: "**سنحاربكم وسنقاتلكم حتى لا يبقى من (الأديغة) شخص واحد قادر على حمل السيف**" **وقاموا بقتل رسل الخان الذين دفعوا حياتهم ثمنا لوقاحتهم.**

وكان من نتائج هذا الموقف الشجاع من الأمير (لوريستان) وزعماء (الأديغة) أن قاد الأوار بقيادة قائدهم (بايقان) هجوم كبير على مناطق القبرطاي، نتج عنه تخريب البلاد واحراق القرى، وإتلاف الزرع، والإمعان في تقتيل السكان وتشريدهم، اضطروا معها الفرار (عُزّلا) إلى الجبال والكهوف والغابات الكثيفة هربا من وحشيتهم وانقاذاً لأنفسهم من الهلاك والفناء وقُتل الأمير (لوريستان) في تلك المعارك.

- **أمراء وقادة أبطال شاركوا في حروب الشراكسة ضد جيوش الآوار في القرنين السادس والسابع الميلادي**، نستخلص من قراءة القصائد والأشعار التي نظمها شعراء شراكسة لتمجيد بطولة أمراء وقادة أكثر من عشرة أمراء شراكسة شاركوا في حروبهم ضد جيوش الآوار وهم:-

١. **الأمير (ألجوقة)**، وقال عنه الشعراء بأنه البطل الذي لا يعرف الخوف وما كان ليجزع من هول النيران، بل وثب فيها وثبة الأسود فاختفى.

٢. **الأمير (حاتوظوقوه)**، وقال عنه الشعراء بأنه لم يسبقه أحد في يوم الرهان.

٣. **الأمير (جراتلوقوة – Sheratluko)**، وقالوا عنه أنه القوي الذي هزم الجمع وانتقم لاخوانه شر انتقام، وبينما وهو يهاجم الأعداء ببسالة كان يرى روح أبيه محلقة في الفضاء، ليرى الصالحات من أعمال ولده الذي كافح الأعداء بلا معين.

٤. **الأمير (حاشو– hashow)**، الشاب الذي تحفز مرارا ليثب نحو الأعداء ليقاتلهم لو لم يمنعه عن ذلك الشيوخ الذين رق قلبهم على والدته العجوز الأميرة (شاميخا – Shamicha)، التي قبعت في دارها وهي تذرف الدمع من هول الأسى والجزع.

٥. **الأمير (قبش كوكو – Kipsh Gugow)**، قالوا عنه أنه كان أنيقاً في لباسه وخوذته حتى في الحرب.

٦. **الأمير (اسلام بك – Islam)** ، قالوا عنه بأن أمطر على الأعداء بوابل من السهام من قوس جده الكريم.

٧. **القائد الشجاع (موقوج يظنوقو باديو)** ، قالوا عنه بأنه كان يتخبط بدمه في ظل راية (الخان) إذ رماه سيف العدو وخر صريعا.

٨. **القائد البطل (جاتم دوكر)**، الذي رده الأعداء رجع ثانية إلى ساحة الوغى ليخوض المعارك الدامية.

٩. **وكان آخر الأبطال هو (شاو باك العملاق)**، الذي أراق الدماء على جوانبه وهزم جموع الأعداء شر انهزام.

ثانياً – عظماء ومشاهير أجداد الشراكسة في الفترة الممتدة من القرن العاشر وحتى القرن الثالث عشر الميلادي:–

تشير الوقائع والأحداث التي وردت في بعض الوثائق القديمة وفي الروايات والأغاني من التراث الشركسي (الشفوي) بأن هذه المرحلة كانت مرحلة الحروب ضد دولة الخزر، والتورقوت، والتتار والمغول، وتوصلنا إلى بعض المعلومات والبيانات عن الإنجازات والأعمال البطولية لعدد من الأمراء والنبلاء والقادة العظام الذين اكتسبوا شهرة كبيرة لأعمالهم البطولية وشجاعتهم الباسلة نذكر منهم الأمراء والقادة التالية أسماؤهم:– *

* قازي ابن بشى باتوقة ، * بش يزروفة بولاتوقة ، * جلاخستان ، * أجوقة قان شاو

* بشى باتوقة ، * كلمات ، بش قادر شادية ، * قدير شوقة ، * يش اينال الكبير ،

* مايسوروقة ، * ايدار حفيد الأمير ينال الكبير .

كما تشير الوقائع التاريخية بأن المعركة الأولى قد بدأت بين الشراكسة وبين جيش دولة الخزر وخرج "بشي بزروقة بولاتوقة" والأمير "الجوقة قان شاو" لصد غارة الخزر على (تاماتركان) وقد سار الأمير (الجوقة) في الطليعة فاصطدم فجأة بجيش العدو الذي أحاط بقوته القليلة، فاشتبك في قتال ضار مع العدو، ووقع أسيراً، وحين أدركت قوة (بزروقة) المعركة أحاطت به قوات (الخزر) وحدثت معركة شديدة، وانسحب الخزر مغلوبين إلى عاصمتهم الصيفية (سرقلة) ومعهم الأمير (الجوقة) أسيراً، ونظم أحد العشائر الشراكسة على أثر أسر الأمير (الجوقة) قصيدة قصيرة نقتبس منها الأبيات التالية:–

* لم يتمكن المؤلف من توثيق كامل الأعمال وانجازات ومسيرة المشاهير والابطال في هذه المرحلة من تاريخ الشراكسة.

كما من الأيام مضت وعين (الجوقة) اليمنى تحرس البحار.
لقد توالت الأيام وهو في انتظار قدوم السفن الجسيمة.
ومضت السنون وهو ينتظر قطع الفضة ليبتاع حريته ثانية.
لقد أقسموا له بذلك أمام الله، وهذا شيء عظيم.
الويل والخراب؟! فانتظر الرحمة اذن من بني قومك في (سرقلة). *
حلفوا لك الإيمان مرارا أمام الله .. وهذا شيء عظيم.
ولكن الإيمان ذهبت أدراج الرياح.. و(الجوقة) البطل.
يقضي أيام شبابه في ديار الغربة عبداً أسيراً.

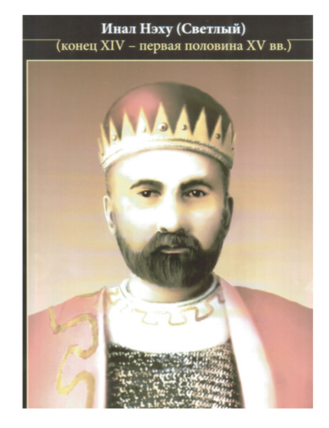
واستطاع قادة الشراكسة من اطلاق سراح الأمير (الجوقة) في المعركة الثانية لهم ضد دولة الخزر واحتلوا عاصمتها.

كما تشير وقائع وأحداث القرن الثالث والرابع عشر بأن حروباً دامية وقعت في هذين القرنين حيث كانت جيوش التورغوت قد بدأت في الاعتداءات وهم أجداد القالمون الحاليون، حيث فاجأت هذه الجيوش القبائل الشركسية التي **كانت بقيادة الأمير (بشى باتوقة) والأمير (قدير شوقة) من القبرطاي**، فأعد لهم الأمراء ذوي الخبرة والحنكة الخطط المناسبة لمواجهة العدو مجهول العدد والعدة، وانتصرت فيها قوات القبرطاي المدعومة من مقاتلين من شراكسة ما وراء الكوبان في معركة في موقع اسمها "قاج طاو" ووردت أسماء عشرات من الأمراء والقادة العسكريين الأبطال الذين قاتلوا بشجاعة في هذه المعركة نذكر منهم بالإضاقة إلى الأميرين (بشى باتوقة وقدير شوقة) فإن كل من الأمراء: (تابسوروقة، قازي بشى باتوقة، وجلاخستان، وكلمات، وبشى قادر شاوقة) وغيرهم من الأمراء كانوا من الأبطال الذين هزموا جيوش المغول والتتار في أكثر من معركة وموقعة حربية.

ثالثا: عظماء ومشاهير الشراكسة في القرنين الرابع والخامس عشر.

ظهر في هذين القرنين عظماء ومشاهير من الأمراء وأمراء والقادة العسكريين نذكر منهم:

(١) أمير الامراء إينال نخو (أي النور) أو اينال الكبير



أمير الامراء اينال نخو

الأمير الأسطورة الذي يعد جد أمراء قبائل القبردي والبيسلاني وتمرقواي والحتقواي والجكوي. وهناك أكثر من رواية عن أصله منها أن أصوله تعود إلى عائلة خيتاغور الأوشية، كما أن إحدى الفرضيات تقول بأنه كان سلطانا من السلاطين الشراكسة في مصر وبلاد الشام وعاد إلى موطنه في شمال القوقاز.

يعتبر أول من أسس دولة شركسية في أواخر القرن الرابع عشر وأوائل القرن الخامس عشر.

كما قام بأعمال عظيمة وجريئة تمهيدا لتوجيد شعبي القبرطاء والأبخاز نذكر منها الأعمال التالية:

* سرقلة هي عاصمة دولة الخزر.

١. مطاردة الأشقياء من الأمراء الشراكسة الذين عصوا أوامره وخرجوا عن طاعته، ونشروا الفساد في البلاد، وقاموا بإحداث العديد من أحداث الشغب ونشر الفتن بين عامة الشعب.

٢. صد هجمات الأمراء الشراكسة الخارجين على القانون والهاربين إلى الغابات والمعتصمين بأعالي الجبال الوعرة، حيث قام الأمير بمهاجمة معاقلهم وقضى عليهم وعلى أتباعهم، وألقى القبض على ثلاثين من قادتهم وزعمائهم وأعدم عشرة منهم وأجبر الباقين على أداء يمين الطاعة والولاء.

٣. تأديب السكان الجبليين الجنوبيين الذين أعلنوا العصيان والتمرد على قيادته بزعامة الأمير (أوزدنير) وقتل عدداً من المتمردين العاصين الذين اعتبروا خارجين على القانون.

واستطاع الأمير (إينال)* بعد القضاء على الفساد والمفسدين في البلاد من توحيد قبائل القبرطاي والأبخاز وتأسيس (دولة) شركسية مزدهرة عمَّ فيها الخير والرخاء، وأقام فيها (٤٠) حاكما من القضاة وكلفهم بإدارة البلاد وتسيير دفة الحكم فيها بعدل واستقامة ونزاهة. وكان عاصمتها (بزيقا) الابخاز بالقرب من (غاغرا).

واختلف المؤرخون عن مكان وجود قبره كما اختلفت الروايات التي تشير إلى المكان الذي دفن فيه... فبعضها تحدث بأ،ه مدفون في مكان يحمل اسم (إينال قوبا) بالقرب من قرية بسخو الأبخازية عند منابع نهر بزب، ومصادر أخرى تقول أنه مدفون في قرية (إينال) على شواطئ البحر الأسود في منطقة الشابسوغ بالقرب من قرية غيليندجيك الحالية. كما يوجد في القبردي في منطقة (زلوقوة) جبلا يحمل اسم (إينال) كما تقول بعض المراجع التاريخية أن الأمير العظيم إينال مدفون عن سفحة. ويذكر أن بعثة أثرية انتروبولوجية مشتركة من القبردي وابخازيا بدأت العام الماضي عمليات التنقيب في قرية بسخو الأبخازية بحثا عن قبر الأمير الموحد للأمة الشركسية.

وأما الأمير إيدار حفيد (ينال) من زوجته الثانية، الذي يعتبره المؤرخون عامة، و(نغموقة) خاصة بأنه (خليفة) جده الأكبر (ينال) في حكمته وقوة شخصيته، واستطاع اصلاح ذات البين بين الأمراء احفاد ينال الكبير من زوجاته الثلاثة وفرض عقد الصلح بينهم بعد أن قابل الشر بالشر، والقوة بالقوة، حيث قام بجمع جيش كبير من قبائل (الكاخ والكغالك والبظة دوغ والموخوش) وغيرهم من شعوب ما وراء الكوبان، وسار نحو بلاد القبرطاي لتحقيق هدفين:- أولهما تأديب المتخاصمين، وثانيهما أخذ حصته من إرث أبيه ابن ينال الأكبر.

وقبل وصوله إلى بلاد القبرطاي جاء إليه الأمير (قونوقو – Konuko) أحد أحفاد الأمير (ينال) للتشاور معه.

أما القبارطاي فحينما سمع امراؤهم بما نواه (إيدار) أخذوا يستعدون للحرب وأرسلوا يطلبون المعونة من عدة أقوام في الجبال، وكان اعتمادهم على قوم (الأوس) الذين كانوا حلفاءهم منذ القدم وتربطهم بهم أواصر القرابة إذ المعلوم أن زوجة (ينال) الأولى كانت ابنة ذلك الفارس العظيم والأمير الشهير (آشا) أمير الأباظة، فلم يخيب الأباظا أملهم، بل أرسلوا إليهم جيشاً يبلغ عدده ثلاثة آلاف مقاتل، وأكثرهم من المشاة وعندئذ تشاور الأمير (إيدار) وابن عمه (توختامش) وقرروا أن يرسلا إلى القبارطاي وفداً مؤلفاً من الرجال ذوي المكانة ليبلغ امراءهم مطالب (إيدار) وأن الأمير (ايدار) لا يريد منهم سوى التسامح واصلاح ذات البين حتى يتمكن الاخوة من العيش معا في هدوء وسلام، ومطلبه الوحيد هو تقسيم بلاد القبارطاي تقسيما عادلاً، يضمن حق كل منهم على أن يعطي الأمير (ايدار) أيضا ما يصيبه ويصيب أقاربه من ارث أبيه، ويترك الباقي من تلك البلاد لأحفاد (ينال) الذين هم من أعقاب أولاده من زوجته الأولى إلا أنهم لم يقبلوا اقتراحات الامير (ايدار) بل ردوا رسله على أعقابهم خائبين بعد أن عاملوهم بقسوة وغلظة، فاغتاظ الأمير (ايدار) غيظا شديداً وقرر أن يحتل شعب القبارطاي وبلادهم بالقوة، واشتبك الفريقان في موقع يسمى (قاز بوت) وهلك في هذه الموقعة عدد كبير من الفريقين وقتل من الأمراء كل من (قالستان – Kalstan) و (آيباك –

* اطلق على الامير اينال لقب (Naokh) نهو لأنه كان ناصع البياض يشع نوراً.

Aibak) و(دوداروقة – Dudaruko) و(توختامش) وابنه (قاليش)، ودخل الأمير (ايدار) بلاد القبرطاي منتصراً وتسلم زمام الحكم فيها، وأصبح الحاكم الأعظم وأمير البلاد في طولها وعرضها، ونستدل على عظمة الأمير (ايدار) وشجاعته من أبيات الشعر التي تصف بطولته من قبل بعض الشعراء القبرطاي، حيث تضمنت الفقرات الشعرية التالية:-

*** ففي الفقرة الأولى قال الشاعر:-**

- **بالرغم من أن الدماء كانت تغمرها كان الفارسان الشهيران**

(يلجر) وربيبه (ايدار) أشدهم عنادا،

- **وأما (يلجروقة) فتراه تارة يقتحم الصعاب ويتخطى**

الأسوار وتارة يرجع خائبا إذا أعاقته الموانع.

*** وفي الفقرة الثانية وصف الشاعر شجاعة كل من الأمير (إيدار) وعدد من الأمراء الذين حاربوا معه بقوله:-**

- **قاتلا قتالاً مرا، ثم مسحا بلجامها ايديهما الملوثة بالدماء**

والأخوان البطلان ولَدا (بوغارصوقو) بعد أن قتالا

- **زاعمين أن العدو اللدود قد خضع أبديا**

والشجاع (يلجر) والأمير (ايدار) والأمير الباسل (يلجروقة)

- **الذي شكته السهام إلى سرجه، لم يغادروا ساحة الوغى**

وظلوا مقاتلين حتى النهاية.

*** وجاء في الفقرة الثالثة ما نصه:-**

- **هنا اندلعت ألسنة اللبيب في بلدة(بوغارصوقة)**

وهناك تعالى عويل الأهلين الذين فروا من قرى (تشانشان – Chashan)

- **وترى على رؤوسهم شارة (الفصح) بدلاً من الخوذ اللامعة**

وقد كان كل من الشجعان (يلجر) والأمير الباسل

- **(ايدار) والأمير المنصور (يلجروقة) عديم الرحمة**

لكن الآن أخذت الشفقة تدب في قلوبهم رويدا

هكذا انتصر الأمير (ايدار) واستطاع فرض الصلح على احفاد الأمير (ينال) المتحاربين، وحل الوئام محل الخصام بفضل قوته وحنكته، وشجاعته، وعاش شعب القبرطاي بعد ذلك في سلام وأمان.

وفي مرحلة لاحقة قام الأمير (ايدار) بغزو مملكة الخزر بجيش مكون من جميع قبائل (الأديغة) القائمة على سواحل بحر آزوف (الخزر)، ورجعوا من حملتهم بكثير من الغنائم والأسلاب، وقيل أن جده "يلجروقة – Eldjeruko" أمير قبائل (البظة دوغ) والعملاق المشهور بقوته البدنية (رديا – Rededia) كانا يرافقانه في أسفاره وغزواته.

الفصل الثالث

عظماء ومشاهير أجداد الأمة الشركسية (الاديغة)

في القرون السادس والسابع والثامن عشر الميلادي

تشير الوقائع التاريخية لعظماء ومشاهير اجداد الشراكسة في القرون السادسة والسابعة والثامنة عشر الميلادي بأن هؤلاء العظماء يصنفون إلى ثلاث فئات وعلى النحو التالي:

الفئة الأولى: وتضم أمراء وقادة عظام من الشراكسة عامة وشراكسة القبردي خاصة حاربوا بشراسة القوات المعتدية على بلادهم من خانات القرم وجيوش روسيا القيصرية وغيرهم وكذلك قادة فكر وادب وفلسفة وقضاء ساهموا في توعية وتثقيف الشعوب الشركسية ضد الاخطار التي تهددهم.

الفئة الثانية: وتضم أمراء واميرات وقادة عسكريين حاولوا حماية بلادهم من خلال التقرب من القياصرة الروس وعقد اتفاقيات تعاون لحمايتهم من الاعداء عامة ومن خانات القرن المدعومين من الاتراك العثمانيين خاصة وهم الامراء الذين اطلق عليهم لقب (امراء السلام).

الفئة الثالثة: وتضم امراء وقادة عسكريين من أصل شركسي حملوا رتب عسكرية عالية وقادوا جيوش القياصرة في اكثر من حرب وحققوا انتصارات كبيرة على اعداء روسيا في العهد القيصري.

الفئة الرابعة: وتضم قادة عسكريين من أصل شركسي حملوا رتب عسكرية مختلفة وتعاونوا مع اعداء الشراكسة عامة ومع سلطات روسيا القيصرية خاصة. وان بعضهم تمادوا في تعاونهم إلى حد اعتبارهم (خونة). وان كان عددهم قليل، إلا انهم حاربوا بني قومهم الشراكسة.

وفيما يلي نبذة عن إنجازات وأعمال ومساهمات رجالات كل فئة من الفئات الاربعة سابقة الذكر.

- **عظماء من أمراء وقادة شراكسة من الفئة الأولى ومنهم:**

١. **الأمير أسلان قايتوقة:** (١٦٩٠-١٧٥٥) *

- **نشأته وتربيته:-**

تربى الأمير (أسلان) على يد الأتالق الفيلسوف **(قازانوقة جباغى)** وغرس هذا المربي الحكيم في نفس تلميذه كل المبادئ السامية التي كان يعمل من أجل تحقيقها.

- **حكمه وإنجازاته:-**

كان لا بد للغرس الذي غرسه الحكيم (جباغى) أن يأتي أكله، حيث تم انتخاب الأمير (اسلان) حاكماً عاماً لمنطقة القبرطاي (قباردا) وكرس وقته كله خلال الفترة الأولى من حكمه للإصلاحات الداخلية حيث وحّد في البداية كل الإمارات والولايات الشركسية والبالغ عددها اثنتي عشرة إمارة، ثم عمل على نشر الأمن والسلام في المناطق المتاخمة لحدود دولته، وفي عهده ازدهرت التجارة والزراعة، وانتعشت الصناعات التقليدية مثل: صناعة السجاد والملابس والأسلحة والأثاث وغيرها من الصناعات اليدوية التي كانت تصدر إلى تركيا وبريطانيا وإيطاليا، بالإضافة إلى تصدير كميات كبيرة من الأخشاب والعسل والخيل إلى تركيا والقرم.

ونظراً لعدم انضمام الداغستان والشيشان إلى تلك الوحدة شجع الروس للقيام بهجوم على تلك المناطق عام ١٧١١م، إلا أن تلك الحملة لم تنجح، ثم أعادت الكرة عام ١٧٢٢م بهجوم بري تسانده القوات البحرية عن طريق بحر الخزر، واستطاعت احتلال تلك المنطقة والاستيلاء على (دربند) مرة أخرى.

* تاريخ الولادة والممات تاريخ استنتاجي من الاحداث والوقائع والحروب التي خاضها... وهو تاريخ تقديري.

وفي عام ١٧٢٢م، حدثت أول مصادمة كبرى بين القيصر بطرس الأكبر وبين أمير الشراكسة (اسلان قايتوقة)، حيث شن القياصرة هجوماً بقوات مكونة من (٤٤٢) سفينة تحمل (٢٢) ألف جندي من القوات البرية وخمسة آلاف جندي من القوى البحرية، بالإضافة إلى عشرة آلاف جندي كانوا متمركزين في قلعة كزلار وصمد المقاتلون الشراكسة من القبرطاي بقيادة الأمير (أسلان) ولم يتمكن الروس من احتلال بلادهم بالرغم من الخسائر الكبيرة التي مُني بها الشراكسة.

٢. **الأمير كورغوقوة حاتوظوقة : (١٦٨٠-١٧٤٠)**

كان يدير هذا الأمير بلاد القبرطاي في الفترة التي احتلت فيها خانات القرم بلادهم عام ١٧١٧م وفرض على كل بيت شركسي من بيوت (القبرطاي) تأمين إقامة ومبيت أربعة من رجال خانات القرم مع خيولهم كما أجبروهم على إطعامهم وإيوائهم، كما عينوا في كل بلد إماما (مُولاّ) لكي يعلمهم قواعد الدين الإسلامي، وأخذ معه أعداداً كبيرة من أولاد الأمراء والأشراف وغيرهم من أمراء الشراكسة كرهائن وكان من بين هؤلاء الرهائن شقيقة الثائر (مشوقة) المحرض على عدم دفع الجزية (للخانات) وحكومتهم.

بقي جيش القرم محتلاً (بلاد القبرطاي) عدة سنوات وكانت الأموال تجبى منهم سنوياً، واعتنق بعض الشراكسة الدين الإسلامي، بينما رفض آخرون، (وظلوا يمارسون شعائر دينهم القديم خفية خوفا من اضطهاد الأتراك والتتر لهم)، فدامت الأحوال على هذه الوتيرة سنين عديدة.

وفي أحد الأيام وبينما كان (نائب خان القرم) حاكم بلاد القبرطاي المحتلة جالساً بين الأعشاب والمروج الخضراء (يدخن غليونه) ويتحدث إلى من حوله من أكابر القوم وأمرائه، ومن بينهم الأمير (كورغوقوة حاتوظوقة) نفسه وأتى (نائب خان القرم) بأمر منكر، فيه وقاحة ونذالة، حيث أخذ **(ينظف غليونه ويفرغ ما تبقى به من الرماد على رأس الأمير كورغوقوة بطرقه فوق رأسه)** فاغتاظ الأمير من هذه الإهانة غيظاً شديداً، لكنه كظم غيظه، واحتفظ بهدوئه التام، ولم يقم بأي رد فعل في حينه، وانصرف بعد أن ودعه، وما أن وصل إلى بيته حتى جمع الأمراء الشراكسة وعليه القوم من القبرطاي وقصّ عليهم تصرف نائب(الحاكم القرمي) وأبلغهم قراره الأخير، وهو ضرورة التخلص منه ومن جيشه في أقرب فرصة ممكنة مهما كلفهم الأمر ذلك، فوافقوه على رأيه واجمعوا على تنفيذ القرار الذي لا رجعة عنه.

في الليلة نفسها اتفقوا على قيام كل شخص من سكان القبرطاي حين يخيم الظلام أن يقتل كل من يعثر عليه من الأتراك وأهل القرم أينما كان وحيثما وجد، وكل من يتخلف عن أداء واجبه الوطني يعتبر خائناً لقومه وملته الشركسية، ولما خيم الظلام قام أهل القبرطاي قومة رجل واحد، وأعملوا السيوف في رقاب الأتراك والتتار، وأبادوهم عن آخرهم حتى لم يبق منهم أحد على قيد الحياة وهكذا تم الخلاص من استعمار خانات القرم لبلاد القبرطاي.

وفي عام ١٧٢٠م، هاجم خان القرم "سعادة كيري" للانتقام من الأديغة على رأس جيش بلغ عدده أربعين ألف جندي، ومعهم مدافع كثيرة، للانتقام من القبرطاي على قتلهم رجالهم عام ١٧١٧م، إلا أن الأمير "كورغوقوة" بادر بمهاجمة "قوات خانات القرم" بناءً على اقتراح من الفيلسوف (جباغي) حيث قام بجمع ما يقرب من ثلاثمائة (حمار) وحملها (قش) يابس، ولما خيم الظلام سار بجيشه وفي الطليعة قافلة (الحمير)، ولما اقترب من معسكر العدو من خانات القرم اضرموا النيران في ذلك القش واطلقوا عدة طلقات نارية لارهاب (الحمير)، فأخذت تنهق بشدة وهاجت، ودخلت معسكر الأعداء وعلى ظهورها النيران المشتعلة، فكانت مفاجأة كبيرة لقادة جيش خانات القرم، وخرجوا من خيامهم مذعورين فزعين، وأخذوا يتراكضون في حلكة الظلام وهم في حالة ذهول وفزع شديدين، مما رأوا وسمعوا، واشتبك بعضهم ببعض في معركة ليلية دون أن يتمكنوا من التفريق بين العدو والصديق استمرت حتى الصباح، حيث فاجأهم قادة القبردي بما لديهم من قوة وأعملوا فيهم السيوف وقتلوا واسروا العديد منهم وغنموا منهم غنائم كثيرة، وأما قائدهم البدين (ألغوت باشا – Alegot) فقد سقط أثناء فراره، وعلق جسمه الكبير بغصن شجرة ضخمة، فاخترق الغصن بطنه، وبقي معلقاً حتى لفظ أنفاسه الأخيرة.

٣. **الأمير كاسيا أتاوجوكين: (١٧٢٠-١٨٠٠)**

هو الأمير الوحيد الذي رفض ما جاء في رسالة الامبراطورة كاترينا الثانية من وعود للشراكسة عامة ولشعب القبرطاي خاصة وهي الرسالة التي وجهها لأمراء القبرطاي عام ١٧٧١م، وقال هذا الأمير في رفضه لرسالة الامبراطورة بقوله: "**سنكون تحت الوصاية الروسية إذن، كما حصل مع القالموق الذين تشرذموا واضطروا إلى العودة إلى بلادهم بعد أن غدر بهم أباطرة الروس، وسيلاقي القبرطاي المصير نفسه وسنضطر الالتجاء إلى الجبال**". لقناعته بأن لا آمان من السلطات الروسية بعد تكرار غدرهم للشراكسة.

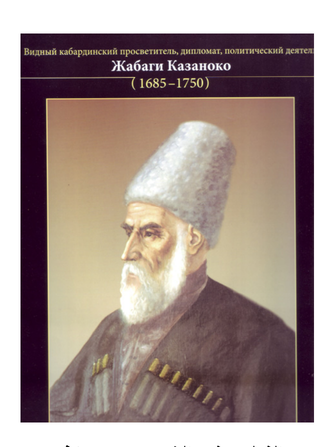
لقد كان هذا (الأمير) الحكيم يرى ما يكمن تحت الماء، وكانت بداية النهاية فعلاً للشراكسة وإن (كاباردیا) كانت التفاحة التي أثارت شهية جيرانها من الروس الطامعين الأقوياء، وقامت حكومة القيصرة (كاترينا) بتوطين حوالي (٤٠٠٠٠) شخص من قبائل النوغواي، في غرب القفقاس في نفس العام الذي أرسلت فيه الرسالة التي اعترض عليها هذا الأمير كما قررت الحكومة الروسية إيلاء أهمية خاصة لموضوع تقوية ممتلكاتها الجديدة في القفقاس، **وقامت ببناء خط كامل من المستعمرات السكانية الروسية ما بين نهر الدون وحتى مزدوك وعلى امتداد أكثر من خمسمائة فرسخ، عُرف (بالخط القفقاسي) وخصصتها لاستيطان بقايا جيش (قوزاق الفولقا) واستقبل شعب القبرطاي هذه الأنباء بابتهاج، وظنوا أنهم سيحصلون على الحماية بوصول (القوزاق)، ولكن سرعان ما تبين العكس، حيث تبين بأن هذه المستعمرات ما هي إلا (حصون) لحماية القوات الروسية، وإنها تشكل عوائق لاستثمارهم لأراضيهم، كما أنّ شعب القبرطاي أصبح معزولاً عن شعوب شراكسة ما وراء الكوبان في شمال الغرب من بلاد القفقاس.**

٤. **الفيلسوف الشركسي والمفكر والمصلح الاجتماعي الكبير والسياسي قازانوقة جباغی: (١٦٨٥-١٧٥٠)**

- **مولده ونشأته:-**

ولد في قرية "قازانوقى" بالغرب من موقع مدينة نالتشك حالياً، ولم يُعرف تاريخ ميلاده بالتحديد، وإنما عُرف بأنه عاش في الفترة من أواخر القرن السابع عشر إلى منتصف القرن الثامن عشر وبالتحديد خلال الفترة ما بين (١٦٨٤م – ١٧٥٠م)* وعاصر حكم الأمير (اسلان قايتوقة وحتوقجوقة) وأسند إليه منصب القاضي العام في بلاد القبرطاي.

وجباغي هو الحكيم والفيلسوف الشركسي الذي عرف بسعة أفقه، وعمق تفكيره، بحيث تمكن من حل معضلات كثيرة، جابهت الحكام عامة والناس خاصة، وتناول مختلف شؤون الحياة، وأمن الوطن القومي، حيث كان يعالج كل ما يستشار به بتأن وروية، ويعمل دون تحيز أو محاباة، فيخرج بأحكامه العادلة التي أرضت الجميع (الرابح منهم والخاسر) محاولاً في ذلك ترسيخ المبادئ القومية، وتدعيم روح التسامح، وإحلال الوئام محل الحقد والبغضاء، حيث كان قادراً على الاقناع وعلى نزع فتيل الشر في أحلك الظروف، وإخماد نار الثأر بين العائلات والقبائل، مستثيراً في النفس النزعات القومية، كما كانت نظرته نظرة شمولية للحياة أدت إلى اكتسابه المحبة والتقدير العام، فقربه الأمراء والحكام،



الفيلسوف الشركسي جباغي

* ذكرت بعض المصادر التاريخية بأن تاريخ ميلاد قازانوقة هو عام (١٦٨٢م) وليس عام (١٦٨٥) حسب ما ذكره الكتاب الاخرون.

وأحبه عامة الشعب، كما نال تقدير كافة شعوب القفقاس من شراكسة وشيشان وانجوش وقراشيه وبلقار.

- **أصله وتربيته:-**

هو من عائلة من عامة الشعب في بلاد القبرطاي، وأرسله والده إلى بيت أحد قبائل البلقار ليقوم بتربيته وفق نظام "الأتالق" وهو في سن السادسة من عمره، وقام بتربيته على مبادئ الدين الإسلامي، وعلى الأخلاق والآداب، كما تم تدريبه على العادات والتقاليد، وعلى فنون الفروسية، وعاد إلى أهله عند بلوغه سن العاشرة، ووجد والديه متوفيين، وتكفل بتربيته الأمير حامفروقة.

- **آراؤه وأفكاره الفلسفية:-** *

أصبح (جباغى) حكيم الشراكسة ولقب "**بأبي الحكمة الشركسية**" وأصبحت له مكانة مثل (بوذا) بالنسبة للبوذيين، ومثل (كونفوشيوس) بالنسبة للصينيين، ولكنه كان يختلف عن (بوذا) في ناحية هامة، ذلك هو أن بوذا لم يؤمن بوجود (إله) أو آلهة، إنما بشر بشيء أسماه القانون الأخلاقي، أما (جباغي) فقد تحدث عن (الإله الواحد) ودعا قومه لعبادته كما وكان يشبه (كونفوشيوس) في دعوة الناس إلى الأخلاق وإلى وضع قوانين ومفاهيم محددة لها أصول في تعامل الناس وفي السلوك العام، وطور العادات والتقاليد ووضعها في قالب تشبه التشريع.

أمعن (جباغى) النظر في هذه الحياة وتكشفت له أسرارها، وكان لا يرى المظهر فقط وإنما كان يكتشف الجوهر في أي أمر من أمور الحياة، حيث عرف فيما عرف أن الكون قائم على قانون الأضداد، حيث قال: فآدم عكسه إبليس، والخير نقيضه الشر، والليل يقابله النهار، والقطب الشمالي وموقعه بعكس القطب الجنوبي، والملاك من نور والشيطان من نار، والإنس ظاهر والجن خفي، وكذا البشر يتكون من رجل وامرأة وأبيض وأسود وأدرك أن (الله) فقط هو فوق قانون الأضداد أو تلتقي فيه الأضداد فتمحي صفاتها لتصبح ذات صفة واحدة ووجه واحد فترقد في سلام وهو تفسير لمقولة "أن الله خير مطلق وان الله فوق الأضداد لأنه خالقها".

ربما أن كلمة (ضد) هنا، تلفت النظر وتحتاج إلى تفسير، فقد تحمل معنى التقابل، وقد تحمل معنى العداوة، وقد تحمل معنى التكامل، وأحياناً تحمل معنى اللحاق والمطاردة، فإبليس إلى يوم القيامة حسب وعده سيظل يلاحق آدم وذريته بعدائه وحقده وغوايته، والليل يتلو النهار ويكمله، فماذا لو بقي الليل سرمدا فلا نهار هناك، ولماذا جعل الله النهار معاشا، والليل لباسا؟ والرجل الأسود يشتهي المرأة البيضاء، وكم من امرأة بيضاء وقعت في غرام رجل أسود، أما الخير والشر فشأنهما أعجب وخير وصف قرأته أن للشر جاذبية كجاذبية الأرض، وأن للإنسان الشرير جاذبية كهذه، ولذلك نهوا عن معاشرة رفاق السوء والزواج من امرأة سوء، والشر ظلام وانحدار، وهو على درجات، فلذا هو سهل اقترافه، وكذلك فإن طريق الخير صعب ويحتاج إلى جهد وجهاد ومثابرة، كما يحتاج المرء إلى سنوات ليكتسب صداقة إنسان آخر مع الحرص الشديد على صداقته، وقد لا يصل إلى الهدف، بينما يستطيع بكلمة نابية أو عبارة قاسية أو عمل من أعمال اللهو أن يخسر صداقة عمرها سنوات، وقصة الراهب الذي ذهب ليهدي (غانية الاسكندرية) إلى جادة الفضيلة فأغوته وجرته إلى حمأة الرذيلة وهي قصة معروفة في الأدب العالمي تحت عنوان (تاييس) كما أن بناء عمارة كبيرة يحتاج إلى جهد ووقت ومال، أما هدم مثل هذه العمارة فيحتاج إلى أصبع ديناميت وشخص واحد.

انتبه الحكيم الشركسي إلى كل هذا وفوق هذا، فوضع الأقوال وضرب الأمثال وسن أفعال اشياء بقيت على مر الزمن، كما أن أجيال اندرست وعفت وما وضعه (جباغى) من نواميس ظلت خالدة نبراسا وهدىً لقومه كما أدرك (جباغى) أن غاية ما يستطيع الإنسان الحكيم أن يفعله على وجه الأرض هو أن يوفق بين الأضداد في نفسه وأن يدل غيره على دربه فيعيش في سلام ويدرك أخطر سر في الوجود، لذلك لقب (جباغي) بالرجل الحكيم، والفيلسوف النبيل.

* مجلة الواحة، عدد (١٥) عام ١٩٧٦م ص: (٢٠-٢٢).

- **مكانة جباغي بين الأمة الشركسية في الوطن الأم في بلاد المهجر:-**

كان الشراكسة على مر الأجيال والحقب يفتخرون بـ (جباغي)، يحفظون أقواله، ويقلدون أفعاله، ويوصي المرء أخاه وصديقه وولده بذلك، وفي قفقاسيا ما زال القوم يولونه أهمية قصوى وتراثه وأدبه وحكمته وشرائعه كلها مسجلة، كما أقاموا له التماثيل تكريما وتخليدا، وسجلوا اقواله على مسلات في الشوارع الرئيسية، أما أبناء المهاجرين الأوائل وأحفادهم فقد ضاع تراث (جباغى) من بين أيديهم ربما لانقراض الجيل السابق، مثل تدوين ما نقلوه معهم من حكم (جباغى) وربما لعدم معرفتهم بالكتابة الشركسية في ذلك الوقت.

ويعود الفضل إلى جباغى في توحيد الأمة الشركسية في أوائل القرن الثامن عشر وتكوين اتحاد يضم (١٢) إمارة شركسية في عهد الأمير (اسلان قايتوقة)، وكذلك يعود إليه الفضل في هزيمة جيش خانات القرم في عهد الأمير حتوقجوقة عندما أشار عليه بخطة إرسال (٣٠٠) حمار محمل بالقش الملتهب إلى معسكر الأعداء، كما يعتبر أبو العادات والتقاليد الشركسية المعاصرة.

- **مقتطفات من حِكم وأقوال وملاحظات وأفكار (جباغي) الفلسفية:-**

كان (جباغي) ينظر إلى الماء فيرى في الماء سراً من أسرار الكون وكان يقول لمن حوله: إن الله جعل الماء بهذه الليونة؟ لكي يمر من الحلق بسهولة، وليتبخر فيصعد إلى السماء ليكون سحابا ينتقل من مكان إلى مكان ثم يروي الأرض العطشى فتحيا من بعد موات. وأن الماء هو ألطف ما في الوجود، قادر على تفتيت الصخر بالتكرار؟ **أخوتي امعنوا النظر في الماء ولا تكتفوا بشربه بل كونوا مثله.**

أدرك (جباغي) أيضاً سر الشمس والقمر ومن هو السالب منها والموجب، وأنهما ليسا بأنثى ولا ذكر، وقد عرف سرهما، ومن عرف السر فقد عرف دربا قصيراً إلى الله تعالى، وأدرك أن إبراهيم عليه السلام قد تخلى عنهما إلى خالقهما لأنهما من الأفلين ولم يتخلَّ عنهما نهائيا بل كان يرى الله تعالى عبرهما. قال (جباغي) فكروا في الشمس والقمر فستعرفون سراً من أسرار الكون.

اهتم (جباغي) بجوهر الأشياء وباطنها لا بمظهر الأشياء، ويتضح ذلك من الحوار التالي:- "أمسك جباغي بيد فتى من فتيان القرية وسار به إلى الشاطئ وكانت سفينة ضخمة ترسو فوق ماء البحر وقال للفتى:- ماذا ترى يا بني؟؟ قال الفتى أرى سفينة وكأنها مدينة عائمة، قال جباغي قد رأيت الكل ولم تر الجزء، فمضى الفتى يصف السفينة جزءا جزءا، بدأ بالصارية الرئيسية والصارية الصغيرة الأمامية والخلفية، والحديد والخشب والرجال وهم يعملون إلى أن أتى على وصف السفينة جزءا جزءا وهنا قال جباغى:- أي بني قدر رأيت المظهر ولم تصف لي المخبر والجوهر، وأصيب الفتى بذهول، لم يدر ما يقول، وعندئذ قال جباغي:- **هذه السفينة الضخمة بأجزائها العجيبة المتعددة قامت على سطر واحد من قول حكيم يوناني، يقصد بذلك نظرية أرخميدس** حول (الثقل النوعي) لأي مادة هو وزن أي حجم منه بالنسبة لحجم مماثل من الماء- فقال جباغى للفتى: يا بني لا تهتم في حياتك بالظاهر فتنسى الباطن، ولا تتعلق بالمظهر وتنسى الجوهر، إذا نظرت في أمر من الأمور ابحث عن العلة والسبب لكي تصل إلى النتيجة فإذا ظللت تسأل عن السبب ستصل حتما إلى سبب الكون، هذا درب من الدروب إلى الله يا بني، فاتعظ.

وربما كان كتاب "**قصص جباغي قزانوقة**" الذي صدر بإشراف معهد الدراسات الإنسانية التابع لحكومة جمهورية كباردينا – بلقاريا ومركز العلوم الأكاديمية والعلوم الروسية في كباردينا – بلقاريا عام ٢٠٠١م، من تأليف وإعداد (ز.م. نالويف) و (أ.م. غوطوف) وتقديم (ز.م. نالويف) خير شاهد على عبقرية (جباغي) وعلى مدى ما يتمتع به من ذكاء، وحكمة، وبُعد نظر، وهو الكتاب الذي تضمن أكثر من (٨٢) حكمة أو مثلاً أو قصة أو نصيحة أو فتوى .

بالإضافة إلى ما تقدم فإن جباغي قد شارك القيصرية وهو أحد القادة الذين اعدوا اتفاقية سولاكسك عام (١٧٢٢) كما كان أحد البعثة القنصلية القبردينية التي زارت بطرس بورغ وابرمت اتفاق تعاون مشترك لمقاومة خانات القرم عام ١٧٣١.

٥. **القاضي (ورى)**، وهو من القضاة المشهورين بالعدل والنزاهة في حكمهم، وعاش في فترة ظهور القاضي والفيلسوف (قازنوقة جباغي)، وبالرغم من نبوغ القاضي (وري) فإنه أخطأ في أحد أحكامه، وهو الخطأ الذي اكتشفه (جباغي) وهو في السن الخامسة عشرة من عمره، حيث قام بالاستهزاء من حكم (وري) **المتعلق بتحميل مسؤولية حرق (الجدي) ذو الرجل المكسورة لبعض المزارع في بلاد القبرطاي إلى صاحب اليد المكسورة (المجبرة) للجدي، وتبرئة الأخرين، ولما سمع (وري) باستهزاء (جباغي) من حكمه فاستدعاه وسأله عن سبب استهزائه من حكمه وقد دهش القاضي (وري) حينما رفض جباغي إبداء رايه في موضوع حكمه إلا بحضور أعضاء المحكمة وعليه القوم، ونزل القاضي (وري) عند رغبة (جباغي) وجاء القضاة وعلية القوم فقال (جباغي) أمامهم: سادتي القضاة، هل يمكن أن ينسب إلى (ميت) فعل شيء ما، وهل من الممكن أن يرتكب الميت جريمة؟ صحيح أن يد الجدي المشتعلة هي التي سببت الحريق ولكن اليد كانت ميته وملفوفة بالكفن، وأن السبب الأصلي للحريق هو أطراف الجدي الثلاثة الأخرى التي حملت الرجل المكسورة المشتعلة لمكان الحريق، ولو لم تفعل ذلك لما تحركت اليد المحروقة من مكانها ولما حدث الحريق، وعليه فإن مسؤولية ما حدث يتحمله أصحاب الأطراف الأخرى للجدي وليس صاحب اليد المكسورة، وساد الحضور صمت ودهشة، ثم قطع الصمت بأصوات الإعجاب والدهشة التي انطلقت من أفواه الحاضرين مبدين إعجابهم بذكاء الشاب (جباغي).** وطلب من الحضور أن يقروه على الرأي، فكان ما أراد، وهكذا أصبح (جباغي) ملازما للقاضي (وري)، ومرت السنون إلى أن توفى القاضي العجوز (وري)، وفي حفلة تأبينه انتخب (جباغي) خلفاً له، وتوالت الاقتراحات من المتكلمين لتكريم شيخهم الراحل وتخليد ذكراه، وكان من بين المتكلمين (جباغي) الذي تخللت كلمته بعض أبيات الشعر، فأعجب الحاضرون بها وحفظوها سريعا وعُزفت لحنا يعزف في يوم زفاف العروس إلى يومنا هذا.

٦. **القاضي آبوق حاجي اسحاق**، وهو القاضي العالم من أصل طبقة (الورق) يعود إليه الفضل في انتشار المحاكم لدى قبائل القبرطاي في عهد الأمير (عادل كراي) ويعتبر مؤسس المحاكم الشرعية التي انتشرت بين شراكسة القبرطاي بعد أن اعتنقوا الدين الإسلامي، وهو القاضي الجريء الذي رد على تهديد الأمير (كراي) له بقوله: "**وإذا رايت فيك إهمالاً أو تقصيراً في تنفيذ أحكامي التي أستمدها من الشريعة الغراء فإني أنفذ فيك أمر ربي**"، وأخرج من تحت الوسادة الجالس عليها مسدساً (طبنجة) وصوبها نحوه، وهكذا كانت جرأة هذا القاضي مثله مثل القضاة العادلين الذين كانوا يتوعدون الأمراء (بالقتل) إن لم ينفذوا قراراتهم وأحكامهم.

- **أمراء واميرات وقادة شراكسة من الفئة الثانية الذين اطلق عليهم امراء السلام في القرنين السادس والسابع عشر الميلادي**

تشير الوثائق والوقائع التاريخية بأن أكثر قادة الأمة الشركسية عامة والقبرطاي خاصة الذين يعتبرون من عظماء ومشاهير هذه المرحلة هم الأمراء الذين يمكن أن نطلق عليهم (**أمراء السلام**)

حيث توصلنا بالبحث عن تاريخ ابرز امراء الشراكسة في هذه المرحلة بأن اكثر من (٩) امراء (امير امراء) وقادة سياسيين سعوا على مدى اكثر من مائتي عام تفادي عداوة روسيا القيصرية.

كما توصلنا في بحثنا عن السيرة الذاتية لهؤلاء الأمراء وفي مقدمتهم امير الامراء (ابتال) بأنهم كانوا قادة سلام، وليس قادة حرب، ويسجل لهم التاريخ بأنهم حاولوا كل جهد ممكن لإنقاذ بلاد القبرطاي من أطماع الروس أولاً، ومن اعتداءات خانات القرم المدعومين من سلطات تركيا العثمانية ثانياً، ومن غيرها من أطماع الدول المحيطة ببلاد القبرطاي، وأن ما وجدته من حقائق حول سعي الأمير (ايدار تيمورقة) لعقد اتفاقية تعاون في عام ١٥٥٧م مع القيصر (إيفان الرهيب) كان هدفه الأساسي هو تحييد القياصرة الروس أولاً، والبحث عن حماية بلاد القبرطاي من أطماع خانات القرم الذين كانت عيونهم على بلاد الشراكسة عامة وبلاد القبرطاي خاصة، وكذلك كان الأمراء

الذين جاءوا بعد (إيدار تيمروقة) مثل شلوخ، وقازي، ومدار، وخورست وغيرهم من الأمراء على مدى أكثر من مائتي عام قد حاولوا كل جهد ممكن لتوثيق علاقاتهم مع قياصرة الروس، وتقديم الطاعة والولاء لهم، لا خوفاً منهم بقدر ما كان هدفهم حماية وطنهم وشعبهم من الدمار والهلاك، إلا أن الوقائع والحقائق التاريخية تشير بأن جهود (أمراء السلام) من القبرطاي ذهبت أدراج الرياح بعد أن كان قد قرر قياصرة الروس منذ عهد (إيفان الرهيب) ومن بعده بطرس الأكبر إحتلال القفقاس **(أرضاً بلا سكان)**.

وفي النصف الأول من القرن السادس عشر وبالتحديد في عام ١٥٥٦م تحرك شعب القبرطاي للبحث عن حليف لهم لحمايتهم من اطماع (خانات القرم) حيث قرر زعيم منطقة قبرطاي الكبرى (إيدار تيمروقة) تشكيل وفد برئاسة الأمير (قانوقة يقوه) ووجههم إلى موسكو لعرض رغبة الأمير (إيدار) في عقد اتفاقية تعاون مع الروس، حيث وافق القيصر إيفان (الرهيب) على عقد اتفاقية تعاون مشترك مع القبرطاي وفق شروط عدة، ووافق عليها الأمير (إيدار) وكان تبريره لعقد هذه الاتفاقية تتلخص في قوله: "**بلادنا جميلة، وأراضينا خصبة وغنية في ظاهرها وباطنها، وجيراننا أكثر منا عددا وعدة، ويخططون للاستيلاء على أرضنا الحبيبة، مما دفعنا لطلب المعونة من الآخرين، حرصا منا لحماية القفقاس الغالية، حيث أن الشراكسة قد تعلموا بعد تجارب كثير من علاقاتهم مع خانات القرم، أو مع الأتراك ووصلوا إلى قناعة تامة بأن لا أمانة لطامع أو مستعمر، وعلينا طلب حماية الأقوياء وهم الروس حالياً**".

وبالرغم من تشكيك بعض القادة والأمراء القبرطاي عبر المعارضين لهذه الاتفاقية، بأن الوقائع والدلائل تشير بأن الأمير (تيمروقة) كان صادقاً في أهدافه من توقيع هذه الاتفاقية، وأنه ضحى باثنين من أولاده عندما قدمهما كرهائن لدى بلاط القيصر (إيفان الرهيب)، كما ضحى بمستقبل ابنته الجميلة (جوشنه) التي وافق على تزويجها (لإيفان الرهيب) وتعميدها تحت اسم الأميرة (ماريا)، ولا شك بأن تقديم مثل هذه التضحيات كانت بهدف إنقاذ شعب القبرطاي بأكمله، إلا أن (إيفان الرهيب) والقياصرة الروس الذين تولوا الحكم في الامبراطورية القيصرية الروسية فيما بعد لم يكونوا صادقين في تعهداتهم، ونقضوا هذه الاتفاقية، ولم يقدموا أي دعم عسكري أو سياسي لشعب القبرطاي، بل أنهم كانوا أول هدف لغزوات جيوش قياصرة الروس في مراحل لاحقة.

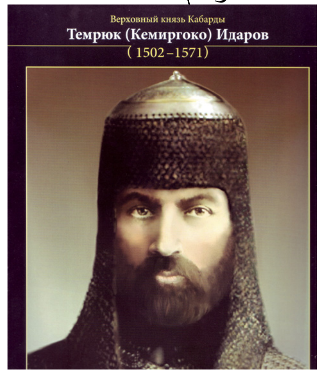
وفي عام ١٦١٤م حاول كل من الأمراء القبرطاي (شلوخ، قازي شيتوقا، مودار) التقرب من القيصر الجديد (رومانوف) الذي نودي قيصراً لروسيا، وأدوا يمين الولاء له رغبة منهم في درء بلاد القبرطاي وشعبه من شر أطماع الروس في الاستيلاء على بلاد القفقاس عامة وبلاد الشراكسة خاصة، وحمل وفد رسمي برئاسة الأميرين (قانبولات سونجا و شوجنوقة مرزا) وثيقة الولاء معهم وسلموها للقيصر رومانوف مع تقديم عدد من شراكسة القبرطاي كرهائن.

وفيما يلي نبذة عن أعمال وانجازات ابرز أمراء السلام من شراكسة القبرطاي الذين كان لهم اسهامات ومحاولات لانقاذ بلاد الشراكسة عامة وبلاد القبرطاي خاصة وهم:

(١) تمرقوة إيدار (١٥٧١-١٥٠٢)

الابن الاكبر لإيدار إينارمس والحفيد الثاني للأمير إينال – أمير أمراء القبرطاي أمر على شعب القبردي اواسط القرن السادس عشر الميلادي إلى ١٥٧١م. هو صاحب فكرة الاتحاد السياسي – العسكري بين القبردي وروسيا القيصرية منذ عام (١٥٥٧م).

فهو القائد الشجاع الذي يتصف بالعدل ويدعو إليه وإلى تطبيق مبادئه مع شعبه القبردي.



تمرقوة إيدار

تقوت علاقته بروسيا واصبحت أوثق بعد زواج إيفان غروزني بابنته الأميرة غوشينيه يوم (٢١ اغسطس عام ١٥٦١).

وفي عام ١٥٦٦م. هزم تمرقوة إيدار بالتعاون مع قبيلة البيسلاني جيش (بوداي – شمخال) وقام بتحصين جيشه عند التقاء نهري (سونجا وتيريك) وأنشأ أول قلعة شركسية / روسية عسكرية في عام ١٥٧٠م. وانتصر الشراكسة الغربيين الذين تعرضوا لغزوة الخان القرمي بقيادة (ألدي-غيري) وفي المعركة المصيرية عند نهر (أفيبس) وجرح تمرقوة واسر أبناء مامسترق ودمانقوة. وتوفي بعد شهور من اصابته في هذا الجرح.



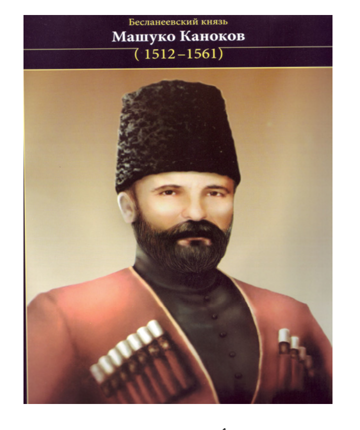
الأمير قامبولت إيدار

(٢) قامبولت إيدار (١٥٠٨-١٥٨٩)

هو الاخ الاصغر لتمرقوة إيدار، أمر على القبردي في فترة ١٥٧٧-١٥٨٩ لمدة ١٢ عاما واستمر على نهج من سبقه من امراء في تحالفهم مع روسيا ورأس البعثة القنصلية القبردينية في موسكو عام ١٥٧٨م. فأعطاه إيفان غروزني الميثاق حدد فيه شروط دخول عائلة إيدار تحت جناح روسيا.

(٣) قانوقوة ماشقوة (١٥١٢-١٥٦١)

هو أمير قبيلة البسلاني. رأس البعثة القنصلية للشراكسة الغربيين في موسكو عام ١٥٥٢م. وطلب من إيفان غروزني رعايته. وفي عام ١٥٥٧م. انتقل إلى عاصمة روسيا وتنصّر فأخذ اسم (ايفان) وتولى قيادة الكتيبة الطليعية في الحرب الليفونية في الفترة (١٥٥٩-١٥٥٨) وشارك مع القائد دميتري فيشنيفيتشكيي والامير سيبقوة في الحرب التي دارت ضد الاتراك وتتار القرم في عامي تشركسيا (١٥٦١-١٥٦٠) وقتل فيها.



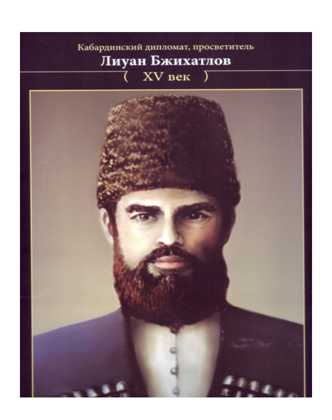
الأمير ماستروق

(٤) مامستروق تشيركاسكي* (١٦٠١-١٥٢٤)

الابن الاكبر للامير تمرقوة إيدار أمير القبردي وأخ الاميرة ماريا (غوشنيه) تمرقوة كان طويل القامة وصاحب القوة البدنية العظيمة وورد ذكره في الاغاني الشركسية والأساطير الروسية وكان الصهر المحبوب عند إيفان الرهيب (غروزني) في عام ١٥٨٣م. قاد القوات القبردينية القوزاقية المشتركة وهزم القائد العثماني الشجاع عثمان باشا، وكان رجلا دبلوماسيا وتم تعينه ممثلا عن الحكومة الروسية في المحادثات الرسمية مع الداغستان وجورجيا.

وأعطي الميثاق لاستلام زمام الحكم مع شعب القبردي لكنه لم يحصل له ذلك حيث قتل مع أخيه دومانقوة على يد قازي بشيآبشوقوة التابع لخانية القرم.

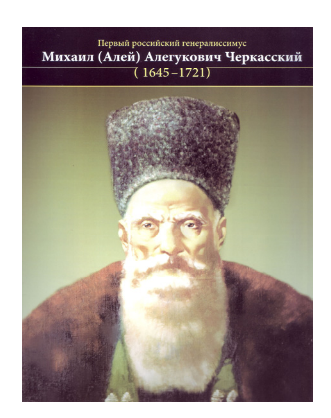
* لقب (تشيركاسكي) يطلق على كل شركسي عمل مع القياصرة الروس بعد تنصيره وتعميده.



ليوان بجيخاتلوف

(٥) ليوان بجيخـــاتلوف مجهـــول تـــاريخ الـــولادة والوفاة عاش في (القرن السابع عشر)

ولد في منطقة القبردي، في الروافد العليا لنهـــر باكسان وهو الدبلوماسي الشركسي البارز وصاحب دور مؤثر في توعية الشعب الشركسي كان المستشار المؤتمن لامير الامراء في القبردي، وكان من الداعين إلى تعزيز علاقات الصداقة مع الدولة القيصرية.

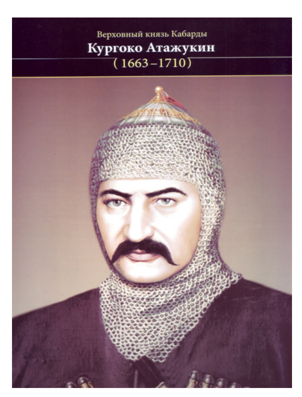


السياسي / العسكري ميخائيل تشيركاسكي

(٦) ميخائيل آليغوكوفيتش تشيركاسكي

(١٧٢١م – ١٦٤٥م)

ولد في القبردي وكان امير واصبح مـــن كبـــار الخدم (البويار) وحاكم نوفغورود وموسكو. قاد الجـــيش الروسي في اكثر من معركة فدفع العثمانيين والتاتر القرم ومنعهم من دخول اوكرانيا وألحق بهم خـــسائر كبيـــرة بالقرب من كييف واصبح المعـــاون الأقـــرب لبطـــرس الأكبـــر، كمـــا أصـــبح القائـــد العـــام للقـــوات البريـــة للامبراطورية الروسية حتى ١٤كانون الأول/ ديـــسمبر ١٦٩٥م. كما أصبح أول الجنراليسيموس في روسيا، إلا ان ايفان الرهيب قتله بعد ان اتهمه بقتل زوجته الأولى.



كورغوكو خاتاجوكين

(٧) كورغوكو خاتاجوكين (١٧١٠-١٦٦٣)

وهو الأمير الأكبر للقبردي وخلال حكمـــه وقعت معركة "قانجال" المشهورة في عـــام (١٧٠٨) التي هزم فيها القبردينيون الجيش المشترك القرمـــي العثماني. وكان هذا الحادث ذا أهمية كبيرة في تاريخ تشيركسيا وكامل شمال القوقاز حيث دافـــع الجنـــود القبردينيون تحت قيادة خاتاجوكين ببسالة عظيمة عن استقلالهم السياسي وخلال إمارته نظمت العديد مـــن القصص الشعبية في هذا القائد الشركـــسي الـــشجاع ومجده شعبه وأحيط بالحب والاحترام من قبل الجميع لشجاعته.

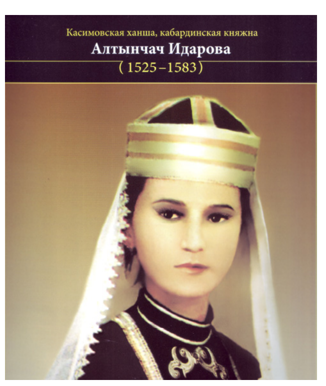


الامير حتاقشوقة

(٨) حتاقشوته ميسوست (١٧٢١ - ؟)

الابن لكازي ميسوست (الامير الأكبر) فـــي الثمانينات من القرن السابع عشر. بعد وفاة كورغوقة حتاجوقة انتخب كالامير الكبير للقبردي. وخلال فترة حكمه عقد معاهدة التحالف مع روسيا عام (١٧١١)، وهزم في معركة في الكوبان جيش خان القرم البالغ عددهم (١٥) الف مقاتل.

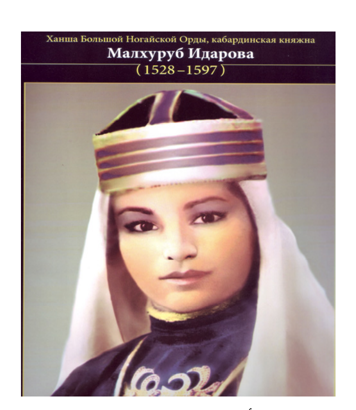
(٩) ألتينتشاتش إيداروف (١٥٨٣-١٥٢٥)



الأميرة ألتينتشاتش إيداروف

هي الابنة الكبرى لتمروك إيداروف وشـــقيقة الاميرة ماريا (غوشانه) – زوجـــة إيفـــان الرهيـــب. تزوجت (بيكبولات) خان أسترخان. بعد ما انـــضمت خانية أستراخان إلى روسيا في عهـــد إيفـــان الرابـــع (الرهيب) وأجلس بيكبولات وألتينتشاتش على عـــرش خانية كاسميموفسك وأبنهما صـــائن – بـــولات (بعـــد تنصيره تحت اسم سيميون بيكبولاتـــوفيتش) اســـتدعاه إيفان الرهيب إلى موسكو فأجلسه على العرش الروسي خلال المرحلة الثانية أوبريشنينا (١٥٧٦-١٥٧٤).

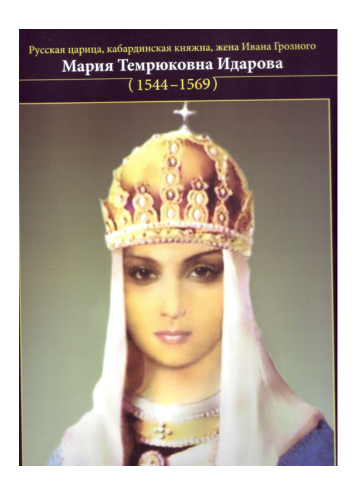
(١٠) مالخروب إيداروفا (١٥٩٧-١٥٢٨)



الأميرة مالخروب

هي الابنة الوسطى لتمروك إيـــداروف كبيـــر امراء للقبردي، تزوجت من تنخاميت – ابن خان قبيلة النوغاية الكبرى (Nogai Horde) وترأس بعـــد وفـــاة والده اسماعيل قبيلة النوغاية الكبرى عام ١٥٦٣ وفي عهده تحالف القبردي وقبيلة النوغاية الكبرى وروســـيا وحاربوا خانية القرم و"الباب العالي" العثمـــاني عـــام ١٥٩٠ واصبح ابنهما (اشتريك) اميرا لقبيلـــة نغـــوي الكبرى وواصل سياسة توطيد العلاقات القبردينيـــة – الروسية – النوغاية.

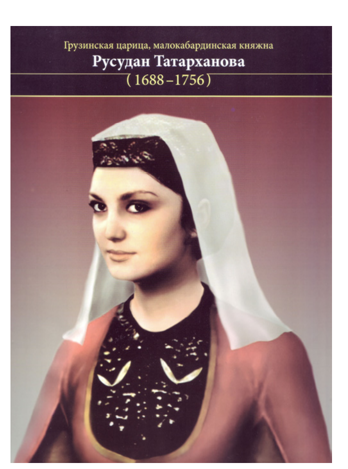
(١١) ماريا إيداروفا (١٥٦٩-١٥٤٤)



ماريا إيداروفا

ولدت في القبردي الـــصغرى وهـــي الابنـــة الصغرى لتمروك إيداروف وكان اسمها قبل الـــزواج (جوشيته) وبعد تنصيرها سميت (بماريا) وفـــي عـــام ١٥٦١م. تزوج منها القيصر الروسي ايفان الرهيـــب زواجا ثانيا، واصبحت قيصرة وكان الغرض من هـــذا الزواج تعزيز التحالف العسكري والسياسي بين الدولة الروسية وشعب القبردي. ولد لماريا و إيفان الرهيـــب ولد إلا انه توفي في الطفولة. وأشارت اكثر من دراسة عن حياة (ماريا – جوشنه) بأن الاميرة التي نشأت في جبال القفقاس، وتربت وفق العادات والتقاليد الشركسية، وانتزعت من موطنها الأصلي حيث وجدت نفسها فـــي وسط فاسد مليء بالدعارة والسكر والحياة الاباحية التي كانت تقام في القصر يوميا، واصبحت كزهرة قطفـــت قبل أوانها، ولم يتح لها أن تتفتح، وبـــدأت بالانكمـــاش والسعال فلم تصمد أمام تلك الحياة الفاسدة اكثـــر مـــن ثماني سنوات حتى قضت نحبها في عام ١٥٦٩.

(١٢) رسودان تاتارخانوفا (١٦٨٨-١٧٥٦)

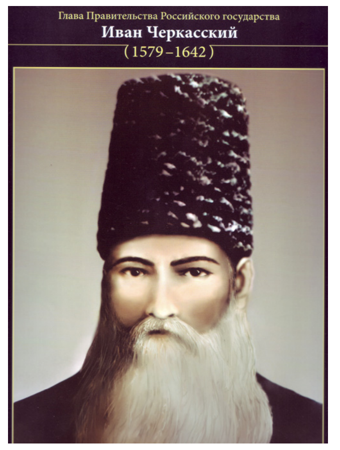


الأميرة رسودان تاتار خانوفا

هي الابنة الكبرى لجيلاخستان تاتارخان – أمير القبردي الصغرى. تزوجت الملك الجورجي (فاختانغ السادس) _١٦٧٥-١٧٣٧) واسمها قبل زواجها (دانزات) وبعد تنصرها سميت (رسودان) حكم فاختانغ السادس كارتلي والاميرة القبردينية جورجيا مدة (١٩) سنة. ورزق لها ثلاثة أبناء وابنتان. بعدما هُدمت إمارته من قبل الايرانيين هاجر مع عائلته إلى روسيا وخدم ابنهم الاكبر (بكار) في الجيش الروسي ووصل إلى رتبة فريق والابن الاصغر (غيورغي) وصل إلى رتبة جنرال والابنة تمارا تزوجت من الملك الكاخيتي تايموراز الثاني.

(٣) عظماء وقادة عسكريين ورجال سياسة من شراكسة الفئة الثالثة الذين تولوا مناصب عسكرية وسياسية عليا في الامبراطورية الروسية القيصرية في القرنين السادس والسابع عشر الميلادي نذكر منهم:

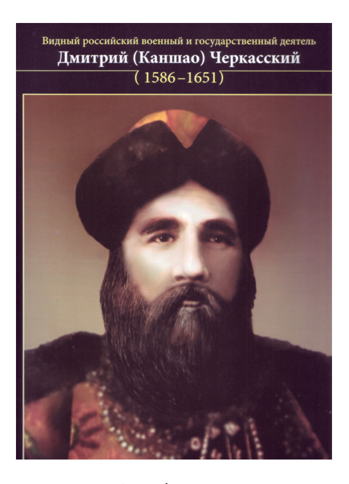
(١) إيفان تشيركاسكي (١٥٧٩-١٦٤٢)



إيفان تشيركاسكي

وهو من أصل شركسي واصبح من أبرز رجالات السياسة والجيش في روسيا القيصرية وقاد الجيوش القيصرية في أكثر من معركة فدحر على مشارف موسكو ملك بولندا (فلاديسلاف) كما ترأس قيادة القوات المسلحة الروسية عام ١٦٣٨ واصبح وزيرا للخارجية كما تولى منصب أمين بيت المال القيصري، وأمين بيت مال الدولة الروسية وانشأ وزارة الصحة، كما تولى رئاسة الوزراء الروسية عام (١٦٣٣) وقيل بأنه كان من اكثر رجالات عصره ثقافة وتعليما.

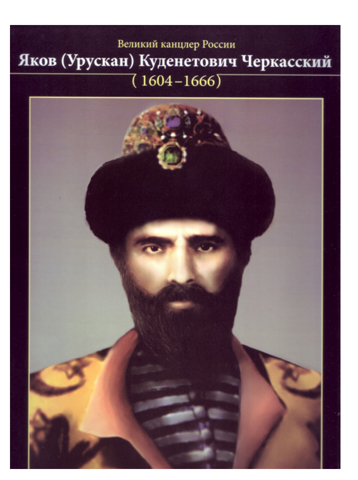
(٢) دميتري (كانشاوا) تشيركاسكي (١٥٨٦-١٦٥١)



ديمتري تشيركاسكي

الامير دميتري من كبار البويار منذ عام (١٦١٩) وهو الحفيد لتمروقوة إيداروف والابن للأمير مامستروك. في عام ١٦١٣ قاد الجيش الروسي وحرّر كل من "قازما"، و "دوروغوبوج" و قلعة "البيضاء" من القوات البولندية الليتوانية. وفي عام ١٦١٨م. هزم جحافل جيوش الملك البولندي فلاديسلاف ورأس دائرة "القصر" التي كانت مسؤولة عن جميع الأراضي الشرقية في روسيا. وكان أقرب المقربين لديمتري بوجارسكي أثناء تحرير موسكو من البولنديين. رشح للعرش القيصري كأحد أقارب ايفان الرهيب ولكن رفض ترشيح نفسه للعرش.

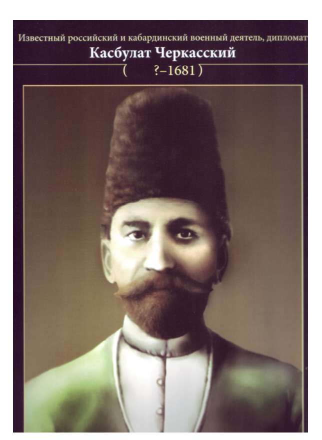
(٣) ياكوف كودينيتوفيتش تشيركاسكي (١٦٠٤-١٦٦٦)



ياكوف كودينيتوفيتش

هو الابن لكودينيت كامبولاتوفيتش – الأمير الأكبر للقبردي، غادر إلى روسيا في عام ١٦٢٤م. كان عرّابا له غيفان نيكيتوفيتش رومانوف – عم للقيصر واصبح القائد الروسي العسكري العبقري، الذي ساهم مساهمة كبيرة في تعزيز وتوسيع أراضي الدولة الروسية سبق أن هزم جيش رادزيفيلا – هيتمان دوقية ليتوانيا في عام (١٦٥٤)، وهيتمان الكومنولث البولندي الليتواني غانسيفسكي عام (١٦٥٤) كما هزم ملك بولندا يان كازيمير عام (١٦٦٣) وفي عهد القيصر أليكسي ميخائيلوفيتش رأس الحكومة الروسية والقوات المسلحة والوزارة الخارجية.

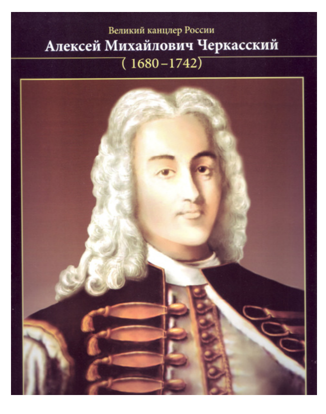
(٤) كاسبولات تشيركاسكي



كاسبولات تشيركاسكي

هو الابن الاكبر للأمير لموتسالا سونتشاليبفيتش وفي عام ١٦٦١م تولى زمام الحكم على "تيرسكي غورود" وحرر أستراخان من الرازينيين عام (١٦٧٠) واقتحم جيش من القوزاق والقبردينيين القلعة العثمانية "آزوف" عام (١٦٧٤) كما شارك في غزوة على القرم بالبحيرة المتعفنة (سيفاش)، ورأس الحملة الروسية على تركيا في الاعوام ١٦٨١-١٦٧٦م. بفضل جهوده الديبلوماسية عقدت معاهدة السلام بين الدولة العثمانية وروسيا (١٦٨١).

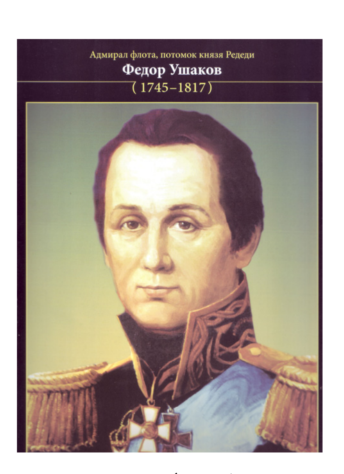
(٥) أليكس ميخايلوفيتش تشيركاسكي (١٦٨٠-١٧٤٢)



اليكس تشيركاسكي

حكم سيبيريا في الفترة (١٧١٩-١٧٢٥) واصبح عضوا في مجلس الشيوخ، (سناتورا) في روسيا فأهدي له وسام القديس أندراوس، وفي عام ١٧٤٠ عُين مستشارا كبيرا لروسيا. ووقع على معاهدة التحالف مع بروسيا عام (١٧٤٠) ومع بريطانيا عام (١٧٤١) ووقع الاتفاقية مع الدنمارك عام (١٧٤١) ومن صفاته: الأمانة والنزاهة والمثابرة في حماية مصالح الدولة الروسية حتى أعداؤه قد اعترف له بذلك. كما كان أغنى رجل في روسيا القيصرية في ذلك الزمان.

(٦) فيودور أوشاكوف (١٨١٧-١٧٤٥)



فيدور أوشاكوف

هو من سلالة الامير الكاسـوغوي (شركسي) واصبح القائد البحري الروسي البارز حيث تولى عام ١٧٩٠ قيادة الاسطول الروسي في البحر الاسود واستعان بتكتيكه الجديد القائم على المناورة السريعة والمختلف اختلافا جذريا عن التكتيك المستخدم من قبله. الأمر الذي ساعده في الحاق هزائم بالاسطول التركي في معركتي (انابا وسينوب) حيث قام اسطوله بتدمير ٢٦ سفينة تركية. وفي عام ١٧٩١ دحر اوشاكوف الاسطول التركي للمرة الثانية في معركة (كاليـاكر) وفي حربه ضد الفرنسيين (١٧٩٨-١٨٠٠) قاد الحملة البحرية في البحر المتوسط بنجاح في ٣٧ معركة بحرية من أصل ٣٨ معركة ومنحته الكتيبة الارثوذكسية الروسية وسام (المحارب البار).

(٥) الفئة الرابعة وتضم الشراكسة الذين أعيد تنصيرهم وخانوا بني قومهم في مشاركتهم في حروب ضد الشراكسة عامة وشراكسة القبرطاي خاصة نذكر منهم:

(١) ألكسندر (دولاتجري) بيكوفيتش تشيركاسكي (١٧١٧ – ١٦٧١)



الكسندر تشيركاسيكي

هو من عائلة بكمرزا الأميرية غادر إلى روسيا في عام (١٦٩٠)م. والتحق بالخدمة في الجيش الروس وارسله بطرس الأكبر من بين الضباط الشباب للخارج لدراسة العلوم العسكرية البحرية وفي عام ١٧١١م. ذهب إلى القوقاز في مهمة دبلوماسية وقاد أول بعثة استكشاف عسكرية روسية في آسيا الوسطى عام (١٧١٤) ويعتبر مصنف الخريطة التفصيلية الأولى لبحر قزوين وكان صديق الجنرال (يرمولف) ورئيس دائرته السياسية. وقضى مدة طويلة في خدمته، وكان "يرمولوف" يعول عليه ويستشيره في كثير من الأمور، ومكافأة لخيانته تم منحه منطقة قبارطا الصغرى التي كانت تتألف من ثلاث امارات صغيرة يحكمها ثلاثة أمراء وهم: "آل مودارق" و "آل اخلوقة" و "تاوسلطانو" وحرم هؤلاء من املاكهم.

وفي عام ١٧١٧م ارسله القيصر بطرس الاكبر في حملة ضد مدينة (خيوه) وقد مُزقت القوات الشركسية جسده شر تمزيق وقتل جميع أفراد جيشه البالغ عددهم سبعة الاف جندي تقريبا بمن فيهم قائدهم الشركسي الأصل، وقام مقاتلو القبرطاي بحشي جثة الامير (بيقوفتش) بالقش وعلقت على باب المدينة ليكون مصير هذا الامير المرتد عبرة لاولئك الذين يفكرون في خيانة شعوبهم واوطانهم.

(٢) **تمريقوا برماميت:** مولود في ١٧٧٥، شارك في الحملات العسكرية الروسية. ومنح رتبة ملازم ثان على "مساعدة القوات في الدخول إلى بلاد القبرطاي" وعلى تميزه في الخدمة العسكرية مع القوات الروسية.

(٣) **محمد دحطوخشيقوا** مولود في ١٧٩٥، ضابط، اشترك في الحملة العسكرية ضد شراكسة ما وراء كوبان بقيادة الجنرال امانويل عام ١٨٣٠.

(٤) **ميصوست اسماعيل حطوخشيقوا:** مولود في ١٧٩٧. يحمل رتبة عقيد شارك في العمليات "ضد الجبليين المتمردين" منذ عام ١٨٢٨. تميز أثناء مشاركته في حملة جنرال امانويل على شراكسة ما وراء كوبان.

(٥) **محمد حسين جدميشخ** مولود في ١٨٢٣، خدم في الوحدة العسكرية القفقاسية ومنح وساماً فضياً على تميزه في الحملة العسكرية في غرب القفقاس وهو وسام (صليب) "على الخدمة في القفقاس".

(٦) **قريمغيري شاهينغيري غوساره** مولود في ١٨٢٠، عقيد، من شراكسة بسلني، خدم في فوج القزاق تلقى شكر خاص من الامبراطور الروسي على "تميزه وشجاعته في الحملة ضد الجبليين في عام ١٨٤١" ومنح وسام " التميز في الحرب ضد الجبليين" * أثناء عملية شتاء ١٨٦٠-١٨٦١" وقتل أثناء مرافقته قائد المنطقة القفقاسية في "أراضي الابزاخ المتمردين".

(٧) **محمد تترخان جمبوت (جمبوتبش)** شارك في "الحملات ضد الجبليين المتمردين" من ١٨٤٢/٥/١. منح رتبة ضابط على "تميزه في القضاء على المتمردين في بلاد القبرطاي".

(٨) **كزيلبيك مصطفى قارما** مولود في ١٨١١، قائد سرية. شارك في الحملة على داغستان. منح مكافأة مالية على تميزه في حربه ضد بلاد القبرطاي.

(٩) **جانتمير وفجوق جانبيك** مولود في ١٨٣٠، جنرال في الجيش الروسي. شارك في عدد من الحملات العسكرية الكبرى. وحصل على أوسمة "على تميزه في المعارك ضد الجبليين"، وعلى المشاركة في الحملة العسكرية على الشراكسة في غرب القفقاس"، و "على الخدمة العسكرية في القفقاس". كما أن والده و"فجوق جانبيك" المولود في ١٨٠٥ كان ضابطاً في الجيش الروسي.

(١٠) **حطوخشيقوا قسي حطرخشيقوا** مولود في ١٨١٣، ضابط شركسي الأصل وصل إلى رتبة المقدم، شارك في الحملات العسكرية في مناطق ما وراء كوبان ضد "الاديغية" ضمن الوحدة القفقاسية الخاصة منذ عام ١٨٣٠.

(١١) **تشيمغوي بشيقوي اخجاقو:** مولود في ١٨٢٩، من أمراء البجدوغ. ضابط حصل على اوسمة للمشاركة في الحملة على القفقاس "وكذلك للخدمة العسكرية في القفقاس" وهو (ابن شقيقه الشخصية الشركسية البارزة خانغيري).

(١٢) **باتا باخوا:** يحمل رتبة ملازم ثان في شرطة الخط القفقاسي في القبرطاي. شارك في عدة حملات عسكرية روسية ضد "الجبليين المتمردين" عام ١٨٥٩ ومنح وساماً على تميزه في الخدمة العسكرية مع القوات الروسية.

(١٣) **شخانغيري باتوقوا:** تميز أثناء مشاركته في حملة عام ١٨٥٠ على شراكسة الكوبان ضمن القوات الروسية ومنح وسام (أنا القديسة) من الدرجة الثالثة.

* المقصود بالجبليين هم شعوب القوقاز عامة، والشراكسة منهم خاصة.

الفصل الرابع

عظماء ومشاهير وأبطال من القيادات السياسية والعسكرية والادبية للأمة الشركسية (الاديغة) في القرنين التاسع عشر والعشرين الميلادي

أولا: عظماء ومشاهير وابطال من القيادات السياسية والعسكرية في المراحل الاخيرة من حروب الابادة والدمار التي شنتها سلطات روسيا القيصرية في الفترة ما بين ١٨٠٠-١٨٦٤

تشير سجلات ووثائق حروب الدمار والإبادة الروسية في السنوات الـ(٦٥) الأخيرة بأن عشرات من الأمراء والقادة العسكريين الأبطال والسياسيين البارزون قد قاموا بأعمال عسكرية وسياسية خارقة، نذكر منهم كل من:- **(أشاغواغوة - بشيقوي، الحاج حوزبيك، سلطان كورغوم - غيري، حاج محمد، حاود منصور، غيري شاميز، شيروخ دوغوظ، دزادزو علي، دزادزو ناوزوز، بستي بشه ماف، حاتوقوه سيلمان، حاتوقوه كالابات، شارات حاميز، غيرا ندوقوه حاج برزج، حاج دوقوم برزج، حاج فازيك شارلوقا ينال أصلان غيري، إيندار نواي، وارداز او زيبش)**[*] **كما تشير الوقائع والأحداث التي رافقت حرب الإبادة والدمار الروسية (١٨٠٠م-١٨٦٤م) بأن عشرات من القادة العظام من الشراكسة سطروا بطولات خارقة في حربهم ضد الجيوش الروسية نذكر منهم:-**

١. قادة وعظماء العقد الأول من القرن التاسع عشر:-

في عام ١٨٠٤م، قامت قوات مكونة من سبعة آلاف مقاتل قبرطاي بقيادة كل أغنياء القبرطاي وهم "جامبولاط ميسوستة" و"عادل جرى" و"شوماخ كوساي" و"دوفتوق أتاجوق ناورز" و"عثمان غيري"، وغيرهم من الأمراء بمقاومة القوات الروسية مقاومة كبيرة، إلا أنهم خسروا المعركة وتركوا على أرضها (٤٠٠) قتيلاً من المقاتلين الشراكسة و(٤٠) من النبلاء الاحرار، واثنين من الأمراء.

في عام ١٨١٨م، ثار حكام القبرطاي على الوجود الروسي في بلادهم وعلى ارتكابهم المظالم ضد شعب القبرطاي وأرسل أمراؤهم وفداً إلى بلاط الامبراطور اسكندر الأول مؤلف من الأمير **(الحاج بزروقوه، والسيد حامرزا كوشوك بيك، والسيد شولوخ آخلوا، والأوزدن تيمروقة قازانشف، والسيد كتاغ قوده نيتو، والسيد ميسوست أنزور)**، للتأكيد على تنفيذ المطالب السابقة لأمراء القبرطاي والتصديق على الامتيازات التي منحتها إياهم الإمبراطورة (كاترينا الثانية) أبان عهدها، فأكرم القيصر (اسكندر) وفادة الوفد ودعا أعضاءه إلى عدة ولائم، حضرها بنفسه لاقتناعه بصداقتهم، ووافق على إرجاع بلادهم الواقعة في مناطق ما وراء نهر (المالقا)، وأمر زيادة الاهتمام بكتيبة الفرسان التي تشكلت كحرس خاص للامبراطور، وخصص لنفقاتها مقدارا كافيا من المال.

وفي نفس الفترة قال الرحالة (بل) عن بطولة أحد القادة الشراكسة الأبطال في معركة من المعارك غير المتكافئة عددا وعدة وهو النبيل (آسلان بك) بعد أن فرغت بندقيته صاح ساحباً سيفه: " **يا إلهي أعرف بأنني عاجلاً أم أجلاً سوف أموت، فهبني الآن هذا الموت**"، وهجم على العدو يتبعه أخوه فاستشهدا دفاعا عن الوطن والشرف، (كما ذكر المؤرخ الشركسي نغموقة) بأن أمير القبرطاي (جميرغوقة) كان من أعظم الأمراء في زمانه، وقاتل في أكثر من معركة وعلى أكثر من جبهة، **ولشدة اعتزازه بنفسه أوصى دفنه ممتطياً صهوة جواده متقلداً كامل ملابسه وعدته الحربية، ونفذت وصيته بعد استشهاده في المعركة.**

وفي شهر حزيران من عام ١٨٢٨م، قاتل وحدات من المقاتلين الشراكسة جنباً إلى جنب مع القوات التركية للدفاع عن (أنابه) ضد هجمات القوات الروسية بقيادة الأمراء (بشيقوى، سايتوغ، نودوق، تيمريوق)، وكان أمير الناتخواج "صفر بك" مستشاراً لباشا (أنابه) وبعد سقوط (أنابه) في أيدي الروس في ١٨٢٨/٦/١٢م تراجعت وحدات الشركس إلى مواقعها في منطقة الكوبان.

ومن القادة الشراكسة الأبطال الذين برزوا في حربهم ضد القوات الروسية في عقد الثلاثينات من القرن التاسع عشر هم:– الأخوين (علي زازي ومحمد زازي) اللذين قادا جيشاً مؤلفاً من أكثر من عشرة آلاف مقاتل شركسي، حيث استطاعت هذه القوات بقيادة الأخوين (زازي) من احتلال حصن (شه بسون) الواقع على ساحل البحر الأسود وتدميره نهائياً باستخدام تكتيك حربي جديد، وهو التكتيك الذي وصفه أحد شهود العيان الذين اشتركوا بالحملة ورجع منها سالماً، واسمه (يوسف توزى أوقَ) من أهل (نجه بسوخ) بقوله: "تحرك الركب من القاعدة الحربية في (قوبات) القريبة من (شه بسون) بعد الغروب بقيادة الأخوين المذكورين اللذين انتخبهما المجلس الحربي قائدين للحملة، حيث كانت الطليعة يؤلفها أشجع الشبان تحت رئاسة (زاقو) من أسرة (شابته)، ثم قسما المشاركين بالحملة إلى ثمانية فرق، ولكل منها قائدها، وسرنا حتى اقتربنا من الحصن، وتهيأنا للهجوم بعد أن أقسم كل منا ذلك القسم الشركسي الرهيب الذي ينص (**إما أن نموت أو نرجع منتصرين**)". *

وفي عام ١٨٣٤م، قامت القوات الروسية بالإغارة على مدينتي (بيتسوندا وكاغرى) الواقعتين على البحر الأسود واحتلالهما إلا أن قوات الأبخاز بالاشتراك مع القوات التي قدمها زعيم قبيلة الأوبيخ (الحاج برزج) قامت بمحاصرة المدينتين اللتين احتلهما الروس، وبوصول قوات الكرج والقوزاق لمساعدة الروس المحاصرين فيهما أجبرهم بالتخلي عن الحصار.

في صيف عام ١٨٤١م، وقعت أربع معارك عنيفة ضد القوات الروسية القيصرية تحت شعار (الحرية أو الموت) وزج الروس في هذه المعارك ما لا يقل عن ١٨٠٠٠ مقاتل روسي وحاولوا التقدم في وادي (بشات) واخترقوا خط الدفاع الشركسي، ورغم ذلك لم يبلغوا هدفهم الحقيقي وهو التوغل برا، في الأراضي الشركسية فارتدوا خائبين، بفضل القيادة الحكيمة التي مكنت المقاتلين الشركس بقيادة (شروخ يقوه وجانبولات حاوقة منصور) وغيرهما من الزعماء الذين صمدوا أمام قوات الروس الكبيرة، واشترك في هذه المعارك الأحداث والفتيان الشراكسة الذين لم يبلغوا السادسة عشرة من أعمارهم، واستشهد البعض منهم وأشارت بعض الوثائق بأن أحد قادة هذه المعارك وهو الزعيم الكبير (حاوقة منصور) الذي كان يتقدم المقاتلين، قائلاً لهم "**طالما سيوفنا بأيدينا، لن نفكر في الاستسلام أبداً..** ".

وفي عام ١٨٦٠م، امتدت الحرب إلى بلاد الشابسوغ، وأحدثت رد فعل شديد لديهم، فهبوا جميعاً في الدفاع عن بلادهم وصدوا تقدم العدو بقيادة الزعيم الكبير (علي بي حانتوخو) الذي كان يساعده نخبة من زعماء وفرسان شعب الشابسوغ مثل: (حاكتوص وحاج برام وإبراهيم ناتخو، وأرسلان بي، وحاكو، وشرتلي وغيرهم)، وتمكن هذا الزعيم من إحباط تقدم العدو ومنعه من إكمال بناء الحصون، كما تمكن من قطع المواصلات بين المعسكرات الثلاثة للروس، وكذلك فإن (الحاج اسماعيل باشا) لم يتوان عن العمل في سبيل مضايقة العدو، وعرقلة مساعيه وتحريض الشعب الشركسي على الكفاح، واستنهاض همته لمواصلة الحرب، وكان يساعده في أعماله (قره باتير ابن صفر باشا) وقد أراد بعد موت أبيه أن يقوم مقامه ويخدم أمته، ولأنه كان قد اعتدى على الروس مراراً فيما سبق، لذلك سلك مسلكاً معادياً لهم.

وكذلك الزعيم (تو) أفندي، أحد زعماء الشابسوغ، والذي كان من ذوي المكانة والنفوذ الواسع في البلاد الواقعة على البحر الأسود، حيث قام بالمساهمة بألفي محارب، لمساعدة المحاربين المدافعين عن السهول الأمامية المهددة بالاجتياح، وكان هذا الزعيم من ألد أعداء الروس، حيث سبق له أن وقع في أسرهم وهو عائد من اسطنبول على ظهر سفينة تركية، فأساءوا معاملته حتى تمكن من النجاة بعد أن افتدى نفسه بالمال.

وكان أصغر قائد لمع اسمه وأصبح يشار إليه بالبنان في حروب القرن التاسع عشر هو أمير (البظة – دوغ) الفتى بشي قوي الذي لم يبلغ الخامسة عشر من عمره، والذي توغل بين صفوف الأعداء وأسقط قائدهم الجنرال (زاس) عن ظهر حصانه الذي أخذه غنيمة لنفسه، علماً بأن هذا القائد

* لمزيد من المعلومات حول هؤلاء القادة العظام يتم الرجوع إلى شورا نغموقة في كتابه تاريخ الجركس القديم.

كما سبق ذكره كان من أكثر الروس العسكريين وحشية وهو الذي كان يلقبه الشراكسة (بشحاغوانه) ومعناه (ذو الرأس المثقوب).

يتضح مما تقدم بأن النصف الأول من القرن التاسع عشر الممتد من (١٨٠٠م-١٨٦٤م) كان عصر الأبطال والبطولات الشركسية، وأن المئات من الأمراء والقادة العسكريين استبسلوا في قتالهم ضد القوات الروسية القيصرية البربرية، وكبدوا الأعداء مئات الآلاف من القتلى والجرحى، إلا أنه لم يتم توثيق أعمالهم البطولية لعدم وجود وقت للمثقفين الشراكسة من توثيق وقائع وأحداث المعارك بسبب انشغالهم في الحروب المستمرة أولاً، وكذلك تعمد الكتّاب والمؤرخين المأجورين من قِبل سلطات روسيا القيصرية طمس الحقائق واخفائها والتعتيم عليهم في وثائقهم وتقاريرهم الرسمية ثانياً.

*** وفيما يلي نبذة عن أعمال وإنجازات للقادة العظام الذين تمكنا من الحصول على معلومات وبيانات موثقة عن سيرتهم الذاتية وهم:-**

١. الزعيم الشعبي والقائد العسكري الشهيد أرسلان بسلانوقة:-

- **مولده ونشأته العسكرية:-**

ولد في منطقة الأبزاخ في منطقة ما وراء الكوبان الشركسية أواخر القرن الثامن عشر ونشأ نشأة عسكرية بحكم تعرض بلاده للغزو الروسي القيصري عامة وقوات الجنرال الروسي الشرير (زاس) خاصة.

- **أعماله وإنجازاته البطولية في ميادين القتال:-**

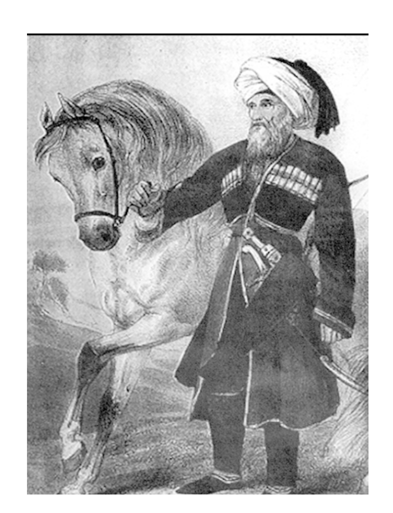
تشير الوثائق بان اعمال (بسلانوقة) تميزت بالجرأة والشجاعة كما تميز أسلوبه في القتال المتمثل في سرعة الحركة ودقة التصويب، كما تميزت قيادته العسكرية بالحنكة والبراعة حتى لُقب بـ(قاهر جنرالات العدو الروسي) لإلحاقه الهزيمة حتى وأكثر من الجنرال الروسي وعلى رأسهم الجنرال الشرير (زاس – Zass) الملقب (بالمجنون) لارتكابه أعمالاً وحشية وإصداره أوامر لقادة (القوزاق) بقطع رأس كل قتيل من الشراكسة، وإرسالها إلى أكاديمية العلوم في (برلين) لدراستها. كما لقبه الشراكسة بالجنرال (شحاغوانة) أي ذو الرأس المثقوب، ومن أكثر جرائمه وحشية هو إخراج جثة الزعيم الشركسي (بسلانوقة) من القبر والتمثيل بها، انتقاما من هذا الزعيم الشركسي الذي هزمه مراراً في المعارك التي تقابلا فيها خلال حروب الإبادة والدمار في بلاد الشراكسة، ووصف أحد الكتّاب هذه الواقعة بقوله:- "عند احتلال الجنرال الروسي السفاح (زاس) للموقع الذي دُفن فيه الشهيد البطل (بسلانوقة) أمر جنوده بإخراج جثته الطاهرة من القبر، ونقس عن حقده وغضبه وغيظه من الإنتصارات السابقة لهذا البطل المجاهد الشهيد على قواته المحتلّة المستعمِرة الغاشمة، بتشويه جثته الطاهرة وتقطيعها إربا إربا بوحشيّة لا نظير لها".

ويقول المؤرخون بأن (بسلانوقة) كان يستخدم تكتيك المباغتة في هجماته على القوات الروسية القيصرية المعتدية، حيث كان ينفذ هجمات على شكل غارات سريعة وخاطفة لايقاع أكبر خسائر ممكنة في الأرواح والعتاد، ثم ينسحب قبل أن تدركه قوات العدو.

٢. المجاهد الكبير الحاج قازبك (قيزيل) شارالوقا (الملقب بأسد شركسيا)

- **مولده وصفاته العسكرية:-**

- ولد عام ١٧٩٥م، وتدرب على فنون القتال على أيدي قادة من قبيلة الشابسوغ.



المجاهد الكبير الحاج قازيك (قيزل) شارالوقا

- لمع اسمه كمقاتل شركسي في إحدى المعارك عام ١٨٢٠م وكان عمره (آن ذاك) الخامسة والعشرين فقط.
- وصفه المؤرخون بأنه كان قائداً شجاعاً يتمتع بقوة جسدية ومهارة قتالية كبيرة، وأنه كان يمتاز بخفة الحركة وسرعة الإغارة مثله مثل المجاهد الداغستاني الحاج (مراد).
- يتمتع بشخصية قوية ولديه قدرة خطابية كبيرة للتأثير في الآخرين، وكان على مقدرة لجمع آلاف المقاتلين وتجنيدهم للقتال ضد الأعداء في أية لحظة.

- **أعماله وإنجازاته وبطولاته:-**

أصبح قائداً فذاً يشار إليه بالبنان بعد انتصاره على قوات الروسية تعدادها ١٤,٠٠٠ ألف جندي في معركة (آبين) بينما كان عدد القوات الشراكسة التي يقودها البطل المجاهد (قيزيل بك) ١٧٠٠ فارس فقط واستطاع قتل ٦٠٠٠ جندي روسي ومنع التقدم الروسي لبلاد الشراكسة في الجزء الشمالي الغربي من القفقاس.

وفي عام ١٨٣٧م، قاد (قيزيل بك) قوة من المقاتلين الشراكسة البالغ عددها حوالي ١٥٠٠ مقاتل وتصدى لهجوم كبير نفذه جيش روسي مكون من ستة آلاف جندي عند نهر (طوابسة)، وهزمهم بعد أن قتل عدداً كبيراً منهم، ولاذ الأحياء منهم بالفرار، وغنم أسلحة وعتاداً منها مدافع عديدة.

انضم المجاهد الكبير البطل (قيزيل بك) عام ١٨٤٠م، إلى جيوش المقاتلين الشراكسة في الغرب بقيادة كل من الأمراء والقادة (حاوتوقة منصور، وشروخ يقوه تغوج وغيرهما)، واحتلوا يوم ١٢شباط ١٨٤٠م قلعة (روسية) وحصن طوابسة وقتلوا المئات منهم وأسروا ٥٠٠ جندي روسي، واستشهد المجاهد الحاج (قيزيل بك) يوم ٢٩ شباط من عام ١٨٤٠م، متأثراً بجراحه في المعارك الأخيرة وهو في الخامسة والأربعين من عمره.

وهكذا أفل نجم عظيم من عظماء الأمة الشركسية بعد أن قاد عشرات المعارك ضد جيوش روسيا القيصرية على مدى عشرين عاماً ولقب بـ**(أسد شركسيا).**



٣. الزعيم المجاهد شروخ يقوه تغوج:-

- **مولده ونشأته العسكرية:-**

وُلد أواخر القرن الثامن عشر في قرية بمنطقة قبائل الناتخواج في الكوبان شمال غربي القفقاس وتدرب على فنون القتال منذ الصغر بحكم اندلاع حرب الإبادة والدمار الروسية في القفقاس عامة وفي بلاد الأمة الشركسية خاصة.



الزعيم المجاهد شروخ يقوه تغوج

- **إنجازاته وأعماله البطولية العسكرية:-**

بدأ أعماله القتالية عندما قاد مجموعة من المقاتلين الشراكسة في شن هجوم خاطف بمساعدة القائد الشركسي (جانبولات) على قوة روسية مؤلفة من ٥٠٠ جندي روسي واستطاعوا إبادة القوة والعودة إلى قواعدهم بأقل الخسائر في الأرواح والعتاد.

وفي شباط عام ١٨٤٠م، شارك الأمير (شروخ) كلاً من القادة الشراكسة الحاج قازبيك الملقب بـ(أسد شركسيا) وحاوتوقة منصور في مهاجمة القلاع الروسية على البحر الأسود واحتلال قلعة (واية) وحصن (طوابسة) ثم قلعة (شابيس) واستطاعوا أسر ٥٠٠ جندي روسي وقتل المئات منهم وغنموا الكثير من المعدات المتطورة وغنموا ٢٠٠ مدفع روسي وبلغت خسائر الشراكسة (٣٥٠) شهيداً نتيجة انفجار مستودع البارود في حصن (طوابسة).

وفي نفس الفترة تمكن بقيادة الزعيم الأمير (شروخ) وبمساعد كل من الأميرين (جانبولات وحاتوقة) من إيقاف جيش روسي مؤلف من (١٨) ألف جندي خرجوا من القاعدة الحربية المعروفة باسم (بشات) في محاولة لهم للتوغل في أراضي شراكسة الكوبان والاستيلاء على مواقع استراتيجية فيها، إلا أنها توقفت عند وادي (بشات) ولم يتمكنوا من اختراق خط الدفاع الشركسي بفضل القيادة الجماعية التي كان يترأسها الأمير المجاهد الكبير (شروخ).

٤. القائد البطل أشا غواغوة:- *

عُرف أشا غواغوة (بشيقوي) في انتصاراته على القوات الروسية أثناء حروب الإبادة والدمار في القفقاس في كل أنحاء شركسيا، وكان من أشهر القادة العسكريين الشراكسة، في عقد الثلاثينات من القرن التاسع عشر وهزم قوات الجنرال (ويليا مينوف) عدة مرات.

- **أشا غواغوة الخطيب:-**

كان (أشا) محط أنظار الناس في المؤتمرات لأنه بجانب مهارته الحربية كان متكلماً وخطيباً، وإنه ولد ليقود الشعب.

وكان النظام المتاح عند الشراكسه هو أن يتم تعيين القائد العسكري لكل منطقة في الاجتماعات العامة لنواب الشعب، وكان يوضع بأمرة كل قائد عسكري وحدة عسكرية ثابتة من (١٠٠) فارس، في حالة وقوع الأعمال القتالية كان يتم تقديم أعداد محددة من القوات حسب طلبات القائد العام، وكان لدى بعض القادة قوة دائمة تصل عدة مئات وأحياناً عدة آلاف، فمثلاً كان لدى الأمير الشركسي (أشا غواغوة) قوة ثابتة مؤلفة من ٦٠٠٠ فارس، وفي أوقات الحرب كانت هذه القوى تصل إلى ١٢٠٠٠ مقاتل.

وفي منتصف شهر أيار من عام ١٨٣٨م سقط (أشاغواغوة) في ساحة القتال، ونظم الشعب أغنية لتمجيد أعماله البطولية.

٥. المجاهد الأمير الحاج برزج جراندوقة:-

- **نشأته العسكرية:-**

- من مواليد منطقة الأوبيخ في منطقة ما وراء الكوبان.

* شفيق اسماعيل، مصدر سابق ص:(٢٢-٢٣).

- تدرب على فنون القتال على يد عمه قائد قوات الأوبيخ لفترة طويلة، واسمه (برزج أداغوة)

- **مناصبه القيادية والعسكرية:-**

- تولى قيادة جيوش الأوبيخ بعد استشهاد عمه (برزج أداغوة).
- انتخب لقيادة الجيوش المشتركة بين شراكسة الكوبان المؤلفة من الأوبيخ، والأبزاخ، والشابسوغ، والحاتقواي، والأبخاز.

- **إنجازاته وبطولاته العسكرية:-**

- احتل عام ١٨٤٠م، الحصون الروسية على البحر الأسود كقلعة (واية) وحصن طوابسة وقلعة شابس وقلعة أبيس، كما احتل قلعة ويليا مينوف وغولوفينسكوية بعد طرد الروس منها ولم يغادرها إلا بعد أن هاجمته قوة تتكون من ٨٠,٠٠٠ مقاتل روسي وقوزاقي.
- شاركت الجيوش الشركسية بقيادته في غرب القفقاس في الفترة (١٨٤١م-١٨٤٦م)، حوالي (٨٨) معركة ضارية ضد القوات الروسية القيصرية.
- قاتل الأمير (برزج) القوات الروسية حتى عام ١٨٦٣م، ولم يتوقف عن القتال إلا بعد انهيار المقاومة الشركسية وإعلان انتهاء الحروب الروسية الشركسية يوم ٢١ أيار ١٨٦٤م.
- هاجر الأمير برزج ضمن المُهجرين الشراكسة إلى تركيا، ومُنح هناك لقب الباشوية تقديراً لجهاده وأعماله البطولية ما يزيد عن عشرين عاماً.
- تطوع بالجيش الشركسي/ التركي الذي دخل بلاد القفقاس قبل انتهاء الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٧م بقيادة الرواد الشراكسة (عمر حكمت باشا، وعزت مت جونا توقة، واسماعيل برقوق)، إلا أن الحملة توقفت بسبب انتهاء الحرب بهزيمة ألمانيا وحلفائها الأتراك.
- الأمير برزخ، شاعر موهوب وألف أشهر القصائد الشركسية (الغبزة) عن مأساة التهجير الشركسية والمُسماة "**مبكاة التهجير**" وهي قصيدة يرددها الشراكسة في الوطن الأم وبلاد المهجر عامة في يوم الحداد القومي الشركسي الذي يصادف ٢١ أيار من كل عام.

توفي الحاج (برزج) في تركيا عن عمر يناهز ١١٠ سنوات قضاها مجاهداً ومناضلاً في سبيل الله والوطن الأم.



الحاج برزج جرندوقة

الفصل الخامس

عظماء ومشاهير من الادباء والمؤرخين ورجال العلم والادارة

من شراكسة الوطن الأم في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر والعشرين الميلادي

برز في القرنين السابع عشر والثامن عشر الميلادي عدد كبير من الادباء والمؤرخين والعلماء اثروا الحركة القومية الشركسية عامة والحركة الادبية خاصة نذكر منهم:

(١) إسماعيل – بي حتاجيقوة (١٨١٢-١٧٥٠)

هو الامير الشركسي الذي حمل رتبة عقيد الجيش الروسي. وكان عنوانا للقصيدة التي نظمها لميخائيل ليرمونتوف عام (١٨٣٢) وعنوانها البطل اسماعيل – بي، وهو ايضا الرجل الاجتماعي السياسي البارز في عهده، تعلم في القرم وروسيا. وقاد الجيش باستيلاء قلعتي أوتشاكوف (١٧٨٨) واسماعيل (١٧٩٠). أهدي له وسام القديس جيورجيوس من الطبقة الرابعة والميدالية الالماسية وشارك في محادثات معاهدة السلام البائسة بين روسيا والدولة العثمانية عام (١٧٩٢) واصبح سفير الكسندر الأول لدى القوقاز. وسعى لانضمام الشعوب القوقازية إلى روسيا بالطرق السلمية.

بالإضافة إلى شجاعته وبطولاته العسكرية وانجازاته السياسية. كان بارعا والف اكثر من كتاب منها."وصف وجيز لشعوب القوقاز الشمالي الجبلية" و "مذكرة عن شعوب القوقاز" وغيرهما.

(٢) كتشوك جانخوتوف (١٨٣٠-١٧٥٨)

آخر امراء القبردي العليا في الفترة (١٨٣٣-١٨٠٩) أول أمين سر المحكمة القبردينية المؤقتة (١٨٣٠-١٨٢٢) وكان يحمل رتبة عقيد في الجيش الروسي. وهو الذي وضع النظم الإدارية والقضائية الروسية في بلاد القبردي. ألغى منصب أمير القبردي العليا بالرغم من ذلك بقي (كتشوك) حتى آخر حياته زعيم معترفا به لأمير الاكبر لشعب القبردي – فهو من اوائل القادة الاداريين في بلاد القبردي، كما كان سياسيا بارعا نشطا، ومن انجح الامراء الذين استطاعوا إنشاء تفاهم متبادل بين الشعوب القوقازية الشمالية وروسيا القيصرية.



كتشوك جانخوتوف

(٣) شورا بكمرزا نغموقه (رائد الكتّاب الشراكسة والمؤرخ الأول للأمة الشركسية) (١٧٩٤-١٨٤٤)

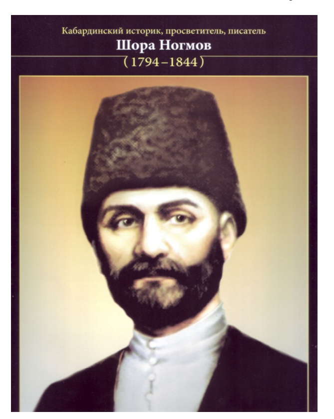
الكاتب (نغموقة) ويعرف باسم (نجوما شورا) ويعتبر من أوائل كتاب الشراكسة ومؤرخيهم، ساهم مساهمة فعالة في إحياء تاريخ وأدب ولغة الشراكسة، وأعماله في هذه المجالات لا تقدر بثمن.

ولد مؤرخ الشراكسة الأول (نجوما شورا) عام ١٧٩٤م لعائلة متوسطة الحال، كانت فيما مضى من طبقة النبلاء، تسكن في قرية على ضفة نهر (جستو) بالقرب من مدينة (قارمحبلا) في جمهورية كباردينو بلقاريا الحالية، ويعتقد أن هذه المدينة قد هاجر سكانها في النصف الأول من القرن التاسع عشر، (ونجوما شورا) من أبناء إحدى القبائل الشركسية التي هاجرت إلى بلاد القبردي من مناطق مجاورة لمقاطعات الأبزاخ، وأنهى دراسته الإسلامية عام ١٨١٧م في مدينة (أندبري) في الداغستان، وأصبح ملماً بأمور الدين الإسلامي، فعمل بعد تخرجه ولمدة سنة واحدة في مجال تدريس

الدين الإسلامي، وفي عام ١٨١٨م انخرط في سلك الجيش الروسي القيصري العامل في شمال القفقاس في حوض نهر الفولجا، فعمل في قسم القلم ضمن فرقة القوزاق، ثم أصبح خازنا للأسلحة في بعض المناطق، ثم فارساً في فرق الفرسان، ثم مدرساً للغة الروسية والتركية في مدرسة الرهائن في مدينة نالتشك، وأخيراً سكرتيراً لهيئة المحكمة في نالتشك.

عاصر (شورا) عدداً من كتاب وشعراء روسيا اللامعين، منهم الشاعر أ.س بوشكين، م. ويولير مونتوف، والعلامة أ.م شيفرين، وقد قال عنه المؤرخ الروسي س.د نيتشاييف (أن المؤرخ والأديب الشركسي نجوما شورا يجيد اللغات الروسية والتركية والعربية ولغة الأبزاخ ويلم ببعض لغات الأقوام التي تسكن القفقاس، هذا بالإضافة إلى لغته الأصلية).

وفي كانون الأول عام ١٨٣٢م رقي (شورا) إلى رتبة ملازم في الجيش الروسي، وتهيأ له الجو للكتابة والبحث والتنقيب خاصة في قواعد وأصول اللغة الشركسية، وفي عام ١٨٣٥م ذهب ضمن فرقة الفرسان إلى تفليس في جورجيا، وخدم فيها حتى عام ١٨٣٧م حيث اعتزل الجيش وعاد إلى مسقط رأسه، وتفرغ لنشر الثقافة والعلم والمعرفة بين قومه، وانكب على دراسة تاريخ الشراكسة وأدبهم الشعبي، حيث جمع الكثير الكثير منه وقام بتحليله ودراسته، مما ساعده في إبداعه بأعماله الأدبية والتاريخية وفي دراسة اللغة وأصولها، وكان يقول دوماً: (سأصل إلى هدفي، وهو ان أُدرس قومي لغتهم واللغة الروسية، وأن أجعل الروس وشعوب أوروبا يهتمون باللغة الشركسية وبثقافة وتاريخ الشراكسة، حيث لدينا الكثير مما يجب أن يعرفه الباحثون والشعوب الأخرى) وكان هذا ما سعى إليه (شوار) بكل طاقاته وامكانياته واستطاع أن يحقق بعضها.



شورا بكمرزا نغموقة

عمل (شورا) سكرتيراً في محكمة نالتشك في الأعوام ١٨٣٨/١٨٤٢ وفي هذه السنين أعاد النظر في كتاباته حول قواعد اللغة وأصولها، وفي الأدب الشعبي والتاريخ، حيث انتهى عام ١٨٤٠م من وضع مؤلفه الأول الذي أسماه (مبادئ وأصول قواعد اللغة الشركسية) وأرسله إلى الأكاديمية الروسية لإبداء الرأي فيه ومناقشته، فدرسه العلامة أ.م شيفرين، وأبدى عليه ملاحظاته، وأعاده للمؤلف، وفي أواخر عام ١٨٤١م فكر (شورا) بإنشاء مدرسة في نالتشك لتدريس اللغتين الشركسية والروسية، وأيده في ذلك بعض رجالات الشراكسة، فبعثوا بالتماس إلى الحاكم العام الجنرال (بيرياتينسك) يعرضون عليه مطلبهم، ويطلبون منه إيفاد (شوار) في بعثة إلى الأكاديمية الروسية.

استمر (شورا) في عمله في سكرتارية المحكمة، وإن كان يتطلع إلى ذلك اليوم الذي يستطيع فيه التفرغ لإنجاز أعماله الكتابية وأبحاثه القومية، وأراد أن يتفرغ لكتاباته حيث قدم فعلاً التماسا إلى المسؤولين لإعفائه من الخدمة في المحكمة، ولم ينتظر الرد بل ترك الخدمة نظرا لصحته التي بدأت تزداد سوءاً، وذهب إلى حمامات المياه المعدنية الساخنة في (بياتغورسك)، ولم يعد بعدها إلى العمل.

وفي عام ١٨٤٣م، انتهى (شورا) من وضع مؤلف آخر اسماه (الأساطير الشركسية)، وكتاب ثانٍ حول (تاريخ الشعب الشركسي)، وأعاد النظر في كتابه (مبادئ وأصول قواعد اللغة الشركسية) ووضعه بعد تنقيحه في إطار جديد، وسعى مرة أخرى للذهاب بمؤلفاته الثلاث إلى الأكاديمية الروسية لمناقشتها هناك ثم طبعها.

وفي عام ١٨٤٤م، منح (شورا) منحة مالية وسمح له بالالتحاق إلى الأكاديمية برفقة خادمه، ووصلها في الرابع عشر من أيار عام ١٨٤٤م، ولكن المرض الخطير أقعده، وازدادت صحته سوءاً،

ولم يمهله القدر كثيراً إذ امتدت إليه يد المنون فاختطفت تلك الشعلة المنيرة **في العاشر من حزيران عام ١٨٤٤م.**

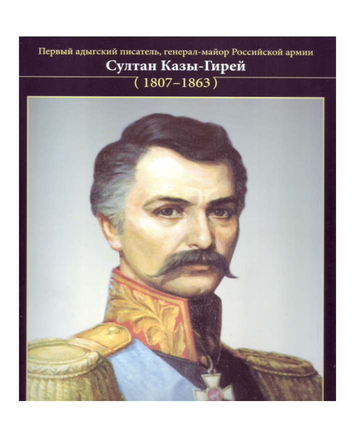
ومات (نجوما شورا بن بكمرزا)، ذلك الابن البار للشعب الشركسي والمثقف الكبير، والمؤرخ الفذ، واللغوي والشاعر المبدع، مات ودفن في مقبرة المسلمين (مقبرة تتارسك) في مدينة فولكوفا، ونعته الأمة الشركسية بمزيد من الحسرة واللوعة، والحزن العميق، وعزت وفاته على زملائه من كبار الشعراء والأدباء والعلماء الروس.

ترك (شورا) الحياة قبل أن يرى ثمرة دراسات وأبحاث أعدها خلال أكثر من ثلاثين عاما وبقيت مؤلفاته عشرات السنين مبعثرة هنا وهناك في أرشيف الأكاديمية الروسية، إلى أن عثر عليها بعض أساتذة الأكاديمية، أمثال (يوكتوف)، كما قام ابنه (لروستان) من نشر كتابه الأديكة (الشركسي) القديم عام ١٨٦١م وتُرجم إلى اللغة الألمانية عام ١٨٦٦م ثم ترجمه إلى اللغة العربية الدكتور شوكت المفتي عام ١٩٥٣م.

(٤) الأديب والسياسي غازي غيري (١٨٠٨-١٨٦٣)* وهو رائد كتاب القصص الشركسية الطويلة:-

يمثل (غازي غيري) مكانة هامة في تاريخ تطور الأدب الشركسي، وقد كان من أوائل من كتب عن حياة الشركس بالإضافة إلى كونه رجل سياسي بارع.

ولد (غازي غيري) عام ١٨٠٨م في منطقة "كوبان" كما ذكر في كتابه "سهول أجيتوغاي"، فقد كاتبنا والده باكراً وكان الابن الوحيد لأمه، التحق بالجيش عام ١٨٢٦م برتبة جندي وبعد ذلك رفع إلى رتبة ضابط ونقل إلى بيتروغراد "لينغراد"، وقد استغل (غازي غيري) وجوده في العاصمة فقام بتعليم وتثقيف نفسه عن طريق إتصاله بكتاب روس مشهورين، وقد لعب الكاتب الروسي "مورافيف" دوراً كبيراً في حياته الأدبية، وتعرف عن طريقه بشاعر عصره (بوشكين)، وقد نشر له بوشكين باكورة إنتاجه في عام ١٨٣٦م في جريدة "المعاصر"، وفي عام ١٨٤٠م ينقل إلى القفقاس برتبة رائد ويتنقل في عدة أماكن حتى عام ١٨٥٩م حيث يستقر، وبرتبة لواء يرأس "فرقة القفقاس" وقد توفي في عام ١٨٣٦م.



الأديب والسياسي غازي غيري

لقد كرس غازي غيري حياته في القفقاس لدراسة التاريخ الشركسي بكل تفاصيله بالإضافة لمساعدة أبناء وطنه في الدراسة، ومتابعة أمورهم الدراسية في مدينة "ستافروبول".

بشهادة معاصرية كان (غازي غيري) يملك مكتبة عظيمة تحتوي على مؤلفات نادرة ومن هذه المؤلفات "الزمن قبل ظهور الروس، وخاصة القوزاق في المناطق الشركسية"، اهتم غازي غيري بالأدب إضافة إلى السياسة، وقد ظهرت موهبته الفذة وثقافته في كتابه الأول "سهول أجيتوغاي" وقد ضمّنه حبه الشديد لأبناء موطنه الجميل، وقد قام الشاعر بوشكين بنشرها في العدد الأول من مجلة المعاصر، لقد استحوذت هذه القصة اهتمام النقاد والكتاب وكان من بينهم الناقد والكاتب الروسي الشهير "بلينسكي" الذي أشاد بكتابة (غازي) وقال عنه "بأنه متمكن من اللغة الروسية أكثر من بعض الأدباء الروس المشهورين".

* ذكرت بعض المصادر التاريخية بأنه من مواليد عام ١٨٠٧.

قام بوشكين بنشر قصة (غازي غيري) دون أخذ تصريح من الرئيس المباشر له مما سبب غضبه فأرسل بكتاب تهديد إلى بوشكين بعدم نشر أي قصة لضباطه بدون علمه، ومع ذلك قام بوشكين بنشر قصة غازي غيري الثانية "نكتة فارسية" في العدد الثاني من جريدة "المعاصر".

إن كتابات غازي غيري قد ساعدت في رفع مستوى الأدب الشركسي، وقد احتلت مكانة خاصة في الأدب الشركسي فيما قبل الثورة البلشفية؟ في قصته "سهول أجيتوغاي" التي تتحدث عن ضابط جبلي يعود إلى موطنه بعد غيبة طويلة قضاها في الخدمة العسكرية، ومحور القصة يدور حول أحاسيس وشعور ذلك الضابط حين يقوم بزيارة المناطق العزيزة عليه منذ الطفولة، ويصف الكاتب بأسلوب جميل رائع جمال الطبيعة الخلاب، كما يصف الحياة الجبلية التي يعيشها مواطنوه، **ومن خلال وصفه لمدى حبه لوطنه يظهر لنا مدى خوفه على مصير وطنه الغارق في الحروب، كما يتناول المشاكل الاجتماعية الناجمة عن التطورات الاجتماعية وخوفه من المستقبل، ولكنه كمثقف يرى أن خلاص شعبه من مشاكله يتم عن طريق تثقيفه وتعليمه.**

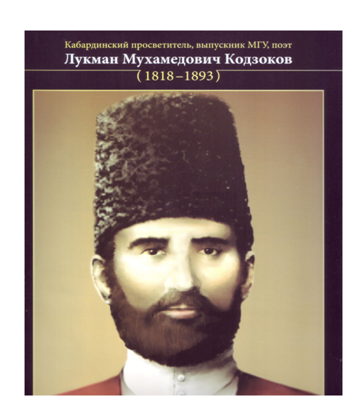
(٥) سلطان خان – غيري (١٨٤٢–١٨٠٨)

شارك في الحرب الروسية الفارسية (١٨٢٨–١٨٢٦). خدم في كتيبة البحر الأسود للفرسان، وقائد الكتيبة النصفية القوقازي الجبلي في سانت بطرسبرغ. وهو صاحب أثر كبير تاريخي أثنوغرافي في "مذكرات عن تشيركيسيا". لقبه الامبراطور نيكولاي الأول بـ "كارامزين شركسي"*.

كما نشر هذا الباحث الموهوب المؤلفات التالية: "الحكايات الشركسية"، "ديانة، أخلاق، عادات ونمط حياة الشركس"، "الامير كانبولات" والخ.

وكان خان – غيري كان معتقد بأن انضمام الشركس لروسيا يتيح لهم فرصة لاخذ عنهم العلوم والثقافة. وشهد له علماء الروس بأن التاريخ والاثنوغرافيا الذي وصفه سلطان قد أسهمت بقسط كبير في العلم الروسي والعالمي.

(٦) لقمان مخاميدوفيتش كادزوكوف (١٨٩٣–١٨١٨)

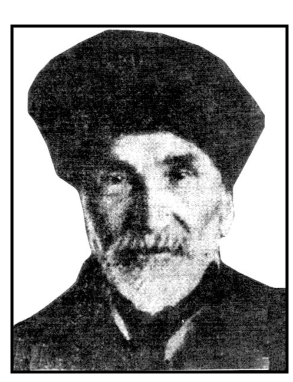


رجل الدولة لقمان كادزوكوف

هو رجل الدولة والاجتماعي والمؤرخ العبقري والفيلسوف والصحفي. نشأ في اسرة أ. س. خومياكوف بعد تنصره أخذ اسم (دميتري ستيبانوفيتش) وهو خريج مدرسة بالوفسكي وجامعة موسكو. وأصدر كتابا تحت عنوان "قصيدة لشاب شركسي" حين كان طالب في جامعة موسكو عام (١٨٣٧) وعاش في بياتيغورسك وخدم في الجيش الروسي في القوقاز الجنوبي للاعوام (١٨٦٣–١٨٤٤). وفي عام ١٨٦٣م. عُين رئيسا للجنة الأراضي في تفيرسكايا أوبلاست. ويسجل له نضاله وكفاحه من أجل إنشاء المؤسسات التعليمية وتعميمها في القبردي. حيث أنشأ في قريته (ابوقوة) أول مدرسة إبتدائية. وهو أيضا صاحب فكرة انشاء مزارع خاصة بالخيول.

* نيكولاي ميخائيلوفتش كرامزين المؤرخ، والروائي، والشاعر الروسي المشهور جدا.

(٧) الشاعر الشركسي الثائر بكمرزة باش (صاحب المواقف الجريئة في مقاومة تهجير الأمة الشركسية):-



الشاعر الكبير بكمرزة باش

مولده ونشأته:-

ولد عام ١٨٤٥م في قرية (قلشبي حابله) في شمال القفقاس، واهتم منذ صغره بتاريخ الشراكسة وعاداتهم وقصصهم وأساطيرهم القديمة.

ويعتبر مؤسس الشعر في بلاد القبرطاي منذ ان كان في العشرين من عمره وكان شاعراً ثورياً في ظل استعمار روسيا القيصرية في الفترة (١٨٦٤-١٩١٧).

- **مواقفه البطولية من الهجرة ودعوته للشراكسة المهاجيرن للعودة إلى الوطن:-**

هاجر إلى تركيا ضمن الأفواج التي هاجرت عام ١٨٨١م، وبعد أن أدرك حجم المآسي والمصاعب والمخاطر التي واجهت الشراكسة في هجرتهم إلى تركيا بدأ بجمع عشرات الرسائل من الشراكسة المهاجيرن، يصفون فيها مآسي التهجير والجوع والمرض والإذلال والأخطار الكبيرة التي تعرضوا لها (أثناء هجرتهم وبعدها)، وحمل هذه الرسائل إلى أهلهم

الذين ظلّوا متمسكين بأرض وطنهم، وبدأ يقرأها عليهم مع إلقاء بعض أشعاره الوطنية الشعبية في لقاءاته داعياً إياهم للتشبث بتراب الوطن، وعدم مغادرته إلى بلاد الشتات في الغربة.

وفي عام ١٩٠١م، زار المهاجرين الشراكسة في تركيا مرة ثانية، حاملاً معه رسائل من أهلهم المرابطين على تراب الوطن يدعوهم فيها للإسراع في العودة إلى الوطن الأم.

وفي عام ١٩٠٥م، انضم إلى حركة ثورية تحررية كانت تطالب الروس القياصرة المحتلين بتوزيع أراضي الاقطاعيين على صغار المزارعين في المناطق التي حُددت لسكن الشراكسة الذين نجوا من التهجير، كما تمكن بجهوده الشخصية المتواصلة أن يثني أعداداً كبيرة من العائلات الشركسية التي كانت تنوي اللحاق بأقرانهم وأهلهم الذين هاجروا إلى خارج البلاد وظلوا متمسكين بأرض الأجداد بالرغم من الحياة الصعبة التي كانوا يعيشونها بين القوزاق المتوحشين.

وفي عام ١٩١٣ شهد انتفاضة شعب القبرطاي على سلطات القيصرية في (غازي مراد).

عاصر بكمرزة الفترة الأولى من حكم شيوعيين وهي الفترة الممتدة من ١٩١٧-١٩٣٦.

- **أعماله الشعرية:-**

تميزت أشعار (بكمرزة) بالنبرة الوطنية العاطفية تحمل طابعاً فلسفياً وفي المراحل الأخيرة من حياته اتجه لنظم أشعار لاذعة تحمل طابع السخرية، ونشرت جميع اشعاره بعد وفاته عام ١٩٣٦م في مسقط رأسه في شمال القفقاس.

الفصل السادس

القادة السياسيين العظام والرواد الاوائل من أدباء ومفكري ومؤرخي شراكسة الوطن الأم في ظل حكم الشيوعي في الاتحاد السوفيتي (١٩١٧-١٩٩٢)

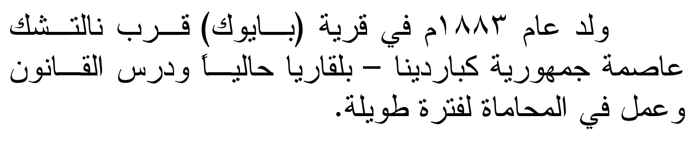
أولا: القادة السياسيين والمناضلين الشراكسة الذين قاوموا الحكم الشيوعي في ظل الاتحاد السوفيتي

بالرغم من شدة الحكم الشيوعي في عهد (جوزيف ستالبين) وبالرغم من تحكم انصار الحزب فإن عدداً من القيادات السياسية الشعبية وبدعم ومساندة من عدد من الشعراء والكتاب الشراكسة، ذات النزعات القومية التحررية، ويحتفظ التاريخ الشركسي بأسماء هؤلاء المجاهدين الأبطال بفخر واعتزاز ويعتبرهم من القادة العظماء في تاريخ الأمة الشركسية، **نذكر منهم على سبيل المثال وليس الحصر كل من:-**

- **الثائر بيشماف كوتسوك**، ثاني رئيس حكومة لجمهورية القفقاس في الفترة الممتدة ما بين أعوام (١٩١٧-١٩٢٥).
- **القائد العسكري سلطان قلج كراي**، قائد قوات جمهورية شمال القفقاس.
- **البرلماني سنغيدي جباغي**، اول رئيس منتخب لبرلمان جمهورية شمال القفقاس المتحدة.
- **وزراء حكومة (بيشماف)**، في جمهورية شمال القفقاس وهم **(نوح تارقو للدفاع، رشيد خان للداخلية، حيدر بامات للخارجية، أصلان كري جباغي للمالية، المهندس ملكخان للصناعة والتجارة، المهندس إبراهيم حيدر للمواصلات، والمفكر الأديب شاخصيوار للتعليم، آ.بوتات للزراعة وأملاك شؤون الدولة).**
- **الشهيد البطل اسماعيل كرتي**، قائد الثورة الشعبية الشركسية عام ١٩٣٢م.
- **الشهيد البطل اسلام كوتسوك**، القائد الثاني للثورة الشعبية الشركسية عام ١٩٣٢م.
- **المناضل القومي يوري موسى شينبه، أول** رئيس لاتحاد شعوب القفقاس للأعوام (١٩٨٩-١٩٩٢).
- **المناضل القومي فاخركوتسويف**، رئيس مجلس الشيوخ المنتخب في اتحاد شعوب القفقاس للأعوام (١٩٨٩-١٩٩٢).

وفيما يلي دراسة موجزة للأعمال والإنجازات السياسية والقومية والأدبية التي قدمها كل واحد من هؤلاء العظماء:-

١. الرئيس بيشماف كوتسوك، الرئيس الثاني لحكومة جمهورية شمال القفقاس المتحدة:-



ولد عام ١٨٨٣م في قرية (بايوك) قرب نالتشك عاصمة جمهورية كباردينا – بلقاريا حالياً ودرس القانون وعمل في المحاماة لفترة طويلة.

وفي يوم ١٩١٧/٣/١٥م، وبعد تنازل القيصر عن سلطاته الدستورية، كان (كوتسوك) أحد ممثلي شعوب شمال القوقاز الذين اجتمعوا لبحث إمكانية تأسيس دولة شركسية.

وفي يوم ١١ من شهر أيار/ مايو ١٩١٧م، شكلوا (مؤتمر شمال القوقاز الأول) ليكون الهيئة التشريعية العليا



الرئيس بيشماف كوتسوك،

التي أنيط بها تنظيم مستقبل تلك الشعوب، وتعمل في نفس الوقت كحكومة انتقالية لدولة شمال القوقاز المستقلة.

وفي أيلول/ سبتمبر من نفس العام، وخلال المؤتمر الثاني لنفس الهيئة تم التصديق على مشروع دستور الدولة القوقازية الجديدة.

وفي ١١آيار/مايو ١٩١٨م، أعلنت دولة شمال القوقاز استقلالها وتم الاعتراف بها من قبل القوى العظمى في ذلك الوقت منها: **(ألمانيا، والنمسا، والمجر بالإضافة لتركيا)**، وانتخب **(عبد المجيد جرويوييف تشيرموي)**، أبرز رجالات الهيئة التشريعية العليا كأول رئيس للدولة الجديدة وهو شيشاني الأصل وكوتسوك نائباً له.

كما تم انتخاب برلمان لها برئاسة(سنغيري جباغي) وهو شركسي الأصل، وأقر بأن اللغة العربية واللغة التركية هما اللغتان الرسميتان في الجمهورية الجديدة بالإضافة للغات القومية للشعوب الأعضاء في الجمهورية.

وفي يوم ١٩١٨/١٢/١٥م، استقال عبد المجيد جرويوييف (تشيرموي) الشيشاني الأصل أول رئيس لجمهورية شمال القفقاس، وقام بتأليف الحكومة الجديدة نائبة (بيشماف كوتسوك) من شراكسة القبرطاي بتاريخ ١٩١٨/١٢/١٩م.

وفي عام ١٩١٩م، غزى الجنرال القيصري (دينيكن) جمهورية شمال القفقاس ورفض الاعتراف بها لقناعته بان روسيا وحدة واحدة لا يمكن تجزئتها، وعندما رفض القوقازيون الانضمام لقواته، قام (دينيكن) بحرق عشرات القرى والمدن.

وفي مارس/ ١٩١٩م، قدّم الرئيس (بيشماف كوتسوك) استقالة حكومته إلى المؤتمر الشعبي نتيجة الضغوط العسكرية الكبيرة التي تعرضت لها بالإضافة إلى المصاعب المالية التي عانت منها.



رئيس حكومة القفقاس عام ١٩١٨م مع الوفد الذي رافقه إلى استنبول لاقناع تركيا بالاعتراف باستقلال القفقاس

وفي شهر آذار/ ١٩٢٠م، قامت وحدات الجيش الأحمر (الشيوعي) باحتلال الجمهورية بعد ان استنزفت قواتها في حربها ضد القوات القيصرية بقيادة (دينيكن) ومع حلول عام ١٩٢٥م ألغيت الجمهورية.

وانسحب كوتسوك مع قيادته السياسية إلى تركيا وعاش فيها حيث تفرغ لكتابة العديد من المقالات والدراسات عن وطنه الأم في الصحف التركية، وتوفى في المنفى في تركيا عام ١٩٦٤/١/١٨م.

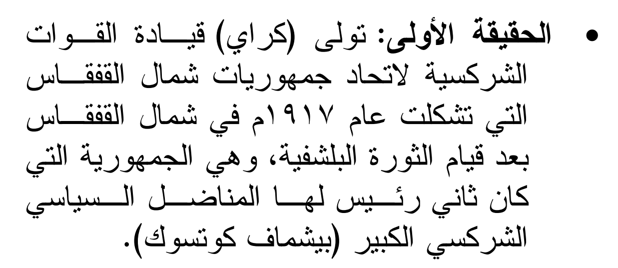
٢. الشهيدان البطلان اسماعيل كرتي، واسلام كوتسوك:-

ربما كانت القلة القليلة في العالم عامة وفي بلاد القوقاز خاصة الذين عرفوا أو سمعوا عن الثورة الشعبية الشركسية التي خطط ونظم لها البطلان (كرتي وكوتسوك) حيث أذاع اسماعيل كرتي ورفاقه عام ١٩٣٢م بياناً ونداءً عاماً موجهاً إلى سفراء الدول في موسكو، وإلى حكومات العالم الحرة باللغات الثلاثة العربية والتركية والروسية، وهز نشر هذا البيان كيان الحكومة السوفيتية أكثر مما هزتها هزيمة جيشها، فحاولت جاهدة أن تمنع انتشارها ولكن دون جدوى فقد أذيع البيان في كل أنحاء أوروبا عامة، وفي صحف فرنسا وبولونيا خاصة، فثارت ثائرة السلطات الروسية لمنع إستفحال هذه الحركة الثورية الشعبية.

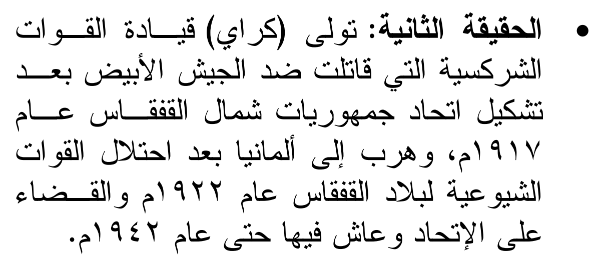
وحشدت جيوشها بأعداد تفوق أضعاف سكان الثوار الشراكسة، وتقهقر الوطنيون القوقازيون عامة والشراكسة خاصة نحو قمم الجبال حتى أحيط بهم في قمتي ألبروز وسالانا حتى عام ١٩٣٤م، وبعد نضال عامين متواصلين قُضي على آخر مناضل منهم، واستشهد البطلان اسماعيل كرتي وإسلام كوسك مع أعداد كبيرة من الثوار الشراكسية الذين شاركوا في هذه الثورة القومية والجدير ذكره هنا بأن عمر إسلام كوتسك عند قيادته للثوار كان سبعة وعشرون عاماً فقط، وكان عمر إسماعيل كرتي رفيقه في القيادة خمسة وعشرين عاماً، وقد قام هذان البطلان بإدارة حركة الثوار إدارة احترافية ونفذا خططاً عسكرية جريئة أحرجت القوات السوفيتية المدججة بالعدة الكبيرة في العدد لأكثر من عامين متواصلين.

٣. القائد العسكري سلطان قلج كراي الذي اصر على الموت مع جنوده الشراكسة الذين انضموا إلى صفوف الجيوش الألمانية النازية التي احتلت الجمهوريات الشركسية في شمال القفقاس عامي (١٩٤٢/١٩٤٣)، وتتلخص بطولة هذا القائد العسكري الشركسي الفذ في الوقائع والحقائق التالية:-


الشهيد البطل سلطان قلج كراي



- **الحقيقة الأولى:** تولى (كراي) قيادة القوات الشركسية لاتحاد جمهوريات شمال القفقاس التي تشكلت عام ١٩١٧م في شمال القفقاس بعد قيام الثورة البلشفية، وهي الجمهورية التي كان ثاني رئيس لها المناضل السياسي الشركسي الكبير (بيشماف كوتسوك).



- **الحقيقة الثانية:** تولى (كراي) قيادة القوات الشركسية التي قاتلت ضد الجيش الأبيض بعد تشكيل اتحاد جمهوريات شمال القفقاس عام ١٩١٧م، وهرب إلى ألمانيا بعد احتلال القوات الشيوعية لبلاد القفقاس عام ١٩٢٢م والقضاء على الإتحاد وعاش فيها حتى عام ١٩٤٢م.
- **الحقيقة الثالثة:** عاد إلى القفقاس مع القوات الألمانية أبان الحرب العالمية الثانية في عام ١٩٤٣م، وساهم في تشكيل الفيلق الاسلامي وحارب مع القوات الألمانية لطرد الروس من شمال القفقاس حيث كان يحمل رتبة كولنيل عندما كان قائداً لفرقة الخيالة القفقاسية التي كانت تدافع عن رومانيا في الحرب العالمية الثانية حليفة روسيا (آن ذاك) ورقي إلى رتبة جنرال عند تكليفه لقيادة الفيلق الإسلامي في شمال القفقاس عامي (١٩٤٣-١٩٤٤).
- **الحقيقة الرابعة:** بعد هزيمة النازيين في نهاية الحرب العالمية الثانية انسحب معهم إلى ألمانيا مع الفيلق الإسلامي ووضع في معسكرات الأسر لدى الحلفاء في أوروبا.

- **الحقيقة الخامسة:** عندما بدأت سلطات الحلفاء المنتصرة في الحرب العالمية الثانية بتسليم الأسرى والفلاحين القوقازيين عامة والشراكسة خاصة الذين حاربوا مع الألمان لتحرير بلادهم من الحكم الشيوعي الطاغي، عرض الضابط الإنكليزي على الجنرال (سلطان كراي) استثناءه وحده من عملية التسليم إلى الروس على اعتبار أنه يحمل الجنسية الألمانية منذ عام ١٩٢١م، و باعتباره أيضاً بموجب هذه الجنسية خارج نطاق التبعية الروسية المطلوب من الحلفاء تسليمهم للروس، وكان جواب هذا القائد العظيم الرفض القاطع لمبدأ إستثنائه من التسليم للسلطات الروسية مع علمه الأكيد بأنه سيتم إعدامه فور تسليمه قائلاً: **(إنني أفضل الموت مع جنودي الشراكسة والقوقازيين الذين حاربوا معي)**، كما قال جواباً على أمر استثنائه لوحده: **(لقد استشهد أبائي وأجدادي في ميادين الكرامة القومية، أما رفاقي هؤلاء فقد شاركوني في السراء والضراء لنفس الغاية التي هدفت إليها، فتقاسمنا شرف الحفاظ على محارم وطننا المقدس، والآن لست بمنفرد عنهم، سأشاركهم مصيرهم المحتوم وفي تسليمهم إلى جلادينا الروس الذين تريدون ان تسوقونا إليهم، وإني لن أترك شرف قيادتهم إلى المصير النهائي لغيري..)**.

هكذا تم تسليم حوالي عشرة آلاف شخص إلى السلطات الروسية يوم ١٩٤٥/٥/٢٨م وفي مقدمتهم البطل القومي الشركسي (كراي) ونفذت فيهم السلطات الروسية جميعاً حكم الإعدام فور وصولهم لمعسكرات اعتقالهم في الاتحاد السوفيتي.

٤. المناضل الشركسي يوري موسى تشنبه:-


المناضل يوري موسى تشنبه

كان (يوري) في مقدمة الشخصيات القوقازية التي بادرت في يوم ١٩٨٩/٨/٢٥م إلى عقد المؤتمر الأول لممثلي شعوب القفقاس في مدينة (سوخومي) عاصمة جمهورية أبخازيا، وأقر فيه نظامه الداخلي، وأرسل إلى مؤتمر نواب الشعب في الاتحاد السوفيتي (السابق) لإقراره هذا المؤتمر الذي **شارك فيه ممثلو (الأبازة) من جمهورية قرتشي شركسيا، و(الأبخاز) سكان جمهورية أبخازيا، و(الأديغة) سكان جمهورية الأديغي، و(الأنغوش) سكان جمهورية الشيشان أنغوش، و(القبرطاي) سكان جمهورية قبردينيا بلقاريا، و(الشركس) من سكان جمهورية قرتشاي شركيسيا، و(الشيشان) من سكان جمهورية الشيشان أنغوش، ولم يحضر هذا المؤتمر القومي القوقازي كل من (الداغستان والأستين الشمالية والجنوبية)**.

وأعلن المشاركون في المؤتمر تأسيس (جمعية الشعوب الجبلية في القفقاس)، وانتخب (يوري موسى تشنبه) من شراكسة القبرطاي لرئاسة مجلس التنسيق، و(فاخر كوتسويف) لرئاسة مجلس الشيوخ.

وفي يومي ١٣-١٤/١٩٩٠، انعقد المؤتمر الثاني في مدينة نالتشك، وأقرت فيه وثائق كثيرة كما تم وضع الحلول للمشاكل التي تعترض بناء الدولة الجديدة، **وأصدروا بياناً رسميا حول الأخذ بمبدأ عدم استخدام القوة في حل المشاكل القومية القوقازية.**

وفي تشرين الأول من عام ١٩٩٠م، وافقت حكومة الاتحاد السوفيتي على إقامة مؤتمر للممثلي الشعوب الصغيرة وحضره (٤٦) شعباً صغيراً من الشعوب التي تعيش في الاتحاد السوفيتي وتشكلت جمعية وطنية قومية متخصصة في رسم حدود الأراضي التي تعيش عليها هذه الشعوب وانتخب (يوري) رئيسا لهذه الجمعية.

وفي يومي ١-٢/تشرين الثاني/١٩٩١م، انعقد المؤتمر الثالث لجمعية ممثلي شعوب القفقاس حضره ممثلي (١٣) قومية، **أقر فيه تشكيل اتحاد شعوب القفقاس**، وانتخاب (يوري) رئيساً للاتحاد.

وفي يومي ٤-٥/تشرين الأول/ ١٩٩٢م، عقد المؤتمر الرابع للاتحاد للنظر في بقاء القفقاس موحداً مع الاستمرار ضمن جمهوريات روسيا الاتحادية أو عدم بقائه وتقرر البقاء ضمن روسيا الاتحادية.

وفي أواخر شهر أيار عام ١٩٩٢م، انعقدت الدورة المشتركة لكل من البرلمان والمجلس الرئاسي للاتحاد لبحث ومناقشة مسألة اعتداء جورجيا على شعب أسيتا الجنوبية واستمعوا إلى النداء الذي وجهه ممثلو هذه الجمهورية، وطلب من رئيس اتحاد الشعوب القفقاسية اتخاذ وسائل أكثر راديكالية لمنع الإبادة الجماعية في أسيتيا الجنوبية، وبناءً عليه وجه رئيس الاتحاد للمجتمع الدولي لوضع حد لاضطهاد وإبادة الشعب في هذه الجمهورية القوقازية الصغيرة، ووجه (يوري) النداء التالي لقادة العالم قال فيه: " **إن هذه الأعمال تؤكد أن هناك خططا لبعض القوى من أجل إشعال الفتنة، ومن أجل التدمير الشامل للحضارة القفقاسية، هذه الحضارة التي لعبت دوراً كبيراً في تطوير البشرية.. التي كان لها كثير من التأثير الفعال وأنها ساعدت البشرية، فمثلاً استمر حكم المماليك الشراكسة ٣٠٠سنة تقريباً في العالم العربي، وقامت الفرقة الشركسية بتدمير المغول قرب جدران مدينة دمشق، حيث أنقذوا الحضارة العربية من التدمير الشامل، كما كان الشركس من القوى الفعالة التي ساعدت على تشكيل الدولة المركزية الروسية، وعلى إعادة بناء تاريخهم، والمؤرخون الأتراك وصلوا إلى نتيجة، مفادها أنه بدون الشركس وخيالتهم لما كانت الجمهورية التركية قائمة الآن**".

واستطرد قائلاً: "١٥٠٠سنة من الحرب المستمرة لإخضاع القفقاس ولم تستطع تدمير هذه الحضارة القديمة والعريقة، أما الآن فهناك أفق واسع وحقيقي لذلك، فسيناريو الدراما لما وراء القفقاس يتحول إلى شمال القفقاس بهدف إبادة شعوبها مرة أخرى".

"ولكن لن يستطيع العالم أن يغض النظر طويلاً، كما حدث في القرن التاسع عشر، أثناء إبادة الشراكسة، إن ما يجري هو إبادة جماعية للشعب الأسيتي وأن الكارثة في أسيتيا الجنوبية نذير لشعوب المنطقة وللمجتمع الدولي، فالكارثة عبارة عن فاتحة لنقل سيناريو الدراما لما وراء القفقاس بهدف الإبادة الشاملة لشعوب شمال القفقاس".

وفي الختام وجه إنذار لجورجيا بقوله: "فإن لم يتوقف العنف ضد الشعب في أسيتيا الجنوبية، خلال مهلة قدرها عشرة أيام، فاتحاد الشعوب القفقاسية سيقدم الدعم لها بكل ما لديه من وسائل".

وفي يوم ١٩٩٢/٩/٢٣م، ألقي القبض على (يوري) رئيس الاتحاد وتم اعتقاله ووجهت له اتهامات تقضي بسجنه ونفيه لمدة (٩٣) سنة.

وأدى اعتقاله إلى انتفاضة شعوب القفقاس، واعتصم أمام مبنى الحكومة في مدينة نالتشك عشرات الآلاف ليلاً ونهاراً لأكثر من (١٢) يوماً من (٩/٢٣ إلى ١٩٩٢/١٠/٢م) حتى اضطرت السلطات الروسية إلى إطلاق سراحه، بعد الإفراج عنه مع رفاقه إلى أبخازيا وأصيب هناك بطلقة نارية في ساقه مما اضطره إلى العودة للمعالجة.

ألف كتاباً عنوانه(انتصار الوحدة في شمال القفقاس المتحرر) ونشر في مدينة نالشيك عام ١٩٩٤م، وترجم هذا الكتاب إلى اللغة العربية وطبع في سورية عام ١٩٩٧م.

ثانيا: الرواد الاوائل من ادباء ومفكري ومؤرخي شراكسة الوطن الأم في ظل حكم الشيوعيين في الاتحاد السوفيتي

يمكن تقسيم رواد هذه المرحلة إلى ثلاثة فئات

- الفئة الاولى ويضم الرواد من الادباء الذين ولدوا ونشأوا في عهد حكم القياصرة لبلاد الشراكسة.
- الفئة الثانية: ويضم الرواد من الادباء الذين ولدوا وعاشوا في ظل حكم الشيوعيين في الاتحاد السوفيتي.
- الفئة الثالثة ويضم ادباء وكتاب شراكسة روجوا للايدولوجية الشيوعية الماركسية.

وفيما يلي نبذة عن مسيرة رواد كل منهم:

(١) رواد الفئة الأولى من الادباء الشراكسة في هذه المرحلة من تاريخ شراكسة الوطن الأم ونذكر منهم:

١. الأديب والمعلم الكبير أحمد نوري تساغو (١٨٨٨-١٩٣٥):-

- نشأته ودراسته:-

ولد في مدينة القنيطرة في الجولان السورية عام ١٨٨٨م، وعاش فيها حتى تخرج من المدرسة الثانوية في دمشق عام ١٩٠٨، وفي عام ١٩٠٩ التحق بكلية الحقوق في اسطانبول في تركيا وتخرج منها عام ١٩١٢م.



المعلم الشاعر الكبير احمد نوري تساغو

- عضويته في جمعية الإخاء والتعاون الشركسية ونشاطه الأدبي في تركيا:-

بعد تخرجه انضم إلى جمعية الإخاء والتعاون الشركسية في اسطانبول، وأصبح سكرتيراً لها عام ١٩١١م كما ساهم في إصدار صحيفة (غوازة) التركية الشركسية وعمل مدير تحرير لها مع زميله الأديب (يوسف سعاد نغوج) الذي رأس تحرير الصحيفة وكان (تساغو) يكتب مقالاً يومياً يحارب به الهجرة الشركسية للخارج بعنوان "كيف نضيع نحن الشراكسة".

- تطوعه لنشر الأدب والثقافة واللغة الشركسية في الوطن الأم:-

افتدته جمعية الإخاء عام ١٩١٣م إلى مواطنه في شمال القفقاس لنشر الثقافة والأدب واللغة الشركسية من خلال المدارس التي افتتحتا في بلاد القبرطاي والأديغية (مايكوي) برفقة كل من المتطوعين:- **(هاتسال، محمود قوبار، هارون بسروقة، عاكف تيغون، محمد حبيب، زكريا بستي، سعاد نغوج)**، وتخرج على يديه عدد من أدباء شراكسة الوطن الأم منهم تبناه (تساغو) واهتم بتعليمه وخصه بتوجيهاته القومية الإصلاحية وبث فيه الروح الوطنية النضالية.

- أعماله الأدبية:-

نشر (تساغو) عشرات المؤلفات والكتب والمجلات نذكر منها: كتاب الأحرف الشركسية والتاريخ الإسلامي باللغة الشركسية عام ١٩١٧م، ومجلة صوت الأديغة، وكتاب التاريخ الشركسي عام ١٩١٨م، وغوازة للأطفال عام ١٩٢٥م، وكتاب النظام العالمي عام ١٩٢٥، وكتاب أدب الأطفال عام ١٩٢٦م.

وفي عامي (١٩٢٥-١٩٢٦) اضطر لتدريس اللغة الشركسية في مدرسة التكنيك التابعة للحزب الشيوعي، وتوفي الأديب (تساغو) وهو صغير السن ووافته المنية في القفقاس عام ١٩٣٥م وهو في عمر السابعة والخمسين بعد حياة أدبية وفكرية حافلة، وبعد أن أسس مدرسة فكرية شركسية سميت بمدرسة (تساغو الشركسية للنهضة والتطوير).

٢. الشاعر والأديب المبدع علي شوجن تسوك (١٨٩٠-١٩٤٢):-

- **مولد ونشأته ودراسته:-**

ولد عام ١٨٩٠م في في قرية (كوشمزقوي) الشركسية الكائنة قرب مدينة باخستان لأسرة من أسر المزارعين من القبرطاي، ورعاه جده وأدخله كتّاب القرية، ثم المدرسة الدينية الإسلامية في مدينة باخستان، وفي مرحلة لاحقة اهتم به المعلم والأديب (أحمد نوري تساغو) وخصّه بتوجيهاته الفكرية الإصلاحية، وزوده بآراءه الوطنية والنضالية وفي مرحلة لاحقة درس في داغستان وفي شبة جزيرة القرم وفي استانبول حيث اتقن اللغات العربية والتركية والفرنسية.



الشاعر والاديب المبدع علي شوجن تسوك

- **ابداعاته الأدبية ومساهماته في تعليم اللغة الشركسية، نشر سجل حياة (شوجن) بأنه كان من الأدباء القوميين النشطين جداً نذكر منها المساهمات التالية:-**

- ساهم وهو في استانبول بالكتابة في مجلة (غوازة) الشركسية/ التركية.
- التحق بمعلمه (تساغو) بعد أن عاد للقفقاس عام ١٩١٩م.
- أصدر جريدة (صوت الأديغة) في الوطن الأم.
- ألف العديد من الكتب المدرسية لتدريس اللغة الشركسية والآداب والعلوم لأبناء الشراكسة في الوطن الأم.
- نشر العديد من القصص الطويلة باللغة الشركسية في الفترة ما بين أعوام (١٩٣٢-١٩٣٦) منها: البطل الشاب الصغير، روان قامبوت، لياتزا.
- له أعمال غنائية وملاحم شعرية عديدة ومجموعة كبيرة من القصائد المتميزة صدرت في ديوان شعره "الأعمال الشعرية الكاملة لشوجن تسوك علي".
- يعتبر "شوجن" رائد الشعر الشركسي الحديث، وأدخل الأشكال الكلاسيكية في كتابه الشعر الشركسي.
- كان أول من أدخل "القافية" إلى الشعر الشركسي، كما قام بتثبيت الأبحر الشعرية التقليدية الكلاسيكية بعد اطلاعه على الفنون الشعرية الشركسية منها والأوروبية.
- كما تشير وقائع سيرته الذاتية بأنه وقع في الأسر بعد أن دخلت القوات النازية إلى منطقة القبرطاي عام ١٩٤٢م، ومات في إحدى زنزانات الألمان النازيين في القفقاس.

وتقديراً للأعمال الأدبية الكبيرة (لشوجن) قامت حكومة جمهورية كباردينا – بلقاريا بإطلاق اسمه على عشرات الشوارع والساحات الرئيسية والمدارس في مختلف مناطق شمال القفقاس، كما أطلق اسمه على المسرح الكبير في مدينة نالتشك، وأقيم له تمثال كبير أمام هذا المسرح تقديراً

وتكريماً لأعماله الأدبية والشعرية الكبيرة، ولدعوته الدائمة للشراكسة في الوطن الأم للتوجـــه للعلـــم والتعلم.

توفي شاعرنا الكبير (علي شوجن تسوك) عام ١٩٤٢م وهو في سن الثانية والخمسين من عمره.

كما تشير الوثائق بأن عدداً من الشعراء والأدباء الشراكسة قد شاركوا فـــي نـــشر التـــراث القومي الشركسي، وفي تقديم أعمال أدبية قومية، وقاوموا سراً وعلناً نظام الحكم الـــشيوعي فـــي أعمالهم الأدبية خلال فترة الحكم الشيوعي للأمة الشركسية فـــي الـــوطن الأم للأعـــوام مـــا بـــين (١٩١٧م-١٩٨٩م)، نذكر منهم كل من الشعراء والأدباء:-

٣. الأديب القومي الشاعر كوبه شعبان (١٨٩٠-١٩٧٤):-

- **مولده ونشأته:-**

ولد عام ١٨٩٠م في قرية (حه كورنة حابلة) في منطقة الكوبان وهو من قبيلة الأبزاخ ووالده هو إدريس ووالدته فاطمة من عائلة حاراتوقة.



الشاعر القومي الكبير كوبه شعبان

- **دراسته وخبراته في التعليم:-**

درس في معاهد نالتشك في منطقـــة القبرطـــاي، وتخصص في اللغة العربية والدين الإسلامي، ودرّس في مدارسها في عهد حكم قياصرة الروس قبل عهد الحكـــم الشيوعي.

وفي أوائل حكم الشيوعيين منع من التدريس فـــي المدارس الشركسية في نالتشك، إلا أنه سمح له بتـــدريس اللغة الشركسية وآدابها باستخدام الأحرف العربيـــة بعـــد خروجه من السجن إلا أنه لم يسلم من ملاحقته ومضايقته في عمله، واضطر للهرب والاختفاء.

بعد أن كان عدة سنوات في مسقط رأسه منطقة الكوبان، بعد نشوب الحرب العالميـــة الثانيـــة تمكن من خلالها من جمع وتدوين الأشعار والأمثال والأغاني الشركسية القديمة.

- **هروبه من القفقاس إلى خارج القفقاس:-**

هرب الأديب (شعبان) مع القوات النازية المنسحبة بعد هزيمتها في الحرب العالميـــة الثانيـــة وأقام في مدينة ميونخ في الأعوام من(١٩٤٥-١٩٤٨) ثم غادرها إلى تركيا، وتجول بـــين القـــرى الشركسية فيها، وجمع العديد من التراث الشركسي (الشفوي) ودونها خلال عامي (١٩٤٩-١٩٥٠).

وفي عام ١٩٥٠م انتقل إلى سوريا ثم إلى الأردن وعاش بين الشراكسة فـــي هـــذه البلـــدين العربيين حتى عام ١٩٥٦م وكان من أهم أعماله الأدبية خلالها هي:

- تحويل الكتابة باللغة الشركسية من الأحرف السلافية إلى الأحرف اللاتينية.
- نشر خلال وجوده في الأردن الكتب والأشعار التالية:-
  - كتاب تاريخ عمان بلغة (الأديغية) عام ١٩٥٢م ونشر في بيروت.
  - كتاب للأطفال الشراكسة عام ١٩٥٢م ونشر في عمان.
  - قصص وحكايات بلغة (الأديغية) عام ١٩٥٣م ونشر في عمان.

- المرأة الشركسية بلغة (الأديغية) عام ١٩٥٣م ونشر في بيروت.
- شعر بلغة (الأديغية) عام ١٩٥٤م ونشر في بيروت.

كما أعد العديد من الكتب والمؤلفات للطباعة نذكر منها:- "**مجموعة الفلكلور الشركسي الجزء الثاني**" وتضمن الأناشيد بالأديغية القديمة مع (١٥٠) شرحاً في حوالي ٥٠٠ صفحة. بالإضافة إلى قصص وحكايات أديغية، ومجموعة روايات، ومجموعة أخرى من القصائد والأشعار من الجزء الثاني وأبوريت (Tow Operettes) وقاموس شركسي عربي، وقصة تاريخية اسمها "**تسر الجبل**" وقاموس بجميع اللهجات (الأديغية)، وقواعد اللغة الشركسية.

- **أعماله الأدبية والفنية في الوطن الأم القفقاس:-**

نشر (كوبه) بعد تخرجه من معاهد نالتشك عام (١٩١٠-١٩١١) وحتى هروبه من القفقاس عام ١٩٤٣م أكثر من (١٢) مطبوعة باللغة الشركسية وهي:-

- القواعد المدرسية العملية في النحو باللغة الشركسية في جزئين هما (الصرف والإعراب) طبعة كرسنودار عام ١٩٣٠م.
- علم الإملاء في اللغة الشركسية في أربعة أجزاء، طبعه مايكوب عام ١٩٣٠م.
- مجموعة قصائد شعبية شركسية قديمة، ونشر في (مايكوب).
- رواية قطيع الخيول، ونشر في (مايكوب).
- الأبجدية الأديغية، ونشر في (مايكوب).
- القراءة الأدبية، ونشر في (كروسندار).
- الأبجدية لمدارس الكبار، ونشر في (كروسندار).
- القراءة الأبجدية في ثلاثة أجزاء، ونشر في (كروسندار).
- الأبجدية للأطفال، ونشرت في (كروسندار) عام ١٩٢٧م.
- قراءة للصديق، ونشر في موسكو عام ١٩٢٤م.
- تقويم Calender وصدر في موسكو عام ١٩٢٤م.

كما نشر روايات عن الحرب الروسية القفقاسية مثل (الهجوم الليلي المفاجئ على القبردينيين) في القرن السابع عشر (وطرد الشراكسة إلى الدولة العثمانية) في خلال الفترة ما بين (١٨٥٩-١٨٦٤).

- **أشرف على عرض مسرحيتين باللغة الشركسية خلال وجوده في عمان هما:** مسرحية "هجرة الشراكسة" و"حروب الشراكسة" من خلال فرقة المسرح الشركسي في نادي الجيل الجديد في السنوات الأولى من عقد الخمسينات من القرن الماضي.
- **انتقاله إلى فرنسا:** انتقل من عمان إلى فرنسا في عام ١٩٥٦م وأقام فيها حتى عام ١٩٦٣م مع العالم الفرنسي (دوموزيل) الأستاذ في جامعة السوربون لمساعدته في أبحاثه عن اللغة الشركسية وعلاقتها باللغات الأوروبية، وفي نفس الفترة طبع الجزء الأول من أشعاره الشعبية الشركسية في باريس.
- **هجرته إلى أمريكا:** هاجر إلى الولايات المتحدة الأمريكية في عام ١٩٦٣م وتفرغ للكتابة في مدينة باترسون، ونشر فيها الجزأين الثاني والثالث من كتابه المختص بالأشعار الشعبية الشركسية وأعاد إصدار التقويم الشركسي كما أصدر خلالها مسرحية (رجل الغابة وحجاره).

هذا وقد توفي (كوبه) في باترسون في الولايات المتحدة الأمريكية يوم ١٩٧٤/١٢/٢٠م، عن عمر يناهز الرابعة والثمانين.

٤. الشاعر القومي الأديب إبراهيم تسي (١٨٩٠-١٩٣٧):-

- **مولده ودراسته:-**

ولد يوم ١١ يناير ١٨٩٠م في قرية (شبخي) وتلقى العلوم الابتدائية في منزله حتى بلغ التاسعة من عمره، ثم التحق عام ١٨٩٩م بمدرسة (إيكاترينودار) ودرس فيها حتى الصف الخامس الابتدائي فقط، واضطر للعمل وهو في سن الرابعة عشرة من عمره، وتنقل في عمله من كاتب في المحاكم، إلى خازن في المستودعات، ثم أصبح عاملاً في مصانع التعدين، وأخيراً عمل محاسباً في شركة نفطية في القفقاس، وعاد لمسقط رأسه في قرية (شبخي) وعمل كاتباً للمجلس السوفيتي فيها ثم رئيساً له.


الشاعر القومي الاديب ابراهيم تسي

- **ابداعاته الأدبية:-**

كتب الأشعار والأغاني والمسرحيات بثلاث لغات وهي الشركسية والروسية والأوكرانية وأبدع في الكتابة، كما كتب وهو في سن مبكرة في مواضيع سياسية واجتماعية بأسلوب ساخر ينتقد فيه الأوضاع الصعبة التي يعاني منها العمال والفلاحون الشراكسة كما نشر الكثير من مقالاته الساخرة في المجلة الإسلامية التي كانت تصدر في بطرسبرغ وفي مجلة صدى مايكوب.

يعتبر (إبراهيم) من الأدباء الذين أبدعوا في كتابة الروايات والمسرحيات الجرئية والناقدة، من أشهر مسرحياته "قوجاس" و"الوحوش" و"السوط العظيم" و"وحي" الذي خصصه لوصف معاناة العمال والفلاحين الشراكسة من الاستبداد الاقطاعي الروسي كما كتب في الفلكلور الشركسي أكثر من مرة حيث اختص في الكتابة فيه ومن أشهر مؤلفاته قصة "وليمة مأتم الأرنب" كقصة للأطفال، ورواية "فاطمة" تحكي عن معاناة المرأة في القفقاس.

- **مساهماته الشعرية:-**

صدر له أكثر من ديوان شعر، ومن أشهر أغانيه وقصائده هي "لايريد" "وطننا" "جو" "فارس الوطن الشركسي" "نجل الشركسي البائس" وهي قصائد حماسية وطنية، هذا بالإضافة إلى ديوان شعره الذي تضمن قصصاً خرافية روسية، وأخرى شركسية يشجب وينتقد فيها النقائض البشرية، وسلبيات المجتمع عامة والانحرافات الاجتماعية مثل التفاخر والتحاسد والظلم الاجتماعي.

يعتبر (إبراهيم) من أنشط أدباء وشعراء عصره غزارة في الانتاج الأدبي ذات الطابع القومي أولاً، والناقد للنظم التي كانت سائدة في مجتمعه ثانياً، كما كان جريئاً في طرح قصصه الناقدة واشعاره الحماسية ذات الصبغة الوطنية.

ترك لنا (إبراهيم) أعمالاً أدبية كبيرة، لم يتمكن من نشرها لوفاته وهو في ريعان شبابه، نذكر منها: رواية "الحاج حاتسوك"، ورواية أخرى بعنوان "زوجة إسحاق"، وقصة ثالثة هي "القوميسار شوجن"، وكلها أعمال أدبية ذات مستوى أدبي رفيع.

توفي **(إبراهيم تسي)** عام ١٩٣٧م، وقبل أن يكمل السابعة والأربعين من عمره.

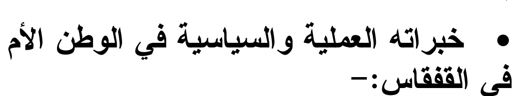
٥. المؤرخ ورجل العلم والسياسة آيتك ناموتق (١٨٩٢-١٩٦٣):-



المؤرخ ورجل العلم والسياسة ايتك ناموتق

- **نشأته ودراسته:-**

ولد يوم ٦ كانون الثاني ١٨٩٢م في مقاطعة (الأديغي) في الوطن الأم، وأتم دراسته الثانوية في مدينة (ستافروبول) الروسية بامتياز، وأحرز ميدالية ذهبية لتفوقه في الدراسة على أقرانه، وفي عام ١٩١٦م أنهى دراسة الحقوق في جامعة (بطرسبورغ) ثم التحق بجامعة (السوربون) في باريس بعد الهجرة إليها عام ١٩١٨م، وأتم دراسته فيها عام ١٩٢١م.



- **خبراته العملية والسياسية في الوطن الأم في القفقاس:-**

بعد إتمام دراسة الحقوق في جامعة بطرسبورغ سجل في نقابة المحامين في تلك المدينة، وبقي فيها إلى ما بعد ثورة ١٩١٧م وأصبح ممثلاً لجمهورية شمال القفقاس المتحدة المؤقتة عند إنشائها عام ١٩١٧م، وفي نفس الوقت انتخبه (الحزب الديمقراطي المتحد) الذي كان ينتسب إليه ليكون عضواً في مجلس الجمهورية الروسية، غير أنه اضطر إلى ترك مدينة بطرسبورغ بعد استيلاء الشيوعيين على الحكم عام ١٩١٧م وعاد إلى موطنه في القفقاس، واستمر في نشاطه الفعال للخدمة في وطنه الأم حيث عين حاكما إداريا لمنطقة الكوبان الشركسية في اتحاد جمهورية شمال القفقاس في عام ١٩١٨م، وفي نفس السنة سافر إلى باريس ممثلا لبلاده في مؤتمر صلح (فرساي) واضطر للبقاء هناك بسبب احتلال الشيوعيين لأراضي جمهورية القفقاس عام ١٩٢٥م.

- **خبراته ونشاطاته العلمية والسياسية في فرنسا وتتمثل في الأعمال والخبرات التالية:-**

- أصبح عضواً في الجمعية اللغوية في جامعة السوربون بعد تخرجه منها.
- أسس عام ١٩٣٦م جمعية دراسات حوض البحر الأبيض المتوسط ونشر بالتعاون مع البروفيسور جورج دوموزيل ترجمة كتاب (القصص والأساطير الشركسية) إلى اللغة الفرنسية.
- أصدر في عام ١٩٣٩م كتابه "أصل الشركس" ويعتبر أفضل ما كتب حتى تاريخه في هذا الموضوع.
- تعاون مع العلماء المختصين بالدراسات القفقاسية، كما كان يكتب المقالات العديدة في المجالات الفرنسية والتركية عن بلاده وعن أمته الشركسية باللغات الفرنسية والإنجليزية والألمانية والروسية.
- شارك في تحرير المجلة العلمية الألمانية (انستيتوفور كونتنتال أوربانسين فورستويح) خلال الحرب العالمية الثانية، وبعد أن وضعت الحرب أوزارها أصبح رئيسا للجمعية الإسلامية التي أنشئت في ألمانيا، ولم يأل جهدا في تقديم المساعدة للمسيحيين والمسلمين من اخوانه القفقاسيين الذين هاجروا إلى ألمانيا قبل الحرب العالمية الثانية.

- **خبراته ونشاطاته في تركيا:-**

استمر في نشاطاته العلمية والقومية في تركيا بعد أن هاجر إليها عام ١٩٤٦م وساهم في نشر المقالات القومية في أكثر من مجلة بالرغم من القيود السياسية والثقافية التي كانت مفروضة على الشراكسة في تركيا خلال المرحلة التي انتقل للعيش فيها.

يعتبر (ناميتوق) من كبار رجال العلم والسياسة، وصاحب فكر قومي شركسي ومناضلا جريئاً، وعالما واسع الاطلاع، عمل بجد وإخلاص دون أن يعتريه التعب أو الملل في سبيل حرية القفقاس، ووضع علمه وخبرته ونشاطه طوال حياته في خدمة حرية مواطنيه واستقلال وطنه الأم.

٦. "**الشاعر برتقوه مورات**".

- ولد برتقوه مورات في ١٩١٢/٥/٥ في قرية بجحلقواي الشركسية.
- التحق عام ١٩٢٥ بإحدى مدارس كراسنودار.
- في عام ١٩٣١ التحق بجامعة كراسنودار وبقي يتلقى العلم فيها لمدة ثلاث سنوات حيث انقطع عن دراسته.
- اشتغل في الصحافة (محررا) في الاديغي مدة من الزمن.
- وفي عام ١٩٣٤ التحق بالجيش الاحمر وخدم فيه حتى عام ١٩٣٦ حين ترك الخدمة العسكرية لينصرف من جديد إلى عمله السابق في الصحافة.
- وعام ١٩٤١ حارب مع الروس في الحرب العالمية الثانية، وابلى فيها بلاء حسنا، ومنح عدة اوسمة تقديرا لبطولاته وشجاعته.
- بعد انتهاء الحرب عاد يعمل في اللغة والادب والفولكلور.
- من اهم آثاره الادبية اصداره عدة دواوين شعرية حيث كانت اشعاره تمتاز بالحس الوطني والقومي الشركسي.
- قتل في حادث سيارة في اوائل شهر تموز ١٩٧٠.

٧. **القاص " يوسف لوستن"**

ولد يوسف عام ١٩١٣ في قرية شحنكري حابلة، ودرس في مدرسة القرية كما درس في معهد الاقتصاد الزراعي في مدينة كراسنودار، ومن ثم في احدى جامعات موسكو.

عمل عدة سنوات في تحرير احدى الجرائد وهو بحكم عمله هذا الذي مكنه من الاختلاط بالعمال والتعرف على اعمالهم وطرق معيشتهم وبحكم ميلاده ونشأته في الريف أصبح ملما بشؤون الريف الشركسي والروسي الماما كافيا.

وكانت اولى القصص التي كتبها هي قصة "أمينة"، وخلال عامي ١٩٣٧-١٩٣٨ ألف رواية جديدة بعنوان "الطريق مفتوحة" . وفي عام ١٩٤٠ كتب مسرحية "تالمس" كما اصدر عدة مؤلفات مأخوذة عن الفولكلور الشركسي.

وفي اثناء الحرب العالمية الثانية عمل (يوسف) في الصحافة، ومنح وسامين لاشتراكه في الحرب، وفي عام ١٩٤٦ وبعد انتهاء الحرب ترك الجيش وعاد إلى (ميكوب) حيث أصدر رواية أخرى باللغتين الروسية والشركسية بعنوان "الجبل يضيء". هذا بالإضافة إلى اصداره مجموعة أخرى من القصص الطويلة منها والقصيرة [١٧].

٨. **الاديب والشاعر "عليم كيشوكوف"**


الأديب والشاعر عليم كيشوكوف

ولد عام ١٩١٤ في مدينة نالتشك، وترجمت مؤلفاته إلى الكثير من اللغات الاجنبية ومنح في عام ١٩٦٨ جائزة الدولة في الاتحاد السوفياتي لكتابه (القمم لا تنام) كما صدر اول ديوان لاشعاره عام ١٩٤١.

ومن اشهر رواياته (الحدود المهشمة) وقام بترجمتها الشاعر الروسي فلايديمير سولوجنين حيث طبع منها مائة الف نسخة.

ووصف الكاتب الروسي (ميخائيل اليكسييف) الاديب عليم كيشوكوف وصفا رائعا حيث قال:

حينما تفكر بعليم كيشوكوف تلاحقك شخصية الفارس بإلحاح، ولا يقتصر السبب على ان هذه الشخصية في كل مؤلفات الكاتب تقريبا، فهذا يمكن ايعازه إلى ابن الجبال المتوارثة. ولكن يجب ان نفهم شخصية الفارس في انتاج كيشوكوف على نحو اعمق واوسع وانه حركة ازلية جامحة، يعدو كعدو جواد اصيل يستحيل بدونها تصور الشاعر نفسه أو ابطاله الذين يسبغ عليهم الكاتب بثقة مكنونات افكاره [١٨].

٩. "**الشاعر البطل اندروخوي حسين**"

ولد حسين في قرية شوجن حابلة/ حاكورنه حابله سابقا، عام ١٩٢١ واخذ عن والده خفة الظل وطيبة القلب وعن والدته ذكاءها وتعلقها بالأرض، تلقى علومه في مدرسه القرية، وفي مدرسة "مامكغ" ثم معهد المعلمين في الاديغي.

كان "حسين" ميالا إلى الادب ونظم الشعر منذ نعومة أظفاره، وظهرت باكورة إنتاجه الادبي قبل أن يتجاوز عمره بعد الثالثة عشرة، وتولاه الشاعر الكبير "حتقوه أحمد" برعايته وأخذ بيده، فاكتسب منه مهارة الكتابة.

عمل في بداية حياته محررا للنشرة الثقافية الخاصة بالمعهد، ثم اشتغل في صحيفة "الاديغي" وعمل فيما بعد محررا في نشره المدرسة الحربية التي تلقى علومه العسكرية فيها قبل قيام الحرب العالمية الثانية.

ترك لنا "حسين" مجموعة قصائد، جمعت في كتاب صدر عام ١٩٤٦، ومجموعة قصائد اخرى جمعها له صديقه الشاعر "جان قرمز" كما ترجم مجموعة قصائد للشاعر الروسي فلاديمير ف. مايكوفيسكي"، بالإضافة إلى منشوراته الكثيرة في الصحف والمجلات.

كان (اندرخوي حسين) يتمنى الخدمة في صفوف الجيش، وتحققت امنيته عام ١٩٣٩ عندما دعي إلى التجنيد الاجباري، فالتحق بإحدى المدارس الحربية في البلاد وتلقى علومه العسكرية فيها بحماس واجتهاد، وتخرج منها ضابطا، وارسل إلى مدينة لينينكان "في ارمينيا".

في ٢٢ حزيران عام ١٩٤١ وعندما غزا النازيون الالمان بلاد القفقاس تقدم (حسين) مع فرقته لمقاتلة الالمان، وحارب بشجاعة وبسالة وقضى نحبه في الثامن من شهر تشرين الثاني عام ١٩٤١، وقررت رئاسة السوفيت الاعلى منحه لقب "بطل الاتحاد السوفيتي" [١٩].

*** رواد الفئة الثانية من الادباء الشراكسة في ظل حكم الشيوعيين في الاتحاد السوفيتي**

الأديب حدا غالة اسكر

١. الشاعر "الاديب حدا غالة اسكر"

ولد (اسكر) في العشرين من شهر ايلول عام ١٩٢٢ في بلدة حاتقواي، وانهى دراسته الابتدائية فيها عام ١٩٣٤، وتابع دراسته فيما بين عامي ١٩٣٤–١٩٣٧ في مدرسة ادامي الاعدادية ثم انهى دراسته في معهد المعلمين (كلية الادب واللغة) عام ١٩٤٢.

التحق كبقية رفاقه بالجيش الروسي خلال الحرب العالمية الثانية، وعاد بعد انتهائها إلى ميكوب في عام ١٩٤٦، ليعمل رئيسا لقسم الادب والفولكلور في معهد البحث العلمي في الاديغي.

وفي عام ١٩٤٨ اصدر باكورة انتاجه الادبي "اغنية القلب" كما اصدر عام ١٩٥٠ كتابا جديدا بعنوان (الايام المجيدة) ثم قصيدة "كيف قرأت" عام ١٩٥٤، وملحمته "بلدي" في العام ذاته، وفي عام ١٩٥٦، أصدر قصته المشهورة "بنت الاديغة" باللغتين الاديغية والروسية.

يعمل (اسكر) بجهد متواصل منذ عام ١٩٤٦ في جمع الفولكلور في الاديغي واعداده ونشره، وقد اصدر في هذا المجال مجموعة من القصص الشعبية، واعد ستة اجزاء من كتاب "اساطير النارت".



الأديب اسحق مشباش يتسلم اعلى وسام في الأدب في روسيا الاتحادية من الرئيس فلاديمير بوتن

٢. الاديب والشاعر "مشباش اسحق"

ولد (اسحق) في قرية شحه شفج في منطقة ارمافير عام ١٩٣٠ وعاش طفولة قاسية يتيم الاب مع أربعة إخوة وأخت واحدة، كافحت والدتهم لتأمين لقمة العيش لأبنائها الصغار في ظروف صعبة إبان الحرب العالمية الثانية.

عمل مشباش رئيسا لإتحاد الكتاب والادباء في جمهورية الاديغي وهو منصب احتفظ به لأكثر من (٣١) عاما، وهو احد مستشاري رئيس الجمهورية في الاديغي.

كتب أول ديوان شعر له عندما كان في السادسة عشرة من عمره بعنوان: (الناس الاقوياء) وتبلغ مؤلفاته اليوم اكثر من (٧٠) سبعين كتابا ومجلدا، وقد حاز على جائزتين تقديريتين، الاولى على مستوى الاتحاد السوفييتي (سابقا) والثانية على مستوى روسيا الاتحادية الحالية.

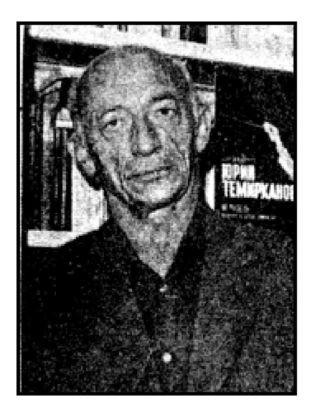
ومن اعماله المميزة، قيامه بالتعاون مع الاديب (كوشباي بشماف) والسيد (داود احمد لبزو) بترجمة القرآن الكريم إلى اللغة الشركسية الذي نشر عام ١٩٩١، وفي عام ١٩٩٣ نشرت له رواية باللغة الروسية ويقول اديبنا الكبير عن هذه الرواية بأنها تعريف بالقومية الشركسية وبالتاريخ الشركسي في الفترة ما بين عامي ١٨٣٠–١٨٦٤ حيث كانت نهاية الحروب الروسية / القوقازية وبداية التهجير الجماعي. والرواية تتحدث عن الشهداء والبطولات التي جرت في القفقاس، والكفاح من اجل الحرية والدفاع عن الوطن، وعن الاصابع التي كان لها دور في هذه الحرب سواء من داخل روسيا أو من خارجها كبولندا والمانيا وهنغاريا وفرنسا وانجلترا وتركيا.

ويقول (اسحق) بأن النظام السياسي السابق وان كان أمن ضرورات الحياة كالتعليم والرعاية الصحية والاجتماعية للناس، إلا أنه قيد حرية الكتاب والادباء لأنه كان عليهم ان يدينوا بأيديولوجية معينة، وإن استمرارية الكاتب منوطة باستمرار هويته القومية [٢٠].

وفي ٢٠٠١/٥/٢٨م: اصدر السيد الرئيس اصلان جارمة رئيس جمهورية الاديغي قرارا بمنح الكاتب القومي الكبير اسحاق مشباش أرفع وسام في جمهورية الاديغي، بمناسبة بلوغه السبعين من العمر، وذلك للأعمال الادبية الجليلة التي قام بها، ولخدماته القومية الكبيرة، هذا وكان الكاتب قد سبق تكريمه بوسام الصداقة بين الشعوب، ووسام الميدالية الذهبية كمحارب من اجل السلام، وحصل على مواطن (شرف) في مدينة مايكوب [٢١].

٣. الاديب القاص ميخائيل لأخفينتسكي زكريا أجوق:

كاتب كبير له حوالي عشرين كتابا، قاتل ضمن القوات الروسية (السوفيتية) المسلحة في بلدان مختلفة مثل رومانيا وبلغاريا ويوغسلافيا وهنغاريا وتشيكوسلوفاكيا والنمسا، ونال وسام الحرب الوطنية من الدرجة الأولى، وعلى أعلى الأوسمة من أسطول البحر الأسود، ومشاة البحرية وبعد تركه الجيش أكمل دراسته في كلية اللغة بتفليس وشغل منصب رئيس لفرع اتحاد الكتاب الجورجيين الذين يكتبون بالروسية، أما كتبه فله مجموعة قصصية (لقاء على الدروب) ونشر عام ١٩٥٥، وكتاب (طلقة بندقية في ميتخنا) و (دوي الرعد) وهي مترجمة إلى العربية طبع في دمشق.



الأديب ميخائيل لأخفينتسكي زكريا أجوق

٤. الباحث والاكاديمي حميد بن يحيى برتار:

ولد في ١٩٣١/٧/٩ تابع دراسته العليا في موسكو وفي كلية الصحافة، وتخرج منها عام ١٩٥٨، وحصل على الدكتوراه في التاريخ عام ١٩٧٠، وكان مستشاراً للأدب الشركسي في جامعة موسكو وهو شاعر بارز. ونشر أول قصائده عام ١٩٤٩ ومجموعته الشعرية (الفجر) هي أولى مجموعاته التي صدرت عام ١٩٥٧ ثم ديوان "حديث الربيع" عام ١٩٦٠، ومجموعته (شعاع الشمس) عام ١٩٦٥، ومجموعة أغنية المهد نشرت عام ١٩٧٥ ومجموعة (الحب الوحيد) نشرت عام ١٩٧٧ وله مسرحيات عديدة صدرت في كتاب المسرح وله كتاب عنوانه "إسلامي" ترجم إلى الروسية عام ١٩٦٥ كما قام بترجمة كتب من الروسية الشركسية أيضا.

٥. الباحث والناشط السياسي والاجتماعي والصحفي الناجح حافيتسه محمد موسابييفتش:

ولد يوم ٣٠ مارس عام ١٩٤٦م. في قرية زايوكوفو في جمهورية قبردينا – بلقاريا.

وتخرج من جامعة قبردينا – بلقاريا الحكومية قسم اللغة الروسية – القبردينية في عام ١٩٧٠ فهو اديب وكاتب وله العديد من المؤلفات نذكر منها:

"أملي – مركبي"، "النجوم في السماء وعلى الأرض"، "الحياة كلها على مرأى"، "المماليك الشراكسة"، "الشراكسة مشتتة في جميع أنحاء العالم"، "يوم النصر". وكذلك فهو صاحب التصنيفات: "يوري تيميركانوف"، "جبال زرقاء القوقاز"، "المصير واحد – الطريقة واحدة"، "فارس الشرف"، "الشراكسة في إسرائيل"، "التراث" وأشرف على اعداد الموسوعة الشركسية الاكاديمية ويعتبر أول من اهتم بقضايا الشراكسة، وله العديد من البحوث الصحفية عن هجرة الشراكسة والمماليك الشراكسة ونشر

في الصحائف والمجلات والمجموعات العلمية لشمال القوقاز، الشرق الأوسط وتركيا والمانيا وفرنسا والولايات المتحدة، فوجدت أعماله ترحيبا من مثقفي شراكسة الوطن الأم وفي بلاد الشتات.

زار (حفتسة) معظم بلدان العالم الذي يتواجد فيها شراكسة الشتات عامة وبالاخص امريكا، واليابان، والصين، والمانيا، وهولندا وفرنسا وانجلترا وتركيا، كما زار جميع الدول العربية التي يعيش فيها شراكسة الشتات.



الباحث حافيتسه محمد موسابييفتش

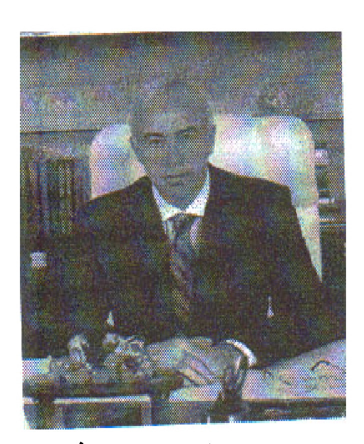
حاز محمد حافيتسه على العديد من الجوائز منها جائزة حكومية جمهورية قبردينا – بلقاريا، وجائزة وزارة الصحافة والاعلام وجائزة اتحاد الصحفيين لجمهورية قبردينا – بلقاريا، ومنح لقب "افضل صحفي العام".

وحصل أيضا على الميدالية الذهبية من الصندوق الروسي للسلام وميدالية السلام الذهبية الكبيرة من الصندوق الدولي للإمام شامل. لإسهامه الكبير في تطوير الثقافة الشركسية ودعم الروابط مع الشتات الشركسي كما حاز على جائزة "التمييز" للصندوق الدولي الشركسي ومنح لقب المواطن الفخري لمدينة ستيلووتر الامريكية (اوكلاهوما). عضو في اتحاد الكتاب واتحاد الصحفيين في الاتحاد الروسي. كما منح وسام ابخازيا "الشرف والمجد" .

وفي المجال النشاط السياسي والاجتماعي سبق ان تولى (حفتسة) منصب نائب رئيس المجلس الأعلى لجمهورية قبردينا بلقاريا، ورئاسة لجنة حماية السلام ورئاسة الاديغة خاسة في جمهورية كباردينا – بلقاريا وهي منظمة اهلية غير حكومية وهو الآن نائب رئيس الجمعية الشركسية العالمية وربما كان مجال الصحافة والاعلام اكثر المجالات التي ابدع فيها حفتسة حيث كان رئيس صحيفة "الحياة الجامعية" ومجلة "وجهة النظر" منذ عام ١٩٩٧ وحاليا فهو رئيس التحرير لصحيفة "أديغة بسالا" التابعة لبرلمان وحكومة جمهورية قبردينا – بلقاريا.

وكذلك فهو مؤسسة صحيفة "شركسيا في الخارج" ورئيس التحرير لمنشورات الرابطة الشركسية الدولية وصحيفة "نارت" ومجلة "العالم الشركسي".

٦. تحاكوشينوف أصلان كيتوفتش



تخاكوشينوف اصلان كيتوفتش

ولد يوم ١٢ يوليو عام ١٩٤٧ في قرية اولاب

وفي عام ١٩٩٣م. اسس وترأس معهد مايكوب الحكومي التكنولوجي واسمه حاليا جامعة مايكوب الحكومية التكنولوجية.

وفي عام ١٩٩٥م. في جامعة موسكو الحكومية على اسم م. ف لومونوسوف دافع عن أطروحته للحصول على درجة دكتوراه في العلوم الاجتماعية.

نشر سلسلة من الدراسات أكثر من ١٠٠ دراسة علمية ووضع نظرية جديدة في "علم الاجتماع" والبرنامج التعليمي وهو علم اجتماع الأدب والثقافة".

انتخب مرارا نائبا في مجلس مدينة مايكوب وفي المجلس الأول الأعلى لجمهورية أديغيا، ثم عضوا في مجلس الدولة – خاسه. وترأس لجنة العلوم والتعليم والثقافة والشباب، ولجنة الشؤون الإنسانية في الجمهورية.

وفي يوم ١٣ ديسمبر ٢٠٠٦ منح برلمان جمهورية الأديغي في دورته الاستثنائية وبناء على اقتراح الرئيس الروسي فلاديمير بوتين سلطة رئيس الجمهورية الاديغي.

(٣) كتاب الفئة الثالثة وهم كتاب وادباء شراكسة روجوا للاديولوجية الشيوعية

يوجد في تاريخ الادباء قديما وحديثا فئة من الادباء الشراكسة الذين يسمون (ادباء السلطة) وهو ما حدث في عهد الشيوعيين، حيث ظهر عدد من كتاب الجيل الاصغر سنا، **وأصبحت لهم شهرة كبيرة وإقبال على ترجمة مؤلفاتهم، لا لأنهم أدباء مبدعون في الأدب وفي فن الكتابة القصصية وإنما لقيامهم بتأليف قصص (منحازة) وحكايات موجهة من القيادات الشيوعية**، وكانوا هم لسان حال الحزب الشيوعي وقيامهم بالدعاية للأفكار (البلشفية) في قالب قصصي، وللأمانة العلمية كان لا بد من إعطاء فكرة موجزة عن الانتاج الادبي لهؤلاء الادباء وهم:

١. "**خ. ثيونوف** " ولد سنة ١٩١٢ كاتب قصص، ولغوي وشاعر. وأولى قصصه اسماها (أهل الجبال) باللهجة القبردينية، وكتب هذه القصة بناء على امر خاص من زعماء (الكرملين) في موسكو وتبدأ حوادثها في القرية التي هي موطن المؤرخ واللغوي القبرديني المعروف باسم (شورا نوغموقة).

وأدى المؤلف المهمة التي كلف بها أداء ممتازا، وحقق رغبة الشيوعيين وبلهجة (قبردينية) خالصة ولم يستخدم الكلمات والتعابير الروسية إلا عندما يضطر لنقل حديث شركسي يحاول ان يتكلم بالروسية المكسرة.

وركز في قصته السياسية الطويلة على القضايا السلبية في تاريخ الشراكسة والقوقازين التي رغب الشيوعيون ابرازها في قصته (المأجورة) وأهم القضايا السلبية في قصته هي:

- خيانة كثيرين من أمراء الشراكسة ودخولهم في احلاف مع التتار وتركيا في الوقت الذي دافع فيه شعب القبردى عن أرضه بشجاعة.
- الادعاء بدور الروس في حماية الشراكسة من الاتراك وأهل القرم، كما أبرز نشاط عملاء انجلترا وفرنسا وتركيا وايران مع ذكر اسماء اهم العملاء والجواسيس.
- الاهتمام (بالميريدية) كحركة دينية في الداغستان، إلا أنه ينتقد غزوات الشيخ شامل وحروبه ضد الروس.
- اتهام القوميات القوقازية المقاومة للشيوعية مثل: الشيشان، والانجوش، والقراشي، ويدافع عن سياسة تهجيرهم، باعتبارهم اقوام جلبت المصائب على الشعوب والقوميات الاخرى في القفقاس، ويحاول تبرير قيام (البلاشفة) بتصفيتهم وإبادتهم إبادة جماعية وتشتيت من بقي منهم حيا إلى مجاهل روسيا ومناطقها النائية.

٢. "**اسكر ايفتخ Asker Evtykh** وهو مؤلف لعديد من القصص والحكايات مثل (اخي الاكبر)، (ومهمة ممتازة)، و(باسيبا أول Psyba Awl)، (وفي قريتنا). وكتبها باللغة الشركسية المنمقة، بل وترجمت إلى الروسية عام (١٩٥٣) ونشرت في المجلة الادبية السوفياتية (العالم الجديد). وتعتبر هذه القصة نموذجاً من الأدب المنشور في المناطق والجمهوريات غير الروسية في الاتحاد السوفياتي، وتصف هذه القصة **الحياة في إحدى القرى في منطقة الحكم الذاتي في الاديغي** بعد الحرب العالمية الثانية، وبطل القصة اسمه (رمضان). وملخصها قيام رئيس إحدى الكولخوزات بالمفاخرة بأن كثيرين لا يجدون الخبز الكافي في الولايات المتحدة الامريكية بينما يوجد خبز كثير في كولخوز. ولا يشكو أحد من نقصه. كما تتحدث القصة عن مفهوم "مساعدة الأخ الأكبر" لإخوانه

الاصغر منه بصورة مجردة عن الانانية (والمقصود بالأخ الاصغر هم الشعوب غير الروسية)، وتعزز القصة عموما التطرف الوطني الروسي كما صورته ملاحظة بطل القصة (رمضان).

ولقي هذا العمل الادبي قبولا حسنا من النقاد السوفيات، الأمر الذي أدى لترجمته للروسية بتفاصيل دقيقة كثيرة، تعبر عن دور المجتمع الشيوعي تجاه ما يقدمه للمجتمع الشركسي في ظل الحكم الشيوعي.

٣. "تسوغ تيوشيخ Tsug Teuchesh "

واعتبره الشيوعيون واحداً من اعظم القصاصين البروليتاريين في منطقة الاديغي، وأملى قصائد موجهة إلى "ستالين" على سكرتيره الشخصي (م. قسطانوف) لأن (تيوشيخ) نفسه كان امياً واحد الرعاة البسطاء في القرية، ولم يعرف القراءة والكتابة. ولكنه ككثير من كبار السن في القفقاس كان يتقن سرد القصص بمهارة فائقة، إلا أن جميع اعمال (تيو شيخ) كتبت بناء على تعليمات قادة الحزب الشيوعي من الشراكسة. (١١)

٤. الأديب والروائي تمبوت قراشيف:

صدر تحت إشرافه كتاب "الأغاني الشركسية القديمة" وكتاب الموروث والأغاني الشركسية وكان من المهتمين بقصص النارت القديمة وله قصص تاريخية، ويبدو في كتاباته أنه ذو نزعة روسية ومن قصصه في زمن ستالين العاصفة، مهداة لتحرير المرأة من الشريعة وله قصة طريق السعادة وترجمت إلى الروسية عام ١٩٤٨، والكتاب منح جائزة ستالين من الدرجة الأولى.

كما ظهر في نفس الفترة قضاة ورجال دين من الشراكسة الذين أحيوا الدين الإسلامي في عهد جمهوريات شمال القفقاس (الجبلية) حيث تشكلت في هذه الجمهورية الجمعية الدينية الإسلامية ضمت ممثلي (٢٥٠) من رجال العلم والدين والائمة من جميع القبائل الشركسية في الوطن الأم، وعقدت هذه الجمعية خلال الاعوام من ١٩٢٠-١٩٢٥ خمس مؤتمرات بهدف الدعوة إلى الدين الإسلامي الحنيف وكذلك الاتفاق على أداء العبادات الدينية من غير اختلاف، **وفي المؤتمر الخامس والاخير فئة العلماء للمسلمين الذين حضروه ادعاءات المشايخ القدامى وأكاذيبهم الملفقة وأدرك الشعب الشركسي عامة انهم ليسوا على شيء من الدين.**

وفي ختام المؤتمر أجابوا على خمسة عشر تساؤلا دينيا بالاستناد إلى الايات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة الصحيحة.

وفي عام ١٩٢٦ نشرت الجمعية الدينية المذكورة خلاصة ما توصل إليه علماء الدين من إفتاء وتفسير وتنقيح للخمسة عشر موضوعا المطروحة للنقاش والإجابة عن كل تساؤل من الكتاب والسنة.

وفيما يلي أسماء القضاة والمشايخ الذين نظموا المؤتمرات الدينية الخمسة سابقة الذكر وهم:

١- القاضي زابت افندي الإدريس
٢- القاضي إبراهيم افندي البرنقوي
٣- من الأفندية جانخوت الحاتقوي
٤- القاضي حاجبكر الوظى
٥- القاضي إدريس الدولي
٦- القاضي محمد الصومني
٧- القاضي مصوست النابوقي
٨- القاضي نوح المرتقوي
٩- من الكتاب يعقوب الخوادي
١٠- من الكتاب أحمد النابوقي
١١- القاضي اسميل القود إينيت
١٢- من المندوبين مجيد الحاتغوغي
١٣- القاضي غورظ الحاج الشمغخوي
١٤- القاضي شق غبلظقو
١٥- القاضي حاتغوظقو ادمي
١٦- القاضي كاتب الجوبطي
١٧- القاضي يدج النقي.

الفصل السابع

الرواد الاوائل من كتاب الاغنية والمغنين والملحنين والابطال الرياضيين في ظل الحكم الشيوعي في الاتحاد السوفيتي وروسيا الاتحادية

أولا: الرواد الأوائل من كتاب الاغنية والشعر والمغنين الشراكسة المعاصرين في الوطن الأم في ظل الحكم الشيوعي وروسيا الاتحادية

ظهر منذ مطلع القرن العشرين العديد من الكتاب والمؤلفين والملحنين والمغنين المحترفين منهم:

- **اميرخان حي وباشا** Amirxan Hex'wpasche الذي لحن (اغنية لينين) عام ١٩٢٤ بمناسبة وفاة لينين، كما نظم قصيدتين غنائيتين تعبيريتين هما: (كن صادقا مثل كلمتك) و (اغنية الكولخوز) عام ١٩٧٧ وقلد اعلى وسام سوفيتي وهو وسام لينين.
- **يندريس قزحر** Yhdhis Qezher ألف أغنيته المشهورة بعنوان (مارجة – مارجة – Marzhe – Marzhe Qerahelha) وتغنى بهذه الاغنية بالنظام الشيوعي الجديد واعتبر بيطال قالمق بطلا وطنيا.
- **حسن قاردن** Hasen Qarden له أغاني مشهورة، وهو ملحن موسيقى بارع وافضل من تخصص في الاغاني الوصفية الغنائية مثل (نور الصداقة) وهو ملحن للعزف المنفرد والاوركسترا، وعرض في موسكو يوم ١٩٥٧/٦/٢٠ بمناسبة مرور (٤٠٠) عام على انضمام امراء كباردا (القبرطاي) طوعا مع روسيا ومؤلف نشيد (بلادي) ايضا وكاتب قصيدة (خالدة) والقيت في ذكرى وفاة لينين، بالاضافة إلى كتابة قصيدة بعنوان (جمهوريتي).
- **زالمخان ديشك** Zalimxa'an Dischek

صاحب اغنية (طريق المجد) وغناها بمناسبة مرور اربعمائة عام على الانضمام (الطوعي) لامراء القبرطاي من شراكسة الشرق إلى روسيا عام ١٥٥٧ وفي عهد ايفان الرهيب، ومنح وسام العمل البطولي من رئيس مجلس السوفيات الأعلى. كما ألف أغنيته المشهورة (لازم الشباب الآخرين بنظراتك) وما زالت هذه الاغنية مشهورة بين الشعوب الشركسية في الوطن الأم حتى اليوم.

- **عمر تحبسيم** Umar Tahpsemove

يعتبر من المغنين التقليديين الذي امتدت شهرته خارج القفقاس، ووصلت إلى جميع جاليات الشتات. ومن أشهر أغانيه: عيناك، كتبها بالاشتراك مع (زحانا zhane) وهل (اسمك ميدين؟) كتبها ليوان غوبشوفوف عام ١٩٦٢، والأغنية الشعبية الرقيقة "أغنية القلب" شارك في كتابتها (زحانا).

- **فلاديمير برغون** Vladimir Bercghwn

ويعتبر من أفضل المغنين في السبعينيات والثمانينيات من القرن الماضي وهو صاحب صوت أوبري قوي ملائم أكثر للأناشيد القديمة. وأداؤه العاطفي في أغنية قدامى النارتيين استشعار للأحاسيس الوطنية. وفي (أغنية بلادي)، يستنهض بطولة أمير محارب من القرن السابع عشر. ونسخته من "سيي فاقا" الساخرة تعتبر إحدى افضل ألحانه الموسيقية ويحظى باعتراف عالمي.

- **حسين ميراميقو** Husien Miramiqua

يتمتع بصوت قوي، لكنه صوت قيثاري يلائم تقديم أغاني تحتاج حنجرة قوية مثل اغنية (خاسة– Xehw) ومعناها (الوطن)، و "أغنية القلب"، وكتب كلماتها عمر تجسم وآخرون.

- **زاور توتوف**، وهو مغني اوبرا وكُرّم من حكومة روسيا الاتحادية مؤخرا.

*** كاتبات الأغاني والمؤلفات والملحنات والمغنيات الشركسيات في الوطن الام:**

اشتهرت بعض المغنيات الشركسيات في الوطن الام بكتاباته الاغاني والتلحين والغناء نذكر منهن كل من:

- **فالنتينا سوسماق Valentina Sosmaq** لها العديد من الاغنيات التقليدية وهي من المغنيات المعاصرات.
- **كوراتس قانشيرغا K'wartze Qashirqhe** من مواليد ١٩٠١ وكانت موسيقارة مشهورة والفت اغاني عديدة مثل (رقصة الحب)، و(رقصة البارتزان).. كما لحنت عام ١٩٥٠ اغنية على شرف الكاتب الكبير (علي شوجن تسوك).
- **الفنانة تمارا نفي**، تحتل الفنانة الموهوبة (تمارا) مكانة كبيرة في قلوب الكثيرين من الشراكسة في القفقاس، والشراكسة الموجودين خارج القفقاس ايضا، واستطاعت هذه الفنانة الناشئة خلال مدة قصيرة، ان تكسب تقدير المستمعين واعجابهم بفنها الرفيع، وصوتها العاطفي القوي، الذي يتمازج مع المشاعر الانسانية النبيلة، وجمال صوتها ليس له مثيل حسب رأي (مخوص روسلان) بقوله للفنانة تمارا: "إنك أصبحت ذات شهرة رائعة"، فأجابت إن هذا القول سابق لأوانه، حيث لا يوجد لدي إلا القليل من الانتاج، وأردفت تقول: أنا، أرى نفسي مدينة لهذا الشعب الكريم، ولا يمكنني ان أوفيه حقه مهما عملت، هكذا قالت تمارا بذكاء شديد، واحترام كبير لقومها بعيدا عن الكبرياء والترفع، فهي تتحاشى الرياء في أغنياتها، وتبتعد عن الاغنيات المبتذلة، ولم تقم بعمل إلا اتقنته وأكملته، ويقال إنها خلقت وبفمها الغناء، كما كانت والدتها تجيد الغناء ايضا، وكانت تقلدها في أول حياتها الفنية، كما كانت هي الدافعة الحقيقية للسير في اتجاه الفن، كما ان وجودها في (مايكوب)، كمعلمة في أحد المعاهد ساهم في احتراف تلك المهنة.
- **مغنية الاوبرا المشهورة ناتشا غيتاشا** Natasha, Ghestashe

تعتبر (ناتشا) اعظم فنانة اوبرا في بلاد القبرطاي وهي **الحائزة على لقب فنانة الشعب، في جمهورية روسيا الاتحادية السوفياتية الاشتراكية.** كما سجلت العديد من الأغنيات الشركسية والروسية التقليدية، ومن اشهر اغانيها Adige naqme بمعنى اللحن الشركسي أو النغمة الشركسية.

ثانيا: الرواد الاوائل من الملحنين والعازفين على مختلف الالات الموسيقية من شراكسة الوطن الأم في ظل الحكم الشيوعي في الاتحاد السوفيتي.

تطور الموسيقى الشركسية:

تطورت الموسيقى الشركسية، واصبحت في مستوى الموسيقى الكلاسيكية الغربية منذ العقد الثالث من القرن العشرين وعلى النحو التالي:

ففي عام ١٩٣٦، وضع أرسيني آر. أبراموف لحنين هما: "قافا" و "إسلامي" لأوركسترا سيمفونية و "المسيرة الكباردنية" الشهيرة. وكانت هذه الأعمال ذات طبيعة بدائية؛ إذ لم يكن العمل السيمفوني قد تطور بعد كما يجب.

وفي الاعوام ما بين ١٩٣٦ – ١٩٣٩ لحن أبراموف ايضا ثلاثة قصائد للكاتب الشركسي العظيم علي شوجن تسوك Ali Schojentsik [٤].

حدث تطور كبير على مقطوعة (ابراموف) السيمفونية، المؤلفة لمسرحية (أسكيربي شورتان) و(قرية باتير). وفي عام ١٩٤٦، الف (بارفزوف) مقطوعة سيمفونية من ثلاثة أجزاء، مستندة إلى الرقصات الثلاث (قافا، إسلامي، وويج) والتزمت تماما بالموسيقى الأصلية، وفي الذكرى الثلاثين لتأسيس جمهورية قباردينا بلقاريا، كتب نيقولاي بايكو، مقدمة السعادة حول مواضيع في (القباردي) وقد عرضت أول مرة في نالتشيك بقيادة (إيم، إس، أيكاريان).

في صيف عام ١٩٤٢ وخلال الحرب العالمية الثانية قررت الحكومة السوفياتية نقل بعض أفضل موسيقييها وممثليها وفنانيها وأساتذتها من موسكو إلى جمهورية (كاباردا) وكان من بين الموسيقيين: بروكوفييف، ومياكوفسكي، ونيتشاييف، و إليكسندروف.

وفي كاباردیا تحديدا، احتك (بروكوفييف) بالموسيقى الشعبية الشركسية وأعجب بها، وقال بأن "الرقصات والأغاني الكاباردينية (منجم ذهب للمادة الموسيقية) وقد أثبتت إقامة (بروكوفييف) المؤقتة في كاباردا، أنها منتجة إلى ابعد الحدود، إذ ألف مجموعته الرباعية حول (مواضيع كاباردينية) في نالتشيك عام ١٩٤٢ مستخدما الأنغام الموسيقية الشعبية الشركسية منذ القدم، ونال إعجاب الجماهير، ولاقى نجاحاً فورياً عندما عُرض لأول مرة في رباعية بيتهوفن الشهيرة، في موسكو، يوم الخامس من أيلول ١٩٤٢.

استغل رئيس مديرية الفنون في كاباردا، هيتوتايمرقان المعروف باسم (تيمرقانوف)، استغل فرصة اقامة الموسيقيين الروس المؤقتة في بلاده، لوضع الموسيقى الشركسية على طريق المجد، وقد كلفه (بروكوفييف) القيام بعمل موسيقي (وكان الأخير يشكك في مقدرة الموسيقيين المحليين القيام بمثل هذا العمل). فرد عليه هيتو: "أكتب بما تراه. فإن لم نفهم ذلك الآن، فسنتعلم كيف نبقيه في الذهن مستقبلا". وقد قابل نجله (بروكوفييف) خلال زيارات الموسيقار الكبير العديدة لبيت والده. وكان لا بد لتلك اللقاءات ان تترك اثارا لا تمحى على الصبي اليافع، الذي أصبح فيما بعد واحدا من أعظم قادة التأليف الموسيقي في النصف الثاني من القرن العشرين.

في عام ١٩٤٢ أيضا، كتب (بروكوفييف) أغنية بعنوان "ابن كاباردا" كما ألف (نيتشاييف) لحنا سباعيا قائما على مواضيع شركسية، وكتب عازف البيانو السوفياتي الشهير (غولدينفايزر) ست أغاني ومقطوعات موسيقية مستندة إلى ألحان كاباردينية وبلقارية.

وفي عام ١٩٤٣ تأسست مدرسة أوبرا في جمهورية (كابردينو – بلقاريا) وهي مدرسة حكومية مقرها كان في نالتشك عاصمة الجمهورية.

وفي عام ١٩٤٦ اصبحت مدرسة الاوبرا الشركسية جزءاً من معهد لينغراد للموسيقى.

وفي عام ١٩٥٠ تخرج الفوج الاول من المغنين والموسيقيين وقادة الاوركسترا والمؤلفين الشراكسة، من معهد الاوبرا، وتجولوا في المدن الرئيسية لجمهورية كاباردينا، وقدموا عروضا لمقطوعات–عالمية لكل من موزارت وكورساكوف وغيرهما.

وفي عام ١٩٥٥ وضع الموسيقار (اسفيرديمنمان Esfir Dimenman) الحانا لأربع اغاني شركسية نظم كلماتها الشاعر الشركسي عليم كيشوكوف [٥] وفي عام ١٩٥٦، افتتحت كلية للموسيقى في نالتشيك تدرس فيها إدارة كورال، وموسيقى (صوتية) وبيانو، واقسام الات الموسيقى الشعبية.

وفي عام ١٩٥٩ كتب (محي الدين. ف، بالا) مقطوعة موسيقية من ثلاثة أجزاء بعنوان "قزبرون (Qizbrun) بالاستناد إلى مسرحية تحمل الاسم نفسه، وقامت بعرضها على مسرح فرقة كاباردينا المسرحية.

وفي عام ١٩٦٠ افتتحت كلية كباردينو بلقاريا التعليمية الثقافية – وضمت اقسام الكورال والآلات الموسيقية التقليدية والفنون المسرحية.

وفي مطلع عقد الستينات من القرن العشرين، انتشرت مدارس الموسيقى في العديد من البلدات والقرى الكابردينية، والتحق فيها الأطفال في سن السادسة للدراسة لمدة سبع سنوات، وعند اتمام هذه المرحلة كان يُخير التلميذ لمتابعة دراسة الموسيقى في المدارس الثانوية للموسيقى. كما يستطيع المبرزون منهم الالتحاق بالمدارس الداخلية في المعهد الموسيقي حيث كانت الدراسة فيها عشر سنوات.

وفي أواخر الستينيات، تشكل اتحاد المؤلفين الموسيقيين في كاباردينو – بلقاريا لرعاية مصالح العدد المتزايد من الموسيقيين المختصين.

وفي عام ١٩٦٨، فاز "بالا" بالمرتبة الثانية في المسابقة الوطنية الثانية لقادة الفرق الموسيقية. وبعد سنة من ذلك، عين مديرا موسيقيى لسيمفونية ليننغراد، وبفضل إسهامه الجوهري في فن الموسيقى، أنعم عليه مجلس السوفيات الأعلى في جمهورية كاباردينو – بالكاريا ذات الحكم الذاتي، لقب فنان الشعب في الجمهورية عام ١٩٧٣.

وفي عام ١٩٧٧، أصبح (تيمرقانوف)، المدير الفني، وكبير قادة اوبرا كيروف، وفي عام ١٩٨٠ كان الضيف الرئيس، على الاوركسترا الفيلهارمونية الملكية في لندن، ثم عين عام ١٩٩٢ المدير الرئيسي لاوركسترا سانت بطرسبرغ (ليننغراد سابقا) الموسيقية، خلفا (لأندية بريفين)، وقد اعتبر العديد من أعماله الموسيقية في مستوى الموسيقى العالمية.

*** الرواد الموسيقيون وقادة الاوركسترا والملحنون الاوائل من شراكسة الوطن الام في عهد الاتحاد السوفيتي**

يعتبر أرسيني م. أبراموف (Arseni M. Abraamove) (١٨٨٦-١٩٤٤): الذي ولد في نوفو تشيركيسك، رائد الموسيقى الشركسية. وفي عام ١٩٢٢، ذهب إلى بلاد كاباردا القبرطاي واهتم بدراسة الأغاني الشركسية الشعبية وجمع منها حوالي (٣٠٠) لحن ونغمة في حياته. واشتغل سنوات عديدة على اعداد كتاب عن الموسيقى الشعبية الكاباردينة الشركسية ولكنه توفي قبل ان يصدره.

- **تروفور، ك. شايبلر (Truvor K. Shebler) (١٩٠٠-١٩٦٠):** ولد في ريغا، (Riga) عام ١٩٣٩ ورحل إلى جمهورية كاباردا، وأمضى فيها السنوات العشرين التالية من عمره مشتغلا بجد واجتهاد على تطوير الموسيقى الشركسية الكلاسيكية، ووضع المشهد السيمفوني (Adeyxw) شركسي الأصل عام ١٩٤٨، والف اوبرا – باليه، النارتيين (The narts) عام ١٩٥٦/ ١٩٥٧، التي كتب كلماتها بيطال كوش (Betal Kuesh) وتألف هذا العمل من خمسة عشر وزنا موسيقيا، وكان أبطالها الرئيسون هم سوسريفوف، وباتيريز، واشيميز، وساتاناي، وعرضت على المسرح الكبير في موسكو في الأول من تموز ١٩٥٧.
- **محي الدين ف. بالا: (Muhedin F. Bake) ولد عام ١٩٢٣، في قرية (كينجا)** في جمهورية كباردينو وأرسل لدراسة الموسيقى مع مجموعة الشباب والشابات الشركسيات إلى معهد ليننغراد للموسيقى عام ١٩٤٦ ودرس التأليف الموسيقي على يدي (يوري كوتشيوروف) لمدة اربع سنوات تقريبا. وكتب (بالا) حوالي (٢٠٠) اغنية، وقصيدة رومانسية. كما ألف قطعاً موسيقية منها (بينمت Benemet وقيسبوليت Gesblat) وهي مقطوعة سيمفونية مكونة من ثلاثة اجزاء قدمها عام ١٩٦٠ كما الف خمس رقصات سيمفونية بالاستناد إلى ألحان (القبردي، واديغي، وشركسيا، وبلقاريا، وقراشي، عام ١٩٦١، وقصيدة كاباردينو) بالقاريا السيمفونية، عام ١٩٦١، ولعلها أفضل أعماله بالإضافة لموسيقى مسرحية ميديين عام ١٩٦١، والمشهد السيمفوني (سهول أرجودان)، في عام ١٩٦١ ايضا.
- **عمر تحبسم من مواليد كوش حابلة عام ١٩١٩م،** وهو ملحن بارع ومن أهم أعماله الفنية الكثيرة وهو السلام الوطني لجمهورية الاديغي، وله ألحان لأغاني عديدة منها: أمي الجميلة، والعروس الشركسية.

- **حسن قاردن (١٩٢٣) ولد في بلدة (شيجيم) الاولى في جمهورية كاباردا**، ودرس في معهد لينغراد للموسيقى وتخصص في الأصوات الغنائية والتأليف الموسيقي. وتخرج عام ١٩٥٤. وكان (قاردن) مؤلفا موسيقيى كبيرا وعمل على تأليف مختلف انواع الموسيقى الكلاسيكية بما فيها الأوبرا. ومن أفضل اعماله هو "داخل الوطن"، وهي مقطوعات للأوركسترا السيمفونية، تسمى (شركس Sharjes) عام (١٩٥٧)؛ مقدمة للفرح التي تضم مواضيع كاباردينية وبالقارية؛ ومقطوعة للبيانو والاوركسترا، وثلاث مقطوعات سيمفونية راقصة عام (١٩٦٠)؛ و"جمهوريتي"؛ و"قصيدة سيمفونية"؛ و "المساء في القرية"، وهي (فانتازيا) سيمفونية عام (١٩٦١).
- **يوري تيمرقان – Yori . Temirkanov** وهو من عائلة تيمرقان المنتمية إلى قبائل القبرطاي، ولد عام ١٩٣٨ في قرية (زرغش) من قرى جمهورية كباردينا – بلقاريا (الشركسية).

بدأت رحلته مع الفن في معهد الموسيقى (بنالتشك) حيث اتم دراسته بعد أربع سنوات متخصصا بالكمان، ثم انتقل إلى (لينينغراد) ليكمل تعليمه الموسيقي وحصل على الكونسرفتوار متخصصا بالاورغ ومايسترو، ونظرا لنبوغه واتقانه لفن الموسيقى رشح لنيل درجة الدكتوراه مع تنسيبه لقيادة الفرق الموسيقية.

في عام ١٩٦٨ وقبل ان يتم دراسته اشترك في مسابقة ضمت قادة الفرق الموسيقية الكبرى وحصل على المرتبة الاولى، وكان عمره آنذاك ستة وعشرين سنة، بعد هذا الفوز دعته فرقة لينينغراد ليتسلم منصب كبير الفرق الموسيقية، وبقي يعمل هناك إلى ان حصل على درجة الدكتوراة.

في عام ١٩٧٦، وجهت إليه دعوة لقيادة فرقة الاوبرا والبالية اللينينغرادية التي اسست في زمن القياصرة وتعد من اقوى الفرق الموسيقية الاوروبية.

يتقن هذا الفنان العزف على اثنتي عشرة آلة موسيقية مختلفة، ويحفظ عن ظهر قلب احدى وعشرين اوبرا وبالية كلاسيكية لاشهر موسيقي العالم كبتهوفن، وفردي وفاغنز وشوبان وشتراوس وغيرهم. وبلغ عدد العازفين في فرقته اكثر من ٢٠٠ عازف كما تضم الاوركسترا ٥٦ استاذا بالموسيقى وكان راتبه الشهري عام ١٩٧٧ (١٥٠٠) روبل أي ما يوازي راتب وزير الخارجية والدفاع الروسي وكان راتبه اعلى راتب في العهد الشيوعي.

قاد هذا الفنان الفرق في كبريات المدن السوفيتية. كما وجهت له (الملكة اليزابث) الدعوة لقيادة الاوركسترا الملكية البريطانية، كما دُعي لامريكا اثنتي عشرة مرة، ولبريطانيا خمس مرات، وفرنسا عشر مرات، وللسويد ثلاث مرات، اضافة لدعوته من قبل كل من المانيا الشرقية، والغربية، وبلجيكا، والدانمارك. وفي استفتاء لجريدة "الفيجارو الفرنسية" عن أفضل قادة الفرق الموسيقية في العالم جاء ترتيبه الثالث. وكان يشغل منصب بروفيسور كونسر فتوار في لينينغراد.

ومما تجدر الاشارة إليه هو أن عائلة "تيمرقان" هي عائلة موسيقيين وفنانين متميزين، فشقيقة (تيمر تيمرقان) عمل في منصب رئيس مجمع الفنانين في جمهورية قبردينا بلقاريا، أما شقيقه الاصغر فعمل كمايسترو فرقة (نالتشك) للموسيقى الكلاسيكية [٧].

- **اصلان على داوروفا Aslan Dawrova**

ولد يوم ١٩٤٠/٧/٢٤ وتوفي يوم ١٩٩٩/٣/٨ وهو من جمهورية تشركسيا قراشي، ولقب **(بالشاعر الموسيقي المعلم العظيم)** وتقديرا لتفوقه وابداعه في الشعر والموسيقى فقد تقرر في المؤتمر الدولي الخامس للجمعيات الشركسية العالمية المنعقد في مدينة نالتشك عاصمة جمهورية كباردينا / بلقاريا يوم ٢٠٠٠/٧/٢٨ تقديم المساعدة لإقامة تمثال له امام مبنى نقابة الفنون في مدينة شركسيا وكذلك تغيير اسم شارع النقابة والفنون في نالتشك إلى اسم الشاعر والموسيقي الكبير (اصلان علي داوروفا) [٨]

*** فلاديمير مولا (Valdimir Mola)**

وهو من الموسيقيين المعاصرين من شراكسة جمهورية القبردي والف كونسرت على الفلوت (النفخية) وفي عام ١٩٧٤ وبمناسبة انعقاد المؤتمر الثالث لاتحاد الموسيقيين في روسيا الفيدرالية؛ قدم باليه، "فكرة الجبل".

* **جبريل حيوية Jebrail Hewpe** وألف أولى سيمفونياته أوائل السبعينيات

* **أصلان داوروف Aslane Daurov** الف، في عام ١٩٤٠ الالحان الشعبية الشركسية، التي اعدت لتعزف على اربع آلات وترية (أو اربعة أصوات)، منها: ((رابسودي شركسي))، والمسلسل الغنائي "تيار الجبل" (٩).

ثالثا: عظماء الرياضة في الوطن الأم منذ القدم وابطالها الأولمبيين والعالميين في ظل الحكم الشيوعي في الاتحاد السوفيتي وروسيا الاتحادية

ربما كان من أبرز عظماء الرياضة في الوطن الأم هي بطلة المصارعة (لاشينقاي)، البطلة الأسطورية التي صرعت أقوى مصارعي خانات القرم

والبطلة هي من عائلة شركسية عاشت في منطقة القبرطاي في القرن السابع عشر الميلادي، وكانت تتمتع بقوة خارقة، تمكنها من التغلب على أقوى الرجال أكثرهم مهارة في المصارعة، وتقول أكثر من رواية من الروايات التاريخية الشركسية في هذه المرحلة عن قوتها الخارقة، وشهرتها في فن المصارعة وازدادت أكثر شهرة، واعتبرت بطلة قومية في عصرها بعد أن تمكنت من التغلب على أقوى مصارع في دولة (خانات القرم) واسمه (قيسين) ويمكن تلخيص أحداث هذه الواقعة على النحو التالي:-

عندما اقترب خان التتر – كيتان خان – من بلاد (الأديغة) وانتشر خبر انتصاراته، تنادى السكان الشراكسة إلى حمل السلاح والاستعداد للقتال لصد المعتدين من جيوش (خان التتر) إلا أن قائدهم غير رأيه وأرسل رسلاً إلى أمراء (الأديغة) قائلاً: "**ليس الغرض من قدومي إلى بلادكم محاربتكم والاستيلاء على بلادكم بل الشوق إلى معرفتكم عن قرب ورؤيتكم وجها لوجه، وإني لا أريد أن أكون عدوكم بل صديقكم لما سمعته عن شجاعتكم الفائقة، وقوة جيشكم العظيم، وفروسيتكم المنقطعة النظير، وما تستحقون عليه من المديح والثناء**"، واقترح على أمراء (الأديغة) انتخاب أقوى مصارع لدى الشراكسة في بلاد (الأديغة) لمنازلة أقوى مصارع لدى خان التتر (كيتان خان) كما أرسل مع رسله الشروط التالية:-

"**إذا تغلب بطلنا على بطلكم وجب عليكم أن تعتبروا أنفسكم مغلوبين ولا يحق لكم الامتناع عن دفع الجزية، وإذا كان النصر حليف بطلكم فسنكون نحن المغلوبين، فندفع كل ما يجب علينا دفعه، وسوف نقبل بكل خدمة تُلزموننا بها ونخدمكم كسادة لنا**".

قبل أمراء (الأديغة) بهذه الشروط واختاروا بطلة اسمها (لاشنقاي) لمنازلة بطل التتر، فلما اجتمعت الجموع وازدحمت جماهير النظارة من الفريقين بدأت المصارعة ودامت أكثر من ساعة، ولكن الدائرة دارت على بطل الخان (قيسين) وكان الفوز للبطلة (لاشنقاي)، فاكفهر وجه (الخان) وتغيرت ملامحه، إلا أنه كظم غيظه، واعترف بأنه غُلب على أمره وهنأ (الأديغة) بفوز بطلهم، دون أن يعلم بأنها امرأة وليس رجلاً، ولما اكتشف سر بطلهم وأنه لم يكن سوى (امرأة) تلبس ملابس الرجال، ازداد حزناً وشعر بالإهانة الكبيرة لبطل أبطال خانات القرم (قيسين).

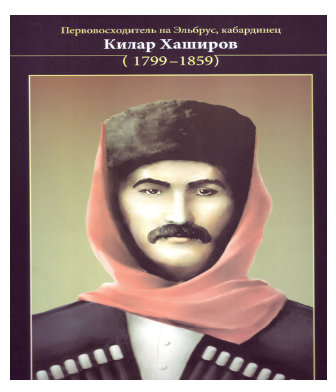
وطلب أمراء (الأديغة) من (الخان) أن ينتخب من جيشه الذي يعتز به بطلا أخراً إذا أراد أن يختبر قوة رجالهم، فرفض (الخان) واكتفى بما حدث، وقال:- "**إن امرأة عادية تغلبت على أقوى أبطالنا الذي كنا نعتمد عليه، سأوفي بوعدي وأنفذ الشروط التي وضعتها بنفسي قبل البدء بالمصارعة**"، ثم انصرف الخان مع جيشه ورجع إلى بلاده فوراً.

وتشير الرواية بأن هذه المنازلة جرت في موقع بالقرب من نهر "شكم" والموقع معروف حتى الآن باسم "شاشنسكايا".



صورة تمثل لحظة انتصار المصارعة الشركسية (لاشنيقاي) على قيسين أقوى مصارعي جيش خانات القرم التي جرت في موقع بالقرب من (شكم) في بلاد القبرطاي

وكذلك فإن من عظماء الرياضة من شراكسة الوطن الأم هو (كيلار خاشيروف) أول من تسلق قمة جبل البروز في بلاد القبردي وبطلنا العظيم ولد في منطقة القبردي عام ١٧٩٩ وكان في "القرية الحرة" دليل بعثة علمية للأكاديمية الروسية للعلوم كان يرأسها الجنرال (إيمانويل) في عام ١٨٢٩م. وتسلق القمة الشرقية لجبل البروز وارتفاعها (٥٦٣٣) للمرة الأولى في التاريخ وهو ايضا من رواد رياضة تسلق الجبال في روسيا. واقيم لهذا البطل القبرديني في مدينة لوغانسك (نصب تذكاري) وتوفي بعد تسلقه الضخم بثلاثين عاما عام (١٨٥٩).



كيلار خاشيروف

وفي العصر الحديث منذ وضع الشراكسة تحت الحكم الشيوعي في الفترة من ١٩١٧ وحتى انهيار الاتحاد السوفيتي في عام ١٩٩٢ وكذلك منذ اصبح شراكسة الوطن في ظل حكم روسيا الاتحادية ابتداء من عام ١٩٩٢ وحتى اليوم فإن عدد كبير من الشباب الشراكسة في هاتين المرحلتين من تاريخهم قد مارسوا مختلف الالعاب والمسابقات الرياضية التنافسية، كما احترفوا عددا كبيرا من الرياضات التنافسية المعاصرة منذ مارس الشراكسة في الوطن الام في هذه المرحلة رياضات وألعاباً جديدة تختلف اختلافا كليا عن الرياضات الشركسية القديمة، سواء كان من حيث التنظيم أو التكوين، فإذا كانت الرياضات الشركسية التقليدية جزءا من الثقافة القومية للشراكسة، جاءت الرياضات الجديدة بدعم من الدولة الروسية فمالت إلى الاحتراف حيث إن الكثير من الرياضيين الشراكسة أصبحوا يتقاضون رواتبهم لتفرغهم للتدريبات والمسابقات فقط. في الوقت الذي شملت فيه الرياضات الشعبية ألعاباً وتمارين معروفة وموروثة من الاجداد، كما حملت الرياضات الجديدة أسماء لم تكن لها علاقة بالثقافة البدنية الشعبية الشركسية القديمة وحلت محلها لتجعلها في زوايا النسيان، ولم يبق من الالعاب التقليدية الشركسية سوى المصارعة والرماية مع

ادخال التعديلات والتغييرات الجوهرية، كما ظهرت رياضات وألعاب جديدة مثل: **كرة القدم، وكـرة الطائرة، والتنس، وسباق الدراجات، ورفع الاثقال، والملاكمة، والمصارعة الرومانية، والجمباز، وكرة السلة، والسباحة، والتسلق على الجبال، وألعاب القوة.**

يقول (غيرغوف) مؤكدا بأن الرياضات القومية اخذت تفقد أسرارها وأساليبها التدريبية، مما أدى إلى زوالها أيضا. ومرت سنوات وعقود طويلة قبل أن يتقن الشعب الشركسي قواعد الرياضات العالمية الجديدة التي قامت الحكومة السوفيتية بنشرها، وقد نشأ أبطال جـدد ذوو معـايير روسـية وسوفيتية واوروبية وحتى اولمبية وعالمية. كما ظهر مدربون عالميون مثـل المـدرب الشركـسي البارز، المؤسس لمدرسة الجودو والسامبو (الدفاع عن النفس) وإسمه **يعقوب كوبابيف مـن مدينـة مايكوب**، وهي شاهدة لما يمكن ان يثمر عنه الجمع بين الرياضتين الشعبية والعالمية.

ولا شك بأن تقديم الشراكسة في الوطن الأم أبطالا أوروبيين وعالميين حتى في الرياضـات غير التقليدية فيعني ذلك بأن الشعب الشركسي بدأ يستعيد شيئا فشيئا ثقته بذاته التي كان قـد فقـدها نتيجة للكارثة القومية التي وقعت خلال حروب الابادة الدمار الروسية في القرن التاسع عشر، وزوال الرياضات الشركسية التقليدية.

وفي الاحتفالات الرياضية الاقليمية التي بدأت تقام في الاتحاد السوفيتي منذ عام ١٩٢٣ احتل الرياضيون الشراكسة مراتب عالية وحققوا انجازات عالية في بعض السباقات مثل سباقات الخيـل، والتسلق إلى قمة البروز في عام ١٩٣٥، والعبور المائي من (فان) إلى (ماخاتشكالا) في عام ١٩٣٦، ومن نالتشيك إلى موسكو في عام ١٩٣٧ والذي شارك فيه (شيس بلينـاوف ومرجـان شـيناخوفا)، وسباقات الدراجات الذي قادها (ي. ي. خاجالييف) في العام ١٩٦١، وقطع المشاركون الشراكسة في الوطن الام مسافة ٦٠٠٠كيلومتر على خط (أرمافير – كراسنودار – يالطا – سيفاستوبول – أديسا – كيشينيوف – كييف – مينسك – فيلنيوس – ريغا – تالين – لنينغـراد – موسـكو – خـاركوف – رستوف – نالشيك) . وفي جمهوريتي (اديغي) و (تشركسيا) حدثت تطورات رياضية كبيرة حيـث ظهرت رياضات غير تقليدية وإنشاء قاعات وملاعب رياضية واستقطاب الشباب الشركسي وظهـر أبطال لامعون جدد، ويبدو أن الامور سارت على هذا النحو فـي كافـة الجمهوريـات والولايـات القوقازية على حد سواء.

وبدأت اسماء الرياضيين الشراكسة تظهر في اواخر العشرينيات من القرن الماضي، ومـن بينهم القبردي (مصطفى بيتوي ناكوف) الذي بقي في الساحة الرياضية مدة ثلاثين سنة في رياضـة المصارعة الحرة والرومانية ووصفه مؤرخ الرياضة في جمهورية (كباردينا بلكاريا) بقوله: "... من العام ١٩٢٧ ولغاية ١٩٥٣ كان بطلا في المصارعة الحرة والرومانية ورافعا للأثقال هو الاقوى على صعيد جمهورية كباردينا بلكاريا ومنطقة شمال القوقاز والجمهوريات الفدرالية الاشتراكية الـسوفيتية الروسية، بالإضافة إلى كونه لاعب ألعاب قوة عظيم، شمل ارشيفه الرياضي الخاص (٥٠) شـهادة تقديرية منحت له على فوزه في المسابقات في المصارعات الحرة والشعبية والرومانيـة ومـسابقات ألعاب القوة.

وفي الفترة ما بعد الحرب العالمية الثانية ذاع صيت راكب الدراجة (يوسف خاجالييف) الذي قطع ٤١ ألف كيلومتر في (٢٣) سباقا للدراجات بصفته متسابقاً أو مدرباً أو مـشرفاً، وفـي العـام ١٩٦٤ منح لقب "خبير الرياضة للاتحاد السوفيتي". كما اثبت مهارته في التدريب حيث قام بإعـداد (١٤) خبيرا رياضيا وما يزيد عن مائة رياضي، حصلوا على درجات تقديرية مختلفة. كمـا عمـل مدرباً لمنتخب فريق الدراجات لجمهورية روسيا الفدرالية ومدربا للمجلس الاعلى لنادي "سـبارتاك" وفاز كل من تلميذيه (ب. شوخوف) و (أ. توكماكوف) ببطولة الاتحاد السوفيتي، وشاركا في المنتخب الاولمبي للدراجات، أما (بوريس شوخوف) فحصل على الميدالية الذهبية في اولمبياد ميونخ في العام ١٩٧٢. كما منح (يوسف خاجالييف) لقب المدرب الدولي للاتحـاد الـسوفييتي تقـديرا لإنجازاتـه الرياضية الدولية. [٧]

*** أنواع الرياضات المعاصرة التي مارسها الشراكسة في الوطن الام في العصر الحديث وتفوقوا فيها**

١- رياضة الفروسية:

حقق الشراكسة في الوطن الام انجازات كبيرة في رياضة الفروسية المعاصرة في العهد السوفيتي لوجود خبرة تاريخية طويلة فيها. بشهادة (شورا نغموقة) الذي سبق ان قال: "كان جيران الشراكسة يغارون منهم على لياقتهم في الفروسية، ولباسهم الجميل، ومهارتهم في رمي الهدف، وقدرتهم على القفز من على ظهر الفرس لالتقاط خاتم او قطعة نقد من الارض" (٨).

وظهر في منتصف القرن العشرين من شراكسة الوطن الأم فرسان موهوبون جدد وفي مقدمتهم الفارس (جامبوت باكو بشوكوف) الذي مارس هذه الرياضة أربعين سنة من عمره ابتداء من عام ١٩٥٤. وكرم من معهد الابحاث المركزي لتربية الخيل بصفة (فنجري) وكان قد حاز على ما يزيد عن ٥٠ جائزة، كما ضرب رقما قياسيا في سباق الحواجز على مستوى الدولة منذ عام ١٩٦١، وبدأت انتصاراته في البطولات الدولية وقد فاز بأكثر من ٢٠ جائزة في عدد من العواصم الاوروبية. ومنح في المؤتمر الدولي لتربية الخيل لقب "الفنجري الدولي" وهو أعلى لقب في الفروسية. لقد تميز بأسلوبه الرياضي الخاص، بالإضافة إلى جلسته على الفرس والتي قيل عنها إنها "جلسة الامراء". وقد بقي يشارك في المسابقات حتى أصبح عمره (٥٣) سنة مما يعتبر رقما قياسيا في رياضة الفروسية في العالم.

كما ظهر فارس آخر مارس هذه الرياضة منذ ان كان عمره ١٥ سنة، وقد حصل على لقب الخبير في الرياضة في عام ١٩٦٢ واسمه (موحربي جانخوت كونيجف)، الذي فاز بلقب بطل الاتحاد السوفيتي في أنواع مختلفة من سباقات الحواجز في السنوات ١٩٦٢و ١٩٦٧ و ١٩٦٨.

وأما عن إنجازاته الكبرى كما جاءت في مجلة (التربية الرياضية) بأنه عمل في الفترة ما بين عامي ١٩٦٧ و ١٩٨٢ مدربا لمنتخبي الجمهورية الروسية والاتحاد السوفيتي. وعلى يده تدرب كل من (أرسين كاراتسوكوف) و (سيرغي روغوجين) وهما خبيران عالميان و (حاجيسميل شيناخوف) الحاصل على لقب الخبير الرياضي للاتحاد السوفيتي و (فلاديمير بوندارينكو) بطل اوروبا كما أعد سبعة ابطال في الاتحاد السوفيتي و ٥٢ خبيرا على مستوى الاتحاد السوفيتي. ويشغل الآن منصب مدير ميدان لسباق الخيل في نالتشيك.

وكان آخر ابطال الفروسية في بلاد الشراكسة في الوطن الأم هو البطل الاولمبي العالمي بوريس شوخن الذي فاز ببطولة العالم عام ١٩٧٠ والبطولة الاولمبية عام ١٩٧٢.



بوريس شوخن بطل العالم عام ١٩٧٠ وبطل الاولمبياد عام ١٩٧٢ في الحواجز/فروسية

٢- رياضة الجودو وألعاب الدفاع عن النفس (سامبو وكراتيه وتايكوندو والكيك والبوكسينج).

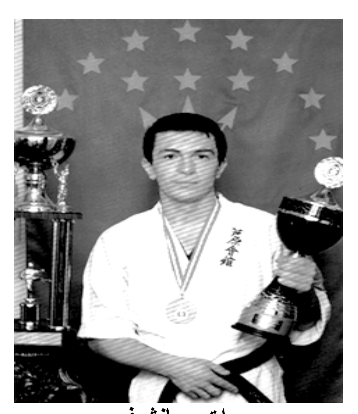
تعتبر مدرسة مايكوب لرياضة (الجودو والسامبو) التي أسسها (يعقوب كامبوليت كوبليف) في مايكوب عاصمة الاديغي صفحة لامعة في الرياضة الشركسية في الوطن الام في العهد السوفييتي. وفي عام ١٩٧١ افتتحت في مايكوب قاعة رياضية حديثة وأقيمت فيها بطولة في رياضة (سامبو) الثالثة للمصارعين القرويين، وكان الخمسة من بين الفائزين العشرة الأوائل من تلاميذ (يعقوب كوبليف) وهم (ف. نيفزوروف) و (أ. سبيروف) و (ي. أشينوف) و (أ. حاباي) و (ع. كوستوكوف).

وفيما يلي نبذة عن الابطال العالميين والاولمبيين والاوروبيين في رياضة الجودو والسامبو والعاب الدفاع عن النفس الذين حققوا انجازات رياضية عظيمة وهم:

- **إسماعيل يكوتيتش**، الحائز على كأس اوروبا في عام ١٩٧٣ في المصارعة الرومانية وهو من مدينة كراسنودار.
- **أرمبي حاباي**، بطل العالم عـــامي ١٩٧٤ و ١٩٧٥، وكذلك بطل العالم بين كبار السن في عام ١٩٩٣ في سامبو (الدفاع عن النفس). ولد في أديغية في قريـــة (تاويحابل).
- **كوستوكوف**، بطل العالم لعام ١٩٩٣، وبطل اوروبا لعام ١٩٧٤.
- **أرمبي يميج**، الحاصل على الميدالية البرونزية فـــي اولمبياد ١٩٨٠ في مباريات سامبو وجودو.
- **حميد حاباي**، الحاصل على الميدالية الفـضية فـــي بطولة العالم لعام ١٩٨٧، وبطل اوروبا لعام ١٩٨٩ في سامبو وجودو. ولد في عام ١٩٦٠، وهو شـــقيق ارمبي حاباي.
- **مورات كيشتوف**، بطل اوروبـا لعـــام ١٩٩٣ فـــي التايكوندو وزن ٧١كغم. ولد في ١٢ أغسطس عـــام ١٩٧٣ في كاراشايفو من جمهورية شركيسيا.
- **مورات سابانشييف**، الحائز على كأس العالم في عام ١٩٨٨ في رياضة الكراتيه.



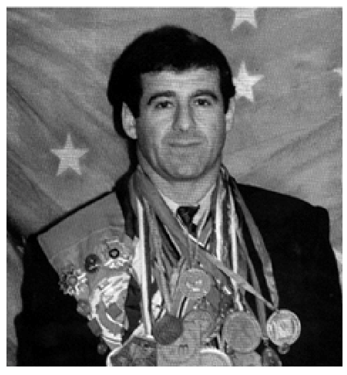
ارمبي حاباي
بطل العالم عامي ١٩٧٤ و ١٩٧٥ وبطل العالم للكبار عام ١٩٩٣ في رياضة السامبا



مورات سبانشيف
بطل كأس العالم عام ١٩٨٨ في الكاراتيه

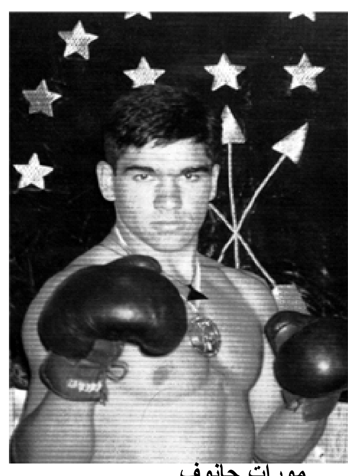
حاظرت تليتسيري، بطـل اوروبـا لأعـوام ١٩٨٢، ١٩٨٣، ١٩٨٤، ١٩٨٥، والحائز على كأس القـارات في عامي ١٩٨٥ و ١٩٨٦، وبطل العالم للجودو فـــي وزن ٦٠ كغم. ولد في قرية (كازانوقاي) من جمهورية الأديغي عام ١٩٥٨.

- **أيدمير اوتليف**، الفائز ببطولـة العـالم لعـامي ١٩٨٥ و ١٩٨٦ في سامبو. وزن ٦٢كغم. ولد في ١٩٦٦ وهو من قرية شوفغينوفسكي.
- **سحاتبي ألخاوف**، الفائز ببطولة اوروبا في ١٩٩٣ وبطولة العالم لعامي ١٩٩٣ و ١٩٩٥ في السامبو ولد في جمهورية الاديغي عام ١٩٨٥.
- **مورات غوكوف**، الفائز ببطولة العالم في ١٩٩٣ في السامبو. من مواليد تشيركيسك.



حاظرت تلتسيري
بطل اوروبا اعوام ١٩٨٥،١٩٨٤،١٩٨٣،١٩٨٢
وبطل العالم عامي ١٩٨٥، ١٩٨٦ في رياضة الجودو

- **محمد كونيجف** الفائز ببطولة اوروبا مرتين وبطولة العالم في ١٩٩٣ بوزن ٦٢كغم، ولد في قرية بسيج في جمهورية شركيسك ١٩٧٣.
- **أصلان بيجف**، الفائز ببطولة العالم عامي ١٩٩٣ و ١٩٩٤ وبطولة اوروبا لعام ١٩٩٦ في السامبو.
- **مورات حاسانوف**، بطل اوروبا لأعوام ١٩٩٣، ١٩٩٤، ١٩٩٥، ١٩٩٦، و١٩٩٧، وبطل العالم في عامي ١٩٩٤ و ١٩٩٥، وحائز على كأس العالم في عام ١٩٩٥ في رياضة السامبو. ولد في ١٠ ديسمبر ١٩٧٠ في قرية (يجرقواي) من جمهورية الأديغي.
- **مورات أغيروف**، الفائز ببطولات العالم لعامي ١٩٩٥ و ١٩٩٦ في السامبو.
- **أدام ديلوك**، الفائز ببطولة العالم لعام ١٩٩٥ في السامبو. وولد في جمهورية الأديغي عام ١٩٧٥.
- **روبرت أغيروف**، الفائز ببطولة العالم لعام ١٩٩٦ في السامبو وشارك في وزن ٧٤ كغم وبينما كان وزنه الحقيقي ٦٨ كغم. من قرية (أبسوا) – في جمهورية شركيسيا.
- **أدام خوشت** الفائز ببطولة أوروبا لعام ١٩٩٦ في السامبو. ولد في عام ١٩٧٩ في قرية (تختميقواي) في جمهورية الأديغي.
- **مورات ماكويف**، الحائز على كأس اوروبا وكأس العالم عام ١٩٩٦ في كيك بوكسينغ. من قرية (بسيغانسو).
- **أصلان داوروف**، الفائز ببطولة العالم عامي ١٩٩٤ و ١٩٩٦، والحائز على كأس اوروبا في ١٩٩٧ في السامبو، وزن ٧١ كغم و ٧٨ كغم. من مواليد جمهورية شركيسيك.
- **مورات جانوف**، الحائز على كأس أوروبا وكأس العالم لعام ١٩٩٦ وبطل العالم لعام ١٩٩٥، وبطل العالم بين المحترفين لعام ١٩٩٧ في رياضة كيك بوكسينغ. ولد في قرية (بسيغانسو) في جمهورية كباردينا بلقاريا.
- **أصلان غوباشييف** بطل العالم عام ١٩٩٦ في الكاراتيه ولد في جمهورية كباردينا- بلقاريا.



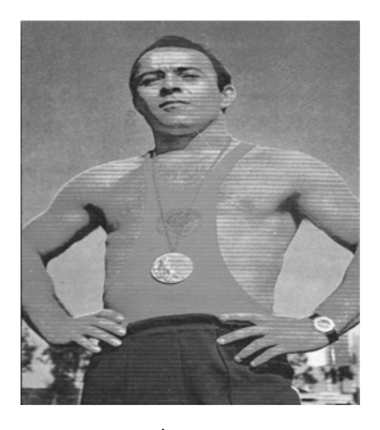
مورات جانوف
بطل كأس اوروبا والعالم عام ١٩٩٦ بطل العالم ١٩٩٥
وبطل العالم للمحترفين ١٩٩٧ في الكيك بوكسنج

- **مورات أوزوف** بطل العالم في ١٩٩٦ في السابمو. أبازين الأصل من مدينة تشيركيسك.
- **أزمات تترشاو** – الحائز على كأس العالم للشباب في عام ١٩٩٦ في الكيك بوكسينغ. ولد في ١٩٧٧ في قرية (بسيج) في جمهورية شركيسيك.

٣- رياضة المصارعة:

- **ليونيد بوغاتيريوف**، الحائز على كأس العالم عام ١٩٧٤، في المصارعة الحرة.
- **تيمور حاتسوكوف** الفائز في بطولة أوروبا لعام ١٩٨٠، في المصارعة الحرة.

- **اصلان جانيموف** بطل اوروبا في ١٩٨٢، الحائز على كأس العالم عام ١٩٨١في المصارعة الرومانية. وزن ٨٢ كغم. ابن الكاتب الكبارديني المشهور بوريس جانيموف.
- **ألبيرت غيرغوف** الحائز على الميدالية الفضية في بطولة العالم لعام ١٩٩١، وبطل الاتحاد السوفيتي لعام ١٩٩١ في المصارعة الحرة. ولد في جمهورية كباردينا- بلقاريا.
- **زاودين باجيف** الفائز ببطولة العالم عام ١٩٩١ في المصارعة الحرة وهو في عمر ١٦ سنة.
- **ألكسي كازييف** الفائز ببطولة العالم عام ١٩٩٢، والحائز على كأس العالم عام ١٩٩٨ في المصارعة الحرة. من جمهورية كباردينا بلقاريا.
- **مورات قردانوف** الفائز ببطولة العالم في ١٩٩١ والحائز على كأس العالم عام ١٩٩٢ وبطل اوروبا عام ١٩٩٨ في المصارعة الرومانية. ولد في عام ١٩٧١ في قرية (زاراغيج) وهي التي ولد فيها الموسيقار يوري تميرقانونف. وزن ٨٢كغم.
- **رسلان تشرميت** الفائز ببطولة اوروبا لعام ١٩٩٣ في المصارعة الرومانية. ولد عام ١٩٧٥ في قرية (تختميقواي) في جمهورية الأديغي.
- **اصلان نارتوقوف** الفائز ببطولة العالم عام ١٩٩٤ في المصارعة الحرة.
- **مايربيك خامبازاروف** الفائز في الالعاب العالمية للنقابات عام ١٩٩٥ في المصارعة الرومانية وزن ٦٨ كغم.
- **أصلان حاغوروف** الفائز ببطولة النوادي الاوروبية في عامي ١٩٩٥ و ١٩٩٦ في المصارعة الحرة. وزن ١٠٠كغم.
- **محمد بالاخوف** الفائز ببطولة العالم لعام ١٩٩٦ في المصارعة الرومانية من مواليد جمهورية كباردينا بلقاريا.
- **أصلان بيك هوشتوف** من كبردينيا بلقاريا بطل العالم للمصارعة الرومانية في أولمبيات بكين ٢٠٠٨، احرز الميدالية الذهبية بوزن (٩٦) كغم والبطل الشركسي تمكن من الفوز بجدارة على البطل الالماني ميركو، ولقد شهدت بلدة تيريك مسقط رأس اصلانبك في جمهورية قباردينيا / بلقاريا احتفالات عامة حيث تجمع المئات من سكان القرية ابتهاجاً بهذا النصر الرياضي الكبير.



موحربي كيرجينوف
بطل اوروبا عامي ١٩٧٣ و ١٩٧٢
وبطل العالم عامي ١٩٧٣ و ١٩٧٢
وبطل الاولمبياد عام ١٩٧٢ في رفع الاثقال

٤- رياضة رفع الاثقال:

- **موحربي كيرجينوف** بطل اوروبا عامي ١٩٧٢ و ١٩٧٣ وكذلك بطل العالم في ١٩٧٢ و ١٩٧٣ وبطل الالعاب الاولمبية في ١٩٧٢ في رفع الاثقال. ولد في قرية (كوشحابل) في الاديغية ١٩٤٩. بدأ مسيرته الرياضية من الوزن الخفيف. وسجل آخر رقم قياسي له عام ١٩٧٥ في وزن ٧٧,٥كغم.
- **مورات بيبوف** الحائز على كأس العالم عام ١٩٨٠ في رفع الاثقال. من مايكوب وهو اصغر (رباع) في العالم.

- **يوري خواجيف** بطل اوروبا لثلاث مرات وبطل العالم لعامي ١٩٩٦ – ١٩٩٧ ولد في مـايكوب عام ١٩٧٠ في رياضة رفع الاثقال Power lifting، ويعتبر اقوى رجل في العالم حيث حقق رقما قياسيا عالميا برفعه ٢٧١,٥كغم.

٥- رياضة الدراجات

- **بوريس شوخوف** بطل العالم في ١٩٧٠ والألعاب الاولمبية عام ١٩٧٢ في سباق الدراجات. ولد عام ١٩٤٧ في أوكرانيا حيث عمل والده في بعثة عسكرية وهو أول رياضي من جمهورية كباردينا بلقاريا حاصل على لقب بطل اولمبي.

٦- رياضة كرة الطائرة:

- **يلينا اخامينوفا** شاركت ضمن فريق الاتحاد السوفيتي لكرة الطائرة للالعاب الاولمبية لعام ١٩٨٠.

٧- تنس الطاولة:

- **فاطمة باتيروفا** الفائزة ببطولة اوروبا تنس الطاولة لعام ١٩٧٢.
- **مولود كوشخوف** الفائز ببطولة اوروبا لعام ١٩٨٤ في تنس الطاولة من جمهورية كباردينا- بلقاريا.

٨- رياضة الجمباز (حركات الايقاع)

- **سفيتلانا كوشو** – بطلة اوروبا لعام ١٩٩٧ وبطلة العالم في ١٩٩٧ في الحركات الايقاعية في الجمباز.

٩- كرة القدم، لم تكن رياضة كرة القدم من الرياضات التي مارسها الاجداد حتى النصف الأول من القرن العشرين، إلا أن هذه اللعبة أصبحت اللعبة الشعبية الأولى في السنوات العشرين الأخيرة ونجح فريق جمهورية كباردينا بلقاريا من الوصول إلى دوري أبطال المحترفين في روسيا الاتحادية في السنوات الأخيرة.



فاطمة باتيروفا/ بطلة اوروبا في تنس الطاولة

سفيتلانا كوشو
بطلة المحترفين واوروبا عام ١٩٩٧
وبطلة العالم ١٩٩٧ في الجمباز



يلينا اخامينوفا / عضو منتخب الاتحاد السوفيتي الفائز في اولمبياد موسكو عام ١٩٨٠